الكتاب الثاني:

دين السُّلطان

« البرهان »

نيازي عز الدين



دين السُّلطان

* **دين السّلطان** البرهان (الكتاب الثاني)
* تأليف: **نيازي عز الدين**

* الطبعة الأولى ١٩٩٧/٢

* تنفيذ: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع
سورية ـ دمشق ـ هاتف: ٣٣٢٠٢٩٩ ـ ص.ب: ٩٥٠٣ ـ فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧
* التوزيع:
الأهالي ـ قسم التوزيع
سورية ـ دمشق ـ هاتف:٢٢١٣٩٦٢ ـ ص.ب:٩٢٢٣ ـ فاكس:٣٣٣٥٤٢٧

الناشر : **بيسان للنشر والتوزيع والإعلام**

ص.ب: 13-5261 بيروت – لبنان
هاتف : 351291

﴿ومن أظلمُ ممّن افترى على الله كَذباً﴾ ٢١ ـ الأنعام.

﴿قل أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً قل اللهُ شهيدٌ بيني وبينَكم﴾ ١٩ ـ الأنعام.

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الّذين ضَلّ سَعيُهم في الحياة الدّنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً﴾ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ الكهف.

﴿بل نَقْذِفُ بالحقِّ على الباطل فَيَدْمَغُهُ فإذا هوَ زاهقٌ﴾ ١٨ ـ الأنبياء

﴿وقالَ الذي آمنَ ياقوم اتّبعوني أهدِكُم سبيلَ الرشاد * ويا قوم إنّما الحياةُ الدنيا متاعٌ وإنّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ﴾ ٣٨ ـ ٣٩ ـ غافر

﴿وياقوم مالي أدعوكُم إلى النجاةِ وتدعونني إلى النار* تدعونَني لأكفرَ بالله وأشركَ به ماليَسَ لي بهِ علمٌ وأنا أدعوكُم إلى العزيزِ الغفارِ﴾ ٣٩ ـ ٤٢ ـ غافر

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى أبنائي ـ الأحبة:

حسام

وسـام

وئـام

وابنتي الغالية

سوسن

أقدم هذا الكتاب

* تعويضاً عن معاناة جيلنا، والأجيال التي سبقتنا من أفكار ورثناها من عصور غفوة المسلمين، وفي زعمنا أنها علوم ثمينة، وفاتنا أنها طبعت عقول المسلمين عامة، خلال ألف عام من الزمن بفيض من الأوهام والأباطيل والظنون.

* أوهام وأباطيل ترسّخت عبر الزمن، فتسامق بناؤها حتى أمست قلعة شامخة للجهل، ابتعد فيها المسلمون عن التفكير العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فتحجّر فكر الأمة، وجمدت في فهم كتاب الله وتدبّره عند أحاديث مرويّة عن الرسول الكريم، ظُنّ أنها المرجع والسند لتفسير القرآن، فالتزمها المسلمون التزامهم نصّ القرآن، مبتعدين عن مقاصد الله عز وجلّ في فهم آياته، وعنايته الإلهية بالبشر، ومساعدتهم على تدبير شؤون حياتهم، وتنظيم أمور معاشهم، وتمثُّل الغاية من وجودهم على الأرض، مما يتعذّر عليهم إدراكه إلا بمساعدة الرحمن، خالق الكون ومبدعه، ومن أجل ذلك الهدف أرسل الله رسله للناس ليبلّغوا ويعلّموا.

* إن قصتي مع الإيمان، يا أحبتي، قصة خاصة وفريدة من نوعها، فقد أُتيح لي، بفضل من الله ومنّة منه، أن أقف على معجزة من معجزات كتاب الله العديدة، وهي أنه،

بالإضافة إلى روعة بيانه وسهولة حفظه، يقوم على لغة مرنة، تصلح لكل زمان ومكان، وتتيح لكل إنسان يعرف العربية أن يفهم من كتاب الله ما يفي بتبليغه قواعد الإيمان وأسسه دون حاجة منه إلى الاستعانة منه بالمحدّثين أو المفسّرين، وتَبيّن لي أن اعتماد المسلم على كتاب الله، والرجوع إليه دون وسيط، يعصم المسلم من التأثر بوجهات نظر المحدّثين والمفسّرين واجتهاداتهم، وتشعّب مناهجهم، مما قد يبعد المسلم عن صفاء الينبوع، ويشتت انتباهه أو يشغل ذهنه بالعَرَض دون الجوهر، وبالثانوي دون الأساسي، أو يبرّد حرارة البيان الدافق المعجز بالشروح المستفيضة التي تميت الروح وتخمد جذوة التأثر، فتغدو هذه الشروح بديلاً عن الآية المعجزة، وتضع نفسها في كفّة مع البيان الإلهي، وتسدّ على القارىء المتلهّف لكلمة الله منافذ التذوّق، ومَن يعدل ببيان الله كلام البشر ولو كانوا من العلماء؟ ومَن يستعيض به أفكارهم الذاتية؟!.

لقد ضيّقنا رحاب الكلمة المنزلة، وقيدناها بجملة أفكار بشرية استعصمت بالأحاديث النبوية تلتمس منها مرجعيتها وثباتها لتغدو تأطيراً لكتاب الله، ولا تترك لقارئه فسحة لاستلهام الأصل لا الفرع، وهي تعطّل ملكاته التي يجب أن تتفاعل مع النص القرآني بعيداً عن كل تأطير وتأثير.

وقد راجعت كتاب الله مراراً فلم أجد فيه أي نصّ يحثّ على تدوين الأحاديث النبوية أي: كلام الرسول ﷺ ومواقفه وسنته أو اتخاذها مرجعاً لفهمه وتفسيره، ولم أقف فيه إلا على دوره نذيراً ورسولاً للعالمين، اللهم إلّا ما ورد فيه من تكليفه تحديد عدد ركعات الصلاة والحدّ الأدنى للزكاة، وقد تبين لي أنّ الله عز وجل إنما سمح لنبيّه الكريم أن يتولّى بنفسه تحديد ذلك لغرض إلهي سآتي على شرحه، في حين أن مناسك الحج ظلت كما كانت عليه منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

أولادي الأحبة:

أهديكم جهدي المتواضع هذا وأنا أفكر بجيلكم ومستقبلكم، آملاً أن يكون لما ورد في كتابي هذا من أفكار تأثيره الموقظ والمنبّه والمحذّر من خطر مقيم نعيش فيه، ويسبّب لنا مصائب كثيرة، لا نعلم مصدرها، متمنياً أن تتنبّهوا لهذا الخطر أنتم وجيلكم مبكراً، لتتحرروا من تلك القيود التي كانت سبباً في تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً، لتعودوا إلى مضمون القرآن الكريم ومنهج الرحمن فيه، لتنالوا به رضى الله فتربح تجارتكم في الدنيا والآخرة، فيكتب الله سبحانه وتعالى لكم جنتين من نخيل وأعناب، يفجر الله من

خلالهما نهراً هو نهر الزمان الذي يفصل بين جنتكم التي على الأرض، وجنتكم الأخرى التي وعدكم إياها صدقاًوعدلاً في السماء، إذا أنتم وفيتم ما عاهدتم الله عليه من الإيمان به، والتمسك بصراطه المستقيم، والتزام أوامره وتعليماته وحدوده، وعملتم عملاً صالحاً في هذه الحياة الدنيا، وأصلحتم فيها، وعبدتم الله وكأنكم ترونه، طاردين شيطان النفس عن أموركم بإبعاد الوهم والباطل، والتعامل في هذه الحياة الدنيا بالعقل، لأن الإسلام دين العقل والحق والحقائق العلمية، عالمين أن الله لم يخلق أوهاماًوخيالات وظنوناً، بل حقائق كاملة وعلماً وقوانين علمية ورياضية. وأرجو أن يكون هذا الكتاب لكم كبوصلة البحار يعيدكم أبداً إلى القرآن ومنهج الرحمن، فإن بقيتم على ذلك المنهج، تهتدون به في شؤونكم وأمور دنياكم وآخرتكم فلن تضلوا أبداً، واعلموا أن طريق الهداية هو لخيركم ومنفعتكم الدائمة: ﴿فَمَن اهتدى فإنما يَهتدي لنفسهِ ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها..﴾[1]: ﴿وَلْتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرونَ بالمعروفِ وينهَوْن عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذينَ تفرَّقوا واختلفوا من بعدِ ما جاءَهم البيّنات، وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾[2].

ولا يسعني إلا أن أخص بالشكر زوجتي، التي ساهمت معي في تقديم هذا الكتاب للقراء، فيما بذلته من جهد وعناية ورعاية وتشجيع، وما قامت به من جهود ووفّرت لي من ظروف ملائمة للعمل.

وفقنا الله سبحانه وتعالى لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ورفع راية الإسلام شامخة على الدوام بعونه تعالى:

﴿فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصفون﴾[3].

صدق الله العظيم.

---

(١) سورة يونس: ١٠٨

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ ـ ١٠٥

(٣) سورة يوسف: ١٨

أولاً ـ تمهيد: علماء السوء

خير ما أبدأ به هذا الكتاب، بعد ذكر اسم الله سبحانه وتعالى وطلب العون منه هو قول وجدته بين كتب التراث القديم لابن قيم الجوزية رحمه الله، يصف لنا فيه كيف يمكن للمفكر الإسلامي أن يكون في جانب الله ورسوله، ثم يصف لنا بعد ذلك كيف يكون الذي اختار الدنيا منهم بجانب الشيطان ويسمّيه «عالِم السوء»: «إذا كان الله ورسوله في جانب، فاحذر أن تكون في الجانب الآخر، فإن ذلك يفضي إلى المشاقّة والمحادَّة، وهذا أصلُها ومنه اشتقاقها، فإن المشاقَّةَ أن يكون في شقٍّ ومن يخالفه في شقّ، والمحادَّةُ أن يكون في حَدٍّ وهو في حدّ. ولاتستسهل هذا فإن مبادئَه تجرُّ إلى غايته، وقليلَهُ يدعو إلى كثيره. وكن في الجانب الذي فيه الله ورسوله، وإن كان الناس كلهم في الجانب الآخر، فإن لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته. وأكثر الخلق إنما يكونون في الجانب الآخر، ولاسيما إذا قَويت الرَّغبةُ والرَّهبةُ، فهناك لاتكاد تجدُ أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسوله، بل يَعُدُّه الناس ناقص العقل سيء الاختيار لنفسه، وربما نسبوه إلى الجنون، وذلك من مواريث أعداء الرسل، فإنهم نسبوهم إلى الجنون لما كانوا في شقّ وجانبٍ والنّاسُ في شقٍّ وجانب آخر.

ولكن من وطَّنَ نَفسه على ذلك، فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقيناً له لاريب عنده فيه، وإلى صبر تام على معاداة من عاداه ولومَةِ من لامَهُ، ولا يتم له ذلك إلا برغبةٍ قويةٍ في الله والدارِ الآخرة، بحيث تكون الآخرةُ أحبَّ إليه من الدنيا وأكثر عنده منها، ويكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما. وليس ثمة شيء أصعب على الإنسان من ذلك في بادىء الأمر، فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل، فإذا خالفهم تصدوا لحربه، فإن صبر وثبت جاءه العون من الله، وصار ذلك الصعب سهلاً، وذلكَ الألم لذةً، فإن الرَّبَّ شكور، فلابد أن يذيقه لذَّةَ تحيزه إلى الله وإلى رسوله، ويريه كرامة ذلك. فيشتد به سروره وغبطته، ويبتهج به قلبه، ويظفر بقوته وفرحه وسروره، ويبقى من كان محارباً له ـ على ذلك ـ بين هائب ومسالم، ومساعد وتارك، ويقوّي جنده ويضعف العدو.

ولا تستصعب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنتَ وحدكَ، فإن الله معكَ، وإنما امتحن يقينك وصبرك.

وأعظم الأعوان لك على هذا، بعد عون الله، التجرّد من الطمع والفزع. فمتى تجردت منهما هان عليك التحيز إلى الله ورسوله، وكنت دائماً في الجانب الذي فيه الله ورسوله. ومتى قام بك الطمع والفزع، فلا تطمع في هذا الأمر ولا تحدث نفسك به. فإن قلت: فَبأيِّ شيء أستعين على التجرد من الطمع ومن الفزع؟ قلت: بالتوحيد، والتوكل، والثقة بالله، وعلمك بأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يُذهِبُ السيئات إلا هو، وأنّ الأمر كله لله ليسَ لأحدٍ مع الله شيء». (كتاب الفوائد ـ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٤ ـ صفحة ١٦٩ - ١٧٠).

وتحت عنوان عالِم السوء كتب يقول:

«كل من آثر الدُّنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأَن أَحكام الرَّبِّ سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراضِ الناس، ولاسيما أهلُ الرياسة. والذين يتبعون الشهوات، فإنهم لاتتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً. فإذا كان العالم والحاكم محبيّن للرياسة، متّبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع مايضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثُور الهوى، فيخفى الصواب، وينطَمِسُ وجه الحق؛ وإن كان الحق ظاهراً لاخفَاءَ به ولا شُبهة فيه، أقدَم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتَّوبة. وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فخَلَفَ من بعدهم خَلَفٌ أضاعوا الصّلاةَ واتَّبعوا الشّهوات﴾ ٥٩ـ مريم. وقال تعالى فيهم أيضاً ﴿فَخَلَفَ من بعدهم خَلَفٌ وَرِثُوا الكتابَ يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى ويقولونَ سَيُغْفَرُ لنا وإن يأتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه ألم يُؤخذْ عليهم ميثاقُ الكتاب أن لايقولوا على الله إلاّ الحقَّ ودرسوا مافيه والدارُ الآخرة خيرٌ للّذين يتّقون أفلا تعقلون﴾ ١٦٩ ـ الأعراف، فأُخبر سبحانه أنهم أخذوا العَرَض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيُغفرُ لنا، وإن عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه فهم مُصِرّون على ذلك، وذلك هو الحامِلُ لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمُهُ وشرعُهُ ودينُهُ وهم يعلمون أن دينَهُ وشرعَهُ وحُكمَهُ خلاف ذلك، أوَلا يعلمون أن ذلك دينَه وشرعَه وحكمَه؟ فتارة يقولون على الله مالايَعلمون، وتارة يقولون عليه ما يَعلمون بُطلانَهُ».

«فهذه آفَةُ العلماء إذا آثروا الدّنيا واتّبعوا الرّياسات والشَّهوات. وهذه الآيات فيهم إلى قوله: ﴿واتلُ عليهم نبأَ الذي آتيناهُ آياتنا فانسلَخَ منها فَأَتبَعَهُ الشيطانُ فكانَ من الغاوين *

ولو شئنا لرفعناهُ بها ولكنَّه أخلَدَ إلى الأرض واتَّبَعَ هواهُ فمثَلُهُ كمثَلِ الكلب إن تحمل عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ﴾ ١٧٥ ـ ١٦٧ ـ الأعراف.

فهذا مثل عالِم السوء الذي يَعمَلُ بخلاف علمه.

وتأمل ماتضمنته هذه الآية من ذمه وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضَلَّ بعد العلم، واختار الكُفر على الإيمان، عَمداً وجَهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقةَ من لايعود إليه أبداً، فإنه المنسلخ عن الآيات بالجملة، كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَأَتبَعَهُ الشيّطان﴾، ولم يقل تبعه، فإن معنى أَتبَعَهُ أي: أَدرَكَهُ ولحقه، أبلغ من تبعه، لفظاً ومعنىً.

ورابعها: أنه غوى بعد الرشد. والغي: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد. فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترن فالفرق ماذكر .

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، لأنه لم يرفع به، فصار وبالاً عليه، لو لم يكن عالماً كان خيراً له وأَخفّ لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خِسَّةِ همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأَشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديثِ نفس، ولكنه كان عن إخلادِ إلى الأرض، وميل بكليته إلى ما هناك. وأصلُ الإخلاد اللّزوم على الدوام، كأنَّه قيل: لزم الميل إلى الأرض، ومن هذا يقال:

أخلد فلان بالمكان إذا لزم الإقامة به؛ قال مالك بن نويرة:

بأبناء حيٍّ من قبائل مالكٍ وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض، لأن الدنيا هي الأرض، وما فيها ومايستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبّهه بالكلب، الذي هو أَخسّ الحيوانات همةً، وأسقطها نَفَساً، وأبخلها،

وأشدها كَلَبَاً، ولهذا سُمّي كلباً.

وعاشرها: أنه شبه لهثه على الدنيا، وعدم صبره عنها، وجزعه لفَقدِها، وحرصُه على تحصيلها، بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا.. هذا إن تُرِكَ فهو لَهثان على الدنيا، وإن وُعِظَ وزُجِرَ فهو كذلك.. فاللَّهث لايفارقه في كل حال كلهث الكلب». (نفس المصدر السابق الصفحة ١٤٩ - ١٥٢).

بعد هذا الوصف البليغ لحال المفكر الإسلامي الذي يختار أن يكون مع الله والحق والرسول، ولو اضطر أن يكون وحده في ذلك الجانب، والعالم والناس كلهم في الجانب الآخر؛ ثم عن وصفه لأدعياء الفقه الإسلامي الذين يختارون الدنيا وحب الرياسة والسياسة كيف تتحول أمورهم، ويسميهم بعلماء السوء، أنتقل لأبيّن إلى من أوجّه كل ماكتبته وأكتبه ليكون موقظاً له من غَفلة حصلت في تاريخ المسلمين.

لمن أكتب وأوجّه هذا الكتاب؟

إني أكتب هذا الكتاب باسم كل الذين يؤمنون بالله الواحد الأحد، ولايريدون أن يشركو به أحداً أو شيئاً على الإطلاق.

وكما يؤمنون بأنه منزَّهٌ عن المادة، وليس كمثله شيء يمكن أن يكون له شبيهاً، وكل شيء له وجود مادي مما نراه في هذا الكون الفسيح الذي ندعوه الحياة الدنيا ونحسه بحواسنا من نجوم ومجرات وأرض وشموس زائلة وفانية بفعل الزمن إلا الله الخالق الذي لايزول ولا يفنى أبداً.

وكما خَلَقَنا أوَّل مَرّةٍ فلسوف يخلقُنا مَّرةً أخرى كما وعدنا في كتابه القرآن الكريم، الذي لم يبق على الأرض كله كتابٌ صحيح من الله سواه، والذي يحوي بذاته إعجازات تبرهن لكل ذي عقل وفكر بأنه لايمكن أن يكون إلا من عند الله لأن كل تلك الإعجازات تبرهن بذاتها على عجز كل مخلوقات الأرض على مثلها. ومصدر كل الحقائق الصحيحة للمسلم هو من ذلك الكتاب الوحيد الفريد لنعلم منه بأن الله هو الخالق المدَبِّرُ المنَظِّم لكل شيء حولنا.

خلقنا لهدفٍ لايعلمه إلا هو، ولايزال ذلك في غيبه ولا مجال أن نعلم ذلك إلا منه وحده ونستخرجه إلّا من كتابه فقط.

وكما خلقنا من مزيج من المتناقضات الثنائية وعندنا الاستعداد للاتجاه لكلا الاتجاهين إما علواً لفعل الخير أو دنواً لفعل الشر، ميلاً لنفس علوية أو لجسد أرضي ترابي، وكما خلق

فينا مع العقل العواطف والأهواء وخلق فينا الحكمة والشهوات، وخلق فينا عقلاً متميزاً يقبل بموازين ومقاييس نسميها المنطق، وأعطانا أسلوباً للمحاكمة للأمور بالمناقشة، مع إمكانية التجديد والتخيل ورؤية جوانب وزوايا مجردة، لإمكانية التخطيط والبرهان مع إمكانية الضياع في الفوضى والوهم، مع عقل قابل للتحكم فيه من قبل المربي الذي هو المبرمج الأساسي لهذا الجهاز الإلهي، لذلك فعلى كل أمة أن لا تثق بأحدٍ على الإطلاق في برمجة عقول أطفالها وشبابها ونسائها ببرامج قبل أن يدرسها المسؤولون عن تلك الأمة وذلك الشعب، حتى لاتكون فريسة للاستغلال لغيرها من الأمم، وألّا تسلمها أيضاً لأمهات جهلة لايعلمن شيئاً، ومنعاً لحصول ذلك يجب أن نهتم بتعليم النساء. والله خلقنا ثم أعطانا الحرية مع الإرادة للاختيار بين سبيلين:

إما سبيلُ الرحمن

وإما سبيل الشيطان

ولعلم الله بأن الإنسان يمكن بسهولة أن يقع في الأوهام لوحده أو من قبل مغرضين آخرين من شياطين الإنس، أرسل لنا الرسل والأنبياء ليعلمنا ويطورنا وينتشلنا دائماً من الأوهام التي هي الإشراك بالله، حتى نعود إلى سبيل الرحمن مرة أخرى وهذه باختصار هي قصة كل الرسالات التي سبقتنا، وكانت تنتهي دائماً بانتصار الشيطان وتحريف الرسالات التي يأتي بها الرسل من بعد الرسل ـ حتى أرسل الله سبحانه آخر الأنبياء والرُسلِ محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه برسالة فريدة من غير إعجازات بصرية إلا معجزة كتاب خالد، لايمكن للبشر تحريفه، ليكون هو القانون الدائم للبشرية كلها.

سار على ذلك الكتاب رسول الإسلام وصحابته قرابة نصف قرن من الزمان، فتغير حال الذين طبقوه تغيراً كاملاً، فانتشلهم الله بذلك الكتاب وبتطبيق تعاليمه من الجحيم إلى النعيم، مغيراً كل شيء من النقيض إلى النقيض الآخر. لكن المنافقين من الحاسدين والحاقدين عادوا فخربوا كل شيء وأعادو الناس مرة أخرى إلى جحيمهم، وبقيت الأمة في ضياعها لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين إلى أن دخل العالَمُ كلّه عصراً متميزاً بالعلم والحضارة فصارت آيات القرآن التي سكتت خلال تلك الفترة الطويلة تتكلم من جديد مفصحة عن معاني جديدة ومبينة لكلِّ الناس أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر كما ظن أغلب الناس من الأعداء والأصدقاء؛ بل هو كتاب معجز بذاته في كل شيء، كتاب مَرقُوم ومعدود بالحرف والكلمة والآية والسورة ليس فيه أي شيء

بالمصادفة، بل كل شيء محسوب، كتاب صممه الله ليكون برهاناً للعلماء بأنه ليس من طاقة البشر الإحاطة به كاملاً. كما أن المعلومات العلمية التي بدأت تظهر فيه تدل على أنه من صنع الله وحده، الذي يعلم كل العلوم وقوانينها، لأنه هو الذي خلقها أول مرة أصلاً قبل أن يكتشفها الإنسان بإذن من الله تعالى.

أحببت أن أنبه القارىء الكريم إلى هذا الموضوع حتى يشعر من يؤمن بوحدانية الله سبحانه رباً وخالقاً، أن هذه الوحدانية

تستلزم أن يكون هو وحده صاحب الكتاب الموجِّه والمنظِّم لكل شيء.

كما تستلزم أن يكون هو وحده صاحب السنن والقوانين.

وتستلزم أن يكون هو وحده صاحب الحديث.

وتستلزم أن يكون وحده صاحب الهدي بلا شريك.

وتستلزم أيضاً أن يكون هو صاحب الكلمة والقول الفصل في كل شيء.

فكان لابد من توجيه كتابي هذا:

إلى جيل الشباب في العالم العربي والإسلامي الذين يتطلعون إلى المستقبل بعين التفاؤل ويؤمنون بالله العلي القدير خالقاً وموجِّهاً ومربِّياً ومدبِّراً.

خالق هذا الكون الفسيح بقوة الحق ومسيطراً عليه بقوى الحقائق التي هي العلوم الأساسية والقوانين التي أوجدها سبحانه أساساً فسمّاها البعض بقوانين الطبيعة.

أوجّه هذا الكتاب إلى الفئة المثقَّفَة المُدركة بأن هذا العالم مبني على العلوم الحقيقية وليس على الأوهام. فليس في كل مانشاهده سواء بأعيننا المجردة أو بمناظير علماء الفلك في هذا الكون الفسيح من أوهام على الإطلاق، فكل شيء فيه حقيقة، ولا وجود للوهم إلا في أذهاننا نحن البشر فقط وذلك للطبيعة الثنائية التي خلقها الله فينا لإمكانية التوجه سلباً للوهم والشيطان أو بالتوجه الإيجابي للحق والله والعلم.

أرجو من هذا الجيل المتعطش للمعرفة والتقدم أن يمسك بيده بأسباب التأخّر والجهل في مجتمعاتنا كلها رغم بذل بعض السلطات الحالية ما في وسعها لرفع درجة العلم والتعليم في البلاد بإنشاء المدارس لإلغاء الأمية كل يوم، أرجو منهم أن يدركوا أن أسباب المرض ليست في الأميّة بذاتها، بدليل أن الرسول ﷺ وصحبه الذين كانوا يشكلون أمةً أميّة استطاعوا أن يحققوا أكبر معجزة حضارية في التاريخ بحيث تعتبر

قياسية في نواحٍ كثيرة منها: الفترة الزمنية القصيرة. ففي أقل من أربعين سنة حقَّقت أشياء مُذهلة للعقل البشري مع أنها لم تمحُ الأميَّة، بمعنى القُدرة على القراءة والكتابة، على الإطلاق.

الموضوع الأهم والأساسي هو: العقلية، هو أسلوب التفكير ومصادر الفكر، فالله سبحانه وتعالى وبواسطة رسالة السماء التي هي القرآن استطاع عن طريق الرسول محمد صلوات الله عليه بما بذل من جهد وصبر مع قوة في الإيمان هو وأصحابه الحقيقيون من الذين صدَقُوا الله. فغيَّروا أسلوب التفكير القديم الذي كان سائداً في الجاهلية، وهو الأسلوب المعتمد على الإشراك والخرافة والظنون والأوهام إلى عقلية تؤمن فقط بالحقائق، متجنبة كل مصادر الوهم مهما كانت وأين كانت. هنا بيت القصيد، وهنا السّرّ في عملية التمييز كلها، من عقلية وهمية باطلة إلى عقلية علمية، تعتمد على حقائق الله ونوره وهدايته وعدله وعلمه وابتداءً من الفتنة الكبرى التي حصلت في تاريخ المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث عاد الناس بالتدريج مُوَجَّهين بالمصالح الجديدة لأصحاب السلطة مِنَ الذين كانوا يسعون لبناء جنتهم على الأرض متجاهلين جَنَّة الله في السماء، إلى مصادر الوهم من جديد، تاركين كل مصادر الله الأولى التي كانت مع الرسول وصحبه. وإذا لم ينتبه الجيل الحالي أو الأجيال التي بعدها إلى هذه النقطة بالذات لإصلاح الخطّ الحديدي الذي كان يسير عليه قطار الحق على الصراط المستقيم فإن كل عربات القطار التي يمكن أن يسيِّرها أي جيل سوف تكون متجهة إلى متاهات جديدة لايَعلَم إلا الله سبحانه وتعالى مستقرَّها ومصيرها وبالتالي تكون كل الجهود التي يبذلها ذلك الجيل من أجل الإصلاح والتقدم جهوداً ضائعة وتذهب سُدىً ويجب علينا ألاّ نلوم رجال الدين السابقين ولا اللاحقين بأي شيء، بل نلوم المسبّبين الأصليين الذين وضعوا البرامج لتخريج رجال الدين ـ ونلوم بالتالي أنفسنا.

ماذا علمونا في تلك المعاهد الدينية؟

هل علمونا العلوم الحقيقية التي يدعو إليها الله في القرآن الكريم؟

أم علمونا أموراً أخرى سموها علوماً وكلها ظنُونٌ وأوهام؟

لقد كانوا يَعلَمُونَ أساساً أنهم لايريدون تعليمنا العلم الحقيقي على الإطلاق. وأن في معرفتنا للحقيقية يَكْمُنُ الخطرَ الكامل على تواجدهم في السلطة والذي دام أكثر من ألف من سني الظلم والظلام. علينا أن نتبين مصادر الوهم هذه، ونبعدها عن أفكار وحياة الناس

بالتدريج كما زرعوها هم أيضاً في نفوسنا من الأوهام والأباطيل والسحر والخرافات إلى العلم والعدل والنور والحق والحقائق من دون أي داع إلى عنف أو إرهاب أو قتل أو قتال - تتغير الأمور للأفضل بفضل الله. وما العنف والقتل ألا من الأساليب التي برهَنْتُ على عدم وجودها في الإسلام بدليل آيات القرآن وفهمنا الحديث لآيات الجهاد، لنعلم أن القتال في الإسلام مسموح به فقط لحالات الدفاع عن النفس، سواء كان هذا الدفاع فردياً عن النفس وكامل حقوقها، أو جماعياً عن أمة بأكملها، دفاعاً عن حقوقها المعتدى عليها أيضاً بأكملها، وبكامل جزئياتها. أما أن نرفض واقعاً ونثور عليه ولا نعلم بعد الأسباب التي أدَّت إليه، نكون عندها كالطبيب الذي يريد أن يزيل المرض ويعالج المريض لإعادته إلى سابق صحته وهو لم يعلم بعد أسباب المرض وأسباب تدهور صحة المريض أصلاً، فأيُّ علاج يقدّمه وهو في هذا الوضع هو مجرد محاولة يائسة لامعنى لها، لأنها لن تفيد حتماً إن لم تزد من حالة المريض سوءً وتقربه من حافة الهلاك أكثر.

وكنت قد ذكرت في كتابي الأول اعتقادي الخاطىء الذي حملته سنين طويلة وأنا أظن أن سبب تأخر الأمة الإسلامية بشكل عام يعود لأنظمة الحكم الحالية والمطبقة في البلاد الإسلامية كلها، وعدم وجود الوعي الكافي للأخذ بمبادىء الديموقراطية في العالم الإسلامي، وقد اكتشفت خطأ هذا الاعتقاد بعد هجرتي للولايات المتحدة. البلد الذي يطبق فعلاً، في نظامه الداخلي للحكم، النظامَ الديموقراطيَّ بحزم وإيمان، وفوجئت بأن المجموعات الوحيدة التي لاتستطيع أن تتأقلم مع هذا النظام وتستفيد من إمكانياته المتاحة للجميع في أمريكا كمواطنين هي فقط المجموعات الإسلامية على اختلاف انتماءاتها العرقية والقومية، فكانت مجالاً لدراستي وتأملاتي لفترة طويلة، وأنا أستكشف العلل والأسباب حتى اكتملت الصورة التي كنت أبحث عنها.

إن مصادر الوهم الموجودة ثقافياً عند المنتسبين للإسلام تؤثّر على كل المسلمين من غير شعور، فتجعل تفكيرهم كله مختلفاً عن تفكير الفئات الأخرى كلها. ونضرب على ذلك مثلاً للتقريب جهاز الحاسوب (الكمبيوتر)، فالبرنامج أو المُبرمَج فيه هو الأساس. فإذا وضعت فيه معلومات خاطئة لاتتوقع منه أبداً أن يعطيك معلومات صحيحة بل مجرد التوقع نفسه يناقض العقل والمنطق. والعكس صحيح فإذا غَذَّيتَ ذلك الجهاز بمعلومات صحيحة ومتقدمة. يمكن أن تستفيد منه كثيراً، وتأخذ منه نتائج علمية وصحيحة وهذا ماقصده الله في الآية ﴿إنَّ الله لايغيّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسِهِم﴾ ١١ - الرعد. والإنسان، أي إنسان، عقله وجهاز تفكيره يشبه

الكومبيوتر مع فرق في التطور الهائل في قدرات العقل البشري لأنه كمبيوتر من صنع الله وليس من صنع البشر. لكن مع الأسف يمكن بَرْمَجَةُ، حتى ذلك الجهاز الإلهي، بمعلومات خاطئة عن قصد أحياناً كما تفعل بعض الدول الاستعمارية ضد الشعوب الجاهلة والمستعمرة حتى تطيل فترة الاستعمار والاستثمار لأطول فترة ممكنة. وكما يمكن أن تحصل أيضاً نتيجة الجهل وعدم معرفة الصحيح وتمييزه عن الخطأ في أساليب التربية والتعليم في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

كما حصل ويحصل مع المسلمين أساساً ومن خلال دراسة التاريخ الإسلامي الذي يبين أنه كان أيضاً مقصوداً لمصلحة السلطان الذي استلم الحكم ليحكم الناس باسم الله اسماً ومن أجل مصلحته الشخصية كسلطان فعلاً. وبعد زوال حكم السلاطين الإسلامي تاركاً وراءه الملايين من المسلمين المُضَلَّلِينَ أصلاً بدين وهمي، مبني على أن يكون المستفيد الوحيد منه هو السلطان وأعوانه فَورِثَهُمْ الغربيّون الذين كانوا قد سبقوا المسلمين في الحضارة والثقافة وأساليب التفكير الحديثة مع تطور دراساتهم الاجتماعية علمياً واكتشاف أسباب تقدمهم وتأخر الشعوب فكرياً وحضارياً وبالتالي معرفتهم وتشخيصهم لواقع حال المسلمين ومعرفة أسباب الداء والدواء، فوجدوا أن من مصلحتهم الإبقاء على أسباب الداء مع إبقاء الجميع قدر الإمكان بعيدين عن اكتشاف ماقد توصلوا إليه من علاج حقيقي لأنه من الواضح تماماً أن معرفة هذه الشعوب أسباب مشاكلهم الأساسية، ومن ثم فإن عملهم وسعيهم جدياً لمعالجتها سوف تحرم الغربيين من استعمار واستثمار هذه الشعوب ظلماً ومن غير وجه حق، كما فعلت اليابان أولاً ثم تفعله الصين وكوريا وفيتنام في الشعوب التي بدأت تكتشف أسباب مرض مجتمعاتها وأسباب تأخرها مع العمل بعزم على إزالة تلك الأسباب فكرياً وحضارياً وثقافياً.

وكما لم تتوقع هذه الشعوب المساعدة والدعم من الدول المتقدمة صناعياً وحضارياً لمعالجة أسباب تأخر شعوبهم؛ كذلك علينا أن لانتوقع ذلك نحن أيضاً، لا نتوقعه إلا من أنفسنا فقط، مع الاستفادة بذكاء من كل الظروف المحيطة بنا عالمياً. ونعرف تماماً ماذا بيدنا، وماذا يريد العالم منا وماذا نريد نحن بالمقابل حتى تكون نهضتنا نهضة عقل وعلم وإعمار، وليس نهضة قتل وعنف ودمار.

بل لم يكن للقتل والعنف والدمار من نهضة في أي يوم من الأيام لأنه يورث البؤس والخراب والمآسي وأشعار المراثي التي تنبت الثأر والقتل من جديد.

ثانياً: اختلاف مواقف الناس مع اختلاف انتماءاتهم ومصالحهم

علمنا من خلال الكتاب الأول «إنذار من السماء» أن المسلمين اليوم ينقسمون إلى الفئات التالية:

١ ـ الآبائيون: وهم الذين يشكّلون الغالبية العظمى من المسلمين، وهم الذين يتبعون ماوجدوا آباءهم عليه من دين وعقيدة، وعادات وتقاليد، سواء كانوا من السنة أو من الشيعة، أو من بقية الطوائف والملل والنحل الإسلامية الأخرى، أو حتى بقية الأديان الأخرى، ثم هم الذين قال عنهم ربّ العالمين في القرآن الكريم:

﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ ١٧٠ ـ البقرة

وحتى نفهم رأي الله سبحانه فيهم، نقرأ الآية كاملة:

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ ١٧٠ ـ البقرة

٢ ـ النفعيّون: وهم الذين يتبعون مصلحتهم مهما كانت، وهذه الفئة هي المستفيدة من الأوضاع الحالية، مع علمها وإدراكها التام للحقيقة، إلاّ أنّ النفس الأمارة بالسوء وشيطان الهوى يغلبان عليها، لوجود المصلحة المادية الدنيوية في ظل استمرار الأوضاع القائمة، والتي كلما ساءت كانت استفادة هذه الفئة أكبر وأكثر. وهذه الفئة تعمل دائماً لمنفعة الفئة المتصدرة للسلطة، والفئة العلمانية ليس لها علاقة بهذه الفئة إلا إذا آزرت السلطة وتعاونت معها لحكم الأمة على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة (مبدأ ماكيا فيلي الشهير).

٣ ـ العميان: أو الدراويش. ويسميهم الماسون علناً (سليمي القلب). وتقول الفئة المتنوّرة من الماسون بشكل رسمي في اجتماعاتها ومحافلها (فئة العميان) وهي أبلغ تسمية يمكن أن تطلق عليهم، لأنها تعطي الصورة الحقيقية عن هذه الفئة، علماً أنها موجودة ضمن الفئة الأولى..

٤ ـ العلمانيون: وهي في الغالب مؤمنة بوجود خالق للكون ومدبر ومنظم له، لكنها تكفر بكل الأديان الحالية، لأنها لاتجد تطابقاً بين العقل والمنطق والعلوم التي يؤمنون بها

مع منطق الدين، والذي يتناقض تماماً مع كل ماتؤمن به هذه الفئة من عقل ومنطق وعلم. وقد اكتفت هذه الفئة بما وصلت إليه من نتيجة عامة، وبالتالي لاتريد تضييع الوقت الثمين في شيء لاطائل منه، فكل الأديان عندها أوهام، والدين من اختراع الإنسان ومن تخيلاته المغرقة في القدم. لذلك تؤمن فئة العلمانية بأن الخالق دائماً في شأن، والمخلوقات في شؤون أخرى. ومن وجهة نظرهم واعتقاداتهم (أن الخالق لايمكن أن، يتصل بالمخلوقات لإنشاء علاقة من أي شكل، إن الله سبحانه كامل، والكامل لايبحث عن أي شيء آخر ليكمّل به نفسه). وهم يؤمنون أن فكرة الإيمان بالله وعبادته خُلقت عند الإنسان الضعيف، الذي ينقصه كل شيء، كالقوة والثقة بالنفس، والاعتماد على الذات، فلجأ إلى اختراع فكرة الله، حتى يكمّل نفسه وذاته الضعيفة بقوة عظمى، فلا يعود بعدها يشعر بالنقص والضعف بشكل دائم.

والذي يدرس واقع الأديان الحالية في العالم، من الطوباوية مروراً بالفراعنة وحمورابي وكونفوشيوس وبوذا، إلى الديانات السماوية الثلاث الحالية (اليهودية والمسيحية والإسلامية) يصل إلى النتائج نفسها التي توصَّلَت إليها فئة العلمانيين هذه إذ ليس هناك دليل إثبات يستند إلى برهان حقيقي في كل المعتقدات والديانات السابقة، يستطيع البرهان على أن ماتوصل إليه العلمانيون إلى الآن خطأ من أساسه. أو أن المعتقدات التي توصلت إليها الفئة العلمانية غير صحيحة.

بيد أن الذي يقلب الموازين كلها رأساً على عقب هو وجود كتاب واحد في هذا العالم، رغم أن هذا الكتاب لايزال مهجوراً، ليس لأنه صعب على الفهم الإنساني، بل لمنفعة فئة معينة وهي الفئة الغنية المتنفِّذة من العلمانيين في استمرار هجره، والتي أوهمت الفئة الأولى (الآبائيون) أنه صعب الفهم، ولايمكن فهمه في الظاهر، وإنما له معانٍ باطنية عميقة، فهمها وَقْفٌ على المتنورين من أصحاب المصلحة والمنفعة، من شأنها أن تُبقي المستَغَلّين في جهالتهم الدائمة حتى لايستفيقوا منها. ولو أن الناس استخدموا بديهيتهم وتساءلوا: هل يعقل أن يرسل الله سبحانه رسالة إلى الناس كافة ليست مفهومةً أيضاً للناس كافة؟ وإذا كان ذلك صحيحاً لِمَ لم يقل الله إن هذا الكتاب لايمكن فهمه وحدكم، وإنما تحتاجون إلى كهنة وأحبار متخصصين؟ بل إنه الدين الوحيد في العالم، والذي لايعترف بوجود الكهنة والرهبان، حتى لايحجب الناس عن الاتصال بربهم مباشرةً.

فهذا القرآن كالنبع الذي يقصده الناس، وكل وارد ينال منه بحجم ما أتى به من وعاء،

ورب وارد ومعه قدح، وآخر معه صهريج، وكلّ يأخذ حسب ماهيأ لنفسه وتعب عليها في أيام حياته، وحسب استعداده السابق. وهكذا فإذا قرأ العالم والجاهل القرآن، لايمكن أن يكون مقدار أخذهما منه واحداً، ولا مقدار فهمهما واحد، وهذا مطلق العدل. فلو أخذ الجاهل كالعالم لكان في ذلك ظلم شديد. والله سبحانه بقدرة خاصة منه أبقى هذا الكتاب كاملاً كما نزل ونطق به محمد ﷺ وكتبه كتبة الوحي، وحفظه الحفظةُ الذين ما انقطعوا من يومها حتى يومنا هذا، لكنه كما سنبين في هذا الكتاب أُبعد عن الناس عمداً بفعل تخطيط وتدبير من شياطين الإنس والجن كلهم.

والكتاب في ذاته، يثبت لكل دارس له أنه كتاب فوق مستوى وقدرة الإنسان على التأليف والتحضير في كل شيء فيه.

- في أسلوب بيانه وصياغته.

- في عدم وجود تناقض بين آياته على كثرتها.

- في عدم وجود كلمات مترادفة فيه، بل كل كلمة لها مدلولها الخاص بها. مثال ذلك: كلمتا (الغيث) والذي استخدمه الله باسم الخير دائماً، (والمطر) الذي لم يستخدمه إلاّ في حالات الغضب. وظنها الناس كلمات مترادفة.

- في كونه الكتاب المرقوم الوحيد من نوعه في العالم، ليثبتَ الله به عن طريق الأرقام المجردة التي لاتتعامل مع الخيال والعاطفة أبداً، إنه كتاب فوق مستوى طاقة الإنسان في التأليف والتحضير، ويكون هذا البرهان لكل الناس، حتى الذين لايتقنون العربية، ولايستطيعون رؤية بقية الإعجازات اللغوية، التي يمكن أن يراها من يتقن اللغة العربية: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ ١٧٤ ـ النساء.

- في مبادىء العلوم المذكورة فيه، بحيث يكتشف فيه الناس كل يوم حقيقة جديدة، لم تكن معروفة من قبلهم، ولم يكن أحد فكر بها سابقاً، من يوم نزول الرسالة حتى هذا اليوم.

وهذا الكتاب يثبت من جديد أن الله سبحانه موجود، حي قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم، وأنه اتصل سابقاً ويتصل دائماً مع البشر من مخلوقاته. ويثبت أن الاتصال بين الله والناس موجود بشكل دائم، بدليل أنه سبحانه خلق فطرة الإيمان في البشر خلقاً، والإنسان مهما كفر وألحد في اللحظات الحرجة يلجأ إلى الله من غير وعي منه ومن غير إرادة أو قصد بتحريك تلك البذرة، ولسوف يستمر هذا الاتصال حتى يوم القيامة،

وإلى مابعدها عن طريق الكتاب الدائم للبشر دستوراً عالمياً، يحمل مبادىء العلم والسياسة والقانون للإنسان.

والله سبحانه وتعالى، والذي ليس في كتابه إلاّ الحقائق والعلوم يعلم أن الفئة الرابعة هي وحدها المهيأة لفهم كتابه والاستفادة منه أكثر من الفئات الأخرى، لأنها هي الفئة الوحيدة أيضاً التي يمكن أن تلاحظ مافي الكتاب من حقائق وعلوم فتؤمن به:

﴿وليعلم الذين أوتوا العلمَ أنَّه الحقُّ من ربك فيؤمنوا به﴾ ٥٤ ـ الحج.

وإني لأوجّه هذا الكتاب إلى هذه الفئة التي آمنت من جديد بعد اكتشافها حقائق كتاب الله، والتي كانت غائبة عنها في متاهات العالم المادي، لتعود دعاة حقّ، فيعود هؤلاء الشباب إلى رحاب الله وكتابه الصحيح، لينيروا قلوبهم وقلوب الناس بنور الله الحق، بعد أن أضاءها الرسول الكريم وصحابته حتى مقتل عثمان، ونشوب الفتنة الكبرى في الإسلام، والتي كانت فتنة الشيطان أساساً، فعاد الناس بعدها إلى إشراكهم القديم، ظناً منهم أنهم مازالوا على الهدٰى الصحيح.

فبعودة هذه الفئة الرابعة (العلمانيون) إلى الإيمان، تكون دعوتها إلى الحق مع حماس وجهاد حقيقي، وليس فيه عنف وإرهاب وسفك دماء، مؤمنة بما قاله الله سبحانه في كتابه، من أن واجب المؤمن الدائم الجهاد في سبيل الله، على أن يفهم الجهاد كما أراد الله، لا كما يريد السلطان أن يُفهمه معناه معتمداً دين السلطان، ليبني بسواعد المؤمنين جنته على الأرض، ليكون فيها نعيمه الذي ظن أنه سيكون خالداً له ولأبنائه من بعده.

فمن واجب المؤمن أن يفهم معنى الجهاد من خلال الآيات في القرآن، لا كما يرسمها السلطان. والجهاد في سبيل الله جهاد النفس ضد الشهوات والأهواء، وجهاد الدعوة إلى سبيل الله، دعوة إيمان دون عنف أو قتال أو إرهاب، مؤمناً بما قاله الله في كتابه الوحيد، وأن يكون مصدر فهمه نابعاً من آيات الجهاد في القرآن، دون الاعتماد على الكتب التي كتبها جنود السلطان، لحرف المسلمين عن طريق الله الصحيح ودينه القويم، علماً أن مصلحة السلطان وحاشيته وأصحاب النفوذ هي ذاتها التي أوجد من أجلها دين السلطان، افتراء على الله ورسوله.

كذلك بيّنتُ في كتابي الثاني هذا عدم وجود علاقة بين آيات الجهاد الدائمة بآيات القتال التي كانت مؤقتة أو الآيات الدفاعية الدائمة.

وعلى المسلم أن يفهم أن الدعوة إلى دين الرحمن لاتكون أبداً بالعنف والقتال، بل

بالحكمة والموعظة الحسنة، خاصة بعد نزول الآيات قبل وفاة الرسول الكريم موقفةً مفعول آيات القتال كلها، التي كان من شأنها تأسيس قاعدة قوية للإسلام قبل وفاة الرسول ﷺ:

﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

وبعد وفاة الرسول عاد الإسلام إلى متابعة نشر الدعوة بحسب أوامر الله في القرآن الكريم. وقد تحدثت بالتفصيل حول أمور الجهاد والقتال كلها في:

ـ (بحث الجهاد في الإسلام) ولكنني أرجأت بحثه مع كل البحوث الهامة أيضاً مثل:

- ـ بحث مصادر العنف في العقيدة الإسلامية.
- ـ بحث حقوق المرأة في الإسلام.
- ـ الحلال والحرام في الاسلام.
- ـ بحث هل سمح الرسول ﷺ بالأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرّفة؟
- ـ بحث خاص في تفسير القرآن بالأحاديث أو بالاستناد للسنة النبوية الشريفة.
- ـ بحث في عذاب القبر
- ـ ثم بحث أخير حول رجم الزاني والزانية في الإسلام.

وقد أرجأتُ هذه البحوث كلها إلى مابعد أهم بحث في هذا الكتاب وهو مصداقية الأحاديث، وهل تتطابق مع القرآن؟ وهل هي صحيحة فعلاً كما يدل عليها اسمها في صحيح البخاري ومسلم؟ أم أنها غالباً مجرد افتراءات لأغراض ومصالح دنيوية؟ بعد هذا البحث تطرقت لكل المواضيع السابقة وحاولت دراستها لتبيان حقيقتها بالاستناد والاستشهاد من آيات القرآن الكريم. هناك كثير من الأسئلة التي بواسطتها وعن طريق فهمها يمكن التوصل إلى حقائق كبيرة وكثيرة من حياة المسلمين خلال عصور الانحطاط، شريطة أن يكون المؤمن واعياً. ومن أهم تلك الأسئلة السؤال التالي:

لماذا بقيت البلاد التي دخلها الإسلام والمسلمون في العصر الراشدي على دين الإسلام، في حين إن البلاد التي دخلها الإسلام والمسلمون بعد ذلك العصر، ارتدت ورفضت هذا الدين أصلاً؟ لماذا بقي المسلمون الذين دخلوا الإسلام دون عنف وقتال كمسلمي أندونيسيا على دينهم بينما ارتد أهل البلاد التي دخلها المسلمون بعد العصر الراشدي؟ ومن غير فهم أسرار هذا السؤال لايمكننا أن نجيب عنه. ومن خلال فهمنا يتبين لنا أن

السلطان لم يكن يسعى للإسلام ولا لنشر دعوته، بل كان يريد الغنائم والسبايا. بينما دين الإسلام في كتاب القرآن يدعونا إلى نشر الدعوة والرسالة الإسلامية على مبدأ:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

وأن نكون متفهمين أن الله خلق الإنسان حراً، ليختار بنفسه وبحريته الكاملة دون إكراهٍ مايشاء، سواء اختار الكفر أو اختار الإيمان:

﴿وقُل الحقُّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرْ﴾ ٢٩ ـ الكهف.

فمن كان يؤمن بالله سبحانه خالقاً ومدبراً، وبمحمد رسولاً ونبياً ومرشداً ونذيراً للعالمين من خلال آيات الكتاب، الذي هو القرآن الكريم والحاوي بذاته على كلا كتابي (الكتاب والحكمة) وعدم وجود كتاب آخر مع كتاب الله وعدم وجود سنة أخرى مع سنة الله ـ وحديث آخر مع حديث الله وعدم وجود كلام آخر مع كلام الله وشفاعة مع شفاعة الله ـ وأنه لايعلم الغيب من في السموات والأرض إلا الله. وأيقن أنه لم يكن عند الرسول أي علم من قبل ولا من بعد إلا ماعَلّمه الله في القرآن الكريم، ولم يتبع الرسول ولا المسلمين من بعده أي مصدر للعلم والشريعة والهدى إلا كتاب الرحمن فقد فاز فوزاً عظيماً. وأن من اتبع غيره ظناً فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً، ولن يجد أمامه إلا نقمة الله تستقبله في كل مكان وزمان، بينما من اتبع هدى الرحمن بدّل له كل ذلك إلى نِعَمٍ في الدنيا والآخرة.

﴿ومن يتبدل الكفرَ بالإيمان فقد ضلَّ سواءَ السبيل﴾ ١٠٨ ـ البقرة.

لكن الذي يشرك بالله شيئاً فضلاله أكبر:

﴿ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾ ١١٦ ـ النساء.

وحرمه الله الجنتين في الدنيا والآخرة ولم ينل إلا جحيم الدنيا وجحيم الآخرة.

﴿إنه من يشرك بالله فقد حرَّمَ اللهُ عليه الجنة﴾ ٧٢ ـ المائدة.

صدق الله العظيم

ثالثاً: أوهام تسيطر على الشرق

من المؤسف جداً أن يتحول الشرق الإسلامي إلى بلاد تسيطر عليها الأوهام، حتى أصبح الناس فيها يتوقعون الخير والفرج من غير مصادرها الطبيعية، متوهمين غالباً أن الفرج آت وحده هكذا من غير سعي ولا عمل ولا جهد، بل يأتي وحده بقدوم حاكم أو بطل أو حكيم جديد، والكل في لاشعوره يريد تغيير الحكام وتغيير السياسة وهماً منهم أن ذلك يفي بالمطلوب، وسوف يغيّر ما سُموه من أوضاع الفقر والجهل والمرض، ويتخيلون أنهم سوف يأتون من مكان ما لإنقاذهم، وكلهم أبطال، وكلهم حكماء، وكلهم رحماء، يعرفون الداء ويحملون الدواء بين أيديهم. تماماً كما تعودوا أن يسمعوا في كتب الوهم التي بين أيديهم والتي تحدثهم عن الكرامات والمعجزات.

الكل ينتظر مسيحاً أو ملاكاً مخلصاً من الأرض أو من السماء يحول لهم الأنهار إلى لبن وعسل. ويشفي الناس بلمسة من يده، ويزيل الفقر والجوع والمرض والجهل والتأخر والجمود الفكري بتعويذه، أو دعاء.

منهم من يحبون تبديل الحاكم لاعتقادهم أن الذي سيأتي من بعده سوف يكون حتماً هو المسيح أو المهدي المنتظر، ويتعلقون به (إذا أتاهم حاكم جديد)فترة ثم عندما يكتشفون أن أدعيته وتعويذاته لاتغير الحال ولا تبدل الأحوال مع كثرة الابتهال، يتهمونه بأنه الدجال، ويعودون من جديد ليبحثوا عن مسيح أو مهدي جديد، وهكذا تدور الأمور والأحوال في الشرق العزيز وليس فيهم من يقول لهم الحقيقة أو يوقظهم من غفلتهم، أو يخرجهم من مرقدهم الذي سكنوه منذ مئاتٍ عديدة من السنين في الكهف الذي أخلدوا فيه، وليس فيهم من يقول لهم الحق بأن مجال التغيير هو مافي نفوسهم وعقولهم من أوهام وظنون، تعب في زرعها شياطين الإنس مئات السنين أيضاً.

تأتي من الولايات المتحدة ضيفاً إلى بلدك، ويجتمع بك الأصحاب، وإذا انفرد بك أحدهم سألك بصوت منخفض حتى لايسمعه الجدار، ماهي الأخبار؟ ماذا قرر الرئيس الأميركي؟ ويظن من أوهامه أن كل قادم من أميركا هو حتماً جليس للرئيس أو نديمه أو صاحبه وكاتم أسراره. أو يتوهم أن الرئيس هناك أو في أي مكان هو الذي يصنع السحر والقرار، ولايعلم أنه مجرد موظف لفترة محدودة، يذهب ليأتي الذي بعده من الذين عليهم الدور للجلوس في ذلك المكان.

ولا يعلم أن القرار هناك وفي أي مكان فيه قرار. يدرس من خبراء وأدمغة متخصصة في الاستراتيجيات العليا، ويوضع ضمن خطة عامة تنفذها الإدارات سواء تسلم الحكم هذا الحزب أو ذاك، فلن يستطيعوا إجراء أي تبديل أساسي عليه، وما كل تغييراتهم وتبديلاتهم إلا في الرتوش والديكور، إذ لا تبديل في الأساسات يُسمح، ولا في الأعمدة ولا في التسليح الذي عليه الاعتماد في القوة وفي تقرير المصير.

تفاجأً أنّ تأتي من أمة ليس فيها نائم إلى أمة كل من فيها نيام.

ولا يعلمون أننا قد دخلنا في عصور صارت شرائع الشعوب فيها تنص على أن النوم من كبرى الكبائر والآثام.

فأول ما علينا هو أن نصحو من غفلتنا ونخرج من مرقدنا، لنعلم أن الماء لم يكن أبداً في السراب. ومن يريد الماء عليه أن يقصد منابعه ومصادره الحقيقية، ومن يريد الحقائق منا عليه أن يعود إلى منبع الحقائق عندنا.

وإذا لم نعد جميعاً إلى ذلك المصدر؛ وإذا لم نتوجه من جديد إلى كتاب الله الوحيد الذي فيه العلم الصحيح والمنهج الصحيح والاتجاه الصحيح على سبيل واحد وهو الذي بيّنه الرحمن لنا في ذلك الكتاب وأرسله ليكون رسالة للعالمين على يد رسوله محمد بن عبد الله ﷺ الذي أرسله سبحانه، فسلّمنا رسالة الله سبحانه إلى كل البشر، وفيها كل الحلول لنا نحن المسلمين ولكل أمراضنا وأوهامنا التي حُشيت بها رؤوسنا، حتى أمراض الغرب الحديث لاشفاء لها إلا ذلك الكتاب الذي نزل على رسولنا وفي أرضنا وبلغتنا، وبقي معمولاً به نصف قرن من الزمان ثم حُنِّطَ وحُفظَ في متحف الآثار، ولايعمل به حتى اليوم، ولايلسمه إنس ولا جان، إلا تلاوة ماتيسر منه في المآتم، أو ليقرأ على الأموات في القبور.

أما أولئك الذين يحلمون بأن يُعيدوا الزمان إلى الوراء كما يعيدون عقارب الساعة متى يشاؤون لإعادة عصر الرسول وصحابته من جديد، ويعودوا ليعيشوا في القرن السابع الميلادي كما يتصور مخرجو أفلام الخيال العلمي في هوليوود فهؤلاء أشد حلماً ووهماً من الجميع، ولو أنهم كانوا يدركون معاني آيات الله في القرآن الكريم لما وقعوا في ذلك الإشكال أبداً.

إن الله سبحانه لم يقل لنا أبداً إنه سوف يأتي بالشمس من الغرب إلى الشرق، بل أعلمنا أن ذلك لن يحصل أبداً، بل تحدى الحالمين من الذين يتوهمون، وقال لهم: إن

الله يأتي بالشمس من الشرق إلى الغرب كما تشاهدون فليأت بها من يتحداني منكم من الغرب إلى الشرق، فيثبت قدرته إن كان صادقاً. فطلب منهم المستحيل الذي لن يحدث أبداً، بل قال سبحانه تأكيداً على سنته في آيات صريحة:

﴿فلن تجدَ لسنّةِ الله تبديلاً ولن تجدَ لسنّةِ الله تحويلا﴾ ٤٣ ـ فاطر.

ليس في كتاب الله أوهام بل كل مافيه حقائق ناطقة. ولكن مصادر الأوهام هو الذي أتانا من علماء السوء، وقالوا لنا هو الوحي الثاني لله، وفيه أحاديث نبوية شريفة، وأحاديث قدسية لله سبحانه، افتراء على الله وعلى الرسول، وإرضاء لأصحاب الرياسة، ومصالحهم الدنيوية. أو كانوا من الحاقدين على الإسلام والمسلمين فأرادوا تشويه الدين حسداً منهم.

ومن كثرة ماردده أجدادنا ورددناه معهم من ألف وأربعمائة من السنين دخل حتى في التكوين العضوي لأدمغتنا، فلم يعد من السهل التخلص منه كما تتخلص من غطاء قديم كان على رأسنا بآخر جديد متى أردنا ذلك أو شئنا. لابدمن صبر وإدراك، لابد من معاناة من كل فرد يُجري على نفسه هذا العمل الجراحي وبنفسه مستعيناً بمباضع من آيات الله في القرآن الكريم. يجب للعائد إلى رحاب الله من جديد أن يستعين بكتاب الله الذي سوف يرفع من مستوى وعيه وإدراكه وصبره وجَلَده، حتى يتخلص كل فردٍ منا من أكبر داء أصابه مع قومه كالطاعون. هو داء الوهم الذي سيطر على الشرق مئات طويلة من السنين، وكأنه كابوس لايريد أن يتزحزح عن صدر المنوَّمين من المسلمين إلى اليوم.

يجب أن يستعين الباحث عن الخلاص من الكابوس بمصادر الوعي والنور من العلوم الصحيحة، مستعيناً بالكتب الحقيقية تاركاً كتب الأوهام كلها، مستعيناً بكتب التاريخ، مستعيناً بوعي الإنسان وصبره وجلده وجهاده، ومستعيناً بالله الذي هو أكبر معين على الخلاص من أوهامه وظنونه التي حملها قروناً طويلة ظناً منه أنها علوم منجية ونافعة، حتى صار المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يردّدون مانَسَبَهُ الحاقدون إلى الصحابي الجليل أبي هريرة من افتراءات. قالوا: إنه هو الذي رواها عن الرسول ومما سمعه منه: (الأحاديث من صحيح مسلم).

(لاتقوم الساعة حتى تضطرب إلياتُ نساء دوس) ـ الحديث رقم ٢٩٠٦.

(لاتقوم الساعة حتى يخرج نار من أرض الحجاز) ـ الحديث رقم ٢٩٠٢.

(لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها) ـ الحديث رقم ١٥٧.
(لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون) ـ الحديث رقم ٨٤ بعد الحديث ٢٩٢٣.
(لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) ـ الحديث رقم ٢٩١٠.

وهكذا أصبحنا كالغنم، يسوق بنا سلطان متى شاء وكيف يشاء مشرّقاً، ويعود بنا سلطان آخر متى شاء وكيف يشاء، وإلى أي مذبح يريد باسم الجهاد في سبيل الله، مُغَرِّباً.

أوهامٌ تحركنا، وأوهامٌ تسوقنا، وأوهامٌ تقيمنا، وأوهامٌ تقعدنا، وأوهام تميتنا، وأوهام تبعثنا، ولم يبق عندنا إلا أوهامنا العزيزة على قلوبنا، دون أن نعلم أنها أسباب شقائنا وتعاستنا وضلالنا في الدنيا والآخرة، لماذا؟

لأننا صدقنا أن الحق والحقيقة في غير المكان الذي قيل لنا: إنهما موجودان فيه أساساً، في رسالة الإسلام.

قال لنا الله سبحانه وتعالى: إن الحق والحقيقة والعلم نجد بداياتها، ورؤوس خيوطها لنتبعها، في كتاب الله، فجاء من يوهمنا بكتاب جديد وسلمنا نسخة منه بيد، ونهانا عن مصدر الحق والنور والحقيقة بكلمةٍ واحدة، ومن يومها ونحن نتخبط في الظلام ومصدر النور إلى جانبنا، تعشعش عليه العناكب ولانفتحه لنرى ماذا قال لنا الله فيه؟

تصوروا حجم المأساة! كتاب في التشريع والقانون وفي رسم سياسات الحكم والتنظيم استراتيجياً في العالم كله، حصلنا عليه من مصدر موثوق وأرسلته جهة مسؤولة إلى شعب متأخر، من أجل إعادة ذلك الشعب إلى ركب الحضارة! فبدلاً من أن يقرأه المسؤولون لتطبيق ماورد فيه من نصوص فعالة وخطط لابد لها من التطبيق فتعود الجهة المسؤولة التي أرسلت الخطة مع الكتاب التشريعي لتفاجأ بأن نصوص كتاب التشريع والقانون الدولي والعالمي قد تُحفَّظ في المدارس للعميان من الطلاب، حتى يقرؤوا نصوص ذلك القانون في المآتم وعلى أرواح الموتى، وما علاقة الأموات بالقوانين والتشريعات؟

قد تكون الصورة مضحكة! نعم، لكنها عندما تكون حقيقة على أمة تعدادها يتجاوز إحصائياً المليار، وتحصل كل يوم في كل بلد أسلامي على الاطلاق، تكون مأساة مبكية ومؤلمة حتى الموت.

وقبل أن أنهي حديثي، أريد أن أضرب المثل بشعب يعيش على الأوهام هم (النّور)، نجدهم في جميع أنحاء العالم الغربي والشرقي أيضاً، لايستطيعون أن يحرروا أنفسهم من حلقة ودائرة الشيطان التي هي (الوهم والأوهام)، فلا يستطيعون أن يتطوروا حتى ولو شاؤوا، لبقاء تأثير الأوهام الموروثة على تفكيرهم وأسلوب حياتهم. فتجدهم دائماً كالزيت الذي لايختلط في الماء، ولا يقبل التطور مع الزمن ولا الاندماج مع الأمم. وكذلك البدوي في الصحراء، سواء كان ذلك البدوي في صحراء منغوليا أو منشوريا أو في الصحراء الإفريقية الكبرى، أو كان في صحارى الجزيرة العربية، إنه نموذج واحد متكرر من غير تبديل أو تطور مع الزمن، وسواء إذا دخلت خيمته اليوم أو دخلتها قبل خمسة آلاف من السنين فلن يتغير عليك من المنظر شيء. الحياة نفسها وعلى الأسلوب نفسه تكرر آلاف المرات، وذلك نتيجة للأوهام، حيث هربوا من نهر الحياة والتاريخ الحقيقي الذي خلقه الله وأوجب فيه التغير والتطور مع الزمن باستمرار. وكل من يسير باتجاه ذلك النهر يكون في ركب الحق والله والعلم والحياة. وكل من يتوقف عن المسير أو يسير بالاتجاه المعاكس، فإنه لايسير إلا في ركب الوهم والباطل والشيطان. وهذا هو الذي لايرضاه الله لعباده أبداً، لأن ذلك هو الإشراك باللهِ بشيءٍ والثبات مع الزمن. لأنه لايثبت مع الزمن إلا ربّ العالمين.

رابعاً: أفكار تمهيدية لفهم مواضيع الكتاب

أوهام العقل:

كثير من الشباب المسلم من الذين يرون مايدور حولهم اليوم في العالم الإسلامي عامة وفي العالم العربي خاصة، يتساءلون عن الأسباب الداعية لهذا الضياع العام، ولا أحد يعرف تقريباً الإجابة عن أسباب مايجري حالياً من عنف وقتل وظلم وبؤس في هذا العالم بالذات على أشكال مختلفة، فبعضها يأخذ الصورة الطائفية كما حدث في لبنان وما يحدث الآن في باكستان وأفغانستان، وبعضها يأخذ شكل الخلافات القبلية كما حدث ويحدث الآن أيضاًفي السودان والصومال، وبعضها على شكل خلاف سياسيّ ديني كما يحدث في الجزائر ومصر. رغم أن كثيرين ممن حولهم في العالمين الشرقي جداً والغربي قد استطاعوا تجاوز ذلك منذ زمن بعيد.

ولا يمكن للفرد أن يلم بالأسباب مالم يلم بالدوافع والاستعدادات التي أساسها في عقل الفرد من المجتمعات.

وكان من أفضل المفكرين الذين عالجوا هذه الفكرة فلسفياً هو المفكر الانكليزي «فرانسيس بيكون» وسماها بـ (أوهام العقل) والذي عاش في القرن السابع عشر. ومن أهم ماصنف هذا المفكر من العوامل الأربعة الرئيسية لأوهام العقل من التي يهمنا معرفتها في موضوعنا عاملان هامان، يمكن إعادةُ كل المشاكل الحالية عند المسلمين إليهما، وهما من أهم العوامل التي تتحكم بعقلية الناس أيام ظهور رسالة الإسلام على يد الرسول الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في جزيرة العرب.

وهذان العاملان كما صنفهما بيكون هما: الشعر، والقبيلة، والشعر بما يحمل عادة من أوهام وأساطير وخيال ومبالغات ومدح وهجاء ومراثٍ وثارات وعواطف مختلفة، من حب وحقد وحسد وغيرةٍ وانتقام وتاريخ للحروب والضغائن، تخلق لدى عشاقه عقلية خيالية وهمية أقرب ما تكون لتلك الأمور التي عددناها، علماً أن حياة الصحراء بما فيها من بحار واسعة من الرمال وسماء صافية ليلاً مع إمكانية تأمل النجوم البعيدة في هذا الكون الفسيح الذي لاوهم فيه ولا خيال أصلاً مسرح دائم للغرق في تأملات خياليّة لسكان الجزيرة الذين لم يكن يشغلهم عمل ولا صناعة أكثر من رعي الإبل والأغنام، وكلهم ينتمون لقبائل كانت تغزو بعضها البعض بشكل دائم ومستمر، إلا في الأشهر الحرم، حيث يلتقون من جديد في

أسواقهم الموسمية أو في مناسك الحج للكعبة المشرفة التي كان يحج إليها الجميع من أيام النبي إبراهيم عليه السلام وهم قادمون من أطراف الجزيرة العربية المترامية الأطراف.

وكان الشعر بما فيه من عناصر الوهم التي عددناها أكبر جاذب لتلك العقلية الحالمة. وإذا عدنا تاريخياً إلى تلك الفترة من الزمن لوجدنا مايؤكد هذه النظرة، من أهمية الشعر في حياة الناس، لدرجة أن بيتاً من الشعر يقوله شاعر معروف كان كافياً لأن يرفع من مكانة قبيلة، وأن بيتاً آخر يقوله الشاعر نفسه في قبيلة أخرى كان كافياً لأن يخفض من مكانتها، حتى يلجأ أفراد القبيلة إلى تغيير اسم قبيلتهم لما لحقها من عار وشنار نتيجة ذلك البيت من الشعر.

ونستطيع أن نتذكر أسواقهم التي كانت تعقد في المواسم مثل سوق عكاظ، وكيف كانت تستخدم كمؤتمرات للشعر والشعراء. والدليل على صحة مانقول وجود المعلقات السبع في ماقبل الرسالة مباشرة على التقريب. بمعنى أن قمة سيطرة الوهم والخيال على الناس، في ذلك العصر، الذي نسميه اليوم بالعصر الجاهلي، كان فيما قبل الإسلام مباشرة وقد عاصر زهير بن أبي سلمى الإسلام، لأنه عاش بعض عمره في الإسلام وبعضه في الجاهلية وسمي بالشاعر المخضرم. كان هذا تأثير وهم الشعر على الناس، أما الوهم الكبير الآخر الذي كان مسيطراً ولايزال هو وهم القبيلة، وعقلية القبلي على مبدأ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).

ووهم القبيلة يترسخ في عقل الفرد نتيجة شكل الحياة القبلية حيث ينشأ الفرد وهو يرى ويسمع مايتم ترديده من الأشعار والقصص في مضرب شيخ القبيلة أو مضافته، وكلها من نسج خيال الرواة الذين يتفنّنون بإلباسها اللباس الأسطوري، فسيمع هناك الفرد تاريخ القبيلة ويحفظ هناك أنسابها وأباءها، ومفاخرها وأيامها وكرمها وشرفها على باقي القبائل، ويسمع تاريخ أبطالها الميامين، ويعيش حياته كلها وهو يؤمن بتلك الأمور ويقدّسها كلها بحلوها ومرّها، وبصحيحها وباطلها، وتصبح لديه القدرة على التضحية بنفسه في سبيل أن يكون أحد أبطال القبيلة التي ستتغنى بها الأجيال القادمة في أمسياتهم الطويلة في ليالي الصحراء.

فالحق عند القبلي هو مايأمر به شيخ القبيلة، والباطل هو ماينهى عنه، سواء ما أمر به ذلك الشيخ كان باطلاً أو ما نهى عنه كان حقاً.

ووهم القبيلة يغذي الأوهام العنصرية بتفضيل هذه القبيلة على غيرها من القبائل، وتلك العشيرة على باقي العشائر. ويكون وهم الشعر عاملاً مساعداً بما فيه من أوهام الفخر والاعتزاز بالآباء، فتخلق لدى القبلي وهم الخيلاء والفخر نتيجة مايسمعه من أشعار عن بطولات أبنائها على مر الأيام، وتوقعه في مأزق مع فكره بعدم قدرته على استيعاب

الحقيقة، بأن كل القبائل من الناس، والناس كلهم من آدم، وكلهم في الحقيقة أخوة، وأن هذه المفاضلة التي يقاتل من أجل تأكيدها لاوجود لها إلا في صندوق أوهامه هو فقط. وكل حروب المسلمين اليوم مع بعضها البعض كما يحصل الآن في السودان والصومال وغيرهما من هذه العقلية القبلية الوهمية.

عندما أتى الإسلام استطاع القرآن بالذات أن يغير عقلية الجيل الأول من الذين صاحبوا الرسول ﷺ وعايشوه، فاستطاعوا فهم العقيدة العلمية التي يبشر بها دين الإسلام، مبعداً الناس عن الشعر وعن المعايير القبلية والعشائرية للتفاضل فصارت التقوى هي مقياس المفاضلة الجديد، رغم أنهم بالغالبية كانوا من الأميين، لكن إدراك الإنسان وعيه لايشترطان محو الأمية أساساً حتى يفهم الفرد ويدرك ماهو الوهم وماهي الحقيقة الواقعة.

والجيل الذي استطاع أن يبدل تلك العقلية الغارقة في الأوهام والخيال إلى عقلية معاكسة تماماً استطاع فعلاً تحقيق المعجزات بالقضاء على أكبر امبراطوريتين معاصرتين، وفرد من صحابة الرسول، أقصد: من الجيل نفسه، استطاع أن يحقق وخلال حياته معجزة على الأرض بتطبيق منهج الرحمن فقط، دون تدخل إلهي مباشر، وهذه كانت غاية الله سبحانه وقصده بمنع المعجزات عن تأييد هذا الدين، لأنه شاء أن يكون قيامه على العلم والعمل والنشاط والهمة، وترك الكسل والأوهام والخرافات والأساطير.

تصوروا: جيلاً تعوّد أن يعيش بعقلية مفرطة في الوهم والخيال تأتيه عقيدة جديدة فيؤمن بها تاركاً ماكان عليه آباؤه من أوهام قديمة، فيستطيع الجيل نفسه تقريباً والذي كان يُحتقر ويُستهان به من قبل الفرس والروم أن يهزم الامبراطوريتين معاً، ثم يلبس أحد هؤلاء الأفراد سواري كسرى، وهو من الذين عاشوا في العقلية التي كانت غارقة في الوهم والأوهام، دون أن يستطيع بكل ماعنده منها أن يحقق لنفسه إلا الاحتقار والاستهانة من قبل جيرانه الأقوياء، فيقوم بفضل رسالة الإسلام بتغيير العقلية تلك، دون تدخل مباشر من السماء بمعجزات خارقة للعادة بل بعقلية علمية، تعتمد على العلم الصحيح والعمل بأسلوب جديد، فيستطيع أن يحقق الانتصار على ذاته أولاً وعلى أعدائه كلهم بعد ذلك من الذين استمروا يحتقرونه مئات من السنين ويحتقرون آباءه الأولين. وكان ذلك أكبر عمل حققه الإنسان على الأرض بفضل تطبيق وفهم ماقصد به الله سبحانه أن نفهمه من الآية الكريمة:

﴿إنّ الله لايغيّر مابقومٍ حتى يُغيّروا مابأنفسِهم﴾ ١١ - الرعد.

فالمهم إذا هو تغيير العقلية، وليس القيام بتغييرات في الشكل ونوع الألبسة وأسلوب الحلاقة،

التغيير يجب أن يكون ويتم داخل الفكر. حيث تلقّى الإنسان الأول النفخة الأولى من الله سبحانه لتحويله من بشر أشبه بباقي المخلوقات الأخرى إلى إنسان يتميز عن كل مخلوقات الله بالنطق والفكر وحرية الإرادة وإمكانية التعلم بالقراءة والكتابة بالقلم. لكنّ ذلك لم يدم طويلاً، فبعد مقتل عثمان عام ٣٥ هجرية، ثم حصول الفتنة الكبرى في الإسلام بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وانتصار معاوية بعد التحكيم الشهير صار معاوية هو السلطان الأول للسنة في الإسلام لأن من تبع علي بن أبي طالب سميناهم الشيعة، ومن خرج عليه أثناء المعركة سميناهم الخوارج، فانقسم المسلمون إلى ثلاث فئات وكانت أكبرها مع الذي انتصر كما يحصل عادة مع كل المنتصرين في العالم. وكان من مصلحة السلطان الجديد معاوية بن أبي سفيان، إعادة الناس إلى العقلية القبلية التي يرتاح لها، وتربى فيها كابن زعيم قبيلة سابق، ثم كابن زعيم المشركين في مكة. ومعاوية نفسه دخل الإسلام بعد فتح مكة أي في أواخر عهد الرسول محمد ﷺ مع أبيه وأمه هند بنت عتبة. ومعاوية كما رأينا كان حديث عهد بالإسلام وأقرب إلى عقليته القديمة السابقة عند وفاة الرسول الكريم.

ولايستطيع المسلمون أن ينسوا أبداً مواقف أبو سفيان ضد الإسلام والمسلمين كزعيم للمشركين، وفي حروب ونزاع استمر لأكثر من عشرين عاماً، وقاد ضد الإسلام عدة معارك. مثل: معركة بدر ومعركة أحد والأحزاب وصلح الحديبية وفتح مكة. وهو في كل ذلك يعادي رسالة الإسلام والحركة الفكرية الجديدة التي يبشر إليها الإسلام بواسطة آيات القرآن لاغية كل العقليات القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام من سيطرة أوهام الشعر والقبيلة على الجميع، ونتذكر فعلاً أن أغلب أخوال معاوية وجده لأمه كانوا قد قتلوا في معركة بدر الكبرى، كما نتذكر كيف أن أمه انتقمت وثأرت لأبيها عتبة غدراً في المعركة وثأراً لقتلاها مع رامي الحراب الحبشي (وحشي)(*).

(*) أرجو أن لايفهمني القارىء خطأً من هذه المقارنة التاريخية، وذكر هذه الحقائق المؤثرة على تاريخ المسلمين كلّه من انحراف مسيرة الإسلام بشكل كامل، نتيجة الخلاف الذي حصل في صدر الإسلام بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ورحمهما وغفر لهما.

إني لا أناصر أحدهما على الآخر الآن فما مضى قد مضى وأصبح تاريخاً وماعلينا نحن من دراسة التاريخ إلا أن نذكر ونتذكر الحقائق لنتعلم منها الصبر حتى ننتفع ولانقع في الأخطاء نفسها أو مايشابهها مستقبلاً ،ولست هنا لأحاكم أو أحاكم، وماذكرته كان فقط من باب ذكر الحقائق لتعرف أين كان الخطأ وأين كان الصواب، وكيف يجب علينا أن نتصرف في ظرف مماثل لا أكثر من ذلك ولا أقل، دون محاباة أو ميل لأحد بالهوى، مع الوقوف على الحياد في الدراسة العلمية لأحداث التاريخ، وهذا مايميزها عن باقي الدراسات.

ليس لنا أن نحكم على مافي نفس الإنسان ومافي سريرته، فهذا لله وحده سبحانه وليس لنا إلا أن نذكر الظروف ونذكر الأفعال. فنحكم من خلالها لأن الأفعال عادة تصدق عما في النفس(*).

فلو أن أفعال معاوية من البداية للنهاية كانت كلها مثل أفعال عمر بن عبد العزيز الأموي عندها لاعترفت له بأنه خامس الخلفاء الراشدين لكنه لم يبرهن أبداً في حياته، كلها أنه يسير على منهج الخلفاء الأربعة ولا على منهج الرسول الأمين وهذا هو وحده الذي يقرر لنا دور معاوية كله هل كان مع الإسلام أم كان ضد الإسلام من تقدير الناس له أبداً. أما نسبه للأمويين لن يغير من الأمر شيئاً كما لم يغير كون عمر بن عبد العزيز من الأمويين.

فمعاوية عاش في بيت أبيه وأمه كل ظروف العداء والحقد والثأر والذكريات المؤلمة والتي كانت حقائق ملموسة في حياته. وعندما ننظر بعد ذلك كيف استغل قتل عثمان لتكون له حجة في الاستيلاء على حكم المسلمين مع وجود خليفة منتخب لم يرض أن يبايعه بحجة أنه لم يقم الحد على قتلة عثمان. ثم قلبه لنظام الحكم في الإسلام من الشورى إلى ملكية وراثية، وقلب ميزان الأفضلية في الإسلام والموجود في القرآن على أنه للتقوى. ثم كيف قلب ذلك وجعله بالأحاديث التي افتراها له مساعدوه على جعل قريش، باعتباره منها، أحقَّ الناس بحكم المسلمين، معيداً عقلية العصبية القبلية التي أنهاها الإسلام.

ومن مثل ماورد في الحديث المفترى على الرسول وحتى على من أسند إليه وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في الحديث رقم ٧١٤٠ صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ: «لايزال هذا الأمر في قريش مابقي منهم اثنان، أي لايجوز أن يتزعم على المسلمين أحد إلا إذا كان من قبيلة قريش طالما بقي منهم اثنان على الأرض. هذا الحديث يناقض كل مأأتى به القرآن من آيات صريحة، ويناقض عقلية القرآن حيث ليس التفاضل فيه بالأنساب بل بالأعمال والتقوى.

وكما ينسب أيضاً أغلب الأحاديث السياسية المؤيدة لحكم الأمير والتي تناقض روح

(*) فلو أن أفعال معاوية من البداية للنهاية كانت كلها مثلها أفعال ومواقف عمر بن عبد العزيز الأموي عندها لاعترفت له بأنه خامس الخلفاء الراشدين لكنه لم يبرهن أبداً في حياته كلها أنه يسير على منهج الخلفاء الأربعة ولا على منهج الرسول الأمين وهذا هو وحده الذي يقرر لنا دور معاوية كله هل كان مع الإسلام أم كان ضد الإسلام أما نسبة للأمويين لن يغير من الأمر شيئاً كما لم يغير كون عمر بن عبد العزيز من تقدير الناس له كونه من الأمويين أبداً.

الإسلام لعبد الله بن عمر، مثل حديث (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث - ٧١٣٨ - صحيح مسلم.

وحديث تحت باب (الأمراء من قريش) برقم ٧١٣٩ الذي يقول فيه: (سمعت رسول الله يقول: «إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»)، وأحاديث كثيرة مثلها، فأعمال معاوية بعد استلامه الحكم بانتصاره بعد خديعة التحكيم تؤكد أنه عاد يعمل بالعقلية الجاهلية بعد أن ترك عقلية الإسلام الجديدة. وحقائق أفعاله تجعل لنا الحق بالحكم أنه لم يستطع أن ينسى الماضي القريب، والإسلام لم يستطع أن يتغلغل في نفسه لتغيير عقليته، فأساء للإسلام والمسلمين بأن أخرجهم عن سبيل الله الواحد، وزرع الفتنة وسبل الشياطين في نفوس المسلمين.

فالرسول الكريم كان يعطي أبا سفيان من أموال المسلمين حتى يحببه بالإسلام عن طريق المال، فأعطاه مثلاً مائة من الإبل له ولبعض زعماء بني أمية، مثل صفوان بن أمية فقد أعطاه أيضاً مائة من الإبل، لعلمه أن قلوبهم مازالت كارهة للإسلام والمسلمين والنار المطفأة حديثاً تحتفظ بين الرماد بجمرات جاهزة للاشتعال من جديد وفي الوقت المناسب عندما تجد الفرصة لذلك، وكذلك العقلية الجاهلية التي غيرها الله بالإسلام والقرآن حديثاً لم تكن قد تمكنت في نفوس الناس بشكل قوي، فعندما وجدت الظروف المناسبة مع وجود سلطان يدعو سرّاً إلى إعادة الأمور إلى ماكانت عليه فعلاً قبل الإسلام. وذلك بإعادة العقلية القبلية والعودة لأوهام الشعر والقبيلة والمفاخرة بالأنساب من جديد، مع جديد وحيد هو أنه أعجبته صور الجنة وأوصافها فأحب أن ينشىء جنته الخاصة على الأرض لعدم إيمانه بوجودها في الآخرة. وأنا هنا لاأحكم عليه إلا من خلال أعماله في الدنيا، لأنني كما قلت سلفاً لا أعلم ماذا كان في قلبه.

فأعماله وحدها هي التي تشهد عليه، فهو قد تخلص من كل منافسيه في مركز الخلافة من أبناء علي بن أبي طالب دون شفقة أو رحمة.

والتاريخ الإسلامي يحدثنا أن معاوية كان من دهاة العرب، ولم يكن من الأشخاص الانفعاليين الذين إذا غضبوا فعلوا ماتبادر إلى ذهنهم فوراً. بل كان من أولئك السياسيين الذين يتصفون ببرودة الأعصاب فيخططون دائماً لما يريدون أن يفعلوه حتى يخرجوا في النهاية مبرئين أمام الناس، فأعاد عقلية الجاهلية بتوقيفه أحكام القرآن من خلال فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن. وقد وجد كثيراً من المساعدين من بين أصحاب المصالح من علماء

السوء والحساد والمنافقين من أعداء الإسلام، يظهرون غير مايبطنون، فاتجهوا مع السلطان عندما علموا بنيته للتغيير، وتضافرت الجهود للقضاء على العقلية العلمية التي أوجدها الإسلام مثل البعد عن الظن والوهم والحكم على الأمور بالعقل والمنطق السليم. ولم يكن ذلك صعباً عليهم لأن العقلية القديمة لم تكن قد اندثرت تماماً بعد، ولم تكن قد زالت من نفوس الناس بعد، فكان أهم عمل وواجب على كل أولئك الذين تعاهدوا مع السلطان وعلى خدمته لتحقيق النصر الحقيقي والأخير لفكرتهم هو إبعاد القرآن وعقليته عن عقلية الناس لخطورة آياته وصراحتها، فكان لابد من بديل له لدى الناس، فشجع السلطان بالمال الذي له سحره وتأثيره الفعال دائماً في النفوس التي تشكو من ضعف في الإيمان واتجاه نحو الأرض بدل السموّ نحو السماء، وهذا موجود في كل زمان ومكان، فعمد إلى شراء تلك النفوس الضعيفة للتأليف على الرسول ﷺ أقوالاً وروايات تبدو لمن يسمعها، لاحتوائها على بعض التفصيلات من أسماء ومواقع، صحيحة، وغالباً ما استند هؤلاء على بعض الروايات الصحيحة أصلاً، فحرفوها وحرفوا مضمونها بشكل يخدم غاياتهم ومتطلباتهم، فأتت كل هذه الروايات بالإجمال مناقضة للعقلية القرآنية العلمية التي بشر بها الرسول ﷺ حيث أعادوا الناس ـ كما قلنا ـ بالتدريج إلى ماكانوا عليه من العقلية الجاهلية من جديد، مع فارق وحيد هو الاحتفاظ بالأسماء والشعارات من دون أي فعل لها أو فعالية على الإطلاق، وما قول (أشهد أن لا إله إلا الله) إلّا مجرد شعار لا عمل له إذا لم يطابق هذا القول مايقوله السلطان. ففي هذه الحالة من نطيع؟ هل نطيع الله أم نطيع السلطان؟ أم هل نسينا أن العبادة هي الإطاعة؟ وقد شرحت ذلك في كتابي الأول «إنذار من السماء».

فأصبحت تلك الشعارات مع تطبيق العبادات مثل الصلاة والصوم والحج، مجرد ستارة لإخفاء الحقيقة لا أكثر ولا أقل، وذلك كله يتم باسم الإسلام والمسلمين. حتى لنجد أن أكثر من ٩٩٪ من الأحاديث المنسوبة للرسول في الصحيح الذي يدعى (بالصحيح الجامع) والتي يزيد عددها عن خمسة عشر ألف حديث رويت في العصر الأموي على لسان سبعة من المشهورين لرواية الحديث وأن كل صحابة الرسول والبالغ عددهم الآلاف والذين توفاهم الله سبحانه قبل عصر الفتنة لم يرووا جميعهم واحد بالمائة من مجموع هذه الأحاديث إلا إذا استثنينا منهم عمر بن الخطاب الذي قيل: إن ابنه روى عنه أحاديث كثيرة في العصر الأموي رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين وغفر لهم.

وفي كتابي هذا سوف أدرس فقط صحيح البخاري بتركيز، ثم آتي على ذكر أحاديث مسلم بتركيز أقل. ولن أتطرق بالدراسة والبحث لأحاديث باقي العلماء التي يعتبرها

مذهب أهل السنة من الصحيح أيضاً، لأن غايتي من الدراسة ليست حصر الحديث وتبيان الموضوع فحسب، وإنما مقصدي من الدراسة إظهار وتوضيح حقيقةُ تغاضى عنها أغلب المسلمين إلى اليوم، وتلك الحقيقة هي تناقضُ أغلب الأحاديث المروية في الصحيحين مع صريح آيات الله في القرآن الكريم:

- ربما لعدم توفر الأدلة الدامغة عندهم لإظهار تلك الحقائق.

- أو خوفاً من سلطة بعض السلاطين الذين تميزوا غالباً بالاستبداد، خاصة في عصور الانحدار الإسلامي.

- أو لتعوّد الأغلبية على سماع تلك الأحاديث منذ الصغر، ففرضت وجودها تحت تأثير عامل التعود عليها مع الزمن.

ولكن كل تلك الفرضيات مع الأسف ليست عذراً لأحد كي لايتعرض لدراستها بأسلوب علمي بعيد عن القذف والتهجم. هذا وقد شرحت مراراً في الكتاب أن البخاري ومسلم رحمهما الله قد عمدا عن قصد إلى وضع الأحاديث المتناقضة في صحيحيهما للفت نظر العلماء إليها في المستقبل، لأن العصر الذي كانا فيه كان لايسمح على الإطلاق بمهاجمة الحديث أو الأحاديث لأنها كانت غالباً لها السلطة في الفتاوى والقوانين التي تصدرها لحكم البلاد. لكن بعض علماء السوء من الذين باعوا أنفسهم للشيطان استغلوا أيضاً الأحاديث المتناقضة التي وضعها الشيخان في كتابهما للفت نظر الناس إليها على أنها أحاديث متناقضة لبعضها ومتناقضة مع القرآن نفسه، فصارت السلطة قادرة باستخدام تلك النصوص على إصدار كل فتوى وعكسها إذا شاءت ومتى شاءت. هذا مادعاني لأن أبذل مافي طاقتي لإظهار الحقائق بأسلوب علمي، معتمداً على المنطق وأساليب العلم في الاستقراء ونقض الفرض والبرهان والاستنتاج مع الابتعاد قدر المستطاع عن الأسلوب العاطفي وأسلوب التلاعب بالألفاظ.

ومايهمني إثباته هو أن ابتداء عصر الوضع والتأليف والكذب في الحديث بدأ فعلاً بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ودخول المسلمين إلى عصر جديد هو عصر الفتنة الإسلامية وعصر تفرق السبل وعصر السعي للدنيا أكثر من السعي للآخرة.

فوجد في السلطة من لهم المصلحة بتلك الأحاديث المكذوبة لتكون بديلاً عن آيات الله وكتابه الذي كان يحد من طموحاتهم وتطلعاتهم الدنيوية، ولعجزهم عن تحريف كتاب الله الذي كان محفوظاً في صدور المؤمنين به عمدوا بمكر رهيب تزول منه الجبال إلى ربط تأويل وتفسير نصوص آيات الله مع تلك المحرّفات التي قبل بها علماء

السوء الذين كانت مصلحتهم تتماشى وتلك الأحاديث كما قال ابن قيم الجوزية أكثر من مرة هو وأستاذه المصلح الديني ابن تيمية(*).

فكانت أكبر ضربة وجهها أعداء الإسلام من الحاقدين والحاسدين للدين كله هو سحب عماد الدين الذي هو نص الرسالة وكتاب الله من أيدي الناس للتداول، وحصر الدين والفقه الذي سموه (العلم) بفئة مختارة بشروط مشددة من قبل علماء الدين شهد لهم السلطان بصدقهم ونزاهتهم، وأنا لا أتقول ذلك من عندي، فإن من يقرأ مقدمة الإمام مسلم رضي الله عنه سوف يجد كل ذلك بالتفصيل، ثم العمل متكافلين متضامنين على إيجاد الروايات لأحاديث نسبوها للرسول الكريم بواسطة ستة إلى عشرة رواة رئيسيين. فأوجدوا كما قلنا آلاف الأحاديث والروايات من أجل استخدامها ديناً للناس بدل آيات الله، أو من أجل استخدامها كما سبق ونوهت لتكون وسيلة تأويل وتفسير لآيات الله التي قالوا عنها: إنها لايمكن أن تفهم مباشرة إلا عن طريق تلك الروايات التي تبين للناس كيف شرح الرسول ﷺ القرآن للناس. افتراء عظيم على الله وعلى الرسول صدّقه الناس بقوة الدعم المستمر مع الأيام والسنين، حتى رسخ في عقول الناس على أنه حقيقة ثابتة مثل حقيقة الشمس والأرض والقمر الموجودة أمامهم في الكون من حقائق الله.

فكان ذلك هو سر عدم إمكانية القدرة على فهم آيات الله في القرآن عند الناس، لأن أحداً منهم لم يخن الشيطان مرةً ليجرب لوحده أن يفهم القرآن دون كل تلك الإضافات التي لاضرورة لها أصلاً، كما بيّنها سبحانه عندما أعلن أنه أتم وأكمل دينه للناس، حتى قبل أن يفكر أحد بكل تلك الروايات من الأحاديث الجديدة.

ولكن المسلمين ظلوا غارقين في أوهامهم وظنونهم منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا، وهم لايزالون يعتقدون أنهم على دين الله موحدين له ولايعلمون أنهم قد أشركوا بالله واتبعوا شياطين الإنس وهم لايعلمون..

وأنا على يقين بأن الله سبحانه وتعالى كان في علمه حقيقة ماحصل لنا تماماً، ودليلي على ذلك أن رب العالمين عندما أرسل كتابه أرسله كتابين في كتاب واحد ولكن ليس مثل كتبنا الأرضية، بحيث تقول هذا هو الكتاب الأول وهذا هو الكتاب الثاني، بل أدخل الكتابين ببعضها البعض بأسلوب الله في كل خلقه وبديعه، ولكن يمكن التمييز بينهما أثناء التلاوة لآيات الله في الكتاب. فالآيات التي فيها غيب الله من علومه وأنبائه عن قصص

(*) راجع نص علماء السوء، لابن قيّم الجوزية في هذا الكتاب.

وتاريخ لشعوب الأرض ورسالاتها وأنبيائها أو أنباء الملائكة والجنة والنار والبعث ويوم القيامة والعرش والكرسي كل هذه الأمور تتبع الكتاب الأول الذي هو الكتاب أو القرآن، وآيات أخرى ليس فيها غيب وإنما فيها أوامر ونواهٍ وشرع للإنسان، حيث تشكل بمجملها رسالة الإسلام، وفيها أحكام الشرع وآيات الحكمة التي هي الوصايا العشر فيسميها رب العالمين بالحكمة. الله سبحانه يقول لنا إن آيات الكتاب الأول برهان وتصديق لآيات الحكمة والرسالة والشريعة وآيات الأوامر والنواهي بأنها أيضاً من عند الله، لماذا؟

لعلم الله أن الآيات الأولى فيها حقائق علمية وإعجازات ومعلومات ليست من طاقة البشر ولا من علمهم، ولكنه سبحانه قال عنها وقت الرسالة للمسلمين الأوائل الذين لم يكونوا على خلفية علمية هم ولا معاصريهم في كل العالم مايمكنهم على إدراك وفهم تلك الحقائق فقال لهم لاتؤولوها ولاتسألوا عنها الآن. وإنما سوف يأتي زمان وسيأتيكم علمها في حينها: ﴿ولَتَعلَمُنّ نبأَهُ بعد حين﴾ ٨٨ ـ ص.

ولكن الذين تبرعوا وتطوعوا لخدمة السلطان لم يصبروا على ذلك، فأولوا كل تلك الآيات بروايات ونسبوها أيضاً للرسول ﷺ وهي كلها موجودة اليوم في كل الأحاديث، ومنها صحيح البخاري ومسلم، شاهدةً على كذبهم وافترائهم على الله والرسول، ولكن كيف؟:

إنّ ماورد في القرآن الكريم صار شاهداً على العلوم أن ماتوصل إليه العلماء من الحقائق في الكون صحيحة، بدليل تأكيد الآيات القرآنية على صحتها، مثل نظرية ازدواجية المادة عند الإنسان وهي مازالت نظرية، بينما الله سبحانه يؤكدها أنها حقيقة إلهية مثل آيات التطور وآيات تشكّل الجنين وآيات الجبال وكثير جداً من آيات العلوم ومبادئها، وكلها تثبت أن هذه الآيات والمعلومات ليست من طاقة الإنسان، وإنما كلها من مصدر واحد هو الله سبحانه، ثم عندنا الإعجاز العددي في القرآن الذي شرحته في كتابي الأول، يثبت بالبرهان الرياضي أن القرآن الكريم لاينقصه حرف ولا يزيده حرف عما نزل به على لسان محمد ﷺ إلى اليوم، وإلا لكشفه هذا الإعجاز وظهرت الزيادة أو النقصان.

وهكذا نجد أن كل ماورد في القرآن من أنباء وعلوم صار شاهداً على العلوم أن ما اكتشفه العلماء حديثاً من جميع أنواع العلوم كلها صحيحة، وصار كذلك برهاناً على أن كل القرآن من عند الله وليس فيه من البشر حرف واحد.

كما أننا نجد أن كل الروايات التي ألفها المؤلفون على لسان الرسول ليس فيها إعجاز عددي ولا إعجاز علمي ولا معلومات إلهية بل كل ماقالوه عن آيات الله الحقيقية صار شاهداً على

افترائهم، لأنهم يقولون عكس ماتقوله الآيات من علوم حقيقية، وتناقض الوحي الأول، الذي هو القرآن مع الوحي الثاني الذي هو الحديث، أو الذي سموه الحكمة يثبت أن الوحي الأول هذا الصحيح الوحيد، وأن كل ماقيل عن الوحي الثاني هو مجرد افتراء على الله وعلى الرسول، وأغلبه يناقض الوحي الأول. وأنا على يقين تام أن دور القرآن الكريم في الأرض لم يبدأ حتى الآن، وإنما دوره مازال قادماً، ودليلي أن الله حفظه حتى الآن دون أن يستطيع إنس ولا جان أن يحرف منه حرفاً واحداً، وكما أن براهين القرآن ومعجزاته الحقيقية التي لم تكن ظاهرة وقت الرسول محمد ﷺ ولا أيام صحابته، لم يبدأ ظهور هذه المعجزات حتى العصر الحديث وفي القرن العشرين، والله سبحانه قد أعلمنا أن الناس الذين سوف يرون حقائق القرآن هذه وبراهينها العلمية سوف يؤمنون بالله من جديد:

﴿وليعلم الذين أُوتوا العلمَ أنّه الحقُّ من ربِّكَ فيؤمنوا به﴾ ٥٤ ـ الحج.

سابقاً كان وجود الرسول مع الرسالة ضرورياً ليري الناس آيات الله ومعجزاتها البصرية، كما فعل مثلاً موسى وعيسى مع الناس حتى يؤمنوا بهما، لكن الناس كانوا يشكون ويقولون هذا سحر ويقولون عن الرسول أنه ساحر.

لكن اليوم لم يعد من حاجة إلى رسول أو نبي مع الرسالة سوى محمد ﷺ، فالرسالة هي القرآن موجودة، ويمكن طبعه وتوزيعه لكل العالم، المهم أن يقرأه كل إنسان ويعلم ماذا يقول الله فيه، فالذي عنده علم من علوم الله سوف يؤمن أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر، بل هو كتابٌ إلهي حقيقي، وبالتالي سوف يقبل بالكتاب الثاني الذي هو أيضاً من الله، أرسله سبحانه إنقاذاً ورحمة للإنسان على الأرض، فيسير عليه ويطيعه لينقذ نفسه وأهله وقومه، أقصد كتاب الحكمة الموجود ضمناً مع القرآن الكريم أو مايسمى بالمصحف الشريف. لذلك على كل مسلم يعلم بهذه الحقائق أن يدرك وضعنا الحالي كمسلمين، وأننا بكل مانطبق من دين فإننا مازلنا نعيش في العصر الجاهلي الثاني، ولابد من الدعوة والتبشير لدين الله الذي في القرآن الكريم من جديد، لتغيير العقلية الوهمية التي أنشأها السلاطين خلال عصور التأخر الطويلة، ولابد أن يدعو الناس إلى الخروج من كهفهم المحبوب مع ترك كل مكتبات السلاطين في ذلك الكهف إلى غير رجعة، ليعودوا تحت الشمس ومعهم كتاب الله ليتعرفوا في تاريخ الأرض بين الأمم من جديد، ويبدؤوا ببناء حضارة الإنسان عى الأرض وجنته الأولى التي وعده بها الرحمن.

﴿ولمن خافَ مقامَ ربِّهِ جنّتان﴾ ٤٦ ـ الرحمن.

صدق الله العظيم

خامساً: تنبيه لابد منه

قد يعترض أحد القراء ويقول: إن كثيراً من المواضيع وكثيراً من الآيات والأحاديث والأمثلة المذكورة في الكتاب الأول - إنذار من السماء - أعيد بحثها وإعادتها في الكتاب الثاني - دين السلطان - فلماذا نعود إلى ماسبق وذكرناه وبحثناه؟ أقول جواباً لكل المعترضين مايلي:

سوف تلاحظون ذلك في كتبي الثلاثة، حيث اسم كتابي الثالث هو (دين الرحمن). والسبب يعود إلى ماسأقوله الآن لكم:

قرأت القرآن الكريم مراراً عديدة وكنت أتساءل: لماذا ربنا يعيد ويكرر قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم؟ لماذا؟

يعيد قصة آدم ويذكر اسمه خمساً وعشرين مرة في القرآن.

ويعيد قصة نوح ويذكر اسمه ثلاثاً وأربعين مرة.

ويعيد قصة إبراهيم ويذكر اسمه تسعاً وستين مرة.

ويعيد قصة موسى ويذكر اسمه مائة وستاً وثلاثين مرة.

ويعيد قصة فرعون ويذكر اسمه أربعاً وسبعين مرة.

ويعيد قصة بني إسرائيل ويذكر اسم إسرائيل ثلاثاً وأربعين مرة.

وهكذا أغلب أسماء الأنبياء وقصصهم تتكرر في القرآن الكريم، فهل تعتقدون أن ذلك كان سهواً - لاسمح الله - أو حشواً؟ أم أن الله سبحانه يقصد من كل ذلك التكرار والإعادة إلى شيء؟ ويريد من ذلك كله بلوغ هدف في عقل الإنسان وتفكيره؟

إننا مهما علمنا وتعلمنا من علم الله عن عقل الإنسان فلن يتعدى علمنا إلا جزءاً من علم الله وإحاطته بالإنسان وعقله وأحواله كلها.

ولكني أستطيع أن أجزم من طرف آخر أن الله سبحانه لم يرسل الرسالة إلى الناس كافَّة وهو يعلم أنهم يعجزون عن فهمها، هذا مناقض للمنطق والمعقول، فالمعقول والمنطقي هو أنه سبحانه قد أرسل القرآن ليكون مفهوماً ولو بالتدريج من الناس على مرور الزمن، بحيث يتطور فهم الناس له يوماً بعد يوم على حسب علمهم وثقافتهم وتوسع إدراكاتهم.

وأنا لا أدّعي بذلك أني فهمت مقاصد الرحمن كلها، وأحطت علماً بالقرآن الكريم، لن يستطيع إنسان أن يدّعي ذلك، خاصة وأننا في أول الطريق، لكنني أستطيع أن أجزم أني بدأت أفهم بعض أسراره، ومن هذه الأسرار موضوع التكرار. وسوف أضرب على ذلك مثلاً من حياتنا: تعمد شركات عالمية ومشهورة ومعروفة جداً من الناس على تكرار دعاياتها يومياً على شاشات التلفزيون، لأن علماء النفس الذين يعملون كمستشارين لدى هذه الشركات في شؤون الدعاية والتسويق ينصحون بالإعادة والتكرار، لأنها تثبت الاسم والموضوع في عقل الإنسان أكثر، بحيث لو صادف ظهور شركة أخرى منافسة وكررت اسمها على شاشات التلفزيون التي يشاهدها الناس طبعاً لعمد هؤلاء الناس إلى التحول للشركة المنافسة.

فموضوع التكرار يثبت المعلومات في الذهن.

ويجب أن لايغيب عن ذهن القارىء أن المواضيع التي أتناولها في كتبي الثلاثة هي مواضيع فكرية، زرعت في عقول المسلمين من قبل شياطين من الإنس، ولو لم يكونوا خبراء بعلم النفس إلا أنهم خبراء في أمور الدهاء فقد استطاعوا بأساليب شيطانية أن يقلبوا أمور الدين الحقيقية من مصلحة الإنسان، التي من أجلها أرسل الله سبحانه كل الرسالات حتى يجعلهم يؤمنون بالله ويوحدونه وليكفروا بالطاغوت الذي يستغل الناس دائماً، لمصلحته بواسطة مساعديه من مفكري الأمة، الذين يعملون عنده بأجور سخية حتى وصل أحدهم ـ كما ذكرت لكم عن كتاب تاريخ ابن كثير ـ أن صار عنده ألف امرأة، زوجات وحلائل مما ملكت يمينه.

يجب علينا أن نفكر ماذا عند هذا الرجل أن يعطيه للطاغوت؟

عنده الاستطاعة أن يدجن له الناس ويحولهم له إلى قطيع من الغنم، يساق كما يشاء صاحب السلطة. هذا هو الذي يقدّمه هذا الرجل، ومن أجل ذلك يدفع له السلطان كما رأينا بسخاء.

فمن غير التكرار للمواضيع السابقة لا نستطيع أن نمحو من عقل المسلم، اليوم، الذي يؤمن بأن كل ما أخذه من شيوخ السلاطين على مرّ الأيام والسنين من أفكار كلها تناقض القرآن ومصلحة الإنسان المسلم، ولكنها لاتتناقض مع مصلحة صاحب السلطة. فإذا لم نستطع أن نثبت هذه الفكرة عن طريق التكرار؛ فلن نستطيع أن نجعله يرى الحقيقة أبداً. لأننا أولاً نتكلم عن موضوع يحبه ويؤمن به وأخذه عن آبائه وهو يقدسه

ويعتبره على مستوى القرآن لابل يزيد، لأنه فعلياً يسير على هذه الأحاديث، وقد ترك القرآن تماماً وإن كان هو شخصياً لايعلم ذلك، وقد جعلوه يشرك بالله وإن كان هو شخصياً لايعلم ذلك أيضاً؛ ظناً منه أنَّ مجرد القول باللسان (أشهد أن لا إله إلا الله) كافية لتحميه من الإشراك، ولايعلم أن مجرد الأقوال لايساوي أبداً التطبيق والعمل لأنهما الأساس. فهو عن طريق التطبيق نسي كيف تكون العبادة الحقيقية، ونسي أيضاً ماهو العلم الصحيح، وظن أن الفقه في الدين هو العلم، كما ظن أن حك الأذن عمل وهز الرأس في القراءة عمل، والإيمان المجرد عمل، فنسي معنى العمل الحقيقي، وكما أفهِمَ موضوع الجهاد بشكل مقلوب. لذلك حاولت عن طريق التكرار أن أصل معه إلى مرحلة يقول فيها بينه وبين نفسه: ربما يكون هذا الكتاب صحيحاً، فلماذا لا أسمع آراءه؟ ولماذا لا أقارن فعلاً الأحاديث مع نصوص القرآن لأرى هل صحيح مايدعيه ويقوله؟ عندما أصل بالقارىء إلى هذه المرحلة أكون عندها قد حققت شيئاً ووضعته على أول الطريق وأمسكته طرف الخيط الصحيح، وأداة الكشف التي هي القرآن وآياته بين يديه إنها ستكشف مع مرور الوقت أن كل ماقلته له حقيقة وأنه فعلاً كان في ضلال مبين كل السنين السابقة وأن آباءنا أيضاً ـ رحمهم الله ـ كانوا جميعاً من الذين أُضلّوا بجهود هؤلاء الشياطين، ولكن ماحجتنا اليوم؟ لقد كان آخر سلطان إسلامي منذ حوالي مائة عام تقريباً.

باختصار حاولت أن أجعله يبحث الأفكار الدينية الثابتة عنده من جديد ويضعها في ميزان العقل والمنطق ويقول: لمصلحة من نبقى اليوم على الضلال بعد أن زال الذي أضلنا ألفاً وأربعمائة عام عن إسلام الله وذهب إلى غير رجعة؟.

هذا هو هدفي الوحيد من الإعادة والتكرار، فأرجو أن يكون القارىء متفهماً لهذه الحقيقة، صبوراً، وأن يقل تذمره من التكرار، فهو بإذن الله مقصود ولم يحصل مني سهواً بل عمداً. فقد أعدت قراءة كل ماكتبت مرات عديدة قبل أن أرسله للطباعة والنشر، لأني لا أريد أن أعطي القارىء أفكاراً فجة، وليست غايتي أن أزيد بياض الصفحات سواداً بما أكتب ولكن لي مصلحة في الدنيا وفي الآخرة من كل ذلك.

في الدنيا أريد لأبنائي وأحفادي الذين إذا عادوا إلى دينهم الصحيح وسبيل الله الوحيد وكتابه القرآن ـ أن يعيشوا ضمن أمة الإسلام الموحدة فتعود إليهم قوتهم وعزتهم وكرامتهم وعلمهم وإسهامهم في حضارة الإنسان، فيعيشون في جنة الدنيا متمتعين

بنعم الله عليهم. ولي مصلحة في الآخرة: إذ إني أرجو من الله سبحانه أن يعتبر عملي هذا من الأعمال الصالحة المصلحة في الأرض ـ فأنال منه الرضى، وإذا نلت رضى الله فأنا لا أطمح بأكثر من ذلك، لأن كل مكان يضعني فيه بعد ذلك يرضيني لعلمي أن عدله مطلق ورحمته واسعة لاحدود لها.

وفي الدنيا لا أرجو منه سبحانه مالاً أكثر مما أعطاني، فإنه قد غمرني بفضله والحمد لله، وكل ما أرجوه صحة مع تقدم السنين وأن لايبلغني عمراً لا أعلم فيه من بعد علم شيئاً. لأني أعتبر أن العلم في هذه الحياة من أكبر نعم الله على الإنسان. وفقنا جميعاً إلى مانَصْبُ إليه من الخير لأمة الإسلام، لنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس:

﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للنّاس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عن المنكرِ وتؤمنونَ بالله﴾ ١١٠ ـ آل عمران.

وأخيراً ماهي الغاية والهدف الذي أرجوه من خلال كتبي كلها:

إني أنطلق من إيمان راسخ وقوي بأن الشرق الإسلامي يعاني مشكلة فكرية تقع في عقيدته الإسلامية. لقد تضافرت جهود كثيرة كما أسلفت وخلال فترة طويلة جداً على زرع أفكار خاطئة لمصلحة من كان بيدهم القوة والتوجيه والسلطة والمال في هذه الأمة خلال تلك المدة الطويلة، دون أن يهتموا كثيراً بنتائج عملهم التخريبي هذا لنفوس وعقول أفراد الأمة، وجعلها أمة مشلولة القوى ووضعها خارج مسار التاريخ والتطور الطبيعي الذي أوجده الله سبحانه وتعالى سنةً للعالمين.

فكان هدفي أن يتعرف المثقف المسلم من جديد على ماحصل له فعلاً وأن الذي معه ويحتفظ به ويحبه على أساس أنه دينه لم يكن مع الأسف إلا السُّم الذي قُتل به آباؤه وأجداده، وهو نفس السّم الذي سيقتله ويقضي عليه أيضاً وعلى أبنائه وأحفاده القادمين من بعده، إذا لم يحرك ساكناً وينتبه من غفلته ليعلم الحقيقة أولاً ثم يفكر ماذا عليه أن يفعل ثانياً. ثم يبحث عن البديل الصحيح، حتى يعيد نفسه وأبناءه من بعده على السبيل القويم الوحيد المتاح له، ويجده في متناول يده. وأنا بعد أن انتصحت من الله سبحانه أتوجه إليه وأنصحه لوجه الله بالتوجه إلى البديل الذي هو القرآن، فعليه أن يكون حريصاً، وعليه أن يستخدم عقله قبل أن يصدقني. عليه أن يفكر كثيراً قبل أن يقرر، هل وراء نصيحتي له سمّ آخر أدعوه إليه؟ ربما. وربما أقول له الحقيقة كاملة ولا أريد منه أجراً، لأن أجري على الله سبحانه وتعالى.

فهو الذي يجب أن يفكر ويستخدم ذلك الجهاز الإلهي الذي يحمله في رأسه ويقول: هل في القرآن وآياته الشفاء؟

﴿قد جاءتكُم موعظةٌ من ربّكم وشفاءٌ لما في الصدور﴾ ٥٧ ـ يونس.

﴿وننزلُ من القرآن ماهو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ ٨٢ ـ الإسراء.

أم أن الشفاء موجود في مايقال له ولآبائه عن الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم، ويقولون له: إنها أحاديث قدسية وشريفة؟

إذاً عليه أن يعلم أولاً ماذا في تلك الأحاديث من العلم ومن القدسية والشرف. وهذا بالفعل ماسأقوم به في هذا الكتاب من دراسة أحاديث البخاري ومسلم ووضعها تحت منظار البحث والتشريح العلمي، دون أن تكون غايتي التجريح العاطفي. وأؤكد مجدداً أنه ليست غايتي من كل ذلك إلا الوصول للحقيقة كاملة. والقارىء بعد ذلك حرّ، يختار مايجده مناسباً لنفسه ولفكره، من دون أي ضغط أو إكراه، تماماً كما شاء الله له وقدّر سلفاً عندما قال له:

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

﴿لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرُّشدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

عليه أن يبحث ويتأكد ويقدر. وسوف أكون له خير مساعد ومعين إن شاء الله.

إلى أين يصل الذي يبحث عن الحقيقة مستنداً إلى كتاب الله وحده؟

وإلى أين يمكن أن يصل الذي يبحث عن الحقيقة وهو لايزال يعتقد أن الأحاديث أيضاً هي وَحيٌ من السماء مثل كتاب الله تماماً؟ لابل إنه لايستطيع أن يفهم كتاب الله إلا بالاستناد لتلك الأحاديث، تماماً كما تعود أن يسمع من شيخه المحبوب أو من أبيه وأمه في البيت؟

وحتى يفهم المسلم هذا الموضوع بشكل أفضل سوف أضرب له مثلاً لتقريب المشكلة وتوضيحها، ولله المثل الأعلى دائماً:

إننا كمسلمين تعودنا أن نعيش هذه المشكلة إلى اليوم دون أن نعرف أين الصحيح؟

كل المسلمين يعلمون أن الرسول ﷺ كان لايأكل الصدقة ولا من أموال الزكاة، وهذه حقيقة، فلماذا؟

نحب أن نعلم ماهي الأسباب والدوافع الحقيقية التي كانت تمنع الرسول ﷺ من أكل

أموال الزكاة والصدقات؟ فقد كانت محرمة عليه وعلى أهله جميعاً.

أولاً: دعونا نلجأ إلى الوحي الثاني الذي هو الأحاديث النبوية الشريفة. لنعرف منها ماهو السبب:

ـ الحديث (١٤٩١) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ «كخٍّ، كخٍّ» ليطرحها ثم قال:

«أما شعرت أنّا لانأكل الصدقة؟»

ـ الحديث (١٠٧٢) من صحيح مسلم: عن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب في حديث طويل، يهمنا أن نذكر قسمه الأخير منه:

«ثم تكلم أحدنافقال: يارسول الله: أنت أبرُّ الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتُؤَمِّرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون. قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه. قال: وجعلت زينب تلمِعُ علينا من وراء الحجاب أن لاتكلماه. قال: (الرسول ﷺ): «إن الصدقة لاتنبغي لآل محمد. إنما هي أوساخ الناس. ادعو لمحمية إلى نهاية القصة». وفي الرواية (١٦٨) من صحيح مسلم لنفس الحديث: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لاتحل لمحمد ولا لآل محمد».

ماهي الحقيقة التي توصلنا إليها من بعد الرجوع إلى أكبر مصدرين للمعرفة في دين الإسلام؟ حيث يقال للذي يَعْرِفُ بما فيهما ويعرِّفُهُ للناس «بالعالِم الإسلامي».

علمنا أن الصدقات والزكاة هي من أوساخ الناس.

وعلمنا أن محمد ﷺ وآله غير جديرين بأكل تلك الأوساخ.

وعلمنا أن الجديرين بأكل تلك الأوساخ هم فئات أخرى من الناس.

فهل أنتم مرتاحون إلى هذه النتائج التي توصلنا إليها حتى الآن؟

والآن لنبحث في المصدر الأساسي لعلم الإنسان، الذي هو كتاب الله (القرآن) فماذا نجد في آيات النور والحق جواباً لسؤالنا؟

إذا فتحنا القرآن وبحثنا فيه عن موضوع الصدقات التي هي آيات الزكاة سوف نجد عشرات الآيات، وكلها تركز على أن الزكاة والصدقات هي لتطهير النفوس من الداخل من الآثام والأخطاء، وليست لتطهير الأموال أبداً ولعلم الله أن الأموال كلها طاهرة

بذاتها، لكن النفوس أثناء اكتسابها لتلك الأموال لابد أنها اكتسبت بعض الآثام، قد تكون تطفيفاً في الميزان أو خطأً في الحساب، أو كان اكتساب المال كله من موضوع فيه شبهة، أو أنه كان من باب محرم، فالذي يكتسب الإثم سواء كان صغيراً أو حتى مع دخوله في كبائر الإثم هو النفس البشرية، وهي مجال التطهير في إسلام القرآن.

إذاً: دفع الزكاة هو من أجل غسل النفوس وليس من أجل غسل الأموال، وهذه آيات القرآن أمامكم شاهدة على ماأقول:

﴿خذ من أموالِهِم صدقةً تطهّرهُم وتزكّيهم بها﴾ ١٠٣ ـ التوبة.

ولو قصد الله سبحانه الأموال من دون أن يقصد نفوس المسلمين لقال:

«خذ من أموالهم صدقة تطهرها وتزكيها» بحيث الضمير يعود على الأموال وليس على النفوس كما رأينا في الآية الكريمة السابقة.

﴿قد أفلَحَ من زكّاها﴾ ٩ ـ الشمس.

والضمير (ها) المؤنثة يعود على النفس المؤنثة وليست على الأموال.

﴿أولئكَ الذين لم يردالله أن يُطهّرَ قلوبَهُم﴾ ٤١ ـ المائدة.

وهكذا ترون أن مجال التطهير عند الله للنفوس دائماً والقلوب والعقول. إذاً فلماذا لايأكل الرسول وأهله من الصدقات إذا كانت الأموال طاهرة بذاتها؟ لابد أن نبحث عن آيات أخرى، لنجد الجواب الشافي لتساءلنا هذا في كتاب الله.

ـ ماهو الجواب المشترك لكل رسل الله، والكل يقول علناً للناس أثناء الدعوة لرسالة الله والإيمان بالله الواحد الأحد؟

﴿وياقوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجريَ إلاّ على الله﴾ ٢٩ ـ هود.

﴿وما نسألُهم عليه من أجرٍ﴾ ١٠٤ ـ يوسف.

﴿قل ماأسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتّخذَ إلى ربّه سبيلاً﴾ ٥٧ ـ الفرقان.

﴿وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على ربِّ العالمين﴾ ١٠٩ ـ الشعراء.

﴿قلّ ماسألتكم من أجرٍ فهو لكم إن أجري إلاّ على ربِّ العالمين﴾ ٤٧ ـ السبأ.

الآية الأخيرة تقول: «إني حتى إذا طالبت بأجر فهذا من أجلكم وليس من أجلي» وهي

الزكاة والصدقات التي يدفعها المسلمون، ولها مستحقوها كما سنرى في الآية، ولكن ليس للرسول منها حصة، لأن أجر الرسول لايطلبه من الناس، حتى لايتقول إنسان ما، في أي يوم ما، إن الرسول الذي بشّر الناس بالرسالة وأبلغهم رسالة ربّهم كان يطمعُ بأجرٍ ومالٍ وغنى من أموال الناس، والرسول لايمكن إلا أن يصدّقَ ويُفْعَلَ ما يأمرُ به في كتاب الله، إلا إذا كان صادقاً ويطبق ما أتى به من تعاليم وسنن.

هذا هو السبب الذي يمنع الرسول من أن يقبل من الناس زكاة أو صدقة، ونسمع في تاريخ السيرة النبوية أنه كان يقبل الهدية ولايقبل الزكاة. ولكن حتى هذه يجب أن نشك فيها لأن الهدية كثيراً ماتقدّم من باب الرشوة، تماماً مثل ماحصل مع الجابي الذي حاسبه عمر رضي الله عنه بعد أن قال هذا لكم (أي من أموال الصدقات) وهذا لي وأشار إلى قطيع من الإبل. ثم أضاف: (أهديت لي).

فلم يقبل الفاروق رضي الله عنه الذي فهم القرآن وهضم آياته حجة جابي الزكاة، بل قال له: هلا جلست في بيتك ونظرت فيما إذا كانت ستهدى إليك؟ وأخذها كلها وضمّها إلى بيت مال المسلمين.

وهكذا وجدنا في كتاب الله السرّ الحقيقي: لماذا لا يأكل الرسل من أموال الزكاة والصدقات والهدايا. فمن حق مَن إذاً الصدقات والزكاة؟

﴿إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلّفةِ قلوبُهم وفي الرّقابِ والغارمين وفي سبيلِ الله وابنِ السبيل فريضة من الله والله عليمٌ حكيم﴾ ٦٠ ـ التوبة.

وهكذا. لانجد للرسول حصة في الصدقات أبداً، وإنما تنفق، حسب شرح الآية، على مستحقيها ـ وكما تلاحظون فلو أخذ هو أو أهله منها شيئاً فكأنه قبل أن يأخذ أجراً ونصيباً من الناس مقابل ماكلفه الله سبحانه به من عمل وهذا بالتالي سوف يناقض كل آيات الله في الكتاب، لذلك نجد أن الرسول ﷺ وإن قال: لحفيده الحسن رضي الله عنه: كخ، كخ، فإنه لم يكن يقصد أن الثمرة قذرة بذاتها، وإنما من أجل تنبيه الطفل أن لا يأكل منها، لعلمه أنها محرمة عليه من الله سبحانه وتعالى وعلى أهله جميعاً.

وسأضرب مثلاً آخر حدث معي شخصياً.

سمعت الأذان لصلاة الفجر فاستمعت إليه: حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، ثم قال بعد ذلك الصلاةُ خيرٌ من النوم. ففكرت في نفسي ربّما كان المؤذن يقول حيّ على الصّلاح، حيّ على الصّلاح، فهي لها معنى

جميل وتتناسب من الناحية البيانية واللغوية مع كلمة الفلاح أكثر. علماً أن الصلاة وفضلها قد ذكر بعد ذلك في (الصلاة خير من النوم). ولعلمي أن نص الأذان غير موجود في القرآن الكريم لجأت إلى صحيح البخاري ففتحت كتاب الأذان فيه والذي يشكل قسماً كبيراً في الكتاب حيث وجدت فيه الأبواب التالية:

من باب بدء الأذان الذي يحمل الرقم المتسلسل - ١ - إلى باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد الذي يحمل الرقم المتسلسل ١٦٦ أي مائة وستة وستين باباً.

هل تعلمون ماهي النتيجة التي وصلت إليها؟ لقد كانت مضحكة ومبكية في آن واحد. لم أجد في كل صحيح البخاري نصاً واحداً صحيحاً أو خطأً للأذان. بكل بساطة ليس في كل تلك الأبواب نص الأذان أبداً.

فأين يمكن للمسلم أن يلجأ إذاً لمعرفة الحقيقة؟

ونحن مازلنا نعتقد إلى اليوم أن ماعندنا من تلك الأحاديث صحيح ويمكن الاعتماد عليه لمعرفة الحقائق عن ديننا إلى اليوم؟

وقد يتساءل البعض ويقول: ماذا وجدت إذاً في تلك الأبواب العديدة من أبواب الأذان؟:

نعم، وجدت فيها أحاديث حسان، أحب أن أرويها لكم حتى تعلموا ديننا الذي حضر لنا في الوحي الثاني من وحي الله سبحانه وتعالى: هكذا قالوا لنا:

- الحديث (٦٠٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراطٌ حتى لايسمعَ التأذين، فإذا قُضِيَ النداء أقبلَ حتى إذا ثُوِّبَ للصلاةِ أدبرَ حتى إذا قُضِيَ التثويبَ أقبلَ. إلى آخر الحديث....

ولأهمية هذا الحديث فقد ذكر في كتاب صحيح البخاري في أربع مواضع أخرى وهي الأحاديث ذات الأرقام: (١٢٢٢ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ٣٢٨٥) وفي باب الكلام في الأذان ورد مايلي في الباب رقم (١٠):

(وقال الحسن: لابأس أن يَضحَكَ وهوَ يؤذِّنُ أو يُقيم).

- الحديث (٦١٧) من صحيح البخاري عن عبد الله بن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»

فهل هذا وحي من السماء؟ وعلى جميع المسلمين في ربوع الأرضِ وفي كل زمان ومكان وإلى يوم القيامة تطبيق هذا الأمر على أنه أمر سماوي دائم كُتب على البشر؟

- الحديث (٦٣٧) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني».

فهل هذا الأمر أيضاً هو أمرٌ من الله دائم حتى قيام الساعة؟ ولا يقوم المؤمن للصلاة حتى يرى الرسول أمامه؟ ربما إطاعة لهذا الوحي السماوي ترك كثير من المسلمين الصلاة إلى اليوم.

- وفي الحديث رقم (٦٤٢) من صحيح البخاري: عن أنس قال:

«أقيمت الصلاة والنبي ﷺ يناجي رجلاً في جانب المسجد، فما قام إلى الصلاة حتى نام القوم»

هل تصدقون أن هذا هو قول الصدق على رسول الله قبل أن تصدقوا أنه من كلام الله وهو وحي من السماء؟

- في الحديث (٦٤٤) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطبٍ فيُحطبَ ثم آمر بالصلاةِ فيؤذَّن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالفُ إلى رجالٍ فأحرِّقَ عليهم بيوتهم....» إلى آخر الحديث...

فهل تصدقون أن هذا الكلام يمكن أن يصدر عن رسول السلام والإسلام الذي قال ربه عنه، أفضل الصفات وأحسنها؟ مثل:

﴿وإنكَ لعلى خلُقٍ عظيم﴾ ٤ - القلم.

﴿ولو كنت فظاً غليظَ القلب لانفضّوا من حولك﴾ ١٥٩ - آل عمران.

ومن شدة محبته بالناس رجاء توبتهم ورجعتهم لله رضي أن يصلي على شيخ المنافقين عبد الله بن أبي، واستغفر له ربه حتى أمره سبحانه أن لايصلي على المنافقين بعد ذلك.

هل نصدق بعد كل هذا الذي علمناه عن رسولنا العظيم أن يأمر كأي مستكبرٍ مستبدٍ في الأرض فيحرّق الناس في بيوتها، وهم أحياء مع أطفالهم الأبرياء، لأنهم لم يأتوا ليصلّوا جماعة في المسجد بل صلوا في بيوتهم؟. فهل تصدقون أن هذا الحديث (الصحيح) صحيحاً؟

وفي الباب (٥٣) نجد الحديث التالي:

الحديث (٦٩١) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار؟»

فهل هذا أيضاً وحي من السماء يجب اعتباره آية من آيات الله وعلى المسلمين تقديسه إلى يوم الدين؟

وفي الحديث (٦٩٥) من صحيح البخاري: عن الزهري عن عبيد الله بن عدي - وفي نهاية الحديث - وقال الزبيدي: قال الزهري:

«لانرى أن يصلى خلف المخنَّث إلا من ضرورة لابدّ منها».

وماهي هذه الضرورة التي لابد منها؟

هل من قلة الرجال؟ أم من تحول كل الرجال إلى مخنّثين؟

وفي الحديث (٧١٧) من صحيح البخاري: عن أنس عن النبي ﷺ قال:

«أقيموا الصفوف فأني أراكم خلف ظهري»

فهل هذا الحديث وحي من السماء يعطينا الحق أن نؤمن أن الرسول ﷺ أصبح فوق مستوى البشر بعد الرسالة؟ وصارت له قدراته خاصة تزيد عن قدرات الإنس كلهم؟ بحيث صارت له القدرة على الرؤية في جميع الاتجاهات في نفس اللحظة ويعلم مافي القلوب كالله سبحانه؟

وفي الحديث (٧٤٨) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

«خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى، قالوا: يارسول الله رأيناك تناول شيئاً في مقامك ثم رأيناك تَكَعكعتَ. قال: إني أُريتُ الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه مابقيت الدنيا».

فهل هذا وحي من السماء ومن أنباء الله العلمية الثابتة التي يحدثنا بها في القرآن الكريم؟

هذه هي نماذج الأحاديث التي وجدتها في كتاب الأذان. ولكنني لم أعثر على الأذان نفسه في الكتاب أبداً. لماذا؟: الله سبحانه وتعالى أعلم.

سادساً: المقدمة

لايمكن لأي مسلم مؤمن بالإسلام ديناً إلا أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من نفسه وأهله. وكما لايمكن لأي مسلم أن يفصل في عقله وفي عقيدته بين الله والرسول، بحيث يكون موقفه الحب لله وحده والكراهية للرسول الكريم أبداً.

لأن المسلم ـ أي مسلم ـ أساساً لم يتعرف على حقيقة الله ودين الإسلام إلا من خلال الرسول محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، الذي نقل إلينا جميعاً منذ البداية كتاب الإسلام الخالد (القرآن الكريم) وحياً من ربّه وهو أول ناطق به، ومنه سجّل في الكتاب المصحف بواسطة من عمل له من كتبة الوحي، وكما حفظ في الصدور (صدور المؤمنين) من غير انقطاع. والله سبحانه اختاره أمياً لايعرف القراءة والكتابة حتى لايُتّهم بأنه درسها عند أحد أو استنسخها، كما حاول البعض الإيهام بأن الراهب بحيرة هو الذي علّمه علم القرآن، وكما قال بعضهم، لا بل ورقة بن نوفل هو الذي فعل ذلك. وكل أولئك من أعداء الإسلام والمغرضين من الحساد والحاقدين والمنافقين.

لكن وضع القرآن اليوم بدأ يختلف بعد أن بدأت الاكتشافات العلمية في العالم من قبل العلماء تتوالى ويجد المسلمون مايؤيد تلك الاكتشافات من آيات بدأت تتوضح معانيها بعد معرفة تلك الحقائق عن الكون، وتشهد لتلك الاكتشافات العلمية الجديدة آيات من القرآن الكريم، مع مايوجد في نص القرآن ذاته من الإعجازات الأخرى الكافية للبرهان عقلاً، بأنه كتاب من عند الله، وكل مافيه من معلومات وأنباء وعلوم لم تكن من علم البشر والمخلوقات الأرضية على أقل تقدير. ونحن المسلمون نؤمن بذلك بداية وتسليماً لله ولرسوله الصادق الأمين.

وبفضل الله وحده حُفِظَ لنا القرآن الكريم كاملاً غير منقوص حتى يومنا هذا، ولم يستطع المغرضون من أعداء الإسلام مع كثرتهم أن يحرّفوا فيه حرفاً واحداً والحمد لله رب العالمين. وهو سبحانه الذي تعهّده بالحفظ وهو أصدق القائلين:

﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكرَ وإنّا له لحافظون﴾ ٩ ـ الحجر.

وبعد هذا فنحن نطيع الله والرسول كمسلمين، ونصلي لله خمس مرات في اليوم، ونصوم رمضان، وندفع الزكاة، ونحج لله تعالى إلى مكة.

فهل نحن بعد هذا مؤمنون؟ أم نحن مشركون من غير أن نعلم؟!

لقد كان كتابي الأول وهذا الكتاب الثاني للإجابة على هذين التساؤلين الكبيرين. وأؤكد مجدداً أن الالتباس الذي يحصل لنا جميعاً مصدره عدم فهمنا معنى الإيمان ومعنى الإشراك أصلاً، ومن يقرأ الكتابين سوف يصل حتماً إلى الإجابة على كل التساؤلات.

قبل كل شيء يجب أن نفهم حقيقة الله سبحانه وتعالى على قدر إدراك عقولنا: فالله فرد أحد لاثنائية فيه: مامعنى هذا الكلام؟

معناه أن الله حقيقة كاملة، لاوجود للنقيض فيه الذي هو الوهم.

معناه أن الله خير كامل لاشر فيه، لاوجود للنقيض فيه الذي هو الشر.

معناه أن الله علم كامل لا جهل فيه، لاوجود للنقيض عنده الذي هو الجهل.

معناه أن الله غني، ولايمكن أن يوصف بالنقيض الذي هو الفقر أو الحاجة. لذلك يمكن القول بأن استغناؤه كامل.

معناه أن الله كامل، ولا يمكن أن يقال بوجود أي نقص فيه، وهكذا...

لكن الله سبحانه الخالق المدبّر والقادر على كل شيء. خلق مخلوقاته بصفات مميزة. منها:

صفة التغاير مع التكامل.

وهي الصفة الموجودة في مخلوقاته التي فيها صفة:

الذكر والأنثى، وصفة الزوجية التكاملية، بحيث كل فرد مخلوق هو زوج بذاته.

وهناك الصفة التناقضية المباشرة، كالتناقض الموجود في الصفات التالية:

الخير	والشر
العدل	الظلم
الأبيض	والأسود
النور	الظلام
الغني	والفقير
الحق	الباطل
العالم	والجاهل

الهدى	الضلال
الكامل	والناقص
الحقيقة	الوهم

وهناك الصفة التناقضية مع التعاقب مثل:

النهار	والليل
الشهيق	والزفير
الحياة	والموت
الصعود	والنزول

وهناك الصفات التناقضية المذمومة بحيث يكون الوسط منها هو الممدوح مثل الكرم هو الوسط بين طرفي التبذير والبخل، والشجاعة هي الوسط بين طرفي التهور والجبن، والعدل هو الوسط بين طرفي المحاباة والمعاداة تحيزاً بالضد. وهكذا فالإسلام هو دين الوسط والسلام في العالم كله.

والله سبحانه منزّه عن كل تلك الزوجيات على اختلاف أنواعها. وهو سبحانه الذي اصطفى آدم من مخلوقاته، وميّزه بميزات خاصة، لم يميز بها باقي تلك المخلوقات فنفخ فيه شيئاً من روحه وذاته سبحانه، ومنحه القدرة على التفكير والنطق على أسس وقواعد بالمنطق والحجة والبرهان، ثم منحه القدرة على الاختيار والاتجاه لأحد الاتجاهين سلباً أو إيجاباً، للشيطان أو للرحمن، مع إمكانية اتخاذ موقف مستقل بذاته، بحيث يستطيع أن يقول نعم بنفس القوة التي يقول بها لا، وبإمكانه الإيمان بالله كما بإمكانه الكفر بالله. وكل من يظن أن هذه كانت ضد مشيئة الله سبحانه يخطىء خطأً جسيماً، لأن كل ذلك تم بقرار سابق من الله سبحانه وتعالى، فهو الذي خلق الإنسان وعنده كل تلك القدرات لغاية لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ولعلمه أيضاً أن الإنسان لوحده سوف يتوه بين كل تلك المتناقضات ولن يستطيع أبداً لوحده اكتشاف السبيل الصحيح الذي فيه نفعه وخيره، أرسل الرسل والأنبياء لكل أمم الأرض من دون استثناء، وما تاريخ البشرية على الأرض إلا سجلاً لصراع الخير والشر متمثلاً في الإنسان. مع أن رسل الله وأنبياءه كانوا يكلّفون دائماً لتوضيح السبيل الصحيح والصراط المستقيم للناس بتشجيع من الخالق.

والمؤمن هو الذي يؤمن بأن الله سبحانه هو الذي يمثل كل الصفات التي وضعناها في

يمين القائمة من الخير والعدل والنور والحق والهدى والحقيقة والعلم إلى آخر أسماء الله وصفاته الحسنى، ويسير بموجب تلك الصفات على الصراط المستقيم مستنيراً برسالات ربّ العالمين، كما فعل الرسول محمد ﷺ والصحابة الكرام حتى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً.

أو أنه يتجه للصفات الموجودة في يسار القائمة من:

الشر والظلم والباطل والضلال وارتكاب الكبائر التي نهى عنه الله سبحانه وتعالى فيكون من المفسدين في الأرض ومن أتباع الشياطين.

أو أنه يؤمن ببعض ويكفر ببعض. أي يؤمن بالله والعلم الخير والعدل والحقيقة مثلاً، ويكفر بكل الأمور التي لاتستطيع حواسه إدراكها، فيسميها كلها أموراً في ماوراء الطبيعة، وينكرها جملة (أي يكفر بها) فلا يؤمن مثلاً باليوم الآخر وبالتالي لايؤمن بالحساب والجنة والنار، ولا بالبعث بعد الموت، وعن هؤلاء يقول سبحانه:

﴿فالذين لايؤمنونَ بالآخرةِ قلوبُهُم مُنكِرَةٌ وهم مُستَكبِرون﴾ ٢٢ ـ النحل.

يصفهم الله ليدلنا عليهم، فهم الذين يستكبرون في الأرض، وينسون أنهم ملاقون ربهم، وأنهم سيُدَسّونَ إلى التراب الذي خرجوا منه أخيراً، والذين لايؤمنون بالآخرة لايستطيعون فهم معاني آيات الله في القرآن الكريم ولو قرؤوها: ﴿وإذا قرأتَ القرآنَ جعلنا بينك وبينَ الذين لايؤمنونَ بالآخرةِ حِجاباً مستوراً﴾ ٤٥ ـ الإسراء. فالكافر من هذا النوع هو الذي يؤمن بالعلم وبالحقائق في هذه الدنيا، وبما يحيطها من كون فسيح مما يقع تحت مجال عقله وحواسه الخمسة لكنه لايستطيع أن يصل إلى حقيقة الرحمن.

وهم العلمانيون الغربيون أصحاب الحضارة الغربية اليوم ومن تبعهم من بلاد المسلمين، وعيبهم أنهم يؤمنون بأن الإنسان قادر لوحده أن يهدي ذاته بشرائعه الخاصة محلّلين ماحرّم الله، ومحرّمين ماحلّل، فيقعون في أخطاء فادحة حتى في حياتهم الدنيوية، مثل: تحليل الإجهاض والفاحشة بأنواعها والقمار والربا والخمور وأكل المحرمات وإباحتها.

ـ فمن هو المشرك إذاً؟

إنه ليس فقط الذي يشرك بالله إلهاً آخر علناً.

وهو ليس فقط الذي لايحب الله والرسول أيضاً.

بل المشرك هو من يقع في خديعة شياطين الإنس الذين يستدرجونه حتى يقبل بالإشراك

بالله شيئاً، ثم يصبح بعد ذلك كل شيء سهلاً بالنسبة لهم، حتى يجعلوا صاحب السلطة شريكاً لله، بمنحه لذاته ولو بطريق غير مباشر حق التشريع للناس بما يشاء، مناقضاً بذلك مشيئة الله التي أوضحها في كتابه وشرعه الذي هو القرآن الكريم. وقبول المشرك بهذا الوضع ولو جهلاً وخديعة لايغفره سبحانه له بل يحرمه من جنتي الدنيا والآخرة، لأن الله سبحانه لايحب الضعفاء والمغفلين الذين لايستخدمون القوة التي منحها لهم ربهم وهو عقلهم الذي عطّلوه عن العمل بإرادتهم فيغضب عليهم غضباً شديداً، أكثر من الذين كفروا به وأنكروه. ومسلمو اليوم إشراكهم في هذا المجال، لأنهم قبلوا خديعة شياطين الإنس بالإشراك بالله كتاباً آخر مع كتابه، وسنة أخرى مع سنته، وهدياً آخر مع هديه، وجعلوا من الرسول الكريم شفيعاً وشريكاً لله في غيب الله، فغضب الله علينا لكل هذه الإشراكات، ولن يرضى عنا حتى نقلع عنها جميعها، ونعود إلى توحيده ليس باللسان فقط بل بالفعل والعمل، ونعود إلى سبيل الله الواحد، بعد أن نترك كل سبل الشياطين، علماً أنه ليس على سبيل الله اليوم أية فئة، ولايمكن إجراء مفاضلة بينهم، لأنهم جميعاً على سبل الشيطان دون تمييز أبداً، وكلها لايقبلها الله، لأنهم يتبعون الأوهام والظنون والأباطيل تاركين حقائق الله ونوره وكتابه القرآن.

إن أفضل مكان نبحث فيه عن الجواب للأسئلة التي تتعلق بالعقيدة والدين الإسلامي هي دائماً في آيات القرآن الكريم.

لنقرأ الآيات التالية من سورة الكهف:

﴿واضرب لهم مثلاً رجلَين جعلنا لأحدهما جنّتَين من أعنابٍ وحفَفناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنّتَين آتت أُكُلها ولم تظلم منه شيئاً وفَجرّنا خلالهما نهراً * وكان له ثمرٌ فقالَ لصاحبِهِ وهو يحاوِرُه أنا أكثرُ منك مالاً وأعزُّ نفراً * ودَخَلَ جنّتَهُ وهو ظالمٌ لنفسِهِ قالَ ما أظنُّ أن تبيدَ هذه أبداً * وما أظنُّ الساعةَ قائمةً ولَئِن رددتُ إلى ربّي لأَجِدَنَّ خيراً منها منقلَباً * قال له صاحبُه وهو يحاورُه أكفرتَ بالذي خلقَكَ من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثمّ سوّاك رجلاً * لكنّا هو الله ربّي ولا أشركُ بربّي أحداً * ولولا إذ دخلتَ جنّتَكَ قلتَ ماشاء الله لا قوةَ إلا بالله إن تَرَنِ أنا أقلّ منك مالاً وولداً فعسى ربّي أن يُؤتينِ خيراً من جنّتِكَ ويُرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زَلَقاً * أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً * وأُحيطَ بثمره فأصبحَ يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاويةٌ على عروشِها ويقول ياليتني لم أشرك بربّي أحداً *﴾ ٣٢ - ٤٢ - الكهف.

عشر آيات من القرآن الكريم تحكي لنا قصة الإشراك بالله. ولفهمها يجب أن نعلم أنّ لله تعالى أسلوباً خاصاً غير أسلوب البشر في التعبير، فليس في الآيات حشوٌ ولا كلمات من أجل اللحن والوزن وجمال النص. فكل كلمة وردت في النص يجب الانتباه لها، ويجب قراءة النص بقوى ملاحِظةٍ خاصة وإلا غاب عنا المعنى، وهذا هو سرُّ آيات القرآن الكريم وسرّ القدرة على فهمها.

أولاً نلاحظ أن ربّ العالمين يحدثنا في أول القصة عن رجل له جنتان وأثناء مجريات القصة تتحول الجنتان إلى جنة واحدة. فيجب أن نعلم ماهو السبب في ذلك، وحتى نكتشف أن الله لايقرر لأي من عباده أي شيء من عنده سلفاً بل الذي يصنع هذا القرار بمشيئة سبقت من الله هو العبد نفسه بأعماله، وهذا المصير يمكن أن يتبدل بتبدّل نفسية العبد، وتغيراتها التي تحصل أيضاً بحرية من العبد، دون تدخّل الله فيها، فيغير أيضاً سبحانه قدراته فيما يتعلق بنفس العبد حسب تغيرات نفسية العبد وأعماله على الأرض، وحتى أوضح ذلك باختصار أقول:

لقد كان الرجل في البداية صالحاً ومؤمناً بالله، بدليل أن الله سبحانه قد قدّر له جنتين إحداهما على الأرض والأخرى في السماء. وكلتا الجنتين أثمرتا ولم تظلم منه شيئاً. والظلم أن تعطي للإنسان أقل مما يستحق، وطالما لم ينقص الله عليه من ثمر الدنيا، صار له أيضاًما يقابل ذلك من ثمر الآخرة عن استحقاق وجدارة نتيجة إيمانه وعمله الصالح في الأرض والقصة رمزية وفيها كلمات رمزية لايمكن فهمها بحرفيتها لذلك يقول تعالى (وفجّرنا خلالهما نهراً) والنهر هنا هو نهر الزمان الجاري بين الجنتَين حتى يصل العبد من واحدة للأخرى. فلو مات العبد على ماكان عليه لوجد ماوعده ربه حقاً في السماء. لكن العبد قبل أن يصل إلى برّ الأمان في رحلة حياته كلها وقبل أن تعود النفس إلى ربها راضية مرضية طرأ على تلك النفس تبدّلات جديدة، بعمل العبد ونيّته وحريّته من دون تدخّلٍ من الله سبحانه. وماهي هذه التبدلات؟

(فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منكَ مالاً وأعزُّ نفراً):

دخل وهم القوة والعزّة والكبرياء إلى نفس العبد الصالح أصلاً، وبما أن الوهم باطل والباطل ظن، فظنّ هذا العبد أن كل ماوصل إليه من نجاح في الدنيا كان بفضلٍ من نفسه وعزته وقوته وامتياز تلك النفس بذاتها على غيرها مثل نفس جاره الذي يحاوره مثلاً وبفضل نفسه عليه وبما أن كل هذه الأمور التي دخلت إلى نفسه أوهام و لا حقيقة لها في الواقع فقد حصل الظلم من نفس العبد لنفسه، وليس من الله سبحانه. فمن

لحظتها تبدّل موقف ربّه معه، فلغى ماكان قد قدر له من جنة في السماء بناء على موقفه وصلاحه الأول. لذلك نجد الله تعالى يقول بعدها في الآية: ﴿ودخل جنّته وهو ظالمٌ لنفسه﴾ علماً أنه سبحانه كان يتكلم في البداية عن جنّتين، فلم يذكر هنا إلا جنّةً واحدة، وهي جنة الإنسان الأولى على الأرض إذا كان العبد من المتقين.

لماذا ألغى الله نصيب العبد من جنة السماء؟

لأنه قد طرأ على إيمانه طارىء فزعزعه وغيّره، وحتى نكون دقيقين يبدأ هذا الطارىء من قول العبد:

قالَ ما أظنّ أن تَبيدَ هذه

إنه في فهم جزء الآية هذه يتوقف فهم أشياء كثيرة عن الإشراك بشكل عام.

نتذكر من آيات الله تعالى الآيات التي تبين أن كل موجود وكل مخلوق تحت الشمس سوف يصيبه الفناء بفعل الزمن، لأن لكل شيء أجلاً مسمى ينتهي بحلوله ذلك الشيء، أو ذلك المخلوق، حتى وإن كان شمساً أو قمراً أو نجماً.

﴿كلُّ مَن عليها فانٍ * ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرام﴾ ٢٦ - ٢٧ - الرحمن.

ولكن الرجل قال منذ البداية بعد أن دخل الشيطان إلى قلبه: ما أظنّ أن تبيدَ هذه.

ومن الجدير بالذكر ملاحظة كلمة الظن، والظن دائماً من الوهم والشيطان، وليس من الله تعالى، فأدخل الشيطان في وهم الرجل أن جنته الأرضية التي هو فيها الآن، ويرى أشجارها وثمارها حقيقةً دامغة تحت بصره ولمسه وحواسه الأخرى، فظن وتوهم أنها لايمكن أن تفنى، بل توهم لها الخلود والبقاء، بينما قرأنا في الآية القرآنية بصراحة تامة أنه لايخلد أي شيء مع الله أبداً. ومن هنا كان باب الدخول للإشراك بالله شيئاً، وهو بستان الرجل، والله تعالى يرفض الإشراك به حتى بالأشياء:

﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكانَ البيت أن لاتُشرِكْ بي شيئاً﴾ ٢٦ - الحج.

﴿واعبدُوا الله ولا تُشرِكُوا به شيئاً﴾ ٣٦ - النساء.

﴿قل تعالوا أتلُ ماحرَّم ربُّكم عليكم أن لاتشركوا بالله شيئاً﴾ ١٥١ - الأنعام.

وجنة الرجل من الأشياء، لكن الله تعالى يرفضها كما رأيتم.

وحتى نعرف باقي التبدلات التي حصلت في نفسية الرجل يجب أن نتابع قراءة الآيات.

قال أيضاً: ﴿ما أظنُّ الساعةَ قائمة﴾.
دخل أيضاً في مجال الكفر فكفر بالإيمان بالساعة، ولم يعد يؤمن بإمكانية حصولها لسيطرة وهم الواقع على عقله، فلغى إيمانه السابق باليوم الآخر.
وهذا كفر بما قال الله له في القرآن على أنه يقين حاصل لابد من الإيمان به:
﴿إنّما توعدونَ لَواقِعٌ﴾ ٧ ـ المرسلات.
﴿إنما توعدون لَصادِقٌ * وإنّ الدّينَ لَواقِعٌ﴾ ٦ ـ الذاريات.
أي لامجال للشك في الساعة وفي الآخرة بحسب وعد الله القاطع فمن يؤمن بالله حقاً يجب أن يؤمن بما قاله حتماً وإلا فقد كفر.
لذا نجد صاحبه عندما يحاوره لايقول له إنك قد أشركت:
﴿قال له صاحبهُ وهو يحاوِرُهُ أكفرتَ بالذي خلقَكَ من ترابٍ ثمّ من نطفةٍ ثم سوّاك رجلا﴾.
أي أن الرجل يقول له: كيف تكفر وتظن من نفسك الأمارة بالسوء أن الله سبحانه الذي خلقك ولم تكن شيئاً إلا من تراب ثم أعاد خلقك من بعد ذلك من نطفة كانت في ظهر أبيك، ثم جعل من تلك النطفة التي لاتُرى بالعين لضعفها ولصغرها فخلقك منها رجلاً سوياً ـ كاملاً وقوياً ـ هل نسيت كل ذلك وكل قدرات الله تلك؛ ثم دخل إلى وهمك أن الله سوف يعجز أن يخلقك مرة أخرى ويأتي بك إلى يوم الدين ويوم الحساب مع كل العالمين؟
ألم يكن من الأفضل لك لو دخلت إلى جنتك الأرضية وقلت: ماشاء الله فيما رزقني وأعطاني؟ فالحول والقوة لله وحده، وليس لأحد من عباده، وما أنا إلا ذرة في ملكوت الله العظيم ولا أقدر على شيء إلا إن تغمدني الله برحمته ومغفرة منه.
وفي نهاية القصة يدمر الله سبحانه حتى جنته الأرضية أيضاً. فيخسرها، مع أنه ظن قبل قليل أنها خالدة مع الله سبحانه وتعالى، فدمَّرها له الله وهو ينظر، وأصبحت خاوية على عروشها. فيندم العبد ساعةَ لاينفع الندم، ويقول:
﴿ياليتَني لم أُشرِك بربّي أحدا﴾.
هذه القصة في سورة الكهف المؤلفة من عشر آيات بينات، لن يفهمها إنسان يؤمن بوجود كتاب آخر مع كتاب الله، لأنه إذا لجأ إلى أي كتاب آخر غير القرآن مثل كتاب تفسير للقرآن أو لأي أحاديث لما استطاع أن يفهمها أبداً. كل من يحاول أن يفهمها من القرآن مباشرة فإنّ الله تعالى سوف يعطيه الفهم على قدر سعيه وسوف يفهم مالم يكن مفهوماً

بالأمس وربما اليوم وربما غداً، وعلى العبد الصالح المؤمن أن يسعى إلى ربّه دائماً وأبداً.
وهكذا بعد أن فهمنا من هو المشرك بحسب آيات الله في القرآن الكريم نعود للبحث عن مصادر الحق والنور والعدل للمسلم، ثم كيف يقع نفس المسلم بفتنة من شياطين الإنس بالإشراك نتيجة قبوله مصادر للوهم بدل المصدر الأصلي فيقول عن الخيال حقيقةً، وعن الحلم واقعاً. فهل في قولنا مثلاً:
- إن القرآن الكريم مصدر للعلم والحقيقة والمعرفة للحقائق كلها مبالغة؟
وماذا نعني بهذا القول أساساً؟:
نعني أن كل مافيه من أنباء وعلوم. يتحدث عنها الله سبحانه، كلها يقين وواقع، وليس فيها مجال للظن أو الوهم أو الخيال أو الاحتمال أو الشك، مع أنها أمور مستقبلية لازالت في غيب الله وحده. لكن الله يقول الحق والصدق دائماً.
﴿إذا وقعَت الواقعة. ليس لوقعَتِها كاذبة﴾ ١ - الواقعة.
﴿إنّما توعدونَ لَصادِقٌ - وإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٦ - الذاريات.
أي أن يوم البعث والحساب أمر لابد واقع، وهو يقين كامل، وحقيقة لامجال للشك فيها.
﴿إنّ عذابَ ربّك لَواقِعٌ﴾ ٧ - الطور.
كذلك يؤكد رب العالمين أن ناره وعذابه وجحيمه يقين كامل لاحتمال في عدم وقوعه.
إذاً فالمسلم الذي يؤمن بالله والرسول ويحبهما ويصلي ويزكي ويصوم رمضان ويحج إلى البيت، إذا آمن بالقرآن وحده كتاباً لله ومصدراً للعلم والشريعة والنور والهداية؛ فقد هدي بهدي الله سبحانه وهو المؤمن الصحيح، وهو على سبيل ربه طالما يطبّق نصوص القرآن ويسير على صراط الله مطبقاً وصايا الرحمن ومبتعداً عن الكبائر العشرة.
ونفس المسلم الذي يقوم بكل العبادات كما أُمِرَ بها ولكنه آمن بما سمعه من شيخه أو أبيه أو جدّه أن هناك كتاباً آخر مع كتاب الله هو كتاب صحيح البخاري مثلاً فصدق أن كل الروايات والأحاديث الموجودة في ذلك الكتاب هي من أقوال الرسول محمد ﷺ وهي صحيحة وواجبة الإتباع كما هو القرآن تماماً، لأن كليهما من الله ووحيٌ سماويٌ بحسب إجماع علماء السنة السابقين واللاحقين. ويجب على كل مسلم السير بموجبها، ماذا حصل لذلك المسلم؟: إنه أشرك بالله شيئاً ليس من عنده.
سوف أبرهن في هذا الكتاب أن كل الأحاديث على الإطلاق تقول دائماً الشيء وعكسه. أي

بمعنى آخر إذا سألنا القرآن: إلى أين نتجه إذا أردنا أن نذهب من النقطة أ إلى النقطة ب فيأتينا جواب القرآن دائماً بجواب واحد لايتغير أبداً (أي لانقيض له) اتجه إلى اليمين ـ مثلاً ـ ولن نجد في القرآن كلها آية تقول ـ مثلاً ـ اتجه إلى اليسار أبداً جواباً لنفس السؤال الذي سبق للقرآن وأعطى رأيه فيه. أما إذا سألنا صحيح البخاري أو مسلم (الذي هو أيضاً من عند الله بحسب إجماع علماء السنة). يأتينا الجواب: إلى اليمين في أحاديث وإلى اليسار في أحاديث أخرى.

وإذا تساءل المسلم الآن: ماهو سرّ هذه الازدواجية الدائمة في الأحاديث كلها بحيث تجد دائماً الشيء ونقيضه معه؟ عندها نقول للمتسائل:

السلطان كان يستخدم الأحاديث وعلماء الحديث ورجال الدين أصلاً من أجل إقناع الشعب الذي هو الرأي العام عنده بوجهة نظره دائماً، فكل هؤلاء كانوا يعملون للسلطان بأجرٍ موضوع يقابل خدماتهم المطلوبة، فعليهم تنفيذ الأوامر (لذلك سميناهم في هذا الكتاب بجنود السلطان) لأنهم يتلقون الأوامر وعليهم الطاعة الدائمة لتلك الأوامر مهما كانت.

ومن كان يتخيل أنهم كانوا أحراراً في أن يقولوا مايشاؤون وفيما يعتقدون أنه الحق فهو واهم، لأن السلطان لم يكن يبحث عن الحق والحقائق بل عن مصلحته والمصالح التي يريد تحقيقها فيما بعد، وكلها تتبع أهواءَهُ ورغباتِهِ وشهواتِهِ وشيطانَ نفسِهِ الأمارة بالسوء. فعندما يشاء السلطان وبحسب مصلحته الذاتية التابعة لوجهة نظره وحدها دائماً أن يقول للناس (لليمين) يستخدم جنوده الأحاديث التي تقول (لليمين).

وإذا حدث وتغيرت مصلحة السلطان بعد ذلك لسبب من الأسباب فأحب أن يغير وجهة نظره السابقة بوجهة نظر مناقضة للأولى. استخدم جنوده الأحاديث التي تقول (لليسار) فلا يكون السلطان في أي وقت في حرج أمام شعبه ليقرر مايشاء، فهو كما قلنا قد ألَّه نفسه على الأرض وهو كما رأيتم بوضوح في هذا المثال غير ملزم أبداً بأن لايفعل مايبدو له بحسب تقلّبات مزاجه وهواه. فعلى جنوده دائماً تبرير موقفه والإفتاء له بحسب الأحاديث التي فيها الشيء وعكسه دائماً.

وإذا انتبهنا لخطورة هذا الموضوع فإنه يعني بأن السلطان الإسلامي بحسب شرع الحديث لايحدّ سلطته المطلقة قانون ولا دستور، سماوياً كان أو أرضياً على الإطلاق. فالقانون والدستور المطبق عنده هو هواه ومشيئته وشهواته ورغباته مع تقلباتها.

فهل هناك ألوهية في الأرض أكبر وأقوى من ذلك؟

والقرآن الكريم كله علم وعلوم وحقائق في قسم القرآن الذي فيه الأنباء (قسم النبوّة) أما

في قسم أم الكتاب الذي يحوي رسالة محمد ﷺ ففيها الشرائع والأحكام والعبادات والحدود، والحرام والحلال والصراط المستقيم (أي الكبائر) وهذا هو (قسم الرسالة).
والسلطان عن طريق علماء السوء من جنوده الأوفياء استطاع أن يحصن نفسه ضد شعبه وأمته، بحيث يكون عند مساعديه جوابٌ لكل شيء. مثلاً الشعب الذي قهره الظلم الشديد من السلطان وتسلطه على رقاب الناس، وأخذه كل شيء لنفسه مع حرمان شعبه لقمة الخبز، حتى هذه حسب لها جنوده الحساب، ولكن كيف:
الحديث (١٨٣٦) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«عليكَ السمعُ والطاعةُ في عُسرك ويُسرك. ومَنْشطك ومَكرهك وَأَثْرَةٍ عليك» وسوف ألجأ لشرح الحديث إلى حاشية صحيح مسلم: (وأَثَرة) بفتح الهمزة والثاء. ويقال بضم الهمزة وإسكان الثاء وبكسر الهمزة وإسكان الثاء ثلاث لغات حكاهن في المشارق وغيره.
وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم. أي اسمعوا وأطيعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم.
هل رأيتم إلى ماذا يسعى السلطان وجنوده من كل تلك الأحاديث؟ إنه الصبر والطاعة في جميع الظروف. أجر المسلم على الله في السماء. أما إذا درسنا الحديث لما وجدنا فيه علماً أصلاً. لأن معنى العلم هو أن تأتي بخبر يقيني.
مثلاً: رجل يريد أن يقوم غداً بجولة في الطبيعة وبين الغابات، وسَألَنا مارأيكم هل ستُمطر غداً؟
فإذا كان جوابنا للرجل: نعم. يمكن أن تمطر ويمكن أن لاتمطر، ففي الحقيقة نكون قد أجبنا الرجل بكلام، ولكن إذا دققنا في الكلام وفي المعنى لوجدنا أن جوابنا له كان كلاماً فارغاً من أي محتوى، ولم نقدم للرجل أيّ علم ولا أي معلومات. وهو قبل أن يسألنا كان في نفس الموقف ولايعلم إذا كانت سوف تمطر أو لن تمطر. وموقف الحديث دائماً هو هذا الموقف، ووضعت أصلاً من أجل الإفتاء للسلطان. ولكن الحديث فيه معلومات أحياناً وأخبار موضوعة أيضاً بشكل يُناقض القرآن الكريم لتقلب العقيدة الإسلامية كلّها، وقد بينتُها في أماكنها من هذا الكتاب. اتقاء لشرّها. وحتى لايكون المثال الذي ضربته بلا شواهد وبراهين فسوف آتي ببعض الشواهد من الأحاديث طبعاً من الصحيحين فقط رغم أننا لازلنا في المقدمة.
الحديث (٥٢٣٣) في صحيح البخاري: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:
«ولايخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يارسول الله، إن امرأتي

خرجت حاجّةً واكتَتَبتُ في غزوةٍ كذا وكذا. فقال (رسول الله): «ارجع فحجّ مع امرأتك» (حتى لايخلو أحد بزوجة الرجل أثناء غيابه).

الحديث (٥٢٣٤) في صحيح البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ: فخلا بها (الرسول) فقال لها:

«والله إنكنّ لأحبُّ الناسِ إليّ»، تصوروا هذا حديث في صحيح البخاري، والراوي يحاول أن يشكك بالنبي ﷺ وبأخلاقه، وبأنه كان ينهى عن شيء ويفعل عكسه ويحاول أن يختلي بالنساء ويغازلهن قائلاً: «والله إنكنّ لأحبّ الناس إلي»، ولكن هكذا كانت مشيئة السلطان.

الحديث (١٤٠٩) في صحيح البخاري: عن عثمان بن عفان، إن رسول الله ﷺ قال: «لايَنكِحُ المُحْرِمُ ولا يُنكَح ولا يخطُبُ».

بينما نجد عكسه تماماً في الحديث (١٤١٠) في صحيح مسلم والحديث (١٨٣٧) في صحيح البخاري: عن ابن عباس أخبره أن النبي ﷺ:

«تزوج ميمونة وهو مُحرِم»، أي فعلها الرسول بعد أن نهى عنها غيره.

الحديث (١٢٣٧) في صحيح البخاري ـ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا واصل الأحدب. عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أتاني آتٍ من ربّي فأخبرني أنه من مات من أمتي لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة». قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق».

هذا الحديث مذكور في صحيح البخاري في تسعة أحاديث وأماكن مختلفة من الكتاب.

ثم إليكم الحديث الذي يناقضه تماماً وهو:

الحديث (١٢٤٣) في صحيح البخاري: عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء ـ امرأة من الأنصار بايعت النبي ـ أخبرته. (اختصر الحديث حتى لا أطيل) فقالت عن رجل مات فزكته قائلة:

«رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله».

فقال النبي ﷺ:

«ومايدريك أن الله أكرمه؟» فقلت بأبي أنت يارسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال عليه

السلام: «أما هو فقد جاؤه اليقين. والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري. وأنا رسول الله ـ مايُفْعَلُ بي». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً. (الرسول في هذا الحديث يعترف بأنه لايعلم ما الله صانعٌ به، فكيف يعلم مَنْ مِنَ المسلمين سوف يدخل الجنة؟).

وكما رأينا فإن الحديث صار مجالاً واسعاً لإدخال الوهم إلى عقيدة الله التي لاوهم فيها أبداً. فصارت العقيدة ثنائية، حيث ضاعت الحقيقة بالوهم الذي أضيفت إليه، ومن هنا حصل الإشراك بالله في العقيدة الإسلامية وذلك بإدخال الوهم إليه بشكل دائم ومستمر.

وعلى هذا الأساس فأغلب مسلمي اليوم الذين لايزالون يصرّون ويقولون: إن الأحاديث المناقضة لآيات الله في الصحيحين وفي غيرهما من مصادر الحديث؛ ويجعلونها مصادر للحق والشرع؛ يشركون بالله وإن كانوا لايعلمون حقيقة أشراكهم.

ولعلم الله أن مثل هذا الأمر سهل الوقوع، إذا لم يتحرص المسلم والمؤمن يقول سبحانه: ﴿ومايؤمنُ أكثرُهم باللّهِ إلّا وهُم مُشرِكون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

وأي وهم في دين المؤمن ـ ومن الوهم الظن سواء كان مصدره من الحديث أو من أي مصدر آخر للأوهام والظنون ـ يدخله إلى مجال الشرك بالله؟! لذلك ضربت على ذلك مثالاً لما قاله المفكر الانكليزي (فرانسيس بيكون) عن مصادر الوهم والظن عند الإنسان، وذكرت منها عاملين هامين كانا موجودين قبل الإسلام في الجاهلية وهما:

الشِعْر: بما يحمله من أوهام ومبالغات وخيالات لا أصل لها.

والقبيلة: ماتزرعه في الإنسان القبلي من عادات وتقاليد وأعراف غير قابلة للتعديل مع الزمن، وكل شيء لايتعدل مع الزمن إشراك بالله الذي لاتأثير للزمن عليه.

وتحدثت كيف أن بعض أصحاب السلطة في العصور الإسلامية أعادوا للمسلمين عقلية الشِّعر مع العقلية القبلية معاً بعد أن سحبوا بالتدريج من أيدي الناس النص المقدس لآيات الله في القرآن الكريم، وكان ذلك سهلاً عليهم لعدم انتشار الطباعة في أيامهم.

وكما أجبروا كل الناس بالتدريج أيضاً على تفسير آيات الله وتأويلها بالاستناد إلى ما لديهم من نصوص أخرى، زعموا أن لها نفس القدسية ونفس القيمة من حيث كونها وحياً آخر من الله تعالى.

وكان الرسول الكريم وصحبه خاصة الخلفاء الأربعة الراشدين حريصين ومنتبهين على عدم عودة الناس للإشراك من جديد بعد الجاهلية القديمة، فنهى هو وأصحابه نهياً

شديداً عن كتابة أحاديثه وحتى عن روايتها، كما أثبت ذلك في بحث كامل في الكتاب الأول إنذار من السماء.

لكن بعض أصحاب السلطة حاولوا شراء الضمائر الضعيفة من علماء السوء بشتى الوسائل، فنجحوا بتجنيد الكثيرين منهم، وكان من بينهم كثير من المنافقين والحساد الذين أعلنوا إسلامهم فقط من أجل الإساءة له وللدين وتخريبه من الداخل دون داع للهجوم عليه من الخارج، حتى أعلن كثير معهم أن حديث الرسول ﷺ هو وحي ثان من الله يجب على كل مسلم الإيمان به، وسموه كتاب الحكمة، محرفين معناه عن آيات قرآنية لاتقصد به أي حديث أو سنة للرسول الأمين الذي بلغ الوحي كله كاملاً. وقد دخل هذا الوهم إلى عقيدة كثير من أفضل المؤمنين بالله، فظنوا كما كانوا يسمعون أن الإجماع معصوم من الخطأ، فظن حتى هؤلاء أن إجماع الأمة لايمكن أن يتم على خطأ أبداً فقالوا مثل غيرهم كما حصل مع الشيخين من كبار المصلحين الدينيين في عصريهما، وهما الإمامان ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية الذي يقول: (فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيَيْن وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة).

وقال تعالى: ﴿وأنزلَ الله عليك الكتابَ والحكمة﴾ ١١٣ ـ النساء.

الكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الربّ تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لاينكره. إلا من ليس منهم(*).

فخلقوا بذلك عند المسلمين كتابين. مشركين بكتاب الله كتاباً آخر لم يرسله الله ولم يقله وكما لم يقبله الرسول ﷺ أصلاً، ولكن هوى النفس التي تصغي للشيطان تفعل كل شيء وتحلل المحرم. وأدرِجَ المسلمون على هذا الخطأ المقصود، كما أدرج أهل الكتاب من بعد عيسى بن مريم عليه السلام على أن يقول رجال دينهم أيضاً عن رسولهم غير الحق، متبعين رغباتِ السلاطين من قياصرة روما الذين كانوا يجبرونهم على الاجتماع والإقرار بتأليه المسيح ظلماً من عند أنفسهم:

﴿إنّ اللّهَ لايغفرُ أن يُشركَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء﴾ ٤٨ ـ النساء.

وكذلك فعل رجال الدين الإسلامي ـ الذين غرتّهم الدنيا فقبلوا أن يتطوعوا جنوداً

(*) من كتاب الروح صفحة ١٣١ المسألة الثامنة طبع دار الكتاب العربي ١٩٩٤.

لخدمة السلطان، فأشرك المسلمون على أيديهم بالتدريج بما اكتتب رواة الحديث من الأحاديث، رغم نهي الرسول الكريم عن ذلك نهياً شديداً ومتكرراً. نذكر منه ماورد في الصحيحين: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال:

«لاتكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه».

وماورد أيضاً في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال:

«خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ماهذا الذي تكتبون قلنا أحاديث نسمعها منك. قال: أكتاب مع كتاب الله؟ أتدرون؟ ماضلّت الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى».

وقد ظهر في عصرنا إنسان حاقد وضال، مثل سلمان رشدي فنفث سموم حقده في كتاب يطعن فيه بالإسلام وفي نصوصه وبرسول الإسلام وشرفه وشرف نسائه أمهات المؤمنين. فوقف له كل المسلمين وقفة حازمة ألزموه حدّه، ولكن نسينا وتناسينا الآلاف من أمثال سلمان رشدي من الذين نفثوا سمومهم في الإسلام وهم يجلسون في حضن الإسلام ورعايته وعنايته، وهم يتنعمون بأموال وحقوق المسلمين ويسمون أنفسهم بعلماء الحديث وعلماء المسلمين، وأدخلوا للإسلام وكتبوا عن الرسول ونسائه أشياء تقشعر لها الأبدان، وهي موجودة في آلاف الأحاديث التي نسميها نحن المسلمين اليوم بألسنتنا أنها من الأحاديث النبوية الشريفة، وسوف اكتفي في هذا الكتاب بذكر ماورد منها في الصحيحين فقط، وأغلبها تتحدث عن الرسول، كيف كان ينام على فخذ عائشة وكيف كان يقرأ القرآن وهو في حضنها وهي حائض وكيف كان يقبّلها وهو صائم، وكيف كان يباشر نساءه في الحيض. ثم كيف كان يباشر نساءه في الليل والنهار وهن إحدى عشرة وفي كل ساعة له دورة كاملة من دون توقف لا في الليل ولا في النهار، وكأنه قد انقلب إلى وحش جنسي متحرك. وكلام كثير وكثير من هذا النوع لايجوز ولا يليق أن نتناقله أو نتحدث به عن الرسول ﷺ وعن زوجاته الكريمات حرمةً للرسول ولأهل بيته، طالما حجب الله عنا زوجاته فيجب علينا أدباً أن نحتشم ونحجب نحن أيضاً عرضه وعورته مع عورات نسائه عن لساننا، ونتوقف عن رواية هذا الكلام السخيف الذي نجده في الصحيحين، فكيف بالذي لم يرض عنه الشيخان أن يقبلاه من ٩٩٪ من الأحاديث الموجودة الآن وإن كانت لم تسجل في صحيح البخاري ومسلم، ولو اطلعنا عليها لوجدنا فيها الأعاجيب باسم الدين، وكله تحت شعار (لاحياء في الدين)، وأنَّ غاية المحدّث هي تعليم المسلمين السنة الصحيحة

وتحت شعار الحديث: إنما الأعمال بالنيات، ونيتي كانت خدمة الإسلام، وسوف أضرب أمثلة على كل ذلك في هذا الكتاب، ولن أترك أحداً ليتقول عليّ بأني أقول ما لا أعرف، أبداً فكل شيء لابد له من دليل، والكلام بلا دليل لاوزن له ولا قيمة. وقد نسي كل المغرضون أو تناسوا أن الحياء في الإيمان. وكان الرسول الكريم يوصف بالحياء من شدة إيمانه.

وما أحاوله الآن في هذا الكتاب ماهو إلا محاولة لإعادة صورة الحقيقة ولأبين كيف وقع الناس في الأخطاء الفاحشة في ذلك الزمان المبكر من الإسلام، مما أثر على مستقبل الدين وعقيدة المسلمين، وبقي تأثيره السيء فاعلاً حتى الآن. وحتى لا أخلق بيني وبين القارىء أي جيوب محتملة قد تسبب عدم ترافقنا في تفهم فقرات الكتاب فسوف أستعين دائماً بالأمثلة، حتى لايبتعد بتفكيره عن المعنى الذي أقصده تماماً. فعندما أتكلم عن القرآن إنما أتكلم عن اعتماده أسلوب الفهم العلمي. مثلاً عندما يتكلم الله عن الشيطان في القرآن، يتكلم عن الوجود الحقيقي له وتأثيره الحقيقي على الإنسان. والشيطان بحسب القرآن إما من الجن وإما من الإنس، وأعلمنا الله عن شيطان الجن أن له القدرة على رؤيتنا، ولكن ليس لنا القدرة على رؤيته، بينما نجد الحديث عندما يتكلم عن العفريت أو الشيطان يتكلم عنه كلاماً وهمياً لاوجود له في الحقيقة.

مثلاً الحديث رقم (٥٠٩) من صحيح البخاري: عن أبو سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

نجد هذا الحديث مصدراً للأوهام، حتى يتخيل المسلم الذي يصلي ويظن أن الرجل الذي مرّمن أمامه خطأً هو شيطان وهمي في شكل آدمي، فيتعارك مع المسلم الذي كان يصلي لله ـ وغاية الذي افترى الحديث واضحة، هو جعل المسلمين يتقاتلون على أمور تافهة بدل التراحم والتوادد المطلوبين. وكما نجد عندنا في صحيح البخاري ـ مثلاً ـ باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل في الليل.

وباب: إذا نام (المسلم) ولم يصلّ، بال الشيطان في أذنه.

وأن المصلي إذا صلى في المسجد وترك فراغاً (فاصلاً بين قدميه وقدمي جاره وقف الشيطان بينهما)، فنجد كل المسلمين في صلاة الجمعة يحاولون أن يفرجوا قدر الإمكان بين أقدامهم حتى يمنعوا وقوف الشيطان ولايجعلوا له مكاناً.

ملايين من مثل هذه الأوهام تعشعش في عقول المسلمين نتيجة عقلية الحديث الوهمية،

بينما هذه الصور غير موجودة في القرآن على الإطلاق.

وكذلك كل خيالات الناس عن عذاب القبر، وتخيل الناس في القبور وهم يعذبون من أحاديث يسمعونها في صحيح البخاري ومسلم، وأن الميت يسمع في قبره أصوات نعال الناس. وأنه يسمع السلام ويردّ السلام. وإلى آخر هذه الأوهام التي لاوجود لها إلا في مثل هذه الأحاديث، حتى يصبح المسلم إنساناً كلّ مافي رأسه مجرد أوهام وأحلام، ولا وجود للحقائق فيها، وينظر المسلم للعلوم نظرة استخفاف بأنها علوم، العلم بها لاينفع والجهل بها لايضر، وإذا التفتنا إلى القرآن نجد العكس تماماً:

﴿أفلا يتدبّرون القرآنَ ولو كانَ من عندِ غيرِ اللّهِ لَوَجَدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن على لسان رسوله:

﴿وأُوحي إليّ هذا القرآن لِأُنذِرَكُم به ومَنْ بَلَغ﴾ ١٩ ـ الأنعام.

ولم يقل أبداً وأوحي إليّ صحيح البخاري أو صحيح مسلم!..

وقال سبحانه:

﴿لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعاً متصدّعاً من خشيةِ اللّه﴾ ٢١ ـ الحشر.

وهكذا فالحقيقة واضحة دائماً لمن يسعى لمعرفة الحقائق، ولكن الحقائق لن تسعى للإنسان إذا اختار بنفسه الأوهام واتبعها تبرعاً من نفسه، أو إضْلالاً من غيره عن قصد وغاية. والإنسان الذي يصبح تفكيره علمياً ـ كما تدعو إليه آيات الله في القرآن ـ حتى ولو سمع الحديث الذي يقول لاتتركوا فرجاً بينكم في الصلاة حتى لايكون للشيطان مكان بينكم، يفهمها بالأسلوب العلمي، أي أن لايقف المسلم في المسجد محاولاً إبعاد الناس عنه تكبراً، فلا يريد أن يلمسه هذا الفقير أو ذاك المسكين، فيدخل في نفسه الكبر وسوسةً من شيطان نفسه، حيث هو مجال التدخل الحقيقي للشيطان، وليس في الفرجة المكانية بين قدمه وقدم جاره، ومن يكون القرآن كتابه الوحيد يصبح أسلوب تفكيره هو الأسلوب العلمي مبتعداً عن أسلوب الأوهام والظنون والخرافات.

ومن مصلحة أعداء المسلمين أن نبقى طبعاً على معتقداتنا الخاطئة حتى يبقى وضع المسلمين الحالي على ماهو عليه الآن من ضعف عام لكل المسلمين، وكذلك كل المعتقدات الدينية التي منبعها الحديث وكلها تدعو إلى الأوهام، وهي أخطرها على الإنسان وأن تأثير حديث واحد مثل الحديث التالي:

الحديث (٦٥٩٤) من صحيح البخاري: عن عبد الله (هكذا ورد في صحيح البخاري لاكنية له) (وفي صحيح مسلم أيضاً لاكنية له).

قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

قال: «إن أحدكم يجمع في بطنِ أمه... إلى أن قال: ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد. فوالله إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب (أي ماسبق وكتب عليه وهو لايزال في بطن أمه وقرّره الله سلفاً له من دون خيار للعبد فيه) فيعمل بعمل أهل الجنة (أي يجعله الله يقوم بذلك العمل من دون وعي منه أو تفكير أو تخطيط حتى تكون سبباً له لدخول الجنة) فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة (في حياته كلها ويكون مثال الصدق ومثال الإيمان ومثال المؤمن الصالح المستقيم) حتى مايكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

هذا الحديث كان أقوى من قوة ألف قنبلة هدروجينية، تدميراً في قواعد الإسلام. لأنه عطّل دين الإسلام لأكثر من ألف وأربعمائةٍ من السنين، وجعله ديناً يؤمن بالأوهام، ولايؤمن بالعلم والعمل ـ وهذا الحديث يناقض كل ما أتى به الرسول في رسالة الإسلام. ثم نقول لماذا؟ ولماذا؟ ولا نعرف أن مصدر المصائب منصوب عندنا ونحن نرقص له ونغني وننشد له الأناشيد.

ولو كان الله سبحانه وتعالى قد قدّر سلفاً من سوف يدخل الجنة ومن الذي سوف يدخل النار فلماذا أتعب سبحانه نفسه وأرسل مئات من الرسل لهداية البشر؟ حتى لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها رسولها. إنّ هذا يتناقض مع كل ماقاله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم مناقضةً تامة. وبما أن المسلمين آمنوا بالحديث واعتبروا كتاب الحكمة هو الوحي الثاني الذي نطقه الرسول مع أن أغلبها موضوع ومؤلف كذباً على الرسول ﷺ ثم اعتبروه أساساً في فهم الإسلام ودين الرحمن. تأثرنا جميعنا بذلك أكثر من تأثرنا بالقرآن، اعترفنا بذلك أم لم نعترف فهي الحقيقة، بدليل أن كل معتقداتنا الدينية أساسها من الحديث وليس من القرآن، علماً أنه لا وجود لها في كتابنا الكريم. مثل الأمور التي ذكرتها قبل قليل. كما أن الجهل بكلمات القرآن خاصة من علماء المسلمين الذين اعتمد علمهم على التوراة والإنجيل والتلمود من كتب أهل الكتاب المحرّفة ولم يقرؤوا القرآن قراءة تفصيلية أو مانسميه اليوم بالدراسة أو البحث في آيات

الله. فلم يعرفوا أسرار القرآن وظلت غامضة بالنسبة لهم جميعاً، ولم يكتشفوا أسرار كلمات الله في القرآن. مثلاً:

كلمة الروح أخذها رجال الدين من التوراة وظنوا أن للإنسان روحاً، بينما لو عادوا إلى آيات القرآن لاكتشفوا أن الله لم يذكر للإنسان روحاً أبداً، بل وجدنا كلمة أخرى مكانها وهي النفس. والروح المذكورة في القرآن الكريم لاعلاقة لها بذلك على الإطلاق.

والمثال الثاني: كلمة المطر. فعلماء المسلمين كلهم يتحدثون عن المطر باسم الرسول ﷺ ولم يعلموا أن الله سبحانه لم يستخدم كلمة المطر في القرآن إلا كغضب على بني البشر. واستخدم بدلاً عنها كلمة الغيث إذا كان للخير وكان رزقاً للناس.

وكذلك مثلاً كلمة التوراة، كل المسلمين اليوم يعتقدون خطأ بأن التوراة هو الكتاب الذي نزل على موسى عليه السلام علماً لو بحثوا في القرآن الكريم. لما قالوا ذلك أبداً. بينما كل الأحاديث تذكر أن التوراة هو الكتاب الذي نزل على موسى فصدقوا الأحاديث وتركوا القرآن الذي يقول عنه دائماً كتاب موسى ولم يقل عنه التوراة أبداً.

والحقيقة أن كتاب موسى بحسب كتب اليهود القديمة يشكل حالياً الأسفار الخمسة الأولى بحسب رأي أهل الكتاب والتوراة القديمة فيها ٣٩ سفراً، وكتاب موسى يساوي خمسة من أربعة وثلاثين جزءاً من التوراة، لكن نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم عن كتاب موسى: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾ ١٢-الأحقاف. وهذا يبين الحقيقة الضائعة على أهل الكتاب وأهل السنة، لأن كتاب موسى هو فقط سفر واحد، هو سفر الشريعة، وكان يتصدر التوراة، وقد ذكره (ول ديورانت) في قصة الحضارة. وهو حالياً غير موجود في التوراة الحالية - وقد شرحت ذلك في موضع آخر في الكتاب.

فوضع كتاب موسى في الكتاب كله يشبه وضع الإمام الذي يتقدم الأسفار التي تأتي من بعده. ومن هنا نفهم لماذا شبّه الله كتاب موسى بالإمام. ولا أنكر أني سألت كثيراً من الذين يعتبرون أنفسهم من علماء الإسلام فعجزوا عن معرفة كل ماذكرته الآن، وكلهم يعتقدون أن التوراة كتاب موسى بالكامل. فهل هذا مقبول من العلماء؟

وحتى نعلم أن الذي ورد في الأحاديث لايمكن اعتباره علماً ولا مصدراً للمعلومات لعدم وجود اليقين فيه ولتناقضه الدائم فتبقى معلومات هذه الأحاديث ظنية دائماً، وحتى نتبين ذلك بصورة أوضح سوف أضرب لذلك مثلاً: من باب الصلوات، لأنه المجال الذي لم يلعب فيه جنود السلطان كثيراً: الحديث (١١) المسلسل (٨) من صحيح مسلم (باب بيان

الصلوات) قال: جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد ثائر الرأس (منفوش الشعر) نسمع دوي صوته ولانفقه مايقول. حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ «خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل علي غيرهن قال لا. إلا إن تطوع وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل علي غيرها فقال: لا إلا إن تطوع» (وهكذا حتى ذكر له شروط الإسلام) قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق». وحتى لا أطيل عليكم المثال سأكتفي فقط لأبين الاختلاف الذي حصل في الكلمتين الأخيرتين من هذه الرواية واختلافها عن باقي الروايات الموجودة أيضاً في صحيح مسلم مسلسلة بالأرقام، وذلك نتيجة اعتماد متن الحديث على الرواية وعلى ذاكرة الرواة وعلى أمانتهم، وتدخل عوامل أخرى كثيرة وهذا طبيعي، إنهم بشر.

مثلاً في المسلسل (٩) نجد (دخل الجنة، وأبيه إن صدق).

وفي المسلسل (١٠) نجد (لئن صدق ليدخلن الجنة).

وفي المسلسل (١٢) نجد (لقد وفق ـ أو ـ لقد هدي).

وفي المسلسل (١٤) نجد (إن تمسك بما أمر به ـ دخل الجنة).

وفي المسلسل (١٥) نجد (من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا).

وفي المسلسل (١٦) نجد (قال: أأدخل الجنة؟ فقال له الرسول: نعم).

والآن إذا سألنا أغلب المسلمين: أين الصحيح في كل هذه الصحاح لما استطاع أغلبهم إلا أن يقول: إنها كلها صحيحة، لوهمهم أن الخطأ والكذب في تلك الصحاح غير وارد، لاعتقادهم أنها جميعاً وحي من السماء. علماً أن تناقضها مع آيات الله دليل قاطع على أنها ليست من السماء.

مثلاً الروايات التي تجمع وتقول: إن القول باللسان كاف لدخول العبد إلى الجنة من إحداها، لأن للدخول إلى الجنة بحسب آيات الله لها شروطاً ثلاثة دائمة، لا تتغيرفي كتاب الله ولا تناقض بعضها، وهي:

أولاً: شرط الإيمان بالله، وهي تستلزم كل العبادات معها وإلا لم يكن إيماناً.

ثانياً: الإيمان بيوم البعث.

ثالثاً: القيام بعمل صالح مصلح في الأرض.

والعمل الصالح ليس له علاقة بالعبادات كما برهنت ذلك باستخدام نصوص الآيات القرآنية. لكن هذه الشروط كلها تتداخل في بعضها وتختفي أحياناً في الوحي الثاني المدّعى لله تعالى ظلماً وعدواناً.

وقد قلت مراراً إن الإمامين البخاري ومسلم عمدا إلى وضع الأحاديث مع نقائضها في صحيحهما كإشارة للمسلمين على وجود التناقض في الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم. لكن علماء السوء - كما بينت - استخدموا حتى ذلك التناقض لمصلحة أهل الرياسة وخدمةً لهم، وإليكم الأمثلة التالية كدليل عل صدق ما أدعو إليه:

الحديث (٢٨١٦) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لن ينجي أحداً منكم عمله، قال رجل ولا إياك يارسول الله؟ قال: ولا إيايَ، إلا أن يتغمدني برحمة، ولكن سدّدوا».

هذا الحديث لايناقض القرآن ولا آياته بل يتماشى مع نفس الآيات ولكن الغريب أن نجد أحاديث أخرى تناقض هذا القول وتناقض أيضاً شروط الله في آياته البينات: ومن تلك الأحاديث:

الحديث رقم (٣١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة في حديث طويل عن الرسول، مختصرهُ أن الرسول الكريم كلف أبا هريرة أن يذهب ويبشر الناس جميعاً قائلاً له: كل من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة. الغريب أن شاهدي إثبات صحة كلام أبي هريرة هما نعلا الرسول - وتلك من سخرية واضع الحديث من المسلمين. والغريب الثاني: كيف لأبي هريرة العلم بأن القائل بالشهادة صادق؟

الحديث رقم (٣٢) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك عن معاذ الذي قال له رسول الله:

«ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله عن النار».

هذه شهادة باللسان تنجي من شروط الله الثلاثة في القرآن.

الحديث رقم (٣٣) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك قال: حدثني محمود بن الربيع، عن عتبات بن مالك قال: (أختصر الحديث) وقال رسول الله ﷺ: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: إنه يقول ذلك وماهو في قلبه. قال (الرسول ﷺ): لايشهد أن لا إله إلا الله والنبي رسول الله فيدخل النار أو تطعمه» قال أنس فأعجبني هذا الحديث.

وهكذا فالأحاديث التي تناقض بعضها وتناقض آيات الله أكثر من أن تعدّ في صحيح

مسلم والبخاري، والشيخان هما اللذان أوردا هذا التناقض كله ليدلا الناس على هذا العيب الكبير في الوحي المدّعى لله تعالى، وكله يخالف بعضه البعض.
بينما لايمكن أن نجد مثل هذا العيب في الوحي الأول الذي فيه آيات الله البينات أبداً.
فالقرآن يشترط دائماً في كل الآيات التي تتعلق بدخول المؤمن للجنة الإيمان، شريطة أن يقترن بالعمل الصالح، والله يفترض سلفاً أن المؤمن هو الذي يؤدي الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يذكرها لأنها تدخل في الإيمان. بينما في الحديث ليس من شروط لدخول الجنة على الإطلاق.
يكفي أن يقول الإنسان بلسانه من دون شرط الإيمان (لا إله إلا الله) فيدخل الجنة. من دون شرطي القرآن الأساسيّين وهما: الإيمان والعمل الصالح.
وحتى لاننسى أن نضرب مثالاً على ذلك أقول:
الحديث (٤٦) من صحيح مسلم يقول:
«لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه» «أي دهاءه أو فتكه أو أذاه» وهذا الحديث لايناقض مافي معناه روح القرآن الكريم؛ بل يطابقه تماماً.
ثم لنقارن هذا الحديث بالأحاديث التالية:
الحديث (٢٦) من صحيح مسلم:
«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».
هذا الحديث الذي يجعل مجرد المعرفة حقاً لدخول الجنة.
الحديث رقم (٢٩) من صحيح مسلم:
«من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. حرّم الله عليه النار». وماذا إذا كان هذا الإنسان يخشى جاره بوائقه وكان يضرب أباه وأمه وقتل نفساً وزنى وارتكب المعاصي؟.
الحديث يقول: طالما شهد الشهادتين فقد حرم الله عليه النار.
هل هذا الحديث وحي من السماء وهو من نفس المصدر الذي أتى منه القرآن؟. الحديث (١٥٣\٩٤) من صحيح مسلم: عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال:
«أتاني جبريل عليه السلام فبشّرني أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق». أي باختصار ولو ارتكب الكبائر كلها. أعتقد أن هذا الحديث يقول بشرى للزناة واللصوص بأنهم من أهل الجنة وهنيئاً

لهم. فماذا نقول إذاً عن قول الله تعالى في القرآن الكريم؟:

﴿إنما السبيلُ على الذين يظلمون الناسَ ويبغون في الأرض بغيرِ الحقّ أولئك لهم عذابٌ أليم﴾ ٤٢ ـ الشورى.

أفليس الزاني والسارق يظلمان الناس في أعراضهم وفي أموالهم ويبغيان في الأرض بغير الحق؟ وأليس الزنى والسرقة من الكبائر ومن يتعدى حدود الله يجب أن ينال عقابه من الله.

وما هو العذاب الأليم الذي يتوعدهم به الله؟ هل سيكون في أحضان العذارى من الحور العين في الجنة؟

أم أن الحديث السابق في صحيح المسلم قد نسخ الآية الكريمة من القرآن ولم يعد لوجودها فيه من لزوم؟ كما يقولون في أماكن كثيرة: إن الحديث يمكن أن ينسخ القرآن؟.

يجب أن نعترف أن كل الأحاديث من الروايات المختلفة هي في أحسن الأحوال من ذكريات الناس منذ عشرات السنين حتى وصلت في عصر البخاري ومسلم إلى مايقارب ٢٥٠ ـ ٢٦٠ سنة، وكل حديث منقول عن سبعة إلى ثمانية أجيال، أي للجد السابع، والحديث الذي سمعه الجد السابع مَرَّةً من الرسول كيف يمكن أن يرويه الحفيد السابع بعد مرور ٢٥٠ ـ ٢٦٠ سنة. مستحيل أن يتذكر المعنى كله، فكيف له بتذكر الكلمات؟ وحتى لايكون هذا التقرير مني فيتهمني متّهِمٌ فلا بد من شاهد:

قال محكول: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له: يا أبا الأسقع، حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تَزَيُّدٌ ولا نِسيان.

قال: هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً؟ فقلنا نعم، وما نحن بحافظين جداً، إنا لنزيد الواو والألف وننقص. قال: فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم (أيديكم) ولا تألون حفظاً، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله وعسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث عن المعنى(*). ويجب ألا ننسى أن ابن الأسقع هذا هو الراوي الأول. أي الذي سمع الحديث عن الرسول مباشرةً، فما بالكم إذا سألنا الحفيد السابع لأبي الأسقع هذا عن حديث رواه جدّه السابع، ماذا يمكن أن يتذكر من ذلك المعنى؟ إن الحديث الذي سوف تسمعه من الحفيد السابع لن يكون له علاقة بما قاله أبو الأسقع أول مرة على

(*) عن كتاب السنة قبل التدوين ـ دار الفكر ـ صفحة ١٣١.

الإطلاق؛ بل سوف يتغير كله، وهذه طبيعة بشرية لأن الله خلق الإنسان سريع النسيان.
قال تعالى: ﴿ولقد عَهِدْنا إلى آدمَ من قبلُ فَنَسِيَ ولم نجدْ له عزماً﴾ ١١٥ ـ طه.

وما نحن إلا من أحفاد آدم عليه السلام. وبما أن الإنسان نَساء وخطّاء وهما من صفاته الدائمة فقد قال سبحانه:

﴿ربَّنا لاتؤاخِذنا إنْ نسينا أو أَخْطَأْنا﴾ ٢٨٦ ـ البقرة.

وحتى لاينسى الرسول الكريم القرآن الكريم، جعله يتذكرها بقوةٍ من الله سبحانه لم تكن سابقاً من صفات الرسول ﷺ:
﴿سنُقْرِئُكَ فلا تنسى﴾ ٦ ـ الأعلى.

أما أن تأمر إنساناً ينسى عادة وتنبهه وتقول له: لاتنسَ، فلن يكون لهذا التنبيه معنىً. لأن الأمر هنا لن يمنع من نسيان الآخر لما نقول له.

لكن الاختلاف هنا أن الذي يأمر هذ الأمر هو الله الخالق القادر على كل شيء. وكان من المعروف أن الرسول ﷺ في السيرة كان من حفظة القرآن وكان يستمع للصحابة من الحفظة ليتأكد من حفظهم الصحيح للقرآن الكريم.
بينما نجد رواية لأبي هريرة يقول فيها:

الحديث رقم (٢٤٩٢) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه». فبسطت بردة علي. حتى فرغ من حديثه. ثم جمعتها إلى صدري. فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به».

هل هذا وحي من الله سبحانه وتعالى مثل وحي القرآن تماماً؟.

هل هذه معجزة من معجزات الله أظهرها فقط لأبي هريرة وحده من دون العالمين؟!.

هل هذا الحديث وحي سماوي وفيه حقيقة علمية يجب على علماء المسلمين أجراء تجارب علمية عليه من أجل تعميم وسيلة لحفظ الطلاب في المدارس عن طريق بسط الثوب عند إلقاء المحاضر ثم ضمه على القلب حتى لاينسى الطالب شيئاً مما سمع من المحاضر بعد ذلك. وليس من حاجة إلى المراجعة والحفظ لأن المعلومات قد ثبتت ولا يمكن إزالتها بعد ذلك أبداً؟.

ونحن لانتهم الإمام أبا هريرة بأي إتهام، لأنه من الجائز أن يكون جنود السلطان استغلوا اسمه، فوضعوا باسمه الأحاديث. ولكن لابد من ذكر الحقائق التالية الموجودة في الصحيحين عن الإمام أبي هريرة.

كان إسلام الإمام أبي هريرة رضي الله عنه في الفترة الأخيرة من حياة الرسول محمد ﷺ وبحسب أكثر الروايات أنه عاش مع الصحابة والرسول في المدينة خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حياة الرسول الكريم.

وقد روى (٥٣٧٤ حديثاً) أو رُوي كل ذلك كذباً عليه من قبل رواة الحديث والله أعلم: نجد منها في الصحيحين (١٥٧٤ حديثاً)

بينما للصحابة التالية أسماؤهم أحاديث أيضاً في الصحيحين، وعددهم ثلاثون صحابياً:

أبو بكر الصديق	١٦ حديثاً
أبو طلحة الأنصاري	٣ أحاديث
أبو مالك الأشعري	حديثان
أبو مدثّر الغَنَوي	حديث واحد
أبو معبد بن مسعود	حديث واحد
تميم الداري	حديث واحد
ثابت بن الضحاك	حديثان
حذيفة الغفاري	حديثان
حسان بن ثابت (الشاعر)	حديث واحد
خالد بن الوليد	حديث واحد
الزبير بن العوام	حديث واحد
زيد بن الخطاب	حديث واحد
سلمان الفارسي	٤ أحاديث
صفوان بن أمية	حديث واحد
العباس بن عبد المطلب	٤ أحاديث
عبد الرحمن بن أبي بكر	٣ أحاديث

عبد الله بن الزبير	٣ أحاديث
عبد الله بن زمعة	حديث واحد
عبد الله بن السائب	حديث واحد
عبد الله بن سلام	حديث واحد
عثمان بن طلحة	حديث واحد
عثمان بن عفان	١٧ حديثاً
علي بن أبي طالب	٣٧ حديثاً
عمار بن ياسر	حديثان
عمر بن الخطاب	٤٣ حديثاً
عمر بن العاص	٥ أحاديث
الفضل بن العباس	٣ أحاديث
كعب الأنصاري	٦ أحاديث
محمد بن مسلمة	حديثان
معاذ بن جبل	٦ أحاديث
المجموع	١٧٣ مائة وثلاثة وسبعون حديثاً

وهؤلاء ثلاثون من مشاهير الصحابة ومن بينهم الخلفاء الأربعة الذين عاشوا مع الرسول ﷺ خلال فترة الرسالة كلها. ولأبي هريرة في نفس الصحيحين أحاديث أكثر من تسعة أضعاف مجموع أحاديث كل هؤلاء في الصحيحين؟ كل هذه الأمور تدعو كل عاقل إلى تساؤلات لا أجوبة عليها حالياً، وكل جواب يمكن أن نضعه سوف يدخل في مجال الظن. أقصد أننا لانستطيع أن نجزم أنها فعلاً للإمام أبي هريرة أو هي مفتراة عليه أيضاً. وبما أن البخاري ومسلم يقولان: إن كل رجال السند من أهل الثقة فلن أتعرض بالنقد للسند، بينما أركز النقد على الموضوع الأهم، وهو متن الحديث:

بما أن للحديث روايات مختلفة وكل رواية تناقض الأخرى، وعلماء المسلمين يعتبرون أنفسهم أحراراً، يختارون مايعجبهم منها بحسب الفتوى وبحسب المقال، فإننا نجد الأحاديث تناقض بعضها دائماً نتيجة نسيان الراوي لكلمة هنا وكلمة هناك خاصة في

المواضيع التي لم يلعب فيها جنود السلطان مثل أحاديث الصلاة والوضوء، لأنه ليست هناك مصلحة خاصة للسلطان في تحريفها أو تبديلها، أما أحاديث العقائد والزكاة والخُمس الذي يدفع من الغنائم فله مصلحة خاصة وواضحة في تحريفها حتى أوجد جنود السلطان أحاديث تعتبر أن دفع الخمس من الإيمان. لأن الموضوع بالنسبة لهم هام جداً.
أما في مواضيع الصلاة والوضوء فالمواضيع لاتتعدى النسيان. مثلاً عندنا الحديث رقم (٢٢٨) من صحيح مسلم، باب الصلاة والوضوء: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب. مالم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله» وهذا الحديث لايناقض آيات القرآن الكريم، بل يتماشى مع روح القرآن كله خاصة إذا استمعنا لآية القرآنية التالية:
﴿إن تجتنبوا كبائرَ ماتُنهونَ عنه نكفّر عنكم سيئاتِكُم ونُدخِلكُم مُدخلاً كريماً﴾ ٣١ـ النساء.
ثم لنستمع للحديث الآخر وهو:
الحديث رقم (٢٢٧) من صحيح مسلم، أيضاً عن عثمان رضي الله عنه (ولكن عن طريق راوي آخر) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«لايتوضّأ رجل مسلم فيحسن الوضوء. فيصلي صلاةً إلا غفر الله له مابينه وبين الصلاة التي تليها».
هذا الحديث يناقض القرآن الكريم لأن الراوي نسي أو سها عن أن يذكر موضوع الكبائر. لأننا إذا قلنا للشيخ الذي يروي هذا الحديث من صحيح مسلم على أنه صحيح: ماذا إذا ارتكب الرجل مابين الصلاتين كبيرة من الكبائر وعادة كل الكبائر تحصل للمسلمين الذين يصلون عادة مابين صلاتين؟ فليس أمام الشيخ إلا أن يقول لك بحسب الحديث الوارد في صحيح مسلم أنه من الصحاح، يؤكد لك أن الله سبحانه حتماً سوف يغفر له وإن زنى وإن سرق، كما رأينا في الحديث الذي قبله (عن أبي ذر). وإن قلنا له، واستشهدنا له بآيات من القرآن ليس بعيداً أن يقول لنا: إن الآيات قد نُسخت بالحديث. ولكن هذا لن يغير من الحقيقة، ومن أن المناقضة واقعة. لأن ذلك كان مجرد مكابرة. (قال لي صديق كان يعيش في نيجيريا: إن المسلمين هناك يؤمنون بهذا الحديث ويطبقونه عملياً كما يلي: بعد صلاة العشاء من كل يوم يشربون الخمر عادة ويزنون مع الفتيات القاصرات. فقال

لهم (صديقي) ماذا تفعلون؟ إنكم ترتكبون كبيرة من كبائر الله وتتعدون حدوده والعياذ بالله وتقولون إنكم مسلمون؟ فقالوا له: ألا تعلم أن الصلاة (ممحاة)؟

فكل صلاة تمحو ماقبلها من ذنوب ثم رووا له الحديث الثاني.

وهكذا نجد أن هذه الأحاديث المناقضة لبعضها تجعل الحرام حلالاً، ويضيع الناس وهم يظنون أنهم لازالوا على دين الرحمن.

وهكذا وللأسباب التي بيّنتُها في هذه المقدمة، فإني اعتزمتُ إذا وفقني الله سبحانه أن أجري دراسةً كاملة وشاملة للصحيحين، لأبين بعدها الحقيقة الساطعة لكل المسلمين الراغبين في العلم والمعرفة، ويحبون أن يعرفوا دينهم ويتعرفوا على الصحيح فيه والخطأ، ثم دراسة الخطأ نفسه، هل كان للسلطان مصلحة فيه أم أنه حصل من خطأ الراوي وحده ونسيانه أو سهوه. دارساً متن الأحاديث وسوف أتجاهل باقي علماء الحديث الذين لهم أحاديث وتخريجات خاصة: كالترمزي وابن ماجة وأبي داوود والإمام أحمد وغيرهم حتى لايتشعب الموضوع طالما أن هذه الدراسة الغاية منها فقط إظهار حقيقة واقعة. ولقد كابر كثير من رجال الدين لإخفائها، علماً بأنها أقوى وأظهر من يخفيها أي إنسان عن الناس في عصر أصبح فيه العلم والدراسة والاطّلاع مشاعاً لكل الناس، ولم تعد وقفاً على فئة معينة من الناس كما كان سابقاً، وذلك بعد أن عمّت الطباعة وتطورت وسائل المعرفة في العالم كله، وقربت وسائل الاتصال والمواصلات العالم حتى أصبح صغيراً يمكن رؤيته شاملة من الفضاء بالعين المجردة وذلك بفضل العلم الذي يدعو إليه القرآن أصلاً في كثير من آياته، فأخفاه السلطان عن الناس بعد أن ربط تأويله بما حرّف له جنوده من الأحاديث الموضوعة حسب إرشاداته وتوجيهاته، لإعادة الناس إلى سابق عهدهم مما كانوا فيه من أوهام القبيلة والشعر والأوهام القديمة التي كانت سائدة عند أهل الكتاب. مثل عذاب القبر وأوهام العقيدة بأن الإنسان لاخيار له في شيء، فقد كتب الله عليه عمره وعمله ورزقه وحتى مصيره فلا حاجة لأن يسعى أو يتعب نفسه في شيء.

وهكذا تحول المسلم إلى إنسان ليس في رأسه إلا الأوهام، يحركه السلطان وجنوده كيف يشاؤون ومتى يشاؤون ولمصلحتهم فيُساق مع أمثاله كالأغنام، باسم الجهاد في سبيل الله إلى حروبٍ باسم الله ونشر الإسلام اسماً، وبغاية جلب الغنائم والسبايا من حسناوات البلاد المفتوحة بالسيف فعلاً، والدليل أنَّ كل البلاد التي فتحها سلاطين بني عثمان في أوروبا كانت من تلك الفتوحات ارتدت عن الإسلام تاركةً أسوأ الأثر في

نفوس الأوروبيين عن الإسلام والمسلمين. ومايعانيه شعب البوسنة اليوم مما زرعه أولئك السلاطين في فتوحاتهم الإسلامية القديمة وبما ارتكبوه من المظالم في تلك البلاد باسم الإسلام، فيدفع ثمن تلك الجرائم اليوم شعب بريء لا علاقة له بكل ماحدث قديماً.

لكن المسلم مع الأسف لم يستطع الاستفادة من كل ذلك التقدم العلمي الذي حصل في العالم لعدم استطاعته تخليص نفسه من دائرة الشيطان التي حُجِزَ داخلها، نتيجة ماحَمَّلُوه من أوهام في فكره، لايستطيع التخلص منها. لأنهم أوصلوه إلى مرحلة العشق بها، أوهام صار عمرها فوق الألف من السنين، وصار في اعتقاده أن علوم الدنيا النافعة هي علوم الدين وعلوم الحديث ودراسة السند والمتن للأحاديث، أما علوم الدنيا فقد صار في قرارة يقينه أنها علومٌ. الجهل بها لا يضر لأنه لانفع فيها للإنسان الذي يجب أن يسعى فقط لآخرته. أما هذه الدنيا فيجب أن يتخلى عنها للسلطان وجنوده وللأغنياء الذين يسعون إليها. أما هو يجب عليه أن يسعى فقط إلى نعيم السماء. يسوقونه من جحيم إلى جحيم وهو كالمنوّم مغناطيسياً لايعلم إلى أين يُساق. هذا هو المسلم النموذجي الذي خلفه السلاطين للعالم اليوم. ولذلك فإن المليار مسلم الموجودين حالياً ليس لهم قيمة ولا وزن ذبابة عند أحد. حتى ولا عند الله سبحانه وتعالى، لأنهم لايستخدمون عقولهم التي منحها الله لهم، ولايتحركون الحركة المطلوبة منهم ويكتفون برفع الأيادي تضرّعاً بعد كل صلاة جمعة في كل بلاد المسلمين ليتمنوا على الله الأماني ويحققوا المعجزات وهم جالسون وينتصرون على الأعداء وهم جالسون، ويرسلون الطائرات بالقنابل على الأعداء وهم جالسون. يخرج الشباب المسلم إلى أوروبا وإلى أمريكا، يذهبون وهم يحملون الأمراض الموروثة فيهم من الأوهام وإن خرجت منهم فئة استطاعَتْ التأقلم وحاولت أن تدعو للإسلام. لم يعد في إسلام اليوم بالنسبة للغربي وهو يرى أوضاع المسلمين مايغري على الاستماع لما يقوله أيُّ مسلم، فما بالك أن يفكر باعتناق الإسلام؟ وقد وجدت أن أفضل من يدعو للإسلام في أمريكا هم السود. لكن الإسلام الذي يدعون إليه هو من النوع المحرّف من الذي عندنا ويحتاج إلى عملية جراحية لإعادة إمكانية الاستفادة منه أصلاً.

وإذا لم يرتفع المسلم بمستواه الفكري والعلمي ويرفع معه فكرة الإسلام للأعلى فلن تصل للناس لأن الماء لاتسقي الأرض العالية فلابد من رفع مستوى الماء حتى نسقي بها الأراضي العالية.

هذه سنة من سنن الله يجب أن نفهمها قبل أن نفهم أية سنة أخرى قبلها.

وهناك موضوع آخر أحب أن يفهمه القارىء تماماً، ومن أجل ذلك أردد في مسامعه بشكل متواصل اسم السلطان وجنود السلطان.. وهو أن لهذا الحاكم الدنيوي الذي اختار الدنيا على الآخرة ووجد نفسه حاكماً على ملايين من الناس أغلبهم أميّ جاهل لايميزه عن غيره من الناس إلا إيمانه وحبه لله وللرسول، فأحب أن يستغل هذا الإيمان وذلك الحب والاندفاع والحماس لنفسه ومن أجل تحقيق مطامعه وأحلامه الأرضية، تاركاً السماء بما فيها للناس أجمعين، وبلا مقابل: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) فوزّع جنة الله على الناس مجاناً ولكن ذلك كان له ثمن باهظ دفعه المسلمون من دمائهم وعرقهم، دفعوه بصبرهم على مظالم الاستعباد والاستبداد الذي مارسه عليهم السلطان وزبانيته، تماماً كما مارس فرعون وزبانيته الظلم والمظالم على شعب مصر. وترك لنا فرعون شواهد على ظلمه واستبداده جبالاً من الغرانيت، نقلها شعبه من أسوان إلى هليوبوليس (القاهرة) ليبنوا له منها أهرامات الجيزة، فقط من أجل أن تكون قبراً لرفاته بعد مماته. فالذي فعل كل ذلك من أجل رفاته، فكم من المظالم مارس من أجل تحقيق شهوات نفسه خلال حياته؟ وكذلك سلاطين المسلمين ساروا على نفس المنهج وإن لم يتركوا لنا شواهد من جبال صخرية، فقد تركوا لنا أحاديث مفتراه على الرسول ﷺ لتحقيق مآربهم الدنيوية مازالت شاهدةً على مظالمهم إلى اليوم.

سابعاً: دوافع السلطان للتأليف والوضع في الأحاديث

كان الحديث يعتبر أهم وسيلةٍ لدعم وتأييد الرأي العام لقرارات السلطان، التي كان محورها العام مصلحة الحكم ودعم بيت مال المسلمين الذي كان يشكل بالنسبة له خزائن الأرض.

ومن المهم أن يكون مفتاح هذه الخزائن بيد السلطان طبعاً.

وكل موضوع يستطيع فيه جنود السلطان أن يضعوا فيه حديثاً أن الرسول ﷺ قد فعله أو قد قاله هذا يعني أن الموضوع قد أصبح سنةً وعلى السلطان الاقتداء بسنة الرسول ﷺ باعتباره خليفته الشرعي في الحكم.

مثلاً: إن إيجاد حديث: أَنَّ مفتاح خزائن الأرض كان بيد الرسول ﷺ معناه مباشرةً وضع نفس المفتاح بيد السلطان.

وبما أن الرسول كان يأخذ الخمس من الغنائم في مواضيع القتال، صار الخمس أيضاً بالوراثة بيد السلطان. ووضع الأحاديث لم يكن سهلاً كما يتصوره البعض فهو يحتاج إلى تقنية خاصة، ويحتاج إلى نفوس ضعيفة يمكن شراؤها حتى يمكن وضعها وتأليفها. ولصعوبة الموضوع فقد كان السلطان مضطراً إلى قبول أحاديث الآحاد حتى ولو كنّ نساءً أو كانوا أطفالاً، فإذا وضعت شروط خاصة في قبول الأحاديث فلن يكون من مصلحته أبداً؛ بل سوف يصعب عليه كثيراً موضوع إصدار الفتاوى ووضع الأحاديث الجديدة.

لذلك قد نفاجىء إذ نجد أن أحاديث الأطفال كانت مقبولة في أن يكون لها مفعول آيات القرآن الكريم بل أكثر من القرآن، الذي أصبح المسلم العادي يخشى مجرد لمسه.

فمثلاً عندما نقول: إن من بين الأحاديث التي نعطيها أهمية أحاديث رواها أطفال حديثي عهد بالرضاعة في موضوع مصير فريضة من فرائض الإسلام كالوضوء، علماً أن الإسلام لايقبل في موضوع عام يحصل كل يوم، وهو الزنى، إلا بشهادة أربعة شهود عدول عاقلين راشدين، لم يطعن بشهادتهم أحد، وإذا انسحب شاهد منهم يتعرض الثلاثة الآخرون للجلد ولسقوط حقوقهم المدنية عنهم إلى الأبد.

ولكن لن نستطيع أن نفهم السبب الذي جعل الكذب والوضع على الرسول مسألة

عامة ويتقدم بها العلماء متطوعين لعرض خدماتهم على السلطان(*).

فإن لم نفهم دوافع السلطان الحقيقية. ولم نفهم دوافعه، فمن الواجب أن نعرف أين تبدأ مصالحه وماهي الأشياء التي يبحث عنها. متتبعين أهواءه وشهواته لأنها هي فقط التي تحركه. كما قلت قبل قليل: أهم شيء بالنسبة له جعل مفتاح خزائن الأرض في يده أولاً:

الحديث (٤٠٨٥) في صحيح البخاري عن عقبة أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحُدْ صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال:

«إني فرطٌ لكم وأنا شهيدٌ عليكم وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

وهكذا أمّن هذا الحديث مفاتيح خزائن الأرض للسلطان، بحديث واحد، وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة يوسف، وعلى لسانه للملك ﴿قال اجعلني على خزائنَ الأرض إني حفيظٌ عليم﴾ ٥٥ ـ يوسف.

والموضوع الثاني المهم بالنسبة للسلطان كان موضوع دفع الخمس له من غير أن يبخسوه حقه. فماذا فعل له جنود السلطان خدمة له؟

وهكذا نجد باباً خاصاً في صحيح البخاري هو: باب أداء الخمس من الإيمان. وبما أن الزكاة أيضاً من الأموال التي يجبيها موظفو السلطان لتدخل إلى خزائن الأرض التي مفتاحها صار بيد السلطان، صار جمع الزكاة أيضاً من أهم الأمور. لذلك نجد أيضاً باباً خاصاً في صحيح البخاري هو ـ باب البيعة على إيتاء الزكاة وباب إثم مانع الزكاة. ونجد في صحيح مسلم باب تغليظ عقوبة من لايدفع الزكاةـ وباب أجر الخازن الأمين.

وكذلك الجهاد في سبيل الله، الذي جعل منه السلطان حرباً دائمة لم تنقطع في عهود كل السلاطين على الإطلاق، لأنه كان مصدر الخمس الشهي للسلطان والذي منه تتدفق الأموال والسبايا، من البلاد المفتوحة والمغلوبة حديثاً.

فنجد: باب الجهاد من الإيمان في صحيح البخاري. وحتى يستطيع أن يسوق الناس دائماً للجهاد فقد قلل السلطان من قيمة العمل في الإسلام حتى جعل الإيمان الذي هو

(*) كما شاهدنا في حالة المتقدم للمهدي وهو يقول (إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس وبنيه).
وهذه مرّة اعترف فيها السلطان على جندي ربما كان مغضوباً عليه لكنه لم يعترف على باقي الجنود الأوفياء.

في القلب عملاً.

لذلك نجد في صحيح البخاري: باب من قال: إن الإيمان هو العمل (مجرد الإيمان في القلب تحول إلى عمل) إضافة إلى ذلك اهتم السلطان بقلب العقيدة الإسلامية الفعالة إلى عقيدة سلبية غير فعّالة، بالحديث الذي ذكرته سابقاً والذي يقول: إن الله سبحانه يكتب للإنسان وهو لازال جنيناً في بطن أمه: عمره ورزقه ومصيره إلى النار أم إلى الجنة. حتى يوقف بذلك الطموح الفردي لدى الناس وحتى لايحاول الفقير الثورة ضد السلطان مهما ظُلم بل يقول هذا مكتوب علي. وإن حدث مثلاً أن عمال مناجم السلطان مات منهم ألف تحت أنقاض المنجم نتيجة الإهمال مثلاً قال لهم جنود السلطان هذا قضاؤه وقدره، وهذا مكتوب لهم ليس للسلطان دخل في عمل الله. فكل الأحاديث كانت تصب في جيب السلطان ذهباً. والكل كان نائماً ولايزال ولا يريد أن يستفيق إلى اليوم.

ولكني قبل أن أبدأ بفصول هذا الكتاب بدراسة أحاديث البخاري ومسلم كما وعدتكم بأسلوب علمي، لابد من وضع الصور العامة المؤثرة والفعالة في عقلية المسلم الحالي، لأن غايتي هي إقناع نفس المسلم بالأمور التي أثرت في عقلية آبائه الأولين، وكيف حصل ذلك، ثم إعطاؤه صورة عن واقعه الحقيقي من دون رياء أو نفاق أو كذب عليه. وإعطاؤه صورة عن واقع الحديث المنسوب للرسول ﷺ.

صورة حقيقية عن موضوع خطير جداً، تآمر السلطان وجنوده الأوفياء على عدم كشفه لأنه سرٌّ خطير، إن كشفوه للناس أو حدث أن كشفه أحدهم وشاع وعُلِم وانتشر بين الناس معناه أن يفقد السلطان عرشه، وجنود السلطان مراكزهم الدينية والعلمية إلى غير رجعة.

ولكن الغريب أن السلاطين انتهوا مع نهاية آخر سلطان عثماني كان يحكم المسلمين من استانبول. ومازال السرُّ مستوراً ولم يحرك أحد ساكناً حتى الآن لماذا؟

لأن ورثة جنود السلطان من المنتفعين من بقاء الأوضاع على ماكانت عليه أيام السلطان مازالوا هم الأوصياء على الدين والشرع إلى الآن. وهكذا، بعد أن علمنا مصلحة رجال الدين على عدم كشف السرّ، لم يعد عدم كشف السرّ المستور غريباً لثبوت وجود منتفعين حقيقيين من إخفائه.

لكني أؤكد لكم أنه ما من سرّ يمكن إخفاؤه للأبد، خاصة إذا بدأ المسلمون بالخروج من كهفهم، وبدؤوا يقرؤون، حتى يعلموا بالقراءة كل شيء. حتى يعلموا ماذا حصل لهم خلال الألف والأربعمائة من السنين التي كانت فترة رقاد لعصر جليدي مرّ على

المسلمين. لابد أن يقرؤوا حتى يعرفوا من هم وأين موقعهم في هذا العالم.. يجب أن يقرؤوا ماذا معهم وماهي إمكانياتهم وماهو موقفهم الحالي. يجب أن يقرؤوا حتى يعلموا ماذا يمكن أن يفعلوا وكيف يمكن أن يقفوا من جديد على أقدامهم. يجب أن يقرؤوا حتى يعلموا أنهم إن لم يخرجوا من كهفهم ولم يتحركو فإن الله سوف يدمر عليهم الكهف، ليس ظلماً منه سبحانه وإنما ظلماً من أنفسهم بعنادهم وعدم استخدام مؤهلاتهم ومواهبهم وعقولهم، وإمكانياتهم التي ضيّعوها هباء منثوراً في سبيل الغباء والكسل. أمور كثيرة يجب أن يفهمها المسلم الحالي ويجد لها الأجوبة المطلوبة، ولكن من غير إضاعة الوقت الثمين، فإن مصيره كله في الميزان. ويتوقف على إرادته ومشيئته بالحركة الإيجابية نحو إرادة الله سبحانه باتجاه مسير الكون في التطور مع تيار الزمن المتغير دائماً لمصلحة العاقل الذي يفهم قوانين الله وسننه التي لاتتبدل ولا تتحول أبداً.

يجب أن يقرؤوا كثيراً حتى يجيبوا بالعلم واليقين، لابالظن والتخمين على أسئلة كثيرة مثل:

- لماذا نحن متأخرون حضارياً؟
- لماذا نحن متأخرون صناعياً وتقنياً؟
- لماذا عندنا طوائف وشيع كثيرة ولماذا تحمل أحقاداً قديمة ضدٌ بعضها؟
- لماذا لانحب بعضنا كمسلمين عامة وكطائفة واحدة أو كعائلة واحدة؟
- لماذا يستطيع الغرب استغلالنا بسهولة ويسر؟
- لماذا نقتل بعضنا في الصومال وفي السودان بحجة القبيلة والدم؟
- لماذا نقتل بعضنا في أفغانستان وباكستان بحجج واهية؟
- لماذا حدثت حرب الخليج؟
- لماذا انتصرت علينا إسرائيل في كل حروبها؟
- لماذا لانستطيع أن نستفيد من طاقاتنا؟
- لماذا لانستطيع أن ننتفع من أموالنا؟
- لماذا ظهرت حركة العنف بين المسلمين؟
- لماذا يذبح المسلمون في البوسنة؟
- لماذا تذبح روسيا الشيشان المسلمة؟

- لماذا يساند الغرب إسرائيل دائماً؟
- لماذا تذبح تركيا الأكراد؟
- لماذا سمحوا للبنان أن يذبح أبناءه؟
- لماذا ضرب الغرب ليبيا؟
- لماذا يعادي الغرب إيران؟
- لماذا يقول الغرب عن سوريا إنها تساند الإرهاب؟
- لماذا يذبح المسلمون في كل مكان والكل ساكت؟
- لماذا تشعل الحروب الطائفية بين المسلمين في كل مكان؟
- لماذا....؟
- لماذا....؟
- لماذا....؟

وألف لماذا، ولماذا، ولن يجد شبابنا المسلم الجواب الشافي لكل تلك التساؤلات إن لم يعلم الحقائق أولاً، ومعرفة الحقائق تبدأ بالقراءة الجادة عادة. فلا بدّ من عودة شبابنا لقراءة كتب العلم الحقيقي من مصادرها. بعد قراءة كتاب الله، الذي هو أساس علم الإنسان والذي يحوي مبادىء العلوم كلها.

ثم سوف يعلم من أين يبدأ بعد أن علم كيف حصلت كل الأخطاء السابقة التي أوصلته إلى ماهو فيه الآن بعد رحلة استمدت ألفاً وأربعمائة من السنين، لاقى خلالها آباؤه وأجداده الأهوال من المظالم التي كانت غالباً من أنفسهم لعدم استخدام عقولهم.

بعدها لن يصعب عليه إيجاد العلاج طالما تسلح بالعلم والمعرفة واستمسك بالعروة الوثقى، وتمسك بكتاب الله وعاد إلى سبيل الرحمن.

فكتاب الله سوف يتكفل بهدايته للسبيل الصحيح ولن يضيع أبداً ما بقي متمسكاً بذلك الكتاب وحده، دون أن يمسك معه كتاباً آخر، لامن أجل تفسيره ولا من أجل تأويله. فكتاب الله لايحتاج إلى ترجمان محلف، أرسله الله لكل الناس وهو سبحانه الذي صاغه بأسلوب سهل عليه ممتنع على غيره، يفهمه كل فرد بحسب قدراته العقلية والثقافية وخلفيته المعرفية، والفرد لايحتاج أكثر من ذلك أبداً.

وكما أن الطبيب الذي لايعرف المرض ولا أسبابه ولا تاريخه مع المريض لن يعرف ولن يتمكن من وصف الدواء الشافي لمريضه.

كذلك فإن شبابنا المسلم لن يعرف أن يقطع كل الأشواط السابقة إن لم يُنَفِّذْ ماذكرته قبل قليل.

فنرجو أن يكون هذ الكتاب بداية لمعرفة أسباب الداء للمتسائلين كلهم حتى يتابع على نفس المنهج كل الشباب الإسلامي المثقف والمفكر، للإسهام في توضيح ما غمض على المسلمين، حتى تكون ثورة فكرية وعلمية حقيقية لتغيير أسلوب التفكير القديم مع العقليات القديمة البالية، التي كانت تعتمد على الأباطيل والأوهام والظنون والخرافات والكرامات إلى أسلوب لايعتمد إلا على الحق والحقائق من التي نجدها في نور الله وهديه في القرآن الكريم.

صورة عامة على واقعنا الحالي:

نحن المسلمين بحسب آخر الإحصائيات نساوي بالعدد فوق المليار مسلم، نعيش في دول يقال عنها إسلامية، تعد من ناحية المال من أغنى دول العالم، ونقول عن ديننا: إنه أفضل الأديان، وعن رسولنا: إنه من أفضل وأعظم الرسل والأنبياء.

وقوتنا وقيمتنا في هذا العالم لايتجاوزان في موازين القوة والقيمة المعتبرة في العالم قوة ذبابة واحدة، ولا قيمتها تزيد عن قيمة ذبابة واحدة.

أثناء حرب الخليج كنت في أمريكا أشاهد أحداث الحرب على التلفزيون، تأتي بها شركة CNN ـ العالمية ـ كانت الشركة تعرض الطيور التي تلوثت بالبترول الذي لوث عبر الخليج والناس يحاولون إنقاذها، وتلك كانت محاولة إنسانية عظيمة. لكن الغريب أن تلك المحاولة الإنسانية لعرض صور تلك الطيور، لم تحاول أن تعرض صور جنود العراق وهم يحرقون بأحدث أنواع الأسلحة للتدمير والحرق ـ ولم يتعاطف معهم أحد لا من الشرق ولا من الغرب. دعونا ننظر على خارطة العالم أمامنا، عندنا مثلاً الصومال دولة إسلامية، قبائل تغزو وتقاتل قبائل أخرى، أي حرب قبلية جاهلية، وماذا استطاع المليار مسلم مع دولهم الغنية أن يصنعوا لهم؟ لاشيء. لازالوا يقتتلون والمسلمون كلهم نائمون.

أفغانستان قاتلت باسم الجهاد والإسلام سنين طويلة ثم تطورت حربها إلى قتال بين المسلمين. فزعماء المجاهدين اليوم يتصارعون على السلطة كما حصل في صدر الإسلام بين علي ومعاوية، هل هذا إسلام؟ أم فتنة إسلامية؟

البوسنة تذبح علناً أمام أعين المسلمين وهم يتباكون ولم يفعلوا شيئاً ولم يحركوا ساكناً، حتى لم يقولوا باللسان وهو أضعف الإيمان كما نقول نحن المسلمون.

حرب الشيشان، مليون مسلم شاشاني في روسيا أحبو أن يستعيدوا استقلالهم وحريتهم المغتصبة من قبل روسيا، منذ مايزيد عن مائة من السنين.

ماذا فعل لهم المسلمون؟ إنهم لم يدعو لهم حتى بالنصر بعد صلواتهم، كما لم يرسلوا لهم مواد ولا غذاء ولا كساء. ولا حتى كلمة طيبة.

في كل بلد إسلامي في العالم تمتهن كرامة الإسلام والمسلمين ولا أحد من باقي مسلمي العالم يأتي بحركة إيجابية. لتقول: لا ياناس لايجوز ماتفعلون؟

إذًا أين الخطأ؟ وماهي مصادر الضعف الشديد الذي نعاني منه نحن الجميع؟

هل هذا الضعف من قلة في العدد؟ فنحن مليار مسلم وهذا يجب أن يكون من عوامل القوة لا الضعف، إذاً فنحن لسنا ضعفاء من قلة في العدد.

هل هذا الضعف من قلة في الأموال؟ الأموال الموجودة في الدول الإسلامية تضعها في المرتبة الأولى عالمياً من الناحية المالية، إذاً فنحن لسنا ضعفاء من قلة في المال.

فهل هذا الضعف من ضعف في القدرة والقوة العقلية للمسلمين؟

أعتقد أن المسلمين كأفراد لايقلون من ناحية القدرة والإمكانيات العقلية عن أي شخص من باقي الشعوب الأخرى، إن لم يساووهم على الأقل، بدليل تفوقهم في كل جامعات الغرب، حيث يتعلمون العلوم في جامعاتهم.

إذاً: لم يبق إلا عامل العقيدة من العوامل التي تقوي الشعوب أو تكون عاملاً في ضعفها وانحلالها. فإذا درسنا الإسلام كعقيدة مستندين للقرآن الكريم لوجدناها من أقوى العقائد، وتمتاز عليها كلها بأشياء كثيرة. منها استنادها على مبادىء العلم والحقيقة والواقع كأسس لإنطلاق، الدعوة إلى ترك الأوهام الناتجة عن التقاليد والعادات القديمة، الدعوة إلى ترك أوهام العقلية القبلية، الدعوة إلى ترك أوهام الشعر والخيال والمبالغة والمفاخرة والخيلاء، الدعوة إلى ترك (مايقول عنه بيكون بأوهام المسرح) أي الأوهام الدارجة بين الناس نتيجة الأمثال المتعارف عليها والابتعاد عن أوهام الأساطير والخرافات والدجل، من سحر وقوى خارقة في الطبيعة. أي باختصار: الإسلام يدعو إلى تحرير الإنسان من الأوهام كلها.

بينما إذا أخذنا الإسلام كحديث وروايات عن الرسول ﷺ وجدنا أن تلك العقيدة

القوية قد انهارت ـ فجأة وأصبحت تؤمن بكل الأوهام التي في الأرض وتعادي العلم وتعادي الحقيقة وتعادي الله سبحانه. وكل مافيها لايمتّ لإسلام الله ورسالة الرسول ﷺ بشيء واحد إلا بالاسم. وسوف يكون هذا الكتاب للبرهان على ذلك بالأدلة الدامغة التي لاتقبل الرد، والخروج بنتيجة حقيقية أن ضعف المسلمين الحالي ناتج عن تلك العقيدة المشوهة عن قصد، ويسير كل المسلمين عليها وعلى مبادىء هي عكس العلم مباشرة وعكس ما أتانا به الرسول من ربه في القرآن الكريم.

والكتاب من بعد هذا الإعلام يدعو لإصلاح الخطأ. وعلى كل إنسان أن يبدأ بنفسه وزوجه وأولاده، فأصدقائه فجيرانه وهكذا، أما إذا بقينا نتوقع التغيير على أسلوبنا الحالي بدفع أكف الضراعة بعد كل صلاة كما هي العادة بعد صلاة الجمع، وأن نتمنى على الله الأماني من غير عمل ولا سعي، بأن يغير لنا حالنا وينصرنا على أعدائنا، وليس في عقولنا إلا أوهامنا العزيزة القديمة، فإنه لن يتغير شيء أبداً. لا أقول هذا من عندي تبرعاً أو تنبؤاً. بل أقوله مستنداً لما قاله الله بصراحة في القرآن الكريم. ومن أن الله لايغيّر مابقوم ـ من ضعف وعجز وأوهام وجهل وفقر وهوان على الله والناس ـ حتى يغيروا مابأنفسهم. من تلك المبادىء الفاسدة والعقلية الوهمية، إلى مبادىء العلم الحقيقي وعقلية العلم والعلماء والمنطق والواقع، الذي لاوهم فيه مطلقاً. لنفتش في صحيح البخاري ومسلم ونقرأ كل الأحاديث، نجدها تدعو للوهم والأوهام وليس فيها إلى مايدعو إلى أي علم؛ بل إن فيها حديثاً يقلب كل دين الإسلام رأساً على عقب وهو الحديث الذي رويناه سابقاً عن صحيح البخاري وسنرويه الآن كما ورد في صحيح مسلم وهو:

الحديث (٢٦٤٣) في صحيح مسلم (كتاب القدر) عن عبد الله؟ (أيضاً في صحيح مسلم عبد الله ليس له كنية) «قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (أي الصادق في قوله ـ المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم، على اعتبار أن هذا الحديث هو من الوحي الذي أنزله الله على سيدنا محمد وكل مافيه يناقض كل القرآن الكريم) إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك. ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. (خمس كلمات قلبت الإسلام). فوالذي لا إله إلا غيره. إن إحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب. فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار. حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

والحديث حتى يصبح متواتراً له عشرون رواية مختلفة في صحيح مسلم، وفي إحدى الروايات الراوي يستشهد بآيات من القرآن الكريم قائلاً: ثم قرأ (الرسول ﷺ): (فأما من أعطى واتّقى. وصدّق بالحسنى... إلى قوله فسنيسّره للعُسرى). ماذا سمع المستمع الذي ليس بيده قرآن من شيخ الإسلام؟

سمع الآيات الثلاث المذكورة، فيدخل في وهم المسلم أن القرآن أيضاً يصدق الحديث السابق ويقول الله أيضاً: إن من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى يظن أن الله سوف ييسّره للعسرى، لأن الله كان قد كتب له ذلك سلفاً.

لكن المؤمن المسلم الصحيح يجب أن يعود إلى بيته ويفتح القرآن، ليبحث عن تلك الآيات ليرى فعلاً ماذا تقول؟:

﴿فأما من أعطى واتّقى * وصدَّق بالحسنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسرى * وأما مَنْ بَخِلَ واستغنى * وكذَّبَ بالحُسنى * فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسرى﴾ ٥ - ١٠ - الليل.

الآن ظهر أن الذي يقول الله سبحانه يناقض كل ماأتى به الحديث السابق وأترك الباقي لفهم القارىء.

يجب أن يتعلم المسلم أن الله سبحانه هو الحق. ومن الحق تأتي الحقائق كلها، ولا حقيقة إلا بعد علم صحيح. ومن كان يحب الله يجب أن يحب الحق ويحب العلم، ويسعى بالعلم وراء الحقيقة وليس بالأوهام.

والوهم هو الباطل. وقول الباطل وفعله سهل أمره، ميسر فعله في كل مكان بدعم من الشيطان ورغبة من الأهواء والشهوات.

إنّ الشك أول مفاتيح العلم، فيجب على المسلم التعود على حسن استخدامه ليس شكاً في بعضنا، ولكن شكّاً فيما يقدم لنا على أنه دواء وفيه الشفاء من أيدٍ لانعرف عنها شيئاً. إذا لم نحسن استخدام عقولنا بقينا كما نحن صماً بكماً بل من العميان كما يقول عنا اليهود في كتبهم السرية. وعندها يجب أن لانلوم أحداً لأن مابنا دائماً هو من صنع أيدينا وحدنا، وإن نحن لم نبادر على إزالته أيضاً بأيدينا فلن يأتي أحدٌ ليبادر بإزالته لنا، حتى ولا الله سبحانه، لأنه قال لنا بصراحة وترك لنا الحركة الأولى بمشيئتنا نحن، وبدايتنا نحن:

﴿إنّ الله لايُغيِّر مابقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسِهِم﴾ ١١ - الرعد.

صدق الله العظيم.

ثامناً: صورة عامة عن واقع الحديث وكيف تطورت تلك الصورة في مختلف مراحل الانحدار الإسلامي

إنّ بقاء المسلم غارقاً في أوهامه في عالم لم يعد فيه للأوهام ولا لأصحابها مكان لم تعد من الأمور المحببة فيه.

ويجب على المسلم الذي يستفيق من أوهامه (لأنه إن لم يتخلص منها فلن يكون له أي دور على الإطلاق) أن يعلم أول مايعلم أنه أكبر عدو لنفسه، ومن بعده يأتي دور باقي الأعداء الذين كانوا ولازالوا للمسلمين، وبحسب عقلية العصر يجب ألا نلومهم لأنهم يسعون لتحقيق مصالحهم، فإن كنا أغبياء وسذجاً ومغفلين، يسهل عليهم خداعنا، فهذه مشكلتنا نحن وفرصتهم.

ويكفي أن ننظر إلى خارطة العالم حيث الحروب مشتعلة لنجد معظم المسلمين يذبحون بعضهم بعضاً، لمجرد مايحملونه من أوهام لاحقيقة لها خارج صناديق أوهامهم. قد يدفعهم من له مصلحة إلى ذلك، ولكن هذا ليس بعذر كاف عن السذاجة والغباء الدائمين. وقد كان دور جنود السلطان لخدمته لدى المسلمين في الألف والأربعمائة من السنين نفس الدور الذي كان للكهنة بالنسبة لفرعون في مصر، وظيفتهم كانت إخضاع الشعب لاستبداد الطاغوت ـ الذي دعوته في الكتاب بالسلطان كرمز إسلامي شرقي كما سميت كهنته (بجنود السلطان) ـ وجنود السلطان استخدموا الأحاديث التي وضعوها ظلماً باسم الرسول ﷺ ليتوصل السلطان إلى مايريد من إخضاع الشعب بأقل تكاليف ممكنة، وبأقل عدد ممكن من رجال الشرطة، وليتصرف السلطان بالوفر الحاصل في عطايا سخية على جنوده المخلصين الذين كانوا يعيشون أيضاً كالسلاطين. وقد ذكرت أكثر من مرة أن أستاذ البخاري في علم الحديث كان عنده ألف من النساء، أي نفس العدد الذي ذكرته التوراة من نساء النبي سليمان(*) فتصوروا!!!

أولاً: ماهي الصورة التي صورها جنود السلطان عن الرسول ﷺ وزوجاته ليس في كل الحديث ولكن فقط في صحيح البخاري ومسلم؟ علماً أن الشيخين قد استغنوا عن ٩٩٪ من الأحاديث الموجودة بين أيدي الناس، وقبلوا منها فقط أو استحسنوا منها

(*) ومصدر هذه المعلومة تاريخ ابن كثير الدمشقي.

واحداً في المائة فقط. فما هي الصورة من خلال ما اختاره الشيخان للرسول الكريم ﷺ حتى تكون بالتالي صورة لدى كل المسلمين عن رسولهم وآله أجمعين؟

لقد استغل الرواة والمحديثن وأغلبهم من الحاقدين والموتورين استخدام الأحاديث بشكل يكون ظاهرها تعليمياً وباطنها الدّسّ والإساءة للرسول ﷺ ونسائه أمهات المؤمنين أجمعين. علماً أن الكلام عنهن كان محرماً بدليل آيات الحجاب. وعدم دخول بيوت النبي دون استئذان. حتى يمنع عامة المسلمين وأعداء الإسلام عن خصوصيات الرسول ﷺ فلا يرى نساءه إلا عدد قليل من الصحابة الموثوقين والمعروفين والمقربين من الرسول بشكل خاص.

وكما قلت فإنني لن أقول أي شيء من عندي إلا معه الدليل الدافع من صحيح البخاري وصحيح مسلم حتى أكشف الأيدي من أيادي المغرضين والمنافقين المتسترين بالإسلام وأن غايتهم حسب زعمهم خدمة الإسلام، فيبيحون بذلك المحرم فيجعلونه حلالاً. مثلاً:

الحديث (٢٩٣): «عن عائشة: قالت كان إحدانا (إحدى نساء الرسول ﷺ) إذا كانت حائضاً، أمرها رسول الله فتأتزر بإزار ثم يباشرها».

هذا الحديث خبيث مع أنه منسوب لعائشة رضي الله عنها، ويحاول أن يصور الرسول ﷺ بأنه لايتقيد بأحكام القرآن الكريم، رغم أن الله سبحانه أمر كل المسلمين ألاّ يقربوا نساءهم أثناء المحيض. فكيف يسمح رسولهم لنفسه بأن يباشر نساءه أثناء المحيض؟ هذا أولاً.

وثانياً: كلنا نعلم كمسلمين إن الرسول لم يتزوج حتى زاد عن الخمسين إلاّ امرأة واحدة هي خديجة رضي الله عنها، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ الذي اكتفى بزوجة واحدة تكبره بعشر سنوات أكثر من ثلاثين سنة، لم يكن الجنس أكبر همه في هذه الدنيا، بل كانت له اهتمامات أكبر بكثير من ذلك ، فهو رسول الله ونبيه وهو رجل سياسة ودولة وفكر وعقل وحكمة، وكان من أولي العزم من الرسل، وحقق طموحات عملاقة. بينما يصرّ الحاقدون والمدفوعون من قبل السلطان إلا أن يصوروه بصورة الرجل الذي لاهمّ له إلا ممارسة الجنس مع النساء، وبصورة تتعدى حدود المنطق والمعقول ويدخل في مجال الإساءة من أجل تشويه صورته الحقيقية.

الحديث (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: «كان النبي يدور على

نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ (أي هل كان في طاقته كل ذلك) قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوّة ثلاثين» - أي ثلاثين رجلاً -

هل هذا الحديث وحي من السماء؟

هل هذا الحديث صادق؟ والذي ألفه هل يحب الرسول؟

هل هذه صورة حقيقية عن رسول الإسلام محمد ﷺ؟

متى وكيف قام الرسول بغزواته كلها؟

متى وكيف حقق الرسول أكبر إنجاز تاريخي ومعه رسالة الإسلام في العالم كله؟

وفوق كل هذا يحاول هؤلاء المغرضون أن يبينوا لنا أن الرسول ﷺ كان لايوفر حتى التي يأتيها الحيض، بل يضطجع معها، مع أن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن وسجل كتبة الوحي الآية القرآنية التالية:

﴿ويسألونكَ عن المحيضِ قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيضِ ولا تَقربوهُنَّ حتى يَطْهرنَ فأتوهُنَّ من حيثُ أَمَرَكُم الله إنّ الله يحبّ التّوابينَ ويحبُّ المُتَطَهرين﴾ ٢٢٢ - البقرة.

ماهو اللاواضح واللامفهوم في هذه الآية الكريمة. حتى يوضحه راوي الحديث بحديث خاص عن الرسول ﷺ ليوضح الدين الذي لايحتاج إلى توضيح؟

هل يعقل لرجل عادي وليس لرسول كريم أن يكون عنده إحدى عشرة امرأة في داره، فيلحق التي تحيض حتى يباشرها ويترك الطاهرات، والله سبحانه وتعالى يقول له في آية قرآنية (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهنّ حتى يطْهرن)؟ هل هذا مقبول منطقياً؟ لماذا لانستطيع أن نزيل الغشاوة عن أعيننا؟ فالأحاديث كما تشاهدون غير مقبولة وكذلك فإن المقصد للإساءة، والنية لتشويه صورة الرسول الكريم واضحة. وتحت باب (لاحياء في الدين) علماً أن الحياء من الإيمان ومن شروطه الأساسية.

الحديث (٣٢٣) من صحيح البخاري: «عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت: بينما أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميلة حِضت فأخذت ثياب حيضتي، فقال: «أنفست»؟ فقلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة».

وفي الرواية (٣٢٢) في صحيح البخاري: (نجد: نفس الحديث مع إضافة جديدة):

قالت: «وحدثتني أن النبي ﷺ كان يقبّلها وهو صائم، وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ في إناء واحد، من الجنابة».

هل غاية المحدث الصدق ومنفعة المسلمين بسنة عن الرسول ﷺ؟ أم غايته تعرية عورات الرسول وعرضهن أمام كل الناس بحجة لاحياء في الدين؟

ثم يعرض لنا الراوي صورة أخرى أيضاً مشوهة عن الرسول الكريم:

الحديث (٢٩٩) عن صحيح مسلم: «عن أبي هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد. فقال. ياعائشة! ناوليني الثوب، فقالت: إني حائض. فقال: إن حيضتك ليست في يدك، فناولته» هذه هي الصورة الأخرى للرسول التي يحبها أعداء الإسلام.

رسول الإسلام يقف في المسجد وينادي بأعلى صوته على زوجته أن تناوله الثوب فتجيبه الزوجة المصونة والكل يسمع أنها حائض، فيجيب عليها الرسول ﷺ الذي قال عنه الله تعالى في القرآن الكريم (ولو كنت فظّاً غليظَ القلب لانفضوا من حولك) فيقول لزوجته كأغلظ وأَفَظّ بدويّ حوته الصحراء أمام الناس (تناوليها فإن الحيضة ليست في يدك).

وتصفيق حاد للمحدث المؤلف أعطوه عشرة آلاف درهم بأمر السلطان وكل المحدثين يتسابقون لنيل عطاء السلطان حتى ألفوا مثل هذه ألأحاديث في كل نساء الرسول. ونحن لازلنا في صحيح البخاري ولم نخرج خارج نطاق ذلك الصحيح بعد، فهناك ٩٩٪ من الأحاديث التي تقشعر لها الأبدان. ذكرت في أماكن كثيرة من الكتاب أن السلطان كان هو الدافع وهو المشجع وهو أساساً صاحب المصلحة في تفريغ عقيدة الإسلام من الحقائق ومن العقلية العلمية التي تبشر بعقيدة كلها أوهام لقلب الناس من بشر فعّالين لهم أهداف وطموحات في هذه الحياة إلى مجرد أغنام وقطعان، يسوق بهم أي راعٍ إلى أي جبهة للقتال باسم الجهاد، لجلب المزيد من الغنائم، والعذارى للسلطان. ومن أجل الوصول إلى ذلك الهدف لابدّ من تشجيع جنود السلطان. وحتى لايظن أحد أني ربما كنت أبالغ أو أتجنى على الحقيقة فلا بد أن آتي من التاريخ بما يثبت هذا الكلام.

لنستمع للدكتور الشيخ مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ في كتابه (السنة) تحت البند السابع من فصل أسباب الوضع (الكذب) في الحديث.

بعنوان التقرب للملوك بما يوافق أهواءهم (الصفحة ٨٨).

ومن أمثلة ذلك مافعله غياث بن إبراهيم، إذ دخل على المهدي (خليفة عباسي) وهو يلعب بالحمام، فروى له الحديث المشهور «لاسبق إلاّ في نصل أو خفّ أو حافر» وزاد فيه «أو جناح» إرضاء للمهدي، فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم (مكافأة على هذه الدّرّة النفيسة التي أضافها على الحديث).

ثم قال المهدي بعد أن ولّى «أشهد أن قفاك قفا كذّاب على رسول الله ﷺ وأمر بذبح الحمام».

من الصعب أن نفهم لماذا يعطي سلطان الزمان لهذا الدجال المنافق وهو يعلم أنه دجال ومنافق هذا المبلغ الكبير بل وسيزيد استغرابنا لما حصل، ولكن سوف يزول هذا الاستغراب إذا علمنا أن السلطان وأي سلطان إذا أراد أن يقوم بأي عمل يغضب الله والناس سوف يحتاج إلى ذلك المنافق، حتى يؤلف له حديثاً عن رسول الله ﷺ له مفعول السحر والقانون الإلهي في نفوس الناس، بعد أن ينشره باقي الجنود من أئمة المساجد في ربوع البلاد بين الناس الذين يعتبرونه بمثابة القرآن الكريم، فتصبح له قدسية ولا يستطيع أن يعترض عليها إنسان مهما كان.

وفي الصفحة (٨٩) كتب يقول:

بل نحن نرى للمهدي تساهلاً آخر مع كذاب آخروهو «مقاتل بن سليمان البلخي» فقد قال له مقاتل: «إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس وبنيه» فقال له المهدي لاحاجة لي فيها.. ثم لم يفعل معه شيئاً بل نجد أنهم ذكروا عن الرشيد، وقد روى له أبو البختري الكذاب حديثاً مكذوباً أن النبي كان يطيّر الحمام: لايزيد في تأنيب أبي البختري ـ وقد أدرك كذبه ـ على أن يقول له «اخرج عني لولا أنك من قريش لعزلتك. وقد كان هذا الكذاب قاضياً للرشيد».

أي أنه كان من جنود السلطان المخلصين، ربما كشف الرشيد كذبه للناس من بين باقي الجنود، لأنه كان أقلهم كذباً، وبالتالي أقلهم إخلاصاً لوليّ نعمته (السلطان) عن بقية الجنود الذين لم يخبرنا أحد عن كذبهم أي شيء.

إذا قرأنا تاريخ الخلفاء (السلاطين) من بني أمية وبني العباس سوف تجدهم يشربون الخمرة مع الندماء، ويمارسون كل أنواع الفواحش حتى اللواط بالغلمان. تحت اسم (الصبيان) حتى أن اللواطة بالصبي اخترعوا له اسماً لطيفاً حتى لايجرح ذوق السلطان وإحساسه المرهف، فسموه (اللعب بالصبي) وحتى لايظن القارىء الذي سمع بكلام

من مجرد التاريخ قد يكون المؤرخ أو السلطان الذي كتب التاريخ أحب أن يتجنى على فلان وفلان، فسوف أضرب له أيضاً بمثال من الصحيحين على ذلك.

من الحديث (٥١٠٥) في صحيح البخاري: يشرح لنا البخاري المحرمات من النساء في هذا الحديث ويقول عن ابن عباس:

إذا زنا (الرجل) بأخت امرأته لم تحرم عليه امرأته. ويروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي جعفر (طبعاً لايروون تاريخاً بل يروون حديثاً شريفاً عن الرسول الكريم) فيمن يلعب بالصبي إن أدخله فيه فلا يتزوجن أمه.

لقد ازداد علم المسلمين علماً جديداً، وعلموا أن الرجل إذا لاط بالصبي وأدخله فيه عندها تحرم عليه أمه، فلا يستطيع أن يتزوج أم الصبي بعد ذلك. هذا هو الحرام، أما مافعل بالصبي فهو مجرد لعب وتسلية لاغير، وهذا أصله من التلمود وسأشرحه مستقبلاً..

من يريد أن يستزيد من هذا الأدب الرفيع عليه بقراءة ديوان نديم السلطان الشهير بأبي نواس الذي جعل الغزل بالغلمان علناً من الشعر الذي بدأت طبقة من الناس تستمزجه وتتناقله في عصر السلطان.. «وإذا لم تستح فافعل ما شئت» وقل أيضاً ماشئت.

الحديث (٤٥٢٧) في صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنه (في تفسير آية ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ قال:

(يأتيها في...) رواه محمد بن يحيى بن سعيد عن أبيه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر.

هكذا وردت في نص الحديث دون وجود المجرور للحرف (في..)، وإذا نظرنا إلى حاشية الكتاب عن الحديث (٤٥٢٧) نجد الشارح كتب مايلي: (قوله: في بحذف المجرور وهو الظرف: أي في الدُّبُر. قيل وأسقط المؤلف ذلك لاستنكاره كذا في الشارح).

ربما يستنكرها المؤلف والشارح والطابع والقارىء، ولكن الحديث كان موجوداً يتناقله الناس في عصر البخاري، ولم يكن أحدٌ يستنكر هذا الفعل حتى انتشر بين فئات كبيرة من المسلمين وحتى الآن. علماً أن الله سبحانه وتعالى اعتبرها من بين الكبائر وذكرها في بند الفواحش الباطنة، لأنها من الفواحش غير الظاهرة. أي إذا رأى أي إنسان رجلاً وزوجته في سرير واحد يمارسان الجنس فهو مباح لهما وحلال من الله، ولايعرف ماذا وكيف يمارس ذلك الرجل الجنس مع زوجته إلا هو وإياها ورب العالمين، فتصبح بذلك

من الفواحش المخفية عن الناس (الباطنة) إذا أتى الرجل زوجته من دبرها لواطاً.

وكان جنود السلطان عادة يأتون بما يجدونه من الإسرائيليات في كتب أهل الكتاب مما حرفوا عن أنبيائهم وملوكهم، فيدخلها أولاً بعض الجنود على أنها أحاديث نبوية شريفة عن الرسول دون أن يذكروا للناس مصدرهم الأساسي. ثم بعد ذلك تتفتق أذهان المحدثين عن أحاديث مفتراة عن الرسول بالذات كما رأينا في رواية أنس قبل قليل.

الحديث (٦٦٣٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال سليمان لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله. لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين» ولكن كيف علم الرسول ﷺ بغيب الله وماذا سيفعل أو لن يفعل؟

هذه السنن الجديدة هي التي كان السلطان يدفع فيها بسخاء، لأنها تثبت له السنن المحبوبة إلى نفسه. لأن الذي يفكر فيه السلطان هو حديث أبي هريرة التالي:

عن رسول لله ﷺ سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟

قال: «نعم، والذي بعثني بالحق بذَكَر لايمل وفَرْج لايَحفى وشَهوةٍ لاتنقطع».

ولكن السلطان يريدها على جنة الأرض وليس في جنة المأوى.

هذه هي صورة الأحاديث في عهد السلاطين، ولكن إذا أحببنا أن نعرف صورتها الحقيقية في عصر الصحابة فيما قبل الفتنة وقبل عودة السلطة من جديد إلى بيت أبي سفيان. هناك صورة أخرى مختلفة:

لنستمع لعبد الله بن الزبير الذي روى في حياته كلها بعض الأحاديث، وفي صحيح مسلم والبخاري له ثلاثة. ماذا يقول:

قال: قلت للزبير بن العوام: مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما أسمع ابن مسعود وفلاناً وفلاناً؟ قال:

أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعت منه كلمة يقول:

«من كذب عليّ فليتبوأ مقعدَه من النار»(*).

(*) كتاب السنة قبل التدوين دار الفكر ـ والحديث موجود في صحيح البخاري.

(وجالس الشعبي ابن عمر سنة فما سمعه يحدث عن رسول الله شيئاً).

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى «أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ مامنهم يحدث بحديث إلا ودَّ أخاه كفاه إياه، ولا يُستغنى عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه».

وقال مجاهد (صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث «مثل المؤمن مثل النخلة»).

(عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: «كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد»).

وفي رواية عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

ويصور لنا أبو هريرة رضي الله عنه محافظة الصحابة على السنة في عهد عمر في إجابته عن سؤال طرحه عليه أبو سلمة فقال له: أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته».

وفي رواية أخرى:

(لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني عمر بالدّرّة).

وعن أبي بكر الصديق: مما رواه الذهبي من مراسيل ابن أبي مليكة:

(إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله. فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه)(*).

أليست الصورة واضحة وجلية بأن الرسول وخلفاءه كلهم يدعون إلى كتاب الله وحده؟ . هل قال أحد منهم ابتداء من الرسول ﷺ حتى في الأحاديث الموضوعة؟ هل هناك قول مأثور عن الرسول يقول فيه هو أو أحد صحابته للناس: لاترووا الحديث أو لاتكتبوه لأننا نخشى أن يختلط حديث الرسول في المستقبل مع القرآن. هل لمثل هذه العبارة وجود حتى بين المكذوب على الرسول؟ لم أجد مثل هذا الحديث حتى الآن.

(*) نفس المصدر السابق.

لكن جنود السلطان كلهم قالوا ـ تفسيراً للأحاديث الصحيحة المنقولة عن الرسول وصحابته من الخلفاء الراشدين بأوامر النهي عن الحديث والكتابة عنه: إنهم رحمهم الله كانوا يخشون أن يختلط الحديث بالقرآن، أما نحن فإننا حريصون ولذلك لن نجعله يختلط في القرآن في أي يوم من الأيام، هذا هو الوهم الجديد الذي زرعوه في عقول شباب المسلمين على مدى الألف والأربعمائة من السنين، والغريب أن أحداً لم يتقدم ليكشف كذبهم كله ليعلنه على الناس كافة.

ويتجلى منهاج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته التي أوصى بها وفد الكوفة فيما روى قرظة بن كعب أنه قال:

«بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا إلى موضع قرب المدينة يقال له : صِرار، قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا: لحقِّ صُحبة رسول الله ﷺ ولحق الأنصار. قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم: إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل (وفي رواية: دوي كدوي النحل) فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم. (أي أنا أتحمل وِزرَ هذا العمل إن كان فيه وِزرٌ، وأشارككم بالخير والبركة لأني أعلم أنه من فعل الحق والخير)»(*).

لم يكن ثمة شيء اسمه السنة في عصر الرسول ويعتبر أساساً في الدين ولا في كل عصر الخلفاء الراشدين، بدليل كل الشهادات التي سمعناها عن مشاهير الصحابة، وهم يؤكدون عدم تناقل الأحاديث ولاروايتها إلا نادراً. والدليل الآخر أننا لانجد لهم أحاديث مروية باسمهم في صحيح البخاري ومسلم إلا نادراً. ولو كانت الأحاديث التي نسميها اليوم السنة مهمة إلى هذه الدرجة التي يحاول كل جنود السلطان أن يجعلوها لها لقالها الرسول في خطبة حجة الوداع مخاطباً كل مسلمي الأرض:

الحديث (١٢١٨) من صحيح مسلم: عن جابر بن عبد الله ـ في حديث طويل يهمنا أن نذكر منه الفقرة التي تخص موضوعنا منه:

«فأتى الرسول ﷺ بطن الوادي فخطب الناس وقال: ..... وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهدُ أنك قد بلغت وأدَّيتَ ونصحتَ».

(*) نفس المصدر السابق ص ٩٧.

فهل بلغ الرسول الرسالة التي هي القرآن؟ أم بلغ مابين أيدينا الآن والذي نسميه الحديث وأجمع على تسميته كل علماء السنة بالإجماع كتاب الحكمة؟

هل قال الرسول ﷺ مع كتاب الله وذكر كلمة وسنتي، كما ندعي اليوم ونقول تدويراً لما سمعناه من جنود السلطان، «كتاب الله وسنة رسول الله»؟ علماً أن القرآن أمام الجميع، والله سبحانه يقول فيه: إنه لم يترك أي موضوع يهم المسلمين إلا وذكره في القرآن الكريم، ليكون مرجعاً لهم، ولكنه لم يذكر أبداً أن لرسوله سنةً أو حتى لرسوله كلاماً خاصاً به في الدين؛ بل هو رسولٌ لتبليغ رسالةٍ من رب العالمين. وهل يفترض بأي رسول في العالم من أي رئيس إلى رئيس آخر في آخر الدنيا أن يحمل غير الرسالة لمن أرسله؟ أم أن له كلاماً خاصاً يجب أن يبلغه للرئيس الآخر؟ ومن دون علم رئيسه الذي أرسله؟ إن ذلك خيانة للرسالة أصلاً.. لماذا قال الله سبحانه في وحي القرآن:

﴿اليوم أَكملْتُ لكم دينَكم وأَتَمَمْتُ عليكم نعمَتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾ ٣ـ المائدة.

بحسب مانعلمه من الله تعالى الآية صحيحة تماماً، لأننا فعلاً قد استلمنا القرآن كاملاً غير منقوص وهو بين أيدينا كما أنزله الله سبحانه وتعالى، وفيه برهان من نفسه أنه كامل(*).

أما بحسب مابين أيدينا من أحاديث صحيح البخاري ومسلم التي هي كتاب الحكمة بإجماع علماء السنة فإن الدين لم يتم ولم يكمل بعد، لأن أهم كتاب في دين الإسلام لم يكتب إلا بعد مرور ثلاثة قرون بعد كتابة القرآن. فكيف نحل هذا التناقض؟ هل نحلّه لصالح الله وهو أصدق القائلين؟ أم نحلّه لمصلحة جنود السلطان وقد برهنت في هذا الكتاب بأنهم أكذب من عليها؟ فعلى المسلم أن يختار وحده من دون إكراه من أحد: لصالح من يجب أن يحل هذا الإشكال العويص الذي من أجله يُعاني المسلمون جميعاً حتى اليوم؟

إننا نعلم أن كل الخلفاء الذين أتوا بعد الخلفاء الراشدين كانت الدنيا أكبر همهم، إلا الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي، الذي يعتبره كل المسلمين بصدق واستحقاق أنه خامس الخلفاء الراشدين.

لنستمع إلى خطبته الأولى وهو يواجه المسلمين أول مرة في حكمه:

(*) الإعجاز العددي في القرآن ـ في كتابي الأول إنذار من السماء.

(لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: إنه لاكتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه السلام وإني لست بقاض ولكني منفِّذ، وإني لست بمبتدع ولكني متَّبع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم. إلا أن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق عزّ وجلّ).

وفي رواية أنه قال فيها أيضاً:

(وإني لست بِخير من أحدٍ منكم، ولكني أثقلكم حملاً. ألا لاطاعة لمخلوق في معصية الله، إلا هل أسمَعت؟).

نرجو من القارىء أن يمعن النظر في تلك الخطبة وفي كلماتها المختارة، حتى يعلم أن هذا الخليفة بريء مما اتهمه به جنود السلطان فيما بعد من تهم باطلة، مفادها أنه هو الذي شجع على كتابة الأحاديث لعلمهم بحب الناس له، فإن رووها عنه صدقه الناس أكثر. ثم لنستمع لآخر خطبة له في فترة حكمه التي دامت سنة ونصف السنة تقريباً:

حمد الله ثم أثنى عليه وقال:

(أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تتركوا سدىً، إن لكم معاداً ينزل الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى فخسر جنة عرضها السموات والأرض... إلى أن قال: وأيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة، أمر فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. واستغفر الله ووضع كمّه على وجهه فبكى حتى بل لحيته) فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله (مات متأثراً بالسم الذي دسه له الطامعون في الحكم من بعده من بني أمية)(*) لاحظوا قوله: (لكنها سنن من الله عادلة) ولم يقل بأي سنن من الرسول أبداً. وكذلك كل الخلفاء الراشدين لم يقولوا بسنة خاصة للرسول أبداً، فمن غير جنود السطان مع طاغوتهم له المصلحة في خلق تلك الكلمة وجعلها أهم من سنن الله التي في القرآن الكريم؟ المعروف أن عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين الأربعة كان خالياً من المسلمين الذين اشتد حب الدنيا في قلوبهم لدرجة أنستهم حب الله والرسول مع رسالة الإسلام الخالدة التي هي فقط القرآن الكريم. لكن هذه الأمور بدأت تظهر على الناس في خلافة عثمان رضي الله عنه، وبدؤوا أول مابدؤوا بتوجيه

(*) كل هذه الأخبار عن عمر بن عبد العزيز ـ عن تاريخ بن كثير الجزء التاسع صفحة ٢٠٧ ـ طبع دار الريان ١٩٨٨.

الاتهامات له بأنه يحابي بني أمية ويميزهم عن باقي القرشيين لدب الخلاف السياسي نزاعاً على الحكم. وخلال خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج عليه معاوية الذي رفض أن يبايعه كما بايعه باقي المسلمين، لابل اتهمه بمقتل عثمان ليس حباً به وإنما ليكون حجته على عليّ، لأنه كان يطمع بالحكم ويمنّي نفسه بإعادة الزعامة التي ضيعها عليهم محمد ﷺ الهاشمي بعد أن كانت في بني أمية وفي يد أبي سفيان، فكانت نظرته للموضوع نظرة قبلية بحتة، ونظرة حكم وسيطرة وليس فيها لا إسلام ولا مسلمون إلا بالشكل والاسم تمويهاً على الناس فحسب. فخلق منها الفتنة الكبرى، واقتتل المسلمون، وكاد الحق أن ينتصر بالقوة والسلاح على معاوية وأتباعه، فعمد هو وداهية العرب الثاني عمرو بن العاص باللجوء إلى خدعة التحكيم الشهيرة فقسموا بذلك أتباع علي بن أبي طالب إلى فئتين، إحداهما لم تكن راضية بالتحكيم أصلاً لأنها خدعة واضحة، فتركت ساحة القتال وهم الخوارج، فانتصر معاوية على من تبقى مع الخليفة ووصل ابن أبي سفيان إلى ماكان يتمناه في سرّه ومالايستطيع البوح به، لعلمه أنه آخر إنسان يمكن أن يطالب الناس بهذا المطلب علناً، فحصل عليه بالقوة والخديعة. وبعد مقتل علي بن أبي طالب على يد الخارجي أبو ملجم واستتباب الأمور لمعاوية من دون منازع قوي، انضم كثير من الناس من جديد إلى حزب المنتصر كما يحصل عادة في كل العصور على مبدأ (من تزوج أمي فهو عمي)، فصارت الغالبية العظمى من الذين نسميهم حتى اليوم بالسنة تؤيد السلطان معاوية، ومن بقي مع الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب ولم يتغيروا عليه مع تغير الزمن سموا بالشيعة، والذين خرجوا من المعركة سمتهم السنة بالخوارج. لأنهم كانوا يعلمون بقول الرسول الكريم (أنه إذا اقتتل مسلمان فالقاتل والمقتول في النار) وعلموا أن هذا الخلاف ليس لمصلحة المسلمين؛ وإنما لمصلحة من يسعى للكرسي والحكم والسلطان.

ثم أنتقل بعد ذلك للكلام عن صحيحي البخاري ومسلم لأنَّ بحثهما بشكل علمي هو الموضوع الأساسي لهذا الكتاب:

تاسعاً: صحيح البخاري وصحيح مسلم

نعلم مما قاله الشيخان أنهما استبعدا مايقارب من المليون حديث أثناء جرد الأحاديث لتأليف كتابيهما المسميين لدى المسلمين بالصحيحين. لكن الرجلين مع صدقهما وإخلاصهما كانا من البشر، وكان يحدهما بشريتهما بالعلم والمعرفة المعاصرة لهما، ولاننسى تأثير السلطان ورقابته من جنوده على مايمكن نشره وتأليفه ضمن مجال سلطنته من آراء قد يوافقون عليها أو يرفضونها، فكانا مضطرين أن يراعيا كل هذه الأمور حتى يستطيعا أن يعبرا عن رأيهما قدر الإمكان وبالمسموح به، فدخل إلى صحيحهما كثير من الأحاديث الموضوعة، ربما وهما مكرهين، أو ربما أحبّا تنبيهنا إلى خطورة وجودها بإيرادها في كتابيهما علماً أن كل ذلك قد أساء للإسلام وعقائد الناس ودينهم الشيء الكثير مع مابذله طبعاً جنود السلطان من الإضلال المقصود الذي دام فوق الألف من السنين.

وغايتنا في هذا الكتاب أن نبين للناس الذين أصبحوا على أبواب القرن الحادي والعشرين العقلية التي كانت سائدة في عصريهما بين الناس المحكومين من سلطان متجبر يفرض على الناس الذين يعيشون ضمن حدود سلطنته وتحت قهر تلك السلطة وجبروتها كثيراً من الممنوعات مع قليل من المسموحات في كل مجالات الحياة ومن بينها حرية التأليف والرأي والنشر، فلا نتوقع أن نكون مثلاً في عصر خلفاء بني أمية ويستطيع إنسان ما أن يذكر أحداً من بني أمية بما لا يرضي الأمويين. وقد ضربت على ذلك مثلاً كيف استبعد كل رواة الحديث ذكر اسم أبي سفيان مثلاً من بين المؤلفة قلوبهم حيث نجدها فقط في مسند الإمام أحمد بن حنبل، الذي عاش في العصر العباسي إذ كان أغلب التابعين وأبناؤهم يعلمون هذه الحقائق فلا يمكن إخفاؤها عنهم. ولكننا لن نجد حتى عنده أحاديث عن حمزة ولا عن فضله في الإسلام ولاعن أعماله، فهو بحسب رأي الأمويين قاتل جد معاوية لأمه وخاليه، وعلماء السنة هم الذين كتبوا تاريخ المسلمين لأن السلطة الشرعية كانت لهم وبيدهم. والذي يكتب التاريخ بنفسه ولنفسه لايمكن أن يكون إلا متحيّزاً. وإذا صدف ووجدنا كتاباً كتبه المعتزلة أو الخوارج أو الشيعة من الذين سمتهم السنة بالرافضة لَرُفضت كتبهم بحجة أنهم من أهل البدع والأهواء. والذي لايسمح لأحد بانتقاد. ولا يفكر أصلاً بأن ينتقد ذاته، فمن أين له أن يعرف الحقيقة؟

وأرجو أن يفهم الجميع أنني أنظر إلى جميع الطوائف الإسلامية الموجودة حالياً على الإطلاق

ودون أي تمييز أنّها من الذين تفرّق بهم السبل ولم يبق من الذين كان عليه الرسول ﷺ وصحابته أحد، فكلهم كانوا على كتاب الله وحده الذي هو القرآن، ولم يعد من بين كل الطوائف من يرضى اليوم بأن يكون القرآن وحده من دون كتابٍ آخر معه هو الإسلام الصحيح. ومع الأسف الشديد كل الطوائف الحالية تشرك مع كتاب الله كتاباً آخر فليس منهم من على هدي الله وصراطه بل على هدي آخر وصراط آخر غير هدي الله وصراطه.

إن أكثر المحدثين الذين كانوا يعلمون بنزاهة واستقامة عمر بن عبد العزيز أحبوا أن يستغلوا تلك النزاهة والاستقامة والسمعة الحسنة المعروفة عنه وبثقة أغلب الناس به لمصلحتهم وأن ينسبوا له أن هو الذي سمح لهم ببدعة كتابة الحديث التي ثبت منعها بشدة في عصر الرسول والصحابة. وقالوا عنه: إنه هو الذي شجع عليها، وهذه تهمة باطلة نسبت إليه، والدليل على بطلانها خطب الإمام نفسه كلها تؤكد على القرآن وسنة الله دون أي ذكر لسنة خاصة بالرسول أو أية إشارة إليها أو لغيرها من حديثٍ أو كلام خاص إلاّ عن كلام الله وحديثه وسنته، وهذا دليل كاف على براءة الرجل من هذه الجريمة المنسوبة إليه ظلماً. ولم يكن الرجل من الذين يشجعون البدع أو الخروج على أوامر الرسول ونواهيه التي يعلم أنها واجبة وهي من طاعة الله وطاعة الرسول، وقد نوه عن ذلك أيضاًفي خطبه. ربما حفظها الله لتبرئة هذا الإمام الشريف. لكن الذين اكتتبوا الأحاديث لم يتركوا باباً أو حجة من أجل قبول ماارتكبوا من جريمة لاتغتفر في حق الإسلام والمسلمين إرضاء للسلاطين مقابل دريهمات لهثوا كثيراً للحصول عليها، وهم يظنون أنهم بعيدون عن مقصد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة:

﴿فويلٌ للّذين يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عندِ الله فويلٌ لهم مما كتبَت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبونَ﴾ ٧٩ ـ البقرة.

ولا نظن أنّ ما أخذوه من تلك الدراهم أخلدتهم في الدنيا الفانية وكما لن تنفعهم أيضاً في الآخرة إلا بأن تكوى بها جباههم في النار.

أحاديث الأطفال:

هذا ابن عباس يعترف بنفسه أنه كان لايزال طفلاً عندما توفي رسول الله ﷺ.

حديث البخاري رقم (٥٠٣٥): (توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم) ـ وقد روى ابن عباس أكثر من ألف حديث عن الرسول مباشرة، وهو أكثر مما رواه الثلاثون صحابي الذين ضربت بهم المثل السابق في بداية هذه المقدمة، وهذا

يجعل مارواه وحده أكثر بستة أضعاف ماروواه كل أولئك تقريباً.

ومن بينها أحاديث له وهو حديث عهد بالرضاعة: والغريب أن السنة تأخذ به على أنه دين.

الحديث (٧٦٣) في صحيح مسلم المسلسل ١٨٢ عن ابن عباس:

«بات ليلة عند ميمون أم المؤمنين وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل. استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة أل عمران، ثم قام إلى شنّ معلّقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء ثم قام فصلى (قال ابن عباس) فقمت فصنعت مثل ماصنع رسول الله، ثم ذهبت فقمت في جنبه فوضع رسول الله يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع فصلى في تلك الليلة ثلاث عشرة ركعة ثم نام رسول الله ﷺ حتى نفخ (شخر) وكان إذا نام نفخ ثم أتاه المؤذن فخرج فصلى ولم يتوضأ» وقد وضعت خطاً تحت العبارات الهامة من هذا الحديث، أريد أن ألفت نظر القارىء إليها.

أولاً: قول ابن عباس نفسه: إنه نام في نفس غرفة خالته بالطريقة التي يصفها يدل على أنه كان طفلاً حديث عهد بالرضاعة، لكن الراوي بهّر هذا الحديث وأضاف إليه إضافات فصارت تناقض معلومات طفل في تلك السن بما هو معروف عن مدارك الأطفال. مثل عبارات ـ نام حتى انتصف الليل ـ فماذا يعرف الطفل من الوضوء حتى يميز الإحسان في الوضوء؟ . ثم صلى ثلاث عشرة ركعة، ثم عبارة ثم أوتر. هذه الملاحظات لاتكون إلا من فقيه في الدين درسها وتعلمها في معهد متخصص. فكيف في عصر نجد فيه أبا موسى الأشعري يأتي إلى عائشة رضي الله عنها ليسألها كيف يتم الغسل من الجنابة بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يتعلمها خلال كل حياة الرسول الكريم لما فيها من تقنية صعبة (الحديث مذكور في الكتاب).

الغريب الذي لايعرفه القارىء بعد أن علماء السنة بالإجماع يعتبرون هذه الرواية المفردة من طفل كافية لأن تصبح المعلومات الواردة فيها ديناً يعمل به الناس ويطبق على المسلمين، وأن يكون حجة ودليلاً دامغاً على أن هذا الحديث من الله وهو وحي من السماء، له قوة القرآن بل أكثر، وهكذا يمكن أن يفتي شيخ الإسلام بأنه يجوز للمسلم إذا نام وشخر لفترة قصيرة كما كانت في رواية ابن عباس هذه بأن يصلي من دون داعٍ

لإعادة الوضوء. ونحن لانناقش الوضوء هنا وإنما نناقش المبدأذاته، مبدأ الأخذ برواية طفل مهما كانت لتكون ديناً للناس. ولكن الأمور إذا كانت غامضة في البداية فمع بحث الإنسان عن سبب الغموض تتضح الأمور بعد ذلك. والمفتاح دائماً هو المصلحة، فلمصلحة من كان القبول بكل الروايات التي يروّج لها جنود السلطان؟ طبعاً لمصلحة السلطان الذي يدفع في سبيلها الغالي من الأموال. لأننا إذا رددنا مثل هذه الأحاديث للآحاد من الأطفال والنساء وشككنا فيها لشك الناس عندها بكل ماعند السلطان من أحاديث دفع في سبيلها مبالغ مرقومة حتى صارت كما هي لتدعم وجهة نظره وجنوده في كل موضوع من المواضيع، وتلك المواضيع هامة مثل تأييد السلطان في حكمه أو حديث يحصر السلطة في قبيلة قريش وحدها من دون باقي القبائل، حتى لايكثر المنافسون. ولم يكن في تلك العصور الاستبدادية أي مجال لحرية الرأي والفكر حتى يقول الإنسان رأيه دون أن يخشى السيّاف. لنستمع لابن قيم الجوزية وهو يقرر ذلك في كتابه الفوائد تحت عنوان: (كن في جانب الله ورسوله). توزيع دار الهدى - ١٩٩٤ - الرياض. (إذا كان الله ورسوله في جانب، فاحذر أن تكون في الجانب الآخر فإن ذلك يفضي إلى المشاقة والمحادّة.. ولا تستسهل هذا فإن مبادئه تجرّ إلى غايته. وقليله يدعو إلى كثيره، وكن في الجانب الذي فيه الله ورسوله وإن كان الناس كلهم في الجانب الآخر فإن لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته... ولكن من وطّن نفسه على ذلك فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقيناً له لاريب عنده فيه، وإلى صبر تام على معاداة من عاداه ولومة من لامه. ولايتم له ذلك إلا برغبة قوية في الله والدار الآخرة، بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا وآثر عنده منها، ويكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

وليس ثمة شيء أصعب على الإنسان من ذلك في بادىء الأمر، فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل، فإذا خالفهم تصدوا لحربه، فإن صبر وثبت جاءه العون من الله وصار ذلك الصعب سهلاً، وذلك الألم لذة، فإن الرب شكور، فلابد أن يذيقه لذة تحيزه إلى الله وإلى رسوله ويريه كرامة ذلك. فيشتد به سروره وغبطته، ويظفر بقوته وفرحه وسروره، ويبقى من كان محارباً له، على ذلك، بين هائب له ومسالم له ومساعد وتارك ويقوي بجنده ويضعف جند العدو.

ولا تستصعب مخالفة الناس، والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك، فإن الله معك وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك، وإنما امتحن يقينك وصبرك. وأعظم الأعوان على هذا؛ بعد عون

الله، التجرد من الطمع والفزع (الطمع في مال السلطان أو الفزع من سيافه) فمتى تجردت منهما هان عليك التحيز إلى الله ورسوله، وكنت دائماً في الجانب الذي فيه الله ورسوله.

ومتى قام بك الطمع والفزع، فلا تطمع في هذا الأمر، ولا تحدّث نفسك به. فإن قلت فبأي شيء أستعين على التجرد من الطمع ومن الفزع؟

قلت: بالتوحيد، والتوكل، والثقة بالله، وعلمك بأنه لايأتي بالحسنات إلا هو، ولايذهب بالسيئات إلا هو، وإن الأمر كله لله ليس لأحد مع الله شيء)(*) لقد كررت النص لفائدة أرجوها من الله تعالى.

قول الحقيقة في هذه الدنيا كان ولازال يحتاج إلى جرأة وشجاعة، خاصة وأن قائلها كان ولازال يعرّض نفسه لخطر بطش الجهة المتضررة من كشف تلك الحقيقة. ففي السابق كان قائلها يعرض نفسه لبطش سلاطين الأمة الإسلامية وجنوهم، ولولا الإيمان بأن الله أقوى من كل ذلك لما تجرأ أحد في التاريخ أن يكتب أو يقول الحقيقة التي يُؤمن بها إيمانه بوحدة الله سبحانه وبحبه لله وللرسول ﷺ. وجنود السلطان في أي دين ابتداء بكهنة فرعون يتشابهون. مثلاً: رجال الدين اليهودي والمسيحي يعلمون أن كل الكتب المقدسة في أيديهم قد حرّفها الناس وأضافوا عليها إضافات كثيرة، بدليل اختلاف كتبهم بطبعاتها المختلفة، فما هو موجود في هذه التوراة غير مذكور في الأخرى، وكذلك الأناجيل التي رواها الحواريّون كتبت أيضاً بالرواية مثل الأحاديث التي عندنا وقالوا عنها من الله، وحتى يوهموا الناس بصحتها قالوا: إن الله ألهم الذين قاموا بكتابتها (وحياً)، فكتبوها صحيحة من جديد (أي لم يبق من تحريف الرواة شيء كوجود أربعة أناجيل لأربعة من الحواريون (أي صحابة عيسى عليه السلام) هم بحسب تسلسل أناجيلهم في الكتاب المقدس (العهد الجديد) متّي - مُرقُس - لُوقا - يُوحَنّا - ويسمونها الأناجيل الأربعة، وكل إنجيل منها يختلف عن الأخر تماماً كاختلاف روايات أبو هريرة عن روايات ابن عباس وأنس وعبد الله بن عمر.

وكما اجتمع رجال الدين المسيحي في اجتماعات عامة في مجامع اسمها (المجمع المسكوني) وأقرّوا قرارات هامة مثل قرار تأليه المسيح كذلك فعل رجال الدين الإسلامي من دون عقد اجتماعات وأجمعوا رأيهم على جواز كتابة الحديث إكراماً للسلاطين، رغم نهي الرسول والصحابة عن كتابته أو روايته كما رأيتم. وأجمعوا على جعل تلك

(*) كتاب الفوائد ص ١٦٩ - ١٧٠.

الروايات وحياً أخر من السماء وسموها بالإجماع (كتاب الحكمة).

وأجمعوا أيضاً أن للرسول معجزات مثل معجزات عيسى وموسى رغم إصرار الله في القرآن على أن ذلك لم يحصل للرسول أبداً. وكلام الله وآياته تشهد على صحة ما أقول. وأجمعوا على القبول بعذاب القبر قبل القيامة وقبل الحساب مقلدين التوراة ومناقضين القرآن بكل ذلك.

كذلك أجمعوا على أن الرسول كان يعلم الغيب وما سيحصل في المستقبل من الأيام، علماً أن الله يؤكد أنه لم يشارك في غيبه أحداً من مخلوقاته أبداً في القرآن الكريم.

كما أجمعوا أيضاً على أن الله سبحانه قد اختار الرسول ليكون شفيعاً يوم القيامة رغم أن كل آيات القرآن تكذب هذا الإجماع.

وأجمعوا ـ وأجمعوا ـ وكل إجماعاتهم كانت ومازالت تناقض آيات القرآن الكريم وما هذا الكتاب أصلاً إلّا ليبين كيف حصلت هذه الأمور ولماذا ومن كان صاحب المصلحة. وماهو الصحيح الموجود في القرآن. وما هو الدليل الدامغ على أن كل إجماعاتهم كانت لمصلحة السلطان ولم تكن لمصلحة الله ولا لمصلحة المسلمين في يوم من الأيام أبداً.

وهكذا أحببت أن يعلم الجميع أن جنود السلطان كانوا يعرفون ويحرفون فقط بفضل ماكان يدفع لهم. ولماذا يدفع السلطان آلاف الدنانير التي كان يحرم شعبه منها أصلاً رغم معاناته الفقر والجهل والظلم إذا لم تكن مقابل خدمات يؤدونها؟ ليس في القرآن الكريم آية تجعل لعلماء المسلمين حصة في الزكاة ولا في الصدقات ولا حتى في الغنائم فمن أين لأستاذ شيخ ألف امرأة في قصوره؟ ومن أين يصرف على هذا الجيش من النساء؟ ولماذا يدفع له السلطان بسخاء؟ لم يكن أحدٌ من جنود السلطان على استعداد ليبوح لأحدٍ ولو بالسر من علمه ويقول مثلاً: إن الكتاب الصحيح الوحيد في الإسلام هو القرآن وماعداه تأليف لخدمة مصالح سيدنا ومولانا السلطان أدام الله بقاءه آمين معبودنا وشفيعنا ومصدر نعيمنا أجمعين. لم يكن أحد منهم على استعداد لقطع نعيمه بيده من أجل قول الحق والحقيقة. سواء كان ذلك الجندي من أتباع سلطان سنّي أو سلطان شيعي، فهما في النهاية قد أصبحوا سواء. ولم تختلف الأمور حتى بعد أن أصبح السلطان عباسياً بعد أن كان أموياً عند السنة وكذلك حتى بعد أن أصبح فاطمياً أو عثمانياً في النهاية. وختمناها بالسلطان الأخير عبد الحميد رحمه الله ورحمنا أجمعين.

وسوف أقدم لكم بعض المقتطفات من مقدمة الإمام مسلم لصحيحه لأبين لكم أن

السياسة هي التي كانت تقود الحديث وتقدره، وصاحب السلطة هو الذي يمنح الثقة للسند والمحدثين، فلانٌ ثقة فخذوا منه وعنه، وفلان ليس بأهل للثقة أي لايؤخذ عنه مايرويه من الروايات. وهذا هو ما يفسّر للقارىء موضوع كثرة أسماء اليعاقبة. (وهذا هو «السّر المستور» الذي سأعمد إلى كشفه بعد نهاية مقالنا هذا إن شاء الله تعالى). وطريقة حصولهم على أن يكونوا من أهل الثقة. لنقرأ الحديث التالي في مقدمة الإمام مسلم تحت باب النهي عن الرواية عن الضعفاء (أي غير الموثوقين كونهم لايساندون السلطان فلم يمنحهم جنود السلطان الثقة):

قال سمعت المغيرة يقول: (لم يكن يصدق على علي رضي الله عنه إلا من أصحاب (عبد الله بن مسعود) (هذا الحديث معناه بوضوح أن باقي الناس كانوا يكذبون على علي بن أبي طالب إرضاء للسلطان الأموي الذي عادى أهل البيت). فلما وقعت الفتنة (فتنة علي ومعاوية) قالوا: سموا رجالكم (رجال الحديث) فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم (أي المؤيدين للسلطان) وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (الشيعة - الخوارج - المعتزلة وكل الفئات الأخرى التي ظهرت بعد ذلك سميت بأهل البدع والأهواء).

لاحظوا الشيعة والخوارج أصبحوا في رأي علماء السنة من أهل البدع والأهواء. ورأي علماء السنة له اصطلاح آخر هو رأي الجمهور - أي جمهور علماء السنة - وعن ابن أبي زنار عن أبيه قال: (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون (علماء الحديث) مايؤخذ عنهم الحديث يقال (ليس من أهله) (وكلهم مأمون) أي لم يعرف عنهم الكذب (والذي لايكذب لايصلح أن يكون جندياً للسلطان).

وإذا تساءلنا لماذا لايؤخذ عنهم؟ ولماذا ليسوا من أهل الثقة؟ اتجاههم السياسي غير معروف أو لايؤيدون اتجاه السلطان وآراءه السياسية.

(سمعت سعد بن إبراهيم يقول لايحدث عن رسول الله إلا الثقات) والمقصود بالثقة طبعاً ليس شهادة رجلين أن الرجل من أصحاب حُسْن السّير والسلوك يوقعها المختار بعد ذلك، وإنما الثقة لمن نال رضى السلطان واستحسانه أو رضى جنوده واستحسانهم. كما في الحديث التالي:

(قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان الثوري: إن عباد بن كثير من تعرف حاله وإذا حدّث وجاء بأمر عظيم (أي قد يبوح ببعض الحقائق لأنه لم يكن من حزب السلطان) فترى أن أقول للناس لاتأخذوا عنه؟

قال سفيان الثوري: بلى. (أي أنا تماماً مع رأيك أنْ لا يسمع له أحد أبداً) قال عبد الله: فكنت إذا كنت في مجلس ذكر فيه عباد أثنيت عليه في دينه لأن الرجل لايُعاب عليه شيء من إيمانه وإسلامه، فأقول عنه مايرضي ضميري وأقول (للناس) لاتأخذوا عنه (خشية من جنود السلطان ومن رئيسهم سفيان) (لأن الأوامر صدرت إليه من جنود السلطان بذلك كما رأينا).

ولمن أراد أن يزداد علماً واطلاعاً على هذه المواضيع فإن مقدمة الإمام مسلم تحوي الكثير منه).

ويجب أن نضع في اعتبارنا دائماً بأن الإمامين البخاري ومسلم عاشا تحت سيطرة سلاطين بني العباس الذين أخذوا الحكم بعد ضعف سلاطين بني أمية وكلا العائلتين عادَت عائلة أبي طالب، فظل العباسيون في نفس الاتجاه السياسي الذي اختاره معاوية وسار عليه الأمويون من بعده. والشيء الوحيد الجديد الذي فعله العباسيون هو إضافة الأحاديث التي تؤيد أبناء العباس وأحقيتهم في الحكم مع إبقاء الروايات التي توجب أن يكون الحكم في قبيلة قريش لوحدها، بعد أن أعاد معاوية الوهم القبلي للإسلام من جديد.

وبذلك أبعد الناس أبعاداً تاماً عن نصوص القرآن الكريم؛ بل صار التركيز على مايراه السلطان من تثبيت العقيدة الجديدة عقيدة الروايات لتركيز وتثبيت الأوهام الجديدة والتي كلها في النهاية تخدم السلطان وحده طبعاً. علمّا أن القرآن الكريم نزل للناس كافة وليفهمه الناس كافة وأنزله الله بلغة رسولهم الذي نطقه لأول مرة بينهم ففهموه دون الحاجة إلى قاموس ومترجم. وآيات القرآن وكلماتها لاتحتاج من العبد أكثر من حسن الإصغاء والتلقي من الله مباشرة. من دون تحريف أو تغيير، فتدخل إلى نطاق فهم العبد مباشرة بحسب الخلفية المعرفية والثقافية طبعاً وقد يختلف الناس (بكمّ) الفهم بحسب قدراتهم على التلقي، نعم لكن الكل سوف يفهم فهماً مباشراً وصحيحاً. والله سبحانه يقول لهم مثلاً: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ ١٧ ـ الغاشية. ولم يقل لهم سبحانه مثلاً: (أفلا ينظرون إلى الفقمة كيف خلقت). لأن الذين كانوا يسمعون الرسول في مكة عند نزول الآية والله سبحانه يخاطبهم فيها كانوا يعرفون الإبل ويركبونها ويطعمونها ويشربون من ألبانها. أما الفقمة فهو حيوان قطبي لايعرفه أحد منهم في ذلك الزمان بل ولم يسمعوا بوجوده بعد من بين مخلوقات الله على الأرض أصلاً.

ورسالة الإسلام أصلاً هي القرآن الذي أرسله الله سبحانه وتعالى ليخرج به الناس من

أوهامهم وضلالاتهم، لأن كل مافي القرآن حقائق نورانية وعلمية، فقلب السلطان إرادة الله منه إلى عكسها تماماً بأن سحب القرآن من الناس وأعطاهم بدلاً عنه كل الأوهام التي ألفها جنوده من مصادر العلم والعلماء من كتب أهل الكتاب المحرفة مثل التوراة والتلمود والإنجيل التي نهانا الله سبحانه والرسول أن نأخذ منها لتناقضها مع منطق الله والرسول الذي هو القرآن، والمؤمن يجد دائماً الخبر اليقين في القصص القرآني، ومن خلال فهمه لذلك القصص يستطيع أن يفهم سنة الله في التاريخ التي لايبدله الله تعالى من أجل أحد والمدقق في ذلك القصص يلاحظ خطة عامة لله تعالى تتحقق على مراحل تاريخية متعاقبة. وخطة الله هي المنتصرة دائماً تاريخياً بغض النظر عن الزمن والمراحل الزمنية. ومن هنا نستطيع أن نفهم أن فكرة الحتمية التاريخية فكرة إلهيّة وتأثير الإنسان فيها هو مجرد تقصير الفترة الزمنية، وتقليل مايمكن أن يعانيه الإنسان من العذاب والظلم بالإيمان والانصياع لله من التجربة الأولى. ولكن حتى الموقف المعاند والمعاكس من الناس لايعني أن خطة الله قد توقفت بل قد تأخرت لبعض الوقت.

مثلاً عندما أرسل الله تعالى موسى لفرعون يدعوه للإيمان رفض فرعون دعوة موسى، وكانت النتيجة أن أنهى سبحانه عصر الفراعنة كلهم، أنهى دورهم تاريخياً ولكن الله في الرسالة التالية لرسالة أهل الكتاب وهي رسالة الإسلام شاء مرة أخرى أن يدخل الشعب المصري كله إلى الإسلام تقريباً، وتصبح اللغة العربية هي اللغة الرسمية في ذلك البلد إلى اليوم، ومصر لها دور زعامي وحضاري في رسالة الإسلام لايمكن أن ينكره أحد من المسلمين، هذا هو الذي قصدته من أن خطة الله هي المنتصرة في النهاية.

وكذلك وقوع المسلمين اليوم بشكل عام تحت سبل ضالة وعقائد إشراكية نتيجة سيطرة عقلية الحديث على المسلمين حالة مَرضيَّة سوف يزيلها الله تعالى، لأنَّ حفظ القرآن الكريم الذي بدأت إعجازاته الحقيقية تظهر للناس في القرن العشرين لم يتم بالمصادفة بل عن قصد وإرادة من رب العالمين، أن لهذا الدين ولكتاب الله دوراً عظيماً سوف يبدؤه الله من جديد، ليجعله فوق الدين كله، ويصبح كتاب القرآن هو كتاب العالمين، فتطور العقل البشري نفسه الذي رعاه الله الخالق المدبِّر المصوِّر وسيّره في الاتجاه العلمي الصحيح مجتازاً كل العقبات من دجل وأساطير وخيالات ضالة ومعتقدات نبعت أصلاً عن الهوى والجهل التي حصلت خلال سيطرة أهل الأهواء من البشر مع المظالم التي ارتكبوها من خلال الحروب والنكسات والانهيارات الحضارية، خلال قصص القرآن الكريم ناهياً عصور الإشراك القديمة كلها، والتي كان سببها الوهم ينتقل الإنسان إلى

عصر العلم والحقيقة من جديد.

فالقرآن يخاطب في كل آياته فكر الإنسان الذي ينشد الحرية الفكرية ويسعى لتحريرها من كل أنواع القيود والأغلال الوهمية التي علقت بفكره وعقله بشكل عام ثم عاد وعلق في فكر المسلم من أوهام السلاطين وجنودهم خلال الألف والأربعمائة من السنين التي مرت على رسالة سيدنا محمد رسول الله. والتي كانت مع الأسف كلها تقهقراً وانحداراً من الناحية الفكرية والعلمية بحيث شوهت تلك السنين كل الألوان الحقيقية للفكر السليم لأنها كانت تمنع من التقائها مع مصدر النور الطبيعي الكاشف لحقيقة كل الألوان، وهو ضوء القرآن الكريم مصدر النور الحقيقي والهداية الحقيقية لكل بني الإنسان. فأهمله المسلمون ابتداء من أول سلطان وهجروه بالإجماع حتى اليوم.

وقد لايصدق المسلم الذي يعلم ويؤمن بأن القرآن هو كتاب الله المميز للإسلام أنه إذا عاد ليطلع على تراثه الذي تركه له آباؤه الأولون خلال تلك المئات العديدة من السنين سوف يكتشف أنه لم يكن للقرآن أي وجود فيه، بل كان الوجود للروايات المنسوبة لأبي هريرة وابن عباس وأنس وعبد الله بن عمر وابن مسعود وغيرهم وغيرهم مدّعين أن كل ماورد في هذه الروايات هو من كتاب (وهمي لاوجود له حتى اليوم) اسمه الحكمة ويحوي المليون من الأحاديث رغم أنه لم يكتب حتى الآن في كتاب واحد يحويها كلها فنقول جوازاً: إن كتاب الحكمة هو ماورد في الصحيحين. وهم يصنفونها تصنيفات لها أسماء مختلفة فبعضها من الأحاديث القدسية، وبعضها يعتبر من المتواتر وبعضها من الجيد وبعضها من الحسن وبعضها يسمى بالضعيف، وقد أوردت في كتابي الأول أسماء تلك التصنيفات بحسب تصنيف الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله والتي صنفها على ستة وثلاثين صنفاً. وبما أن المسلمين بشكل عام يجهلون ماذا في الصحيحين من الأحاديث ومن الروايات فأحببت أن أكشف مافيهما للناس وأبرهن بالأدلة والشواهد من القرآن بأن أغلبها مجرد أباطيل وأوهام لاحقيقة فيها ولا علم. وحتى لايكون هذا الكلام مجرد ادعاء فلن ألجأ أبداً للكلام الخطابي العاطفي للتأثير على القراء بقوة البلاغة وحسن صف الكلام بل سأخاطب دائماً العقل والمنطق الذي وهبهما الله لكل بني الإنس ليكونا جهازاً للتمييز بين الحق والباطل في كل الأزمان على الأرض.

وقد لايصدق المسلم الذي يؤمن بالله وبالقرآن بأن الذين يدَّعون العلم والمعرفة لأنفسهم

من دون باقي العباد وكانوا يفرضون على المسلم أن يفهم دينه وقرآنه من خلال وجهات نظرهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم التي تسلب من القرآن كل سحره وعلمه ومعجزاته وتقلبه بحسب أسلوب الفهم هذا إلى كتاب عاجز عقيم فارغ من أي محتوى ومن كل شيء حقيقي كان ولايزال موجوداً فيه وناطقاً بذاته عن ذاته لمن يقرؤه مباشرة، ولكن بمجرد القبول بنظرتهم وبتفسيراتهم وقرنها بعقلنا الذي يبدأ بالقياس عليها وبحسبها يتحول عقلنا إلى عقل عاجز أيضاً عن الفهم لأي شيء حقيقي في الوجود كله ويستحيل طبعاً بعدها فهم القرآن بذلك العقل الذي أسأنا إليه منذ البداية فجعلناه مرتكزاً على مبادىء للقياس غير صحيحة أو بكلمة أصحُّ تعبيراً «بمبادىء للقياس وهمية». وفي لغة الحاسوب اليوم يسمى ذلك سوء برمجة من الشخص الذي وضع البرنامج ليغذي به الحاسوب. وما هذا العمل إلا نوع من الإضطهاد الفكري ليس بالقوة. ولكن بأسلوب البرمجة لعقل الإنسان بأفكار ومبادىء ومسلمات غير صحيحة على الإطلاق من الأساس. وسوف أحاول أن أكشف للقارىء بالتدريج أن كل ذلك لم يحصل بالمصادفة وإنما بالتخطيط والحساب من قبل عقول أضمرت الشّرّ لهذه الأمة حقداً وحسداً لإيقاف خطّ سيرها وإبقائها أمةً متأخرة، تحتاج دائماً لمن يمسك بزمامها ويقودها كالأغنام.

بقي علينا أن نعلم دوافع المنافقين من الحاسدين والموتورين من الذين دخل في وهمهم الفكري أن الإسلام كان نقمةً عليهم، فحقدوا على الإسلام والمسلمين وأقسموا مع شياطينهم على أن ينتقموا لأنفسهم ليقلبوه من دين فاعل وفعّال في الأرض وفي النفوس بالخير والعدل والإحسان والعمل الصالح إلى دين فارغ من كل حق وحقيقة لاخير فيه ولا عدل ولا إحسان وإلغاء العمل من أساسه إن لم يكن سعياً للفساد والإفساد في الأرض.

لننتقل إذاً إلى أهم بحث من أبحاث هذا الكتاب، لنكشف السرّ الذي يخشى كشفه أغلب علماء المسلمين من الذين نافقوا وساهموا وأجرموا وخربوا عقيدة المسلمين فعكسوا اتجاه سفينة الإسلام التي كانت تمخر باتجاه الرحمن فجعلوها على اتجاه سبل الشياطين في الأرض.

عاشراً: صورة عن دور المنافقين من الحاقدين والحاسدين في تحويل المسلمين من دين التوحيد إلى عقيدة الإشراك بالله(*)

إن أفضل مانبدأ به هذا البحث هو استعادة الصورة الحقيقية الأولى والدور الذي لعبه الشيطان مع أبينا آدم، الإنسان الأول على الأرض، من خلال مانتلوه من آيات القرآن الكريم.

ألم تكن علاقة إبليس بآدم أساسها الحسد؟

﴿إلاّ إبليسَ أبى أن يكونَ من السّاجدينَ﴾ ٣١ ـ الحجر.

﴿قال يا إبليس مالكَ ألا تكونَ من الساجدينَ﴾ ٣٢ ـ الحجر.

﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتَني من نارٍ وخلقتَه من طين﴾ ٧٦ ـ ص.

﴿قال ربّ فانظرني إلى يوم يُبعثون * قال فإنّكَ من المُنظَرينَ * إلى يومِ الوقتِ المعلوم﴾ فأقسم إبليس بعدها وقال:

﴿قالَ فبعزّتِكَ لأُغوينَّهم أجمعينَ * إلاّعبادَك منهم المُخلَصِينَ﴾ ٧٧ ـ ٨٣ ـ ص.

إنّ قصة إبليس نفسه تتكرر مرةأخرى، ولكن هذه المرة بين المسلمين المؤمنين من جهة وبين فئة من أهل الكتاب الذين أقسموا أن يضلونا عن ديننا حسداً من جهة أخرى، ولكن كيف حدث ذلك؟ . وما هي الصورة الكاملة للأحداث؟ : لقد رأينا ولمسنا دور المنافقين والحاقدين على الإسلام من خلال آيات القرآن شارحة للأحداث والتصرفات

(*) أرجو من القارىء الكريم أن لايفهم أنني أحمّل مسؤولية ماحصل معنا للمنافقين والحاسدين. إن مسؤولية ماحدث معنا لايقع على أحد سوانا، فنحن وآباؤنا الأولون المسؤولون أولاً وأخيراً عن كل ماحصل ومايحصل معنا الآن. لأن السبب كله يعود لعدم استخدامنا لعقولنا ولمواهبنا الإلهية من الأساس، ولعدم فهمنا وتحرصنا من الشياطين على اختلاف أنواعهم. وأنا إذ أكتب هذا الموضوع اليوم فقط حتى تنتبه لما حصل معنا قديماً لنصحح مسيرتنا، ونتحرص مستقبلاً وننبه أولادنا أن لايحصل معهم مثل ذلك أبداً. وإذا لم ننتشل نحن بأنفسنا أنفسنا من هذا الانهيار الحضاري والتاريخي فليس هناك من سيمدّ يده إلينا لينتشلنا أبداً. فيجب أن ننطلق من هذه الحقيقة مبكراً حتى نعلم ماذا علينا وماهو حجم العمل المطلوب منا ومن أولادنا في المستقبل، حتى نصحح اتجاه دفة السفينة وإعادتها إلى سبيل الله الصحيح.

التي حدثت في عصر الرسول والصحابة وكانت تلك بداية استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وتوقف وحي السماء عن الأرض. ثم ماحدث بالتآمر الأول ومقتل عمر بن الخطاب ثم أتبعُوا ذلك بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما. وجعلوا بعد ذلك من دمه ومقتله فتنة في الإسلام من أجلِ تحويلِ دفة الاتجاه كما يشاء الشيطان لاكما أمر به الله سبحانه في كتابه القرآن أصلاً، علماً أن الله سبحانه الذي خلقنا واستخلفنا في الأرض تركنا أحراراً نختار مانشاء ونفعل مانشاء بإرادتنا وحدها، دون تدخل منه سبحانه إلا ماكان منه بالوحي والرسالات لتقديم النصائح للإنسان حتى يجعله قادراً على التمييز بين الصحيح والخطأ، وبين الرحمن والشيطان. ومع كل تنبيهات الله التي في القرآن الكريم فإننا وقعنا في المصيدة وكله حدث بإذن الله لأننا لم نتحرص كفاية منذ البداية: ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للّذين آمنوا اليهود والذينَ أشركوا﴾ ٨٢ ـ المائدة.

وعند ظهور الإسلام ـ مع أنهم كانوا قبل ظهوره هم الذين يبشرون بظهوره ويعلمون صفات الرسول المذكورة في كتبهم ـ فإنهم بدل أن يؤمنوا به ويؤيدوه تنكروا له حسداً كما فعل إبليس بآدم، وأقسموا أن يضلوهم وبرّوا بقسمهم حيث قادوا المسلمين إلى نفس الاتجاه، ولم يتركوهم حتى أوقعوهم في الإشراك. فجعلوا محمداً ﷺ شريكاً لله بالشفاعة والغيب والقدرات الذاتية التي تجعله فوق مستوى البشر وأحدثوا له كتاباً مع كتاب الله سمّوه الحكمة.

ولولا الدعم الإلهي بكشف المنافقين ونواياهم وأعمالهم التخريبية في الإسلام عن طريق الوحي كاشفاً للرسول الكريم نواياهم الشيطانية لازداد خطرهم وتأثيرهم حتى على أوائل المسلمين، لأنهم كانوا لايتورعون عن الإساءة والتخريب في صفوفهم، والمسلمون يظنونهم منهم بينما كانوا قد أضمروا غير ذلك. وكانوا من أشدّ الأعداء على الإسلام والمسلمين لتسترّهم بالإسلام والدين مع كتم الحقد والبغضاء والإساءة في ضمائرهم ونفوسهم.

وهل يكون من الذكاء أم من السذاجة إن اعتقدنا في يوم من الأيام ـ وبعد أن علمنا بوجودهم وبخطرهم علينا وعلى ديننا من الله سبحانه ونصيحتنا ـ بعدم موالاتهم وعدم تصديقهم بآيات صريحة في القرآن الكريم ثم نظن أنهم قد تبخروا واختفوا بعد عصر الرسول ونظن أنه لم يعد لهم وجود؟

بل إنهم ازداوا عدداً وازدادوا قوةً وشدة وإساءة وضراوة، فصار يسهل على كل موتور

وحاقد منهم أن يقول بلسانه (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله). ويصلي مع الناس في المساجد ويصوم رمضان أمام الناس وقلبه قد أضمر الإساءة والتخريب في الإسلام ولايعلمه إلا الله علاّم الغيوب.

بل إن كثيراً منهم دخلوا الإسلام واختلطوا بين المسلمين سنين طويلة حتى أصبح المسلمون يدعونهم بالعلماء مما يسمعونه منهم عن قصص الأنبياء وأخبارهم وهم ينهلونها من مصادر للعلم لا معرفة للمسلمين بها، فأصبح منهم المحدثون والفقهاء والعلماء وصاروا يؤلفون كتب الحديث والفقه، ولايعلم المسلمون عن ضمائرهم شيئاً ولا عن حقدهم وإضمارهم الشر أيضاً.

فتلاقت نوايا هؤلاء مع مصلحة السلاطين في سعيهم للتسلّط على رقاب الناس وسوف أشرح كيف حوّلوا الناس عن الصحيح، وكيف حضروا البديل الذي اخترعوا وافتروه على الله والرسول، فأفرغوا الدين الإسلامي الحقيقي من كل محتوى، وجعلوه ديناً أجوف، مفرغاً من كل حقيقة ومن أي هدي ونور حقيقي. مازال طبعاً موجوداً في القرآن الذي سحبوه من أيدي الناس بحجج كثيرة، حتى أصبحت الشعوب التي تؤمن بهذا الإسلام الجديد الذي ألّفوه من أجهل شعوب الأرض وأضعفها وأفقرها. ونظرةٌ شاملة على خارطة العالم الحالية مع الاطلاع على أوضاع تلك البلاد الداخلية تعطينا صورة واضحة وصحيحة عن واقع الجهل والفقر والضعف الذي تعيشه ولا تستطيع التخلص منه تلك الشعوب، وأنا لا أتكلم عن خيال؛ بل عن واقع حياتيٍّ يعيشه المسلمون حالياً وعلى هذه الأرض وفي كل مكان.

وهناك شعوب إسلامية اكتشف شبابها في العصر الحديث هذه المأساة الفكرية كواقع من دون أن يكتشفوا الأسباب الخفية التي أُخفيت عن أغلب الناس بمهارة ودقة، فاستغلتهم الماسونية الحديثة تحت أسماء ومنظمات جديدة مثل: الروتاري والليونز وغيرها من المنظمات التي تعدّ فروعاً حقيقية للشجرة الأم، وأعطتهم الأفكار التقدمية من أجل استعمارهم واستثمارهم من جديد، لتكون تلك الأفكار بديلاً عن أفكار الإسلام التي كانت أساساً مما زرعه آباؤهم وأجدادهم الأولون في إسلام القرآن، من الذين دخلوا الإسلام منهم نفاقاً ونحن لانعلم أنهم جميعاً كانوا يتبعون مؤسسات (السر الخفي) الأم الأصلية لكل هذه المؤسسات الحالية التي استغاث بها شبابنا لإنقاد أنفسهم وهم لايعلمون أنهم كالمستجير من الرّمضاء بالنار.

فاقتنعوا منهم بسهولة بعقم الأفكار الإسلامية التي هي من صنع أيدي آباء السر الخفي فقالوا من جديد: آمنا بما عندكم وكفرنا بكل الذي عندنا، وكان هذا هو المطلوب أصلاً منهم، فضاع شبابنا مابين المنافقين وأذنابهم من جهلة رجال الدين عندنا، فأُقنِعُوا بأفكار جديدة ـ أُضِلُّوا بها عن قصد وتعمّد، لأنها كلها أفكار تخدم الاستعمار والمستعمرين دون أن تخدم الشعوب الإسلامية المتأخرة بسبب أوهام الماسونية القديمة (السر الخفي). فأتى شبابنا بأفكار من نفس المصدر الأول لتكون أشدّ ضرراً، حتى يتم التخطيط الأساسي لأصحاب الفكرة من أجل تأسيس دولتهم العظمى وتحقيق حلمهم الأزلي ـ وليس من أجل صحوتنا وتقدمنا نحن المسلمين.

وإني لعلى ثقة بأن الحل لابد أن يخرج من داخل هذه الشعوب وبما لازالوا يحتفظون به سليماً مع أنه بقي مهملاً من الجميع حتى الآن، وهو القرآن، كتاب الله الذي وصانا به رسولنا في حجة الوداع بأننا لن نضل طالما بقينا متمسكين به ولكن ليس أن نتمسك به رمزاً واسماً، بل لنتمسك بما فيه من تعاليم وإرشادات صحيحة من الله سبحانه حيث ينهانا فيها عن كل الأخطار التي تحيط بنا ـ لتنير لنا جميعاً السبيل، حتى لانتوه عن سبيل الله الصحيح الذي في القرآن وحتى لاينجحوا بأكاذيبهم في وضع النير على رقابنا من جديد ليفلحوا بنا أرضنا ويستثمروها بعرقنا وتعبنا، ليأكلوا وحدهم خبز القمح ويضنوا علينا بعدها حتى بالتبن الذي فضل وبقي على بيادرنا، فنضطر لندفع ثمنها لهم من جديد. إن الفكر والعقيدة مازالا موجودين سليمين ومانحتاج إلا إلى شباب مؤمن ليدعوا إلى هدي الله بهمة من جديد بالحكمة والموعظة الحسنة، ونهضة المسلمين عندها لاتحتاج إلى قرون طويلة بل إلى سنين معدودات ليست بأكثر من جيل واحد وبإمكان نفس الجيل أن يأكل من الثمار. ولكن هذا لن يحدث هكذا لوحده، بل يحتاج إلى حركة فكرية قوية يجند لها كل أقلام المفكرين من شباب المسلمين ورجالهم المثقفين من الذين يعلمون الحق والحقائق، وميّزوا الوهم والأباطيل، وعندهم القدرة على فرزها وتحييدها.

هؤلاء وحدهم القادرون بمعونة الله طبعاً على إعادة الناس إلى كتاب الله الواحد، مع إلغاء باقي الكتب لإلغاء كل إشكال التفرق والتشيّع والانقسام الموجودة حالياً في العالم الإسلامي كله تحت أسماء مختلفة، وكلها من سبل الشياطين وليس فيها سبيل واحد لله سبحانه وتعالى كما أمر به في كتابه الكريم.

نتيجة لما زرعه المنافقون وأعداء المسلمين بتأييد من سلاطين المسلمين الذين باعوا كل شيء في سبيل جنتهم التي كانوا يريدونها على الأرض ثم تحولت تلك الجنة إلى جحيم حتى بالنسبة للسلاطين في أواخر العهد العباسي، بعد أن سيطر جنود الأتراك وضباطهم على القصور السلطانية فصار كل السلاطين ألعوبة بين أيديهم يقتلون من يشاؤون منهم وينصّبون في نفس اليوم من يشاؤون أيضاً سلطاناً جديداً على المسلمين.

وفي هذا العصر الكئيب عاش الإمامان البخاري ومسلم حيث كان البخاري أكبر من مسلم بعشر سنوات تقريباً، وكانت حياتهما العملية قد بدأت بعد وفاة المأمون واستلام المعتصم زمام الأمور عام ٢١٨ هجرية، فكان البخاري شاباً في الرابعة والعشرين ومسلم في حدود الرابعة عشرة تقريباً، وكان لايزال تلميذاً يتعلم علوم الحديث.

ومن المهم جداً أن نعرف من هم الذين كانوا يسيطرون من علماء السنة في تلك الأيام على قول كلمة الفصل في دين الإسلام من فتوى وقضاء وعلم الحديث، ومن هم الذين كانوا يقررون أن يكون هذا الشيخ ثقة يؤخذ عنه، ومن هو الذي كان غير جدير بتلك الثقة فتسحب منه فلا يسمعه أحد بعد ذلك.

وعندما جلد المعتصم الإمام أحمد بن حنبل لعدم إقراره بخلق القرآن ـ كان البخاري لايزال يتتلمذ على شيوخه في بغداد، ومنهم عمر بن مرزوق الذي يروي ابن كثير أنه تزوج ألف امرأة(*). فهل هذا الغنى الفاحش تكرم به السلطان على هذا الشيخ بلا مقابل؟ وقد كانت القوة العسكرية في هذه الفترة (كما نوهنا قبل ذلك) بيد جنود الأتراك وضباطهم، أما شؤون القضاء والدين فقد آلت إلى فئة المنافقين الذين تكلمنا عنهم قبل قليل، ولسوف أذكر أسماءهم وعلى القارىء أن يحكم بعد ذلك بما يشاء.

* بشر المريسي: هو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي، المتكلم شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون. وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً في شيء من الفقه. وأخذ عن أبي يوسف القاضي وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم. ويقال: إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة، وكان يسكن درب المريسي ببغداد(**).

أحببت أن أبدأ ببشر هذا بالذات لأن علماء السنة أرادوا كشف هويته للناس لكونه من

(*) تاريخ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي الجزء الخامس ـ ص ٣٠٤ طبع دار الريان ـ القاهرة.

(**) تاريخ البداية والنهاية ـ ج ٥ ـ ص ٢٩٤

المعتزلة وعدم انتمائه لهم. ولكني سوف أذكر القائمة التي لم يشأ علماء السنة حتى اليوم الكشف عن أسمائهم كونهم من علماء السنة ومن الثقات الذين يعتمد عليهم ـ وهم:

* إبراهيم بن أسحق. أحد مشاهير الأئمة في الفقه والحديث، وكان زاهداًعابداً تخرج على يد أحمد بن حنبل وروى عنه كثيراً. توفي عام ٢٨٥ هـ ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي (قاضي القضاة) في بغداد في جمع غفير(*).

* إبراهيم بن إسرائيل: كان قائد الجيش عند خلفاء بني العباس في فترة حكم هارون الرشيد.

* إبراهيم بن مهران «أبو إسحق»: كان الإمام أحمد بن حنبل يدخل منزله وينبسط فيه ويفطر عنده وكان من الثقات (شهادة من السلطان وجنوده).

* إبراهيم بن علي (أبو أسحق) الفقيه الشافعي، كان مناظراً فصيحاً بليغاً شاعراً.

* إبراهيم بن يعقوب بن إسحق (أبو إسحق الجوزجاني). خطيب دمشق وإمامها وله من المصنّفات المشهورة المفيدة، منها المترجم وفيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة.

* إبراهيم بن يوسف: محدثٌ. حدَّث عن أبيه أبي إسحق عن هبيرة.

* إسحق بن إسرائيل: محدّث وفقيه، مات في خلافة المتوكل وكان أبوه إسرائيل محدّثاً أيضاً.

* أبو إسحق بن علاء اليهودي: ضمن ضياع الخليفة عام ٤٥٣ هـ من مكان اسمه صرصر إلى مكان اسمه أواثي في كل سنة يدفع ستة وثمانين ألف دينار وسبعة عشر كر من غلّة.

* إسحق بن الحسن: هو ابن ميمون بن سعد، أبو يعقوب الحربي، محدّث سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما.

* إسحق بن محمد بن يعقوب الزهدي، عمَّر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً (يحمل شهادة الصدق والأمانة من السلطان وجنوده).

* إسحق بن موسى بن عمران الفقيه بن أبي يعقوب الإسفرانيني الشافعي.

* إسحق بن موسى بن عيسى. حجّ بالناس عام ٢٠٢ هـ في خلافة إبراهيم المهدي.

(*) كل هذه المعلومات والتي سوف تأتي بعدها عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير، صفحة ١٨٦ ـ ١٨٨ الجزء العاشر.

* إسحق بن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقري، محدّث، توفي عام ٢٧٤ هـ.
* أيوب بن سليمان بن داوود الصفدي، محدّث روى عن آدم بن إياس وعن ابن صاعد وابن السماك. وكان ثقة (يحمل شهادة الثقة) توفي في رمضان سنة ٢٧٤ هـ.
* داوود بن سليمان الجعفري، من أعيان بغداد توفي عام ٢٦١ هـ.
* شعيب بن أيوب، من أعيان بغداد توفي عام ٢٦١ هـ.
* أبو داوود السجستاني، وهو صاحب السنن المشهور، واسمه سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشر بن شداد بن يحيى بن عمران، أحد أئمة الحديث الرحّالين إلى الآفاق في طلبه، جمع وصنف وخرّج وألّف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك له السنن المشهورة المتداولة بين العلماء.
* سليمان بن داوود الساذكوني، محدّث وفقيه، روى عنه أبو عبد الله الباهلي البصري.
* عبد الله بن يعقوب بن إسحق العطار. قال عنه ابن الأثير: كان كثير الحديث معدّلاً عند الحاكم.
* عبد الله بن شمعون: هو أبو أحمد الفقيه المالكي (نسبة للإمام مالك بن أنس) توفي ببغداد عام ٤٦٩ هـ .
* عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد، ولد عام ٢١٦ ، وكان أحد الحفّاظ، يحفظ ١٠٠ ألف حديث، جمع المشايخ والأبواب وروى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهما.
*كعب الأحبار (وهو من يهود المدينة) روى كثيراً من الأحاديث ودخلت على يديه الإسرائيليات إلى دين الإسلام وبكثرة بعد أن نسبها إلى لسان الرسول الكريم افتراء. فالرسول ﷺ لم يكن بحاجة للإسرائيليات ومعه القرآن.
* يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا الفارسي. كتب بمصر الحديث عن الربيع بن سليمان، وكان ثقة صدوقاً عند الحكام (وسام شرف من الدرجة الأولى ممنوحة له من السلطان).
* يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن عبد السلام. الشيخ الإمام العلامة البارع الفاضل في أنواع العلوم يلقب بأبي زكريا الصرصري.

* أبو يعقوب الإسرائيلي: هو إسحق بن محمد بن يعقوب، وكان من المحدثين سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما.
* يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة، الملقب بأبي يوسف القاضي. وأبو يوسف كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة، روى الحديث عن الأعمش وهمام وعروة ومحمد بن إسحق ويحيى بن سعيد وغيرهم، وكان أول من ولاه القضاء هو الهادي. وهو أول من لقب بقاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا (رئيس المحكمة العليا في العالم) واستلم من بعده القضاء ابنه يوسف وكانت وفاته عام ١٨٢ هـ .
* يعقوب بن داوود بن طهمان. استوزره المهدي وحظي عنده جداً وسلم إليه أزمة الأمور.
* يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الإسفرانيني. وقد كان من الحفاظ المكثرين والأئمة المشهورين. توفي عام ٣١٦ هـ .
* يعقوب بن يوسف بن أيوب الملقب بأبي بكر المطوعي: فقيه ومحدّث سمع أحمد بن حمبل وعلي بن المديني، وكان وِرْدُهُ قراءة قل هو الله أحد (واحداً وأربعين ألف مرة في اليوم) وعلى فرض أن قراءتها تأخذ في كل مرة خمس ثوانٍ فتكون النتيجة أنه يقرأ في مدة خمس وخمسين ساعة في اليوم، واليوم ليس فيه أكثر من ٢٤ ساعة، وهكذا كل مبالغات أهل الحديث فإنهم يقولون دائماً كلام غير مسؤول. لا في الدنيا ولا في الآخرة. وماذا أفاد الله وأفاد نفسه الذي يضيع وقته الثمين في ترديد كلمات لاينتفع منها علماًولا عملاً في شيء؟

* يعقوب بن التائب.
* أبو يعقوب بن الرشيد.
* يعقوب بن السكيت.
* يعقوب بن العادل.
* يعقوب بن الليث.
* يعقوب بن السفيان.
* يعقوب بن شُبّه.
* الشرف يعقوب بن عبد الله.

* الزين يعقوب بن عبد الله.
* يعقوب بن فارس الجعبري.
* يعقوب بن نعيمة بن قد قارة.
* يعقوب بن يوسف أبو الفتوح.
* يعقوب بن يوسف بن أبي بكر.

وهكذا ألف يعقوب ويعقوب نزلوا بأمر ربهم جنوداً لله من السماء لنصر دين الإسلام والمسلمين ـ وحل مشاكل المسلمين من فقر وجهل ووهم وتفرق وتشيّع وكسل وتوقف عن العمل والإصلاح في الأرض(*).

هل يظن أحدكم أن هذا اكتشاف جديد؟

في الحقيقة كل ماكتبته في الفقرة السابقة موجود في كتب التراث الإسلامي دون أن نجد من يشير إليهم لا عن أصلهم ولا عن انتماءاتهم السابقة، ولا عن سبب هذا الهوى الجديد بالتسمي بأسماء بني إسرائيل كلها، على عكس عادة العرب منا كمسلمين، إذ لم نجد لكل تلك الأسماء وجوداً في عصر الرسول وعصر الصحابة ولا حتى في العصر الأموي، وإنما بدأ ظهورهم في العصر العباسي وخاصة في العصر المتأخر منه ومن بعد المنصور والسفاح وهارون الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، علماً أنهم كانوا موجودين منذ بداية العصر العباسي.

أليست هذه الظاهرة غريبة؟ ألا تستدعي أن يَجِدَّ لها من يبحث عن الحقيقة حتى يكشف للناس عامة حقيقة ضُلِّلَ عنها الجميع لغايةٍ في نفس يعقوب؟

إلى من تشير أصابع الاتهام؟.

لقد ثبت بالدليل والبرهان من خلال دراستي لصحيحي البخاري ومسلم أن الشيخين قد قدما لكل المسلمين وثيقة اتهام كاملة لعصريهما، بأن هناك أناساً عملوا على تحريف كتاب الله وآياته، بآيات ووحي ثانٍ مدعى لا دليل له إلا تلك الروايات المتناقضة التي نجدها هنا وهناك من أقوال فلان وفلان من رجال السند، علماً أن رجال السند يمكن أن يكونوا كلهم بريئين من التّهم الموجهة إليهم جميعاً، لأني لا أعتقد أبداً صحابةً للرسول

(*) كل هذه الأسماء مع ما ألحق بها من صفات ومزايا نقلتها حرفياً عن كتاب تاريخ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي طبع دار الريان ـ القاهرة ـ عام ١٩٨٨.

الكريم عاشوا معه وأحبّوه أن يعودوا في النهاية ليفتروا على رسولهم أحاديث كاذبة. لكني أعتقد أن المتأخرين وخاصة في العصر الأموي والعصر العباسي لم يخلوا من بعض النفوس الضعيفة التي ارتكبت جرم الكذب بحق الله والرسول. وحتى يكون كلامي مدعوماً بالأدلة أضرب عليه مثالاًواضحاً لايستطيع تكذيبه أحد، خاصةً إذا كان ذا علم وبصيرة ومنطق سليم.

من الباب رقم (١٩) وهو باب الرجاء مع الخوف في صحيح البخاري. كتاب الرقاق حيث نقرأ الآية التالية في مقدمة الحديث: (٤٦٤٩) من صحيح البخاري: وقال سفيان: مافي القرآن آية أشدّ عليَّ من:

﴿لستُم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكم من ربّكم﴾. ٦٨ ـ المائدة.

فلو فرضنا أن أحد أئمة المساجد اليوم جعل قول سفيان هذا موضوعاً لخطبته على اعتبار أنه وجد هذا القول في صحيح البخاري دون أن يعلم أن البخاري رحمه الله كان يشير إلى قول سفيان هذا بأنه يناقض نص الآية الصريح في كتاب الله، فيعتبر أن ماقاله سفيان هو الصحيح متغاضياً عن قول الله تعالى في كتابه العزيز. وماذا يمكن أن يفهم من ذلك مستمعوه وهم قد استمعوا إلى نصٍّ مبتورٍ؟ كأن نقول: (ويل للمصّلين) ونسكت عن تتمة الآية الكريمة.

وعندما يعود المسلم إلى بيته بعد أن حضر خطبة الإمام يسأله أولاده أو تسأله زوجته ماذا سمع اليوم في موعظة الجمعة؟

هل يمكن أن يحدِّث إلا بما سمع؟ وماذا دخل إلى علمه من جديد؟

إنه سوف يقول بناء على ماسمعه: إن كل مسلم ومسلمة لايمكن أن يكونا مسلمين ولا مؤمنين صحيحين إلا إذا آمنا وطبّقا كل ماورد في كتب التوراة والإنجيل مع باقي كتب أهل الكتاب الأخرى من مزامير وتلمود.

فإذا أتينا لهذا المسلم وأمثاله من الذين يسمعون ومازالوا أكاذيب سفيان وأصحابه المنتشرة في مانسميه اليوم بالأحاديث الشريفة ـ وأغلبها مكذوب ولا صحة فيه ولايجوز الأخذ بها ـ إنهم سوف يردّون علينا جميعاً قائلين:

إنكم لستم أعلم من الله سبحانه فهو الذي يطالبنا بأن نؤمن ونعمل بها قبل أن نؤمن ونعمل حتى بقرآننا، والدليل هو قول سفيان من القرآن الكريم:

﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أنزلَ إليكم من ربّكُم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

والآية واضحة وصريحة إذا قرأناها على مشيئة سفيان كما رواها خطيب الجمعة، لكنه بلا شكّ في ذاكرة الإمام ـ كمسلم يجب عليه الحرص والشك دائماً ليس من باب التشكك في الناس، ولكنه من باب جل من لايخطيء والحرص واجب، والشك أول مبدأمن مبادىء العلم الصحيح ـ ولو شكّ الإمام في صدق سفيان أول مرة، ولو شك المسلمون بما يقرؤونه في الصحيحين ودققوا النظر، لاكتشفوا أن الإمامين ينبّهانهم إلى تناقض الأحاديث وتناقضها مع كتاب الله. لذلك لابد من فتح كتاب الله على الآية ٦٨ من سورة المائدة لنقرأ الآية الكريمة مباشرة دون وساطة سفيان أو غيره من الوسطاء. فماذا نجد؟ نفاجأ أن سفيان قد أخفى بداية الآية حتى لاننتبه إلى خديعته كلها.

نجد الآية موجّهة لأهل الكتاب وليس لنا نحن المسلمين:

﴿قل يا أهلَ الكتابِ لستم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكم من ربكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

أما إذا أحببنا أن نعلم ماذا يطلب منا سبحانه أن نتبع نجد الآية الكريمة موجهة للرسول محمد ﷺ: ﴿وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقّ مصدّقاً لما بينَ يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكُم بينهم بما أنزلَ الله ولاتتّبع أهواءَهُم عمّا جاءك من الحقّ لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلَكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ ٤٨ ـ المائدة.

وهكذا نجد الله تعالى يقول لنا بصراحة ما بعدها صراحة أن لانتبع أهواء أهل الكتاب، بل نتبع القرآن والذي بين أيدينا من آيات الشرع والدين الإسلامي (الرسالة). وقد جعل الله لكل منا ومنهم شرعاً خاصاً ومنهاجاً خاصاً، ولم يشأ أن يجعلنا أمة واحدة. بل جعلهم أمماً وجعلنا أمة المسلمين أمة واحدة، نختلف عنهم بعقائدنا وكتابنا.

وهكذا يأمرنا سبحانه أننا مسؤولون لوحدنا وما نحن بمحاسبين عنهم أبداً ولا بما في كتبهم أو منهجهم أو محرماتهم، بل علينا بديننا ومحرماتنا وقرآننا وشرعنا ومنهاجنا وإطاعة رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فقط.

وسفيان الذي كان يعلم قبل الجميع لكنه شاء أن يخفي الجزء الأول من الآية (قل يا أهل الكتاب) حتى يضلّنا، وقد نجح لفترة طويلة، ولكن يجب أن يكون لنجاحه حدٌّ

ونهاية. يجب أن نعود إلى كتابنا حتى نعلم الحقيقة التي أخفاها علينا سفيان وأمثاله من دين المسلمين ومن كتاب الله العلي العظيم.

وهكذا عمل شياطين من الإنس باطمئنان وأمان وهم يهدمون أسس الإسلام ويخربون على المسلمين منهاجهم كما يشاؤون من أجل إضلالنا وجعلنا أمةً متخلفة بدل أن نكون في مقدمة الأمم التي تتبع كتاب الله وسنته وهديه الصحيح.

لقد أقسم أمثال سفيان على إضلال المسلمين عن سبيل الله الصحيح إلى السبيل الذي اختاره لهم سلطانٌ اختار سبيل الدنيا وفضّله على سبيل الله المبين في كتاب المسلمين.

ولقد كان سفيان وأمثاله على ثقة تامة في أيامهم، بأن أحداً لن يكتشف أمرهم، لعلمهم أن كتاب القرآن محجور عليه عندهم في خزائنهم المقفلة ولايلمسه أحدٌ إلا من المطهّرين من أمثالهم الذين أوتوا العلم والمعرفة وحدهم من دون باقي الناس جميعاً.

فلم يعد، بعد أن صدَّق لهم السلطان بكل ذلك، يسمح لأحد بأن يقرأ القرآن وحده، أو يفسره أو يؤوله لأنه كلام الله شديد وثقيل على أفهام الناس، وسهل عليهم فهمه وتأويله وتقسيمه وتجزئته كما يشاؤون ويختارون.

ولو كانت نية سفيان سليمةً وصافيةً كان الأجدر به أن يقرأ لنا الآية التالية:

﴿ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملّتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير﴾ ١٢٠ ـ البقرة.

وكما تلاحظون لم يقل الله لرسوله أبداً عليك أن تتّبع توراتّهم وإنجيلهم وتلمودهم وباقي محرّفاتهم.

ولا نجد العذر في مثل هذه المواقف حتى للبخاري رحمه الله، إذ كان عليه أن يكتب الآية صحيحة وليست مبتورة، أو أن يشير إلى بترها من قبل سفيان على الأقل، إلا إذا كان يريد أن يقول لنا: انظروا ماذا يفعلون في ديننا؟ أما أن نقول للمسلمين «ويل للمصلين» ونسكت من دون أن تتم بقية الآية، وهذا ظلم لأنفسنا قبل أن يكون ظلماً لأحد.

﴿ويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتِهم ساهون﴾ ٥ ـ الماعون.

وإذا عدنا للحديث الشريف الذي يأتي بعد تلك الآية ماذا يقدمون للناس من علم جديد؟

الحديث رقم (٦٤٩٩) في صحيح البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب.... حتى يصل إلى أبي هريرة رضي الله عنه.. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة. فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله لم ييأس من الجنة.

(أي أن كل مايسمعه الكافر من القرآن الكريم عندما يقرأالناس القرآن وكلها تقول: «إنّ الله غفور رحيم»، «الرحمن الرحيم»، «التواب الرحيم» و«إنّ ربي رحيم ودود»، «رؤوف رحيم» مئات المرات في القرآن الكريم ثم يقول لنا سبحانه عن نفسه على لسان الرسول في القرآن: ﴿فَقُل سلامٌ عليكم كَتَبَ ربُّكم على نفسِهِ الرحمةَ﴾ ٥٤ ـ الأنعام.

ثم نأتي للكفار ونكشف لهم خطة الله في الكون وسرّه والمحفوظ، ولأعلم من أين حصلنا على ذلك السر وقلنا للكفار: هل تعلمون؟ لقد علمنا اليوم علماً جديداً من علم الله تعالى، وهو أن الذي سمعتم به من الرحمة حتى الآن لايساوي إلا جزءاً واحداً من مائة جزء حقيقي يخفيها الله عن عباده حتى يخيفكم ليَردَعَكم عن كفركم وإجرامكم، ولكن لاتخافوا.

أليس معنى هذا الكلام أننا نشجع الكفار والمجرمين والمفسدين في الأرض ومرتكبي الكبائر على غيّهم وظلمهم وفسادهم وفجورهم؟ نقول لهم: (بشرى لكم إنّ كل الرّحمة التي سمعتم بها حتى الآن ما هي إلا جزء من تسع وتسعين جزءاً أما الباقي مازالت عند الله ولم يعلن عنها للناس بعد) ولكن أين منطق المسلم الذي يسأل؟ ولكن كيف عرفتم ذلك قبل أن يعلن عنها الله؟ وماهو برهانكم على صحة ادعائكم؟

فهل هذا الذي سمعتموه حتى الآن هو تهديد ووعيد وتخويف للمجرمين ومرتكبي المعاصي من أهل الفسق والفجور ومن اتباع الشهوات والشياطين حتى يكفوا عن إجرامهم ويبتعدوا عن بؤر الفساد والمعصية حيث يعيشون ويتعايشون؟ أم هو تشجيع لهم؟ وتأييد مطلق.؟

هل هذا الحديث من الله سبحانه الذي تعودّنا أن نسمع منه أنه يأمرنا عادة في القرآن الكريم بالعدل: ﴿إن الله يأمرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ ٩٠ ـ النحل.

أم هو من الشيطان الذي يأمر:

﴿ومن يتّبع خطواتِ الشيطان فإنه يأمرُ بالفحشاء والمنكر﴾ ٢١ ـ النور.

﴿ولا تتّبعوا خطواتِ الشيطانِ إنّه لكم عدوٌّ مبينٌ * إنّما يأمرُكُم بالسّوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلَمونَ﴾ ١٦٨ - ١٦٩ - البقرة.

ألا يشجع هذا الحديث المجرم على إجرامه، والزاني في البقاء والغرق في زناه، والفاسق في فسقه، ومرتكب المعاصي أن يغرق أكثر في معاصيه بحجة علمه الجديد بأن عند الله تسعاً وتسعين رحمة لم يعلن عنها بعد في كتابه القرآن وعَلِمَها من وحيه الثاني الحكمة؟

هل يعقل أن يقول الرسول ﷺ شيئاً من عنده لم يسمع به الله أصلاً في رسالته للعالمين؟ إنّ هذا الحديث كما ترون وتشاهدون هو نداء صريح من الشيطان وتشجيع مباشر منه على الفحشاء والمنكر لايحتاج إلى دليل ولا إلى برهان.

(سمعت مرة من على شاشة التلفاز في الولايات المتحدة على محطة تبث كل يوم أحد دروساً دينية للمسيحيين في قاعةٍ يحضرها عشرات الألوف من الأتقياء ويبث البرنامج على الهواء حتى يتمتع به باقي المؤمنين في الولايات المتحدة. كان الخطيب متحمساً ويصيح بأعلى صوته وبيده الميكرفون بما معناه: (ها لا لويا): بشرى لكم جميعاً، لقد أرسل الله إليكم ابنه المحبوب المسيح ثم عذّبه وصلبه أمامكم حتى ينقذكم ويخلّصكم من خطاياكم. استمتعوا بخطاياكم وأكثروا منها ما استطعتم - اغرقوا في الآثام - وأحبوا الرب المسيح مخلصكم - فتخلصوا بمحبتكم له وكونوا من الأبرار، أما أولئك الذين لايخطئون فلن يروا ملكوت الله، لأنهم يحاولون أن يجعلوا عذاب المسيح على الصليب من أجل لاشيء. فلماذا تعذب ابن الله إن لم يكن من أجل تخليصكم من خطاياكم؟).

إن منطق الحديث عندنا هو نفس منطق الخطيب هناك، والمصدر واحد والمنهل واحد.

فمن أين ذلك المنهل؟ ومن أين مصدر هذا العلم الغزير؟

وإلى من تشير أصابع الاتهام؟

وإذا أتممنا الحديث لوجدنا ماهو أدهى وأمر:

(ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار) المؤمن الذي كان يعمل بجد ونشاط رجاءً لجنة الله ونعيمه وخوفاً من ناره التي يسمع ويرى صورها في القرآن الكريم ماذا حصل له؟ لقد بشرناه بشرى السوء، لقد قلنا له: إن الله سبحانه عنده تسعة وتسعون ضعفاً من العذاب والنار، حتى يقول في نفسه في النهاية: إذاً فلا يمكن

الخلاص من عذاب الله وناره لأحد مهما فعل - حتى يعود لينضمّ إلى إخوان الشياطين الذين أصبحوا بحسب منطق الحديث من أصحاب الرحمة، ويفعل معهم مايفعلون، بعد أن يئس من رحمة الله التي لاوجود لها للمؤمنين والصالحين.

هذه هي تعاليم الدين الثاني في صحاح الأحاديث عندنا نحن المسلمين. فإلى من تشير أصابع الاتهام؟ وهي كلها تدعو إلى إطاعة الشيطان وحده والإكثار من الآثام حتى تواجه بعدها ماخبّأه لنا الله من الرحمة. ولذلك نجد أحاديث كثيرة تؤيد هذه النظرة الجديدة، نظرة دخول الناس إلى الجنة من دون حساب على الإطلاق.

الحديث (٦٤٧٢) من صحيح البخاري: عن ابن عباس أن الرسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وسبعون ألفاً في لغة القوم أيام الرسول ﷺ كانت للإكثار وليس للتحديد كأن نقول اليوم إلى مالانهاية أو نقصد رقماً كبيراً جداً.

باختصار: المطلوب في دين السلطان طاعة عمياء (طاعة الخرفان أو القطيع للراعي) للسلطان وجنوده، هو المطلوب أولاً وأخيراً، ومن بعد ذلك فالناس أحرار، وقد منحهم السلطان نعيم الآخرة كله بالمجان، لأنه لايطمع فيه هو ولاجنوده من بعده فلا حاجة للحساب.

هذه الأحاديث وغيرها من باقي الأحاديث التي بحثتها في هذا الكتاب لم تنزل لوحدها من السماء بالمصادفة وجاءت تناقض كل آيات الله في القرآن وتعاليم الله لبني الإنسان التي من أجلها كان سبحانه وتعالى يرسل الرسل من بعد الرسل حتى ينبّه الإنسان من الشيطان ومن أفعال الشياطين، وفي كل مرة يذكر لنا الشيطان، يضع لنا شياطين الإنس قبل شياطين الجن لينبّهنا إلى أنهم الأخطر علينا دائماً، ومنهم يجب أن يكون حرصنا وحذرنا الأكبر.

﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ﴾ ١١١ - الأنعام.

﴿إنا ظننّا أن لَن تقولَ الإنسُ والجنُّ على الله كذِباً﴾ ٥ - الجن.

فشياطين الإنس هم الأخطر على الإنسان دائماً من شياطين الجن.

إن الناس عادة يستقون أساليب تفكيرهم مما يحيطهم في حياتهم من تقاليد وعادات

وأفكار وأقوال مأثورة وحكم وأمثال شعبية دارجة وأشعار يحفظونها وأساطير وقصص، ومن أقواها جميعاً العقائد التي تلقوها عن آبائهم على أنها الدين والعقيدة ولقنوا أنه من الواجب اتّباعها. فهي من الخالق أو من القوى الخفية التي يهابها الإنسان لذلك فهي مقدسة.

ودين الإسلام واضح وصريح، يأمر بالعدل والإحسان والابتعاد عن الشرّ والمنكر. وليس في الإسلام معياران أو مقياسان واحد للمسلمين والآخر لغير المسلمين، بل لكل الناس، فالناس جميعاًفي الإسلام من خلق الله وعباده، لا فرق بينهم ولا تمييز بالدم أو بالولادة أو باللون أو بالعرق أو بالغنى والفقر، ومقياس التفضيل الوحيد فيه هو التقوى:

﴿إنّ أكرمَكُم عند الله أتقاكُم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

ولكن هل يفكر كل الناس من أتباع جميع الأديان بالأسلوب نفسه؟

لنبحث كيف يفكر أهل الكتاب من بني إسرائيل من خلال توراتِهم الحالية؟ بحسب تعاليم كتابهم، وماذا تقول لهم تعاليم الكتاب كمثل عليا عليهم اتباعها، لنرى أولاً ما رأي التوراة كنموذج من كتب أهل الكتاب:

ماذا في سفر اللاويين: الإصحاح ٢٥ الفقرات ٣٥ ـ ٤٦

(إذا افتقر أخوك وعجز عن إعالة نفسه في وسطك، فأعنه سواء كان غريباً أو مواطناً ليتمكن من العيش معك. اتق إلهك ولا تأخذ منه رِبًاولا ربحاً، ليتمكن من العيش في وسطك لاتقرضه فضتك بربا، ولاتبعه طعامك بربح. أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من ديار مصر ليهبكم أرض كنعان، فيكون لكم إلهاً.

وإذا افتقر أخوك وبيع لك عبداً فلا تعامله كعبد. بل ليكن عندك كأجير ونزيل فيخدمك حتى حلول سنة اليوبيل، ثم تعتقه هو وأولاده، ويعود إلى قومه ويرجع إلى ملك آبائه. لأن بني إسرائيل عبيدي الذين أخرجتهم من مصر، لايباعون كالعبيد، لاتطغ بتسلطك، بل اتق إلهك). هذا هو الوجه الأول للتعامل في التوراة، والمقياس الأول الخاص ببني إسرائيل ليكون فقط بين أنفسهم. والمقياس كما ترون يعود للقبيلة والعشيرة والدم. والأخوة أخوة دم وليست أخوة إيمان وتقوى، ثم ماذا؟:

(وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التي حولكم، منها تقتنون عبيداً وإماء وكذلك من أبناء المستوطنين النازلين عندكم فمنهم ومن عشائرهم الذين عندكم المولودين في أرضكم تقتنون عبيداً لكم وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ميراث ملك فيكونون عبيدًا

لكم إلى الأبد. وأما أخوتكم من بني إسرائيل فلا تطغوا بتسلطكم عليهم)(*) وهذا هو المقياس الثاني الذي به يقيسون.

وماذا في سفر العدد الذي يأتي بعده؟

(فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات العائدين من الحرب، وقال لهم: لماذا استحييتم النساء؟ . . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً (الثيبات) ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً)(**).

باختصار: نفس السلطان وجنوده تقريباً يؤلفون على رسول الله موسى عليه السلام كما ألفوا على رسول الله محمد ﷺ دون أي فرق، إلا أنهم لم يتركوا نصوص الله هنا دون تحريف، وعجزوا في الإسلام عن تحريف نصوص القرآن الكريم. فبقيت شاهدة على كذب الأولين والآخرين، أن الله سبحانه سواء في التوراة أو في القرآن لن يغير كلامه، والذي يتغير دائماً هو مايبد السلطان بحسب رغباته وأهوائه، فهو يشاء أن تكون العذارى فقط من نصيب الأبطال وهو أولهم وقائدهم.

شعب مقدس:

(لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص).

وإذا تساءلنا عن سبب التفضيل يأتينا الجواب بعد تلك الفقرات مباشرة:

(ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب، فأنتم أقل الأمم عدداً. بل من محبته وحفاظاً على القسم الذي أقسم به لآبائكم)(***).

عملية إجلاء الناس عن أراضيهم من حولهم تكون بالتدريج لأسباب منطقية ومعقولة:

(لاترهبوهم (أي الأمم المجاورة لكم) لأن الرب إلهكم الحال بينكم إله عظيم ومرهوب. غير أن الرب إلهكم سيطرد تلك الأمم من أمامكم تدريجياً، لئلا تتكاثر عليكم وحوش البرية إن أسرعتم بالقضاء عليهم دفعة واحدة.

(*) سفر اللاويين الإصحاح ٢٥ الفقرات ٣٥ . ٤٦.

(**) سفر العدد الإصحاح ٣١ ـ الفقرات ١٤ . ١٨.

(***) سفر التثنية الإصحاح السابع ـ الفقرات ٦ ـ ٨.

إن الرب إلهكم يسلمهم إليكم موقعاً بهم الاضطراب العظيم حتى ينقرضوا)(*).

في شرائع فتح المدن البعيدة في سفر التثنية نجد:

(وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً. فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم. فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم. وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها ، فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم فاقتلوا جميع ذكورها (أطفال، شيوخ، شباب) بحد السيف وأما النساء والأطفال (الإناث) والبهائم وكل مافي المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتّعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا.. «شرائع حصار وفتح مدن أرض الموعد ـ فلسطين».

أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم ميراثاً. فلا تستبقوا فيها نسمة حية بل دمروها عن بكرة أبيها. كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين)(**).

(لاتتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوانكم من بني إسرائيل. سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر. أما الأجنبي فأقرضوه بربا)(***).

شريعة المرأة الأسيرة:

(إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم وأظفركم الرب إلهكم بهم، وسبيتم منهم سبياً وشاهد أحدكم بين الأسرى امرأة جميلة الصورة فأولع بها وتزوجها فحين يدخلها إلى بيته يدعها تحلق رأسها وتقلم أظفارها ثم ينزع ثياب سبيها عنها ويتركها في بيته شهراً من الزمان تندب أباها وأمها، ثم بعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة)(****).

وقد يظن القارىء أن سبب انتظارها شهراً حتى يعلم حملها. لكن كما رأينا فكل النساء المتزوجات سابقاً أو الثيبات من المطلقات والأرامل يقتلن ولايبقى إلا على العذارى فقط.

(*) سفر التثنية الإصحاح السابع ـ الفقرات ٢١ ـ ٢٣.

(**) سفر التثنية الإصحاح ٢٠ ـ الفقرات ١٠ ـ ١٧.

(***) سفر التثنية الإصحاح ٢٣ ـ الفقرة ١٩.

(****) تثنية ٢١ ـ ف ١٠.

وهذا مايقوله السيد الرب:

(ها أنا أرفع يدي إلى الأمم وأنصب رايتي إلى الشعوب، فيحملون أبناءَكِ في أحضانهم وبناتِكِ على أكتافهم، يكون لك الملوك آباء مربيّن وملكاتهم مرضعات، ينحنون أمامَكِ بوجوه مطرقة إلى الأرض، ويلحسون تراب قدميكِ، عندئذ تدركين أنني أنا الرب، وكل من يتكل علي لايخذى)(*).

(واجعل مضطهديك يلتهمون لحوم أجسادهم ويسكرون بدمهم كمن يشرب خمراً عندئذ يدرك كل ذي جسد أنني أنا الرب مخلصك وفاديك إله يعقوب القدير)(**).

(يعمر الغرباء أسوارك، ويخدمك ملوكهم لأني في غضبي عاقبتك وفي رضاي رحمتك تنفتح أبوابك دائماً ولا توصد ليل نهار، وليحمل إليك الناس ثروة الأمم، وفي موكب يساق إليك ملوكهم، لأن الأمة والمملكة التي لاتخضع لك تهلك وهذه الشعوب تتعرض للخراب الساحق. يأتي إليك مجد لبنان بسروه وسنديانه وشربينه لتزيين موضع مقدسي، فأجعل موطىء قدمي مجيداً.

ويقبل إليك أبناء مضايقيك خاضعين، وكل الذين احتقروك ينحنون عند قدميك، ويدعونك مدينة الرب، صهيون قدوس إسرائيل. وبعد أن كنت مهجورة ممقوتة لايعبر بك أحد، سأجعلك بهية إلى الأبد، وفرح كل الأجيال، وتشربين لبن الأمم، وترضعين ثدي الملوك، وتدركين أني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب، وعوضاً عن النحاس أجلب لك الذهب وبدل الحديد آتي لك بالفضة، وعوض الخشب نحاساً، وبدل الحجارة حديداً وأجعل ولاتك مصدر سلام ومسخريك يعاملونك بالعدل. ولايسمح بظلم في أرضك ولا بدمار داخل تخومك وتدعين أسوارك خلاصاً، وبواباتك تسابيح، ولا تعود الشمس نوراً لك في النهار ولايشرق ضوء القمر عليك لأن الرب يكون نورك الأبدي. وإلهك يكون مجدك ولاتغرب شمسك من بعد ولا يتضاءل قمرك لأن الرب يكون نورك الأبدي... ويرثون الأرض إلى الأبد ويضحى أقلهم ألفاً وأصغرهم أمةً قوية أنا الرب أسرع في تحقيق ذلك في حينه)(***).

وكما هو موجود عندنا في دين الأحاديث لكل شيء نقيضه تماماً كذلك أيضاً في

(*) سفر أشعياء الإصحاح ٤٩ ـ الفقرات ٢٢ ـ ٢٣.

(**) سفر أشعياء الإصحاح ٤٩ ـ الفقرة ٢٦.

(***) سفر أشعياء الإصحاح ٦٠ ـ الفقرات ١٠ ـ ٢٢.

الكتب المحرفة فكل ماسمعناه حتى الآن إذا أردت نقيضه تماماً أيضاً تجده في التوراة لنفس أسباب التناقض التي شرحناها في دين السلطان.

لنستمع للنبي حزقيال ماذا يقول في الإصحاح ٣٨:

وأوحى إلي الرب قائلاً:

(ياابن آدم هذا مايعلنه الرب لأرض إسرائيل. النهاية قد أزفت على زوايا الأرض الأربع. (الأرض شكلها مربع عند الله) قد أقبلت النهاية عليك فأطلق غضبي عليك وأدينك بمقتضى طرقك وأجازيك على كل رجاساتك ياأرض إسرائيل فلا تترأف عليك عيني، ولا أعفو، بل أجازيك بمقتضى طرقك، وتكون رجاساتك في وسطك. عندئذ تدركون أني أنا الرب)(*).

(السيف مسلط من خارج، والوباء والجوع من داخل، والذي في الصحراء يقضي عليه السيف، وَمن في المدينة يفترسه الجوع والوباء. وأما الناجون منهم فيلوذون بالجبال كحمام الأودية، يبكي كل واحد منهم على إثمه. جميع الأيدي مسترخية، وكل الركب مائعة كالمياه، يتلفعون بالمسوح، ويغشاهم الرعب، ويكسو العار وجوههم جميعاً، ويطغى القَرَعُ على رؤوسهم، يَطرَحُونَ فضتهم في الشوارع، ويضحى ذهبهم نجاسة، وتعجز فضتهم وذهبهم عن إنقاذهم في يوم غضب الرب. لايشبعون منهما جوعهم، ولايملأون منهما أجوافهم لأنهما كانا معثرة إثم لهم. حولوا جمال هيكل الرب إلى زهو، وصنعوا من الذهب والفضة تماثيل أرجاسهم وأصنامهم المكروهة، لذلك جعلتها رجاسة لهم أسلمها إلى أيدي الغرباء نهباً، ولأشرار الأرض سلباً فينجسونها وأشيح بوجهي عنهم فيدنسون هيكلي. ويدخل إليه الناهبون وينجسونه)(**).

وماذا نجد في التلمود: عن يسوع (عيسى عليه السلام)؟

«إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم؟ وإن أمه مريم ولدته من العسكري باندرا بمباشرة الزنا.. وأن الكنائس النصرانية هي بمثابة قاذورات وأن الواعظين أشبه بالكلاب النابحة»(***).

(*) سفر حزقيال الإصحاح السابع ـ الفقرات ١ ـ ٤.

(**) سفر حزقيال الإصحاح السابع ـ الفقرات ١٥ ـ ٢٢.

(***) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٤٣.

التلمود ألغى كل شرائع أنبياء بني إسرائيل:

هذا التلمود الذي وضعه كهنة اليهود في أجيال متعاقبة قد ألغى كل الشرائع التي جاءت بها الأنبياء، وهكذا يحل الكهنة محل رسل بني إسرائيل وعلى رأسهم موسى عليه السلام..

«إن الأساس الذي يقوم عليه القانون الثاني أو الشفهي هو عدم الالتفات لما صرح به موسى في التوراة»(*).

وتعاليم التلمود أيضاً مستقاةٌ من التوراة في التعامل مع الناس:

«مسموح غش الأمي (غير اليهودي) وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه»(**).

«إن الله لايغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب»(***).

والأمي عند اليهود يسمونه جوييم أو أجنبي أو جنتايل أو أمي والمراد به هو كل إنسان لايمت بالدم لليهود. والمفاضلة بين اليهودي والأمي سارية حتى على مواشيهم. فثور اليهودي إذا نطح ثور الأجنبي فلا شيء على اليهودي ولا على ثوره. ولكن إذا نطح ثور الأجنبي ثور اليهودي فإن القانون يعاقب الثور وصاحبه معاً.

«لحم الأجانب لحم حمير ونطفتهم نطفة حيوانات ناطقة. أما اليهود فقد تطهروا بوقوفهم على جبل سيناء»(****).

«على اليهودي أن يقتل كل من تمكن من قتله، يعني الأجانب. وإذا لم يفعل فقد خالف الشرع».

«إذا حلف اليهودي لأحد الأجانب (أمي) على شيء فليس بلازم أن يفي له باليمين ولا ذنب عليه قط»

«إذا وجد اليهودي أجنبياً في حفرة في الأرض فعليه أن يغلق عليه الحفرة ليموت...»

(*) الأدب العبري ٤٠ ـ جوزيف باركلي.

(**) الكنز المرصود ص ٧٥.

(***) السنهدرين: المحكمة الدستورية العليا لليهود ص ٦٧.

(****) الكنز المرصود ص ٨٤.

«جهنم دار عذاب (للأميين فقط) ولا سلطان لها على أموات اليهود» أما السعي للسيطرة على كل شعوب العالم. فاقرؤوا النص التالي:

«وعندما نتمكن من نجاح مخططاتنا هذه ستكون ساعة الصفر قد أزفت فتزحف جيوشنا للميادين المعينة لها.. وتزيل الدول المنهارة عن طريقنا ثم نعلن للعالم انتصارنا ونفرض عليه سيادتنا تحت ظل الدولة العالمية الموحدة، وعلمها ذي النجمة المقدسة وبعد ذلك سنمحوا كل أثر للمدنيات العريقة ونحرق كل المؤلفات غير اليهودية دون استثناء، وسنفرض على العالم ثقافتنا.. ونقضي على اللغات المستعملة الآن، وسنرغم الشعوب على دراسة اللغة (اليدشية) ونختص نحن باللغة العبرية الأصيلة لغة السادة والشعب المختار.. ونلقن العالم تاريخنا وحده»(*).

وكما ورد في كتاب /مكايد يهودية/ في الصفحة ٤٣٧ للأستاذ عبد الرحمن حبنكة مايلي:

«وكل هذا بفضل المناهج والدراسات التي وضعتها مشيختنا (ويقصد بهم مفكروا وحكماء صهيون) والتي بدأت تتحقق شيئاً فشيئاً. واعلموا أن العهود المظلمة التي عشنا فيها تحت ظل العبودية والظلم قد ولت إلى الأبد، وأن قطعان الماشية التي تسمي نفسها شعوب العالم بدأت أخيراً تخضع لنا وتنحني لرغباتنا»(**).

هكذا بدأ كتّاب بني إسرائيل يعبرون عن آرائهم اليوم، وهذه المقتطفات السابقة نقلتها عن كتاب: /الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي/ للدكتور عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصورة ١٩٨٤.

القوة الخفية:

إذا عدنا لكل الكتب التي ألفت عن القوة الخفية التي تطوّر اسمها في العصر الحديث، إلى اسم الماسونية، وجدنا أن أغلب المؤلفات تؤكد أنه في عام ٤٣ ميلادية في عهد هيرودوس الثاني المسمى (أغريبا) وأحياناً (أكديبا) كان له مستشار يهودي يدعى (حيرام أبيود) الذي كان شديد الكره والنقمة على المسيحية الجديدة ومتعصباً لليهودية، لما رأى أن أتباع يسوع يتكاثرون بنشاط ويكشفون تضليلات أحبار اليهود وكتبهم،

(*) كتاب مكايد اليهود ٤٢٢.

(**) كتاب مكايد اليهود ص ٤٢٢ ـ ٤٣٧ للاستاذ عبد الرحمن حبنكة.

اقترح على الملك هيرودوس تأسيس جمعية سرية هدفها محاربة المسيحية وأحباط مساعيهم وإيقاف انتشار دينهم وإبادة الداعين له إذا كان بالإمكان. ونال موافقة الملك على طلبه بعد أن أطلقوا اسم المسيح الدجال على عيسى بن مريم عليه السلام. فتأسست الجمعية بتسعة أعضاء في لائحة التأسيس:

أولاً	الملك هيرودوس (أغريبا)	رئيساً
ثانياً	حيرام آبيود	نائباً للرئيس
ثالثاً	مؤات لافي	(كاتم للسر ومؤسس
رابعاً	جوهنان	عضو مؤسس
خامساً	أنتيبا	عضو مؤسس
سادساً	جاكوب ابدون	عضو مؤسس
سابعاً	سلمون آبيرون	عضو مؤسس
ثامناً	جوآب آدونيرام	عضو مؤسس
تاسعاً	آبيا لافي	عضو مؤسس

حرر في أورشليم ٢٦ حزيران الموافق لعام ٤٣ ميلادي

الخاتم الملكي

توقيع

هيرودوس أغريبا(*).

(*) عن كتاب الماسونية ماضيها وحاضرها سعيد الجزائري دار الجيل - بيروت.

الحادي عشر: دور القوة الخفية في واقعنا الفكري الحالي كمسلمين:

لقد حاولت في الصفحات السابقة إعطاء فكرة كافية وافية عن أسلوب تفكير أهل الكتاب من خلال العقائد التي يؤمنون بها من: توراة وتلمود، التي تبني شخصية متميزة لهم ولأسلوب تفكيرهم، ولايمكن فهمهم أبداً إلا من خلال فهم عقائدهم وبالتالي نستطيع أن نعلم أن أسلوب تفكيرهم المتميز عن باقي النماذج الإنسانية في العالم كله ناتج عن كتبهم المقدسة القديمة، وماتتميز به تلك الكتب من أفكار خاصة لايحملها شعب أو دين آخر في العالم أيضاً، وتاريخهم الطويل هو في صراع دائم مع الأديان السماوية التي ظهرت بعدهم بدءاً بالمسيحية ثم الإسلام. في محاولة دائمة منهم لإيقاف عجلة التاريخ، ولانستطيع أن نقول إنهم لم يؤثروا؛ بل لقد حقّقوا نصراً لايزال المسلمون يعانون من تأثيره حتى اليوم. فقد استطاعوا فعلاً إخراج كل عربات قطار المسلمين عن السكة الصحيحة ثم جعلوها على سكك جديدة كلها على سبل الشياطين ولم يبق منها سبيل واحد يتماشى مع سبيل الله. ومن بعد الدراسة للدين اليهودي والإسلامي ومعرفة مدى تأثير اليهود على الدين الإسلامي المطبق حالياً على أنه الإسلام، لايمكن إلاّ أن نعترف بوجود تأثير قوي وفعال حتى يومنا هذا على أسلوب تفكير المسلم.

وهنا لا أحب أن يفهمني القارىء خطأً. فاليهود لم يحرفونا عن ديننا ليجعلونا نتبع دينهم، فهم لايدعون أحداً للديانة اليهودية. ولكنهم جعلونا نتبع الأوهام والأباطيل بدل أن نتبع الحق والنور، حتى لانتقدم ونسبقهم. والمسلم عاجز عن فهم اليهودي ومعرفة أسلوب تفكيره. لماذا؟ لأن المسلم ينطلق من ذاته بما يحمل من أفكار ومبادىء أساسية بحب الخير والسلام للعالم كله ويتعامل معه منطلقاً من تلك العقلية، فتكون النتيجة الحتمية كما يقولها اليهود دائماً في كتبهم المقدسة، أن أصحاب باقي الديانات كلهم من العميان بالنسبة لذلك الإنسان المتميز بأسلوب تفكيره عن الجميع، والمتفوق عليهم من وجهة نظرهم. واليهودي لم يخلق هذا بنفسه وإنما هو نتاج تاريخه الطويل مع استمرارية حمله الدائم لتراثه المكتوب، من أيام الفراعنة وأبيهم إبراهيم إلى هجرتهم إلى مصر ووقوعهم في العبودية بعد عودة الفراعنة للحكم وزوال حكم البطالسة الذين أكرموهم، من أيام يوسف عليه السلام إلى أيام موسى وتخليصهم من العبودية لفرعون

وعودتهم إلى صحراء التيه، ومن ثم دخولهم إلى فلسطين بعد قصة التيه النفسيّ الذي حكمهم به ربّهم أربعين سنة، إلى تأسيس أول مملكة لهم، من أيام داوود وسليمان إلى بناء الهيكل، ثم إلى زوال حكمهم ووقوعهم في السبي البابلي، ثم عودتهم إلى فلسطين وبقائهم تحت حكم الرومان إلى ظهور المسيح من بينهم كآخر الأنبياء والرسل في بني إسرائيل، وصراع اليهود مع المسيحية عقائدياً ثم ظهور الإسلام في الجزيرة العربية على يد الرسول محمد ﷺ الذي هو أيضاً من أحفاد إبراهيم عن طريق إسماعيل الذي يعتبره اليهود غريمهم وعدوّهم من أيام إسحق. وبدأ الصراع مع المسلمين من الأيام الأولى، ومن بعد هجرة الرسول محمد إلى المدينة، حيث كان يسكنها قبيلتان يهوديتان هما بني قريظة وبنو النضير. ثم تشتتهم مرة أخرى في بلاد الشام ومن ثم أوروبا وأمريكا إلى وعد بلفور ومن ثم تأسيس دولتهم الثانية في فلسطين باسم (إسرائيل) بعد عام ١٩٤٨ إلى حروبهم المتكررة مع العرب. هذا التاريخ الحي في ذاكرة اليهودي الذي يعتقد بتعصب شديد أنه فرد من شعب الله المختار، المتميز بعرقه ونسبه ودمه ودينه على العالمين، وأن الله سبحانه قد خلق هذا الكون كله من أجله ومن أجل شعبه المختار فقط، وكل باقي شعوب الأرض ماهم إلا حيوانات ناطقة في صورة الإنسان فحسب. حتى أنه يبخل علينا بأن نتميز بالنفس الإنسانية التي يسميها في دينه (الروح). فنحن جميعاً بالنسبة لهم بلا أرواح ودون حقوق، وهم وحدهم كل شيء، ولولاهم ما وجد الكون أصلاً ـ هكذا عقدة تفوق خاصة.

لكن اليهودي مع كل ذلك لم يقع في عقدة تفوقه في الأحلام والأوهام كما تحصل عادة في الأمراض النفسية، بل هو إنسان عمليّ ينطلق من الواقع ومن المحسوس مطبقاً الوسائل العلمية والعملية دائماً.

وهو كذلك إنسان يدرك نواحي ضعفه ونواحي قوته، ويجب أن نعلم من خلال آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه قد جعل منهم شعباً متميزاً بالعلم من خلال أنبياء كثيرين أرسلهم رب العالمين لتعليمهم أموراً كثيرة، وممّا ذُكر مثلاً عن علم اليهود في القرآن الكريم: عن الرسول يوسف عليه السلام.

﴿وانه لذو علمٍ علّمناه ولكنّ أكثرَ الناسِ لايعلمون﴾ ٦٨ ـ يوسف.

وهو عن علم النفس وعلم تأويل الأحلام ـ واليهود متميزون بهذا العلم منذ زمن قديم وحتى الآن.

وعن داوود عليه السلام أيضاً يذكر رب العالمين كيف علمه أسلوب وتقنية تحويل الحديد الصلب إلى حديد مطاوع وهو الحديد اللين، وتعليمه صناعة وتقنيةالدروع الحديدية من الزّرد، حمايةً من الأسلحة الحادة كلها للإنسان.

﴿وعلّمناه صنعةَ لبوسٍ لكم لتحصنَكَم من بأسِكم﴾ ٨٠ ـ الأنبياء.

﴿وألَنّا له الحديد﴾ ١٠ ـ سبأ.

﴿وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملكَ والحكمةَ وعلّمَهُ ممّا يشاء﴾ ٢٥١ ـ البقرة.

﴿أولَم يكن لهم آيةً أن يَعْلَمَهُ علماء بني إسرائيل﴾ ١٩٧ ـ الشعراء.

والله سبحانه لايقصد بالعلماء فقهاء الدين، بل يقصد العلماء الحقيقيين بدليل أنه سبحانه لم يستخدم هذه الكلمة في كل القرآن إلا مرتين، في المرة الثانية يقول ﴿إنّما يخشى اللهَ مِنْ عبادِهِ العلماءُ﴾ ٢٨ ـ فاطر.

﴿ويرى الذين أوتوا العلمَ الذي أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ هو الحق ويهدي إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾ ٦ ـ سبأ.

وهذه الآية إشارةٌ لأهل العلم من اليهود قد علموا بما عندهم من معلوماتٍ سابقة من الله وبما وردَ في كتاب القرآن أنّ هذا الدين هو دينٌ سماويٌّ من ربّ العالمين، لكن أكثرهم لم يستطع الاعتراف بهذه الحقيقة التي يعلمها حسداً وكراهية، مع أنهم يعرفون الحقيقة ولكنهم يحرفون لمرضٍ في نفوسهم.

وهكذا لايستطيع أي باحث ودارس لليهود أن ينكر تفوقهم في العلوم منذ فترة طويلة في التاريخ.

ومع نواحي القوة التي ذكرناها عندهم أيضاً شعورهم بنواحي الضعف خاصة في موضوع التعداد. واليهودي دائم الإحساس بهذا الضعف بقلة عدده وشعبه وأمته بالقياس مع أمم العالم وشعوبها. ونجد شواهد كثيرة في كتبهم المقدسة ولمفكريهم يعترفون بهذه الحقيقة المؤلمة بالنسبة لهم.

وقد يتساءل أحدنا لماذا لم يقع اليهودي في الأوهام مثل غيره من باقي أفراد الأمم الأخرى، بل نجده دائماً إنساناً عملياً وناجحاً مع تفوق على أقرانه من النماذج البشرية الأخرى، خاصة في المواضيع المالية والاقتصادية والعلمية؟ السبب الأول والأساسي هو

إحساسه الدائم بذاته وشعوره بتميزه وتفوقه على الآخرين. علماً أن هذا الشعور له مايسنده في الواقع وليس مجرد شعور وهمي فاليهودي يعرف كيف يفكر الآخرون، لكن الآخرين لايعرفون أبداً كيف يفكر هو وهذه ميزة له وليست ضده.

وإحساسه الدائم بذاته يجعله دائماً على معرفة بأخطائه، وبالتالي ينقد ذاته دائماً ويصلح أخطاءه فيكون سبباً في التقدم والتطور نحو الأفضل دائماً وهذا يزيد من تفوقه. فالإنسان الذي يكون على إحساس دائم بأخطائه ويقوم على تصويبها أولاً بأول هو إنسان عملي يمهد لنفسه النجاح في أي مجال كان يعمل فيه.

والسبب الثاني لايقل أهمية عن السبب الأول وهو موضوع السبت. حيث لايستطيع أن يعمل فيه أي عمل أو أي شيء له علاقة بالعمل من قص الحشيش إلى صيد السمك. وأهمية يوم السبت تأتي فقط من قدرة اليهودي على تمييز العمل عن غيره من الأفعال. مثلاً لاحظنا في الأحاديث التي ذكرتها سابقاً كيف أن المسلم يخلط العبادات في العمل ويخلط الإيمان في العمل. ويخلط حك الأذن بالعمل، ويخلط هزّ الرأس أثناء القراءة بالعمل ـ هذا الخلط تخلّص منه اليهودي عن طريق السبت فهو يعلم تماماً ما الذي يندرج تحت العمل وما الذي لايندرج تحت العمل. فكل شيء يقوم به الإنسان بحيث يكون ورائه ربح مادي أو توفير لمال كان يمكن أن يدفعه لو لم يقم به بنفسه يعتبره عملاً، وماعدا ذلك فكلها أفعال وليست أعمالاً.

هذا التمييز والإدراك العقلي عند الشعب كله يخلق عقلية عملية لدى الجميع، بينما وجدنا أننا نعاني من عقلية وهمية نتيجة خلطنا الأعمال بالأفعال وحتى بالعقائد. علماً أن الخلط الموجود عندنا لم يأت بصورة عفوية، بل حصل بشكل مقصود ومدروس وموجه من قبل أناس يعلمون ويميّزون الأفعال عن الأعمال، من أجل تحويل المسلم بعدها فلا يعرف العمل وأهميته ولا يعطي للأعمال أية قيمة، فلا يتقدم على سُلَّم الحضارات الإنسانية بل يتأخر ليكون ضمن القطيع الذي يساق به دائماً. والأهمية الثالثة للسبت: أن وجود يوم إجباري للراحة يجعله يعود للعمل بعدها بنشاط أكبر وهمّة أقوى دائماً، وقد عرف الفرق بين الكسل والراحة وبين العمل الجاد. ولكونه إنساناً عملياً أدرك قبل غيره من الناس أهمية العلم والتعلم للتفوق في الأعمال. وكما ذكرت عن تركيز رب العالمين على تعليمهم منذ البداية. أعطته فرصة السبق لمعرفة أهمية التخطيط المسبق ودراسة المشاريع قبل القيام بها وإيجادها لحيز التنفيذ والواقع.

فسبق شعوباً كثيرة بإدراك حقائق كثيرة مثل إدراك أهمية القوة الحقيقية للمال وأهمية توظيفه في الاستثمارات، كما أدرك أهمية وجود بيوت للمال وأهمية الدعاية للنجاح فيها، والازدواجية المتاحة له في دينه في موضوع الربا، بحيث أخذ الربا من جميع شعوب الأرض إلا من اليهود، أعطاه الأمان العقائدي مع الراحة النفسية على أكل الربا دون حرج أو إحراج. وهكذا فإن بيوت المال كلها تقريباً تقع تحت سيطرتهم كما أن تاريخه والمحن التي مرت برأسه استفاد منها عبراً ودروساً استفادة كبيرة جعلته يسبق شعوباً كثيرة مازالت تتخبط في الظلام.

والشعور بالنقص دائماً هو لمصلحة الإنسان ، لأنه يصبح دافعاً للسعي والنشاط أكثر من أجل تعويضه. فالذي عنده إحساس وشعور بالنقص في علم ويعلم أنه بحاجة إليه في عمله، يحاول أن يدفعه للتعليم لتعويضه، بينما الشخص الذي لايشعر بالنقص لأي شيء فإنه لا يفعل شيئاً على الإطلاق. إلا الاسترخاء والتمدد. والذي لايشعر بالنقص في العلم لن يفتح كتاباً، وإذا فتحه فإنه سوف يلقي نظرة ربما على بعض الصور فيه ولن يحاول أن يقرأ ماذا في الكتاب. ونحن من هذا النوع حالياً، لأننا آمنا أننا أمة أمية ورضينا بهذا الاسم، ولم نحاول أن نزيل هذا العار عن أنفسنا أبداً.

واليهود الذين تعودوا أن يعيشوا دائماً كأقلية بين باقي شعوب العالم تعلموا أيضاً بالتجربة صفات خاصة غير موجودة في غيرهم، منها صفتا التستّر والكشف. (اليهودي عديم التوسط إن شاهد نفسه معدوم الأظافر، عاش حتى بين المسالمين ذليلاً مهاناً متجاوزاً حدود المجاملة، غارقاً في مستنقع النفاق المزري، هذا الظرف يدعى لديه الستر، ظاهره نفاق وتدليس وباطنه انطواء على الحقد فإذا انتهى هذا الظرف وأصبح قادراً على تنفيذ دور الانتقام، فقد جاء دور الكشف ليكشف مافي نفسه ويرمي المذنب والبريء، إذ لابريء لأن يهوه إله إسرائيل الحقود الذي يأنس بالدم يحتكر لنفسه الذهب والفضة، قَرَّرَ إبادة العالم، لاسيما العرب وكلف ولده البكر وشعبه المختار تنفيذ هذا القرار)(*) (وللدلالة على صحة ماذكر فإن أسماء أحبار اليهود وزعمائهم لم تحافظ على عبرانيتها، فكل أسماء هؤلاء الأحبار والزعماء كانت تحمل الطابع العربي الصرف، مثل كعب بن أسد، حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وسلام بن مشكم، وسلام بن أبي الحقيق، وأبي عامر الراهب، وعبد الله بن صيفي، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، والزبير

(*) عن كتاب الماسونية في العراء، الدكتور محمد علي الزعبي ١٩٨٥ ـ لبنان.

بن باطا، وكل هؤلاء يهود أصليون، لم يقل أحد من المؤرخين: (إنهم عرب تهوّدوا)(*) والسبب في وجود هذه الأسماء عربية أنهم كانوا يعيشون فترة التستر. والدليل أن قبيلتي بني النضير وبني قريظة كانتا تعيشان على نظام الأحلاف مع الأوس والخزرج، فكانوا يحمونهم من باقي الناس، ولو كانتا في حال قوة لما احتاجتا لمن يحميهما من باقي القبائل العربية في الجزيرة.

ولكن هذا الوضع اختلف تدريجياً في العصر العباسي لأنهم كانوا حلفاء أساسيين منذ البداية لبني العباس فاستلموا قيادة الجيش والوزارات والإمارات في عهدهم وصار بيدهم القضاء وشؤون المال كلها، وبقي فقط العسكر من الأتراك فوصلوا إلى عصر الكشف، وهذا هو الداعي لأن نجد أسماءهم على المكشوف في ذلك العهد وهم يسمّون إسرائيل ويعقوب وإسحاق وأغلبهم يتكنون بأبي إسحاق. وبما أن أمور الدين كلها آلت إليهم في النهاية على أنهم من المسلمين طبعاً، وكانوا جميعاً يعملون ضمن منظمات القوة الخفية التي أسسها اليهود كما تحدثنا في عام ٤٣ ميلادية أصلاً، فقد أدخلوا أسلوب هذا التنظيم في كل الحركات الإسلامية والبدع الجديدة التي بدأت تظهر بتشجيع منهم. مثل الحركات الباطنية والصوفية كأساليب جديدة للتصوف والزهد.

درجات الزهد والزهاد في الإسلام:

سنذكر هنا درجات الزهاد عن كتاب مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية، في كتاب كبير مؤلف من ثلاثة مجلدات كبيرة، حيث يشرح فيها الإمام هذه المراتب والدرجات، وسوف يفاجأ بذلك من يعلم عن درجات الماسونية التي هي نفسها القوى الخفية لأنها كانت الاسم القديم لها قبل إنتشارها في أوروبا عام ١٧١٧ ميلادية وسوف نذكرها في القائمة التالية للاطلاع والمقارنة مع درجات الماسونية الحالية:

١ ـ منزلة الإخبات — ٢ ـ منزلة الزهد

٣ ـ منزلة الورع — ٤ ـ منزلة التبتل

٥ ـ منزلة الرجاء — ٦ ـ منزلة الرغبة

٧ ـ منزلة الرعاية — ٨ ـ منزلة المراقبة

٩ ـ منزلة تعظيم حرمات الله — ١٠ ـ منزلة الإخلاص

(*) عن كتاب الماسونية، د. سعيد الجزائري ـ دار الجيل ـ بيروت.

١١ ـ منزلة التهذيب	١٢ ـ منزلة الاستقامة
١٣ ـ منزلة التوكل	١٤ ـ منزلة التفويض
١٥ ـ منزلة الثقة بالله	١٦ ـ منزلة التسليم
١٧ ـ منزلة الصبر	١٨ ـ منزلة الرضا
١٩ ـ منزلة الشكر	٢٠ ـ منزلة الحياء
٢١ ـ منزلة الصدق	٢٢ ـ منزلة الإيثار
٢٣ ـ منزلة الخلق	٢٤ ـ منزلة التواضع
٢٥ ـ منزلة الفتوة	٢٦ ـ منزلة المروءة
٢٧ ـ منزلة البسط	٢٨ ـ منزلة العزم
٢٩ ـ منزلة الإرادة	٣٠ ـ منزلة الأدب
٣١ ـ منزلة اليقين	٣٢ ـ منزلة الأنس بالله
٣٣ ـ منزلة الذكر	٣٤ ـ منزلة الفقر
٣٥ ـ منزلة الغنى	٣٦ ـ منزلة المراد
٣٧ ـ منزلة الإحسان	٣٨ ـ منزلة العلم
٣٩ ـ منزلة الجود	٤٠ ـ منزلة الحكمة
٤١ ـ منزلة الفراسة	٤٢ ـ منزلة التنظيم
٤٣ ـ منزلة السكينة	٤٤ ـ منزلة الطمأنينة

تماماً مثل تنظيمات القوى الخفية وبنفس المراتب تقريباً خاصاً إذا علمنا أن عدد مراتب الماسونية العامة ٣٣ ثم تأتينا الماسونية الملوكية والماسونية الكونية، حيث يسمح فقط للماسونية العامة حتى الدرجة ٣٣ لغير اليهود، ثم ينتقل حامل الدرجة ٣٣ التي اسمها الأستاذ الأعظم إذا كان يهودياً ليتدرج من جديد في الماسونية الملوكية، ثم بعدها يتدرج في الماسونية الكونية حتى يصبح من حكماء صهيون السبعة في العالم كله، الذين مقرّهم حالياً في الولايات المتحدة، حيث يعيش أكثر الماسونيين في العالم. وللتذكير أقول: إنّ كتابي هذا ليس عن الماسونية؛ ولكني اضطررت للتعرّض له لشرح أمور كثيرة حصلت في بداية الإسلام، لها علاقة مباشرة بالقوى الخفية (الماسونية). وأعتقد أن

التشابه التام بين أساليب التكريس المتعارف عليها عند القوى الخفية مع أساليب التكريس الموجودة عند الصوفيين (الزهاد) الذين ذكرنا درجاتهم قبل قليل لم يكن بالمصادفة وإنما ليدل أن المصدر واحد. لنستمع لما يقول الدكتور الزعبي:

(كثيراً ماحضرت أذكاراً يقيمها المساكين المغرورون ويخالونها عبادة، وهي في الواقع ملتقية مع الماسونية بمصدرها الأول.

حضر بعض إخواني جلسة تكريس (تخليف)صوفية يرأسها الشيخ محمد قدور شيخ طريقة صوفية بمزة دمشق مساء الخميس الأول من شهر نيسان ١٩٦٩ فشاهد الماسونية بأسلوب ثانٍ:

١ ـ جرح الشيخ يدي التلميذين اللذين تقدما للتكريس، ليضم دم أحدهما إلى الآخر تحقيقاً للأخوة. وهذا مأخوذ من جرح الطالب الماسوني ليوقع بدمه.

٢ ـ لفّ الشيخ على رقبة تلميذه حبلاً، وهذه لاتزال في المحافل الماسونية (متبعة حتى اليوم).

٣ ـ جلس التلميذ بين يدي الشيخ للقسم كما يجلس الماسوني بالمحفل وراء المذبح.

٤ ـ طيف بالتلميذ بعد التخلف وقيل:

من يشتري العبد الذليل، وكلما مرّ بشخص قال: اشتريته وأعتقته بفاتحة الكتاب، وهذه تشبه كلمة: (مُر ياصحيح النسب ـ التي نراها بالمحافل).

٥ ـ أوصى الشيخ تلميذه بالكتمان والطاعة العمياء وعانقه وقبله وهذا مانراه بالمحافل.

«في المحافل تكون عينا الطالب معصوبتين بعصابةٍ سوداء فلا يرى النور، فيرفع الرئيس الغطاء، فيرى الطالب سيوفاً مسلولة بيد الأعضاء القدامى موجهة إلى قلبه ووجهه، وفي هذه اللحظة يقول الرئيس:

(إن هذه السيوف للدفاع عنك عند الحاجة، وللفتك بك إن خنت عهودك ومواثيقك وأقسامك، والحبل الذي في رقبتك هو لخنقك إن بدت منك حركة أو إشارة تدل على النكث بالأقسام.

قبل لحظات كنت أجنبياً عن عشيرتنا وكنا نخاطبك (أيها الطالب.. أما الآن فقد أصبحت أخاً ماسونياً، لك مالجميع الإخوان، وعليك ماعليهم»(*).

(*) نفس المصدر السابق الصفحة ٣٣.

٦ ـ قبّل التلميذ أيادي إخوانه وهذه ذات صلة بما نراه في المحافل حين انتقاد حلقة الأسباط»(*).

«وقد ذكرت أن عهد الكشف كان في العصر العباسي وماقبل ذلك، فقد عمل اليهود في دين الإسلام تبديلاً وتحريفاً بالسرّ والخفاء خلال فترة الحكم الأمويّ، وسأتعرض لهذا الموضوع باختصار حتى لاأخرج عن موضوع الكتاب الأساسي.

«فاليهود احتكروا الله نفسه وزعموا أن موسى علاوة على وصايا الله المكتوبة بلغ وصايا غير مكتوبة، ومنح اللاويين حقّ احتكارها، وأقاموا على هذا الزعم مجلدات التلمود. (وبالحجة نفسها تماماً احتجّ جنود السلطان الذين كانوا طبعاً من اليهود الذين ادعوا الإسلام ومن ناصرهم من المسلمين الذين رضوا أن يبيعوا ضمائرهم بالمال وهم موجودون في كل عصر طالما الشيطان موجود على الأرض، وقالوا إن لله وحياً آخر غير مكتوب أنزل على الرسول ﷺ وسمّوا مجموع آياته بكتاب الحكمة مؤوّلين آيات القرآن التي فيها ذكر آيات الكتاب والحكمة، مدّعين أن الكتاب هو المصحف والحكمة هي أحاديث الرسول الشفهية.

لقد خلقوا لجمعية القوة الخفية أسراراً من تراثهم واحتكروها، وأخذوا يصيدون بها مغفلي الأمم، فأصبح التكريس لديهم يعني استلاب الطالب من تراثه السماوي (القرآن) ـ والقومي، وترشيحه منذ الدرجة الأولى لمركز فارس حُرّ النسب... (أي لم يعد له أية ارتباطات أخرى).

وإذا تجاوزنا حوادث القرون الميلادية الستة الأولى وأشرفنا على نشاط محافل القوة الخفية في صدر الإسلام، لاح لنا محفل سبأ الكامن وراء الملك اليهودي يوسف ذي نواس، الذي أحرق مسيحيي نجران في الأخاديد، ووراء كعب الأحبار وفرقة السبأيين التي اغتالت عمر بن الخطاب، وخططت لقتل عثمان بن عفان، ودسّت (فكرة) ألوهية علي، ونفثت أمراض الملكية المطلقة وولاية العهد (السلطان وأحفاده ابتداء بمعاوية بن أبي سفيان) اشتد سعار المحافل لاسيما بعد الانقلاب العباسي على الأموي (انتهى عصر التستر ودخلنا عصر الكشف) فأخذت تحافظ على الهدف اليهودي المبيّت ولو تعددت ألوان التكريس وأهدافه السطحية، وتحلق من الموتورين أبواقاً. يؤسسون أحزاباً تهدم الإسلام، حرصاً على استمرار اليهودية وإقامة هيكلها.

(*) كتاب الماسونية للدكتور محمد علي الزعبي ـ صفحة ٣٠٦.

وها نحن ذا نكتفي بلونين من التكريس الذي حفظته لنا المراجع من العصر:
العباسي: (الموضوع عن تكريس أخوان الصفا)
والداعي: (وهو يعادل محترم المحفل الآن)
هذا أحد أركان القوة الخفية فيما ألصقته اليهودية بالقرآن من شبهات وتأويلات (بحجة الظاهر والباطن) مؤمناً بمهمته مطلعاًعلى الفلسفة والمنطق.
- ونتابع من المصدر نفسه بالنقل الحرفي:
ينفث بين جمهور البلد الذي يعيش فيه جيشاً من تلاميذه المستترين بألفاظ: أياد، مُكاليين، مُكاسِرين، فلا يكادون يظفرون بغافل يدفعه الفضول للظفر بما يدَّعونه حقائق سرّيّة، حتى يقوده للدّاعي، وهذا بعد أن يشرق به ويغرب يكلفه بطلب انتساب خطي مرفقاً ببعض المال أو كفيل غارم، وبعده يدرس الطلب. وبعد تحقيق عن سيرة الطالب وأخلاقه وسلوكه، أو التظاهر بهذا، إذ الشروط الحقيقية السرية، تقضي بأن يكون ذا مركز مرموق أو يؤمل له ذلك (في المستقبل) من طلاقة لسانه أو مركزه التجاري أو الإداري أو عراقة ذويه بالمناصب.
بعد هذا يعين الداعي موعد التكريس فيدخل الطالب المحفل معصوب العينين نصف عار، ويأخذ المُكالِب أو المكاسِر (اسمه الحالي المرشِد أو المنبّه) بتلاوة شيء من القرآن الكريم بصوت ندي وعينين فائضتين، ويأخذ إخوانه الأنوار بترديد «سبحان من هذا كلامه»..
وهنا يقف صاحب السدة قائلاً: بصوت متهدج وعينين مغرورقتين (من شدة الإيمان) ويقول «إن معرفة الحقائق ثقيلة، لايستطيع تحملها إلا الأئمة أو أبوابهم أو نوابهم أو أفراد مختارون اصطفاهم الله منذ الأزل وكتب لهم النصر في نهاية الشوط (والطالب الذي هو من العميان طبعاً لن يفهم المقصود من هذا الكلام إلا بحسب الظاهر لأنه لايعلم الباطن المقصود بأنه إنشاء دولة إسرائيل الكبرى وإزالة كل باقي الدول من العالم والبقاء على كتاب ودين موسى بعد إزالة باقي الأديان كلها)..
ولايكاد ينتهي من هذا التوجيه المسموم حتى يأمر ببدء التكريس فيتعرض الطالب لتجربة قاسية وتهديد ووعيد، ويجرع ماء ممزوجاً بملح، أو سائلاً من العلقم يعقبه كأس من اللبن أو العسل أو الماء القراح. ويقسم أقساماً مغلظة تشتمل على مثل هذه الألفاظ: «وإذا حنثتُ بأقسامي، سواء كنت غاضباً أو راضياً، فزوجتي طالق ومالي محبوس

(أوقاف) ودمي هدر. وهنا يسمح الدّاعي برفع العصابة عن عيني الطالب ويؤخذ بجولة حول الكتمان، وطبعاً يفوز بأسرار الدرجة الأولى - (ونتابع من نفس المصدر السابق متابعة تكريس إخوان الصفا).

بعد جولات وجهود يقوم بها الأيادي والمطالبون (وهما كلمتان تطلقان على من رأوا النور وأصبحوا من إخوان الصفا) يقرر الداعي قبول الطالب فلان فيدخل هذا قاعة التكريس عارياً أو نصف عار، مشدوداً بحبل يسير القهقرى، يحف به الكفيل وإخوانه (كالمنبهين أو المرشدين - الحاليين في الماسونية الحديثة). ولايكاد يكمل الرحلات وطقوس التهديد ويحرر من العصابة والحبل، حتى تتقد السرج، وينبعث شذى المجامر، ويرى الطالب نفسه ماثلاً أمام الرئيس.

الرئيس: تحب أن تدخل في ديننا فتسمع ملائكتنا؟

الطالب: نعم.

الرئيس: على أنك إن خرجت عن ديننا، أو أظهرت أحداً على سرّنا، أَذَلَّ الله رأسك هذا الذي تحت قبضتي بين أصحابي، وأسقط الله أكليلك من ورائك.

الطالب: نعم.

الرئيس: لكن إن أقمت على ديننا وحفظت سرّنا فإن رأسك يكون عالياً وأكليلك ثابتاً.

الرئيس للكفيل: أتكفل أنت هذا على إقامته على ديننا وحفظ سرّنا؟

الكفيل: نعم.

الرئيس: يُضجَعُ الطالب على بساط، أمام المائدة على جانبه الأيسر ويتلو على رأسه أسماء الملائكة وهي سبعة وثمانون وجرجاس رئيس الأبالسة. ويقول:

«طوباك إذا صرت من أهل الاستماع إلى هذه الأسرار».

ويتناول الرئيس سكيناً ويحاول ذبح الطالب، فيسرع الكفيل متعهداً بحفظ السر، ويكتفي الرئيس أن يفتدي القسم بذبح ديك على رقبة الطالب.. ويأمر بكي الطالب بالنار على صدره وجبهته وإبهام يده اليمنى ويشدّه من وسطه ويناوله الماء الممزوج بالملح.

(لقد تفنّنوا في الأساليب حتى يعيش الطالب عمره كله بعد ذلك وهو يتذكر تلك اللحظات الرهيبة كلما مرّ بخاطره عدم تنفيذ الأوامر أو إفشاء السرّ) (المؤلف) وبعد

قسم مخيف، يمنحه الأسرار، ويحيل له أن في شرحها بالمستقبل معرفة الكيمياء والفلك والطب والفلسفة.

ثم يختم الجلسة بالبكاء رحمة بفقراء الفكر، قصيري النظر، الواقفين عند حدود الظاهر، الجاهلين لما خلفه رسول الله لدى أهل بيته وأبوابه ونوابهم ووكلائهم وحججهم ودعاتهم من عميق المعاني.

ويتأوّه حسرة...

على البسطاء المحجوبين الذين لايدرون أن الشريعة قشر والحقيقة لب، ولايدركون أن الدين في ظاهره للعامة وفي حقيقته للخاصة، وإذا سمعوا الحقائق نفروا منها وربما سطوا على تأثر جوهرها، ويختم حديثه قائلاً:

«لكن يعذبني أن فلاناً وفلاناً ـ وهنا يذكر أئمة ذاك العصر ومجتهديه ولامعيه، ولاسيما الذين عاشوا ويعيشون في منطقة بعيدة عن منطقة الذين يسمعون حديثه ـ ماكادوا يسمعون هذه الحقائق حتى فرحوا بها وسعدوا باتّباعها ورأوها لباب الدين، وسعدوا بالحياة مع أفلاطون وفيثاغورث وكلدو وزاردشت وسواهم من الحكماء والذين ينبغي أن يكون اسمهم مقروناً بالسلام. ثم يستدرك قائلاً: لكن سامعي هذه الحقائق، الفرحين السعداء التحفوا ولايزالون يلتحفون رداء الحكمة ريثما يأتي موعد الكشف.. وبعد هذا التوجيه المسموم العجيب الذي لايستطيع إتقان تمثيله ولا الشيطان نفسه، يُنشِدُ الأيادي والمكالبون أبياتاً ألصقها الباطنيون بالإمام زين العابدين منها:

يارُبَّ جوهَرِ عِلمٍ لَو أبوحُ به ... لَقيلَ لي: أنتَ ممن يعبد الوثنا

ثم يعلق الداعي قائلا:

جوهر العلم هذا لايناله البسطاء العامة، فقراء الفكر، قصيرو النظر الملحقون بقائمة المحرومين من الأزل، إذ لايدرون أن الدين أمر مكتوم يجهله السطحيون الغارقون في مستنقع الظاهر، الواقفون عند حدود الحَرْفِ، المصابونَ بمرض عبادة العدم، مكتوم، لكن يعرف حتى بواطنه الأئمة والحجج وطرفاً منه الدعاة»(*).

ولأهمية الموضوع سوف نتابع نقل فقرة أخرى جديدة من المصدر نفسه تحت عنوان:

(*) عن كتاب الماسونية في العراء ـ الدكتور محمد علي الزعبي ١٩٨٥ ـ بيروت.

الثاني عشر: أثر محفل سبأ الماسوني في واقعنا الفكري (كمسلمين)

الإسلام حرر العرب من استثمار اليهود المالي (القرآن) فحاول اليهود وأده منذ لحظة ولادته.

وكأني ألمس مؤتمراً سرّياً. أو محفلاً من محافل القوة الخفية عقد في سبأ وخطط له يفضي إلى عرقلة سيرة الدعوة (وسبأ في اليمن) الإسلامية، وكلف فرقة بهبوط المدينة المنورة تنفيذاً لتلك المخططات بقيادة كعب بن مانع بن هيسوع الذي أصبح في العهد الأموي مرجعاً للتوجيه الذي تمليه السياسة. (كعب الأحبار).

هبطت تلك الفرقة المدينة في عهد عمر زاعمة الإسلام فاندست كعادتها المتقنة في المجتمع الإسلامي ومالبثت أن استعانت بالعناصر الموتورة التي يتزعمها تلامذة عبد الله بن أبي سلول (زعيم المنافقين) أو الموتورة بقومياتها كفيروز الفارسي والهرمزان، ونفذت قرار اغتيال عمر بن الخطاب وأطاحت بعثمان بن عفان وخلقت ألوهية علي بن أبي طالب. (فيما بعد).

ذهب مؤسسو الفتنة فعاش أبناؤهم مسلمين فيما يبدون للناس: ويهوداً في الحقيقية، أي عاشوا عيوناً وآذاناً، ومطلقين للتهم وخالقين للأحزاب ومنظمين للمؤامرات ومتحالفين مع الذين عناهم الجاحظ بكلمة: «إنّ عامة من ارتاب في الإسلام، إنما جاء من الشعوبية، فإن من بغض شيئاً بغض أهله، ومن بغض اللغة العربية بغض الجزيرة، ولاتزال الحال تنتقل به حتى ينسلخ عن الإسلام»(*).

جعلت هذه الفرقة التآمر على عمر بن الخطاب طليعة أعمالها ثم سعت لإعادة مدّ الإسلام جزراً، وشعافه غوراً غذت الفكر العربي الذي يمثل الطفولة حينذاك طهارة وبراءة ودست جرثوم الأمراض التي عرفناها باسم الأمراض السبئية نسبة لعبد الله بن سبأ، ومازالت تلك الأمراض تتوغل في مجتمعنا وتفرخ، ومنها:

١ ـ فتنة الظاهر والباطن:

هذه يهودية المنشأ والأصل، إذ الفريسيون سطحيون وعُبّاد حَرْف والصدوقيون (في التوراة) احتكروا شمس الوحي ونادوا:

(*) راجع ضحى الإسلام ـ الطبعة الأولى ـ صفحة ٢٩ ـ جزء ١.

«أيأتي من الناصرة شيء صالح؟» وسخروا من المسيح حين تحدث عن الدينونة وتآمروا عليه لاسيما في قصتي أعطوا «مالقيصر لقيصر» و«من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر».

٢ ـ فتنة التشكيك:

اليهود السبئيون الماسون، قدروا منذ فارقوا محفل سبأ الماسوني (القوى الخفية) هدم الإسلام لكن بمعاوِل مطبوعة في المحفل الخفي. من هذه المعاول التفتيش عن الماهية بالتوصل إليها عن طريق التشكيك، ولذا رأينا المشككين والمتطرفين حول الجبر المطلق والقدر المطلق (الحديث: يأمر المَلَكُ للإنسان وهو لايزال في بطن أمه: عمره ورزقه وعمله وشقي أم سعيد)، إما يهوداً أو أبواق يهود شعروا بذلك أو لم يشعروا(*).

وكانوا يسألون الناس أسئلة مثل:

ـ لماذا خلق الله آدم من التراب ولم يخلقه من الذهب؟

ـ لماذا كلم الله موسى من شجرة ولم يكلمه من حديقة زهور؟

ـ أليس الإنسان أفضل من الشجرة؟

ـ ما معنى رمي الجمار (في الحج)؟

ـ مامعنى السعي بين الصفا والمروة؟

ـ لم تقضي الحائض الصوم دون الصلاة؟

ـ ما بال الجنب يغتسل من الماء الدافق (المني) ولايغتسل من البول؟

ـ لماذا أبواب الجنة سبعة؟

وما إلى ذلك مما يعجز عن إجابته كثيرون.. ومن ذلك ماحدث معي:

(في الولايات المتحدة أيام السبت والأحد. مجموعات من الرجال والنساء يطرقون غالباً باب منزلك ويقولون لك: إنهم من جماعة المورمان أو من جماعة شهود يهوه، ويحبون التحدث معك. وفي إحدى المرات عمد بعضهم إلى طرح أسئلة من النوع الذي استمعنا إليه قبل قليل، وأنا أقول للمتحدث تابع واسأل أيضاً لأني سوف أجيب على أسئلتك كلها دفعة واحدة فأتحفني بعدة أسئلة لا أجوبة لها طبعاً، وأنا أعلم أن السائل

(*) راجعوا كتاب «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» لمصطفى صادق الرافعي، طبع القاهرة ـ ١٩٢٨ ـ ص ١٨٤.

ليس بأعلم من المسؤول. فقلت له: أنت سألتني كل هذه الأسئلة وأنا وعدتك بأن أجيبك عليها ولكن عندي شرط واحد. فقال: وما هو؟

فقلت له بكل هدوء: إن الله سبحانه وتعالى يأتي دائماً من بعد الخليقة وحتى الآن بالشمس من الشرق إلى الغرب.

وسؤالي لماذا لايأتي بها من الغرب إلى الشرق؟ فإن عرفت الجواب أجبتك على كل أسئلتك، فتركني هو وأصحابه بعد دقائق وهو يبتسم ابتسامة صفراء ولم أعد أرى وجهه بعد ذلك).

٣ ـ فتنة كتمان السر: (علماً أن الإسلام الصحيح ليس فيه أسرار)

هذا أصل من الأصول التي لايزال اليهود يتخذونها شبكة لاصطياد عميان العالم وقد ورثوها ومرنوا عليها، ولايزال تلمودهم يرى موسى ترك شريعة مكتوبة ووصايا شفهية (أحاديث شريفة) يحتفظ اللاويون بسرّيّتها كدواء توجيهي، يخلق الأظافر التي تخولهم خدش كرامات الناس والتمتع بدمهم ومالهم وديارهم، كما نرى هذا ظاهراً في تعليل الأسباب التي قام عليها تلمودهم.

ورثها العميان عن اليهود ولايزالون يتغنون بها (العميان هم كل الناس ماعدا اليهود وبعرف اليهود طبعاً) ويرقعونها بأثواب بالية، من أجملها قول أحد المعاصرين: «ليست الماسونية جمعية سرية بل (جمعية) ذات أسرار؟؟»..

٤ ـ مرض الإرجاء:

هذا يهودي الأم والأب (يقصد هذا المرض) دسّه كعب الأحبار ليدعم به انحراف الملكيات المطلقة وخلاصته: لايجوز الاعتراض على الحكام، لأن الله أرجأه أي أخّر أو أجل حسابهم إلى الآخرة (لايجوز محاسبتهم في الدنيا) وقد نما الجرثوم فارتدى ثوباً جديداً هو:

أنّ الله يكتب لرجال الدولة حسناتهم ولايكتب عليهم سيئاتهم.. ولايزال هذا الجرثوم يفتك بنا وإن جَهِلَ سوادُنا مصدره.

(وقد رأينا أحاديث كثيرة تقول بذلك في صحيح البخاري ومسلم خلال الدراسة مثل: الحديث (٧٠٥٣) في صحيح البخاري: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية».

والحديث (٧٠٥٢) من صحيح البخاري: حدثنا زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله؟؟؟ قال: قال لنا رسول الله ﷺ:

«إنكم سترون بعدي أَثَرَة وأمور تنكرونها، قالوا فما تأمرنا يارسول الله؟ قال: «أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم».

وماذا يريد السلطان وجنوده أكثر من ذلك؟

«قوله أَثَرَة: كما في الشارح أي: إيثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم» وفي الرواية (٧٠٦٨) من صحيح البخاري عن أنس قال:

«اصبروا فإنه لايأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم.

٥ ـ مرض خلق القرآن:

هذا جرثوم دسّه لُبَيد بن الأعصم اليهودي، وساعده ابن أخته طالوت(*) ليفضي إلى إحدى نتيجتين:

أ ـ إما أن يكون القرآن قديماً يشارك الله القدم والأزلية (فنكون قد أشركنا بالله شيئاً هو القرآن). ولذا ينبغي أن يتعدد القديم، كما فعلوا بالمسيحية وقالوا إن الله ثلاثة.

ب ـ وإما أن يكون القرآن حادثاً (مخلوقاً أو موجوداً من موجودات الله الأخرى). إذ كل حادث مخلوق يموت؛ (يفني مع الزمن) (وهذا هو الصحيح لأنه لم يعد من داع أصلاً للقرآن الكريم ليكون نوراً وهداية بعد يوم القيامة، إذ لاهدي للناس بعد ذلك اليوم. لكن الذين أقسموا الأيمان المغلظة من المنتسبين لجمعية السرّ الخفي مع إخوانهم من أهل التوراة والتلمود قالوا لهم: إن من أسرار الباطن أن القرآن هي كلمة الله، وكلمة الله من الله ومن ذاته، وذات الله لايجوز لها أن تفنى، بالتلاعب بالألفاظ أقنعوهم بالإشراك عقلاً).

لذلك نجد الإمام أحمد بن حنبل الذي كان صديقاً حميماً لرؤساء المحافل السر الخفي لم يرض أن يقول بخلق القرآن فجلده المأمون. لأنه وجد جلده أرحم من قتله على يد أصدقائه إن قال بعكس تعليماتهم كلها، أمثال: إبراهيم بن مهران. (أبو إسحق ـ كان

(*) لاحظوا في العصر العباسي الذي صار عصر الكشف والقوة لليهود لم يعد من داع للتخفي بالأسماء بل أصبحت الأسماء اليهودية تظهر للوجود من جديد في عصر حرية تنظيمات السر الخفي ـ المؤلف.

الإمام أحمد بن حنبل يدخل منزله وينبسط فيه (صديق حميم) ويفطر عنده وكان من الثقات(*). (حاصل على شهادة السلطان وجنوده من رؤساء المحافل).

وبما أن اليهود كانوا أصدقاء بني العباس ابتداء من إنشاء دولتهم فقد صاروا يسمون أسماءهم ويتكنّون مثلهم، فهذا هو المعتصم بالله وهو ابن هارون (اسم نبي من أنبياء اليهود) وتكنى بأبي إسحق(**).

٦ ـ مرض إحالة الوحدانية المنزهة تجسداً:

(تجسيد الله وجعل آدم على صورة الله كما في التوراة والإنجيل نقلاًعن كتبهم وقد ذكرنا أحاديث كثيرة من الصحيحين تقول بذلك).

وهذه نكسة وضع زاويتها اليهود باتفاق جميع الباحثين.

٧ ـ مرض التأويل غير المشروط (أي الاحتيال على النصوص)

وأكثر الذين عملوا به هو الإمام أبو حنيفة النعمان، الذي كان صديقاً لأحبار اليهود الذين ادّعوا أنهم أحبار الإسلام، بإعلانهم إسلامهم أمثال: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة، الملقب بأبو يوسف القاضي، وأبو يوسف كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة. (هكذا كتب ابن كثير الدمشقي في تاريخه كما مرّ معنا سابقاً).

عرف اليهود (هذا المرض) منذ عهد مدرسة الاسكندرية، واشتهر به الفيلسوف اليهودي (فيلون) لكن لرفع شأن العهد القديم (التوراة) والتقائه مع الفكر والمنطق، ثم قابل اليهود الإنجيل والقرآن تشكيكاً وتعطيلاً، إذ لديهم سلاح دفاع عن العهد القديم وسلاح هجوم على الإنجيل والقرآن..

لم أر هذا المرض لدى أمة ما قبل اليهود، كأنه من جملة الأمراض المقصورة عليهم، وأشهد أني كنت يوماً من عام ١٩٣٠ أتحدث إلى حاخام دمشق وإلى جانبه زوجته وما أن شاطرتنا الحديث حتى حدثني عن سعة اضطلاعها قائلاً:

«طبعاً لأنها من ذرية لاوي، ولما كنت لاأستطيع أن أكلمها بصيغة الأمر لأنها من هذ السبط الشريف، استطعت أن أجد لهذا النص تأويلاً فابتعت منها هذا الامتياز بثلاث ليرات ذهبية».

(*) النص منقول عن تاريخ ابن كثير الدمشقي (البداية والنهاية) الصفحة ٣٤٠ ـ ٣٤٧ ـ الجزء العاشر.

(**) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٩٣ ـ الجزء العاشر.

ولا عجب فالنشاط بالتأويل والتحلل من التكاليف قديم لدى اليهود. إذ أمرهم الله ألاّ يصيدوا سمكاً يوم سبت فأخذوا يحفرون أخاديد إلى جانب الشاطيء يوم الجمعة حتى إذا سقط بها السمك (انغلق طريق العودة عليها ـ مصيدة) وصادوه يوم الأحد. (أي التقطوها من الحفرة يوم الأحد).

لقد تفرقوا بالتأويل متأثرين بفلسفة فيلون الذي مازال يمتطي ظهر التأويل غير المشروط حتى أله عذرا (العُزَيْر) ثم ما أن علموا خطر هذا الطريق وإشراكه حتى عادوا إلى قاعدة «إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز» (أي لابد من الاحتيال).

٨ ـ مرض انتظار منقذ لم يولد، أو وُلِدَ ولم يمت، أو مات ولابد من رجعته.

(المسيح وقد أخذه بواسطتهم المسلمين السنة على أنه المسيح ولابد من عودته وتوجد أحاديث كثيرة في صحيح البخاري ومسلم، تتحدث عن ذلك، وعن الأنبياء الدجالين (المسيح الدجال) في أحاديث كثيرة أيضاً في الصحيحين وقالت عنه الشيعة إنه المهدي الذي سوف يعود في آخر الزمان).

اليهود يرون إيليا لم يمت بل صعد بعربة إلى السماء ولابدّ من عودته، وقد حاول المسيح إنقاذهم من هذا الفهم السقيم، ولكنه ضرب حديداً بارداً.

وينتظرون علاوة على إيليا، مسيحاً مَلِكاً منقذاً (المَلِكُ يجب أن يمسح بزيت المذبح المقدس بعدها ليصبح جديراً بالملوكية (التتويج بالإكليل ـ من اعتقادات اليهود القديمة) وكل من يمسح بذلك الزيت المقدس في احتفال خاص يسمى مسيحاً.

ورغم أنه جاء فقد كفروا به وأخذوا يستغلون سذاجة القائلين بمجيئه الثاني ويحيلون للسطحيين أن قيام دولتهم تمهيدٌ لهذا المجيء. (ومنهم المسيحيون البروتستانت الذين يساعدون الصهيونية على إنشاء إسرائيل لليهود بسرعة حتى يعود إليهم المسيح المحبوب وهي من الأوهام التي زرعها اليهود بمهارة في معتقدات المسيحية. لذلك تجد أكثر المؤيدين لليهود والصهيونية من المسيحيين أعضاء المحافل الماسونية في الولايات المتحدة).

تعجب من قوم أصروا على إنكار المجيء الأول وأخذوا يتظاهرون بانتظار المجيء الثاني..

٩ ـ مرض إنكار يوم القيامة:

جميع الأمم القديمة والحديثة، دون استثناء تتفق على «أن الموت بدء حياة وإن تغايرت التفاسير».

أما اليهود فلا يتفقون مع الأمم ولايلتقون معها، إذ القيامة لديهم لاتعني إلا قيام دولتهم، والبعث لايعني إلا بعثها من رقادها، وليست الجنة إلا مدخلاً لرؤيتها أما النار فمناوأتها، وأما ثمار الجنة فهي الاستئثار بديار العالم كله وأمواله وكنوزه،

١٠ ـ مرض التمييز العنصري:

آلاف النصوص في العهد القديم (التوراة) تتخيل إسرائيل مختاراً وابناً بكراً وهذه النصوص فيما أرى حالت دون انسجامه مع الأمم.

جاء المسيح محاولاً إنقاذهم من قوقعة هذه العنجهية فتحدوه وأصروا عليها ومازالوا إلى الآن يتعالون حتى على بعضهم بعضاً، إذ الأشكناز يحتقرون اليهود الشرقيين ويقولون عنهم (شبه عرب).

التاريخ أرانا عَذْرًا ينتف ذقنه لأن بعض اليهوديات تزوجن من كنعانيين (راجع سفر عذرا في التوراة) إذ لايجوز زواج اليهودية من غير يهودي، إلا لغايات استغلالية كما نرى في سفري (إستير ويهوديت).

١١ ـ مرض الحرف:

اتخذ اليهود من مرض الحروف غشاء يعلو بصائرهم وحرموا أنفسهم من التعرض لأشعة رسالة المسيح ومحمد، إذ رأوا إقامتهما في الناصرة ومكة دليلاً على عدم صدقهما طبقاً لتوجيه الحرف.

١٢ ـ مرض التستر والكشف:

أخذتها بعد الشيع الإسلامية وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس للأهداف والأغراض والغايات اليهودية الأصل(*) (وإن كانوا أنفسهم لايعرفونها لأنهم من العميان).

ـ إن اليهود يطلقون حتى في كتبهم المقدسة ألفاظاً مثل ـ العميان ـ الغوييم ـ الجنتايل على غير اليهود، وعندما يريدون أن يكونوا أكثر لباقة يقولون عنا «سليم القلب». والكل يعني بأنه عديم الذكاء اجتماعياً، يستغله من يشاء إذا أراد، وهذه صفة عامة ومشتركة بين المسلمين والمسيحيين الذين ـ كما ذكرت ـ ينطلقون من مبدأ أن كل الناس طيبون، والشيطان مات من بعدما أتى المسيح ومحمد برسالتيهما للأرض. وهذه سذاجة، بدليل الذي فعله بنا اليهود من ألف وأربعمائة من السنين ولا نستطيع أن نكتشفه ونتخلص منه

(*) عن كتاب الماسونية في العراء للدكتور الشيخ محمد علي الزعبي، بيروت ١٩٨٥.

حتى الآن، والمسيحيون صار لهم في ذلك قرابة ألفي عام. ولازالوا مثلنا من فئة العميان يرشدهم دائماً أدلاء من اليهود، والله سبحانه يحذرنا من الوقوع فريسة لهذه الوصايةالدائمة في مثل الآيات التالية:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتّخذوا اليهودَ والنصارى أولياء بعضُهم أولياء بعض ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم إنّ الله لايهدي القومَ الظالمينَ﴾ ٥١ ـ المائدة.

وكما نلاحظ من الآية الكريمة فليس عند الله سبحانه حل وسط، فإن من يتوله من المسلمين ويفعله مثل مافعل أغلب شيوخ السنة ابتداء من عصر معاوية وحتى آخر سلطان للمسلمين (فإنه منهم) بل إنّ ضرره أشدّ على المسلمين من اليهود بشكل مباشر.

﴿وما كّنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ٤٣ ـ الأعراف.

وندعو الله سبحانه ألّا يجعلنا من الذين عناهم في قوله:

﴿ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطينُ في الأرض حيران له أصحابٌ يدعونه إلى الهدى ائتِنا قل إنّ هدى الله هو الهدى وَأُمِرنَا لنُسْلِمَ لربِّ العالمين﴾ ٧١ ـ الأنعام.

هذه الآية نبوءة من الله سبحانه يصف حال الذين وقعوا فريسة سهلة من آبائنا الأوّلين لليهود عندما دعوهم وقالوا لهم (وهم طبعاً شياطين الأرض) يدعونهم إلى الهدى (ائتونا) فإن الهداية كلها عندنا نحن وليست عندهم. وهكذا ـ ضلّوا فأضلونا معهم. والله تعالى لن يقبل منا إن قلنا له يوم القيامة:

﴿إنّا وَجَدْنا أباءَنا على أُمةٍ وَإنّا على آثارِهم مُقْتَدون﴾ ٢٣ ـ الزخرف.

لأنه سبحانه قد نبّهنا في آيات قرآنه الكريم:

﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتتّخذوا أباءَكُم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفرَ على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ ٢٣ ـ التوبة.

لذلك سواء كان السلف قد وقع في الكفر إضلالاً من أحد أو دُفِعَ إلى الإشراك بالله أيضاً بتوجيه من أحد، فإن على الخلف أن يعود ويشك بكل ما ورثه عن آبائه وأجداده، ويقارنه من جديد مع كتاب الله الصحيح الذي في القرآن، فإن طابقه قبل به وإن ناقضه خالفه تركه بلا أسف عليه، لأنه ضارّ ويُضلّ، وقد حصل عن قصد وتعمد وتخطيط، وكان بالنسبة لهم مشروعاً متكاملاً سعياً لتحقيقه على مراحل. وفي (المرحلة

الأولى من المشروع الذي دام بالنسبة لنا ألفاً وأربعمائة من السنين بالنسبة لهم مشروع متكامل لابد من إنجازه، وهم يسعون كما ترون كالنمل من دون ملل ولا كلل، ونحن لانفعل إلا النوم والكسل في مقابل كل ذلك. وكأن الأمر لايعنينا من قريب أو بعيد، والناس الوحيدون الذين أحسوا من كل المسلمين بالذي يجري هم أبناء فلسطين، ولكنّ الآخرين لم يعلموا بعد حقيقة مايجري أبداً. ولايعلمون أن الدور عليهم في القائمة وإذا حدثتهم عن ذلك ينظرون إليك ويضحكون وهم مشفقون ويقولون في أنفسهم (مسكين هذا الرجل) (لقد جُنّ وصار في عقله لوثة). واستمر عملهم خلال العصر الأموي كله وهم مايزالون في عصر الستر (كما شرحت ذلك) وماذا فعلوا خلاله بالدين؟

لم يكن من الصعب عليهم سحب القرآن من أيدي الناس ـ كما شرحت ذلك في مكانه ـ لعدم انتشار الطباعة وعدم توفر الورق، وكانت المستنسخات غالية جداً لا يستطيع عليها إلا الأغنياء المقتدرين الذين كانت تشغلهم الأموال والدنيا عن التفكير حتى بقراءة الموجود في القرآن الكريم وإن كان بين أيديهم. فسعى اليهود إلى إيجاد البديل، ولم يكن ذلك أيضاً صعباًعليهم، فقد مُنحوا الثقة من السلطان ومنحهم الأموال للوصول إلى المطلوب، فأغروا بقوة تأثيره وسحره في النفوس كثيراً من الصحابة على الرواية، لكل مايعرفون من قصص مهما كانت قيمتها عن الرسول ﷺ فسجّلوها عندهم وهم يقولون: إن علماءهم كانوا يروون ولايكتبون. وبتحوير تلك المكتتبات بإضافة كلمة هنا وكلمة هناك وجملة هنا وجملة هناك وحذف حرف من هنا وإضافة حرف هناك، استطاعوا وضع شرع جديد كما يشاؤون، ونسبوه افتراء للرسول وهم أصلاً متخصصون في شؤون التحريف والافتراء وقد أعلمنا ونبّهنا العالمين لكل ذلك بالتفصيل، ولكننا لم ننتفع بكل تلك الوصايا ولا بكل تلك النصائح.

واستطاع هؤلاء الشياطين بعد ذلك التخلص بكل سهولة من كل من يعرف الحقائق ويعلم ماهو الذي يحصل تماماً بكل بساطة، بإن أوعزوا لكل الشبكة التي تعمل مترابطة بشكل خفي أن يذيعوا في الناس ـ لاتسمعوا لفلان فإنه غير ثقة ولا تأخذوا عنه ـ فينتهي دوره بكل تلك البساطة. وهم لايريدون قتله حتى لايجعلوا منه بطلاً أو أسطورة. لقد قتلوه بكلمة واحدة. وانتهى تأثيره بالنسبة لهم. ويجب أن نعلم أن هذه الأمور كانت تحصل منذ البداية ضمن تنظيم سرّيّ كان يدعى وقتها (بالسر الخفي) وكل رجال الدين الذين كانوا يعملون معهم سواء كانوا يهوداً أو من جنسيات

وقوميات أخرى كان لابد من تكريسهم وجعلهم يقسمون الأيمان المغلّظة، وإن خانهم أو حاول فكانوا لا يفكرون مرتين في قتله والتخلص منه. وقد شرحت لكم كيف أن الإمام أحمد بن حنبل فضل أن يجلده المأمون على أن يقتله الآخرون علماً أنه كان يعلم أن القرآن لا يمكن أن يكون قديماً ودائماً مع الله، وبيّنت لكم أننا إن قلنا عنه ذلك فإننا نعترف بإشراكنا بالله شيئاً ونقوله علناً. فليس مع الله قديم أخر أبداً، لا القرآن ولا غيره، كل هذه الأمور كانت مجرد غشاوات فوق أعيننا حتى لانرى ولانعلم حقيقة مايجري.

وهؤلاء اليهود كانوا في فترة الحكم الأموي مجرد موظفين يقدمون خدمات ويأخذون أجورهم عليها، ثم تآمروا على الأمويين وساعدوا أبناء العباس للاستيلاء على الحكم والقضاء على الدولة الأموية، لكنهم هذه المرة لم يدخلوا اللعبة وهم مجرد موظفين بل دخلوها شركاء، لا بل دخلوها وهم أصحاب الفضل على بني العباس الذين شعروا وأحسوا وقرّروا أنه لولا فضلهم لما استطاعوا التوصل للحكم. لذلك نجدهم في العصر العباسي قد دخلوا إلى عصر الكشف، فكشفوا عن أسمائهم وهوياتهم الحقيقية ـ كما رأيتم في اللائحة الطويلة التي وضعتها في مقدّمة هذا البحث ـ لابل إن بني العباس صاروا يتودّدون إلهم بدليل أنهم صاروا يسمون بأسمائهم ويتكنون مثلهم: مثل هارون الرشيد، والمعتصم الذي كان يكنى بأبي إسحق مثلاً. وصارت إدارة الدولة كلها تقريباً بيدهم من قيادة الجيش إلى إدارة بيت المال والقضاء والفتوى. حتى إن أول قاضٍ للقضاة في بغداد كان منهم، وهو القاضي (أبو يوسف) الذي ذكرته في اللائحة من قبل، علماً أنهم هم الذين أوجدوا هذا المنصب أصلاً. فالمسلمون لم يسمعوا به من قبل، لكن ذلك كان معروفاً في الديانة والأعراف اليهودية من قبل.

أحببت أن أوضح هذه الأمور قبل الولوج في بحث الأحاديث الواردة في صحيح البخاري تحت مجهر الدراسة.

ولكني أحب أن أضيف شيئاً هنا، وأقولها للحقيقة والتاريخ:

خلال دراستي لصحيح البخاري دراسة تفصيلية دقيقة مع ملاحظة كل صغيرة وكبيرة لفت نظري أشياء كثيرة، وشعرت أن الرجل يرسل من خلال السطور رسالة سرية، لأنه لايستطيع أن يقولها علناً ومن حق القارىء أن يسألني ويقول: كيف؟

إذا أردنا قول الحقيقة والإنصاف لايعقل لرجل دين وفقيه ومحدث من مستوى علم وفقه وثقافة واطلاع الإمام البخاري رحمه الله أن يختار كتابه من ستمائة ألف حديث

متاح أمامه، ولا يلاحظ البلاء والمصائب كلها التي وجدتها مثل:
- تناقض الأحاديث مع بعضها البعض.
- وتناقض أغلب الأحاديث مع نصوص صريحة في القرآن الكريم.
- مع وجود أحاديث كثيرة لايليق أن نتناقلها عن الرسول ﷺ لأنها تسيء له شخصياً، ومع وجود أحاديث كثيرة لايليق أن نرويها أن نسمعها، لأنها تسيء إلى أهله من أمهات المؤمنين، وأمور كثيرة أخرى ستجدونها خلال البحث، والذي يجعلني أجزم على هذا الاستنتاج ترتيبه للأحاديث، حيث تجد مثلاً الحديث (أ) يقول شيئاً، والحديث (ب) الذي يأتي بعده يقول عكسه، وهذا لم يحصل بالمصادفة. ثم نجد الحديث (ج) يقول شيئاً. وبعده نجد الآية القرآنية التي يستشهد بها تقول عكس الحديث. مثل: أحاديث مباشرة الحائض.

وهكذا؛ مع جمع كل هذه الملاحظات معاً وتكرارها في الكتاب أيقنت أن الإمام البخاري كان يريد أن يضع تحت يد الباحث عن الحقيقة كل مايلزمه من الأدلة، وسوف تلاحظون خلال نقد الأحاديث في الكتاب صحة ماتوصلت إليه بأنفسكم.

باختصار: أستطيع أن أقول: إن الإمام البخاري رحمه الله حاول أن ينبهنا ويهيء لنا كل الوثائق التي تدين عصره مبيناً كل مافعلوه بالدين الإسلامي ولكن دون أن يكون لديه القدرة على الإفصاح وقول الحقيقة علناً.

ومن المحزن والمؤسف معاً وبشكل مأساوي أن يمر ألف ومائة عام وأكثر على إرساله تلك الرسالة قبل أن يفكّ رموزها باحث إسلامي حتى الآن.

وكما أريد أن أسجل للإمام مسلم رحمه الله أيضاً فضله في تنبيهه أيضاً بصورة غير مباشرة في مقدمته على أسلوب منح الثقة الذي كان في عصره بشكل يمكن للباحث أن يفهم حقيقة الموقف، وكيف كانت الأمور تجري في عصره.

وفقنا الله سبحانه وتعالى جميعاً لخدمة الإسلام والمسلمين من أجل إعادة هذا الدين فاعلاً وفعالاً في النفوس كما كان في عهد الرسول محمد ﷺ وصحابته الكرام، وذلك بالسعي والعمل المتضافر من قبل الجميع لتكون صحوة حقيقية كما يشاء الله تعالى، وليس صحوة كما يشاء لها أعداء الإسلام من الحاقدين والحاسدين.

﴿ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتّبعَ مِلّتَهُم قل إنّ هدى الله هو الهُدى ولَئِن اتّبعتَ أهواءهُم بعد الذي جاءكَ من العلمِ مالكَ من اللهِ من وليٍّ ولا نصير﴾ ١٢٠ - البقرة.

ومن سذاجتنا لانزال نظن أن الله سبحانه ينصح الرسول محمد ﷺ في هذه الآية ولانعلم أن الله سبحانه يخاطبنا بلسان الرسول حتى لانقع في هذه المصيبة.

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتّخذوا اليهودَ والنصارى أولياء بعضُهم أولياء بعض ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم إنّ اللهَ لايَهْدي القومَ الظالمينَ﴾ ٥١ ـ المائدة.

أين نحن من فهم هذه الآية القرآنية ومن تنفيذها اليوم؟

﴿لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للّذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولَتَجِدَنَّ أقربَهُم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً إنهم لايستكبرون﴾ ٨٢ ـ المائدة.

كثير من الناس لم يفهموا بعد معنى هذه الآية الكريمة، وذلك ناتج عن جهلهم أن بين المسيحيين فئة تسمى بالنصارى يؤمنون بالحقيقة، ويعلمون أن عيسى بن مريم رسول من رب العالمين، وولد من العذراء مريم بمعجزة إلهية تمامًا كما هو مشروحٌ في القرآن. لكن الله سبحانه يقصد في بداية الآية ويشير للمسيحيين (بالذين أشركوا) أي قالوا: إن المسيح هو ابن الله؛ ظلماً لأنفسهم. وطالما بقينا على وضعنا في هجر القرآن وعدم تدبر آياته فلن يغير الله سبحانه من أوضاعنا أبداً. بل يصرح لنا رب العالمين كما سمعنا في الآية الأولى:

﴿ولئن اتّبعتَ أهواءهم بعد الذي جاءكَ من العلم مالَكَ من الله من وليٍّ ولا نصير﴾. ١٢٠ ـ البقرة.

هانحن بدأنا نرى بعد انقشاع الغشاوة عن أعيننا الحقائق من جديد، وبدأنا نتبين مَنْ معنا ومَنْ علينا ولكن هل يكفي مجرد العلم بالشيء أن يكون الحافز والبداية لكل عمل صحيح؟

هل يكفي أن نجلس ونقول كما قال الذين من قبلنا:

﴿وقالَ الذين أشركوا لو شاء الله ماعَبَدنا من دونِه من شيء﴾ ٣٥ ـ النحل.

هكذا كتب الله علينا وهكذا كانت مشيئة الله؟

إن الله سبحانه لم يكتب علينا الشقاء ولكن نحن الذين كتبنا ذلك من قلة حرصنا وتدبرنا لقرآننا، وقلة تفهمنا لآياته البينات، فالله سبحانه وتعالى ربٌّ رؤوف رحيم. لم يشأ لنا إلا الخير والنعمة ولِكن لجهلنا وقلة تبصرنا اخترنا سُبُلَ شقائنا بَدَلَ أن نختار سبيل الرحمة والرشاد.

ولسوف نكتشف من خلال صفحات هذا الكتاب بالأدلة القاطعة وبشهادة آيات الله كيف ضل آباؤنا وكفروا وأشركوا بالله لاتّباعهم اليهود والنصارى، وأخذهم عن كتبهم المحرّفة من التوراة والتلمود والإنجيل، فإن بقينا على سبيل آبائنا فلا عُذْرَ لنا، لأننا لم نعد إلى سبيل الله الواحد الأحد في القرآن الكريم، ولم نُعِد لليهود كل بداثلهم ومحرفاتهم ولم نهجرها كلّها إلى غير رجعة، لنتمسك بكتاب الله من جديد. كما أننا لم نوجه سفينتنا إلى اتجاه هدي الله على الصراط المستقيم، على هدي كتاب الله الصحيح:

﴿ونزّلنا عليكَ الكتابَ تبياناً لكلِّ شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ ٨٩ ـ النحل.

فلم يبين الرسول الأمين أي شيء للمسلمين إلا بالاستناد لكتاب الله الكريم.

الثالث عشر: منهج الدراسة والبحث في أحاديث البخاري ومسلم

إن عملية دراسة الأحاديث تشبه إلى حد ما عمل الصائغ، يأتيه أحد الناس بقطعة حلي يريد أن يثمنها، فأول مايفعله الصائغ بعد أن يستلم القطعة بين يديه، هو البدء بفحصها عن طريق المكبر الخاص أولاً يرى (الدمغة) التي عليها، ثم يجرب عليها خبرته وأدواته للكشف قبل أن يقرر إن كانت ذهباً أم فضة أم نحاساً، ثم يجري عليها اختبارات بمحاليل خاصة ليعرف عيار الذهب فيها هل هي من فئة ٢١ قيراط أم ١٨، أم ١٤... وهكذا...

وإن كانت القطعة تحتوي على بعض الأحجار أيضاً أجرى عليها فحوصاً قبل أن يقرر فيما إذا كانت أحجاراً كريمة حقيقية، أم أنها مجرد زجاج لاقيمة لها.

وكذلك دارس الحديث لابدّ له من منهج للكشف حتى يمكن اعتبار النتيجة التي يتوصل إليها دراسة علمية ومنهجية.

إذاً لابد من منهج علمي يجب تطبيقه على أحاديث البخاري ومسلم للكشف فيما إذا كانت صحيحة أم لا.

ومقياس الكشف الذي يمكن الاعتماد عليه دون أن يرفضه أحد هو فقط كتاب الله (القرآن)، وآيات القرآن هي التي لها الحق في أن تقبل أو ترفض الحديث. فإما أن تطابقه وتساير منحى اتجاه المعنى والمفهوم العام لآيات الحق والهداية والنور، وإما أن تناقض وتعاكس اتجاه تلك المفاهيم بشكل عام، وبالتالي فهي موضوعة على الله والرسول محمد ﷺ.

وخلال الدراسة يجب تصنيف هذه الأحاديث بحسب المواضيع التي تم الوضع فيها (يفضل أهل السنة للتلطيف من العمل الذي قام به المحدثون ورواة الحديث بالكذب على رسول الله فيقولون عنها كلمة (وضع) بدل كلمة (كذب أو افتراء) بما أن دراسة حوالي أربعة عشر ألف حديث في الصحيحين سوف يحتاج إلى مجلدات، وطالما غايتنا من الدراسة هي إعلام القارىء عن النتائج بأمانة من دون الحاجة إلى سرد آلاف الأحاديث فسوف أكتفي بوضع نماذج عن كل أنواع الأحاديث والبرهان له على صحة النتائج. وهكذا فقد وضعت الجدول التالي تسهيلاً لهذا الأمر:

١ ـ نماذج عن الأحاديث التي لاتناقض القرآن الكريم
٢ ـ نماذج عن الأحاديث التي تناقض القرآن الكريم
٣ ـ نماذج عن الأحاديث التي تناقض بعضها البعض
٤ ـ هل سمح الرسول ﷺ بالأخذ من كتب أهل الكتاب المحرفة؟
٥ ـ الأحاديث التي وردت في الآيات المتشابهة
٦ ـ أسلوب الإساءة المتعمدة لشخص الرسول ﷺ
٧ ـ الأحاديث التي تناقض أخلاق الرسول الكريم ﷺ
٨ ـ لماذا شوهوا صورة الرسول الكريم من خلال الأحاديث المفتراة؟
٩ ـ الأحاديث التي يتنبأ فيها الرسول ﷺ عن المستقبل (غيب الله)
١٠ ـ الأحاديث التي تتكلم عن معجزات الرسول محمد ﷺ
١١ ـ الأحاديث ذات الأهداف والغايات السياسية
١٢ ـ موضوع الإسراء والمعراج
١٣ ـ قصة الخضر (في القرآن الكريم)
١٤ ـ ما معنى الدعاء؟ وما هو الفرق بين التمني والرجاء؟
١٥ ـ الأحاديث التي تحاول أن تنسب للرسول الكريم علوماً (مثل الطب)
١٦ ـ الإساءة المقصودة لنساء الرسول ﷺ
١٧ ـ دور النساء في دين السلطان
١٨ ـ أحاديث لا معنى لها ولا مغزى، منسوبة للرسول الكريم ظلماً وبهتاناً
١٩ ـ أساليب الاحتيال في شرع السلطان
٢٠ ـ أحاديث نبوية شريفة لتحليل شرب الخمر
٢١ ـ بحث في الإيمان مع الإشراك بالله
٢٢ ـ الشواهد على إشراكنا الحالي
٢٣ ـ كيف رسخوا في فكر المسلمين استحالة فهم كتاب الله بشكل مباشر؟
٢٤ ـ لماذا يسعى الطغاة لتأليه الرسل؟

٢٥ ـ صورة الرسول الحقيقية بالاستناد لآيات القرآن الكريم
٢٦ ـ تصور الله سبحانه وتعالى في فكر المسلمين اليوم
٢٧ ـ كيف يمكن للمسلم المعاصر أن يكتشف إشراكه الحالي بالله؟
٢٨ ـ النسخ والإنساء
٢٩ ـ ثلاثة أحاديث خطيرة افتراها جنود السلطان لقلب دين المسلمين
٣٠ ـ الخير والشر الرحمن والشيطان
٣١ ـ خاتمة بحث الأحاديث
٣٢ ـ أين يمكن أن نجد الصحيح من الحديث الشريف؟
٣٣ ـ الكذب آفة دين السلطان
٣٤ ـ الجهاد في الإسلام
٣٥ ـ مصادر العنف في العقيدة ـ عند المسلمين ـ
٣٦ ـ حقوق المرأة في دين الرحمن. وحقوق المرأة في دين السلطان
٣٧ ـ الحرام والحلال في الإسلام (وماذا نجد في دين المسلمين؟)
٣٨ ـ تفسير القرآن بالاستناد إلى الأحاديث النبوية الشريفة
٣٩ ـ فكرة عذاب القبر في دين المسلمين
٤٠ ـ رجم الزاني والزانية في دين المسلمين

قد يستسهل الإنسان عبارة دراسة أحاديث صحيح البخاري ومسلم. إنها كما تلاحظون سهلة إذا كانت مجرد كلام، أما إذا كنا نعني كل كلمة في تلك العبارة أن تأخذ حقها ومجراها فإن الموضوع ليس سهلاً أبداً، وحتى أبين صعوبته يجب أن أبين أنه لايمكن لشخص مهما كان واسع الثقافة والاطلاع على أمور كثيرة إذا لم يسبق له دراسة كتب أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل والتلمود لايمكن أن يعرف مصدر أحاديث كثيرة ألّفها جنود السلطان، مستلهمين الأسلوب من تلك الكتب من دون أن يكون النقل مباشراً، وحتى أبين الموضوع لابد من أن أضرب عليه مثلاً.

الحديث رقم (٢١٦) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. فقال رجل: يارسول الله: ادعُ الله أن يجعلني

منهم. قال: اللهمّ اجعله منهم. ثم قام آخر فقال: يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «سبقك بها عكاشة».

وعند نقد الحديث يجب أن نقول:

ليس من أسلوب دين الإسلام أن يدعو رجل الدين أو الإمام أو الشيخ للمسلم، فليس بين العبد وربه وسيط آخر في الإسلام ليدعوا الله بدلاً عنه.

كل إنسان يؤمن بدين الإسلام يستطيع أن يدعو الله مباشرة من دون الحاجة إلى وسيط ديني ليجري هذه العملية.

لكن المطلع على دين أهل الكتاب ويعرف مفاهيمهم وأسرارهم يعلم لماذا لايستطيع العبد عندهم إجراء هذا الاتصال لوحده.

وهذا هو الدليل الأول على أن أسلوب الحديث ليس إسلامياً.

والدليل الثاني أن كتاب التوراة المحرفة تجعل مثلاً للنبي أو الرسول دعوة واحدة في كل موضوع.

مثلاً عندنا في قصة طويلة للنبي إسحق عليه السلام، عندما كبر سنه وفقد بصره وشاخ أراد أن يبارك ابنه البكر (عيسو) فطلب منه أن يأتيه بصيد من البرية ويصنع لأبيه أطعمة حتى يدعو الأب لابنه ويطلب له البركة، فتآمر زوجته مع ابنها الأصغر يعقوب الذي كانت تحبه أكثر من بكرها (عيسو) وتصنع له أطعمة من لحم الماعز ويقدّمها لأبيه على أنه (عيسو) فيدعو الأب ليعقوب وهو يعتقد أنه يدعو لعيسو. وعندما يعود الأخ الأكبر ويقدم الطعام لأبيه يكتشف الذي حصل، ولكنه يقول لابنه: لا أستطيع أن أدعو لك وأباركك لأني سبق ودعوت لأخيك يعقوب قبلك. أي قال له: لقد سبقك أخوك يعقوب. هذا منطق التوراة وليس منطق القرآن وهذا الأسلوب غير موجود في الإسلام أبداً، إذاً مصدر الحديث وصاحبه من أهل الكتاب (لأن الإناء ينضح بما فيه). دارس الأحاديث يجب أن يكون ملماً بما في كتب أهل الكتاب، لأنها غالباً هي المصادر التي استوحى الرواة منها أحاديثهم، فالذي يقرأ في التوراة مثلاً قصة إسحاق مع ابنيه البكر عيسو والأصغر يعقوب، ويعلم كيف أن الأصغر خدع أباه وجعله يدعو الله له بالبركة، ثم عندما يعود الأخ الأكبر الذي كان صادقاً وأميناً. ووفياً ومحباً لأبويه يقول له النبي أسحق: لقد أتى أخوك بمكر وجعلني أدعو له بالبركة فقد سبقك أخوك لها، ولم يعد عندي إلا أن أدعو عليك باللعنة والغضب، وهكذا يدعو لابنه البار باللعنة في الأرض،

لأنه سبق ودعا لابنه الماكر بالبركة.

وعندما يجد الباحث بين الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم محمد مثل تلك الأحاديث وعلى نفس أسلوبها، فإنه يعلم فوراً المصدر لأن هذا الأسلوب لم يكن في يوم من الأيام أسلوب الله في القرآن ولا أسلوب رسوله في فهم آيات ربه أبداً.

فماذا يكون جواب الرسول للصحابي الذي يدعي الراوي أنه سأل الرسول بأن يدعو له للدخول إلى الجنة من غير حساب.

يقول الراوي افتراء: على لسان الرسول ﷺ:

لقد سبقك بها عكاشة. مستخدماً نفس أسلوب التوراة المحرفة.

حيث قال إسحق لابنه البكر عيسو:

لقد سبقك بها أخوك يعقوب وقد انتهى الدعاء. وإذا كنت سأدعو فسوف أدعو لك باللعنة فقط.

وهذا المنطق ليس من منطق القرآن ولا منطق آيات الله أبداً. والاقتباس واضح وكذلك الكذب على الرسول عليه دليل دامغ ولا يرد.

ـ ليس في علم الإسلام الذي أتانا من رب العالمين بالقرآن الكريم أية إشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق المرأة من ضلع آدم، ومصدر هذه المعلومات هو التوراة المحرفة، وإليكم الحديث أولاً:

ـ الحديث (١٤٦٨) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم، واستوصوا بالنساء. إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقوّمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج. استوصوا بالنساء خيراً». والآن لنسمع قصة التوراة:

ـ (فأوقع الرب الإله سباتاًعلى آدم فنام. فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي)(*).

ـ الحديث (٢٨٤١) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(*) سفر التكوين الإصحاح الثاني الفقرات ٢١ ـ ٢٣.

«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جلوس. فاستمع مايجيبونك. فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال: فذهب، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. قال فزادوه: ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم - وطوله ستون ذراعاً. فلم يزل الخلق ينقص بعده حتىالآن.» - ولنسمع بعده نص التوراة:

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه)(*).

- الحديث (٢٨٣٩) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل. كل من أنهار الجنة».

لقد غاب عن أبي هريرة أن اليهود في التوراة المحرّفة لايؤمنون بجنة السماء، وإنما يؤمنون بجنة الله على الأرض، وإليها فقط يسعون، وفي هذه الجنة طبعاً يحلمون بالنيل والفرات وسيحون وجيحون.

لنسمع التوراة ماذا تقول في (سفر التكوين، الإصحاح الثاني الفقرات من ١٠ - ١٤) (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون وهو المحيط بأرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد) وهكذا يصف لنا أنهار الأرض وليس أنهار السماء. وأسلوب الأحاديث كما تلاحظون أتى توراتياً، وهذا ماقصدت إليه، علماً أن الأحاديث من هذا النوع كثيرة وقد أشرت إليها أثناء الدراسة، (ويجب أن نعلم أن التوراة محرفة) والقصة التي اختصرتها حالياً أوردتها كاملة في مكان آخر، وهي من سفر التكوين الإصحاح ٢٧ الفقرات ١ - ٤٠.

وهكذا فإن معرفة كتب أهل الكتاب ضرورية من أجل نقد الأحاديث كما رأيتم. ولا أبالغ أن التوراة والتلمود بكاملهما موجودان عند المسلمين بمثل هذه الأحاديث. وإذا تابعت سردها فسأحتاج إلى مجلدات، ولكن الغاية ليست مجرد السرد؛ وإنما اقناع المسلم أن الأحاديث هذه مفتراة على الرسول، لأنها ليست من علمه، فعلم الرسول هو القرآن الكريم فقط. فالله سبحانه دقيق التعبير دائماً. مثلاً: أخبرنا عن عيسى عليه السلام فقال ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ ياعيسى بن مريمَ... وإذْ علمتُكَ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ﴾ ١١٠ - المائدة.

(*) سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرات ٢٦ - ٢٧.

في حين إن الله سبحانه لم يقل لمحمد في القرآن الكريم أبداً إنه علمه التوراة والإنجيل. فالله سبحانه لاينسى ولا يسهو. إذاً فكل كلام مصدره من التوراة أو الإنجيل أو التلمود افتراء على الله والرسول لاشك فيه ولا يقبل النقاش. أما إذا كان بعض علماء المسلمين مايزالون يصرّون أن متن تلك الأحاديث صحيح مائة بالمائة، ورواة تلك الأحاديث من الملائكة المكرمين ولايمكن أن يكذبوا أبداً وهم جميعاً من الثقات ونحن قد درسناهم وفندناهم جميعاً. أقول لهم. أنا أعتذر لكم لأني لا أستطيع أن أقبل مالا يقبله العقل والمنطق والعلم، ومنطق القرآن يرفض كل تلك الأحاديث حتى ولو رواها من نظن أنه من أصدق الناس.

وقد ضربت الأحاديث السابقة كأمثلة من التوراة، وسأضرب مثلاًمن الإنجيل:

الحديث رقم (٢٢٦٧) في صحيح مسلم: عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق»

في أول إنجيل يوحنا في كتاب العهد الجديد:

(قال يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فليبس. الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب)

إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع عشر الفقرات ٩ ـ ١٠.

«صاحب الحديث اضطر طبعاً لتغيير كلمة (الأب) إلى كلمة أخرى هي (الحق) وهي الأخيرة الآب لأن المسلمين لايقولون عن الله الآب؛ وإنما هذاتعبير للمسيحيين فقط» والمسلمون يقولون عن الله (الحق).

لنستمع إلى يهودي أسلم هو كعب الأحبار خبير بكتاب التوراة ماذا يقول: (قال كعب الأحبار: مارأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بها من أبي هريرة)(*). ويجب أن نعلم أن التوراة أغلبها منسوبة لأبي هريرة في الأحاديث، ولكن من المؤسف أنها لاتقول: إن أبا هريرة قال: وإنما تقول كلّها: قال رسول الله على لسان أبي هريرة، والله أعلم من الذي افترى الأحاديث هل هو كعب الأحبار أم أبو هريرة أم كلاهما معاً؟.

(*) عن كتاب سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ـ ج ٢.

الرابع عشر: مصادر دين السلطان

(يقول ابن كثير الدمشقي في مقدمة كتاب البداية والنهاية:
فأما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«بلّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار».
فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا مايصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايته للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا).
ولم يقل ابن كثير: إن جنود السلطان كان يهمهم كثيراً أن يُسكَتَ عن هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري مع أنه محمول على الإسرائيليات، لأنه بواسطة هذا الحديث بالذات أَدخَلَ كل أهل الكتاب من الذين دخلوا الإسلام حقداً كل قصص التوراة المحرّفة للإسلام فأصبح بذلك مع الأسف دين السلطان قائماًعلى التوراة، خالياً من القرآن ومناقضاً له. وهذا الكلام ليس مجرد ادعاء وإنما كلام له مايثبته في هذا الكتاب.
وفي هذه الفقرة سوف أبرهن أن أكثر عقائد المسلمين ـ خاصة عند السنة ـ مصدرها الأساسي من التوراة. وقد برهنت في بحث لاحق كيف لجأ أحد جنود السلطان الذي كان اسمه (سفيان) إلى إخفاء أول الآية الكريمة التي تبدأ بـ «قل يا أهلّ الكتاب» وقال مباشرة: ﴿لستُم على شيءٍ حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ﴾ ٦٨ ـ المائدة. وهو يوجّه الكلام للمسلمين، حتى يفهم السامع إذا كان مسلماً أن التوراة والإنجيل هما أهم من القرآن في الإسلام، علماً أن هذا غير صحيح، ويعلمه سفيان أفضل من الجميع. ولكنه هوى الإنسان الذي وقع في فخ الشيطان.

كلام في غيب الله مصدره التوراة:

إن أكثر من ٩٠٪ من المعلومات الموجودة في الحديث التالي مصدرها كتبُ أهل الكتاب المحرفة. قال الإمام أحمد: حدثنا.. عن عباس بن عبد المطلب، قال: كنا جلوساً مع رسول الله بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ «أتدرون ماهذا؟ قلنا: السحاب. قال: والمزن قلنا: والمزن. قال: والعنان. قال: فسكتنا، فقال: هل تدرون كم

بين السماء والأرض؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء». هذا لفظ الإمام أحمد بن حنبل رواه أبو داوود وابن ماجة والترمذي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن(*).

وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن».

وفي الصحيح: أن رسول لله ﷺ قال: «لقد اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ».

وذكر الحافظ بن الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش عن بعض السلف) «إن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بُعدُ مابين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة».

ـ الكرسي: وقال السري بن أبي مالك: «الكرسي تحت العرش والسموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش». وعن ابن زيد قال: حدثني أبي قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» وقال أبو ذر: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

ـ اللوح المحفوظ: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني عن.... عن ابن عباس: أن نبي الله ﷺ قال:

«إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعزّ ويذل ويفعل مايشاء» وعن ابن عباس أيضاً:

«إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله. فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة».

(*) تاريخ ابن كثير ج ١ ـ ص ٨.

قال: «واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء، طوله مابين السماء والأرض، وعرضه مابين الشرق والغرب. وحافتاه الدر والياقوت. ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حِجرِ مَلَكْ».

وقال أنس بن مالك وغيره من السلف: «اللوح المحفوظ (وكل الذي وصفاه سابقاً) في جبهة إسرافيل» وقال مقاتل: هو عن يمين العرش.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا حجاج حدثنا.. عن أبي هريرة قال:

«أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق البحر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاث وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خَلقٍ خُلِقَ ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» وهكذا رواه الإمام مسلم عن جريج بن يونس. والفرق بين هذه الرواية ورواية التوراة هو الفرق بين ترتيب الأيام، لأن الله عند اليهود لم يعمل بل استراح. والمسلمون أضافوا على هذه التحريفات القديمة تحريفاً جديداً يناسب الإسلام، بأن بدؤوا الخلق يوم السبت بدلاً من يوم الأحد، كما أن المسيحيين بدؤوا الخلق يوم الاثنين لأن يوم الأحد راحة عندهم يجب على إلههم أن يستريح أيضاً في ذلك اليوم. وهكذا نحن المسلمين نأخذ من التوراة أو من الإنجيل ثم نقول: قال رسول الله ﷺ.

وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواها سبع سماوات: قال: إن الله كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفَعَ فوق الماء فسما عليه فسمّاه سماء. ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة (إذا تيبس الماء صار جليداً وليس أرضاً) ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين (الأحد والاثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى﴿نُون والقلم ومايَسْطرون﴾ ١ ـ القلم. والحوت في الماء، والماء على صفات، والصفات على ظهر ملَك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان، ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرّت. وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال ومافيهن من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفتق السماء وكانت رتقاً فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم

الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوصى في كل سماء أمرها ثم قال في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لايعلم غيره.. (وهل ترك الراوي شيئاً في غيب الله ولم يصل إلى علمه بعد كل هذا؟).

ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً يحفظ من الشياطين. فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش..

فإن كعب الأحبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء في علوم أهل الكتاب، فيستمع له عمر تأليفاً له، وتعجباً مما عنده مما يوافق كثيرٌ منه الحق الذي ورد به الشرع المطهّر، فاستجاز كثير من الناس نقل مايورده كعب الأحبار هنا. ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل، لكن كثيراً مايقع ممايرويه في غلط كبير وخطأ كثير(*). (شكراً لله لأنه اعترف على الأقل بأن في تلك الروايات غلط كبير وخطأ كثير). كيف يمكن للمسلمين أن يسمحوا بمثل هذه البساطة الحديث عن بني إسرائيل. وهل هناك إذن من الله في القرآن يسمح لكل مسلم أن يقرأ التوراة ثم يمسك بالقلم ويكتب مايعجبه من ذلك الكتاب. (قال محمد رسول الله ﷺ) ويضيف إلى الإسلام مايشاء.

هل هذا يجوز عقلاً وكيف يسمح الرسول بشيء منعه الله تعالى بعد أن أعلمنا أن أهل الكتاب حرّفوا كتبهم كلها؟

إن الأمر عجيب والله ولم نعد نخاف الله بعد أن فقدنا الحياء ولم نعد نخجل من أنفسنا ونحن نفتري على الله ورسوله علناً.

قال البخاري: ..عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه ـ فهو عنده فوق العرش ـ : إن رحمتي غلبت غضبي. وكذا رواه مسلم والنسائي عن قتيبة.

ـ قال الإمام أحمد: حدثنا... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

«فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان» وهذا إسناد صحيح. (لأن التوراة تتصور أن الجنة سوف تكون على الأرض، فقد فات هذا الموضوع على الرواة).

(*) تاريخ ابن كثير ص ١٥ ـ الجزء الأول.

ـ وأما مايذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها على نفسها فأبت إلّا أن يعلّماها الاسم الأعظم فعلّماها، فقالته فرفعت كوكباً إلى السماء، فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل.. وقد روى الإمام أحمد بن حنبل وابن حبّان في صحيحه في ذلك حديثاً رواه أحمد عن يحيى بن بكير عن زهد بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وذكر القصة بطولها وفيه: فمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها عن نفسها وذكر القصة(*).

وفي حديث الجابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«يامعاذ إني مرسلك إلى قوم من أهل الكتاب، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء فقل هي لعاب حية تحت العرش».

لماذا يريدنا مفتري هذا الحديث أن نصدق أن الرسول يريد أن يكذب على الله وعلى الناس، ويقول لهم بما لايقوله الله في كتابه القرآن وليؤيد بالتالي ما يقوله أهل الكتاب ويصدق أقوالهم؟ فهم الذين قالوا ذلك في كتابهم الذي حرّفوه على الله وعلى رسولهم الذي ألّهوه:

(وأخرجت الحية من جوفها خلف المرأة مايشبه النهر لتغرقها فيه)(**) والمرأة هي مجموعة النجوم التي نقول عنها المرأة المسلسلة في أبراج السماء.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه، وجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد، فإذا مصَعَ (حرّك وضرب) بذنبه فذاك البرق(***).

(الكائن الأول يشبه الأسد، والثاني يشبه العجل، والثالث له وجه مثل وجه الإنسان، أما الكائن الرابع فيشبه النسر الطائر) (سفر الرؤيا، الإصحاح الرابع، الفقرة السابعة «العهد الجديد»).

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم لو أن عبيدي

(*) عن تاريخ ابن كثير ص ٣٣ ـ ج ١.

(**) العهد الجديد سفر الرؤيا الإصحاح الثاني عشر، الفقرة ١٥.

(***) العهد الجديد سفر الرؤيا الإصحاح الرابع ـ الفقرة السابعة.

أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لايصيب ذاكراً:

المفروض أن يكون هذا بحسب النص حديثاً قدسياً، أي وحياً مباشراً من السماء مثل القرآن، ولكن من سوء حظ واضع هذا الحديث أنه يجهل أسرار القرآن ولايعلم حتى الآن أن الله سبحانه لم يقل عن الماء الذي يهطل من السماء مطراً في الوحي الخاص به، إلا إذا كان غضباً فقط من الله سبحانه على عباده، وإذا كان ذلك الماء خيراً قال عنه (الغيث) وآيات القرآن أمامكم اليوم وفي كل يوم تشهد على صحة ما أقول، وتكشف كذب واضع هذا الحديث.

وتجد في الصحيحين عن جابر بن عبد الله:

الحديث (٢٨١٢) المسلسل ٦٦ ورواية أخرى المسلسل ٦٧ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر. فيبعث سراياه فيفتنون الناس. فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة».

وفي الرواية ٦٧:

«إن إبليس يضع عرشه على الماء. ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ماصنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول: نِعمَ أنت».

والآن: إذا بحثنا في القرآن الكريم فلن نجد لإبليس عرشاً أبداً. ولكننا نجد له عرشاً في كتب أهل الكتاب المحرّفة التي غدت مصادر علم علمائنا. فالحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه.

«إني أعلم أين تسكن، حيث عرش الشيطان»(*).

إن أغلب قصص العرش والكرسي واللوح المحفوظ وسدرة المنتهى والجنة والنار ومشاهد يوم القيامة التي نجدها في قصص الحديث المنسوبة ظلماً للرسول ﷺ مقتبسة من قصص التوراة، في (معراج حزقيال في التوراة). ومعراج يوحنا التي يسمونها (رؤيا يوحنا).

وإليكم بعض المقتطفات:

(*) العهد الجديد سفر الرؤيا ـ الإصحاح الثاني الفقرة ١٣.

«أربعة كائنات حية...
وكانت سيقانها مستقيمة وأقدامها متشابهة لأقدام العجل وهي تبرق كبريق النحاس. وكان لكل كائن من هذه الكائنات الأربعة أجنحة وأوجه وكانت أجنحتها تتلامس. وانبسط فوق رؤوس الكائنات الحية جَلَدٌ يشبه البلور المتلألىء الهائل. وعندما سارت رفرفت أجنحتها كهدير مياه غزيرة، كصوت جلبةِ جيش، وحين تتوقف كانت ترخي أجنحتها. وانتصب فوق الجلَد المنبسط على رؤوسها شبه عرش منظره كحجر اللازورد.
ويجلس على شبه العرش من فوق من هو كشبه إنسان ورأيت من (حَقَويهِ) فما فوق كأنه نحاس لامع يتوهج في داخله وحواليه أما مايبدو من حَقَويهِ وماتحت، فكأنه نار وحواليها يشع بالضياء. وكان منظر اللمعانِ المحيط به كمنظر قوس قزح في يومٍ مطير، هكذا كان منظر شبه مجد الرَّبْ. وعندما أبصَرتُ على وجهي وسمعت صوتاً يتكلم. ثم قال لي: يابن آدم قف على قدميك فأخاطبك»(*).
وكما نجد في وصف العرش في سفر رؤيا يوحنا الموجود في الإنجيل:
«فرأيت في السماء العرش عرشاً يجلس عليه واحد تنبعث منه أنوار كأنها صادرة من لمعان اليشب والعقيق الأحمر. وحول العرش قوس قزح كأنه الزمرد. وقد أحاط بالعرش أربعة وعشرون عرشاً يجلس عليها أربعة وعشرون شيخاً يلبسون ثياباً بيضاء. وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب وكانت تخرج من العرش بروق ورعود وأصوات وأمامه سبعة مصابيح نار مضاءة، وهي أرواح الله السبعة. وكان يبدو بحراً شفافاً مثل البلور يمتد أمام العرش، وفي وسط العرش وحوله أربعة كائنات تكسوها عيون كثيرة من الأمام ومن الخلف: الكائن الأول يشبه الأسد، والثاني يشبه العجل، والثالث له وجه مثل وجه إنسان، أما الكائن الرابع فيشبه النسر الطائر. وكان لكل كائن منها ستة أجنحة، تكسوها عيون من الداخل ومن الخارج، وهذه الكائنات الحية الأربعة تهتف ليلاً ونهاراً دون انقطاع قائلة:
قدوس قدوس قدوس، الرب الإله القدير على كل شيء، الذي كان والذي سيأتي».
وكلما قدمت هذه الكائنات التمجيد والإجلال والحمد للجالس على العرش، الحي إلى أبد الآبدين، يجثوا الشيوخ الأربعة والعشرون أمام الجالس على العرش ساجدين للحي

(*) مقتطفات من سفر حزقيال الإصحاح الأول من الفقرة الأولى حتى الفقرة الأولى من الإصحاح الثاني.

إلى أبد آبدين، ويلقون أكاليلهم أمام عرشه وهم يهتفون:

«مستحق أنت ياربنا وإلهنا المجد والإجلال والقدرة، لأنك خلقت الأشياء كلها، وهي بإرادتك كائنة وقد خلقت!»(*).

والمسلمون مثل أكثر البشر يميلون دائماً لتشخيص الله كما رأيتم في صور التوراة والإنجيل، ولاحظتم كيف يصفون الله سبحانه وكأنه سلطان ومن حوله حاشيتُهُ يكبرون ويهلّلون. الفارق الوحيد في تصورهم هو فارقٌ في الحجم، بينما إذا بحثنا عن الحقيقة نجدها في القرآن، وحتى إذا بحثنا في الركام الهائل الذي عندنا من الأحاديث لن نعدم الحقيقة إن كنا نعرف كيف نميزها بما تتطابق به مع روح القرآن وهديه:

الحديث (٤٨٥٥) في صحيح البخاري: عن مسروق (خادم بيت الرسول ﷺ قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد وقف شعري مما قلت، (أي اقشعرَّ بدني) أين أنتَ من ثلاث من حدّثَكَهُنَّ فقد كذب:

من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت:

(لاتدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)

(وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب)

ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب. ثم قرأت:

(وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

ومن حدثك أنه كتم فقد كذب. ثم قرأت:

(يا أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربّك) ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين.

حتى هذا الحديث لم يخل من التحريف في آخر جملة منه لأن الله سبحانه لم يخبرنا بذلك في القرآن، وما لانجده في القرآن نحن المسلمين ولا يتطابق مع معلوماته، فهو أيضاًغير صحيح، والذي يقوله كاذبٌ مفترٍ على الله سبحانه وعلى الرسول ﷺ معاً.

ثم نستمع إلى الحديث التالي حتى نعلم عقلية الرسول محمد ﷺ الحقيقية ونظرته إلى كل هذه الأوهام:

(*) رؤيا يوحنا ـ الإصحاح الرابع (العرش في السماء) حتى الفقرة ١١.

الحديث (٧٤١٥) في صحيح البخاري: عن عمر بن حفص، منتهياً بعلقمة يقول: قال عبد الله جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على أصبع، والشجر والثرى علىأصبع، والخلائق على أصبع ثم يقول: أنا الملِكُ أنا الملِكُ، فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وماقدّروا الله حقَّ قَدره﴾ ٩١ - الأنعام.

لكن هذه الحقيقة التي تطابق القرآن الكريم لم تكن تعجب جنود السلطان كثيراً فوجدنا من أضاف إلى الحديث وصوّره وحرّفه بحيث تقلب المعنى الحقيقي القرآني الذي شاهدناه في الحديث قبل قليل.

والبخاري وضع لنا الحديث قبل الذي قرأناه، حتى يتم لنا رسالته السرية.

الحديث (٧٤١٤) في صحيح البخاري: نفس الحديث السابق، ثم قال يحيى بن سعيد وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة:

فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له.

لاحظتم في الحديث الأول أن ضحك الرسول كان استنكاراً بدليل من الآية الكريمة، ولكن جنود السلطان أصروا ومازالوا يصرّون على أن الرسول قد ضحك تصديقاً واستحساناً.

وبعد أن قرأنا حديث عائشة رضي الله عنها لمسروق قبل قليل، لنقرأ الحديث التالي:

الحديث (٧٤٣٧) «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله.. منتهياً بأبي هريرة أن الناس قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمس. ويتبع من كان يعبد القَمَرَ القمر. ويتبع من كان يتبع الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها. أو منافقوها (شكَّ إبراهيم) فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا؟ فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها (أي أول من يتجاوزها مروراً بها) ولايتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل

يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، وهل رأيتم السعدان»
قالوا: نعم يارسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان (يعني مثل الكلاليب التي يعلق بها اللحام الحيوانات المذبوحة) فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَقُ بعمله ومنهم المُخَرْدَلُ أو المجازى أو نحوه، ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود.

(فهل يعبد الإنسان الله ويطيعه من أجل إنقاذ نفسه أو من أجل إنقاذ أثر السجود في جبهته في إسلام القرآن؟).

فيخرجون من النار قد امتَحَشُوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبَّة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي من النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذُكاؤُها، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عَسَيتُ إن أعطِيتَ ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. ويُعطي ربه من عهود ومواثيق ماشاء، (وهل الدار الآخرة مازالت دار عهود ومواثيق؟).

فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة، فيقول الله له: ألست قد أعطَيتَ عهودك ومواثيقك أن لاتسألني غير الذي أُعطِيتَ أبداً؟ ويلك ياابن آدم ماأغدرك فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عَسَيتَ إن أعطيتَ ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفَهَقَت له الجنَّة فرأى مافيها من الحَبرةِ والسرور، فيسكت ماشاء الله أن يَسكُتَ ثم يقول: أي ربِّ أُدخلني الجنة فيقول الله: ألَست قد أَعطيت عهودك ومواثيقك أن لاتسأل غير ما أُعطيت؟ فيقول: ويلك ياابن آدم ما أغدرَكَ. فيقول: أي رب لا أكونَنَّ أشقى خلقكَ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: أدخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تَمَنَّه (أي أطلب وتمنّ ماتشاء)، حتى إن الله ليذكره بقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني قال الله: ذلك لك ومثله معه».

تذكرت وأنا أقرأ هذا الحديث القصص التي كان يرويها ابن عبد ربه الأندلسي في

كتابه الشيق (العقد الفريد) بوصفه ليالي سمر السلطان ومرحه مع حاشيته، هو محاط بالجواري والغلمان. ويوزع العطايا من بيت مال المسلمين يميناً وشمالاً وشعبه المقهور يؤمر من قبل جنوده بالصبر والسلوان، وأن هذا كله أمر الله مقدور ومكتوب عليهم فليس لهم من الأمر شيء. علماً أن مصدر هذه القصة وأساسها هو كتب أهل الكتاب:

وهذه القصة تتجه إلى الإنجيل للأسباب التالية:

إذا لاحظنا العبارات التي تقول:

(فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون).

مَن من أصحاب الديانات السماوية يقول عن الله رب ويصورونه متصدراً معابدهم، وهالة القدسية فوق رأسه إلا أهل الإنجيل؟. والأحزاب الأخرى منهم التي تقول عنه الابن فقط نجد أيضاً عندهم صورة الآب الذي هو الله جالساً على عرشه في صورة رجل كهل قوي مفتول العضلات أشيب الشعر غزيره، وإلى جانبه ابنه المحبوب المسيح؟

ومَن من أصحاب الديانات يخشى الرب الدجال أي المسيح الدجال إلا أهل الإنجيل؟

إنَّ مصدر قصص المعراج من رؤيا حزيقال في التوراة ورؤيا يوحنا في الإنجيل:

إليكم الحديث التالي:

الحديث (٧٤٠٧) في صحيح البخاري عن عبد الله (من دون كنية) قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال:

«إن الله لايخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية».

سؤال إلى كل المسلمين:

من هي الأمة التي تسكن الأرض الآن ويخشون أن يخلطوا بين المسيح الأصلي والمسيح الدجال فيقول لهم رجال دينهم انتبهوا هناك علامة وميزه كبرى حتى لاتخلطوا بين الاثنين، وهو أن الدجال أعور والمسيح الأصلي ليس بأعور؟

ومَن من شعوب الأرض يقول عن المسيح هو الله أو هو الرب إلا أهل المسيح؟

إذاً فكيف وعلى أي أساس تريدون أن نصدق أن رسولنا محمد ﷺ يظن أو يعتقد أن المسيح هو الله؟

هل هذا حديث شريف وهو وحي من السماء ومصدره من الله سبحانه؟

وعلى أي أساس تقولون لنا إن الذين رووا هذا الحديث لايكذبون وقد انكشف كذبهم من الله؟

قصص من التوراة: احتجاج آدم وموسى عليهما السلام:

نجدها في صحيحي البخاري ومسلم. مثلاً عندنا الحديث:

رقم (٢٦٥٢) في صحيح مسلم، نجد سبع روايات مختلفة، نختار منها المسلسل - ٢٥ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما. فحج آدم موسى قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم:

أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرّبك نجياً، فبكم وَجْدَتَ اللهَ كَتَبَ التوراة قبل أن أُخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى.

إذا شاء ناقدٌ ويعلم ماذا قال الله سبحانه في القرآن ويعلم أيضاً ماذا عند أهل الكتاب في كتبهم المحرفة، لكتب كتاباً كاملاً في نقد هذا الحديث من كثرة المتناقضات العجيبة التي فيه:

أولاً: شعرت أنه كتب في عصر الإمام مسلم من قبل رجل عنده معرفة بما في كتب أهل الكتاب، فأجريت عليه تجربة طريفة طلبت من ابني أن يقرأها عدة مرات، ثم يحاول روايتها لأحد أصحابه، وهكذا بالتتابع بسبع أشخاص ففوجئت أن الحديث الذي وصل للسابع كان لايمتّ للحديث الأول بصلة، وليس فيه من المعلومات الصحيحة إلا موسى وآدم، وماعدا ذلك فقد تغير كل شيء.

وبحسب التوراة فإنه بين خلق آدم وكتابة التوراة من قبل الله كان أربعون سنة، وبحسب التوراة أيضاً أن عمر الكون كله عدة آلاف من السنين، فهل هذه حقائق علمية يجب أن نقبل بها على أنها وحي من السماء؟

وإذا كانت وحياً فعلاً؛ فلماذا وحي الله الصحيح في كتاب الله لايتناقض مع العلم وإنما كل مافيه حقائق ١٠٠٪ اليوم وفي كل يوم؟ بينما نجد أن كل مافي الوحي الثاني لاحقائق فيها أبداً.

وهل قال الله سبحانه في رسالة محمد: إنه سبق وقدر أي شيء أم بلغهم وقال: من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؟

أم أنهم يقولون لنا: إن محمداً رسول الله الذي كان أميناً قبل الرسالة فقط. ثم بدأ يقول للناس عكس مابلغهم في كتاب الله؟

ثم إن آدم الذي يكلم موسى عن التوراة ألا يعلم أن التوراة ليست كتاب موسى؟ وإذا كان آدم لايعلم، ألا يعلم الرسول محمد ﷺ ماهو مكتوب في كتاب الله الذي نزل على لسانه أن التوراة هو كتاب آخر غير كتاب موسى؟ وإذا عدنا إلى كتب أهل الكتاب لنبحث عن الحقيقة لوجدنا أن سفر الشريعة هو كتاب موسى، بينما يعتبر أهل الكتاب أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم وهي سفر التكوين و الخروج واللاويين والعدد والتثنية، هي التي تشكل كتاب موسى من أصل ٣٩ سفر في العهد القديم.

بينما نجد مايناقض هذا الكلام في سفر التثنية المنسوب كما رأيتم لموسى، وفي الإصحاح ٣٤ منه فقرة كاملة تحت عنوان وفاة موسى ودفنه:

«وكان موسى قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة حين مات، ولم يكل بصره، ولا غاضت نضارته. وناح بنو إسرائيل على موسى في سهول مؤاب طوال ثلاثين يوماً»(*).

ثم نجد في نفس الإصحاح تحريفاً آخر يقول:

«ولم يظهر بعد نبيٌ من بني إسرائيل مثل موسى، الذي خاطبه الرب وجهاً لوجه»(**).
فالله سبحانه يقول لنا في القرآن الكريم إنه خاطبه من وراء حجاب، وإن موسى لم يَرَ وجه الله أبداً.

فَمَنْ المفروضُ أَنْ يُصحِّح كتابه من الثاني؟ هل نصحح نحن المسلمون كتابنا على تحريفاتهم؟

(*) سفر التثنية ـ الإصحاح ٣٤ ـ الفقرات ٧ ـ ٨.

(**) سفر التثنية الإصحاح ٣٤ ـ الفقرة ١٠.

أم يجب أن يصححوا تحريفاتهم على ماهو موجود في كتاب الله الصحيح؟ والله سبحانه علام الغيوب يقول لنا في القرآن:

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتُبيّنَ لهم الذي اختلفوا فيه﴾ ٦٤-النحل. وليس من أجل أن نُنَزِّلَ في ديننا كل اختلافاتهم بالجملة.

ومما رواه أبو حاتم وابن حبّان في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله فقال له ربه: يرحمك ربك ياآدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فسلم عليهم. فقال: السلام عليكم. فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله. ثم رجع إلى ربه. فقال هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. وقال الله ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت. فقال: أخذت يمين ربي وكلتا يدي الله مباركة، ثم بسطهما فإذا فيهما آدم وذريته. فقال: أي رب ماهؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، وإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجل أضؤوهم أو (من أضوئهم) لم يكتب له إلا أربعون سنة. قال: يارب ماهذا؟ قال: هذا ابنك داوود وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال: أي رب زد من عمره. فقال: ذاك الذي كتب له. قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك. أسكن الجنة، فسكن الجنة ماشاء الله، ثم هبط منها، وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة، قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داوود منها ستين سنة، فجحد آدم (أي رجع بكلامه) فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر الكتاب والشهود» (وهل كانت لغة آدم العربية ياترى؟)

وقال البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً. ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة واستمع مايجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

وهكذا نسمع قصص قابيل وهابيل، وقصص الأنبياء نبياً نبياً وكلها قصص مسلسلة من كتاب التوراة ولكن بدلاً من أن يقول الراوي قال: كعب الأحبار أو قال عبد الله بن سلام، يقول: قال أبو هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: وكل الكلام الوارد في تلك القصص لايعدو عن خيالات أطفال. بينما القصص القرآني يعتبر قمةً في الرواية

وبما فيها من عبرة وعظة، فإن الله أخرج منها كل الحشو والكلام الزائد الذي لانفع منه مثل التواريخ والصفات والأسماء والتفاصيل التي لاعلاقة لها بالقصة، وسوف أضرب مثلاً على ذلك بقصة سوف أذكرها كما وردت في التوراة، ثم أذكر نفس القصة كما وردت في القرآن، حتى يعلم القارىء مدى الفرق الشاسع بين النّصين، أحدهما بعد تحريف البشر وإضافاتهم والآخر لازال نقياً طاهراً كما نزل من السماء مباشرة. نبدأ بـ (نص التوراة):

«فرفع عينيه ـ يعني إبراهيم عليه السلام ـ ونظر. وإذا ثلاثة رجال ـ يعني الملائكة ـ واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: ياسيد إن كنت قد وجدت نعمةً في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا نفعل كما تكلمت.

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً. اعجني واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رخصاً (صغير السن) وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع (الغلام) ليعمله ثم أخذ ـ إبراهيم ـ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله، ووضعها قدامهم. وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا»(*).

هذه هي قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الثلاثة الذين نزلوا ضيوفاً عنده. ورأيتم نتيجة الضيافة أن التوراة تقول إن الملائكة أكلوا من الطعام الذي قدم إليهم، لنستمع الآن لنفس القصة من القرآن الكريم. لنر ونلمس مدى الفرق العظيم:

﴿ولقد جاءت رسلُنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لاتصلُ إليه نكرهم وأوجس منهم خيفةً قالوا لاتخفْ إنّا أُرسلنا إليه قوم لوطٍ. وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحقَ يعقوب. قالت: ياويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيءٌ عجيبٌ. قالوا أتعجبين من أمر الله رحمتُ الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد. فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط. إن إبراهيم لحليم أواه منيب. ياإبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمرُ ربّك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ ٦٩ ـ ٧٦ هود.

إن القصة التي وردت في التوراة في عشرة أسطر بتفاصيل لالزوم لها اختصرها رب

(*) سفر التكوين الإصحاح ١٨ ـ الفقرات ١ ـ ٨.

العالمين كلها بآية واحدة وأما بقية الآيات فقد أعطت معلومات كثيرة غير واردة في التوراة في هذا النص كما رأيتم وقارنتم بأنفسكم.

أحببت أن أورد هذين النصين للمقارنة وللخروج بنتيجة، وهي الوصول إلى يقين بأن الله ورسوله لايمكن أبداً أن يخلطا النص المقدس في القرآن بأمثال هذه النصوص التي قرأنا نموذجاً عنها قبل قليل، وهذا معناه حتماً بأن كل النصوص التي كُتِبَت في هذه الفقرة من البحث تحت عنوان (مصادر دين السلطان) من أحاديث منسوبة للرسول ﷺ ولصحابته ظلماً وعدواناً ويؤيدهم فيها جمهور علماء السنة ولكن يجب ألا ننسى أيضاً أن جمهور علماء السنة كانوا هم جنود السلطان.

هذه حقائق تاريخية.

لكنها بالنسبة لكثير من المسلمين ليست كذلك جهلاً واتكالاً وسذاجة هكذا سمعوا آباءهم يقولون لهم: إن هذه الأحاديث هي الأحاديث النبوية الشريفة المقدسة عند المسلمين، وطالما قال الأجداد كذلك صار لزاماً على الأبناء بأن يقدسوا دين آبائهم، وهذه ليست مصيبة المسلمين وحدهم بل مصيبة كل أبناء الأديان في العالم، إن البوذي يقدس ماوجد عليه آباءه وكذلك أهل الكتاب وحتى ضمن الطوائف الدينية المختلفة.

كل طائفة أبناؤها يقدسون ماوجدوا عليه الآباء، ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل ماقاله الآباء صحيحاً أو شريفاً أو مقدساً أبداً.

هناك من يرتاح إلى ماوجد عليه الآباء، ولايريد أن يغير ولا يبدل، فهو سعيد بما هو عليه وله في النهاية ربٌّ يحاسبه، وحياة يعيشها في أحضان الوهم والباطل. ولكن من الناس من يبحث عن الحقيقة ويريد أن يعلم الصواب من الخطأ حتى يعيش في نعيم الحق، هؤلاء الناس لن يعجبهم أن يسيروا على أي طريق. بل يريدون أن يعلموا ماهو الصحيح من هذه الطرق مستخدمين في ذلك مامنحهم الله من مواهب أساسية كالعقل والتفكير والقدرات الخاصة من أجل الدراسة بإجراء المقارنات والتحليل ومعرفة زوايا التطابق والتناقض، حتى يكتشفوا الصحيح، ويميزوه عن الوهم، وإلى هؤلاء فقط أوجّه هذا الكتاب أما غيرهم فلسوف يرمون به حتى قبل أن يتموا قراءة المقدمة. ولست آسفاً على ذلك، لابل أعذرهم جميعاً وأعتذر منهم لأني لم أستطع أن أجذب انتباههم وأشدّهم للكتاب بوسائل أكثر جاذبية في فن الكتابة.

وعذري أن موضوعي الذي اخترته لايناسبه إلا أن يكتب بجدية مع إبعاد الأسلوب

العاطفي الخطابي عنه، علماً أنه أكثر جاذبية لبعض القراء، لكنه برأيي أبعد عن العلم والحقائق. ولا أريد من القارىء أن يقع في حب الكاتب ولكني أريد منه فقط أن يثق ويقتنع بوجهة نظري إذا كنت مصيباً ومقنعاً، ويلومني إن أخطأت السبيل إلى الإقناع في فكرة من الأفكار، أو جانبتني الحجة في مرة من المرات.

هذا وقد تجاوزت في هذه الفقرة بالذات الحدود التي رسمتها في مقدمة الكتاب بأن تكون شواهدي من الأحاديث من أحد الصحيحين فقط، ولكن حتى يعلم القارىء كيف يشتط خيال الرواة. كلما تجاوزت حدود الشيخين ولو أني تجاوزت الذين ذكرتهم لدخلت في حدود اللامعقول من الروايات التي لايقبلها الذوق السليم بغض النظر عن العقل، ودخلت في حقل اللامنطق واللامقبول. والشباب المسلم وخاصة المثقف منهم لايعرف على الإطلاق ماهو المكتوب في كل ذلك التراث الإسلامي الضخم لنبذه فِكرَةَ الدين من الأساس، اعتقاداً منهم أن الدين كله وهم وأحلام ولا حقيقة فيه أصلاً، واقتنع بوجهة النظر الأوروبية التي تشكلت في عصر النهضة عندهم بأن الدين أفيون الشعوب. وأن الدين سبب لكل تأخر، وكلمة دين معادية للعلم ومناقضة لها. ولتلك الأفكار الأوروبية أسبابها الوجيهة طبعاً، لكن ليس معناه أن الدين والعقيدة الإسلامية الحقيقة الموجودة في رسالة الإسلام التي هي القرآن ينطبق عليها أيضاً مثل تلك الأحكام.

بل إن الحقيقة التي أدعو إليها وأبرهن عليها في هذا الكتاب تثبت عكس ذلك تمامًا وتثبت أن القرآن الكريم أم العلوم الحقيقية كلها.

الخامس عشر: أهداف السلطان من الدين ومن استخدام رجال الدين

استطاع السلطان الذي تحالف مع الشيطان أن يغير دين المسلمين، حتى يتماشى مع أهوائه فصادفت تلك الرغبة هوى من بعض الفئات المغرضة من الذين دخلوا الإسلام حقداً لتخريبه، وفعلوا الأعاجيب له ولم يبقوا على شيء سليم إلا في المواضيع التي لاتهمهم كثيراً ولعل من مصلحتهم بقاءها على ماهي عليه، وهو موضوع العبادات في الإسلام، من صلاة وصيام وحج. وماعدا ذلك لم يتركوا شيئاً إلا وقلبوه رأساً على عقب. حتى الكبائر حلّلوها على لسان الرسول كذباً.

وتحول دين الإسلام الذي أتى ليكون دين العمل والحب والإصلاح في الأرض، استمر على يد الرسول وصحابته الكرام حتى مقتل عثمان ديناً إيجابياً فعالاً، غيّر أوضاع الناس التي كانت في الجاهلية من قبائل تغزو بعضها، والرجل يدفن ابنته وهي حيّة، خوفاًمن العار في مجتمع فيه الدعارة والفسق وشرب الخمور ولعب الميسر وأكل الربا، ولا يحرمون حرمات الله... إلى مجتمع متحابب متكاتف قوي ومتحد، تحت ظل شريعة الله، وقد عرفوا الحلال من الحرام وتنزهوا عن الزنى والفسق وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الربا، وعرفوا الحلال وابتعدوا عن الحرام خشية وتقى. وتمسكوا بمكارم الأخلاق من صدق ووفاء وكرم وشجاعة ونبل، فرفع الله من قيمتهم بعد أن كانوا في نظر جيرانهم من أراذل الناس والعباد، يستهين بهم القريب والغريب، واستطاعوا في فترة زمنية قياسية أن يستقطبوا على منطقة عالم الحضارات. ولكن هذا الأمر لم يدم لأكثر من خمسة وعشرين عاماً من بعد وفاة الرسول الكريم، إذ حصلت فتنة كبرى اشترك فيها كل الحاقدين على الإسلام مع الذين لهم مصالح شخصية في قلب الأمور وتحويلها إلى دين سلبي هروبي وخرافي، يستطيع به السلطان وأعوانه وحاشيته أن يعيشوا في نعيم الأرض من دون أن يعكر عليهم أحد، بعد أن كان الدين وركيزته حرية الإنسان واختياره مع تقديس تلك الحرية من قبل الله، أن جعل الملائكة والجن يسجدون لآدم الذي مُنح العقل والفكر واللغة والكلام مع الحرية التامة في الاختيار. فأتى السلطان وجنوده وهدموا برج الحرية المصون في القرآن الكريم بحديث كان تأثيره أقوى من تأثير القنابل الهدروجينية في هذه الأيام، لأنه قلب مفاهيم المسلمين رأساً على عقب. وهذا الحديث الذي كان له كل تلك القوة هو الحديث التالي:

١ ـ الحديث رقم (٣٣٣٢) في صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟ حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار».

هذا هو نص الحديث الخطير!!! فأين مواطن الخطر في هذا الحديث؟

الخطر الأكبر في العبارة:

ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات:

فيكتب عمله	١
وأجله	٢
ورزقه	٣
وشقي أم سعيد	٤

هذه العبارة ذات الأربع كلمات قوّضت الإسلام كله، وألغت الرسالة المحمدية الإسلامية من أساسها. فمن هو صاحب هذا الحديث المسمى بـ عبد الله؟؟؟ دون ذكر نسب له؟ وإن سألت المحدثين الذين يعلمون أن هذا الاسم متكرر في كل الأحاديث الإسلامية في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم قالوا لكم أحياناً: إنه عبد الله بن عباس، وآخرون قالوا لك: إنه عبد الله بن مسعود، وآخرون قالوا: بل هو عبد الله بن عمر، أو عبد الله بن عمرو بن العاص، ولكنه هو دائماً في الأحاديث الخطيرة اسمه عبد الله؟؟؟ من دون نسب أو من دون تعريف. فلماذا لايكون عبد الله بن سلام مثلاً أو عبد الله الحاقد على الإسلام؟

إذا كُتبَ للإنسان وقُدّر سلفاً عمله وأجله ورزقه وإلى أين سيكون مصيره إلى الجنة أم إلى النار معناه أن حرية الإنسان أُلغيت من قبل أن تعطى له. وتصبح كل آيات القرآن الكريم الأساسية، مثل:

﴿إنّ الله لايغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

لا معنى لها على الإطلاق. لأنه كيف: بإمكان قوم أن يغيّروا ما بأنفسهم وقد كُتِبَ عليهم سلفاً مصيرهم وواقعهم كله؟؟

وبالتماشي مع هذا الحديث تصبح أية محاولة من أي إنسان لتغيير واقعه مجرد محاولة عبثية لافائدة منها ، لأنه ليس للإنسان أن يغير شيئاً؛ بل أن يقبل دائماً بما هو واقع. والواقع دائماً هو الذي اختاره الله له، والحديث ليس من سبك مسلم عادي، وإنما من إنسان يعلم ماذا عند أهل الكتاب من تعابير، لأن كلمة ثم ينفخ فيه الروح ليست من إسلام القرآن بل من عند أهل الكتاب بدليل ان الله سبحانه لم يستخدم كلمة نفخ الروح إلا مرتين وذلك عند الخلق بالقوة الفاعلة من عند الله بداية، أي أن الله استخدم تلك القوة في القرآن مرتين فقط، مرة عندما خلق آدم من غير أب ولا أم ولكن بقوة الخلق «كن»، ومن ثم خلق عيسى بن مريم من أم ولكن من غير أب فنفخ فيه من روحه الملازمة للكلمة «كن» وبعد ذلك يبدأ الخلق ثم يعيده من غير نفخ للروح ومن دون الحاجة إلى «كن» بل لم يقل إسلام القرآن إن للإنسان روحاً، لأن نفخة الروح كانت هي القوة الخالقة والموجدة للشيء أو المخلوق الذي لم يكن موجوداً قبل ذلك، فتحتاج لقوة الخلق. ولكن عند أهل الكتاب الذين حرفوا كتبهم فإن الروح موجودة لكل إنسان.

ومن هنا نقول: إن الذي قال هذا الحديث ليس بعيداً عن أهل الكتاب وتتمة الحديث هو مجرد شرح وتأكيد لفكرة إلغاء الحرية والاختيار التي بنى عليها الله أصلاً فكرة المسؤولية، لأن الذي لاحرية له لامسؤولية عليه. لكن المسلمين قبلوا الحديث من دون نقاش، لما ورد فيه لمجرد أن قال لهم عبد الله؟؟؟ هذا (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق) طالما قال عن الرسول (الصادق المصدوق) فلا يمكن أن يكون من أعداء الإسلام. إنّ في المسلمين سذاجة مابعدها سذاجة، ضيعتهم لأكثر من ألف عام. ورُكِّبَ على هذا الحديث، وبُنِيَ عليه دين السلطان من جديد، بأحاديث كلها تتماشى مع منطقه ولاتناقضه، فأتت كلها في وادٍ، والقرآن ورسالة الإسلام في واد آخر، ولاتقارب بينهما ولاتوافق، بل دائماً تناقضٌ في تناقض.

وقد حاول صاحب الحديث أن يوهم بأنه استند إلى القرآن في هذا الحديث للآية التالية:

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدَهُم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شَهِدنا أن تقولوا يومَ القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين﴾ ٧٢ ـ الأعراف.

والمعنى واضح، فالله زرع فطرة الإيمان به في صلب البذرة الإنسانية، في النطفة من قبل أن تتشكل وتصبح من بعد التشكل إنساناً كاملاً. والدليل: أن كل الذرية شهدت بتلك الفطرة ولم يشذ واحد بل الجميع قالوا بلى لكن الأحاديث قلبت حتى هذه الحقيقة فجعلت الذرية تنقسم إلى قسمين، قسم أبيض كاللؤلؤ وقال لهم ربهم إلى الجنة، وقسم آخر أسود كالفحم وقال لهم إلى الجحيم ولا أبالي. وهذه الصور موجودة فقط عند أهل الكتاب. لكن المسلمين من جهلهم شربوها ولم يحسّوا بالفارق بين الموجود في هذا الحديث وبين الموجود في الآية الكريمة، ولازالوا لايعرفون الفرق، بل كثير منهم لايهمه أن يعرف. وكثير من المسلمين يردّدون هذه الأحاديث من دون علم بأنها تناقض الموجود في القرآن مناقضة صريحة وأكيدة.

والذين استطاعوا أن يقلبوا الدين رأساً على عقب لن يعجزوا بعد ذلك عن إدخال الرتوش والتفاصيل على قوم أبسط مايمكن أن يقال عنهم إنهم سذّج. تعالوا لنستمع إليهم كيف يقلبون دين الإسلام الذي أتى دين محبة وسلام للعالمين، إلى دين غدر وقتل مع تحليل الاغتيال:

الرجاء من القارىء أن ينتبه لكل صغيرة وكبيرة في الحديث التالي مع الانتباه لأسماء رواة الحديث من السند الذي يقول عنهم علماء السلطان: إنهم ثقة لايمكن أن يتهموا بالكذب على الإطلاق:

٢ ـ الحديث رقم (٤٠٣٩) في صحيح البخاري: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم. فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب: عبد الله! إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم غلّق الأغاليق علي وقد قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يُسمَرُ عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سَمَره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل، قلت إن القوم نذروا بي لن يخلصوا إلي حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين

هو من البيت، فقلت: أبا رافع. فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ماهذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لاأخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي: «أبسط رجلك» فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط» (شفيت بلمسة النبي، معجزة جديدة، لتصديق هذا الحديث الشريف).

لقد شربنا حتى هذه، وقلنا بعدها إن الرسول ﷺ قد سنّ الاغتيال في الإسلام فصارت من بعدها من السنن الحسان التي اتبعها كل السلاطين من بعده. وكيف لايكون هذا الحديث صحيحاً وقد قال عنه كل جنود السلطان بأنه صحيح، وكل الرواة من المشهود لهم بالصدق والأمانة؟ ثم ماذا قالوا؟ إنهم فقط أعادوا ماحصل مع عبد الله حتى أنهم شهدوا في النهاية بمعجزة للرسول بأن شفى كسر رجل عبد الله بمسحة الرسول الشافية. إنها السذاجة ثم السذاجة وهي التي خربت البصرة. علينا وليس على السلطان.

٣ ـ دين القرآن يشدّد أنه لايعلم الغيب من في السموات والأرض إلا الله، لكن دين الحديث لايناسبه هذا الموقف المتشدد فيجعل الرسول شريكاً كاملاً لله في الغيب، فلم يعد في الغيب من شيء مما هو كائن وقائم حالياً في السموات من العرش والكرسي والجنة والنار واللوح المحفوظ، إلا وصارت أوصافها كلها عند المسلمين عن طريق علم الرسول الجديد، وكذلك كشف عنه الغطاء وأصبح يعلم أيضاً علم المستقبل وماذا سيحصل في الآتي من الأيام، وتناقض هذا الكلام لم يحرج المسلمون كثيراً، لأنهم أصلاً لايعلمون ماذا قال الله في القرآن. فهم قد أبعدوا عنه إبعاداً تاماً من الذين يعلمون طبعاً الحقائق كلها، لكن ليس من مصلحتهم ذهاب كل امتيازاتهم ونعيمهم المقيم على الأرض في سبيل كشف الحقائق للناس دون مقابل فهم قد تعودوا على أن يكون كل

شيء بمقابل، أما هذا الذي بلا مقابل من الأصفر اللماع لم يدخل في حيز مدركاتهم بعد. ولذلك فكل من يحاول التشكيك بأن الرسول ﷺ كان لايعلم الغيب مثل الله، إنسان كافر وملحد يحاول أن ينتقص من قيمة الرسول ﷺ وقَدَره أمام الله والناس بل يُحَلَّلُ قتله بنص رسمي وانتهى الأمر. وحديث مثل الحديث التالي لم يكن بإمكان أحد أن يقوم بالتشكيك فيه.

٤ ـ الحديث رقم (٤٢٠٢)في صحيح البخاري: عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لايدع لهم شاذَّةً ولا فاذَّة إلا أتبعها بضربها بسيفه ما أجزَأَ منّا اليومَ أحدٌ كما أجزأ فلان فقال رسول الله ﷺ:

«أما إنه من أهل النار» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابَهُ بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله قال: «وماذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت: عندما فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

هذا الحديث من الأحاديث المؤيدة والمصدقة للحديث الأول الأساسي ولايصمد هذا الحديث أمام آيات القرآن ثانية واحدة، فهو حديث مكذوب على الرسول لاشك، لأن القرار بدخول الجنة والنار هو لله وحده، وهو في غيب الله الذي قال عنه في القرآن الكريم مرات عديدة إنه لايشاركه في ذلك إنس ولا ملاك ولا جن وحتى في الحديث هناك أحاديث كثيرة، يعترف فيها الرسول ﷺ بأنه لايعلم الغيب وقد ذكرت أمثلة عليها كثيرة في هذا الكتاب. ولكن لابد للمسلم العاقل: أن يتساءل ماذا يستفيد السلطان من هذا الحديث؟ وماهي مصلحته الذاتية؟ قد يضطر السلطان لأن يقتل أحد الأتقياء الصالحين المحبوبين من الشعب كله، فماذا يقول لهم جنود السلطان: إنه شيطان

رجيم لاتأخذوه على الظاهر، فإنه كان يضمر على شر كبير. وإن صاحب السلطان إنسانٌ فاجر بلا أخلاق مثل أبي نواس الشاعر الذي كان نديم الرشيد وعلم الناس أن السلطان يصاحب أمثال هؤلاء فاستقبحوه، قال لهم جنود السلطان: لاتأخذوا الرجل على الظاهر، فقد يكون من أولياء الله الصالحين وأنتم لاتعلمون.

وهكذا أضل السلطان وجنوده بالتأثير الدائم على الشعب الذي عُوِّدَ على الصبر وسماع مثل تلك الأحاديث، حتى غدا قطيعاًمن الغنم يسوقهم جنوده إلى المسالخ دون أدنى اعتراض من أحد.

الحديث التالي من الأحاديث المهمة التي رواها الرواة وعلى أشكال مختلفة، والكل يضيف إليه مايحب ويشتهي. ولاهتمام السلطان بهذا الحديث سرٌ يجب أن يعرفه كل مسلم: إليكم الحديث أولاً:

٥ ـ الحديث رقم (٦٤٤٣) في صحيح البخاري: عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

«خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال: «من هذا؟ » قلت: أبو ذر، جعلني الله فداءك، قال: «يا أبا ذر تعاله» قال: فمشيت معه ساعة فقال: «إن المكثرين هم المقلّون يوم القيامة، إلاّ من أعطاه الله خيراً، فنفخ فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً» (نفخ: أعطى). قال: فمشيت معه ساعة فقال لي: «اجلس ههنا» قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي: اجلس ههنا حتى أرجع إليك قال: فانطلق في الحرّة حتى لاأراه فلبث عني فأطال اللبث، ثم إني سمعته وهو مقبل وهو يقول: «وإن سرق وإن زنى».

قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يانبي الله ﷺ جعلني الله فداءك من تُكَلِّمُ في جانب الحرّة؟ ماسمعت أحداً يُرجعُ إليكَ شيئاً قال: «ذلك جبريل عليه السلام عرض لي في جانب الحرة، قال: بشّر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: ياجبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قال: قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. وإن شرب الخمر».

معنى الحديث واضح أن الرسول ﷺ يبشر أصحاب الدين الجديد (دين السلطان وجنوده) بغض النظر عن دين القرآن الذي أصبح نَسخُهُ بالأحاديث ممكناً بأن الإنسان إذا لم يشرك بالله فسوف يغفر له الله ويدخله الجنة حتى ولو ارتكب الكبائر العشرة،

وأضاف عليها في الثالثة شرب الخمر أيضاً.

أما الآيات القرآنية مثل:

﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتِكم ونُدخِلكم مُدخلاً كريماً﴾ ٣١ ـ النساء.
الحديث السابق نسخ كل آيات الحساب والعقاب في كل القرآن. ولكن ماهي مصلحة السلطان من هذا الحديث؟

إن السلطان وجنوده يرتكبون الكبائر كل يوم على مرآى ومشهد من الناس فبحسب هذا الحديث هم لازالوا من الأتقياء الذين سوف يذهبون إلى الجنة من غير سؤال، وقد أضاف إليها في الثالثة موضوع شرب الخمر، لأن الخمر صار متعارفاًعليه في مجالس السلطان كلها، فلابد من السماح به علناً.

وهذه الرواية من غير باقي روايات الحديث تجعل النبي يغيب عن أبي ذر فترة من الزمن حتى يتساءل المسلم لماذا؟ ثم يعلم في النهاية بأن الله كان قد أرسل له جبريل بوحي جديد، ويقال للمسلم البسيط أيضاً ببساطة: إن القرآن أنزله جبريل بوحي والحديث، مثل الحديث السابق أيضاً، نزل بوحي آخر، وثم يقال للناس: الوحي الأول كتابيٌ، والوحي الثاني شفهي للرواية من قبل المحدثين من الرواة عن الرسول وهو الحكمة وهكذا أخذ جنود السلطان راحتهم التامة في الوضع والتأليف كما يشاء ويرغب السلطان. تماماً كما حدث مع أهل الكتاب من قبلهم، عندما حرّفوا كتبهم السماوية. لكننا يجب أن نعترف بالحقيقة ونقول: إنهم نجحوا بما شاؤوا نجاحاً باهراً، وانتصروا على سذج المسلمين إلى يومنا هذا نصراً مبيناً. ومازالت آثار نصرهم بادية في جهلنا وتأخرنا. والحديث التالي ترسيخ للحديث الأول الأساسي، الذي يحاول السلطان أن يبني عليه عقيدته الجديدة في الإسلام الذي يعلن عنه السلطان. (أسميه في هذا الكتاب بدين السلطان لأنه يناقض إسلام القرآن تمام المناقضة).

ـ الحديث (٤٩٤٨) في صحيح البخاري: عن علي رضي الله عنه قال: كنّا في جنازة في بقيع الفرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: «ومامنكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة» قال رجل: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منّا من أهل الشقاء فيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فَيُيَسَّرون

لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فَيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاء. ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى) الآية.

بينما في دين القرآن وحتى في المثال المضروب بالآية ماذا يقول الله فيه؟:

﴿فأما من أعطى واتّقى * وصدق بالحسنى * فسنيسّرُه لليسرى﴾ ٥ ـ ٧ ـ الليل.

الآيات واضحة لاتحتاج لتأويل ولا لتفسير، فإن الله يقول:

أما الإنسان الذي يختار بالحرية الممنوحة له من الله بأن يختار بين الإيمان والكفر فإذا اختار برغبته وحبه طريق الإيمان وأعطى المال على حبه للفقراء واتّقى الله سبحانه من كل مانهاه عنه من الكبائر العشرة وصدق بآيات الله وقرآنه العظيم فإن الله سوف يُيسّرُ له ذلك الإيمان، ويجعله سهلاً، فتصبح العبادات المطلوبة منه من أسهل ماتكون يقوم بها وكلّه شوقٌ للقيام بها، ثم لنسمع عن الآخر في الآيات التي بعدها:

﴿وأما من بخل واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسّره للعسرى * ومايغني عنه ماله إذا تردّى﴾ ٨ ـ ١١ ـ الليل.

وعكس الإنسان الأول، الإنسان الثاني الذي يختار أيضاً بحريته من دون إكراه من أحد الكفر على الإيمان، ويبخل على الفقراء من ماله مع توفره بكثرة بين يديه من عطاء الله له، فيظن أنه بما صار عنده من أموال وذهب قد استغنى عن الله سبحانه والناس، وكذب بما أنزل الله من القرآن فسوف نيسره للعسرى ولن يغني عنه ماله من شيء حتى في الدنيا، بعد أن يتردى في الرذائل، وهو الذي اختارها بمشيئته دون إكراه من أحد. وهكذا لاحظنا أن الله سبحانه يعطي الفرصة الأولى للانتقاء والحرية في الاختيار للإيمان أو الكفر للإنسان، ثم يتابع الله معه بحسب اختياره الأول، والمسؤول طبعاً هو الإنسان، لأنه هو الذي اختار من دون أن يفرض عليه أي شيء من الله أو يكتب عليه ولذلك ترى أن الله يقول له؛ في القرآن أيضاً:

﴿فمن شاء فلْيؤمنُ ومن شاء فلْيكفرُ﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وهذه الآية لامعنى لها بحسب دين السلطان، لأنه لم يمنح الإنسان حرية الاختيار بل فرض عليه وهو لازال في ظهر أبيه أو بطن أمه بأنه سوف يكون من أهل الجنة أو أهل النار؛ بل فرض عليه عمره ورزقه فلم يبق للإنسان مايطمح لتحقيقه، لأن هذا الإنسان مسيّر ولم يخير بأي شيء. وإذا كان الإنسان مسيّراً كما يقول جنود السلطان، تصبح

الآيات التالية في القرآن الكريم دون معنى:

﴿أَحَسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون * ولقد فَتَنّا الذين من قبلِهم فَلَيَعلَمَنّ الله الذين صدَقوا وَلَيَعلَمَنّ الكاذبينَ﴾ ٢ - ٣ - العنكبوت.

والمعنى واضح، فالله يختبر الناس ليرى قوة إيمانهم، ويرى من يستطيع الثبات على الإيمان مع الفتنة، ومن الذي سيضعف ويستسلم للشيطان دون أن يتحمل الفتنة والإغراء من ملذات وشهوات الدنيا الفانية.

ولو كان الإنسان مسيّراً لما كان لكل تلك الآيات أي معنى، فهل يمكن اختبار المُسَيَّر الذي لاحرية له في أي شيء بل كل شيء مقدَّرٌ له سلفاً؟

وكذلك الآية: ﴿وليعلَمَنَّ الله الذين آمنوا وليعلَمَنَّ المنافقين﴾ ١١ - العنكبوت.

أيضاً حتى يختبر الناس وليعلم الله من يستطيع الثبات على الإيمان ومن الذين في قلوبهم مرضٌ وضعفٌ فينافقون. بينما أهل السنة الذين تخرّجوا على أيدي جنود السلطان يخافون أن يقولوا: لايعلم الله مَن مِنَ الناس سوف يختار الإيمان، ومن منهم سوف يختار الكفر بحريته، لأنهم يرون في عدم معرفة الله نقصاً أو عجزاً، وهذا غير صحيح مطلقاً، لأن الله سبحانه بمشيئة منه سابقة وبرغبة خاصة لديه أراد ألا يعلم مَن مِنَ الناس سوف يختار الإيمان ومن مِن الناس سوف يختار الكفر. لأنه إذا افترضنا أصلاً معرفة الله لهذا الموضوع انتفت الحرية وأصبح لزاماً أن الله سبحانه قد كذب علينا، وهذا غير صحيح على الإطلاق، فالله سبحانه صادق الوعد أمين مع عباده، ولا يخلف وعده أبداً، وهذا من أول مبادىء الإسلام(*) والإيمان بالله وبدينه. وإذا قلنا كما يقول

(*) ناقشني أحد رجال الدين في هذه الفكرة قائلاً: كيف تقول أن الله لايعلم والله عليم.

قلت له: إني لا أقول لايعلم بل أقول: شاء الله أن لايعلم ماسيختاره عبده من الإيمان أو الكفر حتى يُحمّلَ لعبده المسؤولية كاملة. قال: لايجوز أن نفترض أصلاً عدم معرفة الله افتراضاً.

قلت: ألا تؤمن أن الله على كل شيء قدير؟

قال: نعم، قلت: لنفرض أن الله تعالى شاء أن لايعلم عن موضوع معين فهل يعجز عن ذلك؟

فانتبه الى ماأقصده فقال معانداً:

قال نعم فإن الله لايستطيع أن لايعلم لأنه عليم أصلاً.

فهل تصورنا عجز الله عن شيء يريده تصور كامل لله تعالى؟

وهل هذا هو منطق القرآن؟

جنود السلطان دائماً: لايمكن أن تفترض أن الله سبحانه لايعلم، لأنه كلّيّ العلم والمعرفة لذلك لايمكن لله ألا يعلم؛ بل إنه يعلم بالضرورة.

هذا الذي نقوله بناء على رغبة السلطان هو اعتراف بعجز الله سبحانه لأننا نفترض أنه يعجز ألا يعلم حتى وإن شاء ألا يعلم، وهذا غير صحيح وفرضية خاطئة من أساسها، لأن الله سبحانه لايعجزه شيء سواء كان سلباً أو إيجاباً وهو فعال لما يريد ويشاء دائماً وأبداً ولاحدود لهذا أبداً.

ولكن جنود السلطان مصرّون على موقفهم ورأيهم ليس دفاعاً عن الله سبحانه، لأنهم لم يبحثوا عن ذلك في أي وقت كان، بل دفاعاً عن مصالح السلطان الذي فيه بحسب رأيهم مصلحتهم التي يسعون من أجلها في الدنيا.

فما هي مصلحتهم في إلغاء حرية الإنسان في الاختيار وجعله إنساناً قدرياً يؤمن بكل مايحصل له أنه كان مكتوباً له ومسجّلاً حتى من قبل أن يولد.

إن مصلحتهم واضحة وجلية وظاهرةٌ لمن يتوقف لحظة ويفكر فيها، خاصة إذا علم الإنسان بحريته وأنه ليس من شيء مكتوب عليه، فعندها سوف يعلم فوراً أنه هو الذي ظلم نفسه بقبول الواقع الذي يصبر عليه من أجل لاشيء إلا غباوةً. فكل ماهو فيه من ظلم وفقر واضطهاد واستبداد من السلطان وجنوده هو الذي اختاره بنفسه ووقع عليه عقد الرضى والرضوخ.

عندها لن يستطيع جنود السلطان أن يسوقوه بالعصا كالقطيع إلى مايشاؤون، دون أن يُعيروا له ولا لرأيه اعتباراً. عندها سوف يتوقف المجموع ليرفض أن يكون قطيعاً ليطالبوا السلطان بمعاملتهم كإنسان، عندها سوف يكثر الذين يقفون في وجه الراعي ويقولون: إلى أين تريدنا أن نذهب؟ ولماذا؟ ولن يُعْجِب الراعي الذي تعوّد أن يسوق قطيعاً أي يجد نفسه وهو يقف مع بشر مثله مثلهم ويحبون أن يكون لهم رأيهم في أنفسهم على الأقل. ومن أجل ذلك جهد جنود السلطان دائماً على إخفاء آيات القرآن التي تحض الإنسان دائماً على الحرية والاختيار، فالله سبحانه قد خلق هذه الأرض من أجل الإنسان ومن أجل حريته وحضارته وبناء جنته عليها، ولم يخلقه من أجل أن يتخلى عن تلك الحرية لسلطانه ويعود مثل باقي المخلوقات الأخرى ولايميزه عنها إلا أنه يسير على قدمين بدلاً أن يسير على أربعة. ليس من أجل هذا أسجد الله سبحانه الملائكة لهذا الإنسان. وإن اختار الإنسان وقبل فإن الله لايقبل له ذلك، ومن أجل هذا صرح له رب

العالمين وقال له: إنك تركت عبادتي وعبدت الطاغوت وما العبادة إلا الطاعة، أما أن أقول بلساني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنا بدل أن أطيع ماقاله الله في كتابه أطيع مايقوله السلطان وجنوده، فماذا تريدون أن نسمي هذا الدين؟ هل يمكن أن نسميه إلّا دين السلطان؟

وإلا اشرحوا لنا لماذا لايوجد تطابق أبداً بين مايقوله السلطان وجنوده ومايقوله الله في كتاب القرآن الذي لايعلم مع الأسف مافيه من المسلمين إلا القليل النادر ليس لأن القرآن كتاب صعب الفهم، بل العكس هو الصحيح؟ لكننا سمحنا لجنود السلطان أن يزرعوا فينا كلنا منذ نعومة أظافرنا عقدة الخوف من ذلك الكتاب وعقدة الوهم أنه كتاب صعب على الفهم. وعقدة الوهم بأن فيها معانٍ باطنية خفية على الناس؟

ـ فكروا واسألوا أنفسكم هل يمكن لله سبحانه أن يرسل لنا رسالة يستحيل أن نفهمها؟ إنه لم يقل لنا أنه أرسل محمداً ﷺ وهو يحمل لغزاً: بل قال رسالة ـ رسالة وهدى للعالمين.

فكروا إذا كنتم تريدون أن ترسلوا مثلاً إلى أهلكم رسالة وأنتم في الغُربَة، وتريدون أن تحذروهم من شيءٍ ما!هل تكتبون لهم ألغازاً أم تكتبون رسالة بحسب قدرة أهلكم على الفهم؟ إنكم لن ترسلوا لهم معادلات رياضية بل سوف تتكلمون لغة مفهومة من الجميع، فلماذا لانثق بالله إذاً؟ إنه يحسن التصرف والإدراك حتى يرحمنا ويكتب لنا رسالة مفهومة من الجميع، لإنذارنا وإنقاذنا. فلو كان يسعى لعذابنا لما أرسل الرُسُل من بعد الرسل، أليس هذا هو المنطق؟ لماذا إذاً نقبل من أحد ـ مهما ادّعى أنه يحبنا ـ أن نقبل دعوته لنترك رسالة ربنا الأصلية؟ ولنتبع رسالة أخرى يدّعيها الذي يدَّعي حبنا ومصلحتنا؟ لماذا لانشك ولو لحظة واحدة بإمكانية أن يكون هذا الذي ينصحنا من البشر لصاً أو شيطاناً أو شخصاً له مصلحة ذاتية من وراء سعيه في تغيير وتبديل الرسالة؟.

لماذا يصرّون في دينهم على أن الإنسان مسيّر.

بينما نجد الله سبحانه في كل آياته يصرّ على أنه خلق الإنسان مخيراً لا بل لم يقبل أن يتسلطّ عليه حتى الرسل والأنبياء، وقال لهم جميعاً أنا لم أرسلكم لتكونوا وكلاء عن الله؛ بل مبلّغين فقط، إذاً فالله لايريد حتى لرسله أن يتسلّطوا على المخلوق الذي اختار له الحرية.

﴿قل لستُ عليكم بِوَكيلٍ﴾ ٦٦ ـ الأنعام.

﴿وماجعلناكَ عليهم حفيظاً وما أنتَ عليهم بوكيلٍ﴾ ١٠٧ ـ الأنعام.

﴿ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنتَ عليهم بوكيلٍ﴾ ١٠٨ ـ يونس.

أي حتى الذي يختار الضلالة بحريته اتْركهُ فهو حرّ بما اختار فحسابه ليس عليك، وإنما حسابه عليّ أنا.. وأنا الذي خلقته وأنا وحدي الذي يقرّر كيف يكون حسابه في الدنيا والآخرة. فهذه هي مشيئة الرحمن:

﴿إنما أنتَ نذيرٌ والله على كلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾ ١٢ ـ هود.

كما تشاهدون ليس هناك مجال للشراكة بين الله والرسول في أي شيء.

لكن السلطان إذا استطاع أن يقنع كما فعل أن الرسول شريك الله عندها يستطيع أن يكون شريكاً من بعد الرسول باسمه، فيصبح وكيلاً لله على الأرض ليتسلّط ويتجبّر في الأرض فوق رقاب الناس.

هذا هو الذي لايريده الله سبحانه أن يحصل نتيجة الإشراك بالله شيئاً آخر، لأن نتيجة الإشراك دائماً ضياع حرية الإنسان على الأرض، وضياع حقوقه، وهذا ليس ظلماً من الله ولا ظلماً من السلطان وإنما ظلم من الإنسان الذي رضي وقبل وصدَّق ماقيل له من جنود السلطان عن غفلة وسذاجة وبساطة دفع ثمنها هو وأحفاده عذاباً شديداً مئات السنين، وهو يئن تحت نير الظلم معتقداً أن الله قد كتب له هذا العذاب وقدّره له منذ البداية.

هل هناك ظلم للنفس أشدّمن ذلك؟

ومن أجل ذلك أيضاً حرّم الله الجنة على المشرك بالذات..

﴿إنّه مَن يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواهُ النارُ﴾ ٧٢ ـ المائدة.

ولنتابع باقي الأحاديث التي رسَّخت دين السلطان خطوة خطوة وهم يبعدونه أيضاً عن دين الله الصحيح خطوة خطوة:

الحديث رقم (٥٦٧٣) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لن يُدخِلَ أَحداً عملُه الجنّة» قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: «ولا أنا. إلا أن يتغمدني

الله بفضل ورحمة فسدّدوا وقاربوا ولايتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله إن يزداد خيراً، وإما مُسيئاً فلعله أن يُستَعْتَب».

إذا كان إيمان المرء وعمله لن يدخلاه الجنة فلماذا يقول لنا الله سبحانه في القرآن الكريم مئات المرات:

﴿وبشّر الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصالحات أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ﴾ ٢٥ ـ البقرة.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحابُ الجنّةِ هم فيها خالدون﴾ ٨٢ ـ البقرة.

فهل نصدق جنود السلطان ونكذب الله وآياته البينات التي أرسلها هدىً ونوراً وحفظها لنا من تحريفهم وكل تخريفاتهم إلى اليوم دون أن يستطيعوا زيادة حرف فيه ولا إنقاص حرف منه؟ وقد رأيتم البرهان بأنفسكم في الكتاب الأول (الإعجاز العددي في القرآن) ومع ذلك فهناك من المسلمين الذين يصدّقون جنود السلطان بما يبشرون له من دين ويعتقدون بأن الصلاة والعبادات من الأعمال وهم لو رجعوا للقرآن لاكتشفوا أن الجنود يحاولون أن يضلّلوهم بذلك وأن العبادات ليست من الأعمال أبداً والدليل في القرآن الكريم.

﴿إن الذين آمنــوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ ولا هم يحزنون﴾ ٢٧٧ ـ البقرة.

لأن العمل الذي يقصده سبحانه هو العمل الذي يقوم به الإنسان خدمة للناس وإصلاحاً في الأرض وإعماراً لها، ولايقبلها أن تكون من الأعمال الفاسدة ولا المفسدة. كأن يبيع الخمور أو المخدرات أو يفتح مكاناً للفحشاء والمنكر، أو مكاناً للعب الميسر، أو أي عمل يساهم في إفساد الناس. أو أي عمل يساعد على إفساد الأرض والمزروعات والحيوانات والبيئة؛ بل عملٌ في صلاحٍ وإصلاح، وهذا هو شرط الله على الإنسان.

والدليل على كل ذلك موجود في نص الآية السابقة، بدليل الإشارة إلى أجرٍ للعامل عن العملِ الذي قام به في الأرض، لأن العمل الذي يؤجر عليه الإنسان يجب أن يكون عملاً فيه خِدمَة مطلوبة من الناس، وإلا لما دفعوا له أجرة، ولو كان الله لايقصد أن يُفهِمَنا ذلك لاكتفى بالقول: إن له ثواباً في الآخرة. وكما قلت لكم في مراتٍ عديدة، إن الله سبحانه دقيق في اختيار الكلمات جداً، فإذا لم يلاحظ المسلم هذه الأمور فإنه

لايستطيع أن يفهم معاني الآيات مع بساطتها وعدم تعقيدها. المطلوب حسن الإنصات للكلمات، وأفضل الأوقات هي بعد صلاة الفجر لتلاوة القرآن من أجل الفهم وليس من أجل ختم القرآن، فختم الدستور لن يفيد الشعب، ولكن الذي يفيد هو فهم الدستور فقرة فقرة، وكل فقرة ماذا تعني، ماذا تمنح من حقوق، وماذا يتطلب مقابلها من واجبات.. والله سبحانه لايحب الكسل، بل يحب العبد النشيط الذي يسعى إلى رزقه كما تسعى إليه باقي مخلوقاته الأخرى. والله سبحانه لايحب العاطلين عن العمل مع توفر الأعمال، ولايحب الزهد والتزهد والعيش بلا كرامة عالة على الآخرين، فالله يحب المؤمن القويّ، ومن القوة الغنى، وإلا فكيف يمكن أن يكلّفه الله بالزكاة والصدقات؟ ولو أصبح كل الناس من الفقراء والزهاد والعاطلين عن العمل فمن الذي سيدفع الزكاة؟ ومن أين؟

وهذا طبعاً لايعجب السلطان ولا جنوده. لماذا؟ وما هي مصلحة السلطان التي من أجلها لايريد الناس أن يعملوا في الأرض ولا في الزرع ولا في الصناعة ولا في التجارة؟

هناك سببان هامان ورئيسيان: كانا يغريان سلطان بني أمية وبني العباس؛ في نهاية هذا الكتاب ستقرؤون بحثاً هاماً عن الجهاد في الإسلام، وعندها ستعلمون أن السلطان جعل من الجهاد السلميّ في الإسلام قتالاً، لعلمه أن آيات القتال من أجل نشر الدعوة توقفت قبل وفاة الرسول. وقد شرحت ذلك كله بالتفصيل في ذلك البحث، ولكن السلطان كان يريد إبقاء القتال دائماً في الإسلام، فقلب آيات الجهاد الدائمة وهي سلميّة من أجل نشر الدعوة وتبليغ الرسالة لكل أمم الأرض. عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة. لكن مشيئة السلطان كانت أن يستمر في نشر الدعوة بالسيف، وهذه حقيقة مارسها كل السلاطين اعتباراًمن معاوية وحتىآخر سلطان إسلامي. وشرحت أنه كان كارثة حقيقية بالنسبة للمسلمين، لأن ذلك أساء أكبر إساءة ممكنة لدين الإسلام الصحيح، علماً أن الدول التي فتحها كل السلاطين إما رفضت الإسلام أو قبلته مرغمةً، وارتدّت عنه بعد مرور الزمن. والبلاد الوحيدة التي بقيت على إسلامها هي البلاد التي فتحت حتى نهاية خلافة عثمان فقط، وماعداها كل مافتح بالسيف ارتد عن الإسلام، وهذا طبيعي. والله سبحانه يعلم ذلك من أجل ذلك أمرنا بنشره بالحسنى.

لكن طمع السلطان بالغنائم والسبايا جعله يفضل مرابح الدنيا على إطاعة الله. وهذه حقيقة استمرت طوال حكم السلاطين في نشر الدين، بحيث شكلوا خطراً على الشعوب، ولم يعد مجرد خطر على الحكام من أجل تحرير الشعوب. وكيف للسلطان أن يحرر شعوب العالم وهو بذاته يستعبد شعبه ويظلمه أشدّ الظلم؟ مع الأسف الشديد ليس كل مانقرؤه في تاريخنا صحيحاً لأن الذين كتبوه هم السلاطين أنفسهم وتحت إشرافهم ولذلك كان السلطان يسعى إلى ألّا يعمل الناس بالتجارة والصناعة والزراعة، خاصة المؤمنون الذين خرجوا من الجزيرة العربية كجنود للدفاع عن حقوقهم وأراضيهم في فترة حكم الفاروق عمر، لأن حروبه مع الروم والفرس لم تكن حروب نشر دعوة كما يريد السلطان أن نفهم، بل كانت حروباً دفاعية، لأن الدولتين كانتا قد قرّرتا القضاء على هذه الحركة الإسلامية الفتية بأسرع مايمكن، فكان قتال المسلمين دفاعاً عن وجودهم كله، وهو قتال مشروع في الإسلام، لكن السلاطين بعد ذلك قاتلوا حرباً أخرى تختلف عن هذه الحرب اختلافاً كبيراً، إذ حوّلوها إلى حرب من أجل الغنائم فقط، أي ببساطة حرب استعمارية.

وكان ماشرحته هو السبب الأول، وذلك بتفريغ الناس للجهاد وعدم شغلهم بأية أعمال أخرى قد تلهيهم عن القتال من أجل جلب الغنائم والسبايا للسلاطين. والسبب الثاني أن الإنسان الذي يعمل في الأعمال المطلوبة منه في الإسلام من تجارة وصناعة وزراعة فإنه يتحرر نسبياً من سلطة الحاكم وسيطرته عليه، على الأقل يشعر أن رزقه لم يعد مربوطاً به، فعليه التزامات يؤديها، والباقي يقوم علي تحقيق طموحاته ومشاريعه وإعمار الأرض وبنائها. لكن ذلك لايعجب السلطان أيضاً، لأنه يريد كل الناس تحت قبضته ويكون رزقهم أيضاً بيده، يمنح متى يشاء، ويمنع متى يشاء زيادة في التسلط والاستبداد. وهكذا ساءت الظروف يوماً بعد يوم.

وإن حدث ولجأ الناس لوكلاء الله في الأرض ـ وهم الذين يدّعون ذلك من رجال الدين ـ وسألوهم أفتونا، لقد ضيّق السلطان علينا كثيراً ولم يعد في طاقتنا من الصبر أكثر، فماذا يجدون من علم الله المخزون عندهم وبيدهم مفاتيحه؟

الحديث رقم (٧٠٣٥) في صحيح البخاري: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية».

الحديث رقم (٧٠٦٨) في صحيح البخاري: عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن

مالك فشكونا إليه مانلقى من الحجاج. فقال: «اصبروا فإنه لايأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربّكم». سمعته من نبيكم ﷺ(*).

ومازالوا هكذا حتى خرج عليهم جنود السلطان يوماً بفكرة الإرجاء. ومفادها أن الله سبحانه قد أرجأ محاسبة السلاطين على استبدادهم وظلمهم وجرائمهم مهما كانت إلى يوم القيامة، فليس على عباد الله حسابهم، وإنما حسابهم على الله. وهكذا تخلّصوا من حساب الناس فيفعلون مايشاؤون، ولهم السلطة المطلقة على الفعل بلا حدود أبداً. لاقانون ولا دستور يتقيدون به، بل قانونهم هو مشيئتهم وأهواؤهم وشهواتهم الأرضية فلم يعودوا يحلّلون ولا يحرّمون شيئاً مما حرّمه الله أبداً.

وقد بقي أن أحدثكم عن حديث خطير آخر، كان من الأحاديث الأساسية في قلب دين الرحمن إلى دين خاص للسلطان، وهو الحديث التالي:

الحديث رقم (٥١١٨) في صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟؟ (كما تلاحظون فكل الأحاديث الخطيرة منسوبة لعبد الله المجهول الكنية عنا جميعاً والله أعلم من هو؟).

قال النبي ﷺ:

«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته: فالإمام راعٍ وهو مسؤول، والرجل راعٍ على أهله، وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول. ألا فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول.

قد يظن بعض السذّج أن هذا الحديث من الأحاديث الجميلة التي تدل على عدالة الإسلام، ولكن إن ترك السذاجة جانباً وفكّر من وجهة نظر السلطان الذي يدفع آلاف الدنانير من أجل افتراء حديث مثل هذا، هل تظنون أنه يبحث عن حقوق العبد وحقوق المرأة؟ إن كل الكلام الذي أتى بعد العبارة:

«الإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته» كان تمويهاً فقط، لأن المقصود من الحديث كله هي هذه العبارة التي تخص الإمام أو الحاكم أو السلطان بحسب التعبير الذي اخترته في هذا الكتاب.

فكروا ماهي العلاقة التي تجمع وتربط الراعي بالرعية؟

(*) أَلِمِثْلِ هذا المستقبل الأسود أرسل الله تعالى رسوله إلى الناس برسالة الإسلام؟ وبكتاب القرآن؟ المثل هذا الدين بشر رسل الله منذ بداية البشرية حتى يعودوا ويقولوا للناس، اصبروا فإن كل يوم قادم عليكم سوف يكون أسوأ من اليوم الذي سبقه. صدقوني ليس لمثل هذا بشر محمد ﷺ الناس في الإسلام.

وماذا يرعى الراعي عادة؟

أعتقد أننا سوف نصل معاً إلى أجوبة مشتركة، وهي:

أولاً: علاقة أمرٍ من الراعي، وطاعةٍ لامحدودة من الرعيَّة.

وجواباً للسؤال الثاني سوف نقول: لايرعى الراعي عادة إلا قطيعاً من الحيوانات، أما الإنسان الذي كرّمه الله على كل مخلوقاته لم يشبهه سبحانه بالقطيع أو بالحيوانات أبداً، وهذه آيات الله شاهدةٌ أمامكم ليس في القرآن راعٍ وخرفان.. أو راعٍ وقطيع.

ولكن إن سألتم أين يمكن أن نجد ذلك في كتب أهل الكتاب المحرفة التي مصدر الذين استلموا وتصدروا شؤون الدين عندنا نحن المسلمين؟ أقول لكم: إنه الإنجيل:

(أمّا أنا فإني الراعي الصالح، وأعرف خرافي، وخرافي تعرفني)(*).

والناس لايجوز تشبيههم بالقطيع، لأن الناس يتألفون من أفراد ولكل فرد شخصيته وإرادته المستقلة، وله حريته المصونة من رب العالمين، هذا هو الإنسان الذي خلقه الله وأسجد له ملائكته، فلا يرضى بعد ذلك أن يعود به ليجعل منه السلطان قطيعاً مسلوب الحرية والإرادة والتفكير.

إن الله سبحانه يريد الإنسان الأول الذي يستطيع أن يكون مستخلفاً لله على الأرض من أجل إعمارها صلاحاً ومحبة وسلاماً، ولايريد قطيعاً من الغنم يسوقهم سلطان متجبّر إلى أي مسلخ يشاء، باسم الجهاد في سبيل الله كذباً ونفاقاً من أجل تحقيق مصالح دنيوية.

ولهذا يعتبر هذا الحديث من أخطر الأحاديث في إسلام السلطان، ومع باقي الأحاديث الأخرى التي شرحتها قبل هذا، استطاع جنوده المخلصين له أن يغسلوا بها أدمغة العباد ويتحكموا بهم وبمصيرهم لأكثر من ألف وأربع مائة من السنين. من دون أن يعلم المسلم ظلماً لنفسه أن كل مايتّبعه ليس من دين الإسلام بل يناقضه والدليل موجود إلى جانبه في آيات القرآن الكريم التي تقول له بكل بساطة عكس هذا الكلام، ولكنه إن احتج وأشار إليها أحد المسليمن أجابه الشيخ الجليل الذي لايتوقع منه الكذب كل المسلمين السذج من أمثاله: إن فهم معاني القرآن ليس بهذه البساطة، فإنها تحتاج إلى علم غزير ودراسة مضنية عشرات السنين حتى يتوصّل للمعاني الباطنية وأسرار الله في

(*) إنجيل يوحنا، الإصحاح العاشر ـ الفقرة ١٤.

هذه الآيات. لهذا سوف يقول: استمع فقط لما أقوله لك أنا، ولا تشغل فكرك بالقرآن وآياته فإن كلام الله شديد وإن أخطأت في فهمه أحرقك الله في القبر بجحيمه إلى يوم الدين عذاباًوجحيماً، وافترى على الرجل عذاباً لم يذكره سبحانه في القرآن.

وقد علم كثير من الرجال الصالحين أن الذي أقوله الآن حقيقة واقعة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعبروا عن رأيهم بحرية، لعدم توفّرها فقالوها على لسان الرسول بحجة (إنّما الأعمال بالنيات) أو أننا لا نكذب على الرسول، ولكننا نكذب له ومن أجل دينه ودين الإسلام.

اسمعوا هذا الحديث الذي يقوله أحد المتألمين على لسان الرسول، ولايمكن أن يكون الرسول ﷺ هو صاحب هذا الكلام، لأن هذا كان في غيب الله عندما كان نص القرآن الكريم، بل الناس هم الذين فعلوا ذلك باسمه ظلماً من عند أنفسهم:

«تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»(*).

هذا الحديث ليس من الرسول ولكنه يقول الحقيقة المؤلمة. اليوم وفي كل يوم فإذا سألنا مسلمٌ هل كل مذاهب أهل السنة اليوم على ماكان عليه الرسول وأصحابه؟ نقول له: وهل كان الرسول سنياً؟ : هل كل مذاهب أهل الشيعة اليوم على ماكان عليه الرسول وأصحابه؟ ونقول له: وهل كان علي شيعياً؟ مع الأسف الشديد لم يبق أحدٌ على ماكان عليه الرسول وأصحابه في يومنا هذا لأنهم كانوا على القرآن، ونحن اليوم على أحاديث السلطان المنسوبة للرسول ظلماً. وإذا فكرنا بمصلحتنا فلا أمل لنا جميعاً إلا بالعودة إلى ذلك الكتاب ونبذ ماعداه كله. الطريق واضح لكن لابد من دعاةٍ جدد إلى دين الله من جديد وترك دين السلطان وجنوده. ولابد أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لأنه لا إكراه في الدين بعد أن تبيّن الرشدُ من الغي، ولا داعي للعنف والإرهاب للعودة إلى رحاب الله، ولا يمكن أن يعود الناس إلى الله بالعصا ولا بالبندقية والكرباج، لأن رحاب الله حبّ وسلام، ومن لم يؤمن بذلك لم يعرف دين الإسلام بعد، إنّ دين الغنم ودين الراعي والرعية يجب أن نتركه مع آخر سلطان في الإسلام عاش في الآستانة وهو السلطان عبد الحميد رحمه الله وبزواله يجب أن تزول عبودية المسلم للسلاطين ويعود لعبودية الله وحده لأن من يكون مملوكاً لله وحده، لايمكن أن

(*) سنن ابن ماجة.

يكون مملوكاً لأحد غيره من مخلوقات الأرض. هذه هي الحرية الحقيقية التي يجب أن يبحث عنها الإنسان المسلم، وليس لحرية الراعي والرعية. التي صمّمها جنود السلطان خدمةً لحاميهم ومعبودهم السلطان.

٧ ـ إن الشطر الأول من الحديث رقم (٦٩٥٣) في صحيح البخاري: عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ بأنه سمعه يقول:

«يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرىء مانوى».

هذا الشطر بالذات كان له عمل المعول الهدام في الإسلام الصحيح وتحويله إلى إسلام وصولي، لأنه ببساطة هو مبدأالماكيافيلية الأول، وإن الغاية تبرّر الوسيلة، وفي الإسلام الصحيح هناك ترابط دائم مع الغاية والوسيلة، فإذا كانت الغاية نبيلة يجب أن تكون الوسيلة المستخدمة لتحقيق تلك الغاية نبيلة أيضاً، بينما شطر الحديث لايشترط هذا الشرط، ولذا ضيع هذا الحديث الإسلام والمسلمين، وآمن به أناس كثيرون على مبدأ ماكيافيلي صاحب كتاب الأمير. وهذا المبدأ لا يتعارض مع أخلاق السياسة العالمية في هذه الأيام، لكنه يتعارض أخلاقياً مع أخلاق الإسلام ومبادئه الموجودة في القرآن الكريم مع الأسف الشديد للسياسيين الذين يحبون هذا المبدأ. طبعاًفي دين السلطان كثير من الأحاديث المشابهة للأحاديث التي شرحتها في هذه الفقرة، وهذا الكتاب ليس لشرح كل الأحاديث؛ وإنما للفت النظر إلى وجودها مع التعرض لبعضها وإقناع القارىء بالحقائق الصحيحة الموجودة في القرآن الكريم وتناقضها مع الأحاديث التي وضعها السلطان وجنوده، ليس تناقض خطأ وسوء فهم؛ وإنما بقصدٍ واعٍ وفهم تام لما يفعلون لأن ماكان يسعى إليه كله من وجود الدين هو إطاعة الناس لرغباته، وليس لرغبات الله، والسبب واضح، لأن رغبات الله هي العدل والحق وعدم الظلم والمساواة بين الناس بتكافؤ الفرص، وعدم استغلال الناس خدمةً للمصالح الشخصيَّة، وكل هذه الأمور تتعارض مع رغبات صاحب المصلحة المباشرة فهو لايريد كل ذلك بل يريد العكس تماماً. والعكس تماماً لايمكن حصوله بالقرآن وآياته إذا بقيت متداولةً بين الناس وهكذا ببساطة رتَّب جنوده الموضوع بكامله ابتداء من سحب القرآن وجعله كتاباً محنّطاً، خاصة بعد أن ربطوا فهمه بواسطة الأحاديث التي ألفها جنوده لأن القرآن في تلك الحالة سوف يقول مايريده هو وليس مايريده رب العالمين. وهكذا أصبحت الصورة أوضح، واللعبة كانت مرتبة ومنسقة لدرجة رهيبة، لأنه من سوء حظ المسلمين أن كل

السلاطين الذين تعاقبوا بعد مقتل عثمان حتى السلطان عبد الحميد العثماني كانوا جميعاً من النموذج الذي يبحث عن الدنيا وجنتها ونعيمها ولم يكن بينهم إلا سلطان واحد كما أشرت إلى ذلك مراراً من الذين يبحثون عن جنة الآخرة، وهو الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي دام حكمه سنة ونصف ومات كما قلنا مقتولاً بالسم من قبل الطامعين في الحكم من بعده.

هذا وسوف نختتم هذه الأحاديث الهدامة بحديث أخير كان له أكبر الأثر في هدم العقيدة الصحيحة التي في القرآن، والتي هي العقيدة الإيجابية والفعالة في النفوس أكثر من عقيدة السلطان التي هي عقيدة سلبية وغير فعالة. وهذا الحديث هو حديث الشفاعة:

٨ ـ الحديث رقم (٧٥١٠) في صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك. فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله. فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتون فأقول: أنا لها فأستأذن على ربّي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لاتحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرُّ له ساجداً فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقُل يُسمَع لك وسَل تُعطَ واشفَع تُشفَّع، فأقول: يارب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرِجُ منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال: يامحمد(*) ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تُشفَّع، فأقول: يارب أمتي أمتي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة ـ أو خردلة ـ من إيمان. فأنطلق فأفعل. ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسَل تُعط واشفع تُشفع فأقول: يارب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى ـ أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل. وفي رواية أخرى أنه أضاف مايلي:

ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ ساجداً فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل

(*) وعندما أبصرت خررت على وجهي وسمعت صوتاً يتكلم (صوت الله ثم قال لي (يابن آدم قف على قدميك) (التوراة)العهد القديم ـ سفر حزقيال الإصحاح ١ ـ الفقرة ٢٨.

يُسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع. فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

بهذا الحديث الذي سمعتموه الآن كاملاً ويسميه أهل السنة بحديث الشفاعة الشهير، أنهى جنود السلطان على دين الإسلام وهدموه بالكامل على الأرض، ولم يبق له من وجود بعد ذلك إلا الاسم.

وقبول مبدأ الشفاعة في الإسلام إعلان جديد للإشراك القديم الذي كان عليه مشركو مكة بالشفاعة. ولفهم الإسلام الصحيح لابد من شرح مواقف القرآن ومقارنتها مع دين السلطان:

١ - إننا نتكم عن موضوع مستقبلي ولايعلم موعده وكيف ستجري أموره إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا اليوم هو يوم البعث والقيامة للأموات لحضور الحساب من أجل الثواب أو العقاب. ويجب ألا ننسى أن موضوع الشفاعة خطير، لأن سبب الإشراك القديم لمشركي مكة كان بسبب اعتقادهم بالشفاعة للملائكة التي بعبادتها كانوا يتقربون لله ويرجون شفاعتها لهم يوم القيامة.

٢ - بحسب منطق القرآن الكريم ودين الرحمن فإن الناس سيخرجون من قبورهم ويحشرون إلى يوم الحساب، وإذا سألهم سائل كم لبثتم في القبور لقالت الناس: يوماً أو بضع يوم. بينما في منطق دين السلطان كانوا يعذبون في قبورهم، إن كانوا من أهل النار، وهكذا كتب الله لهم من قبل أن يخلقوا، أو أنهم يعيشون في النعيم حيث تتحول قبورهم إلى قطعة من جنان الخلد إذا كان الله قد كتب لهم الجنة من قبل أن يخلقوا أيضاً، وفي يوم البعث ليس هناك حساب حسب دين السلطان كما رأينا في حديث الشفاعة، بل يقول الله لآدم: أخرج ياآدم البيض الذين كانوا كاللؤلؤ إلى دار النعيم وأرسل السود سوقاً إلى الجحيم ولا أبالي. لأن كل شيء مقدر أصلاً من قبل أن يولد الإنسان.

٣ - وبحسب منطق القرآن ودين الرحمن ليس هناك شفاعة إلا لله سبحانه وهي لاتكون إلا لمن يستحقها بجدارة نتيجة أعماله وإيمانه بالله على الأرض وهذه تكون أثناء الحساب لابعده.

٤ - لم يسمح الله سبحانه بحسب القرآن بالشفاعة، ولو سمح لانتهى عدل الله وأصبح عدله مثل عدل السلطان على الأرض، من له شفيع يدخل جنة السلطان ومن لايجد

من يشفع له يدخل ناره أيضاً. وهذا مالم يسمح به الله ولن يسمح به رب العالمين في السماء، ولذا نجد في القرآن آيات كثيرة تشهد على صحة ماذهبت إليه:

﴿ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ لعلّهم يتّقون﴾ ٥١ ـ الأنعام.

﴿مالكم من دونهِ من وليٍّ ولا شفيعٍ أفلا تتذكّرون﴾ ٤٠ ـ السجدة.

﴿أم اتّخذوا من دونِ الّله شُفعاء﴾ ٤٣ ـ الزمر.

﴿فما تنفَعُهُم شفاعةُ الشافعين﴾ ٤٨ ـ المدثر.

﴿قل للّهِ الشفاعةُ جميعاً له ملكُ السمواتِ والأرض﴾ ٤٤ ـ الزمر.

﴿أنفِقوا مما رزقناكم من قبلُ أن يأتي يومٌ لابيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ والكافرون هم الظالمون﴾ ٢٥٤ ـ البقرة.

هل تجدون في كل تلك الآيات من شفيع لنا سوى الله سبحانه وتعالى؟

إن الله سبحانه يقولها لنا بصراحة تامة فهو لايخجل منا ولايخاف:

﴿قل لله الشفاعةُ جميعاً له ملكُ السموات والأرض﴾ ٤٤ ـ الزمر.

أما أن نقول: إن الله سبحانه قد قال لنا:

﴿ما من شفيعٍ إلّا من بعدِ إذنِهِ﴾ ٣ ـ يونس.

﴿يومئذ لاتنفعُ الشفاعةُ إلا من أَذِنَ له الرحمن﴾ ١٠٩ ـ طه.

﴿لاتُغني شفاعتُهم شيئاً إلا من بعد أن يأذنَ الله لمن يشاء﴾ ٢٦ ـ النجم.

هذه الآيات من فئة آيات الفتنة، لأن الله تعالى يفتن المؤمنين دائماً فيسمح للذين في قلوبهم مرض وللشيطان باستخدام مثل هذه الآيات لحرف ضعاف النفوس والإيمان بها عن دينهم إذا لم يتمسكوا بكتاب الله.

وكل هذه الأمور يعرفها مشايخ السلطان أحسن منا جميعاً. ولكن ماهي أسباب وضع هذا الحديث والسعي لافترائه؟ وماهي مصلحة السلطان من ذلك؟

لقد لاحظنا في كل الأحاديث التي افتراها السلطان وجنوده أنهم يأمرون الناس بأن يؤدوا ماعليهم لممثل الله في الأرض (السلطان المعظم) من مال وطاعة في الحياة الدنيا، من دون مقابل لها في الحياة الدنيا، بل زرعوا في عقل المسلم أنه ليس من حقه حتى

مجرد السؤال عن ذلك المقابل الذي يجب أن يطلبوه فقط من الله يوم القيامة. والأمر واضح من التقسيم الأساسي. فقد وزعها وقالها لهم عن طريق جنوده المخلصين أن الذهب والفضة والحرير والديباج محرمة عليهم في الدنيا ولكنها سوف تكون لهم في الجنة.

وكما تعودنا في مثل هذه الأحاديث، فالسلطان هو الوحيد الذي له حق التصرف بمال الدنيا والتمتع به، ويصرف من بيت المال الذي امتلك مفتاح خزائنه كيف يشاء، ويعطي بعد ذلك لشعبه من المستحقين لأموال الصدقات والزكاة من أموال الله التي في السماء بسخاء، لابل يجعل الجميع من سكان الجنة كما رأيتم. ويخرج كل الناس من النار دون استثناء، حتى الذين قالوا بلسانهم فقط من دون إيمان أشهد ألاّ إله إلا الله أصبحوا من أهل الجنة، ومنع عن الجميع أموال الأرض التي تنوء بها خزانته..

وهكذا ترون أن السلطان قد أصدر عفواً عاماً باسم الله يشمل الجميع، وأخرجهم من جهنم وأرسلهم إلى النعيم مباشرة.

وحديث الشفاعة لايُلقى على الناس إلا في المناسبات التي يعلمها تماماً جنود السلطان مثل الأعياد (عيد الفطر وعيد الأضحى). فالناس يحضرون صلاة العيد في صباح يوم العيد، والسلطان يوزع عليهم مما عند الله في الآخرة. لأن السلطان كان قد نوى ألّا يعطي من مال الدنيا لشعبه أبداً بل خصّ نفسه وحده مع مقربيه وموظفيه وجنوده بتلك الأموال فصاروا من الذين يعيشون في القصور كالملوك.

والسلطان يصرف من مال وكنوز الدنيا بالهبات والعطايا للذين يقدّمون الخدمات وللمتزلّفين والمنافقين كما هي عادة الملوك والسلاطين في الامبراطوريات، كما يصرف بسخاء على أمور البذخ والعطايا والهدايا للعشيقات من المحظيّات المقيمات بالآلاف في قصور السلطان.

وهو مشغول دائماً بفضّ العذارى في الدنيا، لأنه لانصيب له منها في الآخرة، ولأنه لايؤمن بها أصلاً.

وهكذا ترون أنه لامجال في بيت مال المسلمين لأن يصرف منها بحسب نص القرآن على المستحقين والمحتاجين. فكان حديث الشفاعة هو العطاء الدائم المتجدّد لهم بحيث لايخرج من جيب السلطان ولا من صندوقه شيء للمظلومين من شعبه.

وإذا عدنا للحديث السابق:

«تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

قالوا: ومن هم يارسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي».

نجد أن جنود السلطان في كل أمة إسلامية ـ سواء كانت هذه الأمة من فرقة السنة أو من فرقة الشيعة أو من فرقة أخرى من الثلاث والسبعين فرقة ـ كلهم سيقولون نحن الذين لازلنا من فرقة الرسول وأصحابه، أم الباقون من جميع أتباع باقي الفرق كلهم في النار، علماً لو فكر المسلم كما قلنا سابقاً لوجد أن أصحاب الرسول انتهوا مع فرقتهم كلها بعد مقتل عثمان، وبعد رفع المصاحف ليس فقط للتحكيم، ولكن رفعت أيضاً من أيدي الناس جميعاً، ولم يبق لهم إلا ما اكتتب لهم جنود السلطان من روايات نسبوها ظلماً للرسول محمد ﷺ لإعطائها قوة الوحي والقداسة لدى الناس الذين كانوا يحبون ولايزالون رسولهم العظيم محمد ﷺ ولكن أساؤوا له من دون علم أكبر الإساءة. (ومن الحب ماقتل).

وإذا بقي من فرقة الرسول وصحبه بعض الناس من بعد مقتل عثمان كانوا من الخوارج الذين رفضوا التشيع لأحد الفريقين المتقاتلين فإن الخوارج أنفسهم ضلّوا في النهاية بعد أن أدخل المغرضون فيهم مبدأ الاغتيالات والعنف لعقيدتهم.

وقد يعتبر البعض أن المعتزلة أيضاً من الذين بقوا على مبدأ الرسول وصحبه، وهؤلاء أيضاً شغلتهم البحوث الفلسفية والمواضيع الجانبية عن مواضيع العقيدة الإسلامية السليمة، وهكذا تجد أنه لابد من الإقرار بأنه لم يبق على مبدأ الرسول وصحبه أحد، بل كلهم غيروا وبدّلوا من بعد الرسول محمد ﷺ كما يقدّر عبد الله: الذي يعلم مافعل فيقرر على لسان الرسول الكريم ﷺ:

الحديث رقم (٢٢٩٧) في صحيح مسلم: عن عبد الله؟؟؟ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا فرطكم على الحوض. ولأنازعنّ أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم فأقول:

يارب! أصحابي. أصحابي..

فيقال: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك.. وفي رواية أخرى.. فأقول: سحقاً. كما في صحيح مسلم الحديث (٢٢٩٥) وفي رواية أخرى هي ذات الرقم (٢٢٩٤) فيقال: «إنك لاتدري ماعملوا بعدك. مازالوا يرجعون على أعقابهم».

كل هذه الروايات تقول الواقع، ولكنها لاتعالج ولاتقول أين الخطأ. ومن أين

يبدأالإصلاح وكل المسلمين الذين ظهروا من بعد سقوط الخلافة العثمانية كمصلحين إسلاميين، كانوا بالإجماع يحاولون المداواة بالمراهم والدهون والأعشاب لمرض مزمن تمتد جذوره إلى عام ٣٥ هجرية، فكانت محاولاتهم كلها فاشلة كما هو متوقع لها، لأن مرض المسلمين الذي تم زرعه وتثبيته خلال ألف وأربعمائة من السنين لايمكن معالجته إلا بالجراحة والبتر والاستئصال لما تم زرعه فيه وهو ليس منه أصلاً۔ ولابد من إيقاف دين السلطان القديم كله بإيقاف العمل بما نسميه الأحاديث الصحيحة التي سندرسها في هذا الكتاب، والتي ستبين لنا جميعاً بالدليل أنها أبعد ماتكون عن الصحة. ولابد أن نعود جميعاً إلى رسالة الله، ورسالة السماء، ورسالة البشرية كلها، التي كانت بشرى للعالمين، لابد أن نعود إلى نص الكتاب المقدس الذي هجرناه بالجملة وابتعدنا عن تعاليمه بتعاليم السلطان، ولابد أن ننسى كل ماسمعناه قديماً ونعود فقط إلى مايقول الله سبحانه واضحاً سلساً من دون الحاجة إلى وسيط أو ترجمان. نعود إلى تدفق آيات الله الصحيحة في القرآن التي يقول عنها الله سبحانه وتعالى.

﴿الله نزّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلودُ الذين يخشون ربَّهم ثم تلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكرِ الله ذلكَ هُدى الله يَهدي به من يَشاء ومَن يُضلِلْ اللهُ فما لهُ من هادٍ﴾ ٢٣ ـ الزمر.

لم يقل لنا الله سبحانه: لن يفهم أحسن الحديث الذي في كتابي إلا فقهاء السلطان.

وكما لم يقل لنا الله سبحانه أبداً: اتبعوا أحاديث وروايات جنود السلطان، ونحن إن فعلنا ذلك فعلناه ضلالاً وإضلالاً من الذين كانوا يسعون لإضلالنا، وكانت لهم مصلحة في ذلك. وكما نرجو من القارىء الكريم أن لايفهمني خطأً ويظن بدعوتي للمعالجة بالبتر والاستئصال أنني أدعو إلى العنف والقوة، فإن أي عمل جراحي لايحتاج إلى عنف ولايحتاج إلى قوة وخاصة إذا كان البتر والاستئصال يجب أن يتم على ماترسب في عقل الإنسان المسلم من أفكار خاطئة، وهذا لن يتم إلا بالدعوة والمناقشة والحوار على مبدأ الله في القرآن الكريم (ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة) وليس من سبيل آخر للدعوة غيرها. وفي أمريكا لاحظت كم سبقنا أهل الكتاب في أساليب الدعوة للدين وللعقيدة، وليس من العيب أن نتعلّم منهم الآن أساليب الدعوة، وكيف نعود إلى سبيل الله طالما كنا نتّبعهم إلى طريق الضلال عن طريق المغرضين منهم ممّن ادّعوا الإسلام لحرفه عن جادة الصواب، وتعاونوا مع السلطان وجنوده ونجحوا في ذلك

نجاحاً لانجاح بعده، بل بلغوا أقصى مداه في الإضلال والتضليل. عن هدى الرحمن وعن القرآن وعن الحق والعدل.

لكن وقوف المسلمين اليوم متفرجين وكأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ لن يعيد الأوضاع إلى ماكانت عليه في زمن الرسول، بل لابد من التبشير النشيط بدين الله من جديد، لأن الذي عليه الناس الآن ليس فيه من إسلام القرآن شيء، خاصة في العقيدة التي هي القسم الفاعل والفعال من كل دين. ولا بد أن ننسى أحاديث السلطان كلّها ونعود إلى أحسن الحديث الذي هو القرآن. وهذا لن يتم بجهود أفراد من المسلمين، بل يحتاج إلى كل جهد الشباب المثقف الواعي الذي يدرك الحقائق ويدرك أن عجلات التاريخ لاتتحرك للخلف بل للأمام دائماً، وبجهود الشباب المتكاتف من كل الأمة بالسعي إلى الحياة الأفضل في الدنيا والآخرة، يجب على هذا الشباب أن يقرأ القرآن ويفهم آيات الله مباشرة من جديد من دون توجيه من صاحب مصلحة يسعى إلى مصلحته أو حاقد يريد أن يشمت في النهاية. ولابد للذي يسعى إلى الحق والخير والعدل بوسائل الحوار والعقل والمنطق من دون تشويه لذلك بالعنف والإرهاب والقتل والدماء إلى أن يصل بفضل مساعدة الله له. وقد استطاع غاندي عن طريق الأساليب السلمية أن يحقق لشعب الهند أكثر مما لو استخدم العنف والقوة بكثير.

ـ إن الله سبحانه خلق باقي مخلوقاته الحية ماعدا الإنسان موحّدة لله بالقوة مامعنى هذا الكلام؟

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ولو شاء ربُّك لآمَنَ مَنْ في الأرضِ كلّهم جميعاً﴾ ٩٩ ـ يونس.

لفهم السؤال والجواب عليه لابدّ لنا أن نتفكر في خلق الله ومخلوقاته من النمل والنحل والنمور والأسود، والأرانب والخرفان، والخيل والإبل، فيما حولنا من الأرض، إنها جميعاً تنفذ شرع الله وقانونه تماماً، وكما تلاحظون: قانون ومنهج الله يختلف من مخلوق لآخر، فشرع الأسد الذي وضعه فيه هو غير شرع الأرنب في الحياة، ولهذا يقول لنا سبحانه بشكل عام:

﴿وما من دابّةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكُم﴾ ٣٨ ـ الأنعام.

وهذه الأمم خلق لها سبحانه كل شيء، وهي تعبد الله، بمعنى تطيعه وتنفذ شرع الله الذي خلقه فيها. وتوحّد الله ولا تشرك به ولا بشرعه شيئاً. ولكن ليس بالاختيار كما

هو عند الإنسان، بل كتب عليها ذلك وقدّره عنها بالوكالة دون أخذ رأيها أبداً وهذا مقدّر ومكتوب لها فعلاً.

فالنحلة تنفذ شرع الله الذي زرعه فيها تماماً بالفطرة، وكذلك كل مخلوقات الله الأخرى، ومن أجل هذا التوحيد الذي لاشذوذ فيه بالإشراك من أحد؛ نجدها كلها لاتَظلم نفسها، لأن ظلم النفس أشدّ أنواع الظلم في الأرض. وكما أننا نجدها غير متناقضة مع ذاتها، ولا مع أسلوب حياتها؛ بل منسجمة راضية لما خلقت له، مطيعة لأوامر الله بقوة الخلق، وليس بالاختيار والإرادة كما تلاحظون، لذلك لاتعاني من الازدواجية ولا من شيطان النفس ولا من الشرور ولا من الطمع والشّره والشهوات الجامحة والأهواء.

ولذلك نجدها جميعاً تعيش في انسجام مع الطبيعة والحياة فلا تآمر في حياتها ولاحروب ولامجازر وحشية، ولايسفكون الدماء بلا مبرر خاصة وأن كل نوع ضمن نوعه وكل أمة ضمن أمتها، ولاتجد معاني للفقر والغنى والعوز والبطر كما تجدها عند الإنسان.

والله سبحانه لو خلق هذا الإنسان وكتب عليه كل شيء كما يريد أن يُفهمنا جنود السلاطين من خلال كل الأحاديث في الوحي الثاني الذي يؤلفونه ويُلَحّنونَ مقاطعه لترويض الإنسان لمصلحة سلطانهم واستبداده وتجبّره على هذا المخلوق، ولما كان من داع للرسل ولا للشرائع الإلهية، ولا للقرآن، فإن كل مخلوقات الأرض ليست بحاجة إلى هذا، وكما أنها لاتحتاج حتى إلى وكلاء عن الله من رجال الدين كما هو عند الإنسان ليشرحوا لهم الشرائع الإلهية فهي جميعاً تطبقها وتعبد الله بالطاعة والتسبيح، وإن كنا لانفهم أسلوب طاعتهم ولا أسلوب تسبيحهم، لأننا لسنا منهم. ولم يخلقنا سبحانه مثلهم ومن أجل ذلك، حتى نعلم أننا نحن أبناء آدم بعد أن نفخ ربنا فينا من روحه وميّزنا عن باقي مخلوقاته بميزة خاصة وهي القدرة على قول نعم أو لا بقوة العقل والتفكير وحرية الاختيار عن طريق قوة نفسية ذاتية أخرى يمكن أن تنمو داخل الإنسان الذي عُوّد على الحرية، وكما أنها يمكن أن تموت بالتدريج أو تتماوت عن ضعف وعدم استخدام لها هي: قوة الإرادة وهي: العزيمة الداخلية الدافعة للإنسان ليقرر مشيئته على الأرض ويمارس ذاته الإنسانية الحرة، حتى من غير تدخل الله فيها.

ـ هذه الحقيقة الكبرى التي على كل إنسان على وجه الأرض أن يدركها أولاً ومن أجل

أن نفهم هذه الحقيقة يقول لنا سبحانه في القرآن الكريم دائماً آيات تقول:

﴿ولو شاء اللهُ لجعلَكُم أمةً واحدةً ولكن ليبلُوَكم في ما آتاكم﴾ ٤٨ ـ المائدة.

الله سبحانه في هذه الآية يكلم الإنسان كنوع، ويقول للناس: لو شاء الله سبحانه لخلقكم مثل باقي الأنواع من المخلوقات الأخرى (أمة واحدة) تنفذون شرع الله الذي زرعه في فطرتكم، ولكنه سبحانه يستدرك ويقول لنا أيضاً كنوع: (ولكن ليبلوكم في ما آتاكم).

هنا يجب أن نفكر ماذا آتانا الله من شيء ـ لم يعطه لباقي الأمم والأنواع الأخرى من مخلوقاته الأرضية؟

وهو كما شرحت قبل قليل: العزيمة (الفكر والعقل مع الإرادة الحرّة) المتحررة حتى من إرادة الله ومشيئته في التدخل ضمن تلك الحرية، وذلك بإرادة سابقة منه تعالى، بالطبع إن الله لم يمنح ـ الإنسان الحرية التامة والكاملة في كل شيء، فقط منحها له ضمن زاوية واحدة هي الزاوية التي يستطيع أن يقول فيها نعم، أو لا، أو يختار بين طريقي الرحمن والسموّ عن الأرض، أو يختار طريق الشيطان ويتجه نكساً باتجاه الأرض وشهواتها وغرائزها الحيوانية.

وهدف الله كما يشرحه لنا في القرآن الكريم، وشرحته في غير هذا المكان من كتابي الثالث (دين الرحمن)، هو أن يسموا الإنسان بإنسانيته وبإرادته واختياره للأعلى باتجاه الله حباً وإيماناً، ولايختار ليعود حيواناً مثل باقي المخلوقات الأخرى التي لم يخيرها الله، فالله سبحانه يقولها لنا بصراحة تامة، أريد أن أرى كيف تستخدمون الفكر والعقل مع الإرادة الحرة. وماحياتنا على الأرض إلا اختبار لنا في هذا الموضوع لأنه سبحانه يريد أن يعلم (لأنه شاء ألا يعلم بدايةً) مَن منا هو الذي سيتجه يميناً ويقول إنني مع الله ومع شرعه، ولن أشرك به شيئاً، ويطبق شرع الله بإرادة منه وهذه هي ميزته عن مخلوقاته الأخرى التي طبقت كما رأينا شرع الله بلا إرادة، وإنما بقوة الخلق من الله. تماماً كما تفعل الملائكة كلها. وهنا نفهم تماماً لماذا أسجد الله سبحانه الملائكة أجمعين لهذا المخلوق المتميز على باقي مخلوقاته كلّها، لأنه شاء أن يكون عنده مخلوق يتّبعه ويحبه ويعبده ويسبّحه بإرادته واختياره من دون إكراه على تلك العبادة وذلك بالحب والتسبيح بحمده. ولم يشأ الله أن يجعل هذا الاختيار سهلاً. فسخّر سبحانه من الجن والإنس كل الذين اختاروا الكفر على الإيمان، وفضلوا السير على شرائعهم بدل شرع الله على

أن يكونوا شياطين حول المؤمنين يمكرون ويغّررون بالمؤمنين لحرفهم عن الاتجاه الصحيح الذي أرسله الله لهم بالرسل والرسالات ليعيدوهم إلى اتجاهاتهم حسداً منهم: ومن فهم ذلك يكون قد فهم فتنة الله.

﴿ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتاب لو يردونكُم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عندِ أنفسِهِم من بعد ماتبيَّنَ لهم الحقّ﴾ ١٠٩ ـ البقرة.

هذا كان في بدء الرسالة وأيام الرسول محمد ﷺ وصحابته، ولكن ماذا حصل بعد ذلك. وبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

إنهم استطاعوا بالفعل أن يردونا إلى الإشراك بالله وعبادة الطاغوت من جديد، ونحن نظن أننا نعبد الله وحده. دعونا نفكر: أليست هذه حقيقة واقعة الآن؟

انظروا حولكم فيما تبقى من الرسالات والأديان التي لها أصول سماوية قديمة ـ وإن كنا نسينا ذلك ـ مثل الأديان التي بشّر بها كونفوشيوس وبوذا وزرادشت.. من الأديان القديمة الباقية على الأرض. أو ماتبقى ومازال مطبقاً من الرسالات السماوية للأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام التي بشّر بها رسل ذكرهم الله في كتابه لننظر إلى ماتبقى ومايطبق على الأرض اليوم من هذه الديانات الثلاث، سنجدها كلها ديانات حرّفها شياطين الإنس لمصلحة الحاكم الدنيوي الذي هو السلطان، وقام بعملية التحريف شياطين متخصصون هم جنوده الأوفياء له، سنجد كل هذه الأديان تشترك بأنها تدعو إلى شرع الحاكم ولا تدعو أبداً إلى شرع الله. وهذا هو الإشراك بالله الذي نبّهنا عليه ربنا وأرادنا أن نسير باختيارنا على شرعه، كما سارت باقي مخلوقاته على ذلك بالقوة وليس بالاختيار.

فأصبح الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتعذب في الأرض من دون باقي مخلوقات الله، من سوء اختياره وعدم استخدام عقله كسلاح للتمييز أمام مكر شياطين الأرض من مساعدي الطواغيت في الأرض.

فصار الإنسان يعبد الطاغوت أي يطيعه بإطاعة قوانينه وشرائعه. ويكفر بالله بتركه شرع الله واستنكاره، حتى وإن بقي يقول بالشهادتين. إذاً حتى نفهم الموضوع أكثر يجب أن نعلم علم اليقين أن معنى العبادة هي الطاعة، ومن هنا تعوّد الناس أن يقولوا: فلان عبدي ليس بمعنى أنه يعبدني ويصلّي من أجلي؛ لا؛ بل بمعنى أنه يطيع أمري وحدي دون باقي الأوامر كلها فليست له الحرية في أن يقول لا أبداً.

لكن الله سبحانه شاء أن يحذرنا من ذلك كله إكراماً بنا، وشاء أن يجعل لنا مشيئة تسبق مشيئته سبحانه وإرادة تسبق إرادته حتى يعلم مَن منّا سوف يعصي أوامره ونصائحه ويتبع الشياطين، تاركاً مواعظ الله وشرعه وأحكامه في كتاب الله المهجور.

ومن منا سوف يتبع الله ويسير على سبيله وصراطه المستقيم؟ ويتبع ما آتاه به الرسول من الله وهو كتاب القرآن الكريم.

حتى يحاسبنا بناءً على اختيارنا.

عندها لن يشفع لنا أننا كنا في غفلة، وما فعلناه كان جهلاً منا وتقصيراً، وكان نتيجة عدم تبصرنا واستخدامنا لما وهبنا الله وماآتانا به من عقل وإدراك ووسائل للكشف بالعلم والمنطق والحجة والبرهان، فأوقعنا أنفسنا في الإشراك ظلماً لأنفسنا، فظلمنا من بعدنا أولادنا وأحفادنا. وإن لم نصحوا من غفلتنا وندرك واقعنا ونتحرك لننقذ أنفسنا من هذا الجحيم الذي وضعنا أنفسنا فيه ظلماً منا فسوف نبقى فيه نتعذب إرضاء للشياطين إلى يوم يبعثون، ليكون نصيبنا في الآخرة مثل مافعلت أيدينا في الأرض. فلن يكون نصيبنا إلا جحيم السماء أيضاً جزاء وفاقاً.

﴿مَن يشركْ بالله فقد حرَّمَ الله عليه الجنّة ومأواهُ النارُ وما للظالمين من أنصار﴾ ٧٢ ـ المائدة.

وقد يتساءل مسلمو اليوم ويقولون: ولكننا ظُلمنا ولم نَظلم أحداً.

أقول لهم ولنفسي:

ألم نظلم أنفسنا؟ أوليس ظلم النفس، باعتبار الله، من أكبر أنواع الظلم وأشدها من أفعال الإنسان؟

قد يقول أحدهم: لم يكن بيدنا حيلة:

فأقول لهم ولنفسي:

ألم يعطنا الله عقلاً وإرادة حرةً؟

وقال لنا كما سمعنا كلنا في آية المائدة رقم ٤٨:

﴿ولكن ليبلوَكُم فيما أتاكم﴾

أي ليختبركم في حسن استخدامكم لعقولكم وإرادتكم الحرة التي منحها وآتاها الله سبحانه لكم. ماذا فعلنا بكل ذلك وكيف استخدمناه؟ إننا لم نستخدمها، بل صدقنا كل شياطين الإنس ونفّذنا مايريدون، وهذا لم يكن ظلماً من الله ولكن كان ظلماً

لأنفسنا ولا نزال نظلم أنفسنا إلى هذا اليوم.

وكما أننا يجب أن لانسيء فهم آيات الله في القرآن الكريم ونظن أننا إن آمنا بالله وحده ثم نهجم على من نحكم عليهم بالكفر لأنهم شياطين الإنس فنقتلهم لنتخلص منهم جميعاً. إن هذا ليس من حقنا أبداً.

فالله سبحانه لم يأمرنا في أيَّة آية من آياته بقتل الشيطان أو التخلص منه بهذا الأسلوب. وليس في القرآن ولا في دين الإسلام تطهير إيماني بالقتل ولا تطهير عرقي. قد يكون موجوداً في شرائع الشياطين على الأرض ولكن ليس في شرع الله التي هي شريعة الحق والعدل لكل الناس أجمعين.

فلا عنف في شريعة الله بل سلام ومحبة وإخاء للجميع.

لكن المؤمن إذا ظل متحرصاً وحذراً ويعلم أن حقائق شرعه في كتاب الله ولا يرضى بديلاً عنه أبداً من أحد، فإن كل شياطين الأرض سوف يصبحون عندها عاطلين عن العمل وسوف يجدون أن كل أماكن الدعارة والفساد في الأرض كسدت أعمالها. فهم الذين سيغلقونها بأيديهم لكساد تجارتهم، ليبحثوا عن أعمال أخرى يطلبها الناس فيضطرون لأن يصلحوا في الأرض، وإن لم يكن عن إيمان، فسيكون عن ضرورة وحاجة لتحصيل الرزق. حتى تجد الشياطين قد عادت تعمل بالزراعة والتجارة والصناعة فلاّحين وتجاراً وصناعاً بدلاً أن نراهم في بيع وتجارة الرقيق والجنس والمخدرات والمشروبات الروحية وصنع الدخان وكل ماهو ضار مع ترويج كل هذه الأمور بالدعاية للأطفال والمراهقين والمراهقات من أجل إفسادهم وأكل أموالهم بالباطل.

الحكم على الظواهر:

يجب أن نتعلم مع الأيام أن لانحكم على الظواهر من الأمور ولا على الأشكال والمظاهر الخارجية الخداعة غالباً.

يجب أن تكون آيات الله مصابيح إنارة لفكرنا، فإذا أتانا رجل بنبأ يخبرنا عن أخ لنا تأخرت أخباره عنا بأنه قد انقلب علينا وصار يعمل ضدّ مصالحنا لتسيير مصالحه، وأخبرنا عن أمور لاتسرنا، يجب أن نتذكر قول الله تعالى فوراً إن كنا مؤمنين:

﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فُتصبحوا على مافعلتُم نادمين﴾ ٦ ـ الحجرات.

يجب أن لانحرّك ساكناً قبل أن نتأكد بالحجة والبرهان من صدق الخبر الذي أتانا به أو كذبه، ولن نندم أبداً، لأننا طبقنا نصيحة الله وموعظته. وكما يجب ألا يخدعنا منظر من إنسان رأينا منه مايسر من المظهر من صلاة وتقى وزبيبة على الجبين ومن تمتمة شفتيه بذكر الله، ولا إن رأينا بيده (مسبحة) لاتتوقف أصابعه عن تحريك حباتها، يجب ألا ننخدع بكل ذلك، فقد يكون وراء كل هذا المظهر والمنظر شيطان رجيم والعياذ بالله. وقد نكتشف مع الأيام والمعاملة معه بالحذر والحيطة أيضاً أن مظهره يطابق باطنه، ونعلم بعد ذلك أنه إنسان صالح وتقي فعلاً، ولكن لن نخسر أبداً إن اتخذنا موقف الحيطة والحذر أولاً والسؤال عن الإنسان وعن تاريخ حياته ومنبته واجب. ويجب أن نعلم أننا إن سئلنا عن شخص نعرفه تماماً من قبل شخص آخر علينا أن نستفهم أولاً ماهو سرّ سؤال الرجل عنه؟ فإن صدقنا وأخبرنا أنه يريد أن يبدأ معه مشروع عمل في التجارة أو الصناعة أو الزراعة، أو أن الرجل يطلب مصاهرته بتزويجه من ابنته أو أخته أو إحدى قريباته، فيجب أن نعلم جميعاً إن كنا مؤمنين بالله تعالى أنّا في موقف شهادة لله لايجوز التأخر فيها، ولايجوز أن نقول إلا مانعرف عن الرجل صدقاً، خيراً كان أو شراً، وكما يجب أن نعلم أن كلامنا في حق الرجل ولو كان بالشر إن كان مانقوله حقيقة فهو ليس استغابة له ولا ذنب علينا فيما قلنا، بل لنا أجر عليه، وعلينا ذنب كبير إن كتمنا الشهادة أو مدحنا الرجل ونحن نعلم أننا نقول فيه غير الحق، ثم نقول في أنفسنا إننا لم نذكر الرجل إلا بما يرضى ويسر به إذا سمعه. وكما لايجوز العكس أيضاً. والاستغابة لاتكون إلا إذا تبرعنا لوحدنا وتكلمنا بحق إنسان خلفه، أما إذا سئلنا عنه يجب أن نقول مانعلم تماماً. وإن كنا غير متأكدين نقول له سمعنا كذا وكذا عنه، ولكننا لانعلم إن كان ذلك حقيقة أم لا.

وأكثر مشاكل المسلمين الاجتماعية اليوم من مرض الحكم على الظواهر وإعطاء الفرصة دائماً للشياطين بالمكر والخديعة تخريباً ونصباً واحتيالاً. والطيبة ممقوتة في غير أماكنها، والحذر والريبة والشك والحرص والتحرص واجب من كل مسلم مؤمن اتقاء شرّ شياطين الأرض كلها. ومن يقول لنا عكس هذا الكلام يكون من بعض الشياطين.

والله سبحانه وتعالى يحب المؤمن القوي الذكي المتفتح الحريص على دينه ونفسه وعرضه وماله وشرفه، والحذر من كل أنواع الشياطين ومعرفة أساليبهم وطرقهم، ولا يحب الإنسان المؤمن الساذج الذي يقع فريسة لأول شيطان مازال في مرحلة التدريب.

وأهم شياطين يجب أن يحذر منهما هما:
أولاً: شيطان نفسه الأمارة بالسوء.
ثانياً: الشيطان من بني الإنسان في صورة الصاحب والرفيق والأنيس أو الجليس أما مايتخيله من العفاريت فخطرها على العفاريت من أمثالهم وليس علينا نحن بني البشر. فشياطيننا أقوى وأشد خطراً وفتكاً من عفاريت الجن.
يجب علينا ألا نفهم آيات القرآن فهماً وهمياً، فليس عند الله أوهام أبداً بل الأوهام تكون دائماً في عقولنا إن كانت فارغة من العلوم والحقائق.
﴿ومن يَكُن الشيطانُ له قريناً فساء قريناً﴾ ٣٨ ـ النساء.
هنا يجب أن نفهم أن القرين هو الجليس أو الصاحب والأنيس، والذي يدَّعي الصدق والصداقة، وهو يكتم عكس ذلك، هذا هو الشيطان الذي يجب أن نحرص منه، فالله سبحانه صرح لنا قبل هذا أننا لن نستطيع أن نرى الجن. إذاً لاخطر منهم علينا كمؤمنين، لكن شيطان الإنس يتحالف مع شيطان الجن، ذلك موضوع آخر لايهمّنا كثيراً، لأننا نتكلم عن حرص المؤمن من الشيطان. وهذا الشيطان غالباً مايكون من الإنس. والإنسان هو الذي يتحول بكفره وطمعه إلى شيطان خطير.

السادس عشر: الوضع في دين الله

إن علماء المسلمين قد أجمعوا على استخدام كلمة الوضع في دين الله بدل الكلمات التالية التي استخدمها الله تعالى في القرآن الكريم للدلالة عليه:

﴿ومن أظلمُ ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته﴾ ٢١ ـ الأنعام.

﴿فمن أظلمُ ممّن كذّب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه﴾ ٣٢ ـ الزمر.

﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذِباً ليُضِل الناسَ بغيرِ علمٍ﴾ ١٤٤ ـ الأنعام.

﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فويلٌ لهم ممّا كتبَت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

هذه هي الآيات التي قالها الله عن الذين افتروا في دينه وكذبوا في كل العصور لكن علماء المسلمين اختاروا أن يسموا الكذب والافتراء على الله والرسول اسماً جديداً في الدين واختاروا له كلمة جديدة وهي الوضع.

فما معنى الوضع بدليل آيات القرآن الكريم؟

إن أفضل وسيلة للتعرف على معنى كلمة في كتاب الله أن نستمع للكلمة ومشتقاتها في سياق الآيات التي تبين المعنى بشكل واضح وجلي وبعدها لانحتاج إلى قاموس أو دليل أو ترجمان:

وَضَعَ: ﴿والسماء رفعَها وَوَضَعَ الميزان﴾ ٧ ـ الرحمن.

وَضَعَتْ: ﴿قالت ربّ إني وَضَعْتُها أنثى والله أعْلَمُ بما وَضَعَتْ﴾. ٣٦ ـ آل عمران.

وَضَعنا: ﴿ألم نشرح لكَ صدركَ ووَضَعْنا عنك وِزرَك﴾ ٢ ـ الشرح.

وَضَعَها: ﴿والأرضَ وضعَها للأنام﴾ ١٠ ـ الرحمن.

تَضَعُ: ﴿وماتحملُ من أنثى ولا تضَعُ إلا بعلمِهِ﴾ ٤٧ ـ فصّلت.

تَضَعُوا: ﴿لاجناح عليكم إن كان لكم أذىً من مطرٍ أو كنتم مرضى أن تَضَعوا أسلحتكم﴾ ١٠٢ ـ النساء.

تَضَعُونَ: ﴿مِن قبل صلاة الفجر وحين تَضَعُون ثيابَكم من الظهيرة﴾ ٥٨ ـ النور.

نَضَعُ: ﴿وَنَضَعُ الموازين القسط ليوم القيامة﴾ ٤٧ ـ الأنبياء.

وُضِعَ: ﴿إن أولَ بيتٍ وُضِعَ للناس للَّذي بِبَكَّةَ مباركاً﴾ ٩٦ ـ آل عمران.

مَوضوعَة: ﴿فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ، وأكوابٌ موضوعةٌ﴾ ١٤ ـ الغاشية.

وهكذا تجدون أنه ليس في العربية كلمة اسمها (الوضع) ترادف الكذب والافتراء على الله.

فلماذا يلهث كل علماء المسلمين لرفع كلمة الكذب والافتراء عن الأحاديث مع أنها أصبحت ثابتة ومعروفة للجميع؟

وحتى لايتقول عليَّ أحد بأني أقول بما لا أعرف فسوف أستشهد بكتابين وكاتبين وشاهدين من هذا العصر، وهما الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السُّنَّة، طبع المكتب الإسلامي ١٩٨٥، والدكتور الشيخ محمد عجاج الخطيب، رئيس قسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق، وأستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، في كتابه السُّنَّة قبل التدوين، طبع دار الفكر طبعة ١٩٨١.

فإلى كتاب الدكتور السباعي رحمه الله أولاً:

لقد خصص في كتابه فصلاً كاملاً عن الوضع في الحديث، وفصلاً آخر كاملاً عن جهود العلماء لمقاومة حركة الوضع، وفصلاً ثالثاً للكلام عن ثمار تلك الجهود.

فإلى تلك الفصول لنفهم ونختصر مجمل الكلام:

لقد كتب تحت عنوان (متى بدأ الوضع) قائلاً:

(كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلاً حربياً سالت به دماء وأزهقت منه أرواح، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف متعددة)(*).

(فلقد حاول كل حزب أن يؤيد موقفه بالقرآن وبالسنة، وطبيعي ألا يكونا مع كل حزب يؤيدانه في كل مايدعي، فعمل بعض الأحزاب على أن يتأولوا القرآن على غير

(*) من كتاب السنة، مصطفى السباعي، ص ٧٥.

حقيقته وأن يحمّلوا نصوص السنة مالا تتحمله، وأن يضع بعضهم على لسان الرسول أحاديث تؤيد دعواهم، بعد أن عزّ عليهم مثل ذلك في القرآن لحفظه وتوفر المسلمين على روايته وتلاوته ومن هنا كان وضع الحديث واختلاط الصحيح منه بالموضوع)(*).

(وأول معنى طَرَقهُ الوُضَّاع في الحديث هو فضائل الأشخاص، فقد وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضل أئمتهم ورؤساء أحزابهم، ويقال: إن أول من فعل ذلك الشيعة على اختلاف طوائفهم)(**).

وتحت عنوان في أي جيل نشأ الوضع؟ نجد:

(لايبقى بعد هذا شك في أن الكذب لم يكن على عهد رسول الله من الصحابة ولا وقع منهم بعده، وأنهم كانوا محل الثقة فيما بينهم لايُكذِّب بعضُهم بعضاً، وكل ماكان بينهم من خلاف فقهي لايتعدى اختلاف وجهات النظر في أمر ديني. وكل منهم يطلب الحق وينشده).

إذا قلنا: إن عصر الرسول الكريم وصحبه كان العصر الذهبي للإيمان بحيث نجد عدد الصادقين من المؤمنين أكثر بكثير من نسبة المنافقين بينهم هذا كلام صحيح ولكن لايكون صحيحاً إذا تخيلنا أن الشيطان مات في عصرهم وأصبحوا جميعاً من الملائكة. هذا لم يحصل ولن يحصل على هذه الأرض، لماذا؟ لأن سنة الله أن يبقى الخير والشر معاً وفي صراع دائم على هذه الأرض إلى يوم الدين.

وتحت عنوان (البواعث التي أدت إلى الوضع والبيئات التي نشأ فيها) نجد أول الأسباب: الخلافات السياسية:

(فقد انغمست الفرق السياسية في حمأة الكذب على رسول الله ﷺ كثرةً وقلة فالرافضة أكثر هذه الفرق كذباً، سئل مالك عن الرافضة فقال:

لاتكلمهم ولا ترد عنهم فإنهم يكذبون). (لاحظور إن الشيخ من غير شعور استخدم كلمة الكذب عندما أصبح الكلام عن الرافضة).

وإذا بحثنا في كتب الرافضة سوف نجد عكس ذلك الكلام تماماً حيث سنجد من يقول: (السنة أكثر هذه الفرق كذباً) لماذا؟

(*) (**) المصدر نفسه ـ ص ٧٥.

لأن هذا هو الطبيعي في قوانين الناس طالما الجميع قد ترك سنة الله. وصراطه واتبعوا السبل:

(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولاتتّبعوا السّبلَ فَتَفَرَّق بكم عن سبيلهِ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتقون﴾ ١٥٣ ـ الأنعام.

وصراط الله لايكون إلا باتباع كتاب الله وحده، ومن أشرك بكتاب الله كتاباً آخر فقد أشرك بالله سواء كان من الرافضة أو من السُّنَّة، كلهم عند الله سواء.

فماذا نجد من الأقوال للشيعة والرافضة في كتاب السباعي كشواهد على وضعهم:

(ويستشهد أهل السنة لما وضعته الرافضة من الأحاديث بحديث «الوصية في غديرخم» وخلاصته أن النبي ﷺ في رجوعه من حجة الوداع جمع الصحابة في مكان يقال له «غَديرُ خَمّ» وأخذ بيد علي رضي الله عنه ووقف به على الصحابة جميعاً وهم يشهدون وقال:

«هذا وصيي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا». قال أهل السنة: إنه حديث مكذوب بلا شك. ومن ذلك:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عَليّ».

«وأنا ميزان العلم وعلي كَفَّتاهُ والحسن والحسين خيوطه وفاطمة عَلاَّقَتُهُ والأئمة منا عمود توزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين لنا».

والشيخ السباعي أورد لنا ماقاله المتعصبون لمعاوية تحت نفس العنوان:

(وقد ضارَعُهم الجهلة من أهل السنة فقابلوا ـ مع الأسف ـ الكذب بكذب مثله وإن كان أقل منه دائرة وأضيق نطاقاً. ومن ذلك:

«مافي الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، وعثمان ذو النورين».

كذلك قابلهم المتعصبون لمعاوية والأمويين فوضعوا أحاديث مثل قولهم:

«الأمناء ثلاثة، أنا وجبريل ومعاوية».

«أنت مني يامعاوية وأنا منك».

«لا أفتقد في الجنة إلا معاوية فيأتي آنفاً بعد وقت طويل، فأقول: من أين يامعاوية؟ فيقول من عند ربي يناجيني وأناجيه، فيقول: هذا بما نيل من عرضك في الدنيا».

وكذلك فعل المؤيدون للعباسيين فوضعوا إزاء حديث وصاية علي المكذوب وصاية العباس ونسبوا إلى النبي قوله: «العباس وصيي ووارثي».

«إذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، السفاح والمنصور ـ والمهدي».

وتحت عنوان الزندقة نجد:

(ونعني بها كراهية الإسلام ديناً ودولة فقد اكتسحت دولة الإسلام عروشاً وإمارات وزعامات كانت قائمة على تضليل الشعوب في عقائدها وإذلالها في كرامتها، وتسخيرها للأهواء والمغانم الخسيسة، وقدمتها في أتون الحرب التي كانت تثيرها رغبات الفتح والتوسع في نفوس الملوك والقواد).

اعتراف من أحد علماء المسلمين الصادقين بأن وراء فتوحات السلاطين كانت هناك رَغبَةٌ جامحة للفتح والتوسع ومد نفوذ السلطة بغض النظر عن نشر العقيدة الإسلامية.

هذا وقد ورد ماكتبته حول نفس الموضوع تحت عنوان المنافقين والحاقدين: لذلك نجد الشيخ السباعي يقول تحت اسم الزنادقة ذاكراً الحقيقة الأولى وكيف كان الإسلام قبل أن تصل أيديهم إلى استلام زمام الأمور في شؤون الحديث وغيره من أمور الدين:

(ورأى الناس في ظلال الإسلام كرامة الفرد، واحتراماً للعقيدة، وتحريراً للعقل، وقضاء على الأوهام والأضاليل والشعوذة والتدجيل)(*).

فماذا حصل بعد أن وضع المنافقون من الذين يسميهم الشيخ في كتابه الزنادقة أيديهم على مقدرات الأمة من مصادر الدين وعلومها؟

(فلم يجدوا (يقصد المنافقين الحاقدين من الزنادقة) أمامهم مجالاً للانتقام من الإسلام إلا إفساد عقائده، وتشويه محاسنه، وتفريق صفوف أتباعه وجنوده، وكان التزيد في السُّنَّة (أي افتراء الأحاديث الجديدة) أوسع ميادين الدسِّ والإفساد لديهم، فجالوا فيه وصالوا، متستِّرين بالتشيع أحياناً، وبالزهد والتصوف أحياناً، وبالفلسفة والحكمة أحياناً، وفي كل ذلك إنما يتوخون إدخال الخلل في بناء ذلك الصرح الشامخ الذي أقامه محمد ﷺ)(**).

(*) (**) المصدر نفسه ـ ص ٨٤.

(ومن أمثلة ماوضعوه ليفسدوا به الدين، ويشوهوا كرامته لدى العقلاء والمثقفين ولينحدروا بعقيدة العامة إلى درجة من السخف تثير سخرية الملحدين مثل الأحاديث المكذوبة الآتية:

«ينزلُ ربّنا عشيَّة عَرَفَة على جملٍ أَورقَ يُصافحُ الرُّكبانَ وُيعانقُ المشاة».

«خَلَقَ الله الملائكةَ من شَعرِ ذراعيه وصدرِهِ»

«رأيت ربّي ليست بيني وبينه حجابٌ فرأيت كلَّ شيء منه حتى رأيتُ تاجاً مُخَوَّصاً من اللّؤلؤ»

«إنَّ الله اشتكت عيناه فَعادَتهُ الملائكةُ»

«إن الله لما أرادَ أن يخلقَ نفسه خلقَ الخيل وأجراها فعرقَت فخلقَ نفسه منها».

«إن الله لما خلقَ الحروف سجدت الباء ووقف الألف» أي أن الألف أبى مع إبليس أن يسجد.

«النظر إلى الوجه الجميل عباده»

«الباذنجان شفاء من كل داء»

وهكذا دس هؤلاء الزنادقة (المنافقون) آلافاً من الأحاديث في العقائد والأخلاق والطب والحلال والحرام، وقد أقر زنديقٌ أمام المهدي بأنه وضع مائة حديث تجُولُ في أيدي الناس)(*).

وما أكثر من لم يُقرّوا بشيء أمام أَحَدٍ مازالت أكاذيبهم في الحديث تجول في كل مساجد ومنابر المسلمين إلى اليوم وقد كتب الشيخ تحت بند العصبية للجنس والقبيلة واللغة والبلد والإمام على اعتبار هذه الأمور من الموجبات للكذب بالأحاديث على رسول الله ورسوله قائلاً في الصفحة (٨٥):

كما وضع الشعوبيون حديث «إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالعربية وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية» فقابلهم جهلة العرب بالمثل فقالوا:

«إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالفارسية وإذا رضي أنزل الوحي بالعربية»

كما وضع المتعصبون لأبي حنيفة حديث: «سيكونُ رجلٌ من أمتي يقال له أبو حنيفة

(*) المصدر نفسه ـ ص ٨٤.

النعمان هو سراج أمتي» ووضع المتعصبون على الشافعي:

«سيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس هو أضرُّ على أُمتي من إبليس» ومثل هذا يقال في الأحاديث الموضوعة في فضائل بعض البلدان والقبائل والأزمنة)(*).

وتحت بند القصص والوعظ كسبب من أسباب الكذب على الرسول محمد ﷺ في الأحاديث كتب:

(فقد تولى مهمة الوعظ قصّاص أكثرهم لايخافون الله. ولايهمهم سوى أن يبكي الناس في مجالسهم. وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون)(**).

(قال ابن قتيبة وهو يتكلم على الوجوه التي دخل منها الفساد على الحديث:

«والوجه الثاني القُصاص فإنهم يُميلون وجه العوام إليهم، ويشيدون ماعندهم بالمناكيد والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القاص ماكان حديثه عجيباً خارجاً عن نظر المعقول، أو كان رقيقاً يُحَزِّنُ القلبَ، فإذا ذكرَ الجنة قال:

فيها الحَوراء من مسكٍ أو زعفران، وعجيزتها ميلٌ في ميلٍ، ويُبَوِّىء الله وليَّهُ قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة، وفي كل مقصورة سبعون ألف قبّةٍ، فلا يزال هكذا في السبعين ألفاً لايتحول عنها»(***).

ومن أهم أحاديث هذا القسم مايلي:

(فقد صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بمسجد الرصافة فقام بين أيديهم (واعظ) قاصّ فقال: حدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قال (شهادة شاهدين عَدلين) حدثنا عبد الرزاق عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله خلق الله من كلِ كلمةٍ طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان» واستمر يذكر فيه نحواً من عشرين ورقةً، فجعل أحمدُ ينظرُ إلى يحيى، ويحيى ينظرُ إلى أحمد، فقال أأنت حَدَّثْتَ بهذا؟ فقال: والله ماسمعت بهذا إلا الساعةَ، فلما انتهى أشار له يحيى فجاء متوهماً نوالاً (مكافأة) فقال له يحيى: من حدثك بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال يحيى: «أنا يحيى وهذا أحمد، ماسمعت بهذا قط في حديث رسول الله. فإن كانَ ولا بدَّ فعلى غيرنا» فقال (الواعظ) القاصُّ: لم أزل أسمع

(*) (**) المصدر نفسه ـ ص ٨٥.

(***) تأويل مختلف الحديث: ص ٣٥٧.

أن يحيى بن معين أحمق ماتحققته إلا الساعة. فقال له يحيى: وكيف؟ فقال (الواعظ): أليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟ لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين)(*).

وتحت البند الخامس ـ الخلافات الفقهية والكلامية:

كتب الشيخ قائلا:

(فقد نَزَعَ الجهال الفسقة من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية إلى تأييد مذهبهم بأحاديث مكذوبة. من ذلك:

«من رفع يديه في صلاة فلا صلاة له»

(لذلك نجد أصحاب ذلك المذهب إذا صلوا معنا في المسجد لايرفعون أيديهم بل يسبلونها إلى جوانبهم أثناء الصلاة على اعتبار أن ماسمعناه سنةٌ واجبة الاتباع).

«من قال القرآن مخلوق فقد كفر»

«كل من في السموات والأرض ومابينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن. وسيجيء أقوام من أمتي يقولون: القرآن مخلوق فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعتها»(**).

اعتراف رسمي بالإشراك بالله شيئاً وهو القرآن مع أن الله تعالى يقول دائماً في كتاب الله، ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا﴾ ٣٦ ـ النساء.

وتحت البند السادس من أسباب الكذب في الحديث الذي كان بعنوان «الجهل بالدين مع الرغبة في الخير» كتب قائلاً:

(وهو صنيع كثير من الزّهاد والعُباد والصالحين، فقد كانوا يحتسبون وضعهم (الكذب) للأحاديث في الترغيب والترهيب، ظناً منهم أنهم يتقربون إلى الله ويخدمون دين الإسلام، ويحببون الناس في العبادات والطاعات، ولما أنكر العلماء عليهم ذلك وذكروهم بقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قالوا: نحن نكذب له ﷺ لا عليه، وهذا كله من الجهل بالدين وغلبة الهوى والغفلة).

(ومن هؤلاء الوضاعين (المكذّبين) غُلام خليل، وقد كان زاهداً متخلياً عن الدنيا

(*) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي.

(**) كتاب السنة مصطفى السباعي ـ ص ٨٧.

وشهواتها، ومنقطعاً إلى العبادة والتقوى ومحبوباً من العامة، حتى إنّ بغداد أغلقت أسواقها يوم وفاته حزناًعليه، ومع ذلك زين له الشيطان وضع أحاديث في فضائل الأذكار والأوراد حتى قيل له: هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة)(*).

أعتقد أنه كان الأجدر بالعلماء أن يميزوا أن الحديث:

«من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»

هو حديث مفترى ومكذوب على الله والرسول معاً لأنه ليس في الكذب حالة خاصة يسمح فيها وهي حالة غير التعمد. فالكذب كذبٌ في جميع وجوهه وحالاته لكن قبول العلماء لذلك الاستثناء مع وجود نص للحديث ثابت وهو:

«من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه البخاري، وكما نجده في فتح الباري (ص ٢١٠) في الجزء الأول، وكذلك في الكفاية في علم الرواية للبغدادي: (صفحة ١٠٢) وكما نجد الحديث التالي ثابتاً عن صحابي جليل هو عثمان بن عفان:

(من قال عليَّ مالم أقل فقد تبوأ مقعده من لنار) نجده في قبول الأخيار (ص ٢٩) وفي مسند الإمام أحمد (ص ٣٦٣) (جزء ١) وكلا الحديثين لايسمحان لأحد متعمداً كان أو من غير تعمد بالكذب على الله والرسول، كما أن تخفيف العلماء لجريمة الكذب وهي من الكبائر العشرة فكيف بالكذب إذا ارتفع إلى مستوى الكذب على الله والرسول؟ أعتقد عندها يصبح من الكبائر والجرائم العظمى فهل هناك أعظم من الكذب على الله ورسوله والتقول عليهما كذباً؟

ثم من بعد علم العلماء لتلك الحقائق فلماذا خففوا تلك الجريمة العظمى وجعلوها جنحة صغرى بقبول اسم الوضع بدلاً عن الاسم الذي أشهره الله في كتابه (الافتراء كذباً)؟

وكما أن قبول الحديث من قبل العلماء بوجود الاستثناء (بالتعمد) فتح الباب على مصراعيه لكل من أغراه شيطانه بالكذب وإني أعتقد أن ذلك لم يحدث بالمصادفة بل عن قصد وتخطيط كما شرحت كل ذلك في الكتاب مفصلاً.

كما كتب الدكتور السباعي رحمه الله تحت البند السابع الذي كان بعنوان:

التقرب للملوك والأمراء بما يوافق أهواءهم.

(*) المصدر نفسه ـ ص ٨٧.

(ومن أمثلة ذلك مافعله غياث بن إبراهيم، إذ دخل على المهدي وهويلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور «لاسبق إلا في نصل أو خف أو حافر»

وزاد فيه (أو جناح) إرضاء للمهدي، فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم، ثم قال (المهدي) بعد أن ولّى: «أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ وأمر بذبح الحمام»)(*).

إن هذا كلام غير كاف من أي كاتب، يجب أن يشرح للقارىء لماذا دفع السلطان عشرة آلاف درهم مكافأة لمرتكب جريمة عظمى وهي الكذب على الله والرسول أمامه علناً؟.

وعندما يعرف القارىء السبب يذهب العجب.

يجب أن يبين للقارىء أن ذلك الكاذب هو ذخرٌ للسلطان في الملمات حتى يكذب للسلطان على الله والرسول في قضية مالية أو سياسية مهمة. هذا هو سبب سكوت السلاطين الحقيقي على أمثال غياث، وكانوا كثيرين وإن لم يعلن لنا أحد عن أسمائهم بعد.

وكما نجد في كتاب الشيخ أسباباً أخرى للوضع قال عنها:

وهنالك أسباب أخرى للوضع (أي للكذب والافتراء على الله والرسول)كالرغبة في الإتيان بغريب الحديث من متن وإسناد، والانتصار للفتيا، والانتقام من فئة معينة، والترويج لنوع من المآكل أو الطيب أو الثياب، وقد توسع العلماء في ذكرها وضربوا لها الأمثال.

وهكذا تجدون أن المصلحة المادية والدنيوية وراء افتراء الأحاديث غالباً.

وفي نهاية هذه الشهادة للدكتور الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله عن طريق كتابه (السنة) أودّ أن أذكر ماذكره في كتابه شاهداً أنه قد انتبه لما للحكام من سلاطين المسلمين وأمرائهم من دور رئيسي في تشجيع الكذب على الله والرسول قائلاً:

(ولابد لي في ختام هذا البحث من إبداء ملاحظة، كثيراً ماترددت على الخاطر، ثم قويت أثناء كتابة هذا الفصل، وهي ماكان لتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين (المكذبين) من أثر سيء جرّ على الدين كثيراًمن البلاء، ولو وقفوا منهم موقف الجد،

(*) المصدر نفسه ـ ص ٨٨.

وقضوا على رؤسائهم كما هو حكم الله في مثل هذه الحالة، لما انتشرت هذا الانتشار بل رأينا مع الأسف خليفة كالمهدي رغماًعن اعترافه بكذب غياث بن إبراهيم وزيادته في الحديث تقرباً إلى هواه، كافأه بعشرة آلاف درهم...)(*).

إن هذا الكلام مع الاعتذار الشديد للدكتور سباعي يشبه من يقول:

(لو أن رؤساء المافيا في العالم مع رؤساء العصابات الإرهابية الأخرى تعاونوا معاً في القضاء على أفراد عصابات الإجرام في العالم لارتاحت البشرية من جرائم الإرهاب وترويع الآمنين في جميع أنحاء العالم).

فكيف يمكن أن نتخيل السلطان الذي سعى من الأساس لقلب عقلية المسلمين من العقلية العلمية التي يدعو إليها القرآن بشكل نظري فطبقه الرسول محمد وصحبه الأول مرة بشكل علمي فجاء السلطان ليغير تلك العقلية ويعيدها إلى ماكانت عليه في العصر الجاهلي، إلى عقلية الأوهام والظنون والأباطيل بمساعدة جنود السلطان. أن يسعى من جديد إلى إعادة الحق إلى نصابه وهدم كل مابناه وتعب في ترسيخه. ونحن نعلم أن هؤلاء الجنود هم ساعده الأيمن في كل مايفعل وفعله في تاريخ المسلمين. كل السلاطين - من أول سلطان من بني أمية إلى آخر سلطان من بني عثمان. فعلوا ذلك دون استثناء إلا واحداً هو عمر بن عبد العزيز الأموي.

بعد أن استمعنا لشهادة الدكتور السباعي ننتقل لسماع شهادة الدكتور الشيخ محمد عجاج الخطيب في كتابه (السُّنَّة قبل التدوين).

كتب الدكتور الخطيب تحت عنوان (ابتداء الوضع وأسبابه) قائلاً:

(بقي الحديث النبوي صافياً لايعتريه الكذب ولايتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء)(**).

(وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياًكان له أبلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الإسلام. وقد حاول كل حزب أن يدعم مايدعي بالقرآن والسنة، ومن البدهي ألا يجد كل حزب مايؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتأول بعضهم القرآن، وفسروا بعض نصوص الحديث بمالا تحتمله، إلا أن هذا

(*) المصدر نفسه - ص ٨٨.

(**) السنة في التدوين - محمد الخطيب - ص ١٨٧.

لم يحقق مايرمون إليه ولم يجد بعضهم إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلاً، لكثرة حفّاظه فتناولوا السنة بالتحريف وزادوا عليها، ووضعوا على رسول الله مالم يقل ونشطت حركة الوضع مع الزمن، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع، وظهرت أحاديث موضوعة في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب، ثم ظهرت أحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية، وكانت الأحاديث الموضوعة تولد مع ظهور الفرق)(*).

(ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص، ودعم الآراء والأفكار العقائدية والمذاهب السياسيَة، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث، وكادت الأحاديث الموضوعة تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة، فوضعت أحاديث في الفضائل والمثالب، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام، وأخرى في العبادات المختلفة وفي المعاملات والأطعمة والأدب والزهد، والذكر والدعاء، وفي الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها)(**).

وهكذا نجد الدكتور خطيب يجمل أكثر أسباب الكذب والافتراء على الله والرسول بأسلوب دبلوماسي متحاشياً أن يقول للكاذب كاذباً في عينه، لأنه يؤذي غيره قبل أن يؤذي نفسه، إذا كان الله لم يستح أن يقول عنه مفترٍ كاذبٌ أثيم. فلماذا نخجل نحن ونلف وندور حول كلمة الوضع والوضاعين والموضوع؟ وكل ماعندنا كذبٌ وافتراء كذابينَ.

(وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم في الوضع ننفي عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضاً ونقدر أنه إذا حصل الوضع في النصف الأول من القرن الهجري الأول، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين)(***).

إن هذا الكلام دقيق من الناحية العلمية لأنه لم ينكر ضمناً أن الشيطان مازال حياً موجوداً على الأرض يمكنه أن يفتن الناس ولكن ليس بنفس النسبة وإنما بنسب مختلفة حسب المخزون الشخصي لكل منهم من الإيمان والعلم والمعرفة.

وتحت عنوان (أسباب الوضع) كتب:

(*) المصدر نفسه ـ ص ١٨٨.

(**) المصدر نفسه ـ ص ١٨٩.

(***) المصدر نفسه ـ ص ١٩٣.

١ ـ الأحزاب السياسية، وفندها كمايلي:

أ ـ أثر الشيعة وخصومهم في وضع الحديث.

ب ـ الخوارج ووضع الحديث.

لكن الدكتور تجنب أن يذكر أثر السنة في وضع الحديث ربما لأنه ضمنهم دون أن يشير إلى اسمهم في عبارة (وخصومهم) التي أتت بعد عبارة (أثر الشيعة)..

ولكن ذلك غير كاف، إن الدبلوماسية وحدها لن تحل مشاكل المسلمين.

علينا الاعتراف جميعاً أننا كلنا في الخطأ سواء. جميعنا أخطأنا وجميعنا يجب علينا العودة إلى الصواب، والسنة هم الأغلبية الساحقة من المسلمين وأخطاؤهم أكبر. وكما كتب عن المنافقين والحاقدين تحت عنوان:

٢ ـ أعداء الإسلام. الزنادقة.

٣ ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام.

٤ ـ القصاصون.

٥ ـ الرغبة في الخير مع الجهل بالدين.

(بينت فيما تقدم أن بعض ماحدث من الفتن، وماترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم ورفع شأن زعمائهم، والحطّ من قيمة خصومهم، وقد ظهر أثر هذا لدى بعض الصالحين والزهاد والعباد، الذين ساءهم هذا الانشقاق وتفرقة الأمة، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعماتهم جميعاً، ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا انشغال الناس بالدنيا عن الآخرة، فوضعوا أحاديث الترهيب والترغيب خشية لله ومن هذا مايرويه علي بن المديني أن جريد بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن المسور كان يضع الحديث على رسول الله (أي يفتري على الرسول كذباً) ولا يضع إلا مافيه أدب أو زهد فيقال له في ذلك فيقول: إن فيه أجراً، أجرّ على الكذب!!!

وعبد الله بن المسور هو نفسه أبو جعفر المدائني الهاشمي الذي أرسل عن رسول الله ﷺ كلاماً ليس عن رسول الله ﷺ فاحتمله الناس في الدعاء ونحوه.

وقد حملهم جهلهم بالدين على استساغة ماسولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الأعمال وكأن هذه الثروة من الأحاديث النبوية التي لايدرك البيان وصفهالم

تشف صدورهم ولم ترو ظمأهم فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله، وإذا ماذكروا بقوله ﷺ «من كَذَب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»

قالوا: نحن ماكذبنا عليه، إنما نكذب له. ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خدع العامة فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم، فكان خطرهم شديداً على الدين، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد، الذي لايتصور معه العامي إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب وفي هذا يروي محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه:

«لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث» وفي رواية عن يحيى بن سعيد القطان:

«وما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد»(*).

٦ ـ الخلافات المذهبية والكلامية.

٧ ـ التقرب من الحكام. وأسباب أخرى.

وكتب في الأسباب الأخرى: قائلاً:

(ومنهم من وضع الأحاديث في أصناف معينة من المآكل لترويجه، أو في مهن خاصة للرفع من قدرها وفي غير هذا وذاك)(**).

ولايستطيع المسلم اليوم تقدير حجم الضرر الذي أحدثه كل أولئك الذين افتروا على الله والرسول الكذب إلا إذا علم أن كل تلك الأحاديث كانت تستخدم لتأويل القرآن وتفسيره فصار تفسير القرآن مطاطاً كما يشاء له صاحب المصلحة الذي يختار من تلك الأحاديث مايناسب فكرته والوجهة التي يريد الاستشهاد لها فيجد المعنى معه كيف يشاء دون حدود أبداً. وهكذا صار الدين ألعوبة بيد الأقوياء من أهل السياسة والرياسة أو بيد الجهال من بسطاء الناس الذين يقولون غالباً مايظنون طالما أنهم قد اعتقدوا أنهم لايكذبون عمداً على الله والرسول وإنما يخدمون الأمة ويكذبون لرفع شأن الإسلام والمسلمين.

وهكذا علم المسلم سبب إحجام كل علماء المسلمين إلى اليوم أن يتعرضوا لما ورد في

(*) المصدر نفسه حتى الصفحة ٢١٤.

(**) المصدر نفسه ـ ص ٢١٨.

كتابي البخاري ومسلم، مع أني قد برهنت للجميع في هذا الكتاب أن الرجلين كانا يرغبان أن يأتي اليوم الذي يقف فيه أحَدٌ ليضع تلك الأحاديث تحت مجهر البحث والتدقيق لإظهار تناقضه مع كتاب الله ومع نفسه، ومع أخلاق الرسول الكريم لكن الجميع أحجم عن ذلك الفعل لما يلي:

إذا نقد العالم الإسلامي، الذي يعتمد علمه كله على الأحاديث التي أغلبها كما برهنت في كتابي هذا مصدره من كتب أهل الكتاب المحرفة من توراة وإنجيل وتلمود، معنى ذلك أن ينفي عن ذاته العِلمَ كله وهذا آخر مايمكن أن نتوقعه منهم فإذا نفى صحيح البخاري ومسلم لم يبق لديه علم بشيء. ومن هنا يجب أن نفهم سر تمسك رجال الدين بالحديث المتبقي ويقولون عنه العلم الصحيح لأنهم إن شكّكوا فيه شكَّ الناس في علمهم كله فلم يبق في ساحة المسلمين إلا كتاب الله وحده وهم أجهل خلق الله فيه بعد أن هجروه وجعلوه كتاباً خاصاً ليتلى على الأموات أو في مناسباتها.

والآن وبعد أن استمعنا لشهادة شاهدين من مسلمي عصرنا على ماحدث لما يسميه المسلمون اليوم (السنة أو الحديث النبوي) لننتقل إلى بحث أحاديث صحيح البخاري ومسلم ووضعها تحت مجهر الدراسة لنعلم حقيقة تلك الأحاديث، هل هي افتراءات على الله-وعلى الرسول والمؤمنين لغايات ومصالح دنيوية؟ أم هي أحاديث قدسية ووحي من السماء مثل وحي القرآن تماماً؟

السابع عشر: من هو الإمام البخاري(*)

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبة الجعفي أبو عبد الله البخاري الحافظ. إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقي بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة مافيه، وكذلك سائر أهل الإسلام. مات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه فألهمته حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل: إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً، وحجّ وعمره ثماني عشرة سنة. ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها وكتب عن أكثر من ألف شيخ. وروى عنه خلائق وأمم. وقد روى الخطيب البغدادي عن الغربري أنه قال: سمع الصحيح من البخاري معي من سبعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيري... وممن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه وروى عنه الترمذي في جامعه. والنسائي في سننه في قول بعضهم. وقد دخل بغداد ثماني مرات، وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد فيحثه أحمد على المقام ببغداد ويلومه على الإقامة بخراسان.

ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وخلطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا مُتُون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوها على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده وقَوَّمَ تلك الأحاديث كلها، وماتعنتوا عليه فيها ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة في إسناد ولا متن. وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة. والأخبار عنه في ذلك كثيرة (بالمختصر: أسطورة).

بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه. فأرسل إليه: في بيته العلم والحلم يؤتى - يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إليّ - وأبى أن يذهب إليهم والسلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخارى، فبقي في نفس الأمير من ذلك. فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق.

(*) من تاريخ ابن كثير الدمشقي - البداية والنهاية - دار الريان - القاهرة.

وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام، وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخاري، وقد كان الناس يعظمونه جداً. وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائداً إلى أهله.

وكان له مجلس يجلس فيه للإملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد. فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان (أي الذي كان سلطاناً) زال ملكه وسجن في بغداد حتى مات. فنزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها (خرتنك) على فرسخين من سمرقند. ثم اتفق مرضه على أثر ذلك. فكانت وفاته ليلة عيد الفطر، عند صلاة العشاء سنة ست وخمسين ومائتين.

وكان عمره عند وفاته اثنتين وستين سنة، رحمه الله سبحانه وتعالى.

الثامن عشر: من هو الإمام مسلم(*)

هو مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري أحد الأئمة من حفاظ الحديث صاحب الصحيح الذي يتلو صحيح البخاري عند أكثر العلماء، وذهبت المغاربة وأبو علي النيسابوري من المشارقة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري... في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد ولايقطعها كتقطيع البخاري لها في الأبواب.

... إن مسلماً دخل إلى العراق والحجاز والشام ومصر سمع من جماعةٍ كثيرةٍ قد ذكرهم شيخنا الحافظ المغربي في تهذيبه...

وقال الخطيب... (نقلاً عن رواة) (عن أحمد بن سلمة) يقول: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وأخبرني ابن يعقوب.. أن مسلماً بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ـ سمعت محمد بن إسحق بن منده، سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوري يقول: ماتحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم ابن الحجاج في علم الحديث. وقال إسحاق بن منصور لمسلم: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين. وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم: قَلّ مايفوت البخاري ومسلماً مايثبت في الحديث.

قال الخطيب: إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه. ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه. وعن الحسن الدارقطني يقول: لولا البخاري ماذهب مسلم ولا جاء. قال الخطيب عن أبي حامد أحمد ابن حمدان القصار: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك ياأستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله.

وقد كان مسلم يدافع عن البخاري. ثم ذكر ماوقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور، وكيف نودي على البخاري بسبب ذلك

(*) عن كتاب البداية والنهاية ج ١١ ـ ص ٣٦ ـ ٣٨.

بنيسابور، وأن الذهلي قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مسلم بن الحجاج: ألا من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن فليعتزل مجلسنا. فنهض مسلم من فوره إلى منزله، وجمع ماكان سمعه من الذهلي جميعه وأرسله إليه وترك الرواية عن الذهلي بالكلية، فلم يرد عنه شيئاً لا في صحيحه ولا في غيره. واستحكمت الوحشة بينهما. وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله أنه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوماً عن حديث فلم يعرفه، فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله: لايدخل أحد الليلة علي، وقد أهديت له سلة من تمر فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ثم يأكل أخرى ويكشف عن حديث آخر، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة ولايشعر فمرض ومات بسببها عشية يوم الأحد، فكان عمره يوم وفاته سبعاً وسبعين سنة رحمه الله تعالى.

الفصل الأول

الأحاديث التي لايناقض ماورد في متنها آيات القرآن الكريم

قمت بنفسي بإجراء بحث شامل لكل الأحاديث التي وردت في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم رحمها الله، مع دراسه متن كل حديث لوحده، ومطابقة معنى النص مع المعاني التي وردت في آيات القرآن الكريم، فوجدت في صحيح مسلم (٢٩٣) حديثاً لايناقض ماورد في متنها من معانٍ للمعاني الواردة في آيات القرآن الكريم.

وكذلك وجدت أن في صحيح البخاري (١٩٦) حديثاً تنطبق عليه المواصفات المذكورة نفسها.

وهكذا نجد أن مجموع الأحاديث من هذا النوع في الصحيحين (٤٨٩) حديثاً. وهذا لايعني قطعاً أن كل هذه الأحاديث قد قالها الرسول ﷺ حتماً. ليس من إنسان في العالم يستطيع أن يقطع بذلك، لأنه في غيب الله وحده. فالأحاديث كما نعلم في أحسن أحوالها هي روايات من بشر معرضين للخطأ والنسيان والسهو والشيطان.

وبعد هذه العوامل الأربعة لايمكن حصول اليقين لأحد أبداً خاصة وأن الرواية للأحاديث أخذت فترةً طويلة جداً حتى كتبت في العصر العباسي من قبل الإمامين البخاري ومسلم بشكل رسمي، وماكان يُكتَتَبُ من قبل كان قليلاً ويعتبر الكاتب نفسه مرتكباً إثماً لعلمه أنه يخالف أمراً قاله الرسول ﷺ للجميع. وواجب الإطاعة من الجميع وهو قول الرسول ﷺ مروياً عن أبي سعيد الخدري في الصحيحين (لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه).

كما أن هناك من بين هذه الأحاديث أحاديث كثيرة مع أن نصها لايحتوي على مناقضة للقرآن الكريم، ولكنني لا أعتقد أن الرسول أمر بها لأنها من المواضيع الشكلية التي لاتأثير لها في عقيدة الإسلام مثل الحديث: (٢٥٩) من صحيح مسلم:

عن ابن عمر «أحفوا الشوارب وأرخوا اللحى» فقد أبقيت عليه لأن نصها لايناقض القرآن، ولكنني لا أعتقد أنها أوامر من الرسول لكل مسلمي العالم، فهي ليست سنّة

إلهية وليست حقيقة علمية.

أو الحديث رقم (٥٨٩٩) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم»أي لايصبغون الشعر الشائب. وهذا أيضاً ليس في متنه مايناقض القرآن. ولكنني لا أستطيع أن أقول: من أوامر الرسول حتماً.

وأعتقد أنه ليس من داع إلى جرد كل الأحاديث (٤٨٩) بمجموعها في هذا الكتاب، لذا سوف أكتفي بذكر بعض النماذج عنها في هذا الكتاب لإطلاع القارىء الذي يكتفي بما أذكره ولايريد أن يتوسّع في الموضوع.

نماذج من الأحاديث التي لايناقض مافي متنها أيات القرآن الكريم:

تمهيد:

كما نوهت قبل قليل ليس المقصود بهذه الأحاديث أنها صحيحة أو أن الرسول ﷺ هو قائلها حتماً. لأنكم عرفتم تاريخ الحديث وماحصل فيه من التحريف الهائل من قبل رواة الحديث لأنها أصبحت تجارة رابحة في العصر الأموي والعباسي ولم تعد كما كانت في عصر الرسول عندما كان صحابي منهم يروي الحديث ولايرجو من ورائه أبيض ولا أصفر علماً أنها كانت تعرضهم لإحراجات كبيرة، كأن يطلب منهم المسؤول شاهداً على صحة ماروواه الصحابي أو تلهب ظهورهم بالسياط أو كما حصل للصحابة الثلاثة الذين سجنهم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لإكثارهم من الرواية عن الرسول وليس بتهمة الكذب عليه.

لكن هذه الأمور اختلفت مع الزمن ومع اختلاف الحكام ونوع السياسة والحكم بعد استلام السلطان الأموي للسلطة، وقلب نظام الشورى الإسلامي إلى ملكية وراثية فصار حديث واحد يمكن أن يرفع الصحابي إلى مستوى الأغنياء بعد أن كان لايجد من يدفع له في كل علمه درهماً واحداً.

وبحسب ماذكره البخاري رحمه الله أنه استبعد ٦٠٠ ألف حديث عندما وضع صحيحه في حوالي سبعة آلاف حديث. أي أخذ بنسبة واحد في المائة فقط.

مثلاً: إذا كان عندنا ماء مخزون في خزان، ودخل في ذلك الماء مايلوثه وما لايمكن فصله بالمصفيات مثل إمكانية فصل الأتربة والرمال مثلاًمن الماء. وحكم الشرع على ذلك الماء أنه تنجس ولابد من التخلص منه كلية. وهذا ماحصل بالنسبة للأحاديث،

لايمكن الوصول إلى حديث واحد ونقول عنه يقيناً: إن الرسول محمد ﷺ ما قاله أبداً. إلا ماورد في القرآن، الكريم كالآيات التي تخبر عن أحاديث:

﴿لقد سمعَ الله قولَ الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾ ١٨١ - آل عمران.

﴿قد سمع الله قولَ التي تجادلُكَ في زوجها وتشتكي إلى الله﴾ ١ - المجادلة.

﴿إلّا تنصروه فقد نصرَهُ الله إذ أخرجَهُ الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبِهِ لاتحزن إنّ الله معنا فأنزلَ الله سكينتَهُ عليه وأيّدَهُ بجنودٍ لم ترَوها وجَعَلَ كلمةَ الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيزٌ حكيم﴾ ٤٠ - التوبة.

والذي يدرس تاريخ السيرة النبوية من مصادرها المختلفة بحياد تام دون أن يكون في فكره قناعات مسبقة تؤثر على حياده وحكمه وقراراته، يكتشف حقائق كثيرة. منها: أن الصحابة كلهم تقريباًكانوا ملتزمين بعدم الرواية عن الرسول ﷺ خاصة كبار الصحابة الذين أدركوا وفهموا الدين الإسلامي أكثر من غيرهم. وهذه حقيقة، فالله سبحانه لم يخلق الناس إلا درجات في كل شيء حتى في الفهم والإدراك والعلم ليس الناس سواء. فهؤلاء الكبار من أمثال الخلفاء الراشدين الأربعة فهموا روح الإسلام وأهدافه بينما نجد بعد ذلك في حديث لأبي هريرة يقول عنهم: إنهم كانوا مشغولين بالصفق في الأسواق عندما كان هو وحده من بين باقي المسلمين، الذي يبحث عن العلم والفقه في الإسلام من الرسول يحفظ أحاديثه وأقواله فلا ينسى منها شيئاً.

عندنا مثلاً: عثمان بن عفان رضي الله عنه كان من الذين لم يرووا حديثاً عن الرسول إلا نادراً، وكذلك عبد الله بن عمر لم يكن يروي حديثاً في السنة. ورأينا كذلك كيف كان موقف أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما من الأحاديث ومن الرواية.

وحتى يعلم القارىء هذه الحقائق فقد عمدت في البحث على إجراء جرد كامل لكل الصحابة الذين وردت أسماؤهم في السيرة بأنهم حضروا معركة بدر فوجدت أن كل الذين شهدوا بدراً وماتوا قبل الفتنة الكبرى وقبل مقتل عثمان بن عفان عام ٣٥ هجرية ولم يحضروا سوق التجارة بالأحاديث، لم يرْوُوا كلهم إلا ٢٦٧ حديثاً. أي بمعدل حديث واحد لكل صحابي منهم تقريباً. بينما وصلت أحاديث صحابي واحد عاش فترة تلك التجارة الرابحة إلى ٥٣٧٤ حديثاً. أي عشرين ضعف مما رواه كل الصحابة قبل وفاة عثمان تقريباً. علماً أنه لم ير الرسول إلا في السنوات الثلاثة الأخيرة من عمره

ـ هذا وقد استثنيت من رجال الحديث عبد الله بن عمر، الذي يقال عنه: إنه عاد فأكثر الرواية في العصر الأموي والله أعلم.

والآن سأنتقل إلى ذكر بعض الأحاديث من التي لايناقض متنها للقرآن وآياته:

وأحب أن أذكر القارىء بملاحظة وأمر هام، وهو ألا ينسى أني إنسان مثل باقي بني الإنس ممّن يعرفهم جميعاً، معرّض للخطأ والسهو والنسيان، وحتى من الشيطان إن لم أتحرّص منه وأكن على حذر دائم، فأرجوا أن يعذرني لأنني لم أستطع أن أكون كاملاً كما يحب، لأن الكمال لله وحده ربّ العالمين.

النماذج من الأحاديث التي لايناقض ماورد في متنها آيات القرآن الكريم:

خير ما أبدأ به هذه الأحاديث ما كان عن الكذب: وقد ورد في صحيح مسلم ومقدمته الحديث:

١ ـ وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ:

«من حدّث عنيّ بحديث يُرى أنه الكذب فهو أحد الكاذبين»

وكذلك الحديث التالي من نفس المقدمة:

٢ ـ عن ربعي أنه سمع علياً يخطب ويقول: قال رسول الله ﷺ:

«لاتكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار»

وكذلك الحديث عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله:

٣ ـ «إن كذباً علي ليس ككذب على أحد».

ومن أهم الأحاديث ماكان ينهى عن السؤال والتأويل للآيات المتشابهة في القرآن الكريم.

٤ ـ الحديث رقم (١٠) المسلسل (١١) من صحيح مسلم عن أنس قال:

«كنا نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء»

طبعاً هذا ليس معناه أن الله سبحانه نهى الناس عن السؤال عما ورد في القرآن الكريم من شؤون دينهم وعبادتهم والأحكام الشرعية؛ وإنما عن المتشابه في آيات القرآن الكريم لأن تأويلها سوف يتم في القادم من الأيام بعد اكتشاف العلماء الحقيقيين للعلوم وأسرارها، وقد شرحت ذلك كلّه بالتفصيل في مكانه من هذا الكتاب.

٥ ـ حديث يثبت أن كتاب الحكمة المزعوم للمسلمين أنه أحاديث الرسول هو كتاب آخر:

الحديث (٣٧) ـ مسلسل (٦٠) في صحيح مسلم: عن عمران بن الحصين: عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير. فقال بشر بن كعب: إنه مكتوب في الحكمة: إن منه وقاراً ومنه سكينةً. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صحفك؟».

٦ ـ حديث يثبت أن معجزة الله للمسلمين والتي حصلت على يد الرسول ولسانه هي الوحي بالقرآن الكريم كاملاًله، وحفظه من أيدي الناس إلى اليوم من دون نقص أو زيادة فيه كما حصل لكل رسالات السماء حتى الآن.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: الحديث (١٥٢) مسلسل (٢٩٩) في صحيح مسلم:

«مامن الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي. فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»

٧ ـ الحديث (١١) مسلسل (٨) في صحيح مسلم: عن طلحة بن عبد الله يقول:

جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد ثائر الرأس (منفوش الشعر) فسمع دوي صوته حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: «لا إلا أن تطوع وصيام شهر رمضان» فقال: هل علي غيره؟ فقال: «لا إلا أن تطوع» وذكر له رسول الله الزكاة. فقال: هل علي غيرها؟ قال «لا إلا أن تطوع» قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق».

٨ ـ الحديث رقم (٢٤) في صحيح البخاري: عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يَعِظُ أخاه في الحياء (أي يذم لأخيه طبع الحياء في الإنسان»

فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

٩ ـ الحديث رقم (٢١) في صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:

من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لايحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار».

١٠ ـ الحديث رقم (١٣) في صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه».

١١ ـ الحديث رقم (٤٦) مسلسل (٧٣) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه».

١٢ـ الحديث رقم (٣٣) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

١٣ ـ الحديث رقم (٤٨) في صحيح البخاري: عن زبير قال: سألت أبا وائل عن المرجئة فقال: حدثني عبد الله؟ أن النبي ﷺ قال:

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

١٤ـ الحديث رقم (٦٥) المسلسل (١١٨) في صحيح مسلم: عن أبي زرعة عن جدّه جرير قال: قال النبي ﷺ في حجة الوداع؛ استنصت الناس ثم قال:

«لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

١٥ ـ الحديث رقم (١٤٠) مسلسل (٢٢٥) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: أرأيت إن قتلني؟ قال «فأنت شهيد» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار».

١٦ـ الحديث رقم (٦٩) في صحيح البخاري: عن أنس عن النبي ﷺ قال:

«يسّروا ولاتعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا».

١٧ـ الحديث رقم (٨٤) في صحيح البخاري: عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن حجته فقال:

«ذبحت قبل أن أرمي، فأومأ بيده قال: لاحرج. قال: وحلقت قبل أن أذبح فأومأ بيده «ولاحرج» (ولايناقض مبدأ الإسلام الدين يسر وليس عسراً)

١٨ـ الحديث رقم (١٠٦) في صحيح البخاري: عن ربعي بن حراش قال: سمعت علياً يقول: قال النبي ﷺ:

«لاتكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار».

١٩ ـ الحديث رقم (١٠٧) في صحيح البخاري: عن الزبير بن العوام قال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول:

«من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار».

هذا وقد اعتبرت الأحاديث الأخرى بعد إضافة كلمة (متعمداً) عليها من الأحاديث المحرفة لأنها تعطي المجال للكذب على الرسول، بحجة أننا لانكذب عليه، ولكننا نكذب لمصلحته. فاستبعدتها عن الأحاديث المطابقة لنصوص القرآن، لأن الله سبحانه لايسمح للمؤمن أن يكذب في سبيل أحد إذا فهم روح الإسلام بشكل صحيح.

٢٠ـ الحديث رقم (١٠٩) في صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«من يقل علي مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

٢١ـ الحديث رقم (١٣٥) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:

(لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» قال رجل من حضرموت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: «فُساء أو ضُراط».

هذا ولو كانت الكلمات الأخيرة من هذا الحديث مروية باسم الرسول ﷺ على أنه كلام الرسول ﷺ لاستبعدت الحديث كله، لأن ذلك يناقض أخلاق الرسول وحياءه وحسن جوابه دائماً.

٢٢ ـ الحديث رقم (٢٥٩) مسلسل (٥٤) في صحيح البخاري: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«خالفوا المشركين، أحفّوا الشوارب وأوفوا اللحى».

إن هذا الموضوع من الشكليات التي لاعلاقة لها بالإسلام ولا بالعقيدة ولا بالإيمان. أبقيت عليها كما ذكرت سابقاً لعدم وجود مايناقضها في القرآن الكريم والغريب (ما يلاحظه كل من يزور نيويورك فيجد أكثر الناس تمسكاً بهذه السنة النبوية الشريفة هم اليهود، وكلهم يحفون الشوارب ويطلقون اللحى. تماماً كما يقولون بأمر الرسول الكريم

في هذا الحديث!!! بحسب الرواية طبعاً.

٢٣ ـ الحديث رقم (٢٦٧) في صحيح مسلم: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايمسكنّ أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول. ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ولايتنفس في الإناء».

هذه الأمور كانت ضرورية في عصر الرسول ﷺ فقط، وفي ظروف حياته، حيث كان الماء عزيزاً على جميع الناس، وبما أن المؤمن سوف يأكل بيمينه وليس من ماء لتنظيفه في كل وقت يشاءه المؤمن فأراد الرسول المحافظة على يمين المسلم من النجاسة لأنه كما قلت سوف يضطر أن يأكل بها من دون غسل ولكن بعد توفر الماء والحمد لله للجميع مع توفر كل أنواع المنظفات والمطهرات فلم يعد لمثل هذا الحديث من داع لانتهاء ظروفه وهذا من أحد أسباب طلب الرسول عدم كتابة أحاديثه لأنها ظرفية وتنتهي مع تغير تلك الظروف. وقد انتهت والحمد لله.

٢٤ ـ الحديث رقم (٢٥٢) مسلسل (٤٢): من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«لولا أن أشقّ (أي أكلفهم مالايطيقون) على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» لأن نظافة الفم والأسنان مما يعلق بها من الطعام والتي تسبب بتفسخها من روائح كريهة وتسويس للأسنان. فهذا الحديث دعوة للنظافة العامة لكل المسلمين.

٢٥ ـ الحديث رقم (٢٧٨) مسلسل (٨٧): عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لايدري أين باتت يده»

هذه دعوة واضحة للنظافة العامة من النجاسات كلها. وكلها كما هو واضح من الأمور التي يمكن لكل مسلم أن يدركها مع تطور الناس ومستواهم العلمي والثقافي مع الأيام، وكلها مواضيع يمكن إدراجها تحت الإحساس السليم لكل إنسان. (Common Sense) كما لاحظتم: أغلب الأحاديث التي بقيت لاتناقض القرآن الكريم هي الأحاديث التي لها علاقة مباشرة بمواضيع العبادات في الإسلام من صلاة وصوم وحج. والمواضيع التي تتعلق بالنظافة العامة من وضوء وغسل وطهارة التي ليس في تحريفها مصلحة مباشرة للسلطان وجنوده، بل لهم مصلحة كبيرة بالإبقاء عليها والتشجيع عليها لمصلحتهم أيضاً، وهي خلق عقلية الطاعة دون مناقشة والتي أسميها في هذا الكتاب بعقلية القطيع أو نموذج الخروف المأخوذ من كتب

أهل الكتاب أصلاً، وسوف أتطَرّق إلى هذا الموضوع بالتفصيل في بحث خاص أيضاً ضمن هذا الكتاب.

٢٦ ـ الحديث رقم (٣٦٣) مسلسل (١٠٠) من صحيح مسلم: عن ابن عباس قال: تُصُدِّق على مولاةٍ لميمونة بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ فقال:

(هلا أخذتم إهابها (جلدها) فدبغتموه فانتفعتم به فقالوا: إنها ميتة، فقال: «إنما حرّم أكلُها»..

وهذه تدخل تحت بند مايمكن إدراكه بالإحساس السليم العام لكل إنسان.

٢٧ ـ الحديث رقم (٤٨١) من صحيح البخاري: من أعظم الأحاديث التي تروى عن الرسول ﷺ وهو مايروى عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان (المرصوص ـ بحسب رواية أخرى) يشدّ بعضه بعضاً» وشبك أصابعه. والحديث أوضح من أن يشرح لأحد.

٢٨ ـ الحديث رقم (٣٩١) مسلسل (١٢٤) في صحيح مسلم: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة».

٢٩ ـ الحديث رقم (٤٥١) مسلسل (١٥٤): عن أبي قتادة عن أبيه قال: يبلغ عن رسول الله ﷺ:

«إذا استأذنت أحدُكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها».

تعقيب: هناك موضوع هام أريد أن أتطرق إليه في نهاية ذكري للأحاديث التي لاتناقض القرآن الكريم والمتعلقة بشكل عام أساساً بمواضيع الصلاة والزكاة والحج. لأنني تعرضت لانتقادات كثيرة من المسلمين أثناء المناقشات بأن الرسول ﷺ نهى عن رواية وكتابة حديثه وأكّدَ هو وصحابته دائماً بوجوب التمسك بالقرآن لأنه الأساس والأصل في الإسلام كلّه، فكانت حجة المنتقدين لوجهة نظري دائماً تتركز من وجهة نظرهم طبعاً حول السؤال التالي: لولا الأحاديث النبوية الشريفة كيف كان يمكن للمسلمين أن يعرفوا عدد الركعات في كل صلاة؟ ولولا الأحاديث كيف كان يمكنهم أن يعرفوا الحد الأدنى من الزكاة التي تساوي جزءاً من أربعين جزء؟ وهذه كلها من الفرائض غير الموجودة في القرآن الكريم؟

وتوضيحاً لهذا الالتباس أقول، وأضرب المثل التالي، ولله المثل الأعلى دائماً.

من منا ليس له قريب أو صاحب أو معرفة: أخرس - إن الخرسان لاينطقون لأنهم لايسمعون أصلاً، فهل يمنع الأخرس كإنسان عنده باقي المدارك وكلها سليمة من التعليم لأي مهنة، أو أن لايفهم مايدور حوله من السياسة، وألّا يكون مسلماً عارفاً لكل واجبات الإيمان والإسلام؟. طبعاً لا، والدليل هو الواقع الذي تشاهدونه مع جميع الخرسان.

إذاً قصدت من مثالي أن يعلم المسلم أن هناك وسائل أخرى لنقل المعلومات غير الرواية الكلامية. مثلاً:

الإسلام منذ أن هبط الوحي على سيدنا محمد وحتى اليوم لم ينقطع. أقصد لم يأت تاريخ أو فترة تاريخية انقطع فيها الإسلام عن الأرض ثم عاد المسلمين إلى إسلامهم من جديد، هذا يعني أن الإسلام متصل من يوم الرسول إلى اليوم.

وهذا يعني لو فكرنا فيه أن الذين شاهدوا بأعينهم الرسول ﷺ كيف كان يصلي وكيف كان يتوضأ وكيف كان يصوم وكيف كان يفطر وكيف كان يحج لم ينقطعوا أبداً.

بمعنى أنه لو مَنَعَ الرسول ﷺ الكلام حول هذه المواضيع بتاتاً وترك نقلها بالتقليد المباشر للناس كما يفعل الأخرس الذي يتعلم بالتقليد، لوصلت إلينا طريقة الوضوء والصلاة والحج والصوم من دون أي نقص عليه. فالرواية هنا غير ضرورية على الإطلاق.

وهناك موضوع آخر مهم أريد أن أشير إليه وهو موضوع سبق وتعرضت إليه في كتابي الأول «إنذار من السماء».

إن الله سبحانه الصادق فيما قال لنا جميعاً والذي لانستطيع أن نشك في صدقه مطلقاً، والذي لاينسى ولايسهو ولاينام ولايستريح وليست له صفات من صفاتنا الغانية. قال لنا في كتابه العزيز:

﴿مافرّطنا في الكتابِ من شيءٍ﴾ ٣٨ - الأنعام.

هذا معناه للذي يفهم القرآن أن الله سبحانه لم يترك موضوعاً هاماً يخصّ الإنسان في دينه ودنياه وحياته وعمله في الإسلام إلا وذكره الله في ذلك الكتاب، ولكن الفرق يحصل في تفاوت الناس واستعداداتهم ومابذلوه من جهد في سبيل تحصيل مقاصد الله في القرآن الكريم.

ولذلك فإذا كنا نؤمن بالله يقيناً لامزعزع له، ونؤمن بأننا فهمنا معنى الأية الكريمة السابقة فهذا يدخلنا إلى يقين جديد بأن الله سبحانه وتعالى قد أجاب فعلاً على تساؤل المسلمين واعتراضهم السابق باعتراض وجيه ومقبول. وقولهم: كما ذكرت:

كيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا عدد ركعات الصلوات، وكيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا الحد الأدنى من الزكاة، لأن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن هذين الموضوعين أي شيء في القرآن الكريم فعلاً. وانطلاقاً من إيماني بصدق الله وكتابه بدأت البحث في آيات القرآن لاعتقادي الجازم أن الجواب على هذا السؤال الهام لابد موجود هناك، وإن لم يتعرف عليه أحد حتى الآن.

ومن جملة المحاولات أذكر لكم المحاولة الناجحة التالية:

قمت بجرد لكل الآيات القرآنية التي تتطرق لموضوع الطاعة لله وللرسول:

فماذا وجدت؟

أولاً: استخرجت كل الآيات التي فيها التعبير بالشكل التالي:

(وأطيعو الله وأطيعو الرسول)

﴿ومن يُطع الله ورسوله يُدخِله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ ١٣ ـ النساء.

﴿ومن يُطع الله ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾ ٧١ ـ الأحزاب.

﴿يا أيها الذين آمنوا أَطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ﴾ ٥٩ ـ النساء.

فوجدت عدد الآيات من نفس هذه النوعية والنموذج تسع عشر آية.

فيها إطاعة الله مع إطاعة الرسول دائماً، ثم وجدت آية أخرى منفردة لوحدها في سورة النور حيث وردت شاذة عن تلك القاعدة العامة في كل القرآن الكريم. وهي:

﴿وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطيعوا الرسولَ لعلّكم ترحمون﴾ ٥٦ ـ النور.

قلنا: إن الله لاينسى وإن الله لايسهو، وإن الله لايخطىء.. ومعنى ذلك أن الأمر مقصود من الله تعالى، فإلى ماذا يرمي الله بهذه الآية بالذات؟

عدت وبحثت في موضوع الآية فوجدتها تتعلق بموضوع محدد وهو الصلاة والزكاة.

وحتى أفهم السرّ عدت أبحث في آيات القرآن عن صفات الرسول في القرآن.

ماذا قال الله لنا من صفات مهمة نسيناها نحن المسلمين جميعاً.

لقد قال لنا الله الآية التالية:

﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ماعَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾ ١٢٨ - التوبة.

وإذا فهمنا معنى العنت وهو من المعانته مثل المعاندة لكنها أبلغ لأن الموضوع الذي يعاند فيه الإنسان هنا يدخل فيه عامل الخوف من الهلاك. أي أن الإنسان الذي يعاند في رأي، ضررُهُ في النهاية بسيط، غير الذي يعانت في موضوع فيه خطر كبيرعلى الإنسان في الدنيا أو في الآخرةأو الاثنين معاً.

بعدها تصبح الآية مفهومة جداً، فالرسول إذاً بحسب علم الله حريص على إيمان المسلمين وعلى عدم تعريضهم للهلاك بسبب عنتهم وجهلهم، وهو في النهاية رؤوف رحيم بالمؤمنين جميعاً. وهذه صفة لأول مرة يطلقها الله على عبد من عباده من يوم آدم وحتى آخر أنبياءه ورسله هنا تتوضح المعاني أن الله سبحانه وتعالى الذي يدرك مدى حرص الرسول ومدى رحمته للمؤمنين ويعلم بالتالي مايطيقون ومالايطيقون فيشاء رب العالمين بأن يكرم رسوله الكريم بميزة خاصة ويعطيه الفرصة له وحده، أن يقرر ويحدد عدد الركعات في كل صلاة من الصلوات الخمس التي سبق وقررت في آيات القرآن الكريم، وقد بينت مواضعها في كتابي السابق فلا داعي لشرحها وتبيانها مرة أخرى.

وكذلك سمح لرسوله بأن يقرر نسبة الحدّ الأدنى من الزكاة. أمّا مانقرؤه في أحاديث الإسراء والمعراج عن الطريقة التي يشرح فيها راوٍ حاقد من المنافقين يتستر بالجبة والقفطان ليسيء للإسلام ولسيد المرسلين بحديث لاّ أحب أن أعلق عليه كثيراً، يكفي أن أذكرها كما وردت والقارىء حر بعد ذلك بأن يحكم بما يشاء بعد قراءته. وبعد التحديد لم يعد للرواية أو للكتابة من ضرورة كما شرحت. فإن المسلمين سوف يعلمونها بالتواتر لأن الدين متصل وغير منقطع.

وقبل أن أنهي هذا الموضوع أحب أن أضيف إلى ماقلته سابقاً أن الله سبحانه وتعالى دقيق جداً في القرآن الكريم وحتى لايفهم بعض الناس مما قلته وشرحته أن الرسول ﷺ أصبح هو المسؤول تماماً في كل الأمور المتعلقة بالصلاة والزكاة ولم يعد لله سبحانه حق التدخل فيها. وحتى لايقع أي مسلم في سوء للفهم من مثل هذا النوع، فقد ذكر الله آيتين مماثلتين عن الصلاة والزكاة، ولكن هذه المرة باسم الله والرسول معاً وليس باسم الرسول لوحده وهما الآيتان:

﴿فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطِيعوا الله والرسولَ﴾ ١٣ ـ المجادلة.

﴿وأقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ وأطِعْنَ الله ورسولَه﴾ ٣٣ ـ الأحزاب.

وهكذا نكون قد غطينا هذا الموضوع بفضل الله تعالى:

﴿ومن الناسِ مَن يُجادِل في الله بغيرِ علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير﴾ ٢٠ ـ لقمان.

صدق الله العظيم

الفصل الثاني

الأحاديث التي يناقض متنها معاني آيات القرآن الكريم

كان الصحابة قبل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً كلهم في حزب الرحمن، لم تفتنهم الدنيا بعد، ولم تغرهم مغريات الدنيا التي لوّح بها في وجههم بعض أصحاب المصلحة من أصحاب السلطة في تاريخ المسلمين، فكانوا مايزالون في طاعة الله والرسول.

١ - ثم في الحديث رقم (٧٢٧٧) من صحيح البخاري: أخبرنا عمر بن مرّة سمعت مُرّة الهمداني يقول: قال عبد الله؟؟؟ إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وإن ماتوعدون لآتٍ وماأنتم بمعجزين.

لاحظوا: يحاول الراوي أن يخلط الصحيح بالمفترى على الله، والصحيح الذي لايمكن تكذيبه هو أن أحسن الحديث كتاب الله، ولكن أحسن الهدي أيضاً هو هدي محمد فليس في كل القرآن إشارة إلى وجود هدي خاص لمحمد أبداً، وإنما محمدٌ النبي الأمّيّ يدعو المسلمين إلى هدي الله وليس إلى هدي آخر خاص به أبداً، لذلك يقول سبحانه مشيراً إلى آيات القرآن الكريم:

﴿ذلك الكتابُ لاريبَ فيه هدى للمتقين﴾ ٢ - البقرة.

﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم﴾ ١٠١ - آل عمران.

وآيات الهداية والهدي أكثر من أن تحصى في كتاب الله وللاختصار أبدأ بالآية الكريمة التالية، موجهاً كلامه سبحانه للرسول محمد ﷺ مباشرةً ليبين لنا بعدم وجود هدي له خاص، وإنما الهدي كله لله تعالى ومحصور بكتاب الله:

﴿ليسَ عليكَ هداهُم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ - البقرة.

لكن بعض علماء السوء من أتباع بعض السلاطين كانوا يرغبون أن يخلقوا في عقلية المسلمين هدياً خاصاً بمحمد رسول الله ﷺ. دون أن يشيروا طبعاً إلى أن هذا العمل

نوع من أنواع الإشراك بالله، ولكن هكذا تكون الأمور عندما تميل النفس مع هواها وتتبع الشياطين بدل اتباع الرحمن.

٢ ـ الحديث رقم (٧٣٤٩) في صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«يؤتى بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم يارب فتُسأل أمته هل بلغكم فيقولون: ماجاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول محمد وأمته. فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ: وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً. قال عدلاً ﴿لتكونوا شهداءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عَليكم شهيداً﴾ ١٤٣ ـ البقرة.

أولاً: هذا الموضوع طالما لازال في القادم من الأيام فلا زال في غيب الله، والذي في غيب الله لايعلمه إلا الله بدليل كل آيات الغيب في القرآن علماً أن للرسول حديثاً أيضاً يقول فيه إن مفاتيح الغيب خمسة ولايعلمها إلا الله ويعدد منها كل ماهو قادم في المستقبل لازال في غيب الله فكيف يسمح هذا الراوي بأن يخوض في موضوع غيب الله مناقضاً القرآن وحديث الرسول نفسه؟

٣ ـ الحديث رقم (٧٣٢١) في صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟؟ قال: قال النبي ﷺ:

«ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها» وربما قال سفيان من دمها لأنه أول من سن القتل»

هذا الحديث يناقض القرآن الكريم، لأن الذي خلق الإنسان وخلق فيه الاستعداد للخير والشر وخلق الشيطان هو الله، لكن الخير من الله والشر هو من أنفسنا أو من الشيطان، فإذا قتل الإنسان الأول يتحمل مسؤولية عمله لوحده، أما تحميله مسؤولية سن القتل ليس من حقنا، لأن الذي جعل القابلية والإمكانية للإنسان أن يقتل هو الله سبحانه وتعالى والله لن يُحمّل عبداً له مسؤولية عن موضوع لم يكن مسؤولاً عنه أساساً، ولذلك قال الله في القرآن الكريم:

﴿ولاتكسب كلُّ نفسٍ إلا عليها ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى﴾ ١٦٤ ـ الأنعام.

والمعنى واضح، أن كل نفس مستقلة ومسؤولة عن نفسها فقط، ولا تسأل نفس عمّا فعلت نفس أخرى، وهكذا نجد أن الحديث يناقض نص الآية جملة وتفصيلاً.

ولايعقل للرسول أن يناقض ربّه، ولو فعل لصحّح له فوراً، لأنه كان تحت عناية ربه

المباشرة في كل أفعاله وتصرفاته، عبس للأعمى فعاتبه ربّه فوراً، حرّم على نفسه شرب العسل، فصحح له ربه فوراً، صلى على أحد المنافقين فنهاه ربه فوراً ولو ناقض ربّه في حديث يناقض القرآن لصحّح له ربّه فوراً أيضاً.

إذاً بكل بساطة: هذا الحديث ليس من كلام الرسول على الإطلاق بل مفترى عليه.

٤ ـ الحديث رقم (٦٩٩٦) في صحيح البخاري: عن أبي قتاده قال النبي ﷺ:

«من رآني فقد رأى الحق» تابعه يونس وابن أخي الزهري.

أولاًمعنى الحق وهو أحد أسماء الله الحسنى بأنه الله.

أي «من رآني فقد رأى الله».

وهذا منقول عن كتاب الإنجيل، حيث في بعض الأناجيل المحرفة لأهل الكتاب (إنجيل يوحنا) عبارة على لسان عيسى بن مريم يقول فيها (من رآني فقد رأى الآب) والآب هو الله سبحانه وهي من أحد العبارات التي استند عليها رجال الكنيسة عندما قرروا تأليهه، أقصد المسيح. فقالوا: إن المسيح والله واحد وهذا إشراك واضح لأهل الكتاب، فكيف نأتي نحن أيضاً فوق كل تنبيهات الله عن الإشراك ثم نضع نفس عبارة أهل الكتاب على لسان الرسول؟ هذا كفر والعياذ بالله. فإن الذي رأى محمداً ﷺ لم ير الله حتماً وهذا أكيد. ولايعقل أن يقول الرسول ﷺ هذا الكلام المناقض لكل دينه ومبادئه التي أتى للتبليغ عنها.

٥ ـ الحديث رقم (٦٦٧٥) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال:

الكبائر: «الإشراك بالله. وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». هنا في الحديث الكبائر أربعة بينما الكبائر في القرآن عشرة أنقص منها الراوي ستة وهي:

١ ـ الإجهاض. ٢ ـ الفواحش ماظهر منها ومابطن (الزني، اللواط، وهي من الفواحش الظاهرة واللواط بالمرأة من الدبر، من الفواحش الباطنة، لأنه لايشعر به إلا الزوجين). ٣ ـ أكل مال اليتيم. ٤ ـ الغش بالكيل والميزان في البيع. ٥ ـ الكذب والخيانة. ٦ ـ التفرق عن سبيل الله تعالى المذكور في القرآن الكريم. على أنها من الكبائر العشرة والنصح بعدم ترك سبيل الله على أنها إحدى وصايا الرحمن، أغلب المسلمين اليوم قد وقعوا في جناية هذا الإثم الكبير بالتفرق. سبل مختلفة ورواية الحديث المنسوب للرسول الكريم على أنه تنبأ لنا بأننا سوف نتفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة وطائفة هذا لايعفي المسلمين

من المسؤولية الكبيرة التي وقع فيها غالبية المسلمين فكل الطوائف على الإطلاق وكل الفرق الإسلامية الحالية خرجت عن سبيل الله الواحد بدليل أنها تركت كتاب الله والمفروض أن تتمسك به بأيديها وأسنانها ولكن مع الأسف لم يبق من المتمسكين به إلا القليل النادر.

٦ ـ الحديث رقم (٣٤٦١) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال:

«بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عني بني إسرائيل ولا حرج. ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ـ في شرح الحديث رقم (٣٤٦١) من صحيح البخاري:

أما أن نفهمها بتبليغ أحاديث خاصة بالرسول محمد ﷺ على أنها أصبحت آيات لله بأمر من أصحاب المصلحة ومساعديهم هنا دخل الغش وفتح باب للشيطان حتى يفتننا عن ديننا الصحيح ويجرنا بشتي الوسائل نحو الأهواء ورغبات النفس بدافع من أصحاب السلطة والمصلحة في الأمة من المتزعمين والمتصدرين والممسكين بزمام الأمور الذين قرروا تعديل دين الله بما يتماشى مع مصالحهم الدنيوية بأقوال ينسبونها ظلماً وبهتاناً للرسول محمد ﷺ على أحاديث كانت صحيحة قبل ذلك فيضيفون هنا ويحذفون هناك كما تقتضي مصلحتهم الآنية. حتى صار للمسلمين دينٌ خاصٌ في دين الحديث يختلف عن الدين الحقيقي الذي أتى به الرسول الأمين من ربه وبلغه وكتبه كَتَبَةُ الوحي حرفاً بحرف.

لهذا قلت عن هذا الدين دين السلطان لأنه دين شكَّلَهُ أَصحاب المصلحة بعد أن حرفوا الدين كله للجهة التي يرغبونها متجاهلين كل أوامر الله والرسول الكريم الموجودة في كتاب الله وهكذا يفعل كل طواغيت الأرض الذين يستكبرون في الأرض ويريدون أن يُعبدوا ويُطاعوا في الأرض بدل أن يعبد الناس الله ويطيعوه وحده.

فالرسول ﷺ عندما قال بلغوا عني ولو آية كان يقصد بهذا الأمر الدائم الموجه لكل المسلمين من الرسول وهو أيضاًأمر دائم من الله في آيات كثيرة أن يشارك كل المسلمين في عملية الجهاد السلمي في الإسلام بتبليغ رسالة الإسلام للعالمين حرّفها أصحاب المصلحة أن الرسول قصد أن نبلغ حديثه هو وليس حديث الله الذي في كتابه. وهذا الفهم حتى لايظنه القارىء الكريم بأنه مني يجب أن أضرب عليه مثلاً فأبيّن أن جنود

السلاطين هم الذين ساهموا للترويج لهذه الفكرة ولا أستبعد أن تكون مكذوبة حتى على الصحابة الذين نسبوا لهم مثل هذه الأحاديث.

ـ الحديث رقم (٢٤٩٢) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: (في حديث طويل لايهمنا إلا القسم الأخير منه):

«ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ماحدثت شيئاً أبداً: ﴿إن الذين يكتمونَ ماأَنزلنا من البَيِّناتِ والهُدى من بعدِ مابيّناه للناسِ في الكتابِ أولئكَ يلعَنُهم اللهُ ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا واصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوابُ الرحيم﴾ ١٥٩-١٦٠-البقرة.

ببساطة يقول لنا الراوي على لسان أبو هريرة بأنه ماحدّث به في أحاديثه كلها والبالغة ٥٣٧٤ حديثاً وقد تكون أغلبها من تأليف وافتراء بعض المغرضين كذباً عليه بأن كل تلك الأحاديث كانت تبليغاً منه لآيات الله التي زعم نفس الرواة أن أبا هريرة كان يجمعها في ثوبه ويضمها إلى صدره فلا ينسى منها شيئاً. وهنا لابد أن يتساءل المسلم الواعي لماذا يجب أن يفترض صحوة ضمير أبو هريرة هذه الصحوة المباركة ولم يصحو مثلها ضمير الصحابة الكرام أمثال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلم يبلغوا ماسمعوا من الرسول من تلك الأحاديث بل نجد أن الناس والرواة هم الذين يروون الأحاديث وينسبونها إليهم فهم لم يرووا الأحاديث بأنفسهم، وكما أنهم لم يكتبوا حديثاً واحداً عن الرسول الكريم مع أنهم جميعاً يلمون بالقراءة والكتابة. أسئلة كثيرة لابد أن يوجهها المسلم إلى نفسه قبل أن يتسرع ويحكم بوجود وصي ثاني لله وكتاب ثانٍ لرب العالمين اسمه الحكمة بحسب إجماع علماء السنة.

ثم أنتقل للفقرة الثانية من الحديث:

«حدثوا عن بَني إسرائيلَ ولا حَرَجْ»

وكانت هذه أمنية السلطان وجنوده لأن كل مايشتهيه السلطان ومايريد تحقيقه وبلوغه على الأرض مسجل وجاهز في كتب أهل الكتاب بما حرفه سلاطينهم قبل وصول السلطة لسلاطين المسلمين في التاريخ.

(ومن كَذَب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

وقد شرحت قبل ذلك، وأقول هنا باختصار: إن الصحيح من هذا الحديث والذي لايناقض القرآن هو (ومن كذب علي فليتبوأمقعده من النار).

لأنه ليس في الإسلام كذب متعدّد الأسباب، لأن كل الكذب وهم لاحقيقة له، وإدخال الوهم في دين الحق إشراك لاجدال فيه، وهو كبيرة من الكبائر العشرة.

وكل مَنْ يتخيّل بالسماح من الرسول بالكذب الأبيض من أجل الإصلاح وهمٌ لاوجود له لأن الإصلاح الذي يتم على الكذب لادوام له والإصلاح يجب أن يتم على الحقائق وليس على الأوهام أبداً. هذه هي قاعدة الإسلام لمن أراد أن يفهم الإسلام الصحيح. وإضافة كلمة (متعمداً) على هذا الحديث فتحت كل الأبواب لكل من له رغبة في التأليف والافتراء على الرسول، حتى إذا اكتشفنا يوماً أحد الكاذبين على الرسول ﷺ وسألناه لماذا تكذب على الله والرسول؟ لأجابنا ببساطة، أنا لا أكذب عليهما بل إني أكذب لهما ولمصلحتهما ولمصلحة إقامة الدين ووعظ الناس، والترهيب والترغيب.

وهكذا نجد كيف أنّ حديثاً واحداً، مثل هذا الحديث، يعمل كالمعول في الهدم، وكل تلك المعاول هي التي قَوَّضَتْ رسالة الإسلام وأفرغته من الداخل حتى أصبحت كالشجرة المنخورة، لها شكل خارجي ولم يعد لهذا الشكل من حقيقة ووجود، لأن كل صفات الشجرة السابقة من صلابة ومتانة وقوة أفرغت كلها من الداخل، ولم يبق منها شيء إلا المظهر. فضاعت قوة الإسلام كعقيدة جامعة وموحّدة وعقيدة مقوّية للفرد والأسرة التي هي أساس بناء كل المجتمعات الإنسانية وقوتها.

لاحظوا الحديث التالي، كيف يستغل السلطان الأحاديث التي تروى باسم الرسول ويجعلها باسمه على أساس أن السلطان خليفة للرسول وولي أمر المسلمين من بعده:

٧ ـ الحديث رقم (٥١٣٥) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وقالت: إني وهبت لَكَ من نفسي (أي أنها وهبت نفسها للرسول ﷺ كي تصبح زوجه له بحسب الآية القرآنية. ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسَها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة من دون المؤمنين﴾ ٥٠ـ الأحزاب. وواضح من معنى الآية الكريمة بأن موضوع الآية كلها خاص بالرسول ﷺ وحده ومن دون باقي المؤمنين لكن السلطان وجنوده يريدون إيجاد قاعدة جديدة في إسلامهم وهي أنَّ التي تعرض نفسها على السلطان تصبح ملك يمينه، يتصرف بها كما يشاء بحسب ماحَرَّف الراوي القصة الملفقة باسم الرسول ﷺ في هذا الحديث).

إليكم الرواية بشكل مفصل في الحديث التالي:

٨ ـ الحديث رقم (٥١٢٦) في صحيح البخاري: حدثنا يعقوب حتى يصل إلى سهل بن

سعد: أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله. جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه. (كنايةً عن أن الرسول دقق النظر فيها بدقة المتأمل الفاحص ولما لم تعجبه طأطأرأسه إعراباًعن عدم حصول القبول لديه)فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله: إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها. فقال: «وهل عندك من شيء» قال: لا والله يارسول الله (الرجل مفلس) قال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً. فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله (كذلك أهله مفلسون) ماوجدت شيئاً. قال (انظر ولو خاتماً من حديد. فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله! ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزاري. قال سهل ماله رداء. فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: ماتصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبِسَتهُ لم يكن عليك شيء». فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولّياً فأمر به فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟»(أي ماذا تحفظ من آيات الله في القرآن الكريم) قال معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا. عددها. قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم. قال: «اذهب فقد ملّكتَكَها بما معك من القرآن» وحتى تصدقوا أن العملية كانت عملية بيع وشراء فقد أكدها الراوي يعقوب في النهاية بآخر عبارة (فقد ملّكتَكَها) أي أصبحت ملك يمينه وليست زوجة. (إن المنافقين قد ضحكوا حتى شبعوا ضحكاً علينا ونحن لانزال نعتقد أنهم كانوا يضحكون استحساناً بنا وبعقولنا وبفهمنا وعمق إدراكنا وقوة ملاحظتنا بدليل أنه لم تكن تخفى علينا خافية). ثم يضعون باباً بعد ذلك تحت عنوان جديد اسمه: باب (السلطان وليّ) فنجد بعد ذلك نفس الحديث قد ورد تحت باب خاص في صحيح البخاري اسمه باب (السلطان ولي). أي أن السلطان أصبح ولي النساء في الإسلام وهو الذي بدأيشرع لهن حقوقهن أو يحرمهن حقوق الله.

المهم في الحديث السابق أن نلاحظ كيف بدأ السلطان وجنوده ينظرون للمرأة بعد أن سلبوا منها إنسانيتها فبدأوا ينظرون إليها على أنها شيء من أشياء وأملاك الرجل فبدأت تظهر معاملة المرأة في دين السلطان.. (أقصد الدين الذي أخرجه جنود السلطان بالأحاديث المنسوبة ظلماً وبهتاناً للرسول الكريم) بعيداً عن عدالة الله ونظرة الحق التي يحس بها الإنسان. وهو يقرأ آيات القرآن الكريم، هذه الروح لم تعد موجودة هنا في هذا الدين الجديد الذي بين أيدينا، ونقرأ فيها آيات السلطان وجنوده، بعد أن استبعدوا القرآن الكريم.

دعونا نسأل سؤالاً مباشراً وبسيطاً هنا؟

هل سمعتم في كل ماقرآناه من نص الحديث السابق بصوت المرأة إلا وهي تهب نفسها أول مادخلت إلى المشهد فانتقلت كل حقوقها بعدها بالكامل وأصبحت بعدها ملكاً للسلطان الذي بدأ يبيع فيها ويشتري باسم الرسول، ولكنه يتصرف ويتكلم كالسلطان وليس كالرسول محمد ﷺ أبداً ولا بأخلاقه. هل سمعتم سؤالاً واحد وُجّهَ للمرأة مثل: مارأيك في هذا الشاب الذي تقدم يخطبك مني ياامرأة؟ أو أي سؤال يشعر هذه المرأة بوجودها كإنسان أو كنفس بشرية أو سؤالاً: هل تقبلين بخاتم من حديد ليكون مهرك في هذا الزواج؟ أليس لها رأي في نفسها؟ علماً أن المشهد مأساوي كله حيث تهدر حقوق المرأة باسم الإسلام وعلى لسان أشرف خلق الله محمد رسول الله بما لايمكن أن يحصل من الأساس، لأننا كما قرأنا في الآية الكريمة أنّ موضوع الهبة كانت خاصة بالرسول ﷺ وحده، دون باقي المؤمنين، وعملية الهبة إن حصلت من امرأة وقالت: إنها تهب نفسها للرسول لتصبح زوجته فالله قد خيّره إما أن يقبلها أو لايقبلها، ولكنها لم تصبح عبدة عنده. كما قرأناه فى حديث يعقوب قبل قليل. لنستعرض الآية القرآنية من جديد:

﴿يا أيها النبيّ إنّا أحلَلنا لك أزواجَك اللاتي آتيتَ أجورهنَّ وماملكَت يمينُك ممّا أفاء الله عليكَ وبنات عمّك وبنات عمّاتِك وبنات خالِك وبناتِ خالاتك اللاتي هاجرنَ معك وامرأة مؤمنةً إن وهبَت نفسها للنبيّ إن أراد النبيُّ أن يستنكحَها خالصةً لك من دون المؤمنين قد عَلمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وماملكَت أيمانُهم لكيلا يكونَ عليك حرجٌ وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ٥٠ـ الأحزاب.

هذه الآية خاصة بالنبي محمد ﷺ يبين الله له فيها حقوقه المتعلقة بالزواج ويبين الله بأنها خاصة ولا علاقة لها بالمؤمنين الباقين من صحابة الرسول أو التابعين، ويبين الله في نفس الآية أن للمؤمنين حقوقهم التي بينها الله أيضاً في القرآن الكريم بقوله:

﴿قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكَت إيمانهم﴾ أي أنه أصبح معلوماً في آيات سابقاتٍ من القرآن الكريم، حقوق المؤمنين في الزواج.

وهذه الآية لاتعطي للرسول أو لغيره الحق بأن يتصرف بحق من حقوق المرأة التي وضحتها في هذا الكتاب مستنداً للقرآن وآياته فقط في بحث خاص اسمه حقوق المرأة في إسلام القرآن.

٩ ـ الحديث رقم (٤٦٦١) في صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: «هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهراً للأموال».

مع الأسف الشديد بعد أن هجرنا كمسلمين كتاب الله وجعلناه كتاباًخاصاً بالأموات والجنازات وللقراءة على من في القبور، وبعد أن كان في بداية الأمر دستوراً وقانوناً يتدبره المؤمنين في شؤون حياتهم الفردية والجماعية وعلاقتهم الفردية والجماعية وفي فهم شؤون دنياهم وآخرتهم معاً. ثم حل محلّه ما اكتتبه جنود السلطان من أحاديث وضعت باسم الرسول منفذة رغبات السلطان. فنسينا مافي القرآن من آيات فأصبحنا إذا قرأنا آية لم نعد نعرف أن نصل إلى معناها رغم أنها واضحةٌ لو بذلنا جهدنا للفهم أكثر بقليل. ليس في القرآن آية واحدة تشير إلى أن الزكاة طهر للأموال، وليس في القرآن آية تقول بوجود أموال قذرة وأموال نظيفة لكنها موجودة فعلاً في آيات السلطان المناقضة دائماً للقرآن، ولو كانت من الرسول محمد ﷺ لما ناقضت كتابه الذي أتى به ليبلغه للناس بل لطابقته تمام التطابق.

مثلاً إذا نظرنا في الحديث رقم (١٠٧٢) من صحيح مسلم: عن عبد المطلب بن ربيعة في حديث طويل عن الرسول يقول فيه بلسانه:

«إن الصدقة لاتنبغي لآل محمد. إنما هي أوساخ الناس».

بينما إذا بحثنا في القرآن وآياته سوف نفاجأ بأن الزكاة دائماًتزكية للنفوس وليس للأموال كما نعتقد، لأن كل عقيدتنا أصلها ماكتبه جنود السلطان فقط. ومن شاء أن يعود لآيات القرآن للتأكد فله ذلك، ولكني سوف أذكر شهادة بآية واحدة تبين هذا الموضوع بوضوح تام:

﴿خذ من أموالِهِم صَدَقَةً تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾ ١٠٣ ـ التوبة.

ولو كان الله يقصد تزكية الأموال وليس النفوس لقال له:

خذ من أموالهم صدقةً تطهرها وتزكيها، حتى يعود الضمير على الأموال وليس على نفوس المسلمين، ومثل هذه الأمثلة كثيرة في آيات القرآن، لكن حتى علمائنا نسوا ماذا قال لهم الله في القرآن أصلاًبعد أن استُحفِظُوا آيات السلطان أولاً.

١٠ ـ الحديث رقم (٤٧١٩) : عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع النداء «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً

الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة».
إنّ الرسول ﷺ (بحسب آيات القرآن الكريم طبعاً) يعلم أنه لاشفيع عند الله أبداً بحسب الآيات التي أتى بها من عند الله تعالى وحياً في كتاب القرآن الكريم، فكيف يريدنا الراوي أن نصدقه ونصدق روايته بأن الرسول ﷺ يدّعي لنفسه شفاعةً، ونكذّب كل آيات الله في القرآن والتي تتعلق بالشفاعة مثل الآيات التالية:

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ٢٥٥ - البقرة.

رب العالمين يتحدى كل مخلوقاته من الجن والإنس والملائكة ويقول لهم من هو الذي يدعي لنفسه الشفاعة وأنا لم أعلن اسمه صراحة في آية ضمن كتاب ثبت أنه غير محرف من قبل الناس. أروني واحداً فقط.

هذا التحدي، معناه: أنه ليس لمثل هذا المدعي من وجود حقيقي إلّا أن يكون وجوداً كاذباً بالادّعاء. والآية تعود وتكذّب كلّ ادعاء.

﴿أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ يومٌ لابيع فيه ولا خلّة ولاشفاعة﴾ ٢٥٤ - البقرة.

هذه الآية تؤكد أن ذلك اليوم لاشفاعة فيه أصلاً لأحد.

لأن مبدأ الشفاعة يناقض مبدأالعدالة، إذا فكرنا فيها، لأنه إذا وجدت الشفاعة أصبحت الآية التالية:

﴿إن الله لايظلم مثقال ذرة﴾ ٤٠ - النساء.

غير صحيحة، ولكن كيف؟

لو فرضنا أن (س) من الناس كفردٍ.

أو (س) من الناس كأمةٍ.

وَجَدَ من يشفع له كفرد أو يشفع لها كأمة فدخل هذا الإنسان أو دخلت تلك الأمة إلى الجنة بفضل تلك الشفاعة.

ولو فرضنا أن ع من الناس كفرد.

أو (ع) من الناس كأمة.

لم تجد من يشفع لها فدخلت النار كأمة أو دخل الإنسان للنار، لحصل ظلم ليس بذرةٍ واحدة ولكن بالقناطير المقنطرة.

ولذا واستناداً للآية التي تشير إلى أن الله سبحانه لايظلم مثقال ذرة يصبح معنى الآية: ﴿أنفقوا مّمّا رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لابيع فيه ولا خلّة ولاشفاعة﴾ بأنه لاشفاعة إلا لله، وضمن مقاييس عدله الإلهي وحده لاشريك له. لقد كان إشراك العرب في الجاهلية قبل الإسلام مباشرة بالشفاعة أصلاً لأنهم كانوا يؤمنون بالله وبوحدانيته، ولكنهم كانوا يؤمنون بوجود شفعاء لله يتقربون بواسطتها لله سبحانه فنعود نحن المسلمين بعد أن كرمنا الله سبحانه بالإيمان بالله وحده ولا شريك له فنعود ونشرك:

مع كتاب الله كتاباً آخر.

ومع هدي الله هدياً آخر.

ومع سنة الله سنة أخرى.

ومع حديث الله حديثاً آخر.

ومع كلام الله كلاماً آخر.

ومع شفاعة الله شفيعاً آخر.

نكون بذلك قد سبقنا مشركي مكة وتقدمنا عليهم كثيراً في موضوع الإشراك بمراحل كبيرة.

١١ ـ الحديث رقم (٦٥٥٧) في صحيح البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال:

«يقول الله تعالى لأَهوَنِ أَهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك مافي الأرض من شيء أكنت تَفتَدَي به؟ فيقول: نعم فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي».

أولاً علماء السنة عندنا يعتبرون هذا الحديث من الأحاديث القدسية، أي وحي من السماء مثله مثل القرآن تماماً.

مع الأسف لكل علماء السنة فإن هذا الكلام مناقض للقرآن الكريم وآياته، والدليل آية حقيقية من القرآن شاهدة على أن هذا الحديث كله لا أساس له في دين الله أبداً. والآية هي التالية:

﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورِهِم ذرّيتهم وأشهَدَهُم على أنفسِهم ألستُ بربّكم قالو بلى شَهِدنا﴾ ١٧٢ ـ الأعراف.

نص الآية صريح، وهو أمامكم ويشهد أن الجميع شهد بالله وقال بلى، وهذا حدث بقوة الخلق لأن الذرية وهي في ظهر آدم وبنيه من الناس مازالت تحت إرادة الله وتصرفه ولم يجعل فيهم الله بعد العقل والفكر وحرية الإرادة والاختيار للرحمن أو للشيطان بعد. فصار المعنى أن الله سبحانه خلق الإنسان وفيه بذرة الإيمان والتوحيد لله بقوة الخلق كفطرة، وبحيث نستطيع أن نقول: إن الإنسان مفطور على التوحيد والإيمان بالله، هذا إذا ترك الإنسان لفطرته، ولكن إذا تدخل الأهل وكانوا قد انحرفوا عن الحق كالمجوس أو اليهود بعد أن انحرفوا عن الإيمان والتوحيد فجعلوا ابنهم بالتربية وأسلوب التعليم الخاطئين ينحرف أيضاًويتبع دين آبائه بدل أن يتبع الحق والنور كما نجد في صحيح مسلم، الحديث رقم (٣٨٢) إشارة من جزء من حديث يقول فيه: «فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر فقال رسول الله ﷺ «على الفطرة». فنظروا فإذا هو راعي معزىً».

وهذا دليل أن الرسول ﷺ فهم الآية الكريمة تماماً، وعلم أن فطرة الإيمان سابقة لولا تدخل الأهل بتعليم الإشراك للإنسان فيمجسونه أو يهودونه. لذلك فنص الحديث ـ علىَ أنه أبى إلا أن يشرك بالله ـ مناقض لنص الآية بشكل صريح ومناقض لفهم الرسول الكريم للآية كما رأيتم. ولو أن المسلمين كانوا يعرفون القرآن ويقرؤون آيات الله لما سيطرت عليهم هذه الروايات المشوهة وظنوها ديناً يجب اتباعه وعندهم القرآن ينتظر من يتبعه.

١٢ ـ الحديث رقم (٣٠٤٧) في صحيح البخاري: عن أبي جُحَيفَة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا في كتاب الله قال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، ماأعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن. ومافي هذه الصحيفة. قلت ومافي الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لايقتل مسلم بكافر».

هذا الحديث بالإضافة إلى أنه يناقض القرآن الكريم فهو حديث له مقاصد خبيثة يُراد بها الإساءة الشخصية لأحد أهم الشخصيات الإسلامية وهو علي بن أبي طالب أحد جنود الله الأبرار وأحد كبار المؤمنين من الذين يستحيل التشكيك في إيمانهم وصدقهم وهو من السابقين في الإسلام.

هذ الحديث تأتي مناقضته للقرآن من حيث أن المعلوم من قبل الجميع أن الله تعالى أمر الرسول الأمين بكتابة الوحي كله، ولو كان في القرآن نصاً أو خطأ لصححه الله تعالى

في وقته بواسطة جبريل، ولكن هذا لم يحصل، وبدل أن نجد تصحيحاً في القرآن نجد أن الله تعالى يشهد بأن القرآن كامل وغير منقوص في الآية التي نزلت من أواخر الآيات على رسولنا ونبينا محمد ﷺ في حجة الوداع أو بعده وفي أواخر حياته.

﴿اليوم أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾ ٣-المائدة.

وهذا دليل قاطع من الله تعالى على أن القرآن سُجّلَ كله كاملاً وتاماً من غير نقصان فيه ولو بحرف واحد، بعكس ماتدّعيه أحاديث كثيرة أشرت إليها في هذا الكتاب. والغريب أن الادعاء الثاني بنقص القرآن منسوب أيضاً لأحد أهم شخصيات الإسلام أيضاً هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي القرن العشرين يظهر أحد أهم إعجازات الله في كتابه وهو الإعجاز العددي الذي شرحته في الكتاب الأول، والذي يبين بالأرقام والأعداد التي لايمكن تكذيبها أبداً أن كتاب الله كامل لاينقصه حرف واحد ولايزيده كذلك حرف واحد، وسجّل توقيفاً كما أمر به أمين الوحي جبريل تماماً لدرجة تشهد لذلك ثلاثة شواهد ذكرتها سابقاً في الكتاب الأول وهي:

تسجيل كلمة بكّة بالباء بدل الميم.

وتسجيل كلمة بصط بالصاد بدل السين كما هو المفروض لغوياً.

وتسجيل إخوان لوط بدل قوم لوط المستخدمة في كتاب القرآن كله في الآيات المتعلقة بقوم لوط إلا في تلك الآية، وبينت أسباب ذلك وعلاقته بالإعجاز في أماكنها من الكتاب الأول (الإعجاز العددي في القرآن).

وهذا البحث يثبت بالدليل القاطع أن القرآن كامل وتام والحمد لله. فلو حدث ونقص فيه حرف أو زاد عدد أحرفه حرفاً واحداً لانكشفت تلك الزيادة أو النقصان في الإحصاء العددي.

وأحب أن أذكّر القارىء ببعض المعلومات عن ذلك الإحصاء:

فعدد سور القرآن مثلاً ١١٤ سورة ولنا منذ البداية أن نعلم أنَّ أول آية في القرآن الكريم هي (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي بالشكل الموجود في القرآن الكريم يتكون من تسعة عشر حرفاً والله سبحانه وتعالى جعل القرآن كله من مضاريب هذا الرقم بدون استثناء.

١١٤ \ ١٩ = ٦ دون باقٍ

وعدد آيات القرآن الكريم ٦١٥٦ \ ١٩ = ٣٢٤ دون باقٍ

وعدد كلمات القرآن الكريم

٧٧٨٤٣ \ ١٩ = ٤٠٩٧ دون باقٍ

وعدد أحرف القرآن

٣٣٠٧٣٣ \ ١٩ = ١٧٤٠٧ دون باقٍ

عدد كلمات الله في القرآن الكريم

٢٦٩٨ \ ١٩ = ١٤٢ دون باقٍ

عدد كلمات الحق في القرآن

٢٢٨ \ ١٩ = ١٢ دون باقٍ

عدد كلمات الآخرة ١١٤ \ ١٩ = ٦ دون باق

عدد كلمات الدنيا ١١٤ \ ١٩ = ٦

عدد كلمات الصراط ٣٨ \ ١٩ = ٢

عدد كلمات الصلاة ٧٦ \ ١٩ = ٤

عدد كلمات رب ١٥٢ \ ١٩ = ٨

عدد كلمات المعروف ٣٨ \ ١٩ = ٢

عدد مكررات (عمل صالحاً) ١٩ مرة

عدد كلمات عَمِلَ: من مكررات الرقم ١٩

عدد كلمات كَفَرَ: من مكررات الرقم ١٩

عدد كلمات نشاء: من مكررات الرقم ١٩

وأشياء كثيرة جداً يمكن أن يضيفها الإنسان كل يوم على هذا الإعجاز العددي الذي يمكن مشاهدته من كل الناس في كل يوم حتى من الذين لايعرفون العربية.

وهكذا نجد الله سبحانه وتعالى يشهد لصحة كتابه وتمامه وكماله وعدم زيادته ونقصانه بالإعجاز العددي، كما يمكن أن يرى تلك الشهادة كل من يبحث عنها في القرآن.

فمن يشهد للسلطان بمؤلفاته وافتراءاته على صحتها؟ وأين الإعجاز والدليل في كتاب السلطان؟

١٣ ـ الحديث رقم (٣،٤٢٣) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إنّ عفريتاً من الجن انفلت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حت تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (ربّ هب لي ملكاً لاينبغي لأحدٍ من بعدي) فرددته خاسئاً. إنَّ الذي أتى بالقرآن وبآياته وكلماته من الله سبحانه ونطقها بلسانه صدقاً وسجلها كتبة الوحي بالأمانة، كان هو الرسول الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه.

فكيف يناقض الرسول نفسه وهو الذي أتانا بالعلم الصحيح عن الجن والعفاريت بأنهم مخلوقات نارية لا أجسام لها مثل أجسامنا المادية ولايمكن لمسهم ولا الإمساك بهم ولا حتى رؤيتهم؟

هذه هي معلومات الله في القرآن الكريم فهل نقول: إن الرسول قد نسي كتاب الله؟

باختصار شديد إنَّ الحديث يناقض آيات القرآن الكريم للأسباب التالية:

الجن من مخلوقات الله على الأرض ولا نعرف عنها أكثر مما أعلمنا عنها في القرآن الكريم، وكل مايتعلق بها وعنها هي في غيب الله. فالله قال لنا إنه خلقها من نار السموم.

﴿والجان خلقناه من نار السموم﴾ ٢٧ ـ الحجر.

﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم﴾ ٢٧ ـ الأعراف.

أي أن لديهم القدرة على إبصارنا وليست لدينا القدرة على إبصارهم.

فأي كلام بعد هذا يكون مناقضاً للقرآن الكريم لأنه المصدر الوحيد للعلم عن الغيب ولا مصدر آخر لنا وإن تحججنا بكتب أهل الكتاب المحشوة بروايات عن الجن والعفاريت نقولها وبصراحة: ليست مصادر صالحة للعلم والمعرفة بعد أن قال الله عنها بأنها حرفت وانتهى الكلام عنها. لأنها أصبحت مصادر للأوهام فقط.

١٤ ـ الحديث رقم (٤٥٢٧) من صحيح البخاري: عن ابن عمر: (فأتوا حرثكم أنى شئتم قال: «يأتيها في...» رواه محمد بن يحيى.

وفي شرح النووي في الحاشية مايلي:

قوله من..... بحذف المجرور وهو الظرف أي (في الدُّبُر) قيل وأسقط المؤلف ذلك لاستنكاره كذا في الشارح.

أولاًهذا يناقض القرآن الكريم.

ثانياً تعتبر إتيان الزوجة من الدّبُر من الفواحش الباطنة وهي من الكبائر العشرة في الإسلام.

وقال تعالى في القرآن الكريم ليوضح الحلال والحرام في العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة:

﴿فإذا تطهّرنَ فأتوهنّ من حيثُ أمرَكُم الله﴾ ٢٢٢ ـ البقرة.

ولم يأمرنا الله بأن نأتيهن من الدّبُر فإن القُبُلْ أصلاً وجد من أجل الإنجاب وهو سبب وجود الغريزة الجنسية في البشر وباقي المخلوقات أصلاً.

أما الإتيان من الدُّبُر فهوَ شذوذ ولواط والعياذ بالله. ولايمكن عقلاً أن يحلله الرسول.

١٥ ـ الحديث رقم (٢٦) من صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

أولاً كل هذا الكلام جملة يناقض القرآن الكريم وليس للرسول ﷺ أن يقول مايناقض القرآن بل إن فَعَلَ لصحح له الله فوراً لأن كل أعمال الرسول ﷺ كانت خلال حياته ورسالته تحت عناية الله المباشرة. القرآن الكريم يقول دائماً: آمن وعمل صالحاً.

فالعمل الصالح دائماً شرط لازم مع الإيمان لصلاح الإنسان، القول وحده لايكفي والإيمان وحده لايكفي والعبادة وحدها لاتكفي، لابد من العمل الصالح، وماهو العمل الصالح في الإسلام؟ ﴿من آمنَ بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحاً فلهم أجرُهم عند ربّهم﴾ ٦٢ ـ البقرة.

ما العمل الذي يقوم به الإنسان على الأرض فيكون له أجر عليه؟ أيُّ عملٍ مأجور، وهي كل الأعمال على جميع أنواعها من أعمال يدوية أو فكرية كالقاضي والحاكم خدمة للناس والمجتمع على أن يؤديه الإنسان رجلاً كان أم امرأة بصدق وإخلاص وكأن الله يراه ويراقبه.

ويكون ذلك العمل هو العمل الصالح، وإذا اقترن بالإيمان الذي يشتمل على الإيمان

بالله تعالى مع بنود الإيمان الأخرى كالإيمان بالرسل والرسالات السابقة والملائكة وكل الأمور الغيبية التي أعلمنا عنها رب العالمين في كتاب القرآن دون أن نزيد عليها من عندنا شيئاً. مع القيام بالعبادات كلها لأنها من مستلزمات الإيمان وهي أصلاً التي تصدق على إيمان العبد من التلاوة للقرآن والصلاة والزكاة والصوم والحج ثم شطر الإيمان الآخر المهم وهو الإيمان بيوم البعث والحساب كل هذه الأمور ونحن مازلنا بعد في بحث فقرة الإيمان، والدليل إذا بحثنا عنه لن نجده في الصحيحين أبداً، ولكننا سوف نجده بإذن الله في كتاب الرحمن الذي لم يفرّط فيه رب العالمين بشيءإلا وذكره لنا فضلاًمنه ورحمة لنا نحن المسلمين.

﴿إن الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرُهم عند ربّهم لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٢٧٧ - البقرة.

أي إن الناس الذين آمنوا بالله وبوحدانيته وبكل فروع الإيمان الأخرى التي ذكرتها مع الإيمان باليوم الآخر وتطوعوا حباً واعترافاً لله بفضله بعبادته وإطاعته بما أمرهم من العبادات وذكر منها رب العالمين الصلاة والزكاة اختصاراً ثم قاموا بعد ذلك بواجبهم الأساسي على هذه الأرض بعد استخلافهم عليها ليكون الإنسان هو القائد والآمر الناهي فيها بشرع الله ويقوم بإعمار الأرض وإصلاحها بالعمل الصالح. وكل مؤمن يساهم في عملية البناء والإصلاح الكلية لبني الإنس ويكون له من ذلك العمل أجره ورزقه يَعِدُهُ رب العالمين أيضاً بأجر آخر في السماء إن أحسن وأصلح في عمله على الأرض. ولم يقل ربنا لنا في أيّة آية من آيات القرآن أن من صلى أو صامَ أو زكّى أو حَجَّ له أجرٌ على ذلك أبداً وإنما ذكر لنا دائماً الأجر مرتبطاً بالعمل الصالح على الأرض.

لكن السلاطين كما شرحت ذلك من قبل كانوا يريدون تحويل كل الناس جنوداً مجندين للقتال باسم الجهاد في سبيل الله، وفي حقيقته قتال من أجل السلطان وأهوائه ومصالحه للحصول على مغانم من أمم الأرض وشعوبها ومن كنوزها وأموالها والحسان من فتياتها سبايا للسلطان وجنوده الذين أنشؤوا على الأرض جنتهم وبدؤوا يبحثون عن الحور العين لملء قصورهم بما ملكت أيديهم منهن. ومن أجل ذلك نجد كل أحاديثه اليوم تناقض القرآن وآياته كما ترون وتشاهدون بأعينكم. وقد شرحت موضوع الجهاد بالكامل وفي بحث كامل في نهاية هذا الكتاب حتى نعلم ماذا فعل السلطان وكيف غيروا معاني الرحمن ظلماً للناس ولأنفسهم من أجل متاع الغرور في هذه الحياة الدنيا.

١٦ ـ الحديث رقم (٣٠٢٢) في صحيح البخاري: عن البراء بن عازب (لقد ذكرت هذا الحديث في مكان آخر قبل هذا ولكني أعيده مرة أخرى لأهميته من أجل تثبيته في ذهن القارىء لأنه حديث خطير).

تحت باب قتل المشرك النائم:

قال: بعث رسول الله ﷺ رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه. فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم، قال: فدخلت في مربط دواب لهم قال: وأغلقوا باب الحصن، ثم إنهم فقدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه، فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم، فوجدوا الحمار، فدخلوا ودخلت وأغلقوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن ثم دخلت عليه فقلت يا أبا رافع، فأجابني فتعمدت الصوت فضربته فصاح فخرجت، ثم جئت ثم رجعت كأني مغيث فقلت يا أبا رافع ـ وغيرت صوتي ـ فقال: مالك لأمك الويل، قلت ماشأنك؟ قال: فوضعت سيفي في بطنه ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم ثم خرجت وأنا دهش، فأتيت سلماً لهم لأنزل منه فوقعت، فوثئت رجلي، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية، فما برحت حتى سمعت نعى أبي رافع تاجر أهل الحجاز وقال: فقمت ومابي قلبه حتى أتينا النبي ﷺ فأخبرناه».

إننا في الإسلام نحتاج إلى أربعة شهود عدول لنتهم نفساً مؤمنة ذكراً كان أم أنثى بأنه وقع في كبيرة الزنا. ثم نفاجأ أننا في إسلام السلطان يكفي شهادة رجل واحد مثل البراء بن عازب حتى نتهم الرسول محمد ﷺ بأنه كان يسن الغدر في الإسلام، وليس في كل القرآن مايؤيد هذا الفعل، فإن الإسلام في جميع مراحله رفض أن يتعامل بأسلوب الغدر والقتل بالاغتيال. ولو كان الرسول ﷺ قد سمح له رب العالمين بهذه السنة لاغتال كثيراً من الذين عادوا الإسلام ومكروا بأهله، لكن الله سبحانه أرسل هذا الدين ليكون دين محبة ومودة ومغفرة وليس دين حقدٍ وضغينة وغدر واغتيال، ليس هذا أبداً بأسلوب الله ولا أسلوب القرآن الكريم ولا الرسول محمد ﷺ الذي قال عنه ربه:

﴿وإنكَ لعلى خلقٍ عظيم﴾ ٤ ـ القلم.

ولايمكن لغادرٍأو مغتال أن يكون على خلق عظيم.

فبين مايريد أن يسنّه السلطان وبين مايريده الله في الإسلام تناقض، ومصلحة السلطان

واضحة جليةٌ فهو يريد حجة وسنّة ينسبها للرسول ﷺ ومن بعدها يمكن أن يتخلص من أعدائه ومنافسيه بالقتل غدراً واغتيالاً وهذا مايسعى له السلطان لا أكثر ولا أقل.

١٧ ـ الحديث رقم (٢٠٥١) في صحيح البخاري: عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ:

«الحلال بَيّنٌ، والحرام بَيّنٌ، وبينهما أمور مشتبهة. فمن ترك ماشبه عليه من الإثم كان لِما استبان أَتْرَكُ، ومن اجترأ على مايشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان. والمعاصي حِمى الله، من يرتع حول الحِمى يوشك أن يواقعه».

ـ القول إن الحرام بيّن والحلال بيّن صحيح لانقاش عليه ولكن القول بأنه بينهما أمور مشتبهة صار التفسير يناقض القرآن الكريم لأن الله سبحانه عندما قال عن كتابه بأنه مكون من كتابين أحدهما هو الكتاب والثاني هو الحكمة أو الأحكام وإن الكتاب فيه آيات متشابهة لم يقصد سبحانه آيات الأحكام التي فيها العبادات والصراط والكبائر والحدود وإنما قصد سبحانه الآيات التي فيها إعجازات علمية ولايمكن تأويلها مباشرةً في زمن الرسول، لأنه لم يكن أحد من الناس قد وعى مواضيع مثل كروية الأرض ودورانها حول نفسها، وأن الأرض تدور حول الشمس كل سنة مرة واحدة فقط وكل ٢٤ ساعة حول نفسها مرة، وأن القمر يدور حول الأرض في كل ٢٩ يوم ونصف، هذه أمور لم تكن معروفة في ذلك الوقت وعرفت الأن وفهمت الآيات الآن بأنها إعجازات سماوية بدليل أن الرسول نفسه لم يكن يعرف عنها شيئاً وكل الكلام الذي قيل عنها باسم الرسول ظهر كذبه الآن فاضحاً الناس. تماماً مثل فعل أهل الكتاب بكتبهم التي حرفوها بمثل تلك الأمور التي أوقعتهم في إشكالات كبيرة بعد أن اكتشفت الحقائق العلمية بينما تبرعوا لوحدهم وقالوا إن عمر الكون سبعة آلاف سنة وأن الله خلق الكون في ستة أيام من أيامنا وفصّلوها، ماذا خلق يوم السبت، وماذا خلق يوم الأحد وكيف استراح الله يوم الأحد عند أهل المسيحية واستراح يوم السبت عند اليهود، قصص لها بداية وليس لها نهاية. فأن نخلط نحن الآن الآيات المتشابهة هنا في موضوع الحلال والحرام هذا ليس مكانه وليس في الدين ولا في الحلال ولا في الحرام مشتبهات بل كل شيء واضح وضوح الأشياء في عزّ النهار. ولكن الناس الذين يتركون القرآن ويتبعون غيره يمكن أن يواجهوا مشتبهات كثيرة مثلاً الأحاديث التالية:

١٨ ـ الحديث رقم (٢٩٨) في صحيح البخاري: عن أم سلمة قالت: بينما أنا مع النبي

ﷺ مضطجعة في خميصه إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي. قال: «أنَفِسْتِ» قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة.

١٩ ـ الحديث رقم (٢٩٩) في صحيح البخاري: عن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ في إناء واحد كلانا جنب.

رقم (٣٠٠) وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض.

٢٠ ـ الحديث رقم (٣٠٣) في صحيح البخاري: عن ميمونة قالت: كان الرسول ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض. فهل مايرويه لنا أبو النعمان الذي يروي هذا الحديث مقبول؟

وكأن الرسول ﷺ لاهم له إلا هذا الموضوع، وهو يلاحق نساءه الحائضات. أم أننا صدقنا مانسبوه لأنس بن مالك عن الرسول ﷺ:

٢١ ـ الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال:

«كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ (أي هل كان ذلك ضمن طاقته وقدرته)؟ قال: كنا نتحدث أنه أُعْطِيَ قوةُ ثلاثين (رجلاً).

٢٢ ـ الحديث رقم (٣٢٢) في صحيح البخاري: عن أم سلمة قالت حضت وأنا مع النبي ﷺ في الخيمة فانسللت فخرجت منها، فأخذت ثياب حيضتي فلبستها فقال لي رسول الله «أنَفِست؟ »قلت نعم. فدعاني فأدخلني معه في الخيمة. قالت: إن النبي كان يقبلها وهو صائم. وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من الجنابة، وفي رواية أخرى في الحديث رقم (٣٢٣)في صحيح البخاري: (فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة) أي أن هذه الفقرة نسيها الراوي الأول: والله سبحانه وتعالى يقول لنا جميعاً:

﴿ويسألونَكَ عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهُنّ حتى يَطهُرنَ فإذا تَطَهّرنَ فأتوهُنّ من حيثُ أمَرَكُم الله إنّ الله يحبُّ التّوابينَ و يحبّ المتطهّرين﴾ ٢٢٢ ـ البقرة.

فما هو الغامض وغير المفهوم في الإسلام وتشرحه وتبينه أحاديث الحكمة السابقة التي نقول عنها نحن المسلمين اليوم بأنها وحي من السماء، فماذا هو العلم الإضافي الذي تعلمناه من كل أحاديث الحكمة هذه في ديننا؟ لماذا يُصرُّ الحاقدون والحاسدون أن يأتوا

بكل نساء الرسول اللاتي حجبهن الله عن جميع المؤمنين حشمةً واحتراماً لرسوله ليعرّوهن أمامنا واحدة واحدة لنتخيلهنّ وهنّ يغتسلن من الجنابة بعد المباشرة وهن حائضات؟ هل من أجل أن نتعلم تقنية الغُسل الصعبة على إدراك المسلم وفهمه وتحتاج إلى بيان عملي؟ أليس كاف أن نقول للناس إذا لامستم النساء من حيث أمركم الله عليكم بالغسل الكامل لأجسامكم بالماء الطاهر؟ وهل الغسل أكثر من ماء نسكبه فوق رؤوسنا ونتنظف بما هو متوفر من أنواع المنظفات وانتهى الموضوع، إني أجزم عن إيمان على أن كل تلك الأحاديث مفتراة على لسان نساء الرسول الطاهرات الشريفات أمهات المؤمنين حقداً وحسداً، وأن أغلب المسلمين صدقوا هذا الكلام عن سذاجة زائدة وغفلة لن يسامحهم الله سبحانه عليها أبداً.

وكلام الله واضح وصريح: ﴿لاتقربوهنّ حتى يتطهرنَ﴾.

ثم كيف نسمح لأنفسنا بأن نتداول مثل تلك الأحاديث ونقول عنها إنها وحي من السماء وعندنا الوحي الأساسي دون أن ننظر فيه ونصدق الحاقدين بأن الرسول الكريم كان يخالف أوامر الله الصريحة في القرآن ويباشر نساءه وهن في المحيض وعنده من النساء إحدى عشرة فهل هذا مقبول بالعقل والمنطق؟

ألا يدعو للدهشة والاستغراب أننا نحن المسلمين هجرنا كتاب الله ووحيه الحقيقي وتركناه للمقرئين من العميان، ليقرأوها على الأموات في المناسبات ثم لحقنا نحن الوحي المدَّعى وعشقناه ولا نريد عنه بديلاً أبداً؟ أليس هذا اتّباعاً للشيطان؟

ونروي تلك السخافات عن الرسول ثم نقول بعدها (صدق رسول الله). هل هذا صدق في حق رسولنا الأمين؟ أم أنه افتراء واضح وصريح. على الله وعلى رسوله معاً؟ على الله بأنه وحي، وعلى الرسول بأنه من أقواله الشريفة؟

أهكذا نكافىء رسولنا الكريم محمد ﷺ؟ وهل هذا الذي نفعله حب؟ وأين الحب ونحن نقبل أن نتكلم في عرضه ونسائه كلاماً لايقبله العقل؟

٢٣- الحديث رقم (٢٩) في صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن».

٢٤ - الحديث رقم (٢٨٥٨) في صحيح البخاري عن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار».

٢٥ ـ الحديث رقم (٥١٩٨) في صحيح البخاري: عن عمران عن النبي ﷺ قال: «أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

هذه الأحاديث كلها من غيب الله أولاً، ولا يعلم الغيب إلا الله، والرسول محمد لم يدَّع يوماً أنه أصبح شريكاً في غيبه، لكن جنود السلطان فعلوا ذلك في كل الأحاديث التي افتروها على لسانه ظلماً وكذباً وتحريفاً للحق.

لم نصل بعد إلى يوم القيامة ولا حصل يوم الحساب، وكل الذين ماتوا بما فيهم آدم لم يحاسبوا بعد، فما هي النار والجنة التي يرسمونها للرسول ظلماً؟ ألم يعلموا بعد أن الله سبحانه أحب في بعض آياته أن يحدثنا عن المستقبل حاضراً أو ماضياً. حتى يصور لنا مشاهد يوم القيامة فنراها وكأنها حقيقة واقعة أمام أنظارنا؟

هذا أسلوب من أحد أساليب القرآن في الإعجاز البلاغي يستخدمه رب العالمين في الوصف كما شاهدنا ذلك في أماكن كثيرة من القرآن الكريم، وهذا لايعني قطعاً أن القيامة قد قامت ونحن مازلنا أحياء، إن الله سبحانه لم يقل ذلك أبداً إن كنا نفهم العربيّة ونفهم آيات القرآن الكريم. لماذا نصدق كل مانسمع؟ لماذا لانتساءل؟ لماذا لانقول وكيف عرف الرسول على فرض أن رأى رجالاً في الجنة أنهم من الفقراء. ألم يروِ لنا جنود السلطان قبل هذا أن الرجال يخلقهم الله جميعاً وعمرهم ثلاثٌ وثلاثون سنة، وكلّهم أبهى من البدر ويلبسون الحرير والذهب الذي كان محرماً عليهم في الأرض ويشربون الخمور في أحضان الحوريات. أليس هذا وصفهم؟ فكيف للرسول الذي يرى هذا المظهر الذي يدل على النعمة والثراء أن يعلم أن هؤلاء هم الذين كانوا من الفقراء في الأرض؟ ألم تعلموا بعد أن بمثل هذه الأحاديث كان السلطان يخدر أعصاب الفقراء ويأكل حقوقهم في الأرض وهم ساكتون؟ ألم تعلموا بعد لماذا ينقم على النساء ويخوفهم بالجحيم كثيراً؟ لعلم السلطان وجنوده أن كثيرات من المحجوزات في قصورهم وقد خلق الله فيهن غرائز لابد من إشباعها ومن أجل هذا سهل الإسلام الزواج فعاد السلطان وجنوده ليحجزوهنّ لأنفسهم بالآلاف في قصورهم محاولين تغيير طبيعة الخلق وقانون وسنة رب العالمين في العباد، وسوف أتعرض لهذا الموضوع بتفصيل أكبر في بحث رجم الزانية في الإسلام قبل نهاية هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

إن لم نبحث عن المصلحة من كل حديث وماذا يريد السلطان من ورائه فلن نفهم أبداً دين السلطان. ولن نفهم لماذا يضطهد السلطان المرأة في إسلامه الذي نبحثه الآن على

أنه دين السلطان وفي نهاية كتبي الثلاثة:

إنذار من السماء

دين السلطان

دين الرحمن

إنني على ثقة أن أغلب الذين يهمهم أن يعرفوا الحقائق ويبحثون عنها ويهمهم معرفتها سيؤيدون كل ماقلته في كتبي، وسوف يعلمون أيضاً أنني لم أظلم أحداً ولم أتجاوز حدود اللياقة واللباقة والأدب في كل ماذكرته من الحقائق أبداً.

٢٦ ـ الحديث رقم (٧٤٩٤) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له».

واضع هذا الحديث وَضَعَهُ وهو يقلد التوراة لأنه في التوراة يتنزل الله كل يوم ويبقى في شكل غمامة تظلل بني إسرائيل ويرافقهم ربهم في الصحراء وفي الحروب أو ينصبون له خيمة كبيرة فيتنزل منها كما يقولون عنه (الرب وربنا) بينما يقول القرآن عنه الله ولا يقول عنه الرب إلا في حالات خاصة سوف أشرحها بعد ذلك.

ولايمكن للرسول ﷺ أن يكون هو الذي قال هذا الحديث لأنه يناقض القرآن الكريم بمناقضته للعلم والواقع فكل العلوم الحديثة تبرهن أن كل ماقاله الله في القرآن يطابق مكتشفات العلم وهذا منطقي وسليم لأنه إذا لم يكن الله يعلم الحقيقة والواقع فمن الذي سوف يعلمه؟

وما يناقض الحقيقة والواقع في هذا الحديث أن الذي وضعه كان يظن أنه بمجرد حدوث الليل في المدينة أو في دمشق أو في بغداد أو في البلدة التي كان يسكن فيها واضع الحديث كان بكل بساطة يظن أن الليل كذلك في كل الأرض وهذا غير صحيح الآن، بعد أن أصبحت الحقائق عن كروية الأرض والمعلومات عنها عامة لكل الناس تقريباً بعد انتشار الراديو والتلفزيون فعندما تكون الساعة ١٢ نهاراً في هذه المدن الثلاث المذكورة يكون بالمقابل منتصف الليل في هونلولو (هاواي) وفي كل لحظة من الأربعة والعشرين ساعة تكون الشمس في بلاد تشرق وفي نفس اللحظة تكون الشمس تغرب عن بلاد أخرى والشمس في كل ذلك لاتتحرك، بل إن الأرض هي التي تدور طبعاً. وعلى هذا

المبدأوالأساس إذا كان الله يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حسب مايقول نص هذا الحديث يجب أن يكون يتنزل في نفس اللحظة التي بعدها في بلدآخر وهكذا يبقى متنزلاً على كل بقاع الأرض دون توقف. ومعنى ذلك أن الله ترك الكون كله وارتبط بكوكب الأرض ولايستطيع مغادرتها. هذه أمور كانت غائبة عن ذهن الذي وضع الحديث فوقع في مثل هذه الاشكالات وقد حدث نفس هذا الموضوع بالنسبة لأساتذة هذا الراوي أو المحدث وهم أهل الكتاب الذين حرّفوا كتبهم فأضافوا إضافات وهم يظنون أنها صحيحة وأنهم يخدمون الله بها تبرعاً لكن مع مرور الزمن وتقدم العلم تبينت بأنها غير صحيحة مثل تصوراتهم عن الأرض بأنها مسطحة ومربعة فوضعوها في كتبهم المقدسة وكذلك عن الشمس وكذلك عن عمر الأرض والخليقة فقالوا عمر الكون مثلاً سبعة آلاف سنة وشرحوا كيف ومتى خلق الأرض، ثم كيف خلق عليها كل شيء، فأصبحت تصوراتهم كلها مضحكة في هذه الأيام مثل تصورات الأطفال فانكشف أمرهم وانكشف أن الذي أضافوه كان من عند أنفسهم وليس من عند الله لأنه لو كان الله قد قال ذلك لما ناقضت الحقيقة. ومن في العالم كله مضطلع على الحقيقة الكاملة مثل الله؟.. لذلك لم يبق كتاب اليوم غير القرآن دون أن يناقض نفسه أو يناقض المنطق أو يناقض العلم والحقيقة. وهذا إثبات كامل بأنه لم يبق سوى القرآن الكريم من كتب الله لم تحرّف. وهذا هو سبب نهي الله والرسول أصلاً عن الأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرفة وبشدة ـ في آيات بينات من القرآن الكريم.

٢٧ ـ وتحت باب منع المسار بين يدي المصلّي في صحيح البخاري:

الحديث رقم (٥٠٥) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدرأه مااستطاع. فإن أبى فليقاتله. فإنما هو شيطان».

هذا الحديث أولاً يناقض كل ماورد في القرآن عن الإسلام ودين الإسلام.

وهذا الحديث ثانياً يناقض أخلاق الرسول مناقضة تامة.

وهذا الحديث ثالثاً يناقض العقل والمنطق السليم.

وهذا الحديث رابعاً يناقض الأعراف العامة في الأخلاق وحسن السير والسلوك كإنسان.

ونحن نحتفظ به على أنه وحي من السماء ومن آيات الله وأنها من السنن الواجبة

الاتباع لكل مسلم يريد أن يطبق دين الإسلام.
لابد من إجراء مقارنة مع حديث آخر هو:
- الحديث رقم (٢٢٠) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس (أي جعلوا يضربونه) فقال لهم النبيﷺ:
«دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء» (اتركوا الأعرابي لأنه جاهل وصبواعلى بوله ماء حتى تُطهروا المكان) فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسّرين» هذا الحديث لايناقض أخلاق الرسول ولا روح الإسلام. بينما الحديث الأول يناقضه وبشدة.
٢٨ - الحديث رقم (٢٨١٢) مسلسل (٦٧) في صحيح مسلم: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن إبليس يضع عرشه على الماء(*) ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلةً أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فقلت كذا وكذا. فيقول ماصنعت شيئاً. قال ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال فيدنيه ويقول نِعْمَ أنت».
إن هذا الحديث وأمثاله من كتب أهل الكتاب وهي بصراحة تامة تناقض القرآن الكريم لأنه بحسب خيال الذين كتبوا هذه الأحاديث فإن الله سبحانه يمثل الخير فهو إله الخير على عرشه، وإبليس يمثل الشر فهو إله الشر على عرش آخر. هذه ليست من أفكار القرآن وبالتالي ليست من الإسلام. وليست من دين المسلمين.
وحتى أبرهن برهاناً يقينياً ليس فيه ظن أو تخمين حول هذا الموضوع أقول:
لنتفقد القرآن الكريم ونحددّ الآيات التي تتحدث عن العرش ماذا يقول الله سبحانه فيها؟:
إن الله سبحانه وتعالى ذكر كلمة العرش في القرآن الكريم في ستٍّ وعشرين آية كما في الآيات التالية:
﴿عليه توكّلتُ وهو ربُّ العرش العظيم﴾ ١٢٩ - التوبة.
﴿ثم استوى على العرشِ يغشى الليل والنهار﴾ ٥٤ - الأعراف.
﴿وكان عرشُه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسنُ عملاً﴾ ٧ - هود.

(*) «إني أعلم أين تسكن حيث عرش الشيطان» الإنجيل - العهد الجديد - سفر الرؤيا الإصحاح الثاني الفقرة ١٢.

وكما ورد أيضاً في الآيات التالية إذا أحب القارىء أن يستخرجها من القرآن الكريم ليتأكد من صحة ما أقول:

٣ / يونس - ١٠٠ / يوسف - ٢ /الرعد - ٤٢ / الإسراء - ٥ /طه - ٢٢ / الأنبياء - ٨٦ /المؤمنون - ١١٦ / المؤمنون - ٥٩ / الفرقان - ٢٣ / النحل - ٤ /السجدة - ٧٥ /الزمر - ٧ / غافر - ٨٢ /الزخرف - ٤ / الحديد - ١٧ /الحاقة - ٢٠ /التكوير - ١٥ /البروج - ٤٢ /النمل - ٧ / هود.

منها خمس آيات مستثناة وهي:

﴿ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً﴾ ١٠٠ - يوسف.

المقصود به عرش يوسف في مصر.

﴿وأُوتِيَتْ من كلِّ شيء ولها عرشٌ عظيم﴾ ٢٣ - النمل.

﴿فلما جاءت قيل أَهكذا عرشُكِ﴾ ٤٢ - النمل.

﴿أيُّكم يأتيني بعرشِها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ ٣٨ - النمل.

﴿قال نَكِّرُوا لها عَرشَها نَنظُر أَتهتَدي أم تكون من الذين لايهتدون﴾ ٤١ - النمل.

والمقصود بهذه الآيات الأربعة هو عرش ملكة سبأ في القرآن الكريم.

وهكذا يتبين لنا بمقارنة الحديث السابق أنه ليس من عرش لإبليس على الماء والآية الوحيدة التي يذكر فيها الله العرش على الماء هي الآية التالية:

﴿وهو الذي خلقَ السمواتِ والأرض في ستةِ أيام وكان عرشُه على الماء ليبلوَكُم أيُّكم أحسنُ عملاً﴾ ٧ - هود.

فأين هو عرش إبليس المدّعى على الماء في الحديث الصحيح السابق؟

إن الحديث ببساطة تامة يريد أن يقول لنا: إن للخير إلهاً وله عرشه وللشر إلهاً وله عرشه وهو لإبليس وجنوده. لكنَّ الله سبحانه لايقول مثل مايريد هذا الذي يريد أن يشوه ديننا باسم الرسول ﷺ كذباً. بل يقول سبحانه:

﴿كل نفسٌ ذائقةٌ الموت ونبلوكم بالشرّ والخيرِ فتنةً وإلينا ترجعون﴾ ٣٥ - الأنبياء.

﴿قل أعوذ بربّ الفلق، من شرّ ماخلق، ومن شرّ غاسقٍ إذا وقب﴾ - ٣ - الفلق.

كلمة شيخ وشيوخ أصلها من كتب أهل الكتاب وليست من الإسلام:

(وقد أحاط بالعرش أربعة وعشرون عرشاً يجلس عليها أربعة وعشرون شيخاً يلبسون ثياباً بيضاء. وكان يبدو كأن بحراً شفافاً مثل البلور يمتد أمام العرش، وفي وسط العرش يجثوا الشيوخ الأربعة والعشرون أمام الجالس على العرش ساجدين للحيّ إلى أبد الآبدين).

(ولكن شيخاً من الشيوخ قال لي: «لاتبك: قد انتصر الأسد الذي من سبط يهوذا الذي هو أصل داوود.... هو المستحق أن يفتح الكتاب ويفك ختومه السبعة)(*).

(واجتمع الملائكة جميعاً حول العرش ومعهم الشيوخ والكائنات الحية الأربعة..... وخروا على وجوههم أمام العرش سجوداً لله (قارنوا هذه الأوصاف والكلمات مع حديث الشفاعة حتى تعلموا أن المصدر واحد).

وردوا: (أي: وردّ الشيوخ الأربعة والعشرون).

آمين.. لا.. لا... هنا البركة والمجد والحكمة والشكر والإجلال والقدرة والقوة إلى أبد الآبدين. آمين!»

وسألني أحد الشيوخ: «أتعلم من هم هؤلاء الذين يرتدون الثياب البيضاء؟ »فأجبته أنت أعلم ياسيدي: فقال: «هؤلاء هم الذين أتوا من الضِّيقَةِ العَظيمة وقد غَسَلوا ثيابهم وبيضوها بدم الحَمَلِ لهذا هم أمام عرش الله. (الحمل هو المسيح عليه السلام). فلن يجوعوا، ولن يعطشوا، ولن تضربهم الشمس ولاشيء من الحر»(**).

(والذي يبحث عن مصادر المعراج ومعلوماتها الموجودة في الأحاديث المنسوبة ظلماً للرسول ﷺ يجدها في سفر حزقيال الإصحاح الأول أو في سفر الرؤيا من العهد الجديد الذي يعتبر الكتاب المقدس للمسيحيين).

٢٩ ـ الحديث رقم (٧٣) في صحيح البخاري: عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ:

«لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق. ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

إن الحسد في القرآن الكريم ورد في أربع آيات فقط على خمسة أشكال:

(*) الإنجيل، العهد الجديد سفر الرؤيا ـ الإصحاح الرابع ـ متفرقات.

(**) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح السابع ـ الفقرات ١١ ـ ١٧.

﴿ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد﴾ ٥ ـ الفلق على شكلين في الآية الأولى حاسد ـ حسد.

﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ ١٥ ـ الفتح.

﴿أم يحسدونَ الناسَ على ماآتاهُم الله من فضله﴾ ٥٤ ـ النساء.

﴿لو يردّونكم من بعدِ إيمانكم كفّاراً حَسَداً من عندِ أنفسهم﴾ ١٠٩ ـ البقرة.

ومن هذه الآيات الأربعة يتبين لنا معنى الحسد (هو أن يتمنى الإنسان زوال نعمة أخيه عنه). وبهذا المعنى يكون معنى الحديث:

إن الحسد مسموح في الإسلام في حالتين فقط:

الحالة الأولى: رجل أعطاه الله مالاً وهذا الرجل يستخدم ماله في الخير وفي أعمال البر فنتمنى زوال هذه النعمة عنه.

الحالة الثانية: رجل أعطاه الله الحكمة فيستخدمها للقضاء بين الناس بالخير ثم هذا الرجل يعلِّمُ هذه الحكمة للناس.

فنتمنى زوال هذه النعمة عنه أيضاً.

من بقي من الناس ولا نستطيع إن نحسدهم بعد هذين الرجلين؟

وهذا الحديث رواه ابن عمر وابن مسعود وأبو هريرة. وعبد الله؟؟

ولو رواه ألف آخرون لايمكن أن يكون صحيحاً لأنه يناقض رسالة السماء كلها وهي القرآن الكريم، ولغة الرسول هي القرآن الكريم، والله لم يرسل رسالته إلا بلغة قريش حتى يفهمها محمد ﷺ ويبلغ مافهم للناس نصاً كما ورد إليه من ربه الكريم.

ـ أحاديث كثيرة جداً في الصحيحين تضع شروطاً مخففة جداً للدخول للجنة مناقضة بذلك نصوص القرآن الكريم:

١ ـ نماذج لبعض هذه الأحاديث من صحيح البخاري على أساس أنه الأصل.

٢ ـ الآيات القرآنية التي تناقض هذه الأحاديث.

٣ ـ ماهي الأسباب والدوافع التي دعت جنود السلطان إلى وضع مثل هذه الأحاديث؟

٣٠ ـ الحديث رقم (٧٣٩٢) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» ذكرت مرات عديدة أن شروط الدخول للجنة في القرآن اثنان دائماً ودون تبديل مطلقاً.

أ ـ الإيمان (بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر وبأن الخير والشر من الله) مع العبادات.

ب ـ العمل الصالح وهو عمل لخدمة المجتمع يدوياً كان أو فكرياً وله أجر في الدنيا والآخرة.

بينما نجد في نص الحديث مجرد الإحصاء باللسان أو بالقلم أو بالقلب لكلمات أسماء الله، وهذا يناقض القرآن لأنه لم يستوف أحد الشرطين بعد، وهما الإيمان والعمل الصالح، ومثل ذلك الحديث أيضاً الأحاديث التالية:

٣١ ـ الحديث رقم (٦٤٢٣) في صحيح البخاري: عن عتبان بن مالك الأنصار يقال: غدا علي رسول الله ﷺ فقال:

«لن يوافي عبدٌ يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم عليه النار» مجرد القول كافٍ للدخول الجنة واجتياز اختبار الله على الأرض.

٣٢ ـ الحديث رقم (٦٤٠٥) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطّت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»مجرد ترديد اسم الله مائة مرة كافية لاجتياز اختبار الله والدخول للجنة والخلاص من نار الجحيم في الدنيا والآخرة. (مجرد كلام بلا عمل ولا إيمان).

٣٣ ـ الحديث رقم (٦٤٠٣) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه».

وهكذا تجدون مجرد ترديد الكلام كافياً لاجتياز اختبار الله للإنسان على الأرض، وهذا الحديث يضيف على باقي الأحاديث شيئاً جديداً وذلك بتحويل مجرد الكلام عملاً،

وإن قال الإنسان أكثر يكون عَمِلَ أكثر. ولو فكر الإنسان في حقيقة هذا القول لأكتشف أن العكس هو الصحيح، لأنه بالإكثار منه يضيع الوقت الثمين بما لافائدة منه مطلقاً بدليل أن الله سبحانه ليس بحاجة إلى شيء ولاينقصه شيء من عبده أبداً. وكل مايريده الله أن يسمع العبد نصائح ربه المكتوبة كلها في كتاب الرحمن الذي هو القرآن الكريم، وباتباع ذلك الكتاب سوف يبلغ العبد سعادته في الدنيا والآخرة، وهذا هو الذي يفرح الله من عبده فقط، أما هو سبحانه ليس بحاجة لا إلى عبادته ولا إلى ترديد اسمه ولا إلى التودد إليه، وكما أنه لن يضره كفر الإنسان وتنكره للذي خلقه ولايضره إشراك كل الناس على الأرض وتحت تصرفهم نعيمها، وسينالون جحيمه في السماء التي كانت تحت إمكانية بلوغها لو صدَّقوا الله وساروا على هديه ونوره المبين في كتاب الله ووحيه الوحيد.

ولكن شياطين الإنس من جنود السلطان أفهموا المسلم الأمور بالمقلوب وصار مسلم اليوم يفهم الإشراك بالله هو: عبادة الأوثان فقط، أو الإشراك بالله إنساناً أو إلهاً كما قال أهل الكتاب مثلاً: إن المسيح هو الله، أو ابن الله وحبيبه. والتوحيد هو: أن يقول باللسان (أشهد ألاّ إله إلا الله).

والتسبيح هو: أن يقول بلسانه (سبحان الله وبحمده).

وأفهموه أن الله غيور، فهو يحب لِذاته ويكره لِذاته وأكثر مايفرحه هو أن يرى عبده يصلي ويصوم ويحج ومردداً طول الوقت اسم الله مسبحاً(سبحان الله وبحمده) وكلما أكثر من ذلك رضي عنه أكثر، وقرّبه أكثر، كل هذه الأمور من المفاهيم العكسية عن إسلام القرآن، وضعها مساعدو السلطان حقداً على الإسلام وخدمةً للسلطان ومصالحه وغاياته الدنيوية التي شرحت ومازلت أشرحها في صفحات هذا الكتاب.

ولكن مع الأسف الشديد نجح السلطان وجنوده في زرع تلك الأفكار الخاطئة في عقولنا حتى آمن بها أغلب المسلمون اليوم وتمسكوا بها، ولايريدون اليوم بديلاً عنها أبداً.

وأفضل ما تشبه قصتنا مع الإيمان هو المثال التالي: ولله المثل الأعلى دائماً وأبداً:

حتى نفهم العلاقة بين الله والإنسان بشكل عام:

لنتصور أباً قوياً غنياً ذا جاه عريض وأملاك واسعة، وذا بأس شديد وعنده أولاد كثيرون وهو يحب أولاده لايبخل عليهم بشيء أبداً. ويحاول تعليمهم وتثقيفهم في أحسن

المدارس وتحت رعاية أحسن المدربين والمربين، لكن أولاده يقفون منه ثلاثة مواقف مختلفة، فهم ثلاث أحزاب:

ـ قسم تنكّر له ولفضله واتّجه لوحده ليعمل ويبني مايشاء تاركاً نصائح أبيه كلها، وأصبح يسير على نصائحه الخاصة وصار يتبع نفسه وهواه وشهواته.

ـ وقسم يحاول أن يتقرب من أبيه ويطيعه ويطمع برضاه ونوال ثوابه وعطاياه وحبه وعطفه ورحمته، يفعل مايرضي أبيه ويعلم أنه يَسُرّهُ ويبتعد عن كل مانهى عنه.

ـ وقسم يحاول الوصول إلى رضى أبيه وعطائه بواسطة رجال أقنعوهم أنهم وسطاء كفيلون على أن يبلغوهم مرادهم ونوال رضى الأب فيصدقون وعودهم وأقوالهم ويتبعونهم علماً أن أباهم قد نبههم مراراً أن هؤلاء الرجال هم أعداؤه وبالتالي فهم أعداؤهم فلا يخالطونهم ولا يحاولون سماع معسول كلامهم فهم غدارون كاذبون لاذمّة لهم ولاقول يربطهم، يسعون لدمارهم حسداً وكراهية.

والأب يكره أن يرى ابتعاد أولاده الذين تركوه وتركوا رضاه وطاعته (وهم الكفار) ويحب أبناءه الذين يتقربون منه طاعة ومحبة. وهم (المؤمنون).

ويغضبه الذين يتوددون لعدوهم ويسمعون نصائحهم تاركين نصائح أبيهم وهم (المشركون).

أما الأب بذاته ولذاته فلم يكن يرجو من أبنائه كلهم مساعدة أو مالاً أو جاهاً أو قوة بل يريد لهم الخير جميعاً فكلهم أبناؤه فهو لايفرق بينهم أبداً، إلا بمقدار طاعته وسماع نصائحه الأبوية ومحاولة التقرب منه وطاعته.

٣٤ـ الحديث رقم (٢٦٣١) من صحيح البخاري: عن حسان بن عطيه قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ:

«أربعون خصلة ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة». قال حسان «فعددنا ـ السلام، تشميت العاطس، إماطة الأذى عن الطريق، ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة».

وماذا إذا كان الذي يُشَمّتُ العاطس ويرد السلام قد قتل نفساً بغير حق وارتكب الكبائر وأشرك بالله شيئاً ولو من دون أن يعلم وكان عاق الوالدين كاذباً يغش الناس في الكيل والميزان آكلاً لأموال الأيتام خائناً للعهود والمواثيق متبعاًللسبل تاركاً لسبيل الله الذي في القرآن.

ونحن المسلمين علينا الاقتداء بالرسول الكريم بأمر من الله:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوَةٌ حسنة﴾ ٢١ - الأحزاب.

وحتى نقتدي بالرسول يجب أن نعلم أولاً أنه لم يكن يتبع حديثاً خاصاً به ولا سنَّةً خاصة به ولم يدَّع في يوم من الأيام أن مجرد كلامه للناس ولزوجاته وحي من السماء بل ادعى ذلك أصحاب المصلحة في هذا التحريف من جنود السلاطين.

بل كان يتبع وحي الله الوحيد الذي هو كتاب الله وحده وكان يستنكر بما أُثِرَ عنه أن يتبع المسلم كتاباً مع كتاب الله لعلمه أن الأمم لم تتفرق أبداً إلا بما اكتتبت مع كتاب الله.

والرسول الأمين لم يدَّع بالشفاعة لنفسه أو لأحد غيره بل اعترف أن الشفاعة لله جميعاً كما بلَّغَ بلسانه لآيات القرآن الكريم.

واعترف الرسول ﷺ أنه لايعلم ما الله بفاعل به يوم القيامة مع علمه أن الله تعالى قد غفر له بشهادة منه ماتقدم من ذنبه وماتأخر. ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما﴾ ١ - ٢ - الفتح.

فالشفاعة من اختلاقات السلطان لأنه من المستفيدين من وضعية الإشراك بالله ليشترك السلطان بالسلطة الإلهية المطلقة فلا يتقيد بعدها بقانون ولا سنَّةٍ ولا دستور إلا بالسنن التي سنها له جنود السلطان الوحي الثاني الذي ادعاه السلطان لوحده في الإسلام ونسبه ظلماً وافتراء له وللرسول الأمين وليس في إسلام الله وحيان ولا كتابان بل كانت كلها لخدمة المصالح السلطانية التي ذكرتها وفندتها في هذا الكتاب.

وهناك قطعاً أقوال الرسول وأحكامه وتلك فقط لزمانه ومكانه وليس للعالمين ولعلم الرسول لتلك الحقيقة نَبَّه جميع الصحابة الذين امتثلوا لأمره جميعاً بلا استثناء طوال حياتهم خاصة الأربعة الكبار الراشدين. وكان الأمر هو الحديث الذي ورد في الصحيح عن أبي سعيد الخدري (لاتكتبو عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه).

وبرهنت على صحة هذا الحديث في الكتاب الأول بالبرهان على امتثال الصحابة لتنفيده حرفياً والتزامهم بتطبيقه دون أن يشذّ عنهم واحد. وهذا الحديث أمر دائم للمسلمين يجب اتباعه إلى يوم الدين. لأنه يتماشى مع توحيد الله وكتابه وسبيله.

وحتى نعلم أنه لاشفاعة عند الله لأحد لأن قوانين الله وسننه هي النافذة فقط يوم القيامة

بدليل قوله تعالى:

﴿من آمنَ بالله واليومِ الآخر وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يَخشَ إلاّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ١٨ ـ التوبة.

لاحظوا هذه الآية: المؤمن الذي آمن بالله وآمن بيوم الحساب.

ـ وأقام الصلاة.

ـ وأتى الزكاة.. أي قام بكل العبادات المطلوبة.

ـ ولم يخش إلا الله، وذلك مثل الخوف وخشية طواغيت الأرض وجنودهم، ماذا حصَّل هذا المؤمن من شروط الله لقبوله ونواله جنة الرضوان؟

﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾.

وإذا بحثنا عن سبب عدم اكتمال الشروط لهذا المؤمن بعد، لوجدنا السبب هو عدم وجود العمل الصالح الذي يعتبره الله أساساً لوجود الإنسان على الأرض فبدونه كل الأمور الأخرى تعتبر مساعدة فقط.

لنقرأ الآية التالية مثلاً:

﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً﴾ ١٢٤ ـ النساء.

وفي هذه الآية وضع عمل الصالحات قبل ذكر الإيمان، مع أنه قاعدة لكل أعمال المسلم، وذلك من أجل تأكيد الله سبحانه على لفت نظر المؤمن إلى أهمية العمل في الأرض. شريطة أن يكون العمل من الأعمال الصالحة وليست من الأعمال المفسدة أبداً. وحتى لايظن المؤمن الذي يعمل عملاً صالحاً في الأرض قد نجح في الاختبار وصار بعد ذلك من سكان جنة الرضوان ينبهه سبحانه إلى موضوع هام يجب أن لايغيب عن فكر المؤمن العابد لله أبداً. ويبدؤه سبحانه بـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ ٢٨ـ النساء. حتى يقول: ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتُنهونَ عنه نُكَفِّر عنكُم سيئاتِكم ونُدخِلكم مدخَلاً كريماً﴾ ٣١ ـ النساء.

فالمؤمن الذي يقوم بكل العبادات ويعمل عملاً صالحاً يجب أن لاينسى أن مغفرة الله له تكون للذنوب والآثام الصغرى أما الكبائر فلابد من حسابه عليها خاصة وأن المؤمن العارف بالله هو الأعلم والأعرف عما نهى الله عنه نهياً شديداً في كتاب الله وأعاده

عليه في مواضع كثيرة، وتحت أسماء مختلفة مرة تحت اسم الصراط المستقيم ومرةً تحت اسم آيات الحكمة ومرةً على أنها آيات الفرقان لكي يفرّقَ بها العبد بين الخطأ والصواب وبين الكبيرة والصغيرة.

لكن سلطان الأرض استولى على نعيم الأرض وحَجَرَ عليه لنفسه ولايشترك معه فيه إلا مساعدوه ومحبوه الذين يطيعونه بعد أن عصوا ربهم، أما باقي الناس من الأمة ترك لهم جحيم الأرض بعد أن جعلهم جنوده يُشركون بالله تدريجياً وهم يظنون أنهم يعبدون الله، وغرقوا بعدها في الفقر والجهل والمرض. والمصائبُ عادةً تجتمع مع اجتماع هذه الثلاثة معاً في أمة ما. ولاتجتمع إلا بالإشراك بالله.

وأكثر مايخشاه السلطان وجنوده صحوة مفاجئة لشعبه، إن حصلت لابد أن يتلوها غضب من الشعب على الظلم مسترداً حقوقه من الطاغوت وجنوده، فيفكر جنوده بكل الوسائل لإبقائهم في غيهم وجهلهم مااستطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولما كان السلطان بلا رغبة في أي وقت على فتح خزائن الأرض التي استولى على مفاتيحها بحديث واحد كما رأيتم سابقاً ـ والعطاء لشعبه المحروم، فكان لابد أن يمكر جنوده للدفع من مال آخر لم يكن تحت تصرفهم طبعاً. فيوقعون على (شيكات مفتوحة) من مال الله الذي في السماء بسخاء لاحدود له. ويقولون لهم: لاتخافوا ولاتهابوا لقد أخذنا تعهداً من السماء أنكم سوف تدخلون الجنة حتى وإن فعلتم الكبائر كلها ولو لم تقولوا (لا إله إلا الله بلسانكم)إلّامرة واحدةً في حياتكم كلها.

٣٥ ـ الحديث رقم (٣٢٢٢) من صحيح البخاري: عن أبي ذر قال النبي ﷺ:

«قال لي جبريل: من مات من أمتك لايشرك بالله دخل الجنة، قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق وفي الرابعة قال: مضيفاً: وإن زنى وإن سرق وشرب الخمر».

هل تظنون أن جنود السلطان لايعرفون ماذا في القرآن الكريم من الآيات البينات؟ وهل تعتقدون أنهم لايعرفون ماذا يقول الله لكل عباد الله في كتابه؟

إنهم يعرفون ويعلمون تمام العلم ولكنهم بعد أن اختاروا طريق الضلالة أصبحوا مجبرين من سيدهم ومعبودهم صاحب الدنانير وواهبها وواهب الحور العين من سبايا شعوب الأرض المقهورة بسيف دين السلطان ظلماً وتسلطاً. فهم جميعاً إن لم يطيعوا السلطان حرمهم من كل الشهوات والرغبات التي أحبوها وعشقوها حتى غدوا لايطمعون إلا بها، وأصبحوا من أجلها يركضون ويلهثون. وأحاديث السخاء والعطاء والشفاعة كما

رأيتم سابقاً لاتتلى على الناس كل يوم فهم يعرفون أوقاتها ومناسباتها تماماً. إذ يخبئونها لمناسبات الأعياد العامة في الأمة حيث الناس بحاجة للفرحة والعطاء. لنسيان هموم الدنيا ومصائبها التي تكاثرت عليهم وتزداد يوماً بعد يوم والآتي من الأيام أشدّ وأظلم، فيتكرم عليهم السلطان على لسان جنوده المخلصين على أن يسخوا عليهم بتلاوة تلك الأحاديث، وكلها وعود (وشيكات) تصرف من مال الله الذي عنده في السماء كما قلت لأن مال الله الذي على الأرض أصبح محرّماً عليهم فهي من متاع الدنيا الغرورة، وبعد العيد يعود زبانية السلطان إلى التذكير بعذاب الله للناس في القبور وضرب العباد تحت الأرض بأسياخ من حديد ويسمع صراخهم كل شيء ماعدا الإنسان. وهذا عذاب جديد اخترعوه في الدين من جديد لأنهم وجدوا أن خوف الناس من نار جهنم ضعيف لشعورهم أن بينهم وبينها ملايين السنين. أما عذاب القبر فإنه على الأبواب يترصد كل إنسان ليقضي ملايين السنين في العذاب والجحيم وذلك كله قبل لقاء ربه وقبل الحساب، وإن سألتهم إنَّ الله لم يذكر لنا عن هذا العذاب شيئاً في القرآن؟ لأجابوك بصوت واحد: كان ذلك في وحيه الأول، لكنه في الوحي الثاني نسخ آيات القرآن كلها، وأرسل لرسوله آيات الوحي الثاني الواجبة للاتباع. وكما أجمع جمهور العلماء منهم على أن من لايقبل بهذا القرار ويصدقه ويؤمن به ليس منهم أبداً، بل كافر مارق حُرّمت عليه الجنة وكتب له النار والجحيم.

ومن ألف وأربعمائة من السنين ونحن المسلمين بعد أن تركنا سبيل الله واتبعنا سُبُلَ الشياطين صارت حياتنا على هذا النمط والنموذج الذي وصفته لكم، وما زلنا فيها وعليها إلى اليوم، لأننا حتى بعد زوال السلاطين تحولنا إلى آبائيين نسير وِفقَ ماوجدنا عليه آباءنا، وتركنا كتاب الله وهجرناه وتركناه ليتلى فقط على الأموات في القبور. حتى يصبروا هناك على عذابهم الأكبر، وزبانية الجحيم قد نزحوا إليهم بعد أن هاجروا إلى الأرض لعلمهم أن من بعد شفاعة الرسول ﷺ لن يدخلها أحد. فأصبحوا بعدها عاطلين عن العمل فجاؤوا ليجدوا لأنفسهم عملاً مع الأموات لتعذيبهم والتنكيل بهم إلى يوم القيامة.

٣٦ ـ الحديث رقم (١٣٧٤) في صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: إنه حدثهم رسول الله ﷺ وقال:

«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه. وإنه ليسمع قرع نعالهم، إلى أن يقول

أنس: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول مايقوله الناس. فيقال: لادَرَيتَ ولاتَلَيتَ. ويُضرب بمطارق من حديدٍ ضربةً، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين».

٣٧ ـ الحديث رقم (١٣٦٧) في صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: مرّوا بجنازة فأثنوا عليها خيراً. فقال النبي ﷺ: وَجَبَت. ثم مرّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً. فقال وجبت. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ماوجَبَت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراًفوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض».

هل هذا المنطق السلطاني هو منطق القرآن في آيات الله البينات؟

وهل هذا هو العدل الإلهي الذي يحدثنا عنه سبحانه في القرآن؟

وهل بعد تنفيذ هذا المنطق في العباد يمكن أن نقول للناس:

﴿إنَّ الله لايظلم مثقال ذرةٍ﴾ ٤٠ ـ النساء.

﴿كتب ربُّكم على نفسِه الرحمةَ﴾ ٥٤ ـ الأنعام.

فهل يصدقنا الناس؟ ألايقولون لنا: لماذا تناقضون بعضكم؟

فمن نصدّق الوحي الأول الذي في القرآن، أم الوحي الثاني الذي تتلونه علينا كل يوم؟ ولكن جنود السلطان يصرّون بالإجماع على أن الوحي الثاني قد نَسَخَ الوحيَ الأولَ بكامله ولم يعد من الضروري قراءته وتلاوته أو فهمه من أحد، خاصة وأنَّ معانيه باطنية لايمكن أن يصل إليها إلا العلماء الموهوبون من الله علماً غزيراً فضلاًمن الله، والموثوقون ويحملون شهادة حسن السير والسمعة والسلوك من السلطان ومساعديه الأبرار.

وهكذا تجدون أن من يمدحه السلطان وجنوده وجبت له نعيم الدنيا والآخرة، ومن يذمّونه أو يتهمونه بشيء أيضاً وجبت وحقت عليه اللعنات مصحوبة بعد جحيم السلطان في الأرض بجحيم آخر في القبر قبل جحيم السماء.

ومن لايفكر بدين السلطان بهذا الأسلوب لن يستطيع أن يفهم هذا الدين أصلاً. فهو دين أرضي خاص، ونحن نظن من وهمنا أنه دين الله الذي أرسل من السماء على رسول الله محمد ﷺ هدى ورحمةً للعالمين.

﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ليُظهِرَهُ على الدينِ كلّه ولو كَرِهَ المشركون﴾ ٩ ـ الصف.

ولو كره كل السلاطين على الأرض.

٣٨ ـ الحديث رقم (٣٠٧٤) في صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركره. فمات فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءةً قد غلها».

غلها: (أي أخذها لنفسه من غنائم الحرب دون أن يخبر عنها، لتضم إلى الغنائم حتى يأخذ خمسها الرسول ﷺ ثم أصبح من بعد الرسول سلطان المسلمين. على أن يوزع الباقي على المقاتلين بالعدل).

والحديث بهذه الصورة يناقض القرآن ويجعل الرسول ﷺ شريكاً لله في غيبه. إذ لايعلم غيب الله أحد من مخلوقاته، سواء كانوا من الملائكة أو الجن إو الإنس سواء كانوا من المقرّبين من الملائكة أو من الأنبياء والرسل من الناس.

﴿قل لايعلَمُ مَن في السموات والأرض الغيبَ إلا الله﴾ ٦٥ ـ النمل.

﴿عالم الغيب فلا يُظهِرُ على غيبه أحدا﴾ ٢٦ ـ الجن.

لكن جنود السلطان اطمأنوا أن أمرهم لن ينكشف طالما أبعدوا عن أيدي الناس القرآن الكريم وقالوا لهم علناً. إنكم غير قادرين على معرفة معاني القرآن لوحدكم، بل أنتم بحاجة دائمة إلى كهنة الإسلام وهم وحدهم القادرون على التأويل والتفسير، طبعاً كما يشاء وليُّ نعمتهم السلطان لا كما يشاء الله سبحانه.

لكن الحديث وضع ترهيباً للمؤمنين من المسلمين حتى لايمدوا أيديهم للغنائم التي من أجلها قلب السلطان دين رب العالمين، حتى لاتنقص حصة السلطان وجنوده. فإذا غل جندي عباءة، وأخذ جارية من سبايا الحرب وثالث آنية من الفضة ورابع مصوغات من الذهب، وخامس سيفاً نفيساً فماذا يبقى لهم؟ وهكذا تجدون أن المصلحة وراء هذا الحديث الذي أنساهم أنهم قد ناقضوا أنفسهم، فقبل قليل قالوا لنا في حديث أيضاً عن الرسول ﷺ: إن جبريل قد أنزل من الوحي الثاني وقال: من قال لا إله إلا الله بلسانه ولو مرة واحدة فإنه سوف يدخل الجنة رأساً بلا سؤال ولا حساب حتى وإن زنى وحتى وإن سرق وشرب الخمر أيضاً، لكنه إذا غلّ ولو عباءة واحدة قد تكون من أموال السلطان فإنه يدخل النار أيضاً بلا سؤال ولا حساب (ألا تلاحظون معي ركاكة هذا الدين وهشاشته). أقصد دين السلطان وليس دين الإسلام.

ولو كان في أتباعهم من يفكر منهم ويعرف حقيقة القرآن وآياته وقوة الحق فيها لما استطاعوا أن يستمروا على خداع الناس كل هذه الفترة الطويلة من الزمن، لكن الجهل والفقر إذا اجتمعا بعد غفلة من الإنسان فإنهما يفعلان به الأعاجيب.

٣٩ ـ الحديث رقم (٧٤٨٣) عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ:

«يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج بعثاً إلى النار».

هذا الحديث يأتي ليلغي ويناقض كل ما سمعناه من الأحاديث قبل ذلك، خاصة التي تتعلق بالدخول إلى الجنة بسهولة ويسر، دون سؤال أو حساب ولمجرد قول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله. خاصةً بعد سماعنا لحديث الشفاعة نقتنع تماماً أن الله سبحانه قد ألغى النار التي حدثنا عنها في القرآن الكريم. ليعودوا ويذكرونا بأن الله سبحانه كان قد قدر منذ الأزل أيضاً وقبل أن يخلق آدم أو ذريته مَنْ مِنَ الناس بالأسماء سوف يدخلون الجنة وكذلك من منهم سوف يدخل النار.

فكل الآيات القرآنية بحسب هذا الحديث أصبحت منسوخة ولم يعد لها أي قيمة في القرآن الكريم: مثل:

﴿وبشّر الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ ٢٥ ـ البقرة.

﴿والذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ أولئك أصحاب الجنة﴾ ٨٢ ـ البقرة.

﴿من آمنَ بالله واليومِ الآخر وعَمِلَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٦٩ ـ المائدة.

﴿أما من آمنَ وعَمِلَ صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ ٨٨ ـ الكهف.

وهذه الآيات في القرآن الكريم كثيرة، ولكن مع وجود أحاديث السلطان تلك التي افتراها له جنوده من أجل تحقيق غايات وأهداف معينة لم يعد لتلك الآيات أي مفعول أو عمل في حياة الناس وشرعهم بل توقف العمل بها منذ ألف وأربعمائة من السنين.

٤٠ ـ الحديث رقم (٢٨١٧) في صحيح مسلم: عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«لايُدخِلُ أحداً منكم عَمَلُه الجنّة. ولا يجيره من النار. ولا أنا إلا برحمة من الله».

وإن قلنا لهم وماذا عن قول الله تعالى:

﴿ومن يعمل الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة﴾ ١٢٤ ـ النساء.

﴿من عمل صالحاً من ذكر إو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّهُ حياةً طيبة﴾ ٩٧ ـ النحل.

الآية الأولى تعده الجنة، والله سبحانه عندما يقول الجنة دون تعيين يقصد بهما الجنتين في الدنيا والآخرة.

وفي الآية الثانية: يقصد سبحانه حياة العبد في الدنيا، حتى يعلم المؤمن أن عطاء الله له لايكون فقط في الآخرة وإنما في الدنيا قبل الآخرة ورب العالمين لم يقدّر أبداً كما يقول بعض رجال الدين عندنا أن الله سبحانه قد أعطى الدنيا للكفار والآخرة للمؤمنين، هذا توزيع قام به السلطان ظلماً لعباد الله من قديم، ولكن القرآن الكريم نجد فيه دائماً حقائق الرحمن.

٤١ ـ الحديث رقم (٣٥٩٦) في صحيح البخاري: عن عقبة بن عامر: «أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحُد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال:

«إني فرطُكم وأنا شهيدٌ عليكم. وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أُعطيت خزائن مفاتيح الأرض. وإني والله ماأخاف بعدي أن تشركوا، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها».

هذا الحديث يناقض القرآن الكريم مناقضة شديدة. وذلك فيما يلي:

أ ـ الحوض الذي نتكلم عنه وهو من الأمور التي نفترضها بعد يوم القيامة وهذا مازال كله في غيب الله.

ب ـ وأني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض.

بل إن الله سبحانه قال عكس هذا الكلام في القرآن، وهو يأمر رسوله أن يبلغ الناس بعد كلمة الأمر الإلهية:

﴿قل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إنّي ملك﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

ليس هناك من أحاديث وضعها جنود السلطان عبثاً هكذا بالمصادفة وأتت تناقض القرآن، لأنهم يعلمون ماذا قال الله في قرآنه، إن كل هذه الأحاديث في النهاية صَنَعَت دين السلطان الذي بشّر به لنفسه كإله على الأرض تماماً كما فعل فرعون، والفارق الوحيد هو اختلاف الأسماء. بينما الأفعال واحدة.

فماذا يستفيد فرعون المسلمين من هذ الحديث؟

أعطيت مفتاح خزائن الأرض.

الخليفة يحكم الناس باسم أنه خليفة رسول الله، فعندما تكون مفاتيح خزائن الأرض بيد محمد ﷺ تنتقل من بعده بالوراثة للخليفة أمير المؤمنين السلطان الطاغية المعظم الذي يحكم باسم الله على الأرض ومبشراً بدين خاص له من دون دين الله كله، وكل الأحاديث التي تجدها بالآلاف تناقض القرآن وآياته، ولم تأت سهواً أو خطأً وإنما بقصد وَنيَّةٍ وتوجّهٍ وهدفٍ له غاية مقصودة ومنفعة مطلوبة من الفرعون الجديد. إذ بهذا الحديث يصبح ذلك المفتاح لخزائن الأرض وكنوزها بيد السلطان أمير المؤمنين يتصرف بها بمطلق الحرية دون أن يكون لأحد في الأرض سلطة عليه حتى لمجرد سؤاله لماذا؟ لماذا تبذر؟ أو لماذا تسرف؟ أو لماذا تعطي من لايستحق؟ أو لماذا تحرم الفقراء؟ فهو قد أصبح بفعل الأحاديث إلهاً على الأرض لايُسأل عما يفعل بل هو الوحيد الذي له حق السؤال، وبالتالي عليه فقط بأن يرسل جنوده إلى حيث يعلم بوجود الكنوز على الأرض حتى يأتوه بها تحت اسم الجهاد في سبيل الله ويأخذ منها خُمْسُهُ كله خاصاً بذلك نفسه إنها لله وللرسول. ومن بعد الرسول فهي له.

لاحظ ختام الحديث: وإني والله ماأخاف بعدي أن تشركوا. ولكن أخاف أن تنافسوا فيها.

إن الذي يتكلم في هذا الحديث هو السلطان الطاغية وليس الرسول محمد ﷺ أبداً.

لأنه لو كان الرسول لما قال أبداً (وإني والله ماأخاف بعدي أن تشركوا) لأن الرسول ﷺ الذي ذُكِرَ له في قرآن المسلمين اسم موسى ١٣٦ مرة لن ينسى أبداً ماحصل له عندما ترك قومه أربعين ليلة. وماذا حصل لهم؟

إذ عاد إليهم وقد فتنهم الله بشيطان الإنس السامري، فأشركوا بالله من بعده بعد أن رأوا بأم أعينهم جميعاً تسع معجزات من أكبر المعجزات التي حصلت على يد أحد الأنبياء والرسل على الأرض فلم ينفعهم كل ذلك فكيف يطمئن الرسول ﷺ إلى الشيطان هذا الإطمئنان؟ لكن الحقيقة أن السلطان يقول مابنفسه لأنه لايهمه على الإطلاق إن أشركوا بالله طالما مفتاح خزائن الأرض بيده. يفعل بها مايشاء. ثم يختمها قائلاً.

ولكن أخاف أن تنافسوا فيها: أي يخاف أن يتنافس الناس في الحصول على تلك

الكنوز قبل إيصالها إليه سالمة محفوظة وله كل الحق أن يخاف على ذلك.
وهكذا نجد أنه بمقدار مايتناقض هذا الحديث مع القرآن يتطابق مع رغبات السلطان وهو المطلوب تقديمه من جنوده المخلصين من الذين فاز أحدهم كما ذكرنا سابقاً على ألف امرأة يعيش لوحده في أحضانهن في نعيم مقيم. وهو أستاذ البخاري في علم الحديث وهو مثال واحد من جنود السلاطين.

٤٢ ـ الحديث رقم (٤٩١٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة. ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً».

وهذا الحديث هو تأويل للآية الكريمة (يوم يُكشف عن ساق).

وهي من الآيات المتشابهة التي نهى الله عن تأويلها أو تفسيرها وكان الرسول ﷺ وصحابته لايسألون عنها ولا يؤولونها مطلقاً لأن الله سبحانه قال عنها جميعاً ﴿ولتعلمنّ نبأه بعد حين﴾ ٨٨ ـ ص.

لكن رجال الحديث لم يتركوا باباً فيه منع إلا طرقوه وخالفوه، فأخذوا من كتب أهل الكتاب كل تحريفاتهم على لسان الرسول، ثم قالوا عنها علم، وهي كلها لاتعدو عن أوهام، فأخذوا من الإنجيل مقولة باسم عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام يقول فيها: من رآني فقد رأى الله. فأوَّله بعض أصحاب عيسى على أن هذا يعني بأن الله سبحانه يشبه عيسى بن مريم. وعن كتاب التوراة أخذوا بأن الله خلق آدم على صورته (أي صورة الله، إذاً فالإنسان يشبه الله) ناسين أنهم بذلك قد خالفوا كل القرآن وقلبوا عقيدة الإسلام بالكامل، لأن قولنا بأن لله أعضاء والأعضاء لها وظائف، نكون بذلك قد جعلنا الله سبحانه مخلوقاً كبيراً، ناسين أن كبر الحجم لاينفي عنه المادة، والمادة من المخلوقات وكل مخلوق زائل، إذاً نقول بحسب هذه النظرية: إن الله زائل علماً أن القرآن الكريم لم يقع في مثل تلك الأخطاء الفاحشة، وكل العبارات التي استخدمها الله هي مجرد رموز للتقريب فقط لذهن الإنسان، لأنه لو استطاع الإنسان أن يستوعب الله ويحيط به علماً لأصبح إلهاً وهذا مستحيل، لذلك فنحن يمكن أن نرى قدرة الله في مخلوقاته ولكننا لن نستطيع أن ندرك الله سبحانه بحواسنا لأنه خارج طاقتنا الإدراكية الحسية كلها وهذا مايقوله القرآن الكريم.

وحتى إذا عدنا إلى القرآن الكريم لنستمع للآية الأساسية التي تقول:

﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ ٣٤ - القلم.

إن الله تعالى لايتكلم عن ساقه وإنما عن ساق العبد الذي خلقه الله وبعثه من القبر والكشف عن ساقه هنا كناية عن عريه وعدم وجود لباس عليه وهذا هو أسلوب الله تعالى كما تعلمنا في القرآن الكريم فالله يكتفي بالتلميح دون التفصيل فهو سبحانه عندما قال (ولاتقربوا النساء - أو إذا لامستم النساء) كلها تلميحات عن المباشرة للنساء ولكن بأسلوب رحماني لطيف. والكشف عن ساق عبده كناية لطيفة يفهمه بها عن عريه في ذلك اليوم ولكن بدلاً أن يفهم جنود السلطان للقرآن هذا الفهم يريدون أن يفهمونا أن الله تعالى هو الذي كشف عن ساقه وكأنه سبحانه مخلوق مثلنا، استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم وأتوب إليه.

لهذا يجب أن يكون إدراكنا لله عن طريق العقل بوجوب وجوده، ولكن هناك أمور يصعب على العبد تصورها عن ربه وعن يوم القيامة وعن الجنة والنار لأنها في عالم غير عالمنا المادي ولدينا حواس غير حواسنا ومدركاتنا الحالية التي هي غير كافية لادراكها وحتى أقرب المعنى لنفرض أن ابنك أو ابنتك سألتك قبل البلوغ قائلة:

بابا لماذا سموا بداية الزواج بشهر العسل؟ مثلاً:

سوف نجده من أحرج الأسئلة خاصة وأنك أمام طفلة توجه إليك سؤالاً مباشراً وعادياً من سنن الحياة ولكنها ليست من مدركاتها بعد وكل مايمكن أن تقوله لها هي محاولات للتقريب إلى ذهنها قدر المستطاع وكل ماتقوله أيضاً لن يكون هو الحقيقة الكاملة وإنما مجرد محاولات للتقريب لأن ماتحاول أن تصفه فوق مدركاتها أو خارجها حالياً.

وكذلك الله تعالى ولكن بصورة أوسع وأشمل من ذلك المثال الذي يحاول أن يقرب لنا مدركات يوم القيامة وكل مايقول الله ليس من باب التحديد وإنما من باب التقريب. ولكن إذا لم نكتف بذلك التقريب أو لم نفهمه هذا لايعطينا جوازاً لأن نعود إلى كتب أهل الكتاب المحرفة ونستنسخ منها مانشاء ونحن نظن أن مافيه هو العلم ثم نعود لنجلس أمام المسلمين ونقول:

(يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة) وكأننا كنا قد رأينا الله تعالى قبل ذلك وصورناه أو نقول نقلاً عن كتبهم (خلق الله أدم على صورته) كل تلك الأمور

سذاجات أطفال وبساطة في التفكير عف عنه الله تعالى في القرآن الكريم وارتفع عنه كثيراً وتخطاه بل أنه يتحدى بما فيه من فكر وعلم وفلسفة وأنباء ومعجزات كل علماء الأرض اليوم وفي كل يوم إلى يوم الدين ولن يصلوا إلى علم الله العليم لذلك يجب أن ندرك أنَّ كتاب الله يختلف عن كتب السلاطين كثيراً.

وكتاب الله هو معجزته الخالدة الدائمة الباقية على الأرض مع الناس يستطيع كل إنسان عاقل بالغ أن يرى تلك المعجزات بنفسه إذا شاء واتجه إلى ذلك الكتاب ليعرف ماهي تلك المعجزات.

٤٣ ـ الحديث رقم (٤٦٣٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لاتقوم السلاعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لاينفع نفساً إيمانها، ثم قرأ الآية:

﴿يومَ يأْتي بعضُ آياتِ ربّكَ لاينفَعُ نَفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ﴾ ١٥٨ ـ الأنعام.

إن الذي وضع الحديث يظن أن الشمس هي التي تتحرك من الشرق للمغرب، وهو يتخيلها كما تبدو لناظريه بأنها قرص صغير متوهج في السماء، يضيء الأرض كل يوم، فيتخيل أن يعكس هذا القرص الصغير منحى حركته من الغرب إلى الشرق. وهذا كلام ليس مصدره رسول الله ﷺ لأنه يعلم أنَّ الآية التي نحن بصددها من الآيات التي لايؤوّلها المؤمنون بل يحاول تأويلها الذين يقول عنهم الله في الآية الكريمة:

﴿هو الذي أنزل عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ متشابهاتٌ فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ماتشابَهَ منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاء تأويلِهِ ومايعلمُ تأويلَه إلا الله ∴ والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عندِ ربّنا ومايذكر إلا أولوا الألباب﴾ ٧ ـ آل عمران.

ماذا قال الله سبحانه عنهم؟

(الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتَشابَهَ منه ابتغاء الفتنة).

وابتغاء شيء آخر أيضاً فما هو؟:

(وابتغاء تأويلِهِ) ولكن الله يقرّر لنا جميعاً أنه (ومايعلم تأويلَه إلا الله) وهنا وقف تام في الآية أي الجملة انتهت. ثم يقول سبحانه:

(والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربنا) وماذا يمكنهم أن يقولوا وهم بعد

في عصر الرسول، لايعلمون أن الأرض كروية، فهي لازالت في غيب الله.

ولايعلمون أن الشمس لاتدور حول الأرض بل كل الناس حتى بعد اكتشاف كروية الأرض ظلوا يعتقدون أن الأرض هي مركز الكون وكل الشموس والكواكب والشمس تدور حول الأرض.

إذاً فكيف نتخيل أن تعود الشمس من المغرب إلى المشرق إذا كانت من الأساس لم تتحرك من مكانها، المحدّث أوقع نفسه في ورطة كبيرة لكن على الأقل كشف لنا دليل كذبه على الرسول لأنه كان يقول كلاماً لايدرك مداه وأنه مع استمرار الأيام وتقدم العلوم وظهور المكتشفات الحديثة سينكشف أمره.

إذاً هل تريدونا أن نصدق بأن الرسول ﷺ قد قال عكس الحقيقة وعكس العلم وخالف ربه وحاول أو يؤول آية من الآيات المتشابهة فأدخل نفسه من ضمن الذين في قلوبهم زيغ. أستغفر الله من كل ذنب عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله هناك استحالة تامة أن يكون الرسول هو صاحب هذا الحديث.

وهناك مجلد كامل تقريباً للبخاري وكله على الإطلاق مثل هذا الحديث السابق في محاولة لتأويل آية من الآيات المتشابهة في القرآن، وأعتقد أن بعضاً من النماذج التالية كافية بدل الخوض في كل ذلك المجلد، لأنه ترديد لنفس المحاولات التي لاطائل من ورائها إلا مناقضة القرآن والعلم والمنطق الذي لم يحصل ولن يحصل حتى في المستقبل مع آيات القرآن الكريم. بل إن الله سبحانه جعل لمن يرغب أن يعلم الفرق بين الذي مصدره من عند الله وتلك التي تُدّعى أنها وحي وأنها من عند الله ولكنها غير ذلك بدليل صفةٍ مشتركة دائمة موجودة في تحريفات أهل الكتاب وفي تحريفاتنا أيضاً نحن المسلمين، وهذه الصفة المشتركة هي المذكورة في الآية التالية من القرآن:

﴿ولو كانَ من عندِ غير الله لوجدُوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

مثل الاختلافات والتناقضات التي نجدها في كل هذه الأحاديث كما تلمسون وتشاهدون بأنفسكم، وقال تعالى:

﴿ومن الناس من يُجادلُ في الله بغيرِ علمٍ ولاهدىً ولاكتابٍ منير﴾ ٨ ـ الحج.

وقال سبحانه:

﴿فمن أَظلمُ ممّن افترى على الله كذباً ليُضِلّ الناسَ بغيرِ علمٍ﴾ ١٤٤ ـ الأنعام.

٤٤ ـ الحديث رقم (٣١٩٩) في صحيح البخاري: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس:

«أتدري أين تذهب؟» ـ يعني الشمس ـ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتَسْتَأْذِنُ فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى:

﴿والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيزِ العليم﴾ ٣٨ ـ سورة يس.

محاولة أخرى فاشلة لتأويل وتفسير آية من المتشابهة الذي نهى الله عن تأويلها وماهي النتيجة؟ كلام لاترابط فيه ولا علم ولامنطق. واليوم بعد معرفة أمور كثيرة لم تكن معروفة عن حقائق الأرض والشمس ظهر أن هذا التأويل بدائي، يرفضه العلم، ولا يعلم حتى الآن إلى أين تجري الشمس وأين هو مستقرها وهي كلها مازالت في غيب الله الذي لم يطلع عليه إنس ولا جان ولا حتى ملاك.

٤٥ ـ الحديث رقم (٣٢٢٣) في صحيح البخاري: عن أبو هريرة قال النبي ﷺ:

«الملائكة يتعاقبون: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر. ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم ـ فيقول كيف تركتم؟ فيقولون تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون».

أيضاً الذي قال هذا كان يظن أن الأرض تنتهي على أكبر تقدير له بالجزيرة العربية وماحولها من بلدانٍ لَيْلُها واحد ونهارُها واحد، ولم يكن يعلم أنه في كل لحظة على الأرض ليل في مكان وهناك نهار في مكان آخر، وكما لم يكن يعلم أنه في أي لحظة من لحظات الأربع والعشرين ساعة هناك من يؤذن لصلاة الصبح، وفي نفس اللحظة هناك من يؤذن لصلاة الظهر، وفي نفس اللحظة هناك من يؤذن لصلاة العصر، وفي نفس اللحظة هناك من يؤذن لصلاة المغرب، وفي نفس اللحظة هناك من يؤذن لصلاة العشاء، ولكن في أماكن مختلفة على الأرض.

إذاً: جدول المناوبات الذي تخيله للملائكة لا أساس له، والليل والنهار أشياء غير موجودة بالنسبة لله والملائكة بل هي تغيرات يحس بها الإنسان المقيد بأن يعيش على هذه الكرة الأرضية، فيحس بالليل والنهار نتيجة دوران الأرض حول نفسها في كل ٢٤ ساعة مرة.

٤٦ ـ ننهي هذه الجولة السريعة بحديث أخير هو:
الحديث رقم (٣١٩٤) في صحيح البخاري: عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ:
«لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبَت غضبي»
إن الذي كتب هذا الحديث هو جندي من جنود السلطان الذي تعوّدوا أن يروا السلطان مندوب الله على الأرض بحسب اعتقادهم، جالساًفي مكتبه وفوق رأسه قد وضع آية أو حكمة، كذلك يتخيل الله في السماء ضخم الجسم هائل الحجم قوي العضلات شائب الشعر، كما يتخيله رسامو أهل الكتاب فيرسمونه في قبة كنائسهم، ويحوم حوله ملائكة مجنَحون، وقد كتب فوق رأسه فيما يقع خلف عرشه لوحة بالخط العربي الكوفي الجميل وبحسب خياله أن لغة الله سبحانه هي أيضاً العربية.
«إن رحمتي غلبت غضبي».
وما هي مصلحة الرسول ﷺ في أن يتكلم في غيب الله وفيما لايعلم من الأمور؟
وهل من الأمور المخجلة للمسلم إذا قال الحقيقة عن رسوله الكريم؟ بأنه لايعلم وأن علمه ينتهي بما هو موجود في أم الكتاب من القرآن التي فيها الأحكام؟
وهي التي تشكل رسالته كلها للمسلمين؟ أما آيات القرآن التي هي المتشابهة والتي لم يعلمنا الله بعد ماذا يقصد بها بل سوف يأتي تأويلها في المستقبل من الأيام؟.
وكما صار بالنسبة لنا آيات كثيرة منها مفهومة بعد تقدم العلوم الهائل في العصر الحديث كذلك فإن تقدم العلوم مستمر على الأرض والاكتشافات العلمية أيضاً سوف تستمر، وكذلك إعجازات القرآن أيضاً سوف تستمر بهذه الآيات التي تبرهن للناس في كل عصر أن هذا الكتاب الوحيد من بين كتب العالم كلّها مصدره من السماء، ومافيها من معلومات لم تكن من معلومات الإنس والجن، بل من معلومات الله وحده.
فيزيد عدد الذين يعودون إلى سبيل الله بعد أن يتركوا كل السبل المتفرقة يميناً ويساراً لأنها كلها ضلَّت أو أُضِلَت عن قصد، كما حصل معنا خلال الألف والأربعمائة من السنين نحن المسلمين، والله سبحانه وتعالى بعد أن عدّد لنا وصاياه العشرة قال لنا:
﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُلَ فتفرّقَ بكم عن سبيلِهِ ذلكُم وصّاكُم به لعلّكم تتّقون﴾ ١٥٣ ـ الأنعام.

صدق الله العظيم.

الفصل الثالث

أحاديث تناقض بعضها وتناقض القرآن الكريم

سأبدأ بحديث المبشرين بالجنة، وهو موضوع يؤمن به أغلب أهل السُنَّة، لدرجة أنهم يعتبرونها من البديهيات التي لاتقبل المناقشة. مع العلم أن موضوعها يناقض القرآن مناقضة كاملة لأسباب مختلفة، منها أن الجنة والنار من المواضيع التي مازالت في غيب الله، ولم يُقدّر بعد لأحد من الإنس الدخول إلى أحدهما إلا لأبي لهب، أما الباقي فإنه يحدث فقط كما وعد الله تعالى في كتابه، بعد البعث من الموت وإجراء الحساب بالقسط والميزان لكل الناس بما فيهم الأنبياء والرسل. وللرسول نفسه أحاديث تصدق هذا الكلام ويعترف فيها أنه لايعلم ماذا سيفعل الله به بعد، ولايعرف مصيره إلاّ بالأمل مثل باقي الناس، فكيف له أن يعرف مصير الآخرين، وكما له أحاديث ينفي فيها عن نفسه الشفاعة، لأن الله سبحانه لم يقرر ذلك لأحد أبداً. بينما نجد أحاديث في الصحيحين تتحدث عن موضوع واحد هو حديث المبشّرين بالجنة. الذي يناقض نصوص القرآن الكريم وعندي حديث للرسول الأمين لايمكن تكذيبه من قبل أحد أبداً من صحيح الله تعالى ومن كتابه الكريم:

﴿قُل ماكُنتُ بِدعَاً من الرُسلِ وما أدري مايُفعَلُ بي ولابكُم إن أتّبِعُ إلّا مايُوحى إليَّ وما أنا إلا نَذيرٌ مُبين﴾ ٩ ـ الأحقاف.

ومن حق المسلم أن يتساءل ويقول: طالما هذه هي الحقيقة فماذا كان هدف الذي أمر بافترائها أصلاً في إسلام المسلمين.

إذا دققنا النظر بعين ناقدة ومختبرة للاحظنا وجود هدف سياسي خبيث.

شرحت مراراً أن زعيم المسلمين غدا المنتصر والسلطان الذي أعاد السلطة الشرعية إلى بني أميّة، الذي صار هدفه إبعاد الأحقية الشرعية عن علي بن أبي طالب الهاشمي بالنسبة للخلافة، مع إقناع عامة الناس بهذا الموضوع، فلم يترك سلطان السنة الجديد وسيلة إلا طرقها في سبيل الوصول إلى هذا الهدف. لذلك إذا دققنا النظر في الروايتين

الموجودتين في الصحيحين سنلاحظ إبعاد اسم علي بن أبي طالب من الحديثين. وذلك لإقناع بسطاء الناس بأسلوب غير مباشر عن طريق رواية أحاديث عن لسان الرسول، حتى يلاحظ عامة الناس ويقولوا في أنفسهم: حتى الرسول ﷺ كان يتجاهل علي بن أبي طالب في الأحاديث المهمة، وهذا هو هدف وغاية الحديث أصلاً، (الإساءة لعلي) - بأسلوب غير مباشر، عن طريق أحاديث تروى عن الرسول ﷺ.

والآن لنسمع الحديثين باختصار لأنهما طويلان جداً. والأحاديث الطويلة كلها مفتراة لأن ذاكرة الإنسان لايمكن أن تستوعب أحاديث طويلة، خاصة وأنها كانت تروى من جيل لجيل حتى وصلت أحياناً للجدّ السابع في عصر البخاري ومسلم.

١ / أ - الحديث رقم (٣٦٧٤) من صحيح البخاري: عن شريك عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته وخرج (وسأل عن الرسول في المسجد فلم يجده فخرج على أثره يبحث عنه) حتى دخل بئر أَرِيس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله حاجته فتوضأ، قمت إليه فإذا هو جالس على بئر أَريس وتوسط قُفَّها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر... فجاء أبو بكر فدفع الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك. ثم ذهبت فقلت: يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: «ائذن له وبشّره بالجنة»(*). فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلّى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه.... فإذا إنسان يحرّك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب يستأذن. فقال: ائذن له وبشّره بالجنة...

(وهكذا دخل وجلس عن يسار الرسول مشمّراً عن ساقيه).

فإذا إنسان يحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان.... فقال: ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تُصيبُهُ (مشيراً إلى أن الله تعالى قد أخبره بالغيب وعلم ماسيحصل له من القتل على أيدي المحرضين من اليهود أتباع عبد الله بن سبأ) فدخل

(*) يحاول جندي السلطان الحاقد الذي يفتري هذا الحديث أن يسخر منا ومن رسولنا محمد ﷺ بأن يجعل مكتب الرسول حيث يقف له حاجب على بابه المكان الذي قضى فيه الرسول قبل قليل حاجته.هذه أمور لم ننتبه لها جميعاً لأننا وقعنا في عشق الأحاديث قبل أن نعرف ماذا كتبوا لنا فيها فلم نعد نرى سخرية الناس منا ومن رسولنا بشكل واضح وصريح في تلك الأحاديث المفتراة.

ووَجَدَ القُفّ قد مليء (يقصد فَتحَةَ البئر) فجلس وَجاهةً من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد: «فأولناها قبورهم» وكما لاحظتم فقد استبعد الحديث اسم علي بن أبي طالب. والحديث أصلاً تم افتراؤه من أجل هذا الهدف بالذات، ولو كان هذا الحديث صحيحاً لوجدنا أحاديث عن عائشة رضي الله عنها وعن باقي الصحابة حول نفس الموضوع.

ومما يؤكد افتراءه سكوتُهم، لأن مقالة أنه أتى من السماء نبأ بتبشير إنسان بالجنة خبر غير عادي، لابد أن يتناقله كل الصحابة وتسمعه من الخلفاء الأربعة ومن عبد الله بن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وغيرهم منقولاً. من الرسول أو من أصحاب العلاقة أنفسهم (أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم).

٢ / أ ـ الحديث الذي يناقضه: هو الحديث رقم (٣١) المسلسل (٥٢) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال:

كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا. فكنت أول من فزع. فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً؟ فلم أجد فإذا ربيع يدخل (جدول ماء)في جوف حائط من بئر خارِجَةْ. فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: «أبو هريرة؟» فقلت: نعم يارسول الله. قال: ماشأنك؟. قلت: كنتَ بين أظهرنا فقمتَ فأبطأت علينا فخشينا أن تُقْتَطَعَ دوننا ففزعنا. فكنتُ أولَ من فزعَ فأتيتُ هذا الحائط.

(وكيف يفزع عليه أبو هريرة وغيره من الصحابة وكلهم يعلمون أن الله يحميه بعد أن أنزل عليه القرآن الكريم:

﴿يا أيّها الرسولُ بلّغ ما أُنزلَ إليك من ربّك وإن لَم تفعل فما بلغتَ رسالَتَهُ والله يعصِمُكَ من الناس﴾ ٦٧ ـ المائدة.

فإن الرسول ﷺ بعد تلك الآية قد حصل على حِمايَة لم يحصل عليها قبله أحد من الجن والإنس، فهو بعد تلك الحماية لم يعد بحاجة إلى حماية أبي هريرة أو غيره من الناس. وعلى فرض أن الحماية غير موجودة فهل تصدقون أن حب أبي هريرة للرسول أعظم من حب أبي بكر الصديق له؟ أم أن هناك من يحب أن يشكك؟ ولكن اسمعوا القصة حتى نهايتها فما هو آتٍ أعظم مما سمعتم:

.... فقال الرسول ﷺ: يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه قال:

«اذهب بنعلي هاتين فمن لقيك من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

كيف لأبي هريرة أو غيره من الناس أن يستيقن أن الذي يقول بلسانه لا إله إلا الله أنه يقولها مستيقناً بها قلبه أم لا؟

إن الرسول نفسه ليس عنده هذه القدرة بحسب القرآن الكريم الذي يجعل معرفة مافي نفوس الناس محصوراً فقط بعلم الله تعالى دون أن يشاركه فيها أحد.

إذاً فكيف نصدّق أن يطلب الرسول ويأمر أحد الناس لتنفيذ أمر ليس من طاقته كإنسان تنفيذه؟ ثم يتابع أبو هريرة روايته ويقول:

فكان أول من لقيتُ عُمر. فقال: ماهاتان النعلان يا أبا هريرة؟. فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ (شاهدا أبو هريرة على صدق كلامه وهذه أول مرة نسمع فيها في الإسلام بقبول شهادة النعلين، والذي نعلمه من القرآن الكريم أن يكونا شاهدين ذا عَدلٍ). بعثني بهما، من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّرته بالجنة. فَضَرَبَ عمر بيده بين ثدييَّ فخررت لأُسْتي (وهو اسم من أسماء الدُّبُر) فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري.

فقال لي رسول الله ﷺ: «مالكِ يا أبا هريرة». قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثدييَّ. خَدِرْتُ لأُسْتي.

قال: ارجع. فقال رسول الله ﷺ: «ياعمر ماحملك على مافعلت؟» قال: يارسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه بشّره بالجنة؟ قال: «نعم» قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها فخلّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: «فخلّهم». أي أن الرسول غير رأيه وقراره وسمع بنصيحة عمر وانتهى الحديث على هذا.

والآن بعد أن استمعتم للحديث، حكّموا عقولكم، وفكّروا بصدق، هل هذه هي الصورة الحقيقية للرسول العظيم محمد ﷺ؟ صورة الرسول الذي يرسل نعليه شاهدين مع أبي هريرة ليقول للناس اسمعوا:

إنَّ الرسول يبشّركم بالجنة جميعاً، وإذا كنتم لاتصدقوني فإنه قد أرسل معي نعليه ليشهدا معي؟ هل كان الرسول محمد ﷺ بحاجة إلى شهادة نعليه ليعلن ذلك للناس إن كانت حقيقة؟ وهل كان بحاجة إلى نصيحة عمر بن الخطاب ليتوقف عن قرارٍ اتخذه؟

إن المنافقين لعبوا بديننا وسخروا منا ورقصوا على غبائنا، ونحن مازلنا نصدقهم. وحتى الآن استمعنا إلى روايتين كل واحدة منهما تناقض الأخرى وتقول كلاماً غير الذي قالته في الحديث الأول. لنستمع الآن إلى حديث ينقض الحديثين:

٣ / ب ـ الحديث رقم (١٢٤٣) من صحيح البخاري: عن أم العلاء (امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ). أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار (فصار من نصيبنا بالقرعة) لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في بيوتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغُسِّلَ وكُفِّنَ في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت:

رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمكَ الله.

فقال النبي ﷺ «ومايدريكِ أنَّ اللهَ أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يارسول الله فمن يُكرمه الله؟ فقال عليه السلام: «أما هو فقد جاءه اليقين. والله لأرجو له الخير، والله مأأدري ـ وأنا رسول الله ـ مايُفعل بي».

قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

هذا الحديث يقول الحقيقة التي تقولها آيات القرآن الكريم.

الأحاديث الثلاثة التالية التي نجدها في صحيح البخاري باسم الرسول ﷺ منقولة مباشرة من قبل ملفّقها من كتب أهل الكتاب، ولولا أني درست الإنجيل والتوراة والتلمود دراسة مستفيضة لما كانت عندي القدرة على معرفة مصادرها، علماً أن مضمونها يناقض العقيدة الإسلامية مناقضة حتمية.

٤ / أ ـ الحديث الأول هو ذو الرقم (٧١٣١) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال:

«مابُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب (الدجال). إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور. وإن بين عينيه مكتوب كافر» فيه أبو هريرة وابن عباس عن النبي ﷺ. ـ انتهى نص الحديث.

٥ / أ ـ الحديث رقم (٧١٢٧) من صحيح البخاري: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذِرُكُموه ومامن نبي إلا وقد أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإنَّ الله ليس بأعور».

أي أنه يعطيهم وسيلة التمييز للناس، إنْ أتى وادّعى أنه الله فنعرفه، لأن الله ليس بأعور، بينما هذا الدَّعي أعور ومكتوب بين عينيه كافر.

ألا تجدون هذا الكلام المكتوب في كتاب يعتبره أغلب المسلمين كتاباً مقدّساً كلاماً غريباً مستهجناً للمسلمين وبعيدة عن روح عقيدتنا الإسلامية كلها؟.

هل هناك خلاف فيما تعلمون، بين المسلمين قسم يدعي أن الله أعور وقسم يقول لا إنه ليس بأعور؟

ولكي نعرف الحقيقة لابد أن نعود إلى نصوص الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، ماذا نجد عندهم في كتابهم المحرّف؟:

في إنجيل «متى» تحت فقرة (علامات نهاية الزمان) وردت الفقرة التالية:

سؤال للمسيح:

(أخبرنا متى يحدث هذا وماهي علامة رجوعك وانتهاء الزمان؟).

فأجاب يسوع «انتبهوا! لايُضْللكم أحد! فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو المسيح، فيضللون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب»(*). فإن قال لكم أحد عندئذ: (ها إن المسيح هنا، او هناك فلا تصدقوا، فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال)(**).

(ومن فم النبي الدجال وهي أرواح شيطانية قادرة على صنع المعجزات)(***).

(في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الدجال هناك سوف يعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين)(****).

(*) متى ـ الإصحاح ٢٤ ـ الفقرات ٣ ـ ٦.
(**) لوقا الإصحاح ٢٤ ـ الفقرة ٢٤.
(***) سفر الرؤيا ـ الإصحاح ١٦ ـ الفقرات ١٣ ـ ١٤.
(****) سفر الرؤيا ـ الإصحاح ٢٠ ـ الفقرة ١٠.

والآن إذا علمنا أن أهل الكتاب هم الذين أجمعوا وقالوا: إن المسيح هو الرب وليس للمسلمين علاقة بهذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد.
وأن الدجال كما هو ظاهر من اسمه مُدّعٍ أنه المسيح (أي الرب).
نجد العبارة تقول: إن هذا المدعي أعور ولكن ربكم المسيح الأصلي ليس بأعور فالمقصود ليس الله تعالى كما نظن نحن إذاً صارت العبارة مفهومة بعد هذا الشرح الإضافي والرجوع إلى نصوص أهل الكتاب نفسها في مصادرها.
والغريب أن هذ الحديث جعلوه متواتراً، بمعنى أن الذين ساهموا ودسوا الأحاديث في الإسلام من كتب أهل الكتاب هم عصبة متمكنة، استطاعت إنزاله في الأحاديث بروايات مختلفة، فبعضها نجده منسوباً لأنس بن مالك رضي الله عنه، وهناك حديث آخر منسوب لعبد الله، الذي لانسب له في صحيح البخاري ومسلم، وكما أننا نجد روايتين لأبي هريرة ورواية لابن عباس، فأصبحوا أربعة من الصحابة يروون حديثاً واحداً لا أصل له في الإسلام مطلقاً، وليس له علاقة بدين الإسلام ولم يذكر عنه القرآن حرفاً واحداً.
فهل تجدون كل ذلك مقبولاً ضمن حدود العقل والمنطق اللذين هما ميزان الإيمان في الإسلام؟.
٦ / أ ـ الحديث الثالث هو الحديث رقم (٦٩٩٦) من صحيح البخاري: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «من رآني فقد رأى الحقّ (الله) تابعه يونس وابن أخي الزهري».
إن هذا القول الذي قرأناه قبل قليل في صحيح البخاري هو من الأقوال المشهورة للمسيح في الإنجيل، وعلى مثله استند رجال الدين عندهم لما أصدروا قرار تأليه المسيح (استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم).
«فقال فيلبس: ياسيد أرنا الآب وكفانا!» فأجابه يسوع:
«مضت هذه المدَّة الطويلة وأنا معكم ولم تعرفني يافيلبس؟
الذي رآني رأى الآب، فكيف تقول: أرنا الآب؟
ألا تؤمن أني أنا في الآب وإن الآب فيَّ؟ الكلام الذي أقوله لا أقوله من عندي، وإنما الآب الحالُّ فيَّ هو يَعمل أعماله هذه صدّقوا قولي: إني أنا في الآب وإنَّ الآب فيَّ»(*)...

(*) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ ـ الفقرات ٨ ـ ١١.

والآب بحسب تعبير أهل الكتاب هو الله تعالى.
وهكذا فقد رأيتم بأعينكم مصدر الحديث وأنه مجرد افتراء على الرسول محمد ﷺ، الذي ينتهي علمه بالقرآن الكريم، ولم يقل عنه سبحانه أنه علمه الإنجيل والتوراة كما قالها عن عيسى بن مريم عليه السلام.
وكما أخبرتكم منذ البداية، فقد جهد البخاري رحمه الله أن يضع لنا كل هذه المتناقضات ومن بعدها وضع لنا حديثاً ينقض كل تلك الأحاديث السابقة حتى نتيقن بأنفسنا أن كل ماهو منسوب للرسول الكريم في الأحاديث مجرد تلفيق وافتراء لا أصل له أبداً.
٧ / ب ـ في مقدمة الحديث رقم (٦٤٦٩) عن أبي هريرة ـ وهو حديث مأخوذ أصلاً من التوراة ـ نجد في مقدمته مايلي:
١٩ ـ باب الرجاء مع الخوف.
وقال سفيان: مافي القرآن آيةٌ أشدّ عليّ من:
﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراةَ والإنجيل وما أنزلَ إليكم من ربّكم﴾
إن الذي يقرأهذه الآية من المسلمين العاديين الذين لايعرفون آيات القرآن الكريم تصبح لديه القناعة والإيمان أنه لن يكون مسلماً باراً لله إذا لم يطبّق مافي التوراة والإنجيل، وهذا غير صحيح أبداً. ولكن كيف؟ لنفتح القرآن الكريم ونقرأ الآية بالكامل:
﴿قل يا أهلَ الكتابِ لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أنزلَ إليكُم من ربّكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.
وهكذا تكتشفون كيف أن الحاقدين الذين حدثتكم عنهم في بداية هذا الكتاب قد لعبوا في ديننا ونحن نائمون غافلون، حتى شبعوا لعباً وتحريفاً.
هل تظنون أنني أنا الذكي الوحيد الذي اكتشف هذا؟
لا أعتقد ذلك لحظة واحدة، إنهم جميعاً كانوا يعرفون كل هذا ولكنهم إن اعترفوا به زالت عنهم كل امتيازاتهم، إنها الدنيا الغرورة، هي السبب، إنهم كانوا يعرفون ويحرفون.
٨ / ب ـ الحديث رقم (٣١٩١) من صحيح البخاري، عن كتاب بدء الخلق: عن عمران بن الحصين في حديث طويل أختصرهُ قال الرسول ﷺ:

«كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض» إلى نهاية الحديث.

المهم في الحديث:

الجملة الأولى منه: كان الله ولم يكن شيء غيره.

هي أول آية من آيات إنجيل يوحنا:

«في البدء كان الكلمة والكلمة كانَ مع الله، وكانَ الكلمةَ هو الله، هو كان في البدء مع الله. به تكوّن كل شيء، وبغيره لم يتكوّن أي شيء مما تَكوَّنَ». من المقاطع الثلاثة الأولى نستنتج «في البدء كان الله» فغيره الراوي فوضعه بأسلوب مختلف وقال: «كان الله ولم يكن شيء غيره». وكما رأيتم فهذا مصدره من الإنجيل وليس من القرآن الكريم.

والبخاري رحمه الله كان يعلم أن الرسول لايقرأ الإنجيل، ولكنه أحب أن ينبّهنا إلى مايفعله المنافقون الحاقدون في ديننا، ولكن لا حياة لمن تنادي..

٩ /ب ـ الحديث رقم (٣٣٠٥) من صحيح البخاري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«فُقدت أُمة من بني إسرائيل لايدري مافعلت وإني لأَراها إلا الفأرُ إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت».

فحدثت كعباً (كعب الأحبار المشهور بأنه من رجال الدين اليهودي قبل إعلان إسلامه).

فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقوله؟ قلت: نعم. قال لي مراراً. فقلت: أَفَأَقرَأُ التوراة؟

وتساؤُل أبي هريرة الأخير معناه: إذا لم أسمعه من الرسول فمن أين لي مصدر العلم بذلك، فأنا لا أقرأ التوراة؟

علماً أن القصة التي قرآناها على سخفها هي من التلمود، إن الله تعالى مسخ تلك الأمة وحوّلها إلى فئران.

وبما أن هذا البحث هو للأحاديث التي تناقض بعضها فإني سأورد مايناقضها ويصدق ماورد في القرآن الكريم في الأحاديث التالية:

١٠ / ج ـ الحديث رقم (٧٣٦٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال:

كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أَحدث تقرؤونه محضاً لم يَشِب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتابَ الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أُنزل عليكم..».

وأنا أقول لابن عباس رضي الله عنه ولبقية الصحابة الكرام: إن أهل الكتاب الذين بدلوا كتابهم لحقونا إلى ديننا وبدلوا لنا كتابنا ونحن نائمون ووضعوا باسمك وباسم أصحابك من أبي هريرة وابن مسعود وأنس وعبد الله بن عمر وغيرهم من باقي الصحابة الكرام أحاديث تناقض القرآن، وأغلبها من كتبهم المحرفة، وقالوا عنكم: إنكم رويتم كل ذلك عن الرسول الكريم.

١١ / ج ـ الحديث رقم (٧٣٦٢) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا وماأنزل إليكم).

والآية من سورة العنكبوت وردت في القرآن على غير هذه الصورة الموجودة في الحديث وهي:

﴿وقولوا آمنّا بالذي أُنزِلَ إلينا وأُنزِلَ إليكُم﴾ ٤٦ ـ العنكبوت.

ومن حديث الرسول نستطيع أن نفهم أننا نؤمن فقط بالمعلومات التي وردت عن التوراة في القرآن الكريم وواضح أنه لايقبل بما هو موجود عندهم. ولولا إيماني الراسخ بأن الرسول ﷺ لايعرف الغيب ولا يعلم المستقبل لظننت أن الحديث التالي صحيحاً، لكني أعتقد أن بعض المتألمين قد عبّر عن استيائه بهذا الحديث الذي نسبه ظلماً للرسول، لأنه لايستطيع أن يقوله إلا بهذا الأسلوب.

١٢ ـ الحديث رقم (٣٤٥٦) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحرَ ضَبٍّ لسلكتموه. قلنا: يارسول الله. آليهود والنصارى؟ قال: فمن؟». (أي فمن يكون إن لم يكونوا اليهود والنصارى؟) وعبد الله؟؟ راوي الحديث المتنكر تحت اسم عبد الله صاحب الأحاديث الخطيرة في الإسلام أحب أن يسخر منا بعد أن شبع تحريفاً في دين

الإسلام كما يشاء، حتى لانتفاجأ بما هو حاصل:

١٣ ـ الحديث رقم (٦٥٧٦) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إني فرطكم على الحوض وليرفَعَنَّ رجال منكم ثم ليختلجَنَّ دوني فأقول: يارب أصحابي! فيقال: إنك لاتدري ما أحدثوه بعدك».

يعني أنهم تركوا سبيلك وسبيل الله واتبعوا شياطينهم وأصبحوا يؤلفون الأكاذيب عنك وعن الله!.

١٤ ـ وفي رواية أخرى هي الحديث رقم (٦٥٨٤): إن الرسول ﷺ قال:

«فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدي».

هذا وسأكتفي بذكر بعض النماذج عن الأحاديث التي تناقض بعضها وتناقض القرآن حتى لاأطيل البحث والكتاب دون طائل، فغايتي هي البرهان للقارىء على أن ماأذهب إليه هو الصحيح ولن أتجنى على أحد بإذن الله. وسوف اتبع ترتيباً معيناً بحيث يكون الحديث ـ أ ـ يقول شيئاً ثم يأتي الحديث ـ ب ـ ليناقض ماورد في الحديث ـ أ ـ وهكذا:

١٥ / أ ـ الحديث رقم (٥٢٣٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«لايخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يارسول الله امرأتي خرجت حاجّة واكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: ارجع فحج مع امرأتك.

ليس فيما قرأناه مايناقض الشرع والدين الإسلامي حتى الآن.

١٦ / ب ـ الحديث رقم (٥٢٣٤) (لاحظوا رقم الحديث مع رقم الحديث السابق إنه الحديث التالي بعده ولهذا أحببت أن أقول أن للبخاري رسالة سرية يحاول أن ينبّهنا إلى مايحدث في الدين).

من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك، قال:

جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ فخلا بها وقال (لها):

«والله إنكنَّ لأحبّ الناس إليّ».

والغريب أني قرأت هذا الحديث على بعض رجال الدين فقالوا لي ببساطة: إن الراوي

بريء فهو يقصد أن الرسول يحب الأنصار، ولكنه لم يرض أن يعترف بأن الراوي يقصد التشكيك والإساءة للرسول الكريم بقوله (فخلا بها) كان يكفي لو كان حسن النية موجوداً أن يقول:

جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي فقال لها أمام الناس:

«والله إنكم معشرَ الأنصار لأحبّ الناس إلي».

بينما نجد في الحديث عبارة (فخلا بها) ليترك للشيطان مجالاً للوسوسة.

ثم يقول لنا «والله إنكنَّ لأحبّ الناس إلي» مستخدماً نون النسوة ليؤكد لنا أن رسول الله يقصد النساء بالذات وليس الأنصار عامة، ولكن من سذاجتنا مازلنا ندافع عنهم ظناً أن أرزاقنا ستضيع ونموت جوعاً إذا قلنا الحقيقة. وأنا أستغرب حقيقةً كيف نقبل أن نبقي نحن المسلمون على مثل هذه الأحاديث في كتبنا الدينية المقّدسة؟

والذي فعلها إنسان لم يدخل إلى قلبه ذرة إيمان بل هو منافق حاقد على الإسلام وأهله وفعلها حسداً وبغضاً للدين وأهله.

١٧ / أ ـ الحديث رقم (١٤٤) من صحيح البخاري: عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولّها ظهره، وشرّقوا أو غرّبوا».

١٨ / ب ـ الحديث رقم (١٤٨) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبراً القبلة مستقبل الشام. أي أن الرسول ﷺ طلب من الناس شيئاً وهو يطبق عكسه، هل هذه سنّةٌ وأحاديث شريفة؟.

١٩ /أ ـ الحديث رقم (١٦٩) من صحيح مسلم: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى».

٢٠ / ب ـ الحديث رقم (٢٩٣٤) من صحيح مسلم: عن حذيفة قال رسول لله:

«الدجال أعور العين اليسرى. جفال الشعر. معه جنّةٌ ونار».

الحديث الأول يقول أعور العين اليمنى والحديث الثاني يقول أعور العين اليسرى.

٢١ / أ ـ الحديث رقم (٥٦١) من صحيح مسلم: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ:

«نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية».

٢٢ / ب ـ الحديث رقم (٩٨٧) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: في حديث طويل جداً أختصره هنا:

«قيل يارسول الله: فالحمر؟ (أي فما حكمها الشرعي؟) قال: «ما أ نُزِلَ عليّ في الحمر شيء» أي لم يرد من الله تعالى تحريمٌ لها، وموضوع التحريم أصلاً ليس لي بل لله تعالى وحده. ولم يحرم في الإسلام من الحيوانات إلا الخنزير كما هو واضح في القرآن الكريم.

٢٣ / أ ـ الحديث رقم (١٩٣٢) من صحيح مسلم: عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ:

«نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع» (مسلسل الحديث هو ذو الرقم ١٤).

٢٤ / ب ـ الحديث رقم (١٩٣٢) من صحيح مسلم: المسلسل رقم (١٢): عن أبي ثعلبة قال:

«نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السبع» زاد إسحق وابن أبي عمر في حديثيهما: قال الزهري: لم نسمع بهذا حتى قدمنا الشام. (أي أنه أُلِّفَ حديثاً) وهذا صحيح لأن اليهود من أهل الكتاب هم الذين يحرّمون ذلك وليس له ذكر في القرآن الكريم؛ بل ذكر لنا عن تحريمها على اليهود في الآية:

﴿وعلى الذين هادُوا حَرَّمنا كلَّ ذي ظُفرٍ...﴾ ١٤٦ ـ الأنعام.

والآية كما ترون واضحة والتحريم على اليهود فقط، علماً أن كل ذي ظفر أوسع من كل ذي ناب، لأنها تدخل أيضاً الطيور الكاسرة التي تستخدم مخالبها لقتل فريستها. والمقصود بذي الظفر هنا تميز الحيوان باستخدام مخالبه في القتل وافتراس الفريسة. طيراً كان أم حيواناً مفترساً يقتات باللحوم. وقد ورد في باب إباحة ميتات البحر:

٢٥ / أ ـ الحديث رقم (١٩٣٥) من صحيح مسلم: عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمرّ علينا أبا عبيدة، نتلقى عيراً لقريش. وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصّها كما يمصّ الصبي. ثم نشرب عليها الماء. فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصيّنا الخبط (ورق نبات اسمه السَّلَم) ثم نبلّه بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم (الكثيب هو التجمع من الرمل في الصحراء) فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر (حوت معروف اسمه حوت العنبر ـ المؤلف)

قال: قال أبو عبيدة: ميتة ثم قال: بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلوا. قال فأقمنا عليه شهراً. ونحن ثلاث مائة حتى سمنا. قال: ولقد رأيتنا نفترق من وقب (داخل) عينه بالغلال (بالجرار جمع جَرَّة) الدهنَ ونقطع منه الغِدَر (القطع) كالثور (أي بحجم الثور) - وباقي القصة وصف للعظام وكبر هذا المخلوق الغريب بالنسبة لابن الصحراء.

وليس في الحديث مايناقض القرآن، ولم يخرج أبا عبيدة عن الشرع، لأنه طبق آيات الله في القرآن الكريم، التي تبيح المحرمات للإنسان في حال الاضطرار والمجاعات، وتحليل ذلك موجود في نص صريح في أوائل سورة المائدة.

٢٦ / ب - إن المسلمين في عصر السلاطين بعد أن سُحبَ منهم القرآن الذي يبين للمسلم دينه وشرعه للناس جميعاً من خلال آيات بينات واضحات لا لبس فيها ولا إشكال أبداً، وبعد أن بقي المسلمون وليس بين أيديهم إلا من تلك الروايات المتناقضة ظنوا أن ذلك هو الدين الحق، والدين الحق من كل ذلك الهراء براء.

(هو الطهور ماؤه والحلّ ميتته).

وعندكم هذا الحديث مثلاً، فالذي معه القرآن لايجد إباحة من الرسول لمحرمات الله لأكل ميتات البحر، لأننا إذا عدنا للقرآن لقرأنا الآية:

﴿إنما حرّم عليك المَيْتَةَ والدّمَ ولحمَ الخنزير وما أهلّ به لغيرَ الله فمن اضطرَّ غيرَ باغٍ ولاعادٍ فلا إثم عليه إنّ الله غفورٌ رحيم﴾ ١٧٣ - البقرة.

والله سبحانه لم يعين ولم يحدد ميتات البر أو ميتات البحر بل قال بشكل عام الميتة ليشمل كل الميت سواء كان من البحر أو من البر.

وبما أن أبا عبيدة بن الجراح كان يحفظ القرآن ويتمثّله تطبيقاً أيضاً عندما وجد نفسه وأصحابه في وضع المضطر نتيجة الجوع الشديد مع خطر الموت جوعاً، سمح لهم بما يسمح به الشرع، تيسيراً للدين كما هو مطلوب منه تماماً، وليس في الموضوع إباحة جديدة لما كان محرماً كما يريد أن يفهمها لنا جنود السلاطين الذين عادوا وأصدروا أحاديث جديدة باسم الرسول وعن لسانه افتراء قائلين عن البحر:

«هو الطهور ماؤه والحلّ ميتته».

والله لم يحلل الميتة أبداً سواء كان من البحر أو كان من البر والموضوع كما رأيتم كان

مجرد حالة خاصة وهي حالة الاضطرار فقط.

السمكة الحية عند إخراجها من الماء تموت اختناقاً ويجوز أكلها لأنها دخلت في باب محلّلات الصيد، أما إذا وجدنا سمكة ميتة طافية على البحر لاتؤكل قطعاً وأكلها محرم إلا للمضطر كما رأينا. وكما يجب أن نعلم أن في البحر حيوانات كثيرة غير السمك فيها دم أحمر وتتوالد ولادة كالدلافين والحوت والفقمة، هذه يجب أن تذبح لأنها كلها تتنفس خارج الماء وتبقى حيةً بعد إخراجها من الماء.

أما أن نعود ونكتب في كتاب ديني مثل صحيح البخاري ومسلم:

باب إباحة أكل الضب.

باب إباحة أكل الجراد.

باب إباحة أكل الأرنب.

باب في أكل لحوم الخيل.

باب تحريم أكل لحوم الحمر الإنسية.

باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

وقرآننا الذي يفترض فيه أن يكون بين أيدينا يقول صراحة:

﴿قل لا أجدُ في ما أوحيَ إليّ محرّماً على طاعمٍ يَطعَمُه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجسٌ أو فِسقاً أُهِلَّ لغيرِ الله به فَمَن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ ربَّك غفورٌ رحيمٌ﴾ ١٤٥ - الأنعام.

بعد هذه الآية ليس علينا أن نعدّد كل حيوانات البر والبحر حتى نعلم المحلَّلَ والمحرَّم، ولكن ليس معنى ذلك أن الإنسان مجبرٌ على أكلها ومكرَهٌ عليها. فكل إنسان حرّ في ما يأكل ويشتهي أو يختار لنفسه من طعام، ولكن إذا رأينا إنساناً من سكان السواحل يأكل الأخطبوط ونحن لانأكله فلا نقول عنه: إنه يأكل محرّماً أو أنه كافر بالله.

إن موضوع التحريم والتحليل تدخل في حدود الله ولايسمح الله سبحانه التدخل في حدوده لمخلوق أبداً، لذلك نلاحظ أنه ليس ضمن مجال أي رسول من مخلوقات الله من الملائكة أو الجن أو الإنس، فهي مثل غيب الله والشفاعة والغفران تدخل في حدود الله. فيجب ألا نخلط في ديننا في هذه الأمور لأنها واضحة بآيات بينات في القرآن ولاتحتاج لتفسير أو تأويل أو ترجمان محلف.

٢٧ / أ ـ الحديث رقم (٢٥٦٩) من صحيح البخاري: عن سهل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أرسل إلى امرأة من الأنصار، وكان لها غلام نجار قال لها: «مُري عبدك فليعمل لنا أعواد المنبر» فأمرت عبدها، فذهب فقطع من الطرفاء فصنع له منبراً. فلما قضاه أرسلت إلى النبي ﷺ أنه قد قضاه. قال ﷺ: أرسلي به إليَّ، فجاؤوا به فاحتمله النبي ﷺ فوضعه حيث ترون».

أولاً: رجال الحديث يدعون دائماً أن الله قال عنه: (وماينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى) وثانياً: هل هذا الكلام الذي سمعتموه هو وحي من السماء؟

٢٨ / ب ـ الحديث رقم (٣٥٨٤) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة. فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ: يارسول الله. ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبراً. فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه، ـ تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّت ـ قال: (الرسول) «كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها».

في الحديث الأول (وضعها حيث ترون). وفي الثاني: (أنطق الشجرة) حتى يسخر منّا ومن رسولنا ونحن نصفق له إعجاباً واستحساناً.

٢٩ /أ ـ الحديث رقم (٥٦٨٣) من صحيح البخاري: عن عاصم بن عمر بن قتادة قال سمعت جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن كان في شيء من أدويتكم خيرٌ ففي شَرْطة محجم أو شربة عسل أو لذعةٍ بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي».

وهكذا نجد ببساطة الرسول ﷺ يعترف بأنه لايحب أن يكتوي، وهو كإنسان حرّ فيما يحبّ ويكره وليس في هذا مايعيب.

٣٠ / ب ـ الحديث رقم (٥٦٨١) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: عن الرسول ﷺ أنه قال:

«الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي».

لاحظوا: في الحديث الأول الرسول ﷺ يعطي رأيه في الوسائل المتأخرة في الطب

المعروفة في عصره وهو مجرد رأي إنسان ويقول عن نفسه: إنه لايحب شخصياً الكي بالنار. وفي الحديث الثاني يجعل من الحديث الأول قاعدة طبية عامة، ويطلب إلغاء كليات الطب في العالم وإحراق كل كتب الطب، لأن الرسول يعلمنا من علم الله الكلّيّ أن الشفاء في ثلاثة فقط ويحرّم على المسلمين الكيّ بالنار. هل كل هذا من صلاحية محدّث ينقل الكلام عن الرسول ومن المفروض أن يكون بأمانة؟ ولكن أنتم ترون ماذا يحصل إذا اختلّت تلك الأمانة واهتزّت لأسباب كثيرة.

٣١ / أ ـ الحديث رقم (٤٧٧١) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال: يامعشر قريش. اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً. ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. وياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ماشئت من مالي ولا أغني عنك من الله شيئاً» (بالمختصر المفيد إني لن أستطيع أن أشفع لكم عند الله لأنها ليست من صلاحياتي، ولا تصدّقوا من يقول إني شفيع الله أبداً).

٣٢ / ب ـ الحديث رقم (٦٥٩٠) من صحيح البخاري: عن عقبة ان النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف على المنبر فقال: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن. وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ـ أو مفاتيح الأرض ـ وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

إن هذا الحديث يناقض كل ماورد في الحديث السابق، وكل جملة من هذا الحديث فيها تناقض مع القرآن الكريم، وقد شرحت الغايات الخبيثة لهذا الحديث في موضع آخر من هذا الكتاب. مثلاً: القول: (وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن).

معناه أن الله سبحانه وتعالى غير رأيه الموجود في القرآن دون أي إعلام منه سبحانه للبشر وكشف للرسول لوحده من دون سائر مخلوقاته عن الغيب وأطلعه على يوم القيامة. وهذا غير صحيح، لأنه يناقض الآية القرآنية:

﴿عالم الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبه أحداً﴾ ٦٥ ـ النحل.

وأما قوله: (إني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض) تناقضها الآية:

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلَمُ الغيبَ﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

أو الآية:

﴿وعندَهُ مفاتيحُ الغيبِ لا يعلَمُها إلا هو﴾ ٥٩ ـ الأنعام.

أو الآية:

﴿ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

ثم قوله: «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي».

كيف يكون متأكداً كل هذا التأكد وهو يعلم ماذا يحصل بأهل الكتاب وفي زمن موسى عندما تركهم أربعين يوماً فقط:

﴿وما أعجلَكَ عن قومِكَ ياموسى * قالَ هم أولاء على أثري وعجلتُ إليك ربِّ لترضى * قالَ فإنا قد فَتَنَّا قومَكَ من بعدِكَ وأضلّهم السامريّ﴾

﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوارٌ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾

وأشرك قوم موسى بمثل تلك السهولة. فهل نظن أن الرسول ﷺ قد نسي قول ربه في الآية؟:

﴿وما يؤمنُ أكثرُهُم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

وهكذا نجد الحديث الثاني يناقض الحديث الأول كما يناقض كل مافيه القرآن الكريم.

٣٣ / أ ـ الحديث رقم (٥٧٧٤) «لا توردوا الممرّض على المصح» عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ. وهي قاعدة صحيّة صحيحة، حتى لاتصيب العدوى من المريض للصحيح.

٣٤ /ب ـ الحديث رقم (٥٧٧٠) أيضاً من صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«لاعدوى ولا صَفَرَ ولا هامة» فقال أعرابي: يارسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟

فقال رسول الله ﷺ «فمن أعدى الأول» (أي بمعنى كيف وصل المرض للبعير الأول إذا كان المرض ينتقل بالعدوى) هذا الكلام غير صحيح ولا يصح أن يكون الرسول قد قاله. لأنه لم يكن طبيباً ولايعرف في علم الطب، ولم يخبرنا الله في القرآن أنه عَلَّمَ عِلمَ الطب للرسول ﷺ فهو ببساطة حديث موضوع على اسم ولسان الرسول ظلماً

وعدواناً. ويناقض الحديث الأول. وهناك من زاد الطين بلة في حديث آخر، أضاف عليه الراوي عدة عبارات وقال كما في:

٣٥ / ب ـ الحديث رقم (٥٧٧٢) أيضاً من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ:

«لا عدوى ولا طيرة، إنما الشؤم في ثلاث في الفرس، والمرأة، والدار» ومن أين مصدر هذا الغيب للرسول؟ أمِنَ القرآن؟ ليس في القرآن مثل هذا الكلام المنافي للمنطق والعقل أبداً، ولم يجعل الله سبحانه المرأة مصدراً للشؤم بل أعزَّها القرآن وجعلها مساوية للرجل في أغلب الأمور، بل وتمتاز المرأة على الرجل بأشياء كما يمتاز الرجل عليها بأشياء أخرى، وأسباب الفروق كلها لأنه جعلها الله مصدراً للأمومة والحنان وحاضنة للأطفال ومربية لهم وهو دور هام هيأها الله له أكثر مما هيأ الرجل. الذي هيأه لأشياء أخرى حتى تتكامل النفسان بالتقائهما ضمن حدود الشرع لبناء أسرة مسلمة على الأرض.

٣٦ / أ ـ الحديث رقم (٣٤٣٢) من صحيح البخاري: عن علي بن أبي طالب قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة».

٣٧ / ب ـ (٣٤١١) من صحيح البخاري: عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:

«كَمُل من الرجال كثير، ولم يَكمُل من النساء إلّا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» وكيف علم الرسول محمد أن اسم زوجة فرعون آسية؟

لاحظ جملة (كمل من الرجال كثير) وهو مناقض للحقيقة لأنه لا كمال إلا لله سبحانه. ثم قوله: «إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». لاحظ نقطة التفضيل وموضوع التشبيه، وللراوي غاية خبيثة، لأنه يقول: إن عائشة ألذّ نساء العالم. هل يعقل للرسول الكريم أن يقف بين المسلمين ويقول إن زوجتي عائشة ألذّ من باقي النساء كما أن الثريد ألذّ من باقي الطعام؟!

ثم نقول عن هذه الأحاديث إنها وحي من السماء، وهي أحاديث شريفة؟ والدس مع السخرية واضحان.

٣٨ / أ ـ الحديث رقم (٣٢١٧) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال لها: «ياعائشة: هذا جبريل يقرأ عليك السلام» فقالت: وعليه

السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى (تريد النبي ﷺ)».

٣٩ / ب ـ الحديث رقم (٣٦٣٤) من صحيح البخاري: عن أبي عثمان قال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث، ثم قام فقال النبي ﷺ لأم سلمة «من هذا؟» قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: أيم الله ماحسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر عن جبريل. قال: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد.

المعروف والثابت أن جبريل كان يأتي في صورة رجل للرسول ﷺ ولكن لايراه إلا الرسول وحده ولم يره أحد من الناس. لماذا؟ لأنه هكذا كانت مشيئة الله، ثم نجد أحاديث موضوعة تحاول أن تثبت بأن كل الناس كانوا يرون جبريل مع الرسول وهذا غير صحيح وهذه الأحاديث كثيرة لا داعي لذكرها للاختصار.

٤٠ / أ ـ الحديث رقم (٣٢٧٩) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: ها إن الفتنة ها هنا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان».

٤١ / ب ـ الحديث رقم (٣١٠٤) عن عبد الله؟؟ قال: «قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان».

الراوي الأول راوٍ خبيث له هدف سياسي من روايته ظلماً على رسول الله، ويريد أن يقول لنا: إن الرسول ﷺ كان يعلم غيب الله، إن الفتنة في الإسلام سوف تظهر من الشرق، وهو يشير إلى ظهور الفتنة أساساً في البصرة ثم انتقالها للكوفة بإشراف وتخطيط وتآمر اليهود الذين أعلنوا إسلامهم بلسانهم وأضمروا الشرّ في قلوبهم، أيام عثمان بن عفان، ثم ماكان لها من نتائج بعد انتقال الفتنة أيضاً إلى الغرب في مصر، وماكان لكل تلك الفتن من نتائج في مقتل عثمان وحرب معاوية وعلي بن أبي طالب، وقبلها معركة الجمل بين عائشة وعلي رضي الله عنهما.

الراوي للحديث الثاني: أخبث من الأول يحاول أن يجعلنا نفهمها فتنتين، البسيط من فهمها أنها فتنة أنثوية على أساس أن عائشة رمز الفتنة الأنثوية طالما الرسول في حديث سابق له سمعناه يعترف ويعلن للناس أن عائشة ألذ نساء العالم في حديث مفترى طبعاً على الرسول وعلى عائشة معاً. (أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم). ومن فكر بعمق أكثر فهمها على أنها فتنة سياسية بإشارة الراوي إلى مافعلت عائشة بعد مقتل

عثمان، وكيف تآمرت مع زوج أختها الزبير بن العوام وابن أختها عبد الله بن الزبير تسعى للخلافة تأييداً لَهُما وكيف حضرت معركة الجمل ضد علي بن أبي طالب الخليفة الرسمي الذي بايعه كل الناس من المسلمين.

٤٢ / أ ـ الحديث رقم (٥٩١٧) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل النبي ﷺ ناصيته ثم فرق بعد. (أي أن الرسول قلّد أهل الكتاب بالتسديل وقلّد المشركين بالفرق بعد ذلك).

٤٣ / ب ـ الحديث رقم (٥٨٩٢) من صحيح البخاري: عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال:

«خالفوا المشركين وفّروا اللحى وأحفّوا الشوارب».

الحقيقة أن هذا الأمر الذي يرويه ابن عمر هو أمر بتقليد اليهود الذين عنهم أخذنا كل ديننا الحالي، عن طريق من دخل منهم الإسلام، فجعلونا نترك الإسلام ونتبع السبل الضالة، فرجل الدين المسلم نسخة عن رجل الدين عند أهل الكتاب. أنظر مثلاً إلى لباس البابا، ماذا يختلف عن لباس رجل الدين عندنا.؟

في الحلاقة (أحفوا الشوارب وأطلقوا اللحى) كذلك يفعل رجال الدين اليهودي إلى اليوم ومن لايصدق عليه فقط المرور في مانهاتن نيويورك فيرى هذه السنة النبوية مطبقة هناك أكثر من أي مكان في العالم.

الحجاب الشرعي: (شكل اللباس) في ذلك الحجاب مأخوذ عن أهل الكتاب(الراهبات) لأن الإسلام لم يحدد كل هذه الأمور بل تركها ضمن حرية الشعوب والأمم بحسب المعروف (أي المتعارف عليه بينهم)، وهذا مطلق العدل من الله.

فالإسلام طلب العفة وطلب الحشمة، ولكن عفة النفس وحشمتها تكون في الإسلام قبل العفة والحشمة الظاهرية ـ لأن النفس متى أصبحت عفيفة لايعقل بعدها أن تفعل إلا مايرضي الله سبحانه وتعالى، فمجال عمل الإسلام دائماً داخل النفس وليس خارجها.

٤٤ / أ ـ الحديث رقم (٢٦٤٧) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي رجل: قال: ياعائشة من هذا؟ قلت: أخي من الرضاعة. قال: ياعائشة انظرن مَن أخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة.

ومعنى الحديث واضح ـ ولايناقض مآأتى في رسالة محمد ﷺ للعالمين في آيات القرآن

الكريم، والله جعل موضوع الرضاعة محصورة وضيقة جداً وهي تتعلق بالمرضعة التي تصبح لوحدها أماً عن طريق حليبها، والأخ أو الأخت في الرضاعة تكون فقط للذين اشتركوا في ذلك الحليب من أولاد المرضعة نفسها، أما باقي الأولاد الأكبر سناً أو الذين ولدوا بعد ذلك ليس لهم علاقة بهذا الموضوع إطلاقاً.

ولذا قال الله تعالى مبيناً ذلك:

﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنَكم وأخواتكُم من الرّضاعة﴾ ٢٣ ـ النساء.

أي من الرضاعة نفسها، بدليل أن الله قد عرّفها وإلا لتركها دون تعريف قائلاً: (وأخواتكم من رضاعة).

فالرضعة أخذت موضع الأم بالإرضاع وصار لها حكم تحريمها وكذلك الذين تشاركوا في الرضاعة صاروا إخوة واكتسبوا تحريم الإخوة، فلا يجوز الزواج فيما بينهم.

وليس في كل القرآن الكريم غير هذه الآية التي تحرّم وتحدد العلاقة بين الذين رضعوا واشتركوا في ذلك الحليب، وهو واضح لا لبس فيه كما رأيتم. ولكننا نجد مئات الأحاديث في الصحيحين وفي غيرها وكلها مناقضة للقرآن وللدين وللعرف وللشرف وللأخلاق العامة، وحرام تداولها أو قراءتها ناهيك عن اعتبارها ديناً وأحاديث نبوية شريفة.

وإليكم الحديث التالي الذي يناقض ماسمعناه في الحديث السابق:

٤٥ / ب ـ الحديث رقم (٥٢٣٩) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء عمي من الرضاعة فاستأذن عليّ: فأبيت أن آذن له حتى اسأل رسول الله، فجاء رسول الله فسألته عن ذلك فقال: إنه عمك فأذني له. قالت: فقلت: يارسول الله إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل. قالت: فقال: رسول الله ﷺ: «إنه عمك فليلج عليك» قالت عائشة: وذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب. قالت عائشة: يحرم من الرضاعة مايحرم من الولادة.

إن هذا الكلام الذي سمح به الراوي كلام خطير ويناقض القرآن ويغير المحارم في الإسلام وكيف نسمح لهؤلاء الرواة بأن يتقولوا مايشاؤون على ديننا؟ بحيث تقول المرأة لزوجها إن الرجل لم يرضعني؟ وهل كان الرجال يرضعون النساء حتى يحلّ هذا السؤال في الإسلام؟

٤٦ / ب ـ وقد ورد من صحيح مسلم أعجوبة أخرى في الإسلام تحت باب رضاعة الكبير: الحديث رقم (١٤٥٣) من صحيح مسلم: عن عائشة قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله: إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حليفه). فقال النبي «أرضعيه» قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «قد علمت أنه رجل كبير».

فهل هذه سنّة نبوية شريفة؟ وهل هذا وحيٌ من السماء من نفسِ مصدر آيات القرآن الكريم؟. وهل القاعدة في الإسلام كلما أراد المسلم أن يُدخِلَ إلى بيته رجلاً من أصحابه وأصدقائه من دون حرج أن يقول لزوجته: أدخلي هذا إلى غرفتك وأرضعيه منك عشر رضعات أو ثلاث رضعات مشبعات يحلّ لك بعدها أن تكشّفي عليه من دون حرج؟.

هل هذا هو الدين الجديد الذي يدعونا إليه الحاقدون والواجب تطبيقه على كل المسلمين؟ ألم نسأل أنفسنا يوماً من هو الشيطان الذي أدخل مثل هذه الأحاديث إلى عقيدتنا ثم قال لنا بعد ذلك هذا هو دين الإسلام الحنيف؟ كل هذه الأحاديث ونحن مازلنا في مجال الصحيح. فكيف إذا تخطينا الحاجز ودخلنا في باقي الأحاديث من المليون الذي يستشهد بها أئمتنا في المساجد إلى اليوم على أنها أقوال الرسول محمد ﷺ ظلماً وبهتاناً وافتراء على الله من بعد الرسول على أنها وحي من السماء؟

وفي رواية أخرى لنفس الحديث السابق من صحيح مسلم في المسلسل ٢٧:

فقال لها النبي ﷺ أرضعيه تحرمي عليه. ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة. فرجعت فقالت: إني قد أرضعته. فذهب الذي في نفس أبي حذيفة.

٤٧ / أ ـ الحديث رقم (٥٤١٤) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشعير». دليل حالة الفقر العامة التي كانت منتشرة في أيامه بين الناس. وليس في هذا مايعيب.

٤٨ / ب ـ الحديث رقم (٧٢٩٨) من صحيح البخاري: عن ابن عمر قال: اتّخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتّخذ الناس خواتيم من ذهب. فقال النبي: «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه وقال: «إني لن ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم. من أين للناس الفقراء الذين لايجدون مايشبعون به من خبز الشعير خواتم من ذهب؟.

٤٩ / أ ـ الحديث رقم (٥٠٣٥) من صحيح البخاري: عن ابن عباس: قال:

«توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» فما هو المحكم الذي يشير إليه ابن عباس؟ هل هي أحاديث الرسول كلها أم آيات الأحكام في القرآن؟ واذا كانت آيات الأحكام فكيف استطاع فصلها عن الآيات المتشابهة في القرآن؟ إنها متشابكة في بعض بشكل يعجز المرء فصلهما عن بعض بشكل كامل. وكما أن الحديث لم يكن قد كتب بعد.

٥٠ / ب ـ الحديث رقم (٥٠٠٢) من صحيح البخاري: قال عبد الله؟ ؟ رضي الله عنه:

«والله الذي لا إله إلا غيره ماأنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت. ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه». هذا الحديث يناقض كل الحقائق الموجودة في الحديث الأول خاصةً إذا افترضنا أن عبد الله هذا هو عبد الله بن عباس.

٥١ /أ ـ الحديث رقم (٧٥١٣) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟ رضي الله عنه قال: جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على أصبع والأرضين على أصبع والماء والثرى على أصبع والخلائق على أصبع ثم يهزّهنّ ثم يقول: أنا المَلِك. أنا الملك. فلقد رأيت النبي يضحك حتى نواجذه ثم قرأ:

﴿وما قَدَروا الله حقَّ قَدرِه﴾ ٩١ ـ الأنعام.

إن الصورة السابقة التي سمعناها هي الصور البدائية نتيجة تحريفات أهل الكتاب في كتبهم حتى أصبحت تلك الصور سخيفة ومضحكة، وهكذا كان ردّ الفعل الطبيعي من الرسول الكريم الذي سمعها فقال بعدها: (وماقدروا الله حقَّ قدره) وضحك مشيراً إلى تأكيد الله ذلك في القرآن الكريم. لأن أجوبة الرسول ولغته صارت تطابق آيات الله خاصة بعد أن حفظ القرآن الكريم حفظاً كاملاً.

وهذا الحديث لاغبار عليه إذا فهمناه بحسب هذا المنطق وهذا الأسلوب.

ثم لاحظوا الحديث التالي لنفس الحديث برواية راوٍ آخر يريد أن يقلب الحق باطلاً:

٥٢ / ب ـ الحديث رقم (٧٥١٤) من صحيح البخاري: نفس الحديث السابق مع إضافة: كلمتين فقط: فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله ثم قال: (وماقَدَروا الله حقَّ قَدرِهِ).

ولكن الراوي الخبيث نسي أن الذي يصدق موضوعاً مع وجود التعجب لايضحك

فلو صدق الرسول ماسمه» من الرجل ما ضحك أبداً.

٥٣ /أ ـ الحديث رقم (١٠٣٩) من صحيح البخاري: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«مفتاح الغيب خمس لايعلمها إلا الله: لايعلم أحد مايكون في غد ولايعلم أحد مايكون في الأرحام. ولاتعلم نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيء المطر».

هذا الحديث تأليف على الرسول ﷺ ويناقض القرآن للأسباب التالية:

كما سبق وشرحت مراراً فإن الله دقيق جداً باستخدام الكلمات والتعابير في القرآن لدرجة الإعجاز، ومن لايكون دقيقاً في ملاحظة تلك الأمور تغيب عنه أشياء كثيرة.
مثلاً: لايعلم أحد مايكون في الأرحام: لنقرأ الآية التالية:

﴿إنّ الله عنده علمُ الساعة وينزل الغيثَ ويعلمُ مافي الأرحام﴾ ٣٤ ـ لقمان.

ففي الشطر الأول (عنده علم الساعة) قد حدّد سبحانه علمَ الساعة بنفسه وعزلها عن باقي خلقه. فهمنا الشطر الأول. ثم قال بعدها:

(وينزل الغيث) ولم يقل إذا لاحظتم إنه لن يستطيع غيره إنزاله إن حاول وتعلم قوانين الطبيعة كيف تجري على الأرض.

وفي الثالثة قال تعالى: ﴿ويعلم مافي الأرحام﴾

كذلك لم يقل سبحانه لن تستطيعوا أن تعلموا إذا حاولتم ولم يحصرها بنفسه ولم يقل كما هو في نص الحديث (ولايعلم أحدٌ مايكون في الأرحام)، نص الآية يناقض ماورد في نص الحديث. لأن الفهم للآية خاطىء من أساسه، ثم إن راوي الحديث وضع بصمة التأليف بيده في قوله:

(ومايدري أحد متى يجيء المطر) فإن الله سبحانه لم يستخدم في كل القرآن كلمة المطر إلا غضباً على العباد، إما إذا كان خيراً استخدم دائماً الغيث. فلو كان هذا فعلاً وحياً ثانياً من السماء كما يدعي أهل العلم من السنة لوجب أن لايتناقض مع القرآن في استخدام الكلمات، ولوجب أن يلتزم في هذا الوحي كما التزم في الوحي الأول.

٥٤ / ب ـ الحديث رقم (٣٣٣٢) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟ : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق: أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون

علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.
فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب (أي ماكُتب له سابقاً من الله وقدِّر عليه سلفاً) فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة.
وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار).

هذا الحديث دمّر الإسلام وهدمه من القواعد، وجعل الرسول ﷺ شريكاً كاملاً لله، فلم يعد لله من غيب في السموات والأرض إلا ودخل إلى علمه، فصار الرسول يعرفه كالله تماماً، بينما في الحديث الأول كان يقول: لايعلم الغيب إلا الله. فانظر إلى مدى التناقض بين الحديثين، علماً أن الحديث الأول يناقض القرآن لكن ضرره في الإسلام لايعادل قوة طلقة رصاصة بالنسبة لقول الحديث الثاني الذي قلت عنه في مواضع مختلفة إنها بقوة أكبر القنابل الهيدروجينية المعروفة الآن. أي أقوى من قوة القنابل الذرية بآلاف المرات قوة تدميرية.

هذا ـ وقبل الانتقال إلى بحث الأحاديث المتشابهة التي كلها من غيب الله لكن أغلب علماء المسلمين ظنوا أن الله قد كشف الغيب لرسولهم فلم يعد بينه وبين الله تعالى سرّ بعد الإسراء والمعراج ولم يعلم الكثيرون منهم أن مصدر هذه المعلومات كلها من كتب أهل الكتاب المحرفة التي منع الله سبحانه والرسول الكريم من أن نأخذ منها بعد أن طلب منا أن نؤمن بأنها كانت موجودة سليمة قبل تحريفها من رجال الدين، ولما كان كثير من المسلمين مؤمنين بكتب أهل الكتاب ويظنون أنَّ الكلام نقداً على تلك الكتب هو نوع من التجني والهجوم، فإني أحب أن أنتقل إلى موضوع هام وسؤال خطير وأبحثه معكم قبل المتابعة في بحث الأحاديث، حتى يكون القارىء وهو يرى الأحاديث الإسرائيلية على يقين تام من أن كتب أهل الكتاب قد حُرّفت فعلاً ولم تعد تصلح كتباً للقراءة في البيت وفي متناول الأولاد والبنات، لوجود قصص وحكايات مخزية لايجوز تعليمها للنشء على أنها دين ـ لأن الشاب أو الشابة اللذين يقرأان عن الرسل والأنبياء أنهم يزنون ويشربون الخمر ويرتكبون الفواحش سوف يقولون: إذا كان الأنبياء والرسل يفعلون ذلك فلا بأس إن فعلنا مثلهم أو أكثر.

فإلى هذا البحث الخطير إذاً:

الفصل الرابع

هل سمح الرسول ﷺ بالأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرفة؟

وهل قال الرسول ﷺ الحديث المنسوب له في صحيح البخاري تحت رقم (٣٤٦١) عن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان أبوه هو الساعد الأيمن والأساسي لسلطان بني أمية: معاوية بن أبي سفيان؟ والذي يعتبره الأذكياء في العالم أنه من أول دهاة العرب؟ بمعنى أنه أعلم من فيهم بمصلحته وعن طريقة تحصيلها.

وكان عمرو بن العاص يعتبر الثاني في هذا المضمار، وقد برهن ذلك بجدارة. حيث كان صاحب الخديعة المشهورة في تاريخ المسلمين، في الفتنة التي خلقها معاوية بحجة قميص عثمان ودمه، ظاهراً، وللحصول على السلطة، باطناً.

والحديث هو جزء من حديث ذي ثلاث شعب، ركب على حديث للرسول ﷺ كان صحيحاً قبل الإضافات، بدليل عدم تناقضه مع القرآن الكريم وهو:

«بلغوا عني ولو آية» وأضيف لهذا الصحيح إضافتان من أخطر الإضافات وهما:

ـ وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج ـ وهذا سمح بالأخذ عن كل كتب أهل الكتاب المحرّفة كما يشاؤون من التوراة والتلمود والإنجيل ومزامير داوود وغيرها.

والشطر الثالث هو:

(من كذّب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار)

وهذا الحديث أيضاً له أصل صحيح هو:

«من كذّب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»

لكن إضافة (متعمداً) خلقت مجموعة كبيرة من الوضاعين للحديث على رسول الله، بحجة أننا نحن نكذب للرسول ولمصلحته، وليس على الرسول. فكيف يكون هذا كذباً متعمّداً؟ وهكذا... حقق جنود السلطان بهذا الحديث انتصارات هائلة لتحقيق مصالح السلطان التي كان يسعى إليها من رغبات وأهواء وشهوات تثيرها كل العوامل المتوفرة لديهم من مال ـ وثراء ـ وجاهٍ وسلطة وفراغ وعدم الخوف والخشية من الله.

وحتى نتوصل للحقيقة بأسلوب علمي لابد من أن نتجنّب أسلوب الخطابة والأساليب العاطفية في الإقناع التي يلجأ إليها عادة من تكون حجته عقلياً ضعيفة، فيحاول أن يؤثر على قلب القارىء وخياله وحبّه للرسول ولله وللدين، من دون أن يقدم حججاً أو أدلة أو بيانات تؤيد وجهة نظره. وجنود السلطان من أهل الكتاب في أمريكا اليوم يقولون لأتباعهم لاتستمعوا للقرآن، لأنه من كلام الشيطان، والشيطان شاطر وذكي، لذلك إذا قرأتموه سوف يسحركم ويقنعكم بوجهة نظره بسرعة، والأفضل ألاّ تحاولوا سماعه أو قراءته على الإطلاق. وهي حتى الآن وسيلة ناجعة تؤدي الغرض المطلوب منه. وحتى أترك للقارىء الحرية في أن يختار لنفسه إن لم يقنعه جنود السلطان من المسلمين بأن قراءة هذا الكتاب أيضاً خطر عليه وعلى تفكيره ـ كما يفعل إخوانهم في أمريكا ـ ثم وبعد القراءة يحاول أن يميز الخطأمن الصحيح بمنطقه هو وبعقله، لا بمنطق وعقل جنود السلطان، لأنني سوف أتّبع في هذا البحث سرد متقتطفات عن نصوص من التوراة المقدّسة الموجودة اليوم بين أيدي أهل الكتاب من دون أي تعليق عليها، ثم أضع تحتها مباشرة مقتطفات لنصوص من القرآن الكريم ممّا قاله الله سبحانه عن نفس المواضيع تقريباً. والقارىء حرّ في أن يحكم لمن يشاء للتوراة أو للقرآن بعد ذلك. ثم أشرح في نهاية النصوص، لماذا لم يحاول أهل الكتاب الاعتراف بالقرآن الكريم أو الأخذ عنه مع أن الصحيح كلّه موجود فيه وليس فيما لديهم من نصوص مزعومة لله سبحانه وهو بريء منها جميعاً؟ ثم أفاجىء القارىء بأن الذين ذهبوا وأخذوا من تلك النصوص المحرفة هم المسلمون الذين تحت أيديهم القرآن الكريم كاملاً. وأشرح ماهي الأسباب والدوافع التي أدت إلى هذا العمل الذي لايقبله العقل والمنطق لأول مرة خاصةً إذا فهمنا وعالجنا الموضوع على أساس الصحيح والخطأ، ولكن يصبح ذلك كله مفهوماً بعد أن نحاول فهمه على أساس المصلحة، التي هي المحرّك الأساسي لأغلب الأهواء والرغبات الموجودة فعلاً في الإنسان، وليست الحقائق المجردة بحد ذاتها التي تحرك الأهواء.

فإلى نصوص من التوراة، ونصوص من القرآن الكريم:

وقبل بداية البحث سوف ألفت النظر إلى موضوع هام لايقدره كثيرون إلى الآن مع أنه حقيقة، وهو أن القرآن الكريم كتاب سماويّ وليس فيه حرف واحد من تحريف البشر، بينما بقية الكتب المقدسة الأخرى التي لعبت بها يد التحريف لم يبق فيها شيء واحد يمكن أن نقول عنه حقيقة إلا ما طابق القرآن الكريم، وسوف أضرب على هذا مثالاً هاماً

لم يلتفت إليه أغلب علماء السنة: إذا قرأنا قصة يوسف في مانسميه بالتوراة يلفت نظرنا العناوين التالية:

أحلام فرعون، فرعون يقص أحلامه على يوسف، يوسف يفسر أحلام فرعون، لقاء يعقوب بفرعون.. إلى آخر تلك العناوين، وكلها تقول فرعون.

وإذا فتحنا القرآن وقرأنا سورة يوسف لانجد لفرعون ذكراً في كل القصة بل يقول الله تعالى:

﴿وقالَ الملك إني أرى سبعَ بقراتٍ سِمان يأكلهنّ سبعٌ عِجافٌ﴾ ٤٣ ـ يوسف.

﴿وقال الملكُ ائتوني به فلمّا جاءهُ الرسولُ قال إرجع إلى ربِّكَ فاسأله مابالُ النسوةِ اللاّتي قَطّعنَ أيديهنّ﴾ ٥٠ ـ يوسف.

﴿وقالَ الملك ائتوني به أستخلصهُ لنفسي﴾ ٥٤ ـ يوسف.

وهكذا إلى نهاية القصة. والسرّ الذي لم يكن يعرفه أهل الكتاب الذين عادوا وكتبوا التوراة بالروايات فلم يعودوا يتذكرون من كان يحكم مصر أيام يوسف، الفراعنة أم البطالسة. لأن البطالسة لايسمّون حاكمهم (فرعون) بل كانوا يسمونه (الملك) وهذه حقيقة غابت عن أهل الكتاب وعن المسلمين، وهي التي تفسّر لماذا تحول بني إسرائيل إلى عبيد في أيام فرعون، لأن الفراعنة اعتبروا اليهود من الخونة الذين ساعدوا البطالسة في التسلّط على حكم مصر، فعندما استعادوا الحكم منهم استعبدوا بني إسرائيل: حتى قال الله تعالى عنهم:

﴿وإذ نجيناكُم من آل فِرعونَ يسومونَكُم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويَستَحيُونَ نساءكُم وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾ ٤٩ ـ البقرة.

ثم بعد هذه المقدمة السريعة أنتقل بكم إلى موضوع البحث:

١ ـ أ ـ نص من التوراة:

(إسحق هو الذبيح الذي فداه الله بحسب منطق التوراة المحرفة).

وبعد هذا امتحن الله إبراهيم فناداه «يا إبراهيم فأجابه: «لبيك» فقال له: خذ ابنك وحيدك، إسحق الذي تحبّه وانطلق إلى أرض المريّا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه.

ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيّد إبراهيم مذبحاً هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ومدّ إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: «إبراهيم، إبراهيم» فأجاب: نعم. فقال: لاتمدّ يدك إلى الصبي ولاتوقع به ضرراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني»(*).

عندما يرتكب الإنسان جريمة بحق الله بتحريف كتابه مثلاً؛ يجعله الله يخطىء فيترك أثراً يدل على جريمته وتحريفه، وعندنا في هذه الفقرة كلمة: خذ ابنك وحيدك - ولم تمنع وحيدك عني.

ونحن نعلم أن إسحق لم يكن وحيد إبراهيم فقد كان عنده إسماعيل قبل إسحاق بفترة طويلة. وهذا مسجّل في نفس التوراة.

١ - ب - نص من القرآن:

﴿ربِّ هَب لي من الصالحين * فبشّرناه بغلام حليم * فلمّا بلغَ معه السّعي قال يابنيّ إني أرى في المنام أني أذبحُكَ فانظر ماذا ترى قالَ يا أبتِ افعل ما تُؤمَر ستَجُدُني إن شاء الله من الصابرين * فلمّا أَسْلَمَا وتلّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقتِ الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين * وفديناه بِذِبْحٍ عظيم﴾ ١٠٠-١٠٧- الصافات.

إلى أن قال سبحانه ﴿وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق﴾ ١١٢ - الصافات

وهذا دليل واضح على أن الذبيح كان إسماعيل وقبل ولادة إسحاق معناه أنه كان فعلاً وحيداً لإبراهيم كما كان في نص التوراة، فنسي الذي حرّف اسم إسماعيل إلى اسم إسحق أن يزيل كلمة الوحيد، طبعاً بإرادة إلهية، أي أن هذه البشرى أتته وهو في موقف صدقه مع الله في محاولة ذبح وحيده. فبشّره الله تعالى بغلام ثان يكون أيضاً نبياً من الصالحين.

٢ - أ - نص من التوراة:

صارعه إنسان حتى مطلع الفجر. وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال له «أطلقني، فقد طلع الفجر» فأجابه يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني» فسأله: «ما اسمك؟» فأجاب:

(*) تكوين إصحاح ٢٢ - الفقرات ١ - ١٢ بالانتقاء.

«يعقوب». فقال: «لايدعى اسمك في مابعد يعقوب، بل إسرائيل. (ومعناه: يجاهد مع الله» لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. فسأله يعقوب: «أخبرني ما اسمك؟» فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك. ودعا يعقوب اسم المكان فَنِيئِيل (ومعناه وجه الله) إذ قال: لأني شاهدت الله وجهاً لوجه وبقيت حياً»(*).

٢ ـ ب ـ نص من القرآن:

﴿وماقَدَرُوا الله حقَّ قدرِهِ إذ قالوا ما أنزلَ الله على بشرٍ من شيء قُل مَن أنزلَ الكتابَ الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناسِ تجعلونه قراطيسَ تبدونها وتخفون كثيراً وعُلِّمتُم مالَم تَعلَموا أنتم ولا آباؤكم قُل اللهُ ثمّ ذرهُم في خَوضِهِم يَلعَبون﴾ ٩١ ـ الأنعام.

٣ ـ أ ـ نص من التوراة:

«إذا راود رجل عذراء غير مخطوبة وعاشرها، يدفع مهرها ويتزوجها وإن أبى والدها قطعياً أن يزوجها منه، يتحتم عليه أيضاً أن يدفع له مهر العذارى»(**).

٣ ـ ب ـ نص من القرآن:

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلده ولاتأخذكُم بهما رأفةٌ في دينِ الله إن كنتم تؤمنونَ بالله واليومِ الآخرِ وليشهَد عَذَابَهُما طائفةٌ من المؤمنين﴾ ٢ ـ النور.

٤ ـ أ ـ نص من التوراة:

«فيشاهد جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة فيسجدون للرب كل واحد أمام باب خيمته، فكان الرب يكلم موسى وجهاً لوجه كما يكلم الإنسان صاحبه»(***).

٤ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿قال ربِّ أرني أنظر إليك قالَ لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانَه فسوفَ تراني فلمّا تجلّى ربُّه للجبلِ جَعَلَه دكاً وخرَّ موسى صَعِقاً فلمّا آفاقَ قالَ سبحانَكَ تُبتُ إليك وأنا أولُ المؤمنين﴾ ١٤٣ ـ الأعراف.

(*) تكوين ٣٢ ـ الفقرة ٢٤ ـ ٣٠.

(**) سفر الخروج ـ الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ١٦ ـ ١٧.

(***) الخروج ـ الإصحاح ٣٣ ـ الفقرة ١١.

٥ ـ أ ـ نص من التوراة:

«إذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من يلمسها يكون نجساً إلى المساء كل ماتنام عليه في أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وكل من مَسَّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء، وكل من يلمسُ شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذي تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء، وإن عاشرها رجل وأصابه شيء من طمثها، يكون نجساً سبعة أيام، وكل فراش ينام عليه يصبح نجساً»(*).

٥ ـ ب ـ نص من القرآن:

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيضِ ولا تقربوهنّ حتى يَطهرنَ فإذا تَطَهّرنَ فأتوهُنّ من حيثُ أمَرَكُم الله إنّ الله يحبُّ التّوابينَ ويحبّ المتطهّرين﴾ ٢٢٢ ـ البقرة.

٦ ـ أ ـ نص من التوراة:

أبناء الله يتزوجون بنات من الناس؟

«وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ماطاب لهم. فقال الربُّ: «لن يمكث روحي مجاهداً في الإنسان إلى الأبد هو بشري زائغ لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط» وفي تلك الحِقَب كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ولدن لهم أبناء وصار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم»(**).

٦ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قل هو الله أحدٌ * الله الصمدُ * لم يَلِد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحدٌ﴾ ـ سورة الإخلاص.

(*) اللاويين الإصحاح ١٥ ـ الفقرات ١٩ ـ ٢٤.

(**) تكوين الإصحاح ٦ ـ الفقرات ١ ـ ٤.

٧ ـ أ ـ نص من التوراة:

«جبريل يقوم بدور الشيطان في مهمة له على الأرض»

«ثم خرج الروح ووقف أمام الربّ وقال أنا أغويه. وقال له الربُّ بماذا؟ فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال إنك تغويه وتقتدر؟. فاخرج وافعل هكذا»(*).

٧ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿قل من كان عدوّاً لجبريل فإنه نزّله على قلبِكَ بإذنِ الله مصدّقاً لما بينَ يَدَيهِ وهديٍ وبشرى للمؤمنين﴾ ٩٧ ـ البقرة.

لأن اليهود يعتبرون جبريل روحاً للشر، ويعتبرون ميكائيل ممثل روح الخير.

٨ ـ أ ـ نص من التوراة:

النبي لوط يسكر ويزني مع ابنتيه؟

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجلٌ ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغيرة ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم»(**).

٨ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿إذ قالَ لهم أخوهم لوط ألا تتقون * إني لكم رسولٌ أمين * فاتّقوا الله وأطيعونِ * وما

(*) ملوك أول الإصحاح ٢٢ ـ الفقرة ٢٢.

(**) سفر التكوين الإصحاح ١٩ ـ الفقرات ٣٠ ـ ٣٨.

أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين * أتأتون الذُّكْران من العالمين * وَتَذرونَ ماخَلَقَ لَكُمْ رَبُّكم من أزواجِكم بل أنتم قومٌ عَادُونَ﴾ ١٦١ - ١٦٦ - الشعراء.

٩ - أ - نص من التوراة:

النبي هارون يدعوا الناس للشرك بالله بعد غياب موسى عنه:

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون. وقالواله: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للّعب»(*).

كان من عادة أهل الكتاب إحراق الذبائح على المحرقة، وتصعيد دخانها إلى السماء ظناً منهم أن الله تعالى يحب رائحة اللحم المشوي. لذلك يجيبهم الله عز وجل في القرآن الكريم وينبهنا حتى لانقع في مثل ماوقعوا فيه فيقول:

﴿لن ينالَ الله لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالُه التَّقوى منكم﴾ ٣٧ - الحج.

٩ - ب - نص من القرآن الكريم:

﴿قال فإنا قد فتنّا قومَكَ من بعدِكَ وأَضَلَّهُم السامريّ * فرجعَ موسى إلى قومه غضبانَ أسفاً * قال ياقومِ ألم يَعِدْكم ربُّكم وعداً حسناً أَفَطالَ عليكم العهدُ أم أردتُّم أن يحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم فأخلَفتُم موعدي * قالوا ما أخلَفنا موعدَكَ بملكِنا ولكنّا حُمِّلنا أوزاراً من زينةِ القومِ فقذفناها فكذلك ألقى السامريّ فأخرجَ لهم عجلاً جسداً له خوارٌ فقالوا هذا إلهكم وإلهُ موسى فنسى * أفلا يرونَ ألا يرجع إليهم قولاً ولايملك لهم ضَراً ولا نَفعاً * ولقد قالَ لهم هارون من قبلُ ياقوم إنّما فُتنتم به وإن ربّكم الرحمن فاتّبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرَحَ عليه عاكفينَ حتى يرجعَ إلينا موسى * قال يا هارون مامنعَكَ إذ رأيتَهم ضلّوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يا ابنَ أم لاتأخذ بلحيتي ولا

(*) سفر الخروج الإصحاح ٣٢ - الفقرات ١ - ٦.

برأسي إنّي خشيتُ أن تقولَ فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب أمري * قال فما خطبُك ياسامريّ * قال أبصرت بما لم يبصروا به فقبضتُ قَبضةً من أثرِ الرسولِ فنبذتُها وكذلك سوّلت لي نفسي * قال فاذهبْ فإن لك في الحياة أن تقول لا مَسَاسَ وأن لك موعداً لن تخلفَهُ وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً لنحرقنّهُ ثم لننسفنَّهُ في اليمّ نَسفاً * إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً * كذلك نقصّ عليك من أنباء ماقد سبقَ وقد آتيناك من لَدُنّا ذكراً﴾ ٨٥ - ٩٩ - طه.

١٠ - أ - نص من التوراة:

«فكانت كلمة الرب إلي قائلاً قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب. فقلت آه ياسيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد. فقال الرب لي لاتقل إني ولَد لأنكَ إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به. لاتخف وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب. ومدَّ الربُّ يده ولمس فمي وقال الرب لي هاقد جعلت كلامي في فمك. انظر قد وكلتُكَ هذا اليوم على الشُعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتَنقُضَ وتبني وتغرس.

ثم صارت كلمة الرب إلي قائلاً ماذا أنت راءٍ يا إرميا. فقلت أنا راءٍ قضيب لوز. فقال الرب لي أحسنت الرؤية لأني أنا ساهدٌ على كلمتي لأُجريها»(*).

من مثل هذه النصوص استقى جنود السلطان دين السلطان ليفرضوه على الناس على أن الدين كله قدر وكله مكتوب على الإنسان الذي جعلوه بلا حرية وبلا مجال للاختيار له لا في الدنيا ولا في الآخرة على حدّ سواء.

١٠ - ب - نص من القرآن الكريم:

﴿لا إكراه في الدين قد تبيَّنَ الرشدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ - البقرة.

﴿وقل الحقُّ من ربِّكُم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفُر﴾ ٢٨ - الكهف.

﴿إنّ الله لايغير مابقومٍ حتى يغيّروا مابأنفسِهِم﴾ ١١ - الرعد.

﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ ١٥ - الزمر

كل هذه الآيات تدلّ - من الله - أنه خلق الإنسان حراً ومنحه حرية الاختيار لنفسه كما

(*) سفر إرميا الإصحاح ١ - الفقرات ٥ - ١٠.

يشاء، وربط تغيير ما بأحوال الناس بالمشيئة الأولى من الإنسان بتغيير ما بأحواله، وإلا فإن الله بالمقابل لن يحرك ساكناً.

وقد شاء الله وأراد واختار أيضاً بما يشاء ألّا يعلم عن الإنسان ماذا سيختار: طريق الكفر أم طريق الإيمان، لأنه إذا أبقى الله لنفسه أي علم في هذا الموضوع تنفى بالتالي حرية الاختيار للإنسان. لذلك يقول سبحانه دائماً في القرآن آياتٍ مثل:

﴿وليعلمَ الله الذين آمنوا﴾ ١٤٠ ـ آل عمران.

﴿وليعلمَ الله الذين نافقوا﴾ ١٦٧ ـ آل عمران.

﴿ليعلمَ الله مَن يخافُه بالغيبِ﴾ ٩٤ ـ المائدة.

﴿أم حسبتُم أن تتركوا ولمّا يعلَم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ١٦ ـ التوبة. وهذا كلّه في المستقبل.

وقد قال الله:

﴿والله يعلَمُ ماتُسرّونَ وما تُعلنون﴾ ١٩ ـ النحل.

بمعنى (الآن) وماذا في قلوبكم من حقائق. فالله لم يقل أبداً في القرآن كله إنه يعلم ماسوف يكون في قلب الإنسان بعد لحظة أو بعد سنتين من المستقبل، لأن افتراض علم الله لذلك تنفي حرية الإنسان وتنسفها من الأساس. وكذلك لم يقل الله لرسولٍ: وكّلتك بل قال سبحانه:

﴿الله حفيظٌ عليهم وماأنَت عليهم بوكيل﴾ ٦ ـ الشورى.

١١ ـ أ ـ نص من التوراة:

«اسكتوا يأكل البشر قدام الرب لأنه استيقظ من مسكن قدسه»(*).

«لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل مافيها في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع»(**).

١١ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم لاتأخذُهُ سِنَةٌّولا نومٌ﴾ ٢٥٥ ـ البقرة.

(*) سفر زكريا الإصحاح ٢ ـ الفقرة ١٣.

(**) سفر الخروج الإصحاح ٢٠ ـ الفقرة ١١.

١٢ - أ - نص من التوراة:

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك. وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليلاً لاتغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد إليك ملوكهم. لأن الأمة والمملكة التي لاتخدمك تَبيدُ وخراباً تُخرَب الأمم. مجدُ لبنان إليكِ يأتي السرو والسنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدسيّ وأُمجّدُ موضع رجليّ.

وبنوا الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميكِ ويدعونكِ مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل. عوضاً عن كونك مهجورةً ومبغضةً بلا عابر بكِ أجعلك فخراً أبدياً فرح دور فدور. وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوكٍ وتعرفين أني أن الرب مخلِّصُك ووليُّكِ عزيزُ يعقوب. عوضاً عن النحاس آتي بالذهب وعوضاً عن الحديد آتي بالفضة وعوضاً عن الخشب بالنحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد. وأجعلُ وكلاءكِ سلاماً وولاتَكِ برّاً»(*).

١٢ - ب - نص من القرآن الكريم:

﴿وإذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل لاتعبدونَ إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسناً وأقيموا الصلاةِ وآتوا الزكاةَ ثم تولّيتُم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون * وإذ أخذنا ميثاقَكُم لاتسفكونَ دماءكُم ولاتخرجون أنفسَكم من ديارِكُم ثم أقررتُم وأنتم تَشهدُون * ثم أنتم هؤلاء تقتُلون أَنفسَكم وتُخرجُون فريقاً منكم من ديارِهم تَظاهَرونَ عليهم بالإثم والعُدوانِ وإن يأتوكُم أَسَارى تفادُوهُم وهو محرَّم عَليكم إخراجُهم أفَتُؤمِنُونَ ببعضِ الكتاب وتكفرونَ ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياةِ الدنيا ويومَ القيامة يردّون إلى أشدِّ العذاب وما الله بغافلٍ عمّا تعملون * أولئك الذين اشتَرَوا الحياةَ الدُّنيا بالآخرة فلا يخفّفُ عنهم العذابُ ولاهم يُنصرون * ولقد آتينا موسى الكتابَ وَقَفّينا من بعدِهِ بالرُّسُلِ وآتينا عيسى ابن مريمَ البيّناتِ وأيدّناهُ بروحِ القدسِ أفكلّما جاءكُم رسولٌ بما لاتهوى أنفسُكم استكبرتُم ففريقاً كذّبتُم وفريقاً تقتُلونَ * وقالوا قُلوبُنا غلفٌ بل لعنَهُم الله بكفرِهِم فقليلاً مايؤمنون * ولما جاءهم كتابٌ من عندِ الله مصدّقٌ لما معهم (القرآن الكريم) وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كَفَروا فلمّا جاءهُم ماعَرفوا كفروا بهِ فلعنةُ الله على الكافرين﴾ ٨١-٨٩-البقرة.

(*) سفر أشعيا الإصحاح ٦٠ - الفقرات ١٠ - ١٧.

١٣ ـ أ ـ نص من التوراة:

أنبياء يمارسون الإباحية الجنسية والفحشاء والمنكر.

«وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عدلامي اسمه حيرة. ونظر يهوذا (بن يعقوب) هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها ودخل عليها. فحبلت منه وولدت ابناً اسمه عِيراً. ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعتِ اسمه أُونان. ثم عادت فولدت أيضاً ابناً ودعت اسمه شِيلَة وكان في كَزِيبَ حين ولدته.

وأخذ يهوذا زوجة لِعِير بِكرُهُ زوجة اسمها ثامار. وكان عِير بِكرُ يهوذا شريراً فِي عيني الرب. فأماته الرب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأَقِم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لايكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه. فقبح في عيني الرب مافعله. فأماته أيضاً. فقال يهوذا لثامار كنته اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. لأنه قال لعله يموت هو أيضاً كأخويه. فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها.

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تُمْنَة هو وحِيرة صاحبه العَدلامي. فأُخْبِرتْ ثامار وقيل لها هوذا حَموك صاعد إلى تمنة ليجزَّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقُع وتلففت وجلست في مدخل عَينايم التي على طريق تُمنة. لأنها رأت أن شِيلة قد كبر وهي لم تُعط له زوجة (أي أنها تريد أن تنتقم لنفسها) فنظرها يهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غَطّت وَجْهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي ادخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟ فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت: هل تعطيني رهناً حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذي أعطيك. فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاها ودخل عليها. فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها. فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العيلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة. فلم يجدها. فسأل أهل مكانها قائلاً: أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق؟ فقالوا لم تكن هنا زانية. فرجع إلى يهوذا وقال: لم أجدها. وأهل المكان أيضاً قالوا: لم تكن ههنا زانية. فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة. إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها.

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبر يَهوذا وقيل قد زنت ثامار كنّتك. وهاهي حبلى أيضاً من

الزنا. فقال أخرجوها فتُحرق. أما هي فلما أُخرجت أَرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حُبلى. وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا وقال: هي أبَرُّ منّي لأني لم أعطها لشيلة ابني. فلم يعد يعرفها أيضاً. وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان. وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً (خيط أحمر اللون) قائلة هذا خرج أولاً. ولكن حين ردَّ يده إذا أخوه قد خرج. فقالت: لماذا اقتحمت. عليك اقتحام. فدعي اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعي اسمه زارح»(*) وقد رأيتم أن لباس البرقع وتغطية الوجه هو لباس يهودي وليس له علاقة بدين الإسلام. وكانت تلبسه الزانيات حتى لاتعرفن. لذلك منعها الله تعالى في الإسلام ومنع غطاء الوجه للنساء في الآية ﴿يا أيها النبيُّ قل لأزواجكَ وبناتكَ ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلاليبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذون﴾ ٥٩ ـ الأحزاب ولم يقل الله تعالى حتى لا يعرفن ولم يتحدث عن الوجه أصلاً لأن الوجه هوية الإنسان ذكراً كان أم أنثى واعتبرها الله تعالى من الزينة الظاهرة.

١٣ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزلَ إلينا وما أنزلَ إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحق ويعقوبَ والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ومآأوتي النبيّون من ربّهم لانفرقُ بين أحد منهم ونحن لهِ مسلمون * فإن آمنوا بمثلِ ماآمنتُم به فقد اهتَدوا وإن تَوَلّوا فإنما هو شقاقٌ فسَيَكفِيكَهُمُ الله وهو السميعُ العليم﴾ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ البقرة.

ولكن ليس معنى هذه الآيات أننا نؤمن بما بقي في أيدي أهل الكتاب من كتب قد حرّفوها، بدليل النصوص التي نقرؤها الآن، وبدليل ماذكر الله تعالى عن تحريفهم لكتبهم مقابل ما دفعه لهم سلاطينهم الذين كانوا يرغبون بتحريف عقيدة الناس الصحيحة لله إلى عقيدة إشراكية تجعلُ الدينَ كلّه لمصلحةِ السلطان وأعوانه. فقال سبحانه عنهم:

﴿فويـل للذين يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثمّ يقولُونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهم مما كتبَت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبونَ﴾ ٧٩ ـ البقرة.

فالمسلمون يؤمنون فقط بالذي ورد عن أهل الكتاب وعن قصصهم في آيات القرآن فقط، وهذا هو الصحيح الوحيد. أما المسلمون الذين ضلّلهم سلطان المسلمين وجنوده من الذين

(*) سفر التكوين الإصحاح ٣٨ ـ الفقرات ١ ـ ٣٠.

اقتدوا بسلطان بني إسرائيل وجنودهم في بناء عرش سلطنة الباطل على الأرض، لينعم السلطان ومن معه من الأعوان والمقربين بنعيم الأرض وحدهم وهم يسوقون شعوبهم كالأغنام، وما اكتتبوه هم وجنودهم من أحاديث كلّها مكذوب على الرسول الكريم، ومصدرهم كله التوراة المحرّفة وباقي كتب أهل الكتاب المحرفة الأخرى، فلا يمكن لهم ولا لأي مسلم يغار على دينه ويعلم أنه الحق من ربه ومصدره الوحيد هو القرآن الكريم أن يؤمن بكل هذه التحريفات والإضافات التي تسابقوا فيها وهم يحتمون بالحديث الذي ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفي جزء منه يقول:

«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»

أي خذوا عنهم وعن كتبهم المحرفة ماتشاؤون، فالرسول والله قد سمحا بذلك. فهذا محض افتراء وكذب صريح على الدين الصحيح. لايمكن لله تعالى الذي حفظ القرآن الكريم طاهراً نقياً لم يمسسه بشر ولا جان ثم يغير رأيه فجأة، ويقول تعالوا وخرّبوا الدين الإسلامي كما تشاؤون وترغبون.

١٤ ـ أ ـ نص من التوراة:

داوود يزني ويقتل زوج عشيقته.

«وكان عند تمام السنة وقت خروج الملوك أن داوود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخرجوا بني عمون وحاصروا رَبَّه. وأما داوود فأقام في أورشليم وكان في وقت المساء أن داوود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داوود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داوود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داوود وقالت إني حبلى. فأرسل داوود إلى يوآب يقول أرسل لي أوريا الحثي. فأرسل يوآب أوريا إلى داوود. فأتى أوريا إليه فسأل داوود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داوود لأوريا: أنزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حَصَّةَ (زوجة أوريا الحثي) من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داوود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داوود لأوريا: أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال: أوريا لداوود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة

نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داوود لأوريا: قم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داوود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل. (هنا نص التوراة المحرّفة تحاول أن توحي للقارئ أن داوود حاول أن يجعل أوريا ينام مع زوجته مرتين حتى لا تنكشف زنى زوجته بحبلها ففشل فاضطر كما تقول القصة إلى التآمر على قتله.

وفي الصباح كتب داوود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول. اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فَيُضْرَبُ وَيَموتُ، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت عليه. ولما مضت المناحة أرسل داوود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً وأما الأمر الذي فعله داوود فقبح في عيني الرب»(*).

وهذه المرأة نفسها هي أم النبي سليمان. (كما تقول التوراة):

(وعزّى داوود بتشبع ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابناً فدعا اسمه سليمان والرب أحبه)(**).

والآن قد يتساءل البعض لماذا كان السلطان وجنوده عند أهل الكتاب والمسلمين على حدّ سواء حريصيون على تحريف الدين بمثل هذه الإضافات؟

السؤال وجيه والجواب عليه يمكن فهمه عندما نعرف إلى ماذا يسعى السلطان وجنوده. هل يسعى إلى العفة والاستقامة كما كان الخلفاء الراشدون؟

أم أنه يسعى إلى أحضان العذارى والعيش مع الخمر والرقص في جنة النعيم؟

فلو أبقى السلطان وجنوده على نصوص الله الصحيحة بأيدي الناس لما استطاعوا تحقيق مايشاؤون ومايرغبون، لأن الناس سوف تراقب وتعرف ماذا يفعلون من خطأ، فتكون وظيفة جنود السلطان عند كل أمة يكون الحكم فيها بيد السلطان هو: تحويل الدين بعد تزويره لخدمة مصالحه ومآربه الدنيوية، ويفعل مايشاء باسم الله، والله بريء مما يفعل، فيحرف له جنوده كما قلنا النصوص مع إخفاء الصحيح عن الناس دائماً، لأن أي سلطان مهما تجبر وانحرف لن يهاب أحداً طالما استطاع جعل الدستور طيعاً له يحوّره كيف يشاء ويقرؤونه على شعبه صباح مساء محرّفاً.

(*) صموئيل الثاني الإصحاح ١١ ـ الفقرات ١ ـ ٢٧

(*) صموئيل الثاني الإصحاح ١٢ ـ الفقرة ٢٤.

وقصص الملوك والأنبياء السابقين كما كتبها جنود السلاطين عند أهل الكتاب من ملوك بني إسرائيل السابقين. فأتوا إلى ديار المسلمين ليجعلوا من سلطانهم قدوة صالحة للصالحين السابقين من أهل الكتاب، وأعجب سلطان المسلمين بالفكرة طالما سوف تحقق له مطامحه ومطامعه الدنيوية. فهو لايسعى لأكثر من ذلك.

فبحسب عقلية النص الذي قرأناه فإن داوود إنسان ذكي يعرف كيف يتمتع بالنساء الجميلات الحسناوات، وأوريا الحثي عبارة عن جندي مؤمن ومواطن جيد، ولكنه بالمقارنة مع الأذكياء فهو لايزيد عن مغفل وساذج، يُستَغَلُّ هو وأمثاله دائماً من قبل الأذكياء وإلا فلماذا خلق الله الذئاب والثعالب ثم خلق الأغنام والأرانب؟

هذا هو منطق النصوص المقدسة التي نجدها في التوراة والإنجيل المحرّفتين. وكانت هذه المحرفات مع الأسف الشديد المصدر الأساسي والنبع الملهم لعلماء الحديث عندنا والتي سموها بعد أن اكتملت بكتاب (الحكمة) وقالوا عنها إنها كلها وحي من السماء ونسبوها لله سبحانه بعد نسبتها للرسول الكريم ظلماً وفتراء. وأهداف هذه الأحاديث كانت نفس أهداف نصوص كتب أهل الكتاب المحرفة وكلها لخدمة السلطان وتدجين شعبه بعد إخفاء النصوص الصحيحة التي هي القرآن الكريم عن الناس جميعاً بشتى الوسائل، والغريب أنهم نجحوا نجاحاً باهراً ولمدة قياسية وحتى الآن ألف وأربعمائة عام، والله يعلم كم سيبقون تحت نير ظلمها إذا لم يستفيقوا من غفلتهم ويرجعوا إلى كتاب الله ورسالته المحفوظة كلها جاهزة تنتظر فقط من يفتحها ليرى النور والهدي والعدل من جديد. وكان أول إسفين غرسوه في الإسلام هو قبول الحديث:

(حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وهذا لم يتم عن غفلة أو خطأ، بل عن دراسة وتخطيط من قبل شياطين الإنس الذين أقسموا على تخريب الدين فوق رؤوس أصحابه.

فبروا بقسمهم وخدموا سلطان المسلمين، فنالوا منه أجوراً سخية وعاشوا عيشة الملوك في بلاد المسلمين الذين كانوا يتضورون جوعاً من الفقر ويعانون من الجهل ويتعذبون من المرض.

وسلطان المسلمين الذي كان يعلم هذه الحقائق لم يكن يهمّه ذلك كثيراً لأنه لم يكن يسعى إلى شيء أكثر من تحقيق مصلحته، التي قادت كل شعوب المسلمين إلى هذه المتاهة العظيمة لأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان.

والكل يتساءل: لماذا كل الأمور مقلوبة بالنسبة للمسلمين في العالم أجمع؟

ولا أحد يجد الجواب. لعدم علمهم أن سلطانهم المعبود هو الذي قلب الأمور من البداية ولابد من إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، كما شاء لها الله منذ البداية، وَتَرْكِ حرية التصرف للإنسان الذي وقع فريسة سهلة لشياطين الإنس ومن الدهاة. لابد للمسلم أن يستعيد ذكاءه وعقله وحكمته لإعادة شرع الله وكتابه القرآن ليحكم من جديد بين الناس بالعدل والنور والحق، ولكن ليس بالعنف ولا بالسيف وإنما بالعقل والفهم والعلم والإدراك، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فقط، حتى يعود الناس جميعاً إلى تفهم الحقائق من جديد. عندها فإن الأمور سوف تتحسن بفعل الله وعمله وليس بفعل الناس. فهو سبحانه الذي وعد الناس إن فهموا الحقائق وغيروا مافي رؤوسهم من جهل إلى علم وحقائق؛ فهو أيضاً سوف يغير أحوال الأمة من ضعف إلى قوة، ومن تفرق إلى اتحاد، ومن فقر إلى غنى، ومن ذل إلى عزّ. المهم أولاً هو حركتنا نحن بالتغيير لما في عقولنا، عندها سوف تتغير عقليتنا من عقلية وهمية تؤمن بالظنون والأوهام والأباطيل إلى عقلية علمية تؤمن بالعلم والحقائق ونور الله فقط.

﴿إنّ الله لايغيّرُ مابقومٍ حتى يغيّروا مابأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

١٤ ـ ب ـ نصوص من القرآن الكريم:

﴿ولقد فضّلنا بعضَ النبيّين على بعضٍ وآتينا داوودَ زبوراً﴾ ٥٥ ـ الإسراء.

﴿اصبر على مايقولون واذكُر عبدَنا داوود ذا الايد إنه أوّاب﴾

﴿إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحنَ بالعشيّ والإشراق والطير محشورة كلّ له أواب * وشددنا ملكَه وآتيناهُ الحكمةَ وفصل الخطاب﴾ ١٧ ـ ٢٠ ـ ص.

﴿ووهبنا لداوودَ سليمان نِعمَ العبد إنّه أوّاب * إذ عُرضَ عليه بالعشيّ الصافنات الجياد * فقال إني أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب * ردوها علي فطفقَ مسحاً بالسوقِ والأعناق﴾ ٣٠ ـ ٣٣ ـ ص.

١٥ ـ أ ـ نص من التوراة:

النبي سليمان يشرك بالله من جديد؟

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وآدونيات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لاتدخلون إليهم

وهم لايدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم فالتصق قلب سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داوود أبيه. فذهب وراء عشتروت ألهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتَفَعَة يكَمُوش رجس المؤابين على الجبل الذي تجاه أورشليم وَلمولِك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب علي سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين. وأوصاه في هذا الأمر أن لايتبع آلهة أخرى»(*).

١٥ ـ ب ـ نصوص من القرآن الكريم:

﴿واتَّبعُوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وماكَفَرَ سليمانُ ولكنّ الشياطينَ كفروا يعلّمونَ الناسَ السحرَ وماأُنزِلَ على الملكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ ومايعلّمان من أحدٍ حتى يقولا إنّما نحنُ فتنةٌ فلا تَكفر فيتعلّمون منهما مايفرّقون به بَين المرء وزوجه وماهم بضارّين به من أحدٍ إلا بإذن الله، ويتعلّمون مايَضرّهم ولاينفعُهم ولقد عَلِموا لمن اشتراه مالَهُ في الآخرة من خلق ولبئس ماشَرُوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ ١٠٢ ـ البقرة.

﴿ولسليمانَ الريحَ عاصفةً تجري بأَمرِهِ إلى الأرض التي باركنا فيها وكُنّا بكلِ شيءٍ عالمين﴾ ٨١ ـ الأنبياء.

﴿ولقد آتينا داوودَ وسليمانَ علماً﴾ ١٥ ـ النمل.

﴿وحشر لسليمانَ جنوده من الجنِّ والإنس والطير﴾ ١٧ ـ النمل.

﴿ولسليمان الريحَ غدوها شهر ورواحُها شهر﴾ ١٢ ـ سبأ.

١٦ ـ أ ـ نص من التوراة:

الدين والمعاملة لهما معياران ومقياسان مختلفان:

«لاتقرض أخاك برباً. ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. وللأجنبي (لغير الإسرائيلي) اقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ماتمتد إليه يدك في الأرض

(*) الملوك الأول الإصحاح ١١ ـ الفقرات ١ ـ ١٢.

التي أنت داخل إليها لتمتلكها»(*).

نص آخر من التوراة:

هكذا قال السيد الرب لإسرائيل:

«هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك بالوجوه إلى الأرض يسجدون ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أن الرب الذي لايخزى منتظروه» (التوراة، سفر أشعيا، الإصحاح ٤٩، الفقرة ٢٣).

١٦ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿الذين يأكلون الرّبا لايقومون إلا كما يقومُ الذي يتخبّطُه الشيطانُ من المسِّ ذلك بأنّهم قالوا إنما البيعُ مثل الربا وأحلّ الله البيعَ وحرّمَ الرّبا فمن جاءهُ موعظةٌ من ربّه فانتهى فله ماسلف وأمرُه إلى الله ومن عادَ فأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون﴾ ٢٧٥ ـ البقرة.

١٧ ـ أ ـ نص من التوراة:

فواحش أهولة وأهوليبة:

«وكان كلام الرب قائلاً يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة وزنتا بمصر في صباهما زنتا. هناك دغدغت ثدييهما وهناك تزغزغت ترائب عذريتهما. واسمهما أهولة الكبيرة وأهوَلِيبة أختها، وكانتا لي وولدتا بنين وبنات....

فلما رأت أختها أهوليبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها، وفي زناها أكثر من زنا أختها. عشقت بني آشور الولاة والشحن والأبطال اللابسين أفخر الثياب فرساناً راكبين الخيل كلهم شبان شهوة فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحدة. وزادت زناها ولما نظرت إلى رجالٍ مصورين على الحائط صور الكلدانيين مصورة بمغرة مُنَطَّقين بمناطق على أحقائهم عمائمهم مسدولة على رؤوسهم. كلهم في المنظر رؤساء مركبات شبه بني بابل الكلدانيين أرض ميلادهم عَشِقَتْهُمْ عند لمح عينيها إياهم وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين. فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم، وجفتهم نفسها، وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسي كما جفت

(*) تثنية الإصحاح ٢٣ ـ الفقرات ١٩ ـ ٢٠.

نفسي أختها. وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل. وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائِبَكِ لأجل ثدي صباك»(*).

١٧ ـ ب ـ نص من القرآن الكريم:

﴿واذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً * قالت إني أعوذُ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسولُ ربّك لأهبَ لك غلاماً زكيّا * قلتُ أنّى يكون لي غلامٌ ولم يمسَسني بشرٌ ولم أكُ بَغيّاً * قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّن ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منّا وكان أمراً مقضيّاً * فحملته فانتبذَت به مكاناً قصيّاً * فجاءها المخاض إلى جذع النخلةِ قالت ياليتني متّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسيّاً * فناداها من تحتِها ألا تحزني قد جعَلَ ربُّك تحتك سَرِيّاً * وهزّي إليك بجذعِ النخلةِ تساقط عليك رُطباً جنياً * فكلي واشربي وقرّي عيناً فإما ترينَّ من البشرِ أحداً فقولي إنّي نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلّم اليومَ إنسياً * فأتت به قومَها تحملُه قالوا يامريم قد جئتِ شيئاً فريّاً * ياأختَ هارون ماكانَ أبوكِ امرأَ سوءٍ وما كانت أمُّكِ بَغِيّاً * فأشارَت إليه (لأنها صامت عن الكلام) قالوا كيف نكلّم من كان في المهدِ صبيّاً * قالَ إني عبد الله آتاني الكتابَ وجعلني نبيّاً * وجعلَني مبارَكاً أينَ ماكنتُ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ مادمتُ حيّاً * وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقياً * والسلامُ عليَّ يوم ولِدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أبعثُ حياً * ذلك عيسى بن مريم قولُ الحقِ الذي فيه يمترون * ماكانَ الله أن يتّخِذَ من ولدٍ سبحانَه إذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكون * وإنّ الله ربيّ وربُّكم فاعبدُوه هذا صراطٌ مستقيمٌ﴾ ١٦ ـ ٣٦ ـ مريم.

سؤال بسيط ومباشر أوجّهه للقارىء الكريم:

ترافقنا معاً نقرأ نصوصاً من التوراة ثم نقرأ فيما يقابلها نصوصاً من كتاب الله الحقيقي الذي ثبت اليوم بالبرهان الرياضي أن أحداً لم يستطع أن يحرف منه حرفاً واحداً عما نزل به على لسان محمد أبداً. شكلاً ولفظاً.

هل هذان النصّان بالشكل الحالي يمكن أن يكونا من نفس المصدر؟ مصدر النور والحق

(*) التوراة حزقيال ـ الإصحاح ٢٣.

والهداية والعدل والقوة والعزة والكرامة؟ أم أن أحدهما له مصدر أخبرنا عنه الله سبحانه في القرآن الكريم بأنه من تحريف وفعل الناس وهددهم الله قائلاً:

﴿فويلٌ للذين يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثم يقولونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

ألا تنطبق نفس الآية على الذين ساهموا بتحريف الدين الإسلامي بإفتراء أحاديث على الرسول كتبوها بأيديهم ومصدر إلهامهم مكتتبات الأولين، ثم قالوا عنها: إنها وحي من الله أيضاً؟ وبماذا كان يطمئن الأولون والآخرون أنفسهم وهم يفعلون ذلك ويعلمون أنهم يكذبون على الله العلي القدير؟ وماذا كانوا يقولون؟:

﴿وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلفَ الله عهدَه أم تقولون على الله مالاتعلمون﴾ ٨٠ ـ البقرة.

والسؤال البسيط الثاني بعد السؤال الأول هو:

هل يمكن من بعد أن تأكدت أن كل كتب أهل الكتاب محرفة. أو هل يقبل عقلك إمكانية أن يسمح الله لرسوله محمد ﷺ أن يحرف دينه أيضاً الخالي من التحريف والتخريف ويقول له (حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج). وخذوا من كل كتبهم المحرفة ماتشاؤون واجعلوها من دينكم وشرعكم؟ أم قال لهم بصراحة لالبس فيها ولا غموض:

﴿وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقّ مصدّقاً لما بينَ يديه من الكتابِ ومهيمناً عليه (أي أنّ آيات القرآن العلمية ذات الإعجازات والبراهين والأدلة تهيمن على آيات الأحكام والشرع) فاحكُم بينهم بما أنزلَ الله ولاتتّبع أهواءهُم (أهواء أهل الكتاب) عمّا جاءك من الحقّ لِكُلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً (أي لكم شرعكم ولهم شرعهم) ولو شاء الله لجعلَكم أمةً واحدة﴾ ٤٨ ـ المائدة.

هل بعد هذه الآية لُبسٌ أو غموض؟

وأخيراً عندما يحصل القارىء بحرية تامة على الجواب عن هذين التساؤلين البسيطين يخلص من حلقة الشيطان التي حبس فيها المسلم وأصبح سجيناً داخلها منذ ألف وأربعمائة عام ولايعرف كيف يمكن أن يتخلّص من تلك الحلقة ويخرج منها سليماً معافى إلى هذا اليوم. ويتحرر من ذلك الكابوس القديم.

وقد كان كتابي هذا كلّه محاولة للإثبات بالبراهين والأدلة على أن المسلمين ساروا على

نفس النهج للذين سبقونا من أهل الكتاب ولكن لم يحدث هذا بالصدفة او بالعدوى بل عمداً وحقداً. وتحت إشرافهم المباشر حتى أعادونا للإشراك بالله من جديد وتحريف كلام الله وتبديل كلامه بكلام آخر مناقض له تماماً. ولكن ذلك لم يتم سراً وبالتآمر منهم ضد المسلمين بل تم بناء على دعوة من المتزعمين والمتسلطين على السلطة من المسلمين عندنا وطلبوا خبراء التحريف من أجل خدمات كانت مطلوبة بالنسبة لزعماء الأمة الذين كانوا يدفعون من دم الأمة ومن عرقها ملايين الدنانير ثمناً لهذا الافتراء والتخدير للناس والتدمير لدين المسلمين.

ولكن لماذا؟ ماهو السرّ في سعي شياطين الإنس للإشراك بالله دائماً؟

السرّ أن مصالح السلطان كلها على الأرض تتحقق بعد إقناع الناس بفكرة الإشراك وإذا كان الشعب واعياً ولم يقبل بديلاً عن كلام الله والإيمان به، عندها لاتتحقق إلا مصلحة الأمة، والسلطان يبقى مجرد موظف لدى الشعب ليؤدي لهم خدمة مطلوبة. وهذا ماكان يرفضه السلاطين جميعاً ولايريدونه أبداً، لأنهم كانوا يحبون أن يتسلطوا على رقاب الأمة ويفعلون مايشاؤون، فحقق لهم جنود السلطان ـ كما شرحت لكم ـ كل أمانيهم ولمدة قياسية، حتى زال حكم السلاطين بنهاية الخلافة العثمانية. لكن عقلية الناس بقيت على ماكانت عليه، ولم يحاول أحد حتى اليوم إخراج الناس من كهفهم الذي أدخِلوا إليه منذ أربعة عشر قرناً وإلى اليوم.

هنا لابد لنا من وقفة قصيرة وقفة تأمل وسؤال للنفس:

ماهو السرّ الذي يجعل مجموعة من الناس يسميها الله تعالى بالملأ تقف دائماً ضد كل الرسالات التي أرسلها سبحانه إلى الأرض من أجل هداية الناس من الأمم والشعوب؟

بحيث نجد هذه المجموعة المعادية تسعى دائماً بجدٍ ونشاط دؤوب إلى تحريف الرسالات وقتل الأنبياء وتكذيب الرسل وتحريف النصوص المقدسة إن لم تجد بداً من ذلك؟ القرآن خاصة في قسم القصص يثبت صحة هذا الموضوع، ويسمي الله سبحانه هذه المجموعة المعادية دائماً بالملأ، وهم عادة من الأغنياء والمتنفذين من وجهاء كل أمة.

ماهو السرّ في إجماع هذا الملأ من كل أمة على هذا العداء؟

إذا كنت فعلاً تريد أن تفهم السرّ يجب أولاً أن تبعد نفسك وتفكيرك عن العواطف وتنظر للموضوع كله وتناقشه مناقشة موضوعية علمية كما يلي:

يجب أن تدرك تماماً أن الدين والسياسة اسمان لمسمّى واحد، ويؤديان إلى نفس الهدف

والغاية وهي المصلحة!! ولا شيء إلا المصلحة.

وفي الدين الله سبحانه وتعالى يمثل مصلحة الأمة، مصلحة الناس، مصلحة الأكثرية، المصلحة العامة والملأ لايريد تحقيق تلك المصلحة، وإنما يسعى بشتى الوسائل لتحقيق مصلحته الخاصة والسلطان هو الذي يمثل مصلحة الملأ من الناس. وهذه المصلحة دائماً تعاكس المصلحة العامة. قطعاً هذه الأمور تتم بإذن الله، فهو الذي سمح بإمكانية ظلم الظالم إذا نام المظلوم وسكت عن حقوقه أو غفل عنها أو جهلها. لكن الذي يكرر قراءة قصص القرآن يدرك في النهاية أن الله سبحانه وتعالى لايلهو ولايلعب وإنما يسعى إلى تحقيق هدف محدد ولكن دون تدخل مباشر منه، لأنه سبحانه يريد من الإنسان الذي جهزه بكل شيء من فكر وإرادة حرّة أن يتفكر ويتدبر ويقرر بذاته مصلحته الذاتية من خلال رسالة الله من السماء، التي تعطيه النموذج والمثال والشرع المقرّر للسير بموجبه من أجل تحقيق مصلحته الذاتية في الدنيا والآخرة.

إذاً فما يريده الله هو حركة الإنسان ووعيه الذاتي باتجاه الخير، وقد أعلنها للجميع أنه لن يتدخل حتى يبدأ الإنسان أولاً بالتغيير لما هو مفروض بالتغيير وهو نبذ الأوهام والظنون والتمسك بالعلم والنور والحق والعمل الذي نجده في كتاب الله وحده، عندها يسهل كل صعب ويتحقق المستحيل الذي يريده البشر بالوصول إلى نعيم الدنيا قبل نعيم الآخرة.

وهذا هو مايحقق العدل الإلهي الذي من أجله أرسل الله الرسل من بعد الرسل مطوراً عقلية الناس بعامل الزمن. فالله سبحانه يسعى لتحقيق مصلحة الأمة وبتحقيق ذلك يتحقق مصلحة الإنسان الفرد أيضاً. لأن الفرد هو اللبنة الأساسية في المجتمع، وبقوته يكون المجتمع قوياً، وبضعفه يضعف أيضاً المجتمع.

فالله سبحانه وتعالى يبين لنا في القرآن كل الوسائل المؤدية إلى قوة ومصلحة هذه الوحدة الأساسية في بناء الحضارات والمجتمعات الإنسانية. ففي قوة الفرد تكمن كل الطاقات وبضعفه أيضاً تختفي كل القوى والطاقات وتظهر بدلاً عنها نواحي الضعف والمرض والتأخّر والجهل في المجتمعات.

والسعي لتقوية الفرد في المجتمعات يحتاج وعياً كبيراً خاصة في الزعامة الفكرية للأمة ويحتاج إنكاراً للذات وإنكاراً للمصالح الشخصية قدر المستطاع من تلك الفئة حتى تنشأ قاعدة شعبية قوية مدركة لحقائق الله كلها، من غير وهم وأباطيل وظنون أبداً.

فتصبح العقلية السائدة بين الجميع هي العقلية العلمية التي تدعو للعمل والإتقان في العمل مع الصبر لتحقيق مصالح الدنيا والآخرة معاً.

وعندما يكون أغلبية أفراد الأمة واعين لمصالحهم، لايستطيع عندها أي ملأ أن يستغلهم. فلن يقبلوا عن شرع الله الذي فيه مصالحهم بديلاً أبداً، لعلمهم أنهم إن قبلوا بتبديله فهذا يعني قبولهم بزوال مصالحهم كلها وتحقيق مصالح الملأ والسلطان.

لكن بتحقيق مصالح الأمة تظهر سلطة الشعب الذي يفرز رئيساً بالانتخاب ليمثل ويخدم فعلاً مصالحها الأساسية، ويكون دوره فقط دور موظف خادم لمصالح الشعب إن حاول أن ينحرف أزيح فوراً ليحل مكانه ممثل وموظف آخر، وهذا مايسعى الله لتحقيقه على الأرض من خلال وعي الأمم التي تؤمن بالله ولا تشرك به طاغوتاً ولا بشرعه الإلهي شرائع أرضية ولابدستوره دساتير استبدادية.

وهذا ماحصل بالفعل، وطبّقه أول من طبّقه الرسول محمد ﷺ وصحابته وأمة المسلمين معهم، واستمرت طوال الفترة الراشدة (الخلفاء الراشدون) وهذا لايتحقق إلا بسعي من جميع الأمة جاعلين مصلحة الأمة هي الهدف، ومطبقين نصوص الشرع ودستور الإسلام الذي هو القرآن بعقلية متطورة وعلمية، وليس بعقلية سلفيّة ورجعية تريد إعادة الزمان إلى الخلف، وإعادة الناس إلى القرن السابع الميلادي.

إن الزمان لن يعود إلى الوراء، كما أن الشمس لن تشرق من الغرب، فنحن في القرن العشرين ويجب أن نطبق الإسلام والقرآن بعقلية هذا القرن ومفاهيمه، وهذا هو الذي يريده سبحانه. وقد جعل الله قرآنه قابلاً لهذا بوجود موضوع العرف والمتعارف عليه بين الناس في كل الأحكام المهم أن لانتعدى حدود الله الممنوعة والمبينة في النص المقدس.

والله سبحانه من خلال القصص يعلمنا أموراً كثيرة، منها ميل الملأ الدائم للسعي من أجل تحقيق مصالحهم، متناسين مصالح الأمة، وهذا الميل دائم التواجد على الأرض إذا لم يقابله وعي دائم من الأمة لإزالة ذلك الخطر. بمعنى أن أي غفلة أو حالة جهل طارئة على الأمة سوف تكون فرصة مواتية لإعادة سلطانهم القديم والتسلط من جديد على رقاب الناس. ومن هنا كان سرّ تحذير الناس الدائم من قبل الله عن الشيطان. والشيطان الذي علينا أن نخشاه هم شياطين الإنس قبل شياطين الجن والعفاريت. لأننا إن غفلنا عنهم عدنا إلى المشكلة الخالدة من جديد. مشكلة الملأ المتمثل بالسلطان فيصبح بيدهم المال والقوة والجاه والجبروت، وعن طريق إفقار الناس يعيدونهم إلى الجهل، ومن بعد

الجهل يبدلون ما معهم من حقٍ ونور كما يشاؤون فيعيدونهم إلى عقلية القطيع من جديد، مغيّرين بالطبع كل الحقائق التي فيها مصلحة الأمة إلى أفكار جديدة تحقق فقط مصلحة الفئة المتسلّطة من جديد.

والله سبحانه لايريد من المؤمن أن ينسى هذا الصراع الطبقي القائم على الأرض بينه وبين أولئك الشياطين، فلا يغيب وعيه وبصره عن مصلحته القائمة على إيمانه بالله وبكتابه، وهذا هو الذي دعا الرسول محمد ﷺ في خطبة الوداع إلى أن يقول للناس: «أيها الناس إني قد تَركْتُ فيكُم ما إن أَخذْتُم به لَنْ تُضِلّوا أبداً، كتاب الله فاعملوا به»(*).

وهكذا نجد أن فهم المشكلة واستيعابها يحتاج إلى فهم آيات الله في القرآن لفكرة الطاغوت، وقد سميته في كتابي بالسلطان تمييزاً عن باقي طواغيت الأرض من الأمم السابقة. وإذا فهم المسلم أن مصلحته الدائمة قائمة بالتمسك بكتاب الله وحده الذي يبقيه متمسكاً بحبل الله، فلا يتوه ولايضل أبداً وإن رضي وأمسك بغيره تاه وضل، وأعاده الملأ والسلطان وحوّلوه من إنسان حرٍّ قادرٍ مدركٍ وله إرادة ومشيئة، إلى كائن آخر لاحرية له ولاإرادة أبداً، ويعود فرداً في القطيع السلطاني، وهو يردّد: قال أبو هريرة. قال ابن مسعود، وهو لايعلم أنه يفعل تماماً ما يريد الشيطان متناسياً كل أوامر الله التي في القرآن الكريم.

والله سبحانه على مايبدو من تاريخ الشعوب والأمم في القصص القرآني المتكرر بشكل متشابه تقريباً لايريد المؤمن الساذج المغَفَّل الذي يمكن أن يكون ضحية لأول شيطان يصادفه، وإنما يريد المؤمن العالم الذكي القوي الواثق من نفسه، والعارف لأحوالها ومواطن ضعفها وقوتها، ويعلم تماماً من هم أعداؤه، وأين يقف له غريمه، ويعرف شياطين الإنس ونفاقهم ومعسول لسانهم، وأشكال أقنعتهم ومواسم تبديلها، أي باختصار: يريد مؤمناً مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال مرة: لست بالخَبّ ولا الخبُّ يخدعني.

بمعنى: لست بالثعلب ولكن كل الثعالب لن تخدعني.

والقارىء في النهاية حرٌّ في أن يصدق من يشاء وأن يعتقد بما يشاء، لأن الله سبحانه لن يحاسب الإنسان إلا على قدر ماأعطاه من قدرةٍ على الفهم والاستيعاب. والذي يختار

(*) عن تاريخ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي . دار الريان الجزء الخامس - ص ١٧٩ - عام ١٩٨٨.

بنفسه الهداية هو المهدي حتماً من الله تعالى:

﴿إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

صدق الله العظيم

بعد أن استعرضت مع القارىء النماذج السابقة عن نصوص من التوراة بما يقابلها من نصوص مباشرة من وحي السماء الحقيقي، حتى يشعر فعلاً وحقيقة بالفرق الشاسع بين المصدرين وأنا لاأشك مطلقاً أن تلك النصوص قبل تحريفها من قبل الناس كانت نصوصاً رائعة وكلها حقّ ونور ورحمة وصدق من رب العالمين ولكن مع الأسف يد الإنسان المدعومة مع الشيطان غيّرت وأزالت روعة بيان الله فغدت النصوص معتمة، بينما نجد بالمقابل نصوص القرآن مازال فيها الروعة وسحر البيان بحيث نجد النص مشعاً بالنور الإلهي وتأثيره النفسي المباشر عند التلاوة. وأمور كثيرة جداً لايمكن التعبير عنها باللسان أو بالقلم تشعر بوجودها في تلك النصوص الرحمانية الحقيقية ولايمكن أن تشعر بها وأنت تقرأ أي نصوص أخرى، سواء كانت من الأحاديث النبوية أو من كتب أهل الكتاب الأخرى أبداً. وهذا مايعطيك شعوراً مبدئياً بأنها بعيدة عن روح الله وعن حكمته وعلمه ونوره، أستعرض الآن بعض النصوص من كتب أهل الكتاب، ثم أضع بعدها نصوص من الأحاديث النبوية الشريفة حتى تعلموا أن هذا من هذا تماماً:

١ ـ أ ـ نص من التوراة:

«لاتسجد لهن ولاتعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور أَفْتقدُ آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مُبغِضِيّ»(*)

١ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٧٦٢) من صحيح مسلم: عن أسماء بنت أبي بكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليس شيء أغير من الله عز وجلّ».

١ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر لغيرة الله تعالى.

٢ ـ أ ـ نص من التوراة:

(*) سفر الخروج الإصحاح ٢٠ ـ الفقرة ٥.

«فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ثم تناول ضلعاً من أضلاعه وسدّ مكانها باللحم وجعل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم»(*).

٢ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (١٤٦٨) من صحي مسلم المسلسل (٥٩): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن المرأة خلقت من ضلع».

٢ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر لخلق المرأة من ضلع أو من أي جزء آخر من آدم.

٣ ـ أ ـ نص من الإنجيل:

«فإن قال لكم أحد عندئذ، ها إن المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال، ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب، لِيُضَلِّلوا حتى المختارين لو استطاعوا»(**).

ولكن بعد أن علمنا أن أتباع المسيح قد أجمعوا على القول ظلماً بأن المسيح هو الله لنستمع إلى الحديث التالي:

٣ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (١٦٩) من صحيح مسلم مسلسل (١٠٠): عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» هذه النصيحة للمسيحيين وليست للمسلمين أصلاً.

٣ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر أو إشارة إلى أن الله تعالى أعور أو صحيح العين. أو أن له عيناً مادية مثل أعيننا البشرية.

٤ ـ أ ـ نص من التوراة:

(*) سفر التكوين الإصحاح الثاني ـ الفقرات ٢١ ـ ٢٢.

(**) إنجيل متى الإصحاح ٢٤ ـ الفقرات ٢٣ ـ ٢٤.

«وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غولته»(*).

٤ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٣٧٠) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم، النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم».

٤ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر عن اختتان إبراهيم.

٥ ـ أ ـ نص من التوراة:

«فخلق الله الإنسان على صورته ـ على صورة الله خلقه»(**).

٥ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٨٤١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً».

٥ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر عن خلق آدم على صورة الله، ولم يذكر الله تعالى أيضاً ماهي صورته ولا ماهو شكله في كتاب الله.

٦ ـ أ ـ نص من التوراة:

في اليوم الأول أمر الله: ليكن نور. فصار نور.

في اليوم الثاني أمر الله: ليكن جلد يحجز بين مياه ومياه.

في اليوم الثالث خلق الله الأرض الجافة والخضراوات.

في اليوم الرابع خلق الله القمر والنجوم.

في اليوم الخامس خلق الله الطيور والأسماك.

في اليوم السادس خلق الله الحيوانات والإنسان.

في اليوم السابع يوم الراحة استراح الله من تعب الأسبوع.

(*) سفر التكوين الإصحاح ١٧ ـ الختان.

(**) سفر التكوين الإصحاح ١ ـ الفقرة ٢٧.

«وهكذا اكتملت السموات والأرض بكل مافيها، وفي اليوم السابع أتمّ الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع ماعمله»(*).

٦ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٧٨٩) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله بيدي فقال:

«خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق. في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

٦ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر بأن أيامه مثل أيامنا، بل ذكر لنا إن يوماً عنده يعادل ألف سنة، وفي مرة ثانية قال: إن يوماً يعادل خمسين ألف سنة. حيث إن العددين استخدمهما الله للتكثير وليس للتحديد، ومعنى ذلك أن يوم الله لايعرف طوله أحد وهو لايزال في غيب الله تعالى وقد يقدر بعشرات البلايين من السنين. وعندها نفهم أن الله تعالى خلق العالم على ستة مراحل مختلفة كمل تقول به النظريات العلمية اليوم تماماً.

٧ ـ أ ـ نص من الإنجيل:

«الذي رآني رأى الآب» والآب عند أهل الإنجيل هو الله.

٧ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٢٦٧) من صحيح مسلم: وقال: فقال أبو سلمة: قال أبو قتادة: قال رسول الله ﷺ:

«من رآني فقد رأى الحقّ» والحق عند المسلمين هو الله.

٧ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي قول على لسان الرسول محمد بأن الذي رأى محمداً فقد رأى الله.

٨ ـ أ ـ نص من الإنجيل:

(*) سفر التكوين الإصحاح ١ ـ بالانتقاء ـ والفقرة الأولى من الإصحاح الثاني.

«إني أعلم أين تسكن حيث عرش الشيطان»(*).

٨ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٨١٣) من صحيح مسلم: عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن عرش إبليس على البحر. فيبعث سراياه فيفتنون الناس».

٨ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي عرش لإبليس وإنما ذكر عرش الله وحده.

٩ ـ أ ـ نص من التوراة:

«وكان نهر يجري في عدن ليسقي الجنة ومايلبث أن ينقسم إلى أربعة أنهار: الأول فيها يدعى فيشون (سيحون) الذي يلتف حول كل أرض الحويلة حيث يوجد الذهب وذهب تلك الأرض جيد... والنهر الثاني يدعى جيحون الذي يحيط بجميع أرض كوش والنهر الثالث يدعى حدّ اقل أي نهر دجلة، وهو الجاري شرق آشور. والنهر الرابع هو الفرات»(**).

٩ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٨٣٩) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة».

لقد فات على الراوي أن ماهو مكتوب في التوراة المقصود به أنهار جنة الأرض وليس جنة السماء، لأن اليهود لايؤمنون أصلاً بوجود جنة في السماء بعد تحريفهم لكتبهم.

٩ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر عن كون سيحون وجيحون والفرات أو دجلة أو النيل من أنهار جنة الرضوان في السماء.

١٠ ـ أ ـ نص من التوراة:

«وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ٢ ـ الفقرات ١٣ ـ الكتاب المقدس ١٩٨٨.

(**) التوراة سفر التكوين ـ الإصحاح الثاني ـ الفقرات ٧ ـ ١٤ والكتاب المقدس ١٩٨٨ ـ الطبعة الأولى.

أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات، فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ماطاب لهم»(*) (وهكذا تمت المعاهدة بين الله وأبنائه من جهة مع الناس وبناتهم من جهة ثانية) بحسب خيال الرواة والكتاب عند أهل الكتاب، وهكذا يشرح لنا النص بعد ذلك ظهور جبابرة ضخام الأجسام، وإذا انتقلنا إلى التلمود نجد قصصاً عنهم وعن أوصافهم، فيصور لنا أبو هريرة أو الراوي الذي يستخدم اسمه من التلمود تلك الأوصاف:

١٠ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٢٨٥١) مسلسل (٤٤): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل (جبل) أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث (أيام).

١٠ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس هناك في القرآن أي ذكر لأحجام الناس أو أن الكافر يصبح نابه بحجم الجبال، وإنما نجده في التلمود والتوراة فقط.

١١ ـ أ ـ نص من الأنجيل:

«ورأيت بعد ذلك أربعة ملائكة واقفين على زوايا الأرض الأربع، يحبسون رياح الأرض الأربع فلا تهب ريح على برّ أو بحر أو شجر. ثم رأيت ملاكاً آخر قادماً من الشرق يحمل ختم الله الحيّ، والنص في وصف عودة المسيح إلهاً على الأرض»(**).

١١ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (١٣٨١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح (الدجال بحسب شرح النووي في الحاشية)من قبل المشرق، همته المدينة حتى ينزل دُبُرَ أحد. ثم تَصْرِفُ الملائكة وجهه قبل الشام. وهناك يهلك».

ليس في كل القرآن ذكر لأي مسيح دجّال، أو عودة للمسيح الأصلي أبداً. وإنما هي من محرفات أهل الكتاب جميعاً.

١١ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر للمسيح الدجال.

(*) التوراة ـ سفر التكوين الإصحاح ٦ ـ الفقرات ١ ـ ٢.

(**) سفر الرؤيا الإصحاح ٧ ـ الفقرة ١ ـ ٢ ـ المصدر السابق.

١٢ ـ أ ـ نص من الإنجيل:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الله الكلمة، هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كانَ وبغيره لم يكن شيء ممّا كانَ»(*).

هذه الفقرات الثلاثة من الإنجيل هي التي خلقت فكرة خلق القرآن في الإسلام. حيث اعتبروا القرآن كلمة الله. وبالتالي اعتبروا كل من يقول (القرآن مخلوق)كافراً بالله. علماً أننا إذا قلنا: إن القرآنَ قديماً مع الله أشركنا بالله شيئاً وهو القرآن.

المهم ماذا نجد في مايقابل هذا في الحديث؟

١٢ ـ ب ـ نص من الحديث:

الحديث رقم (٣١٩١) من صحيح البخاري: عن عمران بن الحصين قال... قال رسول الله ﷺ:

«كان الله ولم يكن شيء غيره...» إلى آخر الحديث.

١٢ ـ ج ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر عن هذا الموضوع.

كل هذه الأمور التي وجدناها تتطابق مع بعضها بين ماهو في كتب أهل الكتاب مع الموجود في كتب الحديث يلفت النظر، إذا علمنا أن ماوجد في القرآن يناقض كل هذه الأمور ولايقبل بها أبداً.

ونحن نعلم أن علماء السنة قد أجمعوا كلهم على أن كل الأحاديث التي وردت في الصحيحين بالذات من كلام الرسول ﷺ، وكما أننا نعلم أنهم أيضاً قد أجمعوا على أن كل تلك الأحاديث هي وحي من السماء أيضاً.

فإذا قال الله سبحانه يوم القيامة لهم جميعاً: كيف أجمعتم وكذّبتم على الله والرسول وأنتم تعلمون أنّ كل مكتتباتكم كانت من التوراة والإنجيل فماذا سيكون جوابهم؟

إني أتخيلهم جميعاً سيدافعون عن أنفسهم قائلين: إننا لم تكذب في ذلك أبداً. فنحن كما ذكرتم لنا قد أخذنا كل الأحاديث من كتب أهل الكتاب، وهي حسب علمنا من أقوال رسل الله جميعاً، فإن نقلنا من الإنجيل قلنا: قال رسول الله، وإن نقلنا من التوراة

(*) إنجيل يوحنا الإصحاح ١ ـ الفقرات ١ ـ ٣.

قلنا: قال رسول الله، وكما أننا قلنا: أنها كلها وحي من السماء لعلمنا من القرآن أن التوراة والإنجيل هما كتابان منزّلان من السماء وحياً على رسل الله، ونحن لم نقل في أي حديث ذكرناه قال: محمد بن عبد الله ﷺ، وإنما قلنا: قال رسول الله، والناس هم الذين فهمونا خطأً، ونحن غير مسؤولين عن خطئهم وسوء فهمهم.

هكذا هو الشيطان عندما يريد غواية إنسان يجد له طريقةً وأسلوباً إن وجد له منفذاً إلى قلبه بحب للدنيا أو حبِّ الشهرة أو السلطة أو الجاه أو المال أو النساء أو كل ذلك معاً، وكلها كما نعلم من أهواء الدنيا وشهواتها التي يستخدمها شياطين الإنس ليفتنوا بها من كان قلبه ضعيف الإيمان، لأن الله سبحانه شاء ألا يقرب إليه إلا من كان مؤمناً قوياً نبيهاً حريصاً عليماً بأساليب شياطين الإنس، ولايمكنهم جميعاً أن يؤثروا أو يبدلوا في إيمانه شعرة واحدة بما فيهم شيطان نفسه الأمارة بالسوء.

لذلك قال الله تعالى عنهم وهو يشرح كل هذه المواقف لإبليس أول الشياطين في الأرض:

﴿قال أرأيتَ هذا الذي كرّمتَ عليّ لئن أخّرْتَنِ إلى يوم القيامة لأَحْتَنِكَنَّ ذرّيته إلا قليلاً * قال اذهب فمن تَبِعَكَ منهم فإنّ جهنمَ جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعتَ منهم بصوتكَ وأجلِب عليهم بخيلِكَ ورَجِلِكَ وشاركهُم في الأموال والأولاد وعِدْهُم ومايعِدُهُم الشيطان إلا غُروراً * إن عبادي ليس لَكَ عليهم سُلطان وكفى بربّك وكيلاً﴾ ٦٢ - الإسراء.

وهكذا وجدنا أن الله سبحانه يقول لإبليس: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) هؤلاء العباد هم من يبحث الله تعالى عنهم، وهؤلاء هم الذين كان ينقذهم من الدمار في كل رسالة من رسالات الرحمن. وإذا تتبعنا كل القصص القرآني سوف نفاجأ بأنها لاتقول أبداً كما تقول التوراة المحرّفة اليوم بأن الله تعالى كان يدمر البلاد صالحها مع طالحها في عقوبات جماعية، بحيث يذهب المؤمنون الأبرياء مع الكافرين، كما تعودنا أن نرى من مظالم السلاطين في الأرض.

«فاقترب إبراهيم وقال: أتهلك البارَّ مع الأثيم؟ لو وجد في المدينة خمسون باراً فهل تدمرها ولاتصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها؟ تنزهت عن أن تهلك البار مع الأثيم. حاشا لله؟ أديان الأرض كلها ولايجري عدلاً؟»(*).

(*) سفر التكوين الإصحاح ١٨ ـ الفقرات ٢٣ ـ ٢٥.

هذا مانجده من أقوال إبراهيم عليه السلام وهو يناقش الملائكة الذين بشروه بإسحق وأخبروه بموضوع قوم لوط. لكن إبراهيم لايمكن أن يقول هذا الكلام، لعلمه وإيمانه أن الله لايظلم مثقال ذرة، ولن يظلم الذين آمنوا به فيعذبهم مع الذين كفروا أبداً. إن الله تعالى قد أخبرنا الحقيقة الكاملة في القرآن وفي كل الكتب السماوية قبل التحريف. لنقرأ في قصص القرآن قصة ثلاثة أقوام دمرهم الله، وفي كل مرة كان ينقذ كل المؤمنين به منهم دون استثناء أبداً.

أولاً: قصة عاد:

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال ياقومِ اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتّقون * قالَ الملأ الذين كفروا من قومه إنّا لنراكَ في سفاهةٍ وإنا لنظنّك من الكاذبينَ * قال ياقومِ ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين * أبلّغكم رسالاتِ ربّي وأنا لكم ناصحٌ أمين * أو عجبتُم أن جاءكُم ذكرٌ من ربّكم على رجلٍ منكم لينذِركُم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعدِ قومِ نوحٍ وزادكُم في الخلقِ بصطةً فاذكروا آلاء الله لعلّكم تفلحون * قالوا أجئتنا لنعبدَ الله وحدهُ ونذَرَ ماكان يعبدُ آباؤنا فأتِنا بما تعِدُنا إن كنتَ من الصادقين * قال قد وقعَ عليكم من ربّكم رِجسٌ وغضبٌ أتجادلونني في أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم مانَزلَ الله بها من سلطانٍ فانتظروا إني معكم من المنتظِرين * فأنجيناه والذين معه برحمةٍ منّا وقطعنا دابرَ الذين كذّبوا بآياتِنا وماكانوا مؤمنين﴾ ٦٥ - ٧٢ - الأعراف.

ثانياً: قصة ثمود:

﴿وإلى ثمودٍ أخاهم صالحاً قال ياقومِ اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنةٌ من ربّكم هذه ناقةُ الله لكم آيةً فذروها تأكلْ في أرضِ الله ولاتمسّوها بسوء فيأخذكُم عذابٌ أليم * واذكُروا إذ جعلكُم خلفاء من بعدِ عادٍ وبوأكُم في الأرض تتّخذون من سهولِها قصوراً وتنحتونَ الجبالَ بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثَوا في الأرضِ مفسدين * قال الملأُ الذين استكبَروا من قومِهِ للّذين استُضعِفُوا لِمَن آمنَ منهم أتعلَمونَ أنَّ صالحاً مرسلٌ من ربّه قالوا إنا بما أُرسِل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون * فعقَروا الناقةَ وعتَوا عن أمر ربِّهم قالوا ياصالح ائتِنا بما تعِدُنا إن كنتَ من المرسلين * فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارِهِم جاثمين * فتولّى عنهم وقال ياقومِ لقد أبلغتُكُم رسالةَ ربّي ونصحتُ لكم ولكن لاتحبّونَ النّاصحين﴾ ٧٣ - ٧٩ - الأعراف.

وحتى نعلم أن الله سبحانه قد أنقذ معه المؤمنين لنستمع للآية التالية:

﴿فلما جاء أمرُنا نجيّنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومِن خِزيِ يومئِذ إنّ ربّكَ هو القويّ العزيز﴾ ٦٦ ـ هود.

ثالثاً: قصة لوط:

﴿ولوطاً إذ قال لقومِهِ أتأتونَ الفاحشةَ ماسبقَكُم بها من أحدٍ من العالمين * إنّكم لتأتونَ الرّجالَ شهوةً من دِون النساء بل أنتم قومٌ مسرفون * وماكان جوابُ قومِهِ إلاّ أن قالوا أخرجوهُم من قريتكم إنّهم إناسٌ يتطهّرون * فأنجيناهُ وأهلهُ إلا امرأتَه كانت من الغابرين * وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيفَ كان عاقبةُ المجرمين﴾ ٨٠ ـ ٨٤ ـ الأعراف.

وهكذا وجدنا سنة الله في الكفر والإيمان ينقذ الله دائماً الذين آمنوا ويدمّر الكافرين على الأرض بعذاب من الله شديد.

وقد علمنا هكذا من القرآن أن الله قد دمر قوم نوح وأنقذ المؤمنين به فقط، ومن هؤلاء المؤمنين خرج قوم عاد، فدمّرهم الله وأنقذ المؤمنين بهود، ومن هود والذين آمنوا منهم ومن حفدتهم خرج قوم ثمود، فأرسل لهم ربهم صالحاً ثم أنقذ الله الذين آمنوا به ودمّر الكافرين، وهذه هي سنة الله في الخلق يحاول أن يطوّر الإنسان ليخرج من أصلابهم أكثرية من المؤمنين الأقوياء الأذكياء من أمثال صحابة الرسول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة ابن الجراح، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم جميعاً، حتى يؤسسوا جنة الله على الأرض، لتكون أمة السلام التي تهوى إليها الأفئدة دون أن يجعلوا أكبر همّهم الدنيا بل يعلمون أنها دار اختبار وفتنة، وليست بدار مقام وقرار أبداً. والله يعلم وإن كنا نحن لانعلم أن ذلك اليوم آتٍ على الأرض يوماً بدليل التالي:

ـ لقد حفظ الله سبحانه وتعالى القرآن حفظاً يُعَدُّ اليوم من المعجزات، بحيث لم يتبدل منه حرف واحد حتى بشكل الكتابة!

ـ ظهور أغلب آيات القرآن ومعجزاته التي كانت غامضة ومستعصية على الأولين، فصارت تتوضح في القرن العشرين واحدة بعد أخرى.

قوله الله تعالى:

﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسُلي إنّ الله قويٌّ عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة.

إن المعركة بين المؤمن والشيطان لم تنته بعد، والله سبحانه يعلم أن النصر النهائي سوف

يكون للمؤمنين.

﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقّ ليظهرَهُ على الدينِ كلّه﴾ ٢٨ - الفتح.

وهذا اليوم مازال في غيب الله وهو قادم لاشك فيه، لأنه من وعود الله الصحيحة الثابتة.

فالله سبحانه وتعالى له هدف من خلقنا وفتنتنا بالشياطين وشهوات الدنيا، ولم يخلقنا لمجرد اللهو والتسلية، وقد كتب سلفاً علينا كل شيء دون أن يكون لنا الخيار بشيء أبداً.

﴿وما خلقنا السماء والأرضِ ومابينهما لاعبين * لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناهُ من لدنّا إن كنّا فاعلين * بل نقذِفُ بالحقّ على الباطل فيدمغُه فإذا هو زاهق ولكم الويلُ مما تصفون﴾ ١٦ - ١٨ - الأنبياء.

الله سبحانه وتعالى يريد المؤمن الذي لايستطيع أن يقف أمامه كل شياطين الأرض لاستغفاله من شدة إيمانه ووضوح علمه وفكره، ويقينه بالقرآن وإحاطته بكل مساعي وأفعال الشياطين وأساليبهم ووسائل إغرائهم وخداعهم للسذج والمغفلين، واصطيادهم بسهولة ويسر ليقعوا في حبائلهم، فلا يستطيعون بعدها خلاصاً أبداً. وهل يغرونه إلا بمتاع الحياة الدنيا؟ اللهم اجعلنا من هؤلاء المؤمنين الأقوياء على قول الحق الرحماء فيما بينهم، الأشداء على الكافرين يارب العالمين.

ويمكن أن نتعرف على صفاتهم من كتاب الله الكريم:

فقد قال يخاطب كل الناس من الذين يظنون أنفسهم من المؤمنين من دون أن يتعبوا أنفسهم بمحاولة التأكد، فالشك أول أساليب العلم والإيمان، لذلك قال يخاطب المؤمنين هؤلاء ولم يخاطب الكفار أو الكافرين:

﴿يا أيّها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينِهِ فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحبّونَه أَذلةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيلِ الله ولايخافونَ لومةَ لائمٍ ذلك فضلُ الله يُؤتِيهِ من يشاء والله واسعٌ عليم﴾ ٥٤ - المائدة.

وهؤلاء المؤمنون هم الفائزون دائماً، بينما غيرهم من الخاسرين:

﴿ولاتَهِنُوا ولاتحزَنوا وأنتُم الأعلَونَ إن كنتم مؤمنين﴾ ١٣٩ - آل عمران.

وهؤلاء لهم أجرُهم في الدنيا والآخرة فربحهم مضاعف على باقي العالمين:

﴿يستبشرونَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنّ الله لايضيعُ أجرَ المؤمنين﴾ ٧١ - آل عمران.

ولافرق عند الله في هذا بين ذكور وإناث كما فعل الذين حرّفوا دين الله فيما بعد:

﴿وَعَدَ الله المؤمنين والمؤمناتِ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدين فيها ومساكنَ طيّبةً في جناتِ عدنٍ ورضوانٌ من الله أكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيم﴾ ٧٢ - التوبة.

والمؤمن عليه دائماً أن يتمسك بكتاب الله ليس تمسكاً مادياً وجعله تحت قبضة يده، وإنما تمسكاً معنوياً مجازياً بعدم ترك تعاليمه وشرعه وصراطه وحدوده وحلاله وحرامه أبداً.

﴿إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقومُ ويبشّرُ المؤمنين الذين يعملونَ الصالحاتِ أنّ لهم أجراً كبيراً﴾ ٩ - الإسراء.

ولم يقل سبحانه أبداً خذوا بحديث رسولي فهو أَقوَمُ من كتابي الذي هو القرآن.

والمؤمن يجد في القرآن ماهو شفاء لكل أمراض النفس من الكذب والرياء والنفاق والكبر والحقد والحسد والنميمة والغيبة والبغضاء وحب الانتقام والتشفي، والتي كلها من الشياطين، ومن أخلاقهم، وليست من أخلاق المؤمنين أبداً:

﴿وننزّلُ من القرآنِ ماهو شفاء ورحمةٌ للمؤمنين﴾ ٨٢ - الإسراء.

ليكون هدى ورحمة للمؤمنين، ويهدي للأقوَم والأحسَن، وليكون بشرى للمؤمنين والمحسنين في هذه الدنيا ليرثوا بعد ذلك جنة الرضوان.

اللهم اجعلنا منهم وامنحنا من القوة والصبر للسعي والعمل لبلوغ مراتبهم، ومن العقل والإرادة مايمكنّا من كيد الشياطين وألاعيبهم، واجعلنا من المنتصرين ياربّ العالمين.

﴿وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين﴾

صدق الله العظيم.

الفصل الخامس

الأحاديث التي وردت في الآيات المتشابهة

رغم نهي الله الصريح عن ذلك العمل

﴿هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٌ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ماتشابَهَ منه إبتغاءِ الفتنةِ وابتغاء تأويلِهِ ومايعلَمُ تأويلَه إلاّ الله والرّاسِخُونَ في العلمِ يقولون آمنّا به كلٌّ من عندِ ربّنا ومايَذّكّرُ إلا أولوا الألبابِ﴾ ٧ ـ آل عمران.

يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ـ كما شرحت ذلك في الكتاب الأول (إنذار من السماء) وكما تبين الآية بوضوح تام ولا مجال للشّك فيه: إن القرآن الكريم مكون من الداخل من نوعين مختلفين من الآيات:

ـ النوع الأول: من صنف الآيات المحكمات التي تُشَكل مع بعضها في مجموعها أمَّ الكتاب، كما تذكر الآية ذلك بوضوح.

ـ والنوع الثاني: صنف الآيات المتشابهات وهي التي يطلق عليها أحياناً اسم (الكتاب) كما في الآية:

﴿نَزَّلَ عليك الكتابَ بالحقّ مصدّقاً لما بين يديهِ وأنزلَ التوراةَ والإنجيلَ﴾.

أي أن الآيات المتشابهات التي تشكّل الكتاب الذي نزل عليك بالحق مصدقاً لما بين يديه من باقي المصحف التي فيها آيات الأحكام التي تشكل أم الكتاب. فلماذا قال الله تعالى أن الآيات المتشابهات مصدقة لآيات الأحكام.؟

قد يكون الجواب على هذا السؤال في اي عصر غير العصر الحاضر والعصور القادمة من عصور العلم صعباً، لكن هذا العصر بما اكتشف فيه العلماء من العلوم الحقيقية من علم الله الموجود في الكون، والموجود لها ذكر في القرآن الكريم في الآيات المتشابهة تصبح دليلاً علمياً على أن هذه الآيات المتشابهة مصدرها فقط علم الله وحده، لأن هذه المعلومات الموجودة في القرآن الكريم وحار فيها القدماء وفي تأويلها كثيراً لم يصبح لها

معنىً إلا في العصر الحديث، وطالما ثبت أن هذه الآيات من عند الله، فباقي آيات الأحكام التي كلها من آيات التشريع والعبادات والحدود وتعليمات من الله سبحانه للإنسان (افعل كذا ولا تفعل كذا) في الحلال والحرام، التي ليس فيها أي إعجازات علمية بذاتها، وإنما مجرد تشريع وتنظيم، ولكن بما أن كتاب القرآن ليس بكتاب لتعليم الفيزياء أو الكيمياء أو علم الذرة للإنسان فهو ليس كتاب لتعليم العلوم كما يظن البعض وماذكر أنباء العلوم فيها إلا كتنبيه للإنسان أحياناً عن حقائق قد لاتخطر على فكره لوحده، مثل العالم المسلم الذي يروون قصته في الولايات المتحدة، بأنه كان يعمل في مجال الذرة ولفت نظره قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿ومن كلِّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

لفت نظر هذا العالم الآية القرآنية التي تعمم الزوجية في كل شيء من المخلوقات. والآية واضحة فهي لاتقصد الأحياء فقط، إن المعروف في عصره كما كان في وقت دراستنا في المدارس للفيزياء والكهرباء بأن الذرة تتكون من نواة. مثلاً الهدروجين كأصغر ذرة في نواتها بروتون موجب الشحنة، يقابله خارج الذرة إلكترون سالب الشحنة، والشحنتان متعادلتان في القوة ومتعاكستان بالاتجاه.

وكما كان في النواة مع البروتون نيوترون متعادل كهربائياً، وتكوين الذرة بهذا الشكل الذي درسناه كان ثلاثياً، فلابد بحسب القرآن الكريم أن يكون هناك جُسَيم آخر مثل الإلتكرون صغير الكتلة يدور حول النواة، ولكن متعادل كهربائياً، فصارت هذه نظرية تحتاج إلى برهان. والعالم المؤمن بصدق الله في آياته آمن بوجود ذلك الجُزَيء حتى استطاع اكتشافه بعد عشر سنوات من الدراسة والبحث. قد تكون الرواية صحيحة أو من خيال الناس، بينما المهم أن الذي في القرآن الكريم ثبت أنه الصحيح، وليس ماكان الناس قديماً يظنونه بأن الذرة تتألف من ثلاثة عناصر، بينما تتألف من أربعة عناصر رئيسية: وهي ـ البروتون والنيوترون في النواة والإلكترون والبوزيترون في المدارات خارج النواة. إحداهما سالبة الإلكترون والأخرى متعادلة وتقابل النيوترون. وهكذا نجد أن الآيات المتشابهة تثبت نفسها بنفسها، كما أنها ليست من علم محمد ﷺ ولا من علم بحيرَة ولا من علم ورقَة بن نوفل، وإنما من علم خالق الكون ومدبِّره ربِّ العالمين.

ومثلُ تلك الآيات المتشابهة تُصَدِّق لآيات أخرى مثل:

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدّموا لأنفسِكُم من خيرٍ تجدوهُ عندَ الله إنّ اللهَ بما

تَعملونَ بَصير﴾ ١١٠ - البقرة.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا استعينوا بالصبرِ والصلاةِ إنّ الله مع الصابرين﴾ ١٥٣ - البقرة.

﴿إنّ الصّفا والمروةَ من شعائِر الله فمن حجَّ البيتَ أو اعتمَرَ فلا جُناحَ عليه أن يَطَّوّفَ بهما ومن تطوّعَ خيراً فإنّ الله شاكرٌ عليمٌ﴾ ١٥٨ - البقرة.

﴿ياأيّها الناس كُلوا مما في الأرضِ حلالاً طيّباً ولاتتّبعوا خطواتِ الشيطانِ إنّه لكم عدوٌّ مبينٌ﴾ ١٦٨ - البقرة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّباتِ مارزقناكم واشكُروا الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرّم عليكم الميتةَ والدّمَ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ به لغيرِ الله فمن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عليه إنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾ ١٧٣ - البقرة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا كُتبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلِكُم لعلّكم تتّقون﴾ ١٨٣ - البقرة.

وهذه هي آيات الحكمة، وهي تعالج كل أمور الرسالة بما يتعلق بحياة الإنسان على هذه الأرض، وتبين حقوق الميراث على اختلاف أنواعها، وتبين حقوق المرأة وحقوق الرجل في كل الأمور والعلاقات من زواج وطلاق، حتى أسلوب الحكم، وكيف يجب أن يكون الموضوع شورى بين المسلمين وباختيارهم وليس فرضاً عليهم من أية جهة كانت، وفيها حقوق الأمير وحقوق الناس وواجبات الأمير، وواجبات الناس بشكل مختصر مفيد، وحقوق الرجل كرئيس للأسرة الإسلامية، إعطاء القرآن أهمية خاصة للأسرة لأنه بنجاحها يعتمد نجاح المجتمع كله. وضعف الأسرة يعني ببساطة ضعف المجتمع كله، والموضوع سهل التصور، إذا تخيلنا الأسرة هي لبنة ومادة البناء كله، فإذا كانت اللبنة ومادتها ضعيفة، كان البناء كله ضعيفاً فلا يتحمل أي ضغوط أو هزّات خارجية أبداً.

هذا وقد اكتفيت بهذه الآيات من سورة البقرة كمثال عن آيات أمّ الكتاب. وسوف أبيّن بعد ذلك النوع الثاني من آيات الكتاب التي قلت عنها آيات القرآن (بمعنى معجزات القرآن) لأن الله سبحانه استخدم معنى آية أيضاً بمعنى معجزة من معجزات الله. والآن إليكم بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن العرش:

﴿ثم استوى على العرشِ يُغشي الليلَ النهارَ يَطلبُهُ حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخّراتٍ بأمرِهِ﴾ ٥٤ - الأعراف.

﴿إن ربّكم الله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثم استوى على العرشِ يدبّر الأمرَ﴾ ٣ - يونس.

﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾ ٥ - طه.

﴿وترى الملائكة حافّينَ من حولِ العرشِ يسبّحون بحمدِ ربّهم﴾ ٥٧ - الزمر.

﴿وكان عرشُه على الماء ليبلوَكُم أيّكم أحسنُ عملاً﴾ ٧ - هود.

وكذلك الآيات التي تتحدث عن أمور أخرى أيضاً من غيب الله:

﴿يوم ينفخُ في الصّورِ فتأتون أفواجاً﴾ ١٨ - النبأ.

﴿ونفخَ في الصورِ فصُعِقَ من في السماواتِ ومن في الأرضِ﴾ ٦٨ - الزمر.

﴿يوم يُنفخُ في الصّورِ ونَحشرُ المجرمينَ يومئذٍ زرقاً﴾ ١٠٢ - طه.

﴿ونفخَ في الصّور فإذا هُم من الأجداث إلى ربِّهم يَنسِلُون﴾ ٥١ - يس. وعندنا مثلاً الآيات:

﴿وهو الذي مَرَجَ البَحرين هذا عَذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أجاجٌ وجعلَ بينهما برزخاً وحِجراً محجوراً﴾ ٥٣ - الفرقان.

﴿وإذا رُجّت الأرضُ رجّاً * وبُسَّت الجبالُ بسّاً * فكانت هباء مُنبثّاً﴾ ٤ - ٦ - الواقعة.

﴿على سُرُرٍ موضونةٍ * متّكئينَ عليها متقابلينَ * يطوفُ عليهم وِلدانٌ مخلّدون * بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معينٍ * لايصدّعونَ عنها ولا يُنزفونَ * وفاكهةٍ مما يتخيّرونَ * ولحمِ طيرٍ مما يشتهونَ * وحورٍ عينٍ * كأمثالَ اللؤلؤ المكنونِ * جزاء بما كانوا يعملون﴾ ١٥ - ٢٤ - الواقعة.

والآيات المتشابهة كثيرة جداً وهي تساوي بالتقريب نصف آيات القرآن الكريم، وفيها أنواع مختلفة من الآيات، فيها آيات عن أنباء علمية في مختلف علوم الأرض مثل علم الفلك والذرة والجيولوجيا وعلم البحار وعلم الآثار وعلوم الطبيعة كالفيزياء والكيمياء. وعلوم الأحياء وعلم التطور للأحياء والنباتات. وعلم تشكّل الكون والمجرات، وعلوم الأجنة وتطورها. وهناك مواضيع خاصة في القرآن الكريم يسميها القصص يعلّم فيه رب العالمين أسلوباً جديداً في كتابة التاريخ دون التزكير على التواريخ وأسماء الأشخاص

والتفاصيل التي ليس لها علاقة بالواقعة التاريخية، وهذا موضوع هام لم ينتبه له كل المسلمون بعد، لأن الغاية من دراسة التاريخ ليست دراسة الأشخاص، وإنما دراسة الواقعة كحادثة تاريخية لها أسبابها حتى نصل من تلك الدراسة إلى نتيجة وعبرة لقارىء التاريخ وإلا أصبحت دراستنا لها دراسة عبثيّة لاهدف من ورائها. المهم أن نتعلم من أحداث التاريخ أخطاء الناس حتى لانقع في مثل أخطائهم. لذلك إذا قرأنا القصة التاريخية في القرآن ثم عدنا وقرأناها في التوراة أو في قصص الأنبياء عندنا والتي كلها مأخوذة من كتب أهل الكتاب بعد أن نسبت من قبل الراوي للرسول ﷺ لأن الراوي بحسب نيته كان يكذب للرسول ولا يكذب عليه، فأصبحت كل قصص الأنبياء بهذا التحريف دون أي عبرة ولا عظة، يتعلمها المسلم من القصة الإسرائيلية. والقصص في القرآن لاخيال فيها ولا أوهام، وإنما هي مجرد وقائع حقيقية حصلت لأناس حقيقيين عاشوا قبلنا. إلا قصة واحدة خيالية ورمزية في القرآن الكريم وهي القصة المذكورة في سورة الكهف مع النبي موسى والرجل الصالح الذي أعطاه الله علماً، ويقول عنه أهل الكتاب إنه الخضر عليه السلام.

كل المواضيع السابقة التي ذكرتها حتى الآن تعتبر من الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، وكلها نحن مأمورون من قبل الله سبحانه وتعالى بعدم تأويلها، إما أن نفهمها كما هي أو نتركها أيضاً كما هي حتى يأتي الوقت الذي تصبح فيها مفهومة لوحدها. وقد حصل هذا حتى الآن في القرآن لآيات علمية كثيرة بينتها الاكتشافاتُ العلمية في جميع أنواع العلوم الحقيقية.

والآيات المتشابهة يسميها الله أحياناً بآيات القرآن كما في الآية:

﴿شهر رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرآن هُدى للنّاس﴾ ١٨٥ ـ البقرة.

ولو كانَ الله يقصد بها آيات الرسالة الخاصة بالمسلمين والمؤمنين لقال الله سبحانه هدى للمؤمنين. وكما قلت سابقاً: فإن الله سبحانه دقيق جداً باستخدام الكلمات، فطالما قال هنا (هدى للناس) أي لمسلمهم وكافرهم جميعاً فمعناه يقصد الآيات التي فيها غيب الله وهي الآيات المتشابهة فقط.

ثم يقول الله سبحانه تتمة لنفس الآية:

﴿وبيناتٍ من الهدى والفرقان﴾

والآيات البينات في القرآن هي الآيات التي تبين للمسلم دينه وتشرحه له ويعتبرها ربّ

العالمين هدياً للمؤمن الذي يعرف بواسطتها ماله وماعليه في دين الإسلام. وأما كلمة (الفرقان) فقد بينت أيضاً في غير هذا المكان بأنها نفس آيات الأحكام والحلال والحرام، لأننا إذا عدنا إلى سورة الفرقان لوجدنا تلك الآيات الخاصة بالصراط التي وردت في مكان آخر في القرآن تحت اسم (آيات الحكمة). وهي الآيات من الآية ٦٣ وحتى الآية ٧٦ من سورة الفرقان. وقد بينت هذه الأمور بالتفصيل (في كتابي إنذار من السماء).

والمسلمون خلال الألف والأربعمائة من السنين الماضية تخطوا كل الحدود، وفعلوا كل الممنوعات التي نبّه عليها الله والرسول بأن لايفعلوها، فالله سبحانه قد نبه وبشدة إلى عدم تأويل الآيات المتشابهة لأنها في غيب الله، فظن علماء السنة باكتشافهم لكتب أهل الكتاب أنهم اكتشفوا منابع ومصادر العلم كلها، وظن كل من قرأ التوراة أنه قد أصبح عالماً. على أن كل مافي تلك الكتب لايتعدى الأوهام والأباطيل من محرّفات قديمة، تماماً كما أصبح الحديث عند المسلمين باباً للأساطير والأوهام والأباطيل، من تحريفات علماء المسلمين، رحمهم الله وغفر لهم أجمعين - رغم تنبيه الرسول ﷺ ألا يقعوا في تلك المعصية:

١ - الحديث رقم (٧٣٦٢) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لاتصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم». وقولوا:

(آمنّا بالله وما أُنزلَ إلينا وماأُنزلَ إليكُم)

(ملاحظة: عدت للقرآن الكريم ففوجئت أنّ الآية الكريمة محرّفة أيضاً، لأن القرآن الكريم يكتب الآية بشكل مختلف:

﴿آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزلَ إليكم﴾ ٤٦ - العنكبوت.

هذا يدل على أن كتب الحديث التي لم تكن أمينة للرسول، لن تكون أيضاً أمينة لرب العالمين.

٢ - الحديث رقم (٧٣٦٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس: قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً ولم يُشَب وقد حدثكم أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه. وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم؟. لا والله مارأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

ولكن حصل المحظور رغم نهي الله عنه مع نهي الرسول الكريم، ودخل التوراة والتلمود إلى دين الإسلام بأحاديث موضوعة باسم الرسول، ودخلت في الصحيحين بكثرة شديدة سوف أفرد له بحثاً خاصاً تحت اسم (الإسرائيليات) في هذا الكتاب الذي لا أدرس فيه كما نوهت سابقاً إلا الأحاديث التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم المسمّيين عند المسلمين (بالصحيحين)!.

والذي يجب أن ندركه كمسلمين بداية أن جبريل ليس عالماً بذاته وإنما كان رسولاً من الله سبحانه ويحمل رسالة طُلبَ منه تبليغها لمحمد ﷺ في الأرض، وكل رسالة حضر من أجل تبليغها تبلّغها الرسول ووعاها وحفظها بأمر من الله:

﴿سنُقرئكَ فلا تنسى﴾ ٦ ـ الأعلى.

وكتبها بأمر من الله والرسول كَتبةُ الوحي، حتى أصبحت في كتاب المصحف من دون زيادة ولا نقصانِ لحرفٍ واحد، رغم محاولةِ المشَكّكين بأن كتبة الوحي نسوا تسجيل بعض الآيات ـ كما رأينا ذلك في بعض أحاديث البخاري ومسلم ـ ولكن من سوء حظِّ هؤلاء الحاقدين من المنافقين الذين تستّروا تحت اسم (علماء الإسلام والمسلمين) قد غاب عنهم أن الله سبحانه قد خبّأ عنهم جميعاً مفاجأة لم تخطر على فكر أيٍّ منهم بأن يكون القرآن كتاباً مرقوماً، فيه إعجازٌ عدديّ من نوع فريد في العالم كله، (وقد شرحت هذا الموضوع كله بالتفصيل في كتابي الأول تحت بحث اسمه الإعجاز العددي في القرآن الكريم) وهذا الإعجاز يثبت للجميع بشكل رياضي وعلمي لايقبل التخمين أو الظن أن القرآن الكريم يرفض إضافة أي حرف عليه أو إنقاص أي حرف منه، وهذا البرهان موجود في القرآن وبإمكان كل الناس إذا شاؤوا أن يتأكدوا منه كما تأكدت منه شخصياً. فإن الحاسبات الإلكترونية (الحاسوب) أصبحت الآن تخدم في البيوت حتى باللغة العربية، وإن شئنا اشترينا برنامج فيه القرآن الكريم مسجّلٌ على أسطوانة بشكل كامل، فما بقي علينا إلا معرفة طريقة استخدام هذه المعلومات مع أسلوب التعامل مع الجهاز الحاسب، وهو ليس بالصعب أو المعقد كما يعتقد الكثيرون.

لقد صرف مئات الألوف من الرجال الذين يسميهم كل المسلمين بعلماء الدين حياتهم وهم ينقّبون في كتب ومخطوطات كلها من تأليف البشر ومن كتب أهل الكتاب أو كتب اليونان أو الهند المترجمة للعربية، وهم يؤلفون قصصاً من الخيال لم ينزل الله بها من سلطان ولا علم ولا كتاب منير، ثم يقولون عمّا ألفوه بالظنّ والخيال والوهم

والتخمين علوماً نافعة، داعين الناس جميعاً إلى ترك ماعدا هذه الأوهام من العلوم الصحيحة على أنها علوم، العلم بها لاينفع المسلم، وأن النافع فقط هو التوجه للعمل للدار الآخرة. وإذا سألناهم وكيف نتوجه للدار الآخرة ونعمل لها؟ قالوا لنا بالزهد والترقي في مراتبها البالغة تِسعَاً وتِسعينَ منزلةً، ولكل منزلة درجاتها. وهل استخلفنا الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض لنعمّرها ونسكنها ونبني عليها؟ أم استخلفنا عليها من أجل أن نجلس جميعاً ونهزّ رؤوسنا بالتسابيح ونحن نذكر اسم الله سبحانه ونهلّل له ثم ننتظر من يعمل من الناس من الكفار بحسب رأينا أن يخدمونا ويطعمونا ويكسونا ونحن كالخشب المسندة؟ هل هذا هو الإسلام؟

وهل هذه هي رسالة الله من السماء التي أنزلها الله على سيد المرسلين ـ هل كان الرسول وصحابته الكرام فيما قبل الفتنة الكبرى يطبقون هذا الأسلوب باعتباره مثالياً لفهم رسالة رب العالمين؟ وهل الزهاد هم الذين انتصروا في القادسية واليرموك مع خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما؟ هل هذا هو محتوى آيات القرآن؟.

وقد ضربت على ذلك مثلاً في كتابي الأول (إنذار من السماء) كيف ألّف عالم من علماء المسلمين كتاباً في مجلدٍ كامل (اسمه الروح) وليس لديه من العلم الحقيقي عن الروح إلا آية واحدة في القرآن الكريم وهي التالية:

﴿ويسألونكَ عن الروحِ قل الروحُ من أمر ربيّ وما أوتيتُم من العلمِ إلا قليلا﴾ ٨٥ ـ الإسراء.

علماً أن هذه الآية لاتتكلم من سوء حظّ العالم عن الروح التي كتب عنها، لأن الله سبحانه لايقول في علم القرآن أبداً إن للإنسان روحاً. ولكن كل كتب أهل الكتاب التي هي مصدر علم كل علماء المسلمين تسمي ذلك روحاً وظنّها علماؤنا علوماً، وماهي في الحقيقة إلا أوهام وأساطير كتبها علماء مثل علمائنا نحن نقلاً عن كتب المصريين والهنود والبابليين والآشوريين القديمة، ظناً منهم أنها علوم وهي مجرد أوهام وخيالات، لاحقّ ولاحقيقة فيها مطلقاً.

هذا وقد جعل علماؤنا الرسول محمد ﷺ شريكاً لله في أشياء كثيرة ماعدا الألوهية والخلق، فصار بحسب رواياتهم شريكاً كاملاً في كل الغيب، فلم يعد سرّ إلا وصار الرسول مطلعاً عليه، علماً أن آيات القرآن الكريم كلها تشهد ضدهم فيما ذهبوا إليه كله:

﴿قل لايعلمُ من في السمواتِ والأرض الغيبَ إلاّ الله﴾ ٦٥ ـ النمل.

﴿قل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلَمُ الغيبَ﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

﴿وعندهُ مفاتيحُ الغيب لايعلَمُها إلا هو﴾ ٥٩ ـ الأنعام.

﴿ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثَرتُ من الخيرِ﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

﴿ولله غيبُ السمواتِ والأرضِ﴾ ٧٧ ـ النمل.

ومثل هذه الآيات في القرآن بالعشرات، ولكنني آسف أن أقول أن علماء الدين الإسلامي لم يعودوا يعرفون ماذا في القرآن الكريم من الآيات البينات بعد أن حولوا القرآن إلى كتاب خاص للأموات ليتلى على نفوسِهِم في المناسبات. إليكم نموذج من علم العلماء نراه في الأحاديث التالية:

٣ ـ الحديث رقم (١٦٢) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه).

(اسم البراق لم يرد ذكره في القرآن أبداً، بل ورد ذكره في كتب أهل الكتاب ونجده مرسوماً على جدران الكنائس: حصان أبيض مجنّح يطير في السماء ـ المؤلف).

(وهناك وصف كامل للإسراء والمعراج في التوراة، في سفر حزقيال في الإصحاح الأول من العهد القديم، وكما نجده أيضاً عن العهد الجديد في رؤيا يوحنا اللاهوتي. وهو السفر الأخير في كتاب المسيحيين.

والفرق بين أوصاف الأحاديث المنسوبة للرسول عن أوصاف هذين السفرين هو لبعض التعديلات البسيطة حتى تناسب الإسلام). لنتابع الحديث:

قال الرسول ﷺ فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فأخذت اللبن. فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت؟ فقال: جبريلِ. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه. فَفُتِحَ لنا. فإذا أنا بآدم فرحّب ودعا لي بخير».

٤ - وفي الحديث رقم (١٦٣) من صحيح مسلم وصف للقائه مع آدم:
«قالِ هذا آدم «ص» وهذه الأَسودَةُ عن يَمينه وعن شَماله نَسَمُ بَنِيهِ فأَهلُ اليمينِ أَهل الجنَّة والأَسوِدَةُ التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبلَ شماله بكى (لاحظوا أن النفوس تنتظر كقطعان الغنم بعضها لليمين سوف تذهب للجنة، لأن أوراق يانصيبهم قد ربحت فصاروا بالصدفة من السعداء ومن أصحاب الجنة من دون أي سعي أو فضل ذاتي لهم، والذين على اليسار أوراقهم خسرت فهم ذاهبون إلى الجحيم، وإذا سألناهم ماذنبهم قالوا: هكذا قدّر لهم الله (السلطان).

وبما أن راوي هذا الحديث لايتقن العربية ولم يعرف عند نقل الحديث معنى السواد فكتب (أَسوِدَة) وجعل الذي على اليمين أيضاً من (الأسودة) التي لامعنى لها، ولذا سوف أعود لأكتب أصل الحديث، وهو للإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدثنا الهيثم بن خارجه، حدثنا أبو الربيع عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال:

«خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء وكأنهم الذُّر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنها الفحم فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أُبالي. وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النارِ ولا أُبالي» والحديث عند المسلمين أخذ هذا الشكل لأنه ركب على الآية القرآنية التي تقول:

﴿وإذ أَخَذَ ربُّك من بني آدمَ من ظهورِهِم ذريَّتَهم وأشهدَهم على أنفسهِم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا﴾ ١٧٢ - الأعراف.

وإذا سألنا علماء المسلمين: كيف تقولون هذا عن الله سبحانه الذي يقول في القرآن الكريم:

﴿إنّ الله لايظلمُ مثقالَ ذرّةٍ﴾.

كيف ذلك؟ وكيف تفسرون ذهاب كل الذين خرجوا من كتفه الأيسر والذين كان حظهم أن يذهبوا للجحيم؟ قالوا لنا بصوت واحد: هذه مشيئة الله، والله يفعل مايشاء وينفذ مايريد. ولايُسأَلُ عما يفعل.

مع كل أسف هذا هو منطق علمائنا الكرام في فهم الله والإسلام. وهذه كتبهم وأحاديثهم تشهد عليهم، ولست أنا من يفعل ذلك لاسمح الله. علماً أني شرحت أن

هذا المنطق هو المنطق الذي كان مقصوداً من السلطان حتى يفعل بالتالي مايشاء ومايريد، ولايُسأَلُ عمّا يفعل، وقد كانت مصادر هذه الأوهام كلها من كتب أهل الكتاب وحتى لايظن القارىء أنها كلامي أقولها فقط للاتّهام ولا أعرف ماذا أقول: لنفتح الإنجيل: (العهد الجديد).

(عندما يعود ابن الإنسان (أي المسيح) في مجده ومعه جميع ملائكته فإنه يجلس على عرش مجده. وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض، كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز (الغنم أبيض الماعز أسود) فيوقف الغنم عن يمينه، والماعز عن يساره ثم يقول المَلِكُ للذين عن يمينه: تعالوا يامن باركهم أبي (أي الله بمنطق أصحاب المسيح)رِثُوا الملكوت الذي أُعِدَّ لكم منذ إنشاء العالم... (أي الجنة) ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه (أي إلى الجحيم ولا أبالي)(*).

هذا وقد ذكرت ماكتبه هنا متى في إنجيله ونحن نعلم أن تلاميذ المسيح كانوا اثنا عشر تلميذاً أو حوارياً، ولذلك نجد لكل حواري رواية مختلفة، طبعاً كما تختلف الروايات عندنا بين أبي هريرة وابن عباس وابن مسعود وأنس وغيرهم. فتلاميذ الرسول بالمئات وعلى هذا فنحن أغنى بالروايات وبالأوهام بكثيرٍ من أهل الكتاب جميعاً.

وهكذا صار موضوع الإسراء والمعراج فتنة لعلماء المسلمين كما توقعها رب العالمين وأخبرنا عنها من غيبه بالآية الكريمة:

﴿سبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حولَه لِنُرِيَهُ من آياتِنا إنه هو السميعُ البصير﴾ ١ ـ الإسراء.

والآية التي تخبر عن الفتنة هي:

﴿وإذ قُلنا لك إنّ ربَّكَ أحاطَ بالنّاسِ وماجَعَلنا الرؤيا التي أريناكَ إلاّ فتنةً للناس﴾ ٦٠ـ الإسراء.

فصار هذا الموضوع فتنة حقيقية، ألّف عليها علماء المسلمين قصصاً من خيالهم الطفولي يعجز الرسول الكريم عن روايتها ويحتاج إلى عمر آخر غير الذي عاشه، حتى يستطيع رواية كل ماكتبوه، ولاصحة لكل ماكتبه هؤلاء الذين سميناهم (بالعلماء) ظلماً لأنفسنا.

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ ـ الفقرات ٣٢ ـ ٤١ مع الاختصار والاكتفاء بذكر بعض الفقرات الضرورية فقط وترك فقرات الشرح.

وأتابع رواية الحديث رقم (١٦٣) من صحيح مسلم: عن قصة المعراج بحسب وصف العلماء وهم يصفون لنا يوم الحساب، وكأنه تحصيل حاصل لمسرحية كبيرة يخرجها ربّ العالمين، لأن الحساب قد تم من قبل أن يخلق آدم نفسه ومن قبل أن يُخطىء:

٥ ـ الحديث رقم (٢٦٥٢) من صحيح مسلم ـ المسلسل (١٤): عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«تَحاجَّ آدم وموسى فحج آدم موسى. فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم. فتلومني على أمرٍ قُدِّرَ عليّ قبل أن أُخلَق؟».

٦ ـ الحديث رقم (٢٦٥٣) من صحيح مسلم ـ مسلسل (١٦): عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال وعرشه على الماء».

وهكذا نجد أن غيب الله سبحانه كله صار تحت تصرف علمائنا الكرام.

٧ ـ وحتى أختصر الحديث (١٦٣) عن قصة المعراج، فإن الرسول ﷺ وجد في السماء الثانية ابني الخالة (أي كل منهما ابن خالة الثاني) عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفي الثالثة يوسف عليه السلام وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، ثم نصل إلى الحديث (١٦٤) من صيح مسلم: فيقول: على لسان الرسول محمد ﷺ:

فلما جاوزته بكى (أي موسى) فنودي: ومايبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي (أي إن موسى دخل إلى قلبه الشيطان وهو موجود في السماء السادسة وحسد محمداً ﷺ وبكى من حسده وحظه العاثر)، كيف يسبقه محمد ﷺ الغلام بعدد الذين دخلوا إلى دينه؟

وفي السماء السابعة وجد إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولايعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى (يقول المفسرون سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ، شرح النووي على حاشية مسلم).

وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال (كالجرّات الكبيرة) قال: فلما غشيها من أمر الله ماغَشيَ تغيّرت. ما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى

الله إليَّ ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة (والقرآن الكريم يذكرها خمسة وقد ذكرت مواضعها في الآيات. وهل يعقل أن يكلف الله الناس فوق طاقتها وهو يقول في القرآن الكريم ﴿لايكلّفُ الله نفساً إلا وسعها﴾ (والرسول لم يناقش بل عاد):

فنزلت إلى موسى عليه السلام (ولا أعلم ماهو السرّ الذي جعل الراوي يعود به إلى السماء السادسة مع أن السماء السابعة أقرب إلى الله وفيها إبراهيم الخليل جدّ محمد عن طريق إسماعيل عليهم السلام. ربما لأن موسى من بني إسرائيل وهو أدرى وأعلم بأمور المفاوضات والمساومات أكثر من غيره - المؤلف).

فقال: مافرضَ ربُّكَ على أُمتِكَ؟ قلت: خمسين صلاة. قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لايطيقون ذلك. (وهكذا صار موسى بمنطق الحديث أدرى من محمدٍ بقومه) فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم فرجعت إلى ربي فقلت: يارب خفف على أمتي فحطّ عني خمساً (فأصبحت ٤٥ والمهم للاختصار أن محمد ﷺ ظل يتردّد بين السماء السادسة حيث كان موسى عليه السلام عائداً إلى ربه إلى مافوق سدرة المنتهى حيث عرش الله سبحانه ويعود ليقول له: يارب خفف عني وربّه يحطّ عنه خمساً في عشرِ رحلات مكوكيّة، والغريب أن الراوي لم يمل وهو يكرّرها عشر مرات بنفس العبارات، إلى أن صارت في النهاية خمس صلوات في اليوم والليلة).

قال رسول ﷺ فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

وإذا دققتم في الرواية وجدتم السخرية مخفية بين الكلمات والسطور من الرسول ﷺ الذي هو من أكرم خلق الله ومن أنبههم وأنجحهم في أمور السياسة والدين، والدليل ماحقق من نجاحات في حياته القصيرة، حتى اعتبره الذين لايؤمنون به كرسول بل كرجل عبقري أنه أول عبقري في العالم كله، قياساً للإنجازات التي حققها على مستوى فردي وفي حياة واحدة على الأرض. ثم نعود نحن لنردد كالببغاوات ماكتبه لنا المنافقون من أعداء الإسلام وهم يصورون لنا الرسول الكريم صورة مشوهة مهزوزة، وهو يتردد في السماء كإنسان فاشل بين الله وموسى المتفاوضين الأساسيين في القصة، حتى يصل رسولنا بفضل دهاء وذكاء موسى إلى ماوصل إليه من إنجاز في إقناع الله بأن

يجعل الصلوات خمساً تخفيفاً لعباد المسلمين، وحتى لايحملهم الله سبحانه مالا طاقة لهم به.

هل هذه القصة مقبولة؟

إذا قلنا نعم؛ فهذا يعني أننا آمنا بأن محمداً ﷺ أرحم بعباد الله من الله نفسه وهذا غير صحيح قطعاً، فالله أرحم بعباده من أي مخلوق.

إذا قلنا نعم، فهذا يعني أن الله حمّلنا بقراره الأول مالاطاقة لنا في خمسين صلاة، والله يقول لنا في القرآن: ﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ ٢٨٦ ـ البقرة.

إذاً لايمكن أن تكون هذه القصة صحيحة على الإطلاق. بل هي من إنسان حاقد يحاول أن يشوه صورة الرسول ويسخر منا جميعاً وهو يضحك علينا في نفسه. هذا وقد شرحت بالتفصيل كيف فرض الله الصلوات الخمسة في القرآن، وكيف سمح لرسوله بتحديد عدد الركعات، علماً أن هذا الموضوع لم يتطرق إليه راوي الحديث. مع تحديد الحدّ الأدنى للزكاة.

هذا وإنَّ الإسراء والمعراج أُلِّفت فيهما مجلداتٌ كثيرة من قبل علماء المسلمين، وكل قصة أغرب من أختها، ولكنني اعتمدت على صحيح مسلم في رواية هذه القصة واختصرتها كثيراً لأنها طويلة ومملّة.

والغريب أن علماءنا ينقلون ماورد في كتب أهل الكتاب دون أن يفكّروا أصلاً بالمعاني وراء الكلمات مثل الحديث التالي والذي شاهدتم منه نماذج قبل هذا:

٧ ـ الحديث رقم (٢٧٤) من صحيح مسلم: المسلسل (١٦٩): قال عبد الله بن عمر: ذكر الرسول ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال:

«إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عَينُهُ عِنَبَةٌ طافية».

فهل هذا مقبول من العلماء. ؟ وهل نؤمن في الإسلام بأن المسيح الأصلي هو الله؟ حتى نخلط بين المسيح الأصلي والمسيح الدجال؟ ويخشى علينا الرسول؟ وهكذا بالتدريج تكتشفون مصادر علم علمائنا الكرام في الإسلام.

هي باختصار (التوراة والتلمود والأناجيل وكتاب دانيال الموجود في التوراة).

لنتابع قصة المعراج: (ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم، أكان قبل عروجه

إلى السماء كما دلّ عليه ماتقدم من السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم. وقيل: إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء. وهكذا تخيّره من الآنية (اللبن، والخمر، والماء) هل كان ببيت المقدس كما تقدم أم في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح (فصار وجود الحديث في صحيح البخاري ومسلم حجة دامغة على صحته؟ ونحن لانأتيكم من الأحاديث إلا من ذلك الصحيح فهل تجدون أي حجة على صحتها؟) والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء (وهذا هو خيال العلماء) ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس، بل كان البراق مربوطاً على باب المسجد ليرجع عليه إلى مكة، فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة (ويتلو ذلك وصف طويل مملّ جداً فلا داعي لذكره).

(ثم اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة؟ أم كل في ليلة على حده؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة (لاحظ كلمة يزعم وهل في العلم زعم) والمعراج في المنام. وقد حكى المهلّب بن أبي صُفرة في شرح البخاري عن طائفة: إنهم ذهبوا إلى أن الإسراء مرتان، مرة بروحه مناماً، ومرة ببدنه وروحه يقظة، وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه، قال السهيلي: وهذا القول يجمع الأحاديث، فإن في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولاينام قلبه (هل فهمتم هذا الأسلوب الجديد من النوم؟).

وقال في آخره: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر، وهذا منام.

ودلّ غيره على اليقظة، ومنهم من يدعي تعدّد الإسراءات في اليقظة أيضاً، حتى قال بعضهم: إنها أربع إسراءات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة ـ رحمه الله ـ أن يوفق بين اختلاف ماوقع من روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدّد فجعل ثلاثة إسراءات ومرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات)(*).

بعد قراءتنا لكتب السلف والعلم باختلافات العلماء وعلى ماذا كانوا يختلفون، لم نعد نستغرب بعد ذلك وجود (باب من قال أن الإيمان هو العمل) في صحيح البخاري، لأن

(*) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ دار الريان ـ ص ١١٣ ـ الجزء الثالث.

أغلب علمائنا مع الأسف الشديد لم يعرفوا ماهو العمل حتى يحيطوا علماً به أصلاً. فعلمهم كان يقتصر على السباحة في مختلف أنواع الأوهام والخيالات التي لاأصل ولا وجود لها إلا في رؤوسهم فقط.

بما أن الأحاديث عن الآيات المتشابهة قد تنوعت وتشعبت فسوف أتعرض كمثال لبعض المواضيع الهامة فقط، وكانت مصادر المحدثين لمعلوماتهم غالباً كتب أهل الكتاب المحرفة بالإضافة إلى ماتفتق عنه خيالهم ومصلحتهم من وراء ذلك هو تشويه العقيدة الإسلامية المعتمدة في القرآن الكريم على الحقائق العلمية وجعلها عقيدة تستند غالباً على الأوهام.. والمواضيع التي سأتناولها هي:

١ ـ موضوع الجنة.

٢ ـ موضوع جهنم.

٣ ـ موضوع الصّور.

٤ ـ موضوع الساعة.

١ ـ موضوع الجنّة:

موضوع هام من مواضيع غيب الله تعالى، ولانعرف عنها أكثر من المعلومات الواردة في آيات القرآن الكريم، علماً أن مافهمناه من تلك الآيات بشكل مباشر هو الذي يريده الله سبحانه لنا دون أن يكون لنا الحق في تأويلها، لأنها من الآيات المتشابهة، لكن المسلمين خاصة من نسميهم (العلماء) قد هجموا على كتب أهل الكتاب هجوم الجائعين ظناً منهم أنها مصادر للعلم، وأدخلوا كل تلك المحرفات إلى الإسلام باسم ولسان الرسول افتراء، بحجة أنهم كانوا لايكذبون عمداً، وإنما كانوا يكذبون لخدمة الإسلام، وطالما الله يعرف نيّتهُم وهم كانوا يفعلون مايظنون أنه الخير، فإن الله سوف يسامحهم، هذا كان أسوأ فهم للإسلام، وأسوأ أسلوب لفهم الدين بمنطق الأحاديث وليس بمنطق آيات القرآن الكريم. بدعم من المنافقين إلى إدخال كل كتب أهل الكتاب إلى الإسلام ظناً منهم أنها تشرح الغامض الموجود في القرآن، دون صبر منهم أو محاولة لفهم مقاصد الرحمن في الآية:

﴿هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٌ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فُيتَّبعونَ ماتشابهَ منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاء تأويلِهِ ومايعلمُ تأويلَهُ إلا الله (وقف تام) والراسخونَ في العلمِ يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا ومايذَّكَّرُ إلا أولو الألباب﴾ ٧ ـ آل عمران.

فصاروا بحسب هذه الآية من الذين في قلوبهم زيغ، فزاغوا عن الحق وانحرفوا عنه، وأَوَّلهُ المنافقون منهم ابتغاء الفتنة. كما أَوَّلهُ الباقون تقليداً وابتغاء تأويله، عصياناً لأوامر الله الصريحة بعدم التأويل واتباعاً للشيطان. فانظروا كيف أصبح وضع المسلمين بعد أن خرّب هؤلاء تفكير آلة الفهم والفكر لدى المسلمين بحشوها بالأوهام والظنون بدلاً من الحق والحقائق العلمية التي ترونها في الآيات التالية:

﴿مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهارُ أُكلُها دائمٌ وظلّها﴾ ٣٥ ـ الرعد.

﴿جنات عدن التي وعَدَ الرحمنُ عبادَه بالغيبِ إنه كان وعداً مأتيّاً﴾ ٦١ ـ مريم.

﴿لايسمعونَ فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقُهم فيها بُكرةً وعشيّاً﴾ ٦٢ ـ مريم.

﴿ومانتنزّلُ إلاّ بأمر ربّك له مابينَ أيدينا وما خَلْفَنَا ومابين ذلك وماكانَ ربُّك نسيّاً﴾ ٦٤ ـ مريم.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُبَوِّئَنَّهُم من الجنّةِ غُرَفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نِعمَ أجرُ العاملين﴾ ٥٨ ـ العنكبوت.

﴿وسيقَ الذين اتّقوا ربَّهم إلى الجنة زُمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طِبتُم فادخلوها خالدين﴾ ٧٣ ـ الزمر.

﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ * لسعيها راضيةٌ * في جنّةٍ عالية﴾ ٨ ـ ١٠ ـ الغاشية.

وكل هذه الآيات وغيرها كثيرة في القرآن من الآيات المتشابهة التي لاعلم لنا عنها إلا بما أعلمنا الله به في هذه الآيات. فما فهمناه هو المطلوب وليس لنا أن نبحث عن غيب الله من أي مصادر أخرى، لأنه سبحانه أعلمنا سلفاً أنه لايعلم الغيب من في السماوات من الملائكة ولا من في الأرض من الجن والإنس أبداً، وكتب أهل الكتاب كما شاهدتم وتأكدتم بأنفسكم لم تعد تصلح لشيء أبداً بعد تحريفهم الشديد لها.

إذاً ليس لنا إلاّ الاكتفاء بعلم الله الصحيح الموجود في القرآن الكريم ولانُضَيِّع وقتنا الثمين بحثاً عن شيء لايمكن بلوغه أبداً.

والله سبحانه لم يسمح للمسلمين بسؤال الرسول عنها، لأن الرسول نفسه لايعلم عنها أكثر من السائل نفسه، هكذا نزلت عليه من دون شرح، فالله سبحانه لم يفتح مدرسة على الأرض كان فيها محمدٌ ﷺ تلميذاً وجبريل أستاذاً كما يحبّ رواة الأحاديث أن يزرعوا في مراكز تفكير المسلمين وهماً من عندهم من غير علم من الله، لكن التاريخ

الإسلامي الصحيح الموجود في السيرة النبوية وسيرة الصحابة الكبار من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم تدل على صحّة ماأذهب إليه لأنهم كلهم كانوا يقولون: (كنّا لانسأل عن القرآن ولا نقول فيه رأياً ـوكنا نسأل فقط عن السنن والأحكام ونقول فيها رأينا).

وهم يقصدون بالقرآن الآيات المتشابهة. أما سنن الله فهي شرع الله وحدوده وحلاله وحرامه وعباداته وصراطه المستقيم وهذا هو مجال عمل الفقيه في الإسلام. لكن المحدثين والرواة ابتداء من عصر أول سلطان قلبوا الإسلام وقضوا على تلك العقلية العلمية عند المسلمين، ووضعوا بدلاً عنها عقلية وهمية تناسب مصالح صاحب السلطة وغاياته وأهدافه، متناسياً غايات الله وأهدافه التي في القرآن الكريم. وجنود السلطان اتبعوا أهواءهم وشهواتهم الدنيوية، وهجروا الله والقرآن وهم يعلمون مايفعلون هجرة تامة، بدليل أن كل رواياتهم كما شاهدتم وضعوها بشكل مناقض لأحكام القرآن وآيات الرحمن مناقضةً صريحة وعلنية، متناسين كل تنبيهات الرحمن ونصائحه ومواعظه بعدم اتباع الشيطان ومحاولة تأويل المتشابه من آيات القرآن. فأولوها كلّها مستندين إلى نصائح أصحابهم من المنافقين الحاسدين من أهل الكتاب الذين أعلنوا إسلامهم بلسانهم دون أن يعلم أحد عن سرائرهم وظهروا بيننا ومعهم كتبهم المحرفة يفسّرون ويؤولون بها كما يشاؤون وكما يرغب السلطان، لأن تلك التأويلات والتفسيرات كما شرحت في مكان آخر كانت تخدم مصالحه وأهدافه الدنيوية للقضاء على كل الحريات الإنسانية حتى يصبح كل الناس عنده قطيعاً يسوق بهم بحسب رغبته ومشيئته إلى أي مكان باسم الجهاد في سبيل الله، دون أن يصرح لهم علناً أنها جهاد في سبيل السلطان. وهكذا نجدهم يقولون عن الجنة وآياتها أحاديث دون أن يكون مصدر علمهم القرآن وآياته، بل مصادر أخرى من الوهم والخيال وكتب أهل الكتاب المحرّفة التي أصبحت عندهم مصادر للإلهام.

١ ـ الحديث رقم (١٩٦) مسلسل رقم (٣٣١) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَنا أَكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة. وأَنا أول من يقرع باب الجنة».

وإذا سألناهم من أين مصدر العلم الذي يستند إليه هذا الحديث لما عرفوا له جواباً صحيحاً أبداً.؟

٢ ـ والحديث التالي من نفس الصحيح مسلسل رقم (٣٣٢): أيضاً عن أنس قال: إن النبي ﷺ قال:

«أنا أول شفيع في الجنة. لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ماصُدِّقتُ وإنّ من الأنبياء نبياً مالم يصدّقه من أمته إلا رجلٌ واحد».

هذا المحدث أو الراوي يصور لنا الرسول محمداً ﷺ وكأنه شاعرٌ يقف متفاخراً بين الشعراء أمام قومه، لنسأل هذا المحدث: من أعلمك أن الرسول سوف يكون أول شفيع في الجنة؟ علماً أن الله سبحانه يخبرنا عكس ماتخبرنا به أنت ويقول:

﴿مالكم من دونه من وليٍّ ولا شفيعٍ أفلا تذكّرون﴾ ١٤ ـ السجدة.

أي أنه باختصار لا وليَّ لنا ولا شفيع إلاّ الله سبحانه.

بل الله سبحانه يسألنا ويسأل نفس المحدّث ويقول:

﴿قد جاءت رسلُ ربنا بالحقّ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ٥٣ ـ الأعراف.

﴿أم اتّخذوا من دون الله شفعاء﴾ ٤٣ ـ الزمر.

كل المحدثين بعد أن تركوا الله وكتابه واتبعوا شياطين الإنس من المنافقين صاروا يكتتبون من تلك المصادر، متناسين كتاب الله، لذلك ينبههم ربّ العالمين في تلك الآية ويقول لهم (أفلا تذكّرون).

وإذا كنا نتذكر نحن المسلمين فإنّ إشراك الناس قبل الإسلام في مكة وماحولها كان إشراكاً مع الله بالشفاعة بتقربهم بتلك الأصنام واعتقادهم أنهم يتقرّبون إلى الله بهم ليشفعوا لهم عند الله، وهذا مايشرحه لنا القرآن الكريم، فكيف نعود نحن المسلمين بالذات ونقع في نفس الإشراك القديم ونجعل هذه المرة محمداً هو الشفيع بدل هُبَل القديم، وبالأولياء والصالحين بدل أصنام مكة القديمة. هل تظنون أن الله الذي رفض إشراك الناس به بهبل أو بغيره سوف يقبل بإشراكنا محمداً أو غيره به؟ فكله عند الله إشراك لايرضاه الله أبداً. لابمحمد ولا بالأولياء ولا بالصالحين.

٣ ـ الحديث رقم (٣٣٥) من صحيح مسلم تابع للحديث رقم (١٩٧): عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل نبيّ دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

أولاً هذا الكلام والأسلوب بأن للرسول دعوة واحدة وبركة واحدة ليس له غيرها ليس من الإسلام، ولا من القرآن، ثانياً مصدر هذا الأسلوب من التفكير الديني، من التوراة المحرّفة. وقد ضربت عليه مثلاً بإسحاق عندما دعا لابنه يعقوب ورفض أن يدعو لابنه عيسو بل دعا عليه بغضب الله، بحجة أن دعوته انتهت، (سوف تجدونه مشروحاً في هذا الكتاب).

لكن أبا هريرة الذي أدخل المنافقون التوراة باسمه إلى الإسلام يقول الراوي مستخدماً اسمه في حديث آخر يناقض هذا الحديث وهو الحديث رقم (٢٤٩١) من صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال: كنت ادعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ماأكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يارسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي. فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره. فادع الله أن يهدي أمّ أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ «اللهم اهدِ أمّ أبي هريرة» فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك! يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست دُرعَها وعجّلَت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.... والرواية طويلة يهمنا منها أن نعرف أن دعوة الرسول بحسب رواية أبي هريرة استجابها الله. فأصبحت بقوة ذلك الدعاء مؤمنة ولم يكن إيمانها بارادتها أو اختيارها. وهكذا نجد لأبي هريرة وحده عشرات من الدعوات وكلها خاصة به وبأهله وقومه دعاها له الرسول ﷺ واستجابها الله مثل:

٤ ـ مثلاً في الحديث رقم (٢٤٩٢) من صحيح مسلم: علم أبو هريرة أن السرّ في قوة الذاكرة متعلق ببسط الثوب اثناء الحديث، فكلما سمع الرسول يتحدث بَسَطَ ثوبه وضمّه إلى قلبه، فلا ينسى بعد ذلك أي شيء سمعه أبداً:

قال: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً. أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني. وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفقُ بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله ﷺ:

(أثناء غياب المهاجرين والأنصار المشغولين بالدنيا وأعمالها ـ المؤلف).

«من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم

ضممته إليّ فما نسيت شيئاً سمعته منه.

والكارثة الحقيقة ليس في الحديث نفسه، وإنما بوجود ٩٠٪ من الناس يصدقون مثل هذا الكلام إلى اليوم ولايقرؤون القرآن الكريم ولايعرفون أي شيء عنه أبداً.

٥ ـ الحديث رقم (٢٥٢٤) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: إن الرسول دعا له: «اللهم! اهد دوساً وائت بهم».

وفي رواية أخرى: وائت بهم مؤمنين فأتوا جميعاً مؤمنين.

وقبيلة دوس هي قبيلة أبي هريرة في اليمن.

وهناك حديث آخر مثل حديث (سبقك بها عكاشة) (أي سبقك بالدعوة).

حديث آخر عن أبي هريرة (سبقك بها الغلام الدوسي) أي أبو هريرة.

وقصة عكاشة:

٦ ـ الحديث رقم (٢١٦) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» فقال رجل: يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم قال: «اللهم اجعله منهم، ثم قام آخر فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال سبقك بها عكاشة» أي لم يعد لك مجال للدعوة أو الدعاء. فقد انتهى الأمر.

ليس هذا المنطق أو الأسلوب هو المنطق أو الأسلوب القرآني الذي أتى به محمد ﷺ ليكون هدى للناس أجمعين، ولم يكن أيضاً هذا هو أسلوب فهم الرسول لآيات الله أبداً. إذا عدنا لتاريخ السيرة النبوية لوجدنا الرسول يجاهد جهاداً كبيراً ثلاث عشرة سنة المشركين في مكة، وهو يتحمل مالايطاق من قومه ومن أهله، أم هل نسينا كيف عامله أهل الطائف عندما صعد إليهم؟ وكيف سلطوا عليه سفهاءهم وشجّوه في رأسه؟ والتجأ إلى كرم عنب وجلس تحت دالية منها وهو يبث ألمه وشكواه لرب العالمين ويقول:

«اللهمّ إليك اشكو ضعفَ قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربّي إلى من تكلُني، إلى بعيدٍ يَتَجهّمني أم إلى عدوٍّ ملَّكتَهُ أَمري. إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقَت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو

تحلَّ علي سخطُك لكَ العُتبى حتى ترضى لاحول ولا قوَّة إلا بكَ»؟

أما إذا فهمنا الدين ـ بحسب منطق راوي الأحاديث فلن يتحقق شيء على الإطلاق، ولو كانت الأمور بمثل تلك السهولة والمطلوب فقط الجلوس والدعاء لجلس الرسول وقال: اللهم اهدِ أبا لهب، اللهم اهد عمي أبا طالب، اللهم اهد قريشاً قبل أن يدعو لأمّ أبي هريرة ولقومه، فالأقربون أولى بالمعروف في مبدأ الإسلام. لكن الله سبحانه أعلمَ رسوله الحقيقة عندما قال له:

﴿إنَّكَ لا تهدي من أحببتَ ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

ولو كان الضمير في (من يشاء) يعود لله سبحانه كما يظن كثير من المتوهمين اليوم نتيجة ماترسّب في عقله من أوهام كثيرة كانت مقصودة من قبل شياطين الإنس الموظفين عند السلطان، عندها لما كان من ضرورة أصلاً في أن يرسل الله تعالى رسلاً من أجل هداية البشر، لكن الله سبقت مشيئته الأولى في أن يستثني الإنسان من باقي مخلوقاته كلها، وأسجد له الملائكة وكرمه سبحانه تكريماً خاصاً يليق بالمقام الجديد الذي منحه إياه ربه، بأن جعله سيداً حراً يختار لنفسه مايشاء.

إن شاء آمنَ وإن شاء كفرَ من دون إكراه له من أحدٍ ولا من الله سبحانه:

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وهكذا نرى أن الضمير في من يشاء يعود للإنسان وليس لله تعالى.

وهذا الموضوع بالذات كان يقلق السلطان الذي شاء وأراد أن يتجبَّرَ ويفعل مايشاء في الأرض دون الرجوع لله وآياته وقرآنه، فأنسى عباد الله القرآنَ وأعطاهم بدلاً عنه الوحي الثاني الذي عن طريقهِ أعادهم قطيعاً من جديد لارأي لهم ولا إرادة إلا ما يراه الأمير ويشاؤه لهم. مات السلطان وانتهى، لكن الناس تعودت على اتباع الشيطان ولاتريد بديلاً عنه، علماً أن كل المصائب والبلى التي تنزل فوق رأسه هي من انحرافه واتباعه لغير الله، وهو لايعلم أنه باستعادته لكتاب الله سوف يستعيد كرامته المهدورة وعزَّته. بدل الذُّل الذي يرتضيه لنفسه ظلماً لها وجهلاً بالحقائق الرحمانية.

فلا يعلم أن هذه الأحاديث التي يسميها أحاديث نبوية شريفة أو أحاديث قدسية صمّمت خصيصاً من أجل استعباده من جديد بعد أن حرره الله بالإسلام والإيمان به وبالذي في القرآن الكريم. إن السلطان كما شرحت مراراً كان لايرغب ولايشاء ولا

يريد أن يعترف للإنسان بأي حرية منحها الله له بل يريد أن يبقيه عبداً مطيعاً له، إن شاء رفعه وإن شاء قتله فهو مُلْكٌ للسلطان وحده وخاصة إذا آمن به واتبعه.

هذه العقدة؛ عقدة رغبة السلطان؛ هي التي لايستطيع فهمها المسلمون من أيام أول سلطان وحتى اليوم، لأن الله غشَّى أعينهم بعد أن تركوا الحقّ والنور الإلهيّين إلى الأحاديث الضالة التي لاهديَ فيها ولا نور ولا حقّ.

تقول لهم: إن الله خلقكم أحراراً تختارون ماتشاؤون، وهذا هو القرآن شاهد على ما أقوله لكم. يقولون لك:

لا، إننا لم نُخَيَّر من الله في شيء، بل كل شيء مُقَدَّرٌ لنا ومكتوبٌ علينا حتى من قبل أن نولد، ويستشهدون لك قائلين: قال أبو هريرة، وقال ابن عباس: ولايتذكرون أن يقولوا مرة واحدة، قال الله في كتابه العزيز.

وإن أخطأوا وقالوا ذلك عادوا ليفسروا ماقرؤوه لك مرة أخرى بقال أبو هريرة قال ابن عباس، ولايعلمون أنهم بذلك يلغون كلام الله كلّه ويؤيدون السلاطين الذين استعبدوا آباءهم وأجدادهم ظلماً مئآت السنين، وهم يؤلفون لهم تلك الأحاديث التي مازالوا يعتقدون أنها شريفة، ولايعلمون أن السلاطين قد دفعوا مئات الألوف من الدنانير الذهبية لألوفٍ من علماء الحديث حتى يجعلوه بها الحاكم بأمر الله وحده والمعبود على الأرض من دون الله، فجعلوا آباءنا وأجدادنا يتّبعوه ويعبدوه باختيارهم أحياناً وبالعصا وسطوة السيف أحياناً أخرى. وهكذا ألّفوا آلافَ الأحاديث وهي تأمر بطاعة السلطان كما في:

٧ ـ الحديث رقم (٧١٤٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ:

«من رأى من أميره شيئاً فَكَرِهَهُ فليَصْبِرْ فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شِبراً فَيموت إلا مات ميتة جاهلية».

والجماعة هي السنّة، والسنّة رئيسها السلطان.

الحديث رقم (٧١٤٤) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية لا سمع ولا طاعة».

هل تعتقدون أن الشياطين أغبياء؟ إنهم حتماً أذكياء لفعل الشر واتباع الشهوات فهل تعتقدون أنهم سوف يأمرون بمعصية مكشوفة؟ إنهم بواسطة ماتوفر لهم من الأحاديث سوف يجعلون الحق باطلاً بسهولة، ويخرجون بالفتاوى للسلطان كما يشاء ويرغب، دون أن يتركوها معصية مكشوفة، وإلا فما هي وظيفة جنود السلطان إذا كانوا لن يسدّوا كل الفراغات حسب الطلب؟.

هذا وفي مجلد كامل باسم (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ابن قيم الجوزية ـ توزيع دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤، ولاموضوع فيه إلا الجنة وأوصافها بأوصاف موجودة غالباً في التوراة والإنجيل، ونادراً ما نجد فيه عن المذكور في كتاب المسلمين الذي هو القرآن الكريم. وقد ذكرت سابقاً أن الإمام ابن قيم الجوزية يعتبر من المصلحين في زمانه، ولكنه كما أكدت كذلك فإنه كان من معاصري أهل الكهف والتخلف العظيم في الفكر الإسلامي، فلم تكن مصادر النور من حولهم كافية لهم للرؤية الواضحة، فدخل في وهم الأغلبية، أن الأحاديث التي وجدوها منسوبةٌ للرسول الكريم بالملايين أن أغلبها صحيحٌ، فكانوا يحاولون غربلة تلك الأحاديث ظناً أن غرابيلهم تلك سوف تعود لتطهر ماتجتمع في ذلك المستنقع من شرور وآثام لمنافقين وحاسدين من شياطين الإنس، فلم يشككوا فيها لاعتقادهم أن إجماع مجموع الأئمة لايمكن أن يكون على خطأ، فقد سلموا بأن مجموع الخطائين يتحولون إذا أجمعوا على شيء إلى كائنٍ معصوم من الخطأ، وهذا كان من أكبر أخطائهم، لأنهم لو فكروا جيداً لاكتشفوا أنه لامعصوم عن الخطأ إلا الله تعالى.

والله سبحانه منعاً لدخول الوهم والظن إلى دين الإسلام منع رسوله والمؤمنين به من الصحابة من السؤال عن آيات القرآن التي لم يحن وقت تأويلها من الله؛ بل أمرهم بترك النص المقدس كما هو من دون تزيّد عليه بالتأويل أو التفسير الذي لاطائل من ورائه، لأن كل قول سوف يدخل في مجال الوهم والظن إذا لم يكن يقيناً، وذلك في مثل فهم الأرض وتكوينها الجيولوجي علمياً، ومعرفة أن القارات تطفو مثل حاملات الطائرات الضخمة فوق سائل ناري يقع مباشرة تحت القشرة الأرضية، وكما يثبت القبطان سفينته برواسي يلقيها من حول سفينته كذلك فعل الله بأن ثبّت القارات برواسي من الجبال ألقاها في ذلك السائل. يقول الجيولوجيون: إن الجبال تغرز في ذلك السائل بثلاثة أضعاف ارتفاع الجبل في الهواء. وهذا مايمنع القارات من الزلازل

الضخمة، ولولاها لتعذر العمران على الأرض.. إذاً كما تلاحظون لم يكن الرسول وصحابته ولا من كان يعيش في الأرض في زمانهم من له القدرة على فهم وظيفة الجبال المذكورة في القرآن لأنها فوق مستواهم الإدراكي للعلوم، ومن أجل هذا قال لهم سبحانه:

﴿ولتعلَمُنَّ نبأَهُ بعدَ حينٍ﴾ ٨٨ - ص.

ومثل تلك الآيات في القرآن كثير وفي مواضيع أخرى، وحكمها حكم تلك الآيات، لكن أغلب المسلمين لم يستطيعوا صبراً ولا انتظاراً، بل عادوا وعَصَوا ربهم، تماماً كما يفعل الأطفال إذا نبهوا إلى أن لايفعلوا شيئاً من أبويهم، وتقوّلوا بما يشاؤون، وكل ماقالوه طبعاً كان من الظنون والأوهام، وعندما ظهرت اليوم الحقيقة صارت تلك الحقائق شواهد على صدق آيات الله في القرآن، وكل تقولات المحدثين شواهد على أوهامهم وظنونهم وتخريفهم بما لايعلمون.

لذلك فكل التفاسير والتأويلات التي استند إليها المسلمون إلى كتب أهل الكتاب؛ ووضعوا فيها أحاديث نسبوها افتراء للرسول الأمين، بدأت الآن تنكشف أيضاً بالتدريج بأنها تناقض مابلغه الرسول من ربه في الوحي الأول الذي بقي بقدرة من الله سليماً، وبدأت تظهر براءة الرسول من كل تلك الاتهامات الباطلة، لأن الرسول الكريم لايمكن أن يتقول على الله بغيرما بلغ به الوحي الأول الذي هو القرآن الكريم.

ولكن مع الأسف الشديد إن كثيراً ممّن نسمّيهم من علماء الحديث ساهموا بهذا الإثم الكبير، وهم ولاشك سوف يحاسبون على أفعالهم وافتراءاتهم، لذلك يقول سبحانه:

﴿فويلٌ للّذينَ يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثم يقولونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبونَ﴾ ٧٩ - البقرة.

وهذا الموضوع حصل في كل الأديان، لأن الشيطان موجود مع كل الأمم، وهو ليس حصراً على أمة دون غيرها. لذلك نجد أن أغلب محرفات الشياطين تناقض كتاب الله صراحةً وعلناً.

وكان كثير من المسلمين والمؤمنين بالله يرون ذلك يحدث أمام أعينهم وأبصارهم ولايستطيعون أن ينتقدوه علناً، لأن ذلك كان غالباً ضد مشيئة السلطة، فخرج منهم من قالها بأساليب مختلفة، واعتقد أن الإمامين البخاري ومسلم اللذين جمعا كل حديث مع نقيضه من الأحاديث كانا يريدان أن يقولا رسالة سرّيّة للمسلمين، ولكن مع

الأسف الشديد فإن جنود السلطة استخدمت كتابيهما كأحسن وسيلة لفتوى السلطان، حيث صار يجد فيه مايشاء من الأحكام، فالسلطان لم يعد مقيداً بأيّ شرع أو أي نظام إلا مشيئته وأهوائه الشخصية.

وهناك أساليب أخرى للتعبير؛ مثل الحديث التالي:

٨ ـ الحديث رقم (٢٦٦٩) : عن صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«لتتبعنّ سننَ الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لاتبعتموهم، قلنا اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

(أي فمن يكونوا إذا لم يكونوا اليهود والنصارى؟).

هذا وسأذكر من كتاب الإمام ابن قيم الجوزية بعض العناوين فقط لأعطي فكرة للقارىء إلى أي مدى بلغ الوهم والظن عندما اعتمد رجال ديننا في عصور الانحدار الإسلامي على الأحاديث المروية باسم الرسول وبالألاف، ومصدرهم في علومهم كلها كتب أهل الكتاب المحرفة، فأتت غالباً مناقضة لكل العلوم الصحيحة، وكل مافي كتاب الرحمن.

وفي الكتاب سبعون باباً يكفي أن أذكر ـ كما قلت ـ عناوين بعضها حتى نأخذ فكرة عنها دون داعٍ للدخول في متاهاتِ تلك الأبواب.

الباب الأول: في بيان وجود الجنة الآن.

الباب الثاني: في اختلاف الناس في جنة آدم هل هي جنة الخلد.

الباب التاسع: في ذكر عدد أبواب الجنة.

الباب الثاني عشر: في صفة أبوابها.

وأغلب فصول هذه الأبواب منقولة بتصرف من كتب أهل الكتاب مع الإضافات الضرورية هنا وهناك للتمويه.

وإليكم مثلاً وصفاً لأبواب الجنة كما وردت في كتب أهل الكتاب، وهي تصف لنا أبواب أورشليم القدس (وأخذني بالروح إلى قمة جبل عال وأراني المدينة المقدسة أورشليم نازلةً من السماء من عند الله، ولها مجد الله وهي تتلألأ كالأحجار الكريمة، وكأنها من حجر اليشب البلّوري لها سورٌ ضخم عال، واثنا عشر باباً يحرسها اثنا عشر

ملاكاً، وقد كتب عليها أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر. إلى الشرق ثلاثة أبواب وإلى الشمال ثلاثة أبواب وإلى الجنوب ثلاثة أبواب، وإلى الغرب ثلاثة أبواب. ويقوم سور المدينة على اثنتي عشرة دعامة، كتبت عليها أسماء رسل الحَمَل الاثني عشر كانت المدينة مبنية من ذهب خالص شفاف كالزجاج النقي. أما سورها فمن حجر اليشب، وهو قائم على اثنتي عشرة دعامة مرصّعة بالأحجار الكريمة:

كانت الدعامة الأولى من اليشب، والثانية من الياقوت الأزرق والثالثة من العقيق الأبيض، والرابعة من الزمرد الذُبابي، والخامسة من الجذع العقيقي، والسادسة من العقيق الأحمر، والسابعة من الزَّبرجد، والثامنة من الزُّمرد السَلَقي، والتاسعة من الياقوت الأصفر، والعاشرة من العقيق الأخضر، والحادية عشرة من الأسمانجوني والثانية عشرة من الجمشِت.

أما الأبواب الاثنا عشر فهي إثنتا عشرة لؤلؤة كل باب لؤلؤة واحدة وساحة المدينة من ذهب خالص كالزجاج الشفاف.... ولم تكن المدينة في حاجة إلى نور الشمس أو القمر لأن مجد الله ينيرها)(*).

وهذا نموذج عن مصدر علم علمائنا الذين ألّفوا لنا الكتب من علمهم الزاخر، فأصبحوا بمثل هذه العلوم من العلماء الجهابذة. فصاروا فيما بعد يقولون ليس في القرآن علم. إنما العلم عندهم فقط.

ثم نتابع أبواب الكتاب:

الباب الثاني عشر: في ذكر المسافة مابين الباب والباب.

الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي؟

الباب الرابع عشر: في مفتاح الجنة؟

الباب السابع عشر: في درجات الجنة.

الباب الثاني والعشرون: في ذكر بوابيها وخزنتها.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر أول من يقرع باب الجنة.

الباب السادس والعشرون: في ذكر أول الأمم دخولاً للجنة.

الباب الثلاثون: في أن أكثر أهل الجنة هي من أمة محمد ﷺ.

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي الإصحاح ٢١ ـ الفقرات ١٠ ـ ١٤ بالانتقاء.

الباب الثاني والثلاثون: فيمن يدخل الجنة بغير حساب.

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر تربة الجنة وطينها وحصائها ونباتها.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر قصورها ومقاصيرها وخيامها.

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم.

الباب الرابع والأربعون: في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها.

الباب الخامس والأربعون: في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها.

الباب السابع والأربعون: في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها.

وحتى تتأكدوا أن المصادر هي ماحدثتكم عنه لنستمع إلى هذا الحديث:

«وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا سعيد بن ساق، حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل عن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند، جيحون وهو نهر بليخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر».

وقد فات المسلمين أن هذه الأنهار التي يصفها أهل الكتاب من اليهود في جنتهم لايقصدون بها جنة السماء، لأنهم لايؤمنون بها، بل يؤمنون أن الجنة هي الدنيا فقط، فأخذنا نحن أفكارهم ونزلناها في جنة السماء. وإذا سألنا أحد من أين مصادر العلم لمحمد ﷺ حول هذه المواضيع؟ هل نقول له: إن الرسول قد تعلمها من التوراة؟

الباب الثامن والأربعون: في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه.

الباب الخمسون: في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم.

الباب الثالث والخمسون: في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وأوصافهن وحالهنّ الظاهر والباطن وجمالهن.

الباب الرابع والخمسون: في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن.

الباب الخامس والخمسون: في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك ونزاهته

عن المزى والمني.

الباب السادس والخمسون: في اختلاف الناس، هل في الجنة حمل وولادة؟ وحجة الفريقين (لقد أصبحنا شيعتين قبل أن نصل إلى الجنة) ـ المؤلف.

الباب الثامن والخمسون: في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم.

الباب الستون: في ذكر سوق الجنة وما أعدّ الله فيها لأهلها.

الباب الخامس والستون: في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم.

وكمثال أيضاً سوف أذكر لكم مصدر رؤية الله، علماً أن باقي الأبواب أستطيع أن أضرب المثل عن مصدرها من كتب أهل الكتاب، لأن كل هذه المواضيع مصدرها ليس من القرآن، ورب العالمين يعتبر هذه الأمور من غيبه الذي لم يطلّع عليه مخلوق بعد، وكلها من خيالات أهل الكتاب ومحرّفاتهم:

(ثم أراني الملاك نهر ماء الحياة صافياً كالبلور ينبع من عرش الله والحَمَل (الحمل في العهد الجديد دائماً هو رمز المسيح) ويخترق ساحة المدينة وعلى ضفتيه شجرة الحياة تثمر اثنتي عشرة مرّة، كل شهر مرة وأوراقها دواء يشفي الأمم. لن تكون فيما بعد لعنة أبداً. لأن عرش الله والحمل قائم في المدينة حيث يخدمه عبيده، ويرون وجهه ولن يكون هناك ليل، فلا يحتاجون نور مصباح أو شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين)(*).

نكمل عنوان الباب الخامس والستين: في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة، كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكاً إليهم سبحانه لا إله إلا هو. وهكذا ترون أن آلاف الأحاديث مروية عن لسان الرسول في ديننا، وكل مايقوله الرسول محمد فيها هو معلومات منقولة غالباً عن كتب أهل الكتاب التي تناقض معلومات القرآن الكريم، ونحن المسلمون نقول دون أن نعلم أن محمداً أصبح يهودياً بعد أن ترك دين القرآن. هل تصدقون ذلك؟ هذا بالفعل مانقوله بكل هذه الروايات عن لسان الرسول ظلماً له، وظلماً لأنفسنا، ونحن بعد ذلك نقول إننا مسلمون؟!!

والله سبحانه وتعالى قد أصبح في خيال المسلمين وأوهامهم تماماً كما هو مذكور في كتب أهل الكتاب المحرّفة، ادخل إلى أي كنيسة كبيرة من كنائس الدنيا ثم انظر إلى

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ١ ـ ٥.

القبة وعلى الجدران والسقوف سوف ترى صورة الله كإنسان يناهز الخمسين من العمر، أشيب الشعر، قوي العضلات يجلس على عرشه في السماء، وحوله الملائكة والمقربون والقديسون.

ونحن المسلمين وإن كنا لانصوره في المساجد إلا أننا نشترك معهم بنفس التصورات التي أخذناها منهم في الأحاديث المنسوبة ظلماً للرسول ﷺ.

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً».

(وقال الله نَعمَلُ الإنسان على صورتنا كشبهنا)(*).

(فخلق الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه)(*).

(يدخل أهل الجنة جُرْداً مُرْداً بيضاً (لاحظوا أنّ الله هنا عنده تمييز عنصري لايدخل الجنة إلا البيض، والسود دائماً من أهل النار، وهذا موجود فقط كما تعلمون في مصادر أهل الكتاب وليس في الإسلام أحببت أن أذكّر القارىء حتى يستيقن أن المصادر دائماً من كتب أهل الكتاب وليس من إسلام القرآن أبداً) ثم يكمل أبو هريرة الحديث عن الرسول ﷺ فيقول:

«بيضاً جعاداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين».

يجب أن يعلم القارىء أن عيسى بن مريم عندما توفاه الله كان في الثالثة والثلاثين بحسب مصادر أهل الكتاب.

وعن حديث لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُردّون بني ثلاث وثلاثين سنة في الجنة لايزيدون عليها أبداً..

٩ ـ وأيضاً من الصحيحين عن أبي هريرة:

«أولُ زمرةٍ تلج الجنة» الحديث... وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب، أي في سن واحدة، ليس فيهن العجائز والشواب (الشائبات) وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة مالايخفى، فإنَّهُ أبلغُ وأكملُ في استيفاءِ اللّذات، لأنه أكمل

(*) سفر التكوين الإصحاح ١ ـ الفقرة ٢٦.

(*) نفس المصدر ـ الفقرة ٢٧.

سنّ القوة مع عِظَم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ولايخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما عن الآخر فات الاعتدال، وتناسب الخلقة يصيرُ طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب والله أعلم.

أعظم عبارة في كل هذا المقال الكلمتات الأخيرتان. وهما:

ـ الله أعلم ـ

١٠ ـ وتحت باب ذكر المادة التي خلق منها الحور العين أحاديث منسوبة للرسول، أن الحور العين مخلوقة من الزعفران (والحديث «إن لِوَليّ الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من زعفران وهذا مرويّ عن صحابيّين وهما: ابن عباس وأنس، وعن تابعين: وهما أبو مسلمة ومجاهد، وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات، والله أعلم).

وكما تلاحظ فإن العلماء أنفسهم لعدم تأكدهم من علمهم ينهون لك الحديث بكلمة (والله أعلم) وهذا صحيح، ولكن الافتراء على الله والرسول غير صحيح. لامن جاهل ولا من عالم، وإذا كانت من العالم فهي أشد وأدهى طبعاً.

وفي الباب الحادي والأربعين (في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها).

١٣ ـ الحديث رقم (٣١٥) من صحيح مسلم: عن ثوبان قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حِبرٌ من أحبار اليهود. إلى أن قال: فقال اليهودي للرسول ﷺ جئت أسالك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك بشيء إن حدثتك! أسمع بأذني». فنكت رسول الله ﷺ بعودٍ كان معه (في الأرض) فقال: سل؟ فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظُّلمَةِ دون الجسر».

قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين».

قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

قال: «زيادةُ كبد الحوت».

قال: فما غذاؤهم على أثرها؟

قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها».

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا».

قال صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: «ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمعُ بأذُني. قال: جئت أسألك عن الولد؟

قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا مَنِيُّ المرأَةِ منيَّ الرَّجل أذْكَرَا بإذن الله (أي كان الولد ذكراً).

وإذا علا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجل أنثى بإذن الله (أي كان الولد أنثى).

قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به».

عندما نسمع أحاديث من هذا النوع نفرح ونصفق من سذاجتنا وغبائنا المتأصل نتيجة تراكم أحاديث مثلها في عقولنا، ولو كنا نقرأ القرآن وحده لعلمنا أن كل الذي قاله المنافقون في الحوار باسم الرسول ظلماً هو كله من غيب الله ولايعلمه إنس ولا جان ولا ملاك بعد، وليس مايخجل أبداً إذا سئل أحدنا مثل تلك الأسئلة أن نجيب السائل (الله أعلم). يجب أن لانظن أن الأوهام المكتوبة في كتب أهل الكتاب علماً، فماذا استفاد الذي ألصق هذه التهم بالرسول الكريم؟

واليوم يكتشف العلم الحديث أن الأنوثة والذكورة تتبع لمني الرجل فقط وأنه لامني للمرأة، ولكن لها بيضة تنتظر اللقاح من الذكر.

هل نقول اليوم: إن الرسول قد كذب؟ أم نقول: إن الرسول ﷺ أصلاً لم يكن طرفاً في الحوار مع هذا الرجل الموهوم؟ والذي وضع الحديث وضعه ليؤكد للناس أن الرسول يعرف غيب الله كله حتى نؤله الرسول مع الله؟ ومن هو خليفة الرسول ﷺ؟ هو السلطان، الذي صار من حقه التأليه من بعد الرسول، ومصدر هذا الحديث الشريف هو من كتب أهل الكتاب المحرفة والذي وضع الحديث وافتراه هو أحد المنافقين ليسخر منا ومن سذاجتنا ومن عقولنا ويضحك علينا وعلى علمائنا. ألم تلاحظوا أثناء وصف الراوي للرسول قال: كان جالساً ينكت في الأرض بعود كان في يده، فوراً بتداعي

الأفكار تذكرتُ صورةً للمسيح عليه السلام مسجلة في إنجيل يوحنا:

(ثم حضر أيضاً إلى الهيكل في الصبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم وقدّم إليه الكتبة والقديسون امرأة أمْسِكَتْ في زنى. ولما أقاموها في الوسط قالوا له: يامعلم هذه أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت؟ قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم مايشتكون به عليه وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض، ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر. ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض (أي ينكت في التراب)(*) بحسب نص الحديث السابق.

وفي الباب رقم (٤٨) حديث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشوياً». وفي حديث عن أبي سعيد الخدري: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يصنعه الجبار (الجبار اسم غالباً يستخدم في التوراة) مثل هذه الخيالات نسميها علماً، وعلى مثل هذه العلوم نسمي رجال الدين بالعلماء.

وإذا قلنا لهم كما قال الله سبحانه:

﴿قل هاتوا برهانَكم إن كنتم صادقين﴾ ١١١ ـ البقرة.

يأتون بالسند، ويقولون هؤلاء الرجال كلهم من الملائكة الذين لايستطيعون الكذب على الله وعلى الرسول، بدليل أن كل جنود السلطان قد شهدوا لهم بذلك!.

١٤ ـ الحديث رقم (٢٨٢٦) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال:

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة».

ماهي الآية التي في القرآن وفيها الله سبحانه وتعالى يعلمنا عن غيبه بهذا الخبر؟

١٥ ـ الحديث رقم (٢٨٣٤) مسلسل رقم (١٥) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والذين يلونهم على أشد

(*) إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن ـ الفقرات ٣ ـ ٨.

كوكب درّيّ، في السماء إضاءةً. ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يغتسلون. أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة(*). وأزواجهم الحور العين. أخلاقهم على خلق رجل واحد. على صورة أبيهم آدم. ستون ذراعاً في السماء. (وآدم على صورة الله).

١٦ ـ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هل يمسُّ أهلُ الجنة أزواجهم؟ «نعم. والذي بعثني بالحق بذكرٍ لايمل وفرجٍ لايحفى وشهوةٍ لاتنقطع»

وفي رواية أخرى أيضاً عن أبي هريرة: أنه قال: يارسول الله أنطأ في الجنة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهّرةً بكراً»(**).

وعن الآية الكريمة ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شُغلٍ فاكهون﴾ : عن عبد الله بن مسعود بأن الرسول قد أوّل لهم هذه الآية وهي من المتشابه في القرآن (قال: شغلهم افتضاض العذارى) وعن أبي هريرة سأل الرسول (يارسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء)(***).

١٧ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول لله ﷺ: «يسطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»(****).

١٨ ـ وعن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الحواري فإذا أعجب رجل منهم جارية مسّ معصمها فتتبعه»(*****).

١٩ ـ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل، عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «لاتؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتُؤذيه قاتَلَكِ الله فإنما هو عندَكِ دَخيلٌ (ضَيفٌ) يوشكُ أن يفارقكِ إلينا» وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ

(*) وقد ورد في حاشية الإمام مسلم تفسيرها على النحو التالي. الألوّة: هو العود الذي يُتَبَخَّرُ به، العود الهندي.

()* عن كتاب حاوي الأرواح لابن قيم الجوزية، ص ٢٧٩ ـ طبع وتوزيع دار الهدى ـ الرياض.

(***) عن كتاب حاوي الأرواح ـ لابن قيم الجوزية ص ٢٧٩.

(****) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٧٥.

(*****) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٧٥.

قال: «إن الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهم يقلن: اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين»(*).

ومن كثرة هذه الأحاديث التي أغلبها تركز على الجنس وأفعال الجنس وقوة الجنس صار الشرقي الذي هو المسلم بشكل عام لايرى في المرأة إلاّ آلة جنسية، لايرى فيها نفسها الإنسانية، ولايرى فيها مزاياها الأخرى، ولايستطيع أن يرى فيها أنيساً أو جليساً أو رفيقاً أو صديقاً أبداً كل ما يراه ويعلمه هو فقط: (ذكرٌ لايمِل وفرج لايحفى وشهوَةٌ لاتَنقَطِع) والوصول إلى مائة عذراء في اليوم. ليكون شُغلُهُ وشاغلُهُ هو افتضاض العذراى.

هل هذا هو إسلام القرآن؟ هل من أجل ذلك أرسل الله رسوله ومعه رسالة ليبلّغها للعالمين؟ . هل هذا هو الهدى والنور الحق الذي في الكتاب المبين؟

إننا أيها الناس في الاتجاه الخاطيء، وبين أيدينا الوحي الخاطيء ونسير على سبل الشيطان، وإن كنا لانعلم ليس ذلك عذراً كافياً، علينا أن نعلم ونتعلّم حتى نعود للحق الذي لايُعلى عليه، علينا العودة إلى كتاب الرحمن ودينه، ولنترك مانعبده كلّه إلى غير رجعة إليه أبداً، إن كنا نفهم ونستطيع أن ندرك ونميز الخيرَ من الشرِّ والحقَّ من الباطلِ مستخدمين ميزانَ الله الذي معنا وهو عقلُنا وقرآننا.

عندها لن يسخر منا أحد، ولن يستطيع أن يسخر منا منافق.

وسوف يحترمنا الجميع، لأننا استطعنا أن نفرض احترامنا. وإن لم نفعل ولم نتحرك خسرنا الآخرة أيضاً كما خسرنا الدنيا.

أم أننا ربحنا الدنيا وأنا وحدي الذي أحسّ بالجحيم؟.

٢ ـ موضوع جَهَنَّم:

﴿لهم من جَهَنَّم مهادٌ ومن فَوقِهم غواشٍ وكذلك نجزي الظالمين﴾ ٤١ ـ الأعراف.

﴿فادّخلوا أبواب جهنَّم خالدين فيها فلبئسَ مثوى المتكبِّرين﴾ ٢٩ ـ النحل.

﴿وعرضنا جهنّمم يومئذٍ للكافرين عرضاً﴾

﴿وتركنا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعضٍ ونفخَ في الصورِ فجمعناهُم جمعاً﴾ ٩٩ ـ الكهف.

(*) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٧٦.

﴿فوربّك لنحشرنّهم والشياطين ثم لنحضرنّهم حولَ جهنّم جثيّاً﴾ ٦٨ ـ مريم.

﴿إن من يأتِ ربَّه مجرِماً فإنّ له جهنمَ لايموتُ فيها ولا يحيى﴾ ٧٤ ـ طه.

﴿وجيء يومئذٍ بجهنّم يومئذ يتذكر الإنسانُ وأنى له الذكرى﴾ ٢٣ ـ الفجر.

﴿فاتّقوا النارَ التي وَقودُها الناسُ والحجارة﴾ ٢٤ ـ البقرة.

﴿إن المنافقين في الدّركِ الإسفلِ من النار﴾ ١٤٥ ـ النساء.

﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتَني من نارٍ وخلقتَهُ من طينٍ﴾ ١٢ ـ الأعراف.

﴿والجان خلقناهُ من قبلُ من نارِ السّموم﴾ ٢٧ ـ الحجر.

﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نارٍ﴾ ١٩ ـ الحج.

﴿يكادُ زيتها يضيء ولو لم تمسَسه نار﴾ ٣٥ ـ النور.

﴿إن ذلك لحقٌّ تخاصُمُ أهل النار﴾ ٦٤ ـ ص.

﴿لهم من فوقهم ظللٌ من النار ومن تحتهم ظللٌ﴾ ١٦ ـ الزمر.

﴿يرسلُ عليكما شواظٌ من نارٍ ونحاس فلا تنتصران﴾ ٣٥ ـ الرحمن.

﴿قُتِلَ أصحابُ الأخدود * النارُ ذاتُ الوقود﴾ ٥ ـ ٦ ـ البروج.

﴿وما أدراكَ ما الحطَمة نارُ الله الموقَدَة﴾ ٦ ـ الهمزة.

﴿إنا أعتدنا للكافرين ناراً أحاطَ بهم سُرادِقُها﴾ ٢٩ ـ الكهف.

ورد في (باب معرفة الرؤيا) من صحيح مسلم:

١ ـ الحديث رقم (١٨٢) مسلسل (٢٩٩): عن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ:

(يارسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟) فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون من رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يارسول الله. قال: «هل تضارون في الشمس دونها سحاب؟». قالوا: لا يارسول الله! قال: فإنكم ترونه كذلك. يجمع الله الناس يوم القيامة. فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس. ويتبع من كان يعبد القمر القمر. ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. وتبقى هذه الأمة

فيها منافقوها. (والحديث طويل جداً وسوف أحاول أن أختصر).... فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك. هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون أنت ربنا. فيتبعونه ـ انتهى نص الحديث الشريف ـ.

(انتبهوا! لايضللكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو الرب ويضللون كثيرين) إنجيل متى ـ الإصحاح ١٣ ـ الفقرة ٥، وهذه من أقوال السيد المسيح التي يرويها أصحابه.

وأهل المسيح يرون صورة المسيح كل يوم أحد في كنائسهم فهم يعرفون صورته لذلك في الحديث يقول لهم (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون).

(وهل لله صورة مصورة إلا عند أهل الكتاب حتى يتعرفوا على ربهم من خلاله؟ هل للمسلم صورة سابقة عن الله يتعرف بها من خلالها على الله إذا رآه؟ نقول لهم: إن مصادركم كلها مِن كُتبِ أهل الكتاب فلا يصدقون) ـ المؤلف.

ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولايتكلم يومئذ إلا الرسل.

(علماً أن الصراط في القرآن هو السبيل الذي يسلكه الإنسان، فإن كان سبيلاً للخير وسار عليه الإنسان متقيداً بوصايا ربه العشرة، سماه الله الصراط المستقيم:

﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتّبعوا السُّبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله﴾ ١٥٣ ـ الأنعام.

وكما قلت الصراط المستقيم هو اتّباع الوصايا العشرة في جميع رسالات الله التي كلها الإسلام. فليس عند الله أديان متعددة للناس. لكن الناس هم بتحريفهم خلقوا تعدد الأديان عند الناس. وعدم اتباع الوصايا معناه الوقوع في كبائر الإثم، وهي بالمقابل عشرة أيضاً.

والصراط المستقيم هو السبيل الذي أظهرهُ لنا ربّنا حتى نسلكَه في الدنيا وقبل يوم الحساب، أما في الآخرة فلم يعد لنا أي خيار بالمسير على أي سبيل، بل يكون ذلك قد تقدر بحسب ماأصبح في رصيدنا من أعمال الخير مع الابتعاد عن أعمال الشر خاصة كبائر الإثم. وعند الله ميزان وهناك عدل الله حيث لن يظلم أحد، وحساب الله سريع فلا داعي للانتظار في صفوف طويلة، عنده القدرة على محاسبة كل الناس دفعة واحدة وكأنه يحاسب نفساً واحدة:

﴿ما خَلْقُكُم ولابَعْثُكُم إلا كنَفسٍ واحدةٍ إنّ الله سميعٌ بصير﴾ ٢٨ ـ لقمان.

وبعد الحساب يذهب الذين كانوا يتبعون الصراط المستقيم إلى الجنة كما وعدهم ربهم، أما الذين كانوا يتبعون سبل الشياطين فليس لهم إلا سبيل الجحيم:

﴿احشرُوا الذين ظَلَموا وأزواجَهُم وماكانوا يعبدونَ من دونِ الله فاهدوهُم صراطَ الجحيم﴾ ٢٣ ـ الصافات.

أما بحسب أحاديثنا العزيزة على قلوبنا فالأمر مختلف جداً عما هو عليه في كتاب الله، وكما تشاهدون في هذا الحديث الذي بين أيدينا الآن: نفس حديث أبي هريرة رقم (١٨٢) ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان (حيث يعلّق اللحام الذبيحة) هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السعدان.. تخطف الناس بأعمالهم ومنهم المجازى حتى ينجى. حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار (تماماً كما يفعل السلطان) أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله. فيعرفونهم في النار. فيعرفونهم بأثر السجود (الزبيبة على الجبين) تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود. حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود. (حتى صار همُّ كلِّ المصلين من وهمهم ومن معتقداتهم التي كلها أوهام أن يحف جبهته بأي شيء خشن حتى يخلق لنفسه زبيبة من أثر السجود. مساكين نحن المسلمين ليس في رؤوسنا الكبيرة إلا أوهام وأباطيل أكبر منها) فيُخرَجُون من النار وقد امتَحَشُوا فيُصَبُّ عليهم ماء الحياة.

(لاذكر لماء الحياة في القرآن ولكننا نجده في العهد الجديد).

(ثم أراني الملاك نهر ماء الحياة صافياً كالبلور ينبع من عرش الله والحَمَل (المسيح)[*].

فينبتون منه كما تنبت الحبة من حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً للجنة: فيقول: أي رب! اصرف وجهي عن النار فإنه قد قَشَبَني ريحُها وأحرقني ذُكاؤُها. فيدعو الله ماشاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عَسَيتَ إن فَعَلتُ ذلك بكَ أن تسأل غيرَهُ فيقول: لا أَسأَلُكَ غيره. ويُعطي ربَّه من عهود ومواثيق ما شاء الله. فيصرف الله وجهَهُ عن

(*) سفر الرؤيا الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ١ ـ ٢.

النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ماشاء الله أن يسكت. ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لاتسألني غير الذي أعطَيتُكَ. ويلكَ يابن آدمَ ما أغدَرَكَ! فيقول أي ربِّ! ويدعو الله حتى يقول له: فهل عَسَيتَ إن أعطيتُكَ ذلك أن تسأل غيره فيقول لا. وعزَّتك! فيعطي ربه ماشاء الله له من عهود ومواثيق. فيقدمه إلى باب الجنة. فإذا قام على باب الجنة انفَهَقَت له الجنة. فرأى مافيها من الخير والسرور. فيسكُتُ ماشاء الله أن يسكتَ ثم يقول: أي رب! أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك، (هكذا باختصار تتكرر عمليات السؤال وإعطاء العهود والمواثيق من العبد الغادر الذي يطلب أخيراً أن يدخله الله الجنة) فيقول له الله تبارك وتعالىلا أليس قد أعطيتني عهودك ومواثيقك أن لاتسأل غير ما أُعْطيت؟

ويلك ياابن آدمّ ما أغدرك! فيقول أي رب! لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى (كاتب هذه الكوميديا الإلهية هو من منافقي أهل الكتاب أصلاً وكان يسخر منّا جميعاً وهو يتخيل. أمامه سلطان المسلمين على عرشه وحوله حاشيته من المقربين والندماء من جلسائه وهو يتسلى بأحد سجنائه من عبيده ليُذهِبَ عن نفسه الضَّجَر) ـ المؤلف).

فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تَمَنَّه. (أي تمني ماتشاء) فيسأل ربه وَيَتَمَنّى. حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت الأماني قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه».

إنها مثل قصص أبي نواس وهارون الرشيد في قصص ألف ليلة وليلة أو مثل قصص العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

هل هذا الحديث الذي قرأتموه الآن هو وحي من السماء؟

ومن نفس مصدر القرآن الكريم؟

وهذا الحديث بحسب ماورد في صحيح مسلم أنه انتقل بالرواية وبدون كتابة حيث يقول: حدثني زهير بن صرب. حدثنا يعقوب بن إبراهيم ـ حدثنا أبي عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ـ فحدثهم الرسول الحديث الذي قرأتموه، وفيه الكلمات التالية التي لايمكن فهمها بدون الرجوع لأمهات القواميس العربية:

شوك السعدان: حديدة معكوفة يعلق بها اللحم.
امتحشوا: احترقوا واسودوا من النار.
حميل السيل: البذور التي تنبت في جوانب السيول.
قَشَبَني: سَمَّني وآذاني وأهلكني.
ذُكاؤها: لهيبها واشتعالها الشديد.
انفهقت: انفتحت واتسعت.

يستحيل هذا الحديث أن ينقله شخص لآخر إلا عن طريق الكتابة، فليس هو مفترى على الرسول فحسب بل مفترى على كل رجال السند وهم منه براء.

وحتى تتأكدوا أنه من التوراة فقد أورد الإمام مسلم الدليل: رحمه الله:

المسلسل (٣١٣) من صحيح مسلم: عن الشعبي يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر: إن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل عن أخَسّ أهل الجنة منها حظاً وساقَ الحديث بنحوه. أي أن الحديث كان للرسول موسى وليس للرسول محمد ﷺ.

٢ ـ ثم هناك رواية أخرى في صحيح مسلم هو الحديث رقم (١٩١): عن ابن جُرَيج عن جابر:

«ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله هكذا من دون حساب أو ميزان أو سؤال أو جواب، تخطف الكلاليب من يشاء الله منهم ليعذبه في جهنم.

وهكذا صور لنا الحاقدون عدالة الله في السماء في الوحي الثاني الذي قبلنا به نحن المسلمين وسلمونا إياه بدلاً عن الوحي الأول الذي هو القرآن بعد أن أقنعونا أنه لايخص الأحياء على الأرض، بل أرسله الله حتى يُقرَأ على الأموات. فصار تخيلنا بعد ذلك لعدالة الله تماماً مثل الواقع الذي نراه من عدالة السلطان وجنوده على الأرض.

ثم تحل الشفاعة فمن يجد من يشفع له خرج من النار، ومن لم يجد فإنه لن يحصل على أي شيء، تماماً كما يحصل معنا على الأرض. فالذي لديه من يشفع له ويزكيه دخل الجنة، وإن زنى وإن قتل، والذي ليس له من يشفع له تخطفه الكلاليب إلى جهنم.

٣ ـ الحديث رقم (٢٨٣٨) من صحيح مسلم: عن أبي بكر عن أبيه عن النبي قال: إن

للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون (أي نساء) يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً (أي إن كل ذلك المكان الفسيح، والذي طوله ستون ميلاً مليء بالحور العين يطوف عليهنَّ المؤمن وليس له شغل إلا افتضاض البكارى من العذارى كما قرأنا قبل ذلك).

وفي رواية أخرى: يضيف: (في كل زاوية منها أهل (نساء) مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن).

٤ ـ الحديث رقم (٢٨٤٤) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سُمِعَ وَجبَة (صوت ارتطام) فقال النبي: «تدرون ماهذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار حتى انتهى إلى قعرها» (والمسلمون يقولون بعدها: صدق رسول الله) علماً أن كلمة (الله ورسوله أعلم) إشراك علنيّ بالله حيث جعلنا الرسول شريكاً للع بالعلم.

(وتناول ملاك قوي جداً حجراً كأنه حجر طاحونة عظيم وألقاه في البحر)(*).

(وحكم على كل واحد بحسب أعماله وطرح الموت وهاوية الموتى في بحيرة النار (أي قتل الله الموت) الذي هو الموت الثاني. كل من لم يوجد اسمه مكتوباً في سجل الحياة طرح في بحيرة النار!)(**).

وهذا دليل آخر على أن مصدر أبي هريرة هو التوراة الذي يعتبر أن الجنة والنار مكانهما على الأرض بحسب مكتتباتهم الموجودة حالياً. بينما الجنة والنار بحسب القرآن في مكان آخر وفي كون غير هذا الكون الزائل:

(في جنةٍ عرضُها السمواتِ والأرض).

٥ ـ الحديث رقم (٢٨٥١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحُد (جبل أحد) وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام. وفي رواية أخرى أيضاً لأبي هريرة عن الرسول:

«مابين منكبي الكافر في النار مسير ثلاثة أيام للراكب المسرع».

(*) سفر الرؤيا الإصحاح ١٨ ـ الفقرة ٢١.

(**) سفر الرؤيا الإصحاح ٢٠ ـ الفقرات ١٣ ـ ١٤.

والمسلم الذي يقرأ هذا يستغرب هذا الوصف الذي لايعرف مصدره الأساسي. فليس في كتاب القرآن مثل هذا الكلام أبداً كلها من الأوهام والأباطيل.

ومصدر أبي هريرة هذه المرة من التلمود، عن قصة عوج بن عناق الذي كان من أبناء الله الذين تزوجوا من بنات الإنس (وقد تحدثت عن ذلك سابقاً)، وهو بحسب وصف التلمود قدمه أربعين ميلاً (*).

٣ ـ موضوع الصّور:

﴿يومَ ينفخُ في الصور﴾ ٧٣ ـ الأنعام.

﴿ونفخَ في الصورِ فجمعناهم جَمعاً﴾ ٩٩ ـ الكهف.

﴿يوم ينفخُ في الصور ونحشرُ المجرمين يومئذٍ زرقاً﴾ ١٠٢ ـ طه.

﴿فإذا نفخُ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ ١٠١ ـ المؤمنون.

﴿ويوم ينفخُ في الصورِ ففزعَ مَن في السمواتِ ومنْ في الأرض﴾ ٨٧ ـ النمل.

﴿ونفخ في الصورِ فإذا هم من الأجداثِ إلى ربّهم ينسِلونَ﴾ ٥١ ـ يس.

﴿ونفخَ في الصور فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون﴾ ٦٨ ـ الزمر.

﴿فإذا نفخ في الصور نفخةٌ واحدة. وحُمِلَت الأرضُ والجبالِ فدكّتا دكّةً واحدة. فيومئذٍ وقعَت الواقعةُ. وانشقّت السماء فهي يومئذٍ واهيةٌ. والمَلَكُ على أرجائها ويحملُ عرشَ ربِّكَ فوقَهم يومئذٍ ثمانية.﴾ ١٧ ـ الحاقة.

﴿يومَ ينفخ في الصورِ فتأتون أفواجاً * وفتحت السماء فكانت أبواباً * وسيّرت الجبالُ فكانت سراباً * إن جهنم كانت مرصاداً * للطاغين مئآباً * لابثينَ فيها أحقاباً * لايذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حميماً وغسّاقاً * جزاء وفاقاً﴾ ١٨ ـ ٢٦ ـ النبأ.

إذا تلونا هذه الأيات بتمعن وهدوء سوف نفهم ماهو الصور، وماذا يعني به الله سبحانه. إنها أوصاف للأحداث يوم القيامة يوم ميقات الساعة التي يحتفظ بها ربنا في غيبه، وليس لنا أي حق في تأويل هذه الآيات أبداً كما تعلمنا ذلك من قبل. لكن

(*) الكنز المرصود ـ ص ٥٣ ـ والتلمود تاريخه وتعاليمه ص ٨٢.

يطالعنا الذين خربوا علينا ديننا وأخرجوا القرآن من حياة المسلمين، وقبلنا ذلك كأمة، وهو أكبر ظلم قبلناه لأنفسنا في تاريخ البشرية كله والقرآن حيّ نابض سليم على بعد بوصات من أيدينا ولم نحاول أن نفتحه لنرى النور الذي فيه. لا أستطيع حتى اليوم أن أتصور كيف حصلت هذه الحقيقة، حقيقة أننا قبلنا بكل هذا الباطل والأوهام على أنه من الله وصدقناه وآمنا به واتبعناه، ولم نتبع ماقاله لنا الله في كتابه القرآن.

ألف وأربعمائة عام وكتاب النور والحق بين أيدينا ولم نر ذلك النور ولا ذلك الحق، ونحن نلهث وراء الأوهام والأباطيل، خلال كل تلك القرون الطويلة التي قاسينا فيها عذاب الله الشديد وغضبه ونقمته، وكتاب النعم والخير إلى جانبنا ولم نفكر أن نفتحه لنرى مافيه من الهداية والعدل والنظام والعلم أبداً.

١ ـ الحديث رقم (٢٩٥٥) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة: قال: قال رسول لله ﷺ:

«مابين النفختين أربعون»

«ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل»

قال رسول الله: «وليس من الإنسان شيء إلا يَبلى. إلا عظماً واحداً وهو عظم الذنب (العصعص) ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

٢ ـ الحديث رقم (٢٨٦٠) من صحيح مسلم: عن ابن عباس سمع النبي يخطب وهو يقول:

«إنكم ملاقوا الله مشاةً حفاةً عراةً غُرْلاً» (غُرْلاً: أي من غير طهور للذكور).

وفي الحديث التالي نجد مايناقض هذا الحديث:

٣ ـ الحديث رقم (٢٨٦١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين. واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير... وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم في النار، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا (القيلولة) وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا» أي أنهم دخلوا الجحيم قبل الحساب..

أغلب هذه الأحاديث مع أحاديث الإسراء والمعراج عند المسلمين مستوحاة جميعاً من مصدرين وهما: سفر حزقيال من العهد القديم. التوراة. أو من سفر يوحنا اللاهوتي،

الذي يدعى سفر الرؤيا في آخر كتاب العهد الجديد. (الكتاب المقدّس).
وفي سفر الرؤيا نجد علامات الساعة التي نراها في أحاديث عندنا منسوبة للرسول ﷺ وكما نجد أيضاً بدل نفخ الصور نفخ البوق:
(ولما نفخ الملاك الخامس في بوقه رأيت نجماً قد هوى وأعطي مفتاح الهاوية السحيقة فلما فتحها اندفع الدخان كأنه من أتون عظيم).
فيعذبهم دون أن يقتلهم مدة خمسة أشهر والألم الذي يسببه يشبه ألم لدغة العقرب.
(ولما نفخ الملاك الرابع في بوقه حدثت ضربة لثلث القمر وثلث النجوم فأظلم ثلثها. (علامة من علامات الساعة)(*).
ألا تلاحظون معي أننا كلما تعمقنا في أحاديث البخاري ومسلم ابتعدنا عن القرآن وعن صفات الله وصفات الإسلام؟ وغرقنا في شيء لاهو بالتوراة ولا هو بالإنجيل، بل لايمكن تحديده ووصفه إلا إذا قلنا: إنه بعيد عن الله وبعيد عن الحق وبعيد عن النور وبعيد عن العدل وبعيد عن كل خير؟ فكيف نتوقع الخير مع هذه الأباطيل؟ والله إنها من أعجب الأعاجيب في الدنيا، أن نقبل بكل الذي تسمعونه ديناً ونترك القرآن الكريم ونهجره.
لنتابع ماورد في صحيح مسلم من هذه الأعاجيب:
٤ ـ الحديث رقم (٢٨٦١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العَرَقَ، يوم القيامة، ليذهب في الأرض سبعين ذراعاً. وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم» يشك أحد الرواة أيهما قال أبو هريرة.
٥ ـ الحديث رقم (٢٨٦٤)من صحيح مسلم: عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل».
ألا يعلم بعد صاحب هذا الحديث أن الله تعالى قد أنهى الشمس والقمر في نفخة الصور الأولى ولم يبق هناك شمس لأن الشمس انتهت وكان ذلك هو أجلها المسمى الذي قرأناه في القرآن الكريم؟
فعن أي شمس يتكلم في يوم القيامة؟

(*) العهد الجديد سفر الرؤيا الإصحاح ٨ ـ ٩.

﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ ٢ ـ الرعد.
لذلك فإن الله تعالى إذا لاحظنا في آيات القيامة كلها لايذكر الشمس والقمر أبداً. لأنه ببساطة لاشمس ولا قمر هناك.
قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري مايعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين؟ هذا الكلام في شرح الإمام مسلم.
قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه. ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً».
قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فمه.
٦ ـ الحديث رقم (٢٨٦٦) من صحيح مسلم: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي. إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة. وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار. يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».
بموجب الكلام والأحاديث السابقة كلها والتي تُعتَبَرُ دليلاً ساطعاً على زيف وخداع المنافقين في كل مايقترفون بحق الله ورسوله والمسلمين عامةً. وبموجب ماجاء في هذا الحديث فإنه ليس هناك يوم للحساب والميزان والعدل فكل شيء انتهى أمره. وكأن الأمور تجري في السماء كما هي على الأرض بعدالة السلطان، فالسياف يقطع دون أن يسأل... فهل كلام الله كله في القرآن هو مجرد أكاذيب ووعود باطلة؟ وكأن الله سبحانه (وحاشا أن يكون كذلك) خلق الكون والخلق وأمدّهم بكل الخير والشر ليتفنن في خداع خلقه.. أما علينا أن نتساءل فيما بيننا وبين أنفسنا عن صحة الحق والحقيقة في ماقاله ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما؟
أين نحن من قوله تعالى في القرآن الكريم الذي هجرناه:
﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ ٤٩ ـ الكهف.
فإذا أدركنا ووعينا معنى قوله في هذه الآية الكريمة، لعلمنا مصدر علم وأنباء رسول الله ﷺ من خلال الآيات التالية: (*)
﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخُلدِ هل تُجْزون إلاّ بما كنتم تكسبون *

ويستنبئونك أحقٌ هو قل إي وربّي إنّه لَحَقّ وما أَنتم بمعجزين * ولو أنّ لكلّ نفسٍ ظَلمَت مافي الأرض لافتدَتْ به وأَسَرّوا الندامة لما رأوُا العذابَ وقُضيَ بينهم بالقِسطِ وهم لايظلمون﴾ ٥٢ - ٥٤ - يونس.

﴿ونضعُ الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبينَ﴾ ٤٧ - الأنبياء.

فهل يحكم علينا نحن المسلمين بنسخ هذه الآيات القرآنية من كتاب الله مجرد حديث ملفّق من الرواة حتى وصلوا به إلى الرسول ﷺ وهو يقول: إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي (ليلاً نهاراً) فإن كان من أهل الجنة فمن أهلها، وإن كان من أهل النار فمن أهلها؟ هكذا؟ !هذا مقعدك كما حكم الله لك وحتى يبعثك يوم القيامة؟ لماذا إذاً سيضع الله الموازين القسط ليوم القيامة؟ وما الفائدة من حساب العبد مادام كل شيء قد انتهى وصدر فيه قرار وحكم مسبق حتى قبل أن يولد الإنسان؟ وربما كان لايزال في ظهر أبيه آدم، لنستمع إلى قوله تعالى في الآية التالية:

﴿وإذ أخذَ ربُّكَ من بني آدم من ظهورِهم ذريّتَهم وأشْهَدَهُم على أنفسِهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شَهِدنا﴾ ١٧٢ - الأعراف.

فمعنى الآية واضح، والله سبحانه خلق كل الناس من يوم آدم وحتى الآن على فطرة الإيمان بالله، وهذه الفطرة موجودة حتى عند القبائل البدائية في أستراليا التي لاتعرف شيئاً إلا بالفطرة، فتتجه وحدها إلى السماء وتدعو قوة خفية، تعلم بوجودها فطرةً وليس تعلماً. والرسول ﷺ دلّنا على المعنى الدقيق للفطرة في حديثٍ إن صحّ فهو لايناقض آيات القرآن:

٧ - الحديث رقم (٢٦٥٨): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من مولود إلا ويولد على الفطرة (مؤمناً) فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجسانه» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم:

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله﴾ ٣٠ - الروم.

يتضح لنا الآن مااقترفنا بأيدينا حين تركنا الحق في القرآن الكريم ولهثنا وراء أوهام وأباطيل وكلها أقوال متضاربة، وتناقض ما أنزل الله على نبيه، فإن لم نعد إلى القرآن فإننا نحكم على أنفسنا وأجيالنا من بعدنا بعذاب دائم، ونعرض أنفسنا لغضب الله

ونقمته، فلنغير مابأنفسنا حتى ننعم بعطايا رب العزّة والجلال في دار الدنيا، ولْنعِشْ أعزّاءَ أقوياء أغنياء بفضل الله فنكون في الآخرة من الفائزين بمشيئة الله ورضوانه.

٤ ـ موضوع الساعة: أو يوم البعث:

قبل بحث الأحاديث التي ألّفها المنافقون عن هذا الموضوع؛ أحب أن أضع الآية القرآنية التي نزلت جواباً لسؤال أهل الكتاب أنفسهم، هذا السؤال للرسول محمد ﷺ فلم يستطع أن يقرر من نفسه جواباً لعدم معرفته الجواب، فأعطاه الله الجواب وحياً سماوياً على لسانه، وهذا كان دائماً لأن علم محمد كلّه من الله تعالى وحده لاشريك له:

﴿يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها قل إنّما علمُها عند ربّي لايُجلّيها لوقتِها إلا هو ثقلَت في السمواتِ والأرضِ لاتأتيكُم إلا بَغْتَةً يسألونكَ كأنكَ حَفِيٌّ عنها قل إنّما عِلمُها عندَ الله ولكنّ أكثرَ الناسِ لايعلمون﴾ ١٨٧ ـ الأعراف.

والله سبحانه يقول في الشطر الثاني من الآية:

إنّ الناس يسألونك كأنك عالم بكل غيب الله ولا يعلمون أنك لاتعلم إلا ماأُعْلمك عنه. وحاولت هنا شرح معاني (كأنك حَفيّ عنها) حتى تتوضّح الصورة في ذهن القارىء.

﴿ومايُدريكَ لعلّ الساعةَ تكونُ قريباً﴾ ٦٣ ـ الأحزاب.

﴿اقتربَت الساعةُ وانشقَّ القمر﴾ ١ ـ القمر.

كما تحدثت سابقاً فإن قصة الرؤيا التي رآها الرسول الكريم في المعراج والتي أخبرنا بها ربنا أنها كانت فتنة واختباراً للناس، وخاصة لرجال الحديث الذين افتروا حولها قصصاً من خيالاتهم ومن رؤيا حزقيال في التوراة ورؤيا يوحنا اللاهوتي في الإنجيل (العهد الجديد) زادَت عن حدِّ التصور، فصارت مئات من المجلدات، وكل قصة أغرب من أختها وكلها تناقض بعضها.

كما أن الآية:

﴿اقتربَت الساعةُ وانشقَّ القمر﴾ ١ ـ القمر.

كانت أيضاً سبباً للفتنة وتأليف الأحاديث المتناقضة على لسان الرسول افتراء وظلماً وبهتاناً.

علماً أن أسلوب الله سبحانه في استخدام صيغة الماضي في (انشقّ القمر) ليس غريباً على قارىء القرآن المتعود على أسلوب الله البلاغي في التصوير والتعبير القرآني.

فالله سبحانه الذي خلق البشر ويعرف كيف يفكرون وكيف يقدرون الأمور، يعلمُ أن وقع الخبر الماضي على عقل الإنسان يكون له صدى الموضوع اليقيني الذي لاشك فيه ولاظن أو احتمال، بينما الخبر المستقبلي فيه كل تلك العيوب. فضعيف الإيمان يدخل الشك إلى قلبه ومن أجل أن يجعله الله يقيناً في عقل الإنسان استخدم أسلوب الماضي في أمور كثيرة مثل الآيات التالية:

﴿ونودُوا أن تلكم الجنة أُورِثْتُموها بما كنتُم تعملون﴾ ٤٣ ـ الأعراف.

مع علمنا أن موضوع الجنة والنار موضوعان يقعان بعد يوم القيامة القادم مستقبلاً.

﴿ونادوا أصحاب الجنة أنْ سلامٌ عليكم﴾ ٤٦ ـ الأعراف.

أيضاً استخدم فيها رب العالمين صيغة الماضي:

﴿ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أنْ أفيضوا علينا الماء﴾.

وهذه أيضاً بصيغة الماضي، وكأن أهل الجنة وأهل النار قد تخاطبوا فعلاً.

﴿وأزلفَت الجنةُ للمتّقين غيرَ بعيد﴾ ٣١ ـ ق. صيغة الماضي.

﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ ٢١ ـ ق. صيغة الماضي.

﴿وتلك الجنّةُ التي أورثْتُموها بما كنتُم تعملون * لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون﴾ ٧٣ ـ الزخرف.

﴿إن المجرمين في عذابِ جهنّم خالدون * لايفترّ عنهم وهم فيها مُبْلِسون﴾ ٧٤ ـ ٧٥ ـ الزخرف.

صيغة الحاضر:

﴿هذا ماتوعدونَ لكلِّ أوابٍ حفيظٍ﴾ ٣٢ ـ ق. صيغة الحاضر.

﴿لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءكَ فبصَرُكَ اليومَ حديد﴾ ٢٢ ـ ق.

هنا نجد صيغة الماضي والحاضر معاً، والحاضر بصيغة المخاطب لإعطاء الحدث قيمة أكبر في التصوير القرآني.

﴿ألقيا في جهنّم كلَّ كفارٍ عنيد﴾ ٢٤ ـ ق.

هنا استخدم ربّ العالمين صيغة الأمر الذي لايكون إلا في الحاضر.

وهكذا نجد أن هذه الأمور في القرآن هي من الأساليب الإعجازية في البلاغة والتعبير الإلهي وهي كثيرة منتشرة في أغلب سور القرآن الكريم.

ومثل تلك الآيات السابقة تماماً، الآيةُ الكريمة:

﴿اقتربَت الساعةُ وانشقَّ القمر﴾ ١ - القمر.

واقتربَت بالنسبة لله تعالى ليست كما هي للإنسان.

فالإنسان أيامه على الأرض معدودات، فالسنة بالنسبة له فترة زمنية طويلة ولكنها بالنسبة لخالق الكون ليست كذلك. وقد حاول أن يقربها لعقلنا وقال:

﴿وإنّ يوماً عند ربِّكَ كألفِ سنةٍ مما تعدّون﴾ ٤٧ - الحج.

والدليل على أن هذه الآية للتقريب وليست للتحديد، استخدام الله سبحانه حرف التشبيه والتمثيل (الكاف) وقال (كألفِ سنة) ولو قال (ألف سنة) دون الكاف لاختلف الموضوع، عندها يكون ذلك إقراراً منه سبحانه أن اليوم عنده يقابله ألف سنة من سنيننا تماماً. واليوم علماء الأرض يكتشفون أن عمر الأرض التي نعيش عليها تقدر بآلاف الملايين من السنين، وهذا دليل على أن يوم الله أكبر بكثير من تصوراتنا البشرية كلها، وليس كما اعتقد أهل الكتاب عندما حرفوا كتابهم وحددوا من عندهم أن عمر الكون كله سبعة آلاف سنة، فانكشف كذبهم وتحريفهم على الله، وأنهم قالوا بما لايعرفون وظهر لنا أن ذلك كان خيالاً ساذجاً.

لكن الله سبحانه لم يقل في القرآن الكريم كله كلمة واحدة يمكن أن نقول عنها أن الله قد خالف الحقيقة أو ناقض نفسه، إلا بالنسبة للجاهل الذي قد يفهم الموضوع خطأً من عنده مع وضوح الآية القرآنية ونورها الذاتي بقوة الحق والحقيقة.

والله سبحانه وتعالى ليس عنده أوهام وخيالات بل حقائق، فعندما يقول (شمس) تكون شمساً حقيقية موجودة في الكون ولها مدار ولها ضياء ولها أجل مسمى، لذلك عندما يشق القمر أيضاً لايشقه سحراً وخيالاً بل يشقه فعلاً، وهذا ماكان يميز أفعى موسى عن باقي الأفاعي من خيالات السحرة، وهم عندما أدركوا ذلك كان سبباً لإيمانهم وسجودهم لرب موسى أمام سيدهم وولي نعمتهم فرعون.

وعملية شق القمر لو حصلت فعلاً لكان قد أثر مباشرة على الأرض وعلى سكانها

بتغيير موازين الجاذبية بينهما، وماله من تأثير على البحار في المد والجزر، مما كان سيؤدي إلى حركات فجائية في الأرض من زلازل عنيفة جداً لو حدثت لتسببت بدمار أكبر من طوفان نوح، ولكان أعظم حدث يمكن أن يمر على تاريخ الأرض كله، ونحن قد توهمنا حدوثه في القرن السابع الميلادي، أي في وقت وجود حضارتين في العالم هما: امبراطوريتا الفرس والروم والتي كان فيهما حتماً علماء تاريخ، ولو حدث فعلاً لكتبوا عن ذلك الحدث العظيم، وعدم كتابتهم عنها شيئاً هو دليل مادي آخر على أن الموضوع لايتعدى أوهام بعض المحدثين الذين افتروا على الله والرسول فعادوا وصدقوا ماسبق وكذبوه. ثم ألفوا أحاديث أخرى عن قيام الساعة: فخرج من المحدثين من توقع نهاية العالم فعلاً بعد مائة سنة، بدليل وضع الأحاديث التالية:

١ ـ الحديث رقم (٢٩٥٢) من صحيح مسلم: عن عائشة قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال «إن يعش هذا، لم يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم».

وبحسب تلك الرواية السابقة يمكن تحديدها بين ٥٠ ـ ٦٠ سنة.

وفي رواية أخرى:

«إن يعش هذا الغلام فعسى أن لايدركه الهرم حتى تقوم الساعة»

فهل تحتاجون إلى دليل على أن الرسول لايمكن أن يكون صاحب هذه الأحاديث؟ ونص القرآن أمامكم يقول علناً بلسانه لكل الناس وفيه الخبر اليقين:

﴿يسألونَكَ عن الساعةِ أيّانَ مُرساهَا قل علمُها عند ربّي لايُجلّيها لوقتِها إلاّ هو ثقُلَت في السموات والأرضِ لاتأتيكم إلا بغتةً يسألونكَ كأنَّك حَفِيٌّ عنها﴾ ١٨٧ ـ الأعراف.

وهناك في صحيح مسلم الباب رقم (٥٣) اسمُه:

باب قوله ﷺ «لاتأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة» إن رؤية الحق لاتحتاج إلى علم خاص ولا إلى ذكاء خارق، الله سبحانه في وحيه الأساسي يقول لنا علناً:

(إن علم الساعة عند الله وحده، ولايجلّيها إلا هُو) ونحن المسلمون نصرّ ونكذّب آيات الله في القرآن ونقول: بل إن الرسول يعلم، وقد قال:

«لاتأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم).

وأنتم ترون أنّه مرّ ألف وأربعمائة عام على هذا القول ومازال القمر سليماً والناس

يتنفّسون على الأرض. فمن الصادق؟ هل وحي الله المكتوب في القرآن؟ أم الوحي الثاني الذي ادّعاه المنافقون والحاسدون؟.

فإذا علمتم أنه كاذب لماذا تحتفظون به وتقدسونه وتعبدون مع الله آلهة أخرى وتشركون بالله؟ لماذا لاتعودوا إلى دين محمد باتّباعكم رسالته وقرآنه الذي هجرتموه إلى اليوم؟

وأحياناً نجد بين الأحاديث مانصفه يطابق الحق، والنصف الآخر افتراء على الله والرسول كالحديث التالي:

٢ ـ الحديث رقم (٢٥٣٨) من صحيح مسلم: قال ابن جُرَيج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:

«تسألوني عن الساعة؟ وإنّما علمها عند الله. (هذا لاغبار عليه ـ المؤلف) وأقسم بالله! ماعلى الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة»

أي أنه عاد وحدّد الموضوع في غضون مائة سنة.

لكن المحدثين الذين وقعوا في الإحراج خاصة بعد مرور مائة سنة ولم يحصل شيء صاروا يؤلفون أحاديث أخرى ليخرجوا أنفسهم من الورطة التي أوقعهم الله فيها. لكشف أكاذيبهم.

مثل الحديث التالي:

نفس الحديث ذي التسلسل ـ (٢٢٠):

«مامن نفس منفوسة تبلغ مائة سنة»

فقال سالم: (تذاكرنا ذلك عنده. إنما هي كل نفس مخلوقة يومئذ)

وحاولوا أن يجعلوا منها معجزة للرسول بأنه كان في علمه أن ما من نفس منفوسة وكانت مخلوقة يوم قال الرسول هذا الحديث إلا ومات قبل أن يبلغ مائة عام.

وإذا تساءلنا: إن المعجزة يجب أن تكون واضحة مرئية تتحدى الناس فأين الإعجاز في هذا القول؟ وكيف لي أو لأي إنسان أن نعرف إحصائياً كم عاش أهل الهند أو الصين أو حتى الهنود الحمر الذين لم نكن نعرف عنهم أنهم موجودون أصلاً؟ إن هذ الإعجاز كأن يقول أحدنا: إن عدد نجوم السماء تساوي تماماً عدد حبات الرمل التي على الأرض، فأين الإعجاز في هذا الكلام؟ وأين البرهان؟ فإن الغريب بعد كل هذا أن نجد في عصرنا بعضاً من الذين يحملون الألقاب العلمية الإسلامية يدافعون عن صحة هذا

الحديث، ويعتبرونه من إحدى علامات النبوة، وكأن الرسول كان بحاجة في يوم من الأيام إلى علامات تثبت نبوته. فهذا الكلام لايتماشى مع المنطق العلمي أبداً. والبحث العلمي يستوجب دائماً أدلة وبراهين ثابتة ومقنعة عقلاً وليس حباً ومحاباة.

وكما رأيتم في تلك المواضيع الأربعة التي مازالت في غيب الله.

وهي: الجنة ـ جهنم ـ النفخ في الصور ـ وقيام الساعة.

فلا علم لنا أبداً عنها إلا ما أعلمنا به ربنا عنها في كتابه العزيز الذي هو القرآن وهو الوحي الوحيد الذي نزل به جبريل على قلب الرسول الأمين محمد ﷺ، وبينت لكم كيف تآمر أصحاب المصلحة الدنيوية مع أصحاب الأحقاد على إعادة الناس للإشراك القديم بالشفاعة والزيادة عليها بإشراكات أخرى بينتها في أماكنها. وكيف استطاعوا نتيجة جهل الناس العام، وعدم انتشار وسائل العلم والتعلم بينهم أن يسحبوا القرآن من أيديهم، بل وألغوا مفعول آياته بإيهامهم أنه كلام شديد له معانٍ باطنية لايدركها الإنسان العادي، فلا بد من عالم متفقه لفهم مراد الله منها، فأفهموا الناس مايشاؤون وألغوا مالايشاؤون، فحوّلوا الناس الذين حرّرهم الله وحرر إرادتهم ومشيئتهم وأعادوهم إلى الضلال بواسطة أحاديث ادّعوا أنها وحي من السماء وأنها من أقوال الرسول محمد ﷺ، تحديداً نُقِلَت إليهم بواسطة ملائكة كرام لم يكذبوا ولن يكذبوا على الله أبداً، فصدق الساذجون ذلك وعادوا كما كانوا قطيعاً يسوق بهم صاحب الأمر كما يشاء، هذا بإختصار شديد تاريخ ماحصل من ألف وأربعمائة عام وإلى اليوم.

ولما كنت قد آليت على نفسي في هذا الكتاب أن أبرهن للقارىء الذي أحترم عقله وتفكيره فإنني لا أحب أن أترك ثغرة أو زاوية أو جانباً من غير معالجة وتوضيح، فإذا فتحنا صحيح البخاري ودرسناه حديثاً حديثاً وهو يزيد قليلاً عن السبعة آلاف حديث لوجدنا أن كل غيب الله على الإطلاق صار مكشوفاً على الورق تقرؤونه علناً من خلال أحاديث منسوبة للرسول محمد ﷺ. ولكنه مع الأسف ليس هو غيب الله بل هو غيب مفترى ومكذوب ووهمي.

والإنسان الذي يؤمن بصحة القرآن ودقته كمرجع إلهي. وليس كمرجع بشري يؤمن أن رسوله صادق وأمين، ولم يكذب على الله كلمة واحدة، والدليل موجود وهو الإعجاز العددي في القرآن الكريم، ويثبت رياضياً وعلمياً أن الرسول بلغ القرآن حرفياً حتى مع طريقة الكتابة وليس بالمعنى فقط، أي أنه أُمِرَ أن تُكتَبَ الرحمن بلا ألف

وإسحق بلا ألف، وأمر بكتابة (بكة) بالباءِ مع علمه أن المقصود بها مكة، وهكذا، فشكل كتابة القرآن في المصحف أيضا وحي من السماء، ولولا ذلك لما استطعنا اليوم أن نثبت الإعجاز العددي لأحرف وكلمات وآيات وسور القرآن الكريم.

إذاً: بعد أن يؤمن الإنسان بكل هذا لم يعد لديه مجال للإيمان بعكسه من الموجود في صحيح البخاري كله، وأغلبه كما أبرهن لكم الآن يناقض كتاب الله جملة وتفصيلاً، الله والرسول يصرّان على أنه لايعرف الغيب في الكون كلّه إلاّ الله، وكل رجال الحديث أصحاب الغايات الشيطانية يصرّون على عكس ذلك تماماً، وأريد من القارىء أن يختار بعقله موقفاً إما مع الله والرسول، وإما مع الطرف الآخر، فليس بينَ بَينَ في موضوعنا، إما مع الحق وإما مع الباطل، ليس في ذلك حل وسط أبداً.

لذلك وإختصاراً سوف اختار سورة من سور القرآن بلا تعيين ولتكن سورة النمل، وأكتب بعض الآيات المتشابهة التي فيها أنباء وعلوم من الله لايحق لنا تأويلها أبداً، بل نفهمها كما هي ليس لنا أكثر من أن نعرف معاني الكلمات الصعبة علينا إن وجدت من المعاجم لا أكثر ولا أقل:

﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ ١ ـ النمل.

هنا في أول الآية حرفان مقطعان هما: (طاء وسين) ثم يقول لنا ربنا:

﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾.

أي أنه يشير إلى الحرفين ويقول لناتلك الأحرف معجزات القرآن وكتاب مبين، ومن خلال شرحي السابق صار القارىء يعلم أن القرآن اسم جزء أطلق على الكل أيضاً ـ كما شرحت ذلك ـ سابقاً. كما نقول مصر عن العاصمة وعن البلد كلها ونقول الشام عن العاصمة والبلد كلها، كذلك نقول القرآن عن الجزء، ونقول القرآن ونحن نعني الكتاب كله أحياناً. وأما الجزء الثاني يقول عنه سبحانه كتاب مبين، أي الكتاب الذي يُبَيِّنُ للمؤمنين حقوقهم وعباداتهم وشرعهم وصراطهم. والمعجزة التي يشير إليها ربنا إلى الأحرف لم تعرف إلا في القرن العشرين وقد شرحت ذلك بالتفصيل في الإعجاز العددي في كتابي الأول (إنذار من السماء).

﴿وحشر لسليمانَ جنودُه من الجنّ والإنس والطّير فهم يوزَعون﴾ ١٧ ـ النمل.

في هذه الآية يعلمنا ربنا أنه صار من جنود سليمان بعضٌ من الجن وبعضٌ من الطير،

وليس لنا أن نحاول بأي مصادر للعلم لم تعد موثوقة من كل كتب أهل الكتاب بعد أن علمنا أيضاً من الله أنها حرفت من قبل شياطين الإنس الذين قبضوا مقابل عملهم ثمن جريمتهم وكذبهم على الله ـ ليس لنا أن نعيد تفسيرها وفهمها على نحو مغرض.

﴿حتى إذا أتوا على وادِ النمل قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخُلوا مساكِنَكُم لايَحْطِمنكم سليمانُ وجنودُه وهم لايشعرون﴾ ١٨ ـ النمل.

من هذه الآية علمنا أن الله يخاطب النمل بـ (يأيها النمل) بجمع المذكّر كما هي العادة في العربية بالنداء على حشدٍمن الناس فيهم الذكور والإناث. بينما نلاحظ أن رب العالمين يغيّر هذا الأسلوب مع النحل ويقول:

﴿وأوحى ربُّكَ إلى النحل أن اتّخذي من الجبالِ بيوتاً﴾ ٦٨ ـ النحل.

وخاطبها بالمؤنث، وعند بحث أهمية العمل كعبادة وإطاعة أساسية في الأرض تبين لنا أن العمل أساس وجود المجتمعات، والنحل والنمل من المجتمعات، وأساس وجودها هو العمل، وعلمنا أيضاً أن الذكور من النحل لايشتركون في العمل فعرفنا سبب إلغاء الله لوجودهم واعتبارهم غير موجودين لأنهم لايعملون.

وهكذا نتابع في آيات السور من المتشابه منها:

﴿وتفقَّدَ الطَّيرَ فقال مالي لا أرى الهدهدَ أم كان من الغائبين لَأُعذبنَّهُ عذاباً شديداً أو لأذبحنَّهُ أو ليأتيني بسلطانٍ مبين﴾ ٢١ ـ النمل.

﴿قال ياأيّها الملؤ أيُّكم يأتيني بعرشِها قبلَ أن يأتوني مسلمين﴾ ٣٨ ـ النمل.

﴿قال عفريتٌ من الجنّ أنا آتيكَ به قبلَ أن تقومَ من مقامِكَ وإني عليه لقويٌّ أمينٌ﴾ ٣٩ ـ النمل.

﴿قال الذي عندَهُ علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طرفُكَ فلما رآهُ مستقرّاً عنده قال هذا من فضلِ ربّي ليبلوني ءأشكرُ أم أكفرُ ومن شَكَرَ فإنما يشكُرُ لنَفسِه ومن كفرَ فإنّ ربّي غنيٌّ كريم﴾ ٤٠ ـ النمل.

ومن هاتين الآيتين نستطيع أن نستنتج مايلي:

إن عفريت الجن الذي عنده قوة ذاتية وهبها الله له يستطيع باستخدامها أن يأتي بعرش بلقيس بسرعة الصوت مثلاً: بينما يقول الذي عنده علم من الكتاب دون أن

يحدد الله أنه من الجن ليدلنا ربّنا إلى أهمية العلم وأننا بواسطته يمكننا أن نبلغ أشياء كثيرة بدأت تتكشف لنا في العصر الحديث وإن كان الناس في زمن الرسول ﷺ لايستطيعون إدراكها، فيقول: أنا آتيك بها قبل أن يرتد رمش عينك، (رمشة العين).

﴿أمّن جعلَ الأرضَ قراراً وجعلَ خلالَها أنهاراً وجعلَ لها رواسيَ وجعلَ بين البحرَين حاجِزاً﴾ ٦١ ـ النمل.

ويجب أن نعلم من دقة الله في الكلمات، أن (جعل) يستخدمها رب العالمين فقط للإشارة إلى الإضافات الجديدة.

أي أن الله جعل الأرض مستقرة ولم تكن كذلك وجعل خلالها أنهاراً ولم تكن كذلك. وجعل لها رواسي وهي الجبال ولم تكن موجودة من قبل. وقد اكتشف العلماء أنها تشكلت خلال تَبَرُّد القشرَة الأرضية مع حركات تلك القشرة، وأصبحت الجبال تعمل عمل رواسي السفن في منع حركة القارات وحدوث الزلازل.؟ وجعل بين البحرين حاجزاً.

﴿أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلّمهم أنّ الناسَ كانوا بآياتِنا لايوقنون﴾ ٨٢ ـ النمل.

﴿وترى الجبالَ تحسبُها جامدةً وهي تمرّ مرَّ السحابِ صنعَ الله الذي أتقنَ كلَّ شيء إنه خبيرٌ بما تفعلون﴾ ٨٨ ـ النمل.

وهذه إشارة إلى أن الصخور التي تتشكل منها الجبال تتكون من ذرات لها مدارات فإن استطعنا رؤيتها من الداخل نجدها تتكون من أكوان وشموس هي نواة الذرات والكواكب فيها هي الإلكترونات والبوزيتونات تدور حول النواة، وهذه الالكترونات بعيدة جداً عن النواة مثل بعد الأرض عن الشمس نسبياً، بحيث لو ألغينا المسافات التي تفصل النواة عن مدارات الالكترونات والبوزيترونات وألصقناها جميعاً في كتلة واحدة لتحوّلت الكرة الأرضية إلى حجم طابة التنس.

أبعد هذا لايكون وصف الجبال بأنها مثل السحاب وصفاً حقيقياً لها، وإن كانت أعيننا القاصرة لاتستطيع الرؤية من خلالها إلا أنها منفوشة كالصوف المحلوج لذلك يقول لنا: إننا بعد الموت نستطيع رؤية الحقائق في قوله:

﴿فكشفنا عنكَ غطاءَكَ فبصرُكَ اليومَ حديدٌ﴾ ٢٢ ـ ق.

أي إن الإنسان عندما كان حياً كان أمام عينيه غطاء فلا يستطيع رؤية الحقائق ١٠٠٪، لكن بعد الموت يقول له سبحانه فبصرُكَ اليوم حديد، بمعنى نافذ ومخترق للأجسام والأشياء.

لذلك يقول سبحانه تأكيداً على تلك الحقيقة:

﴿وتكون الجبال كالعُهنِ المنفوش﴾ ٥ ـ القارعة.

وهذه لن يراها الإنسان بعينه البشرية، لأن الله سبحانه لم يُزِل عنها الغطاء بعد كما أعلمنا في أول آية.

أما عن الدابة التي ستخرج من الأرض وتكلّم الناس فليس لنا علم عنها بشيء أكثر مما ورد في كتاب الله.

كل هذه الآيات القرآنية التي لم نتحدث عنها إلا بمقدار ماكشف الله عنها إلى اليوم نجد علماء الحديث لم يتركوا فيها شيئاً إلا وألّفوا عنه المواضيع والكتب وكل مصادر علمهم محرّفات أهل الكتاب، رغم نهي الله والرسول عنها. والله سبحانه طلب من الناس أن يصبروا وهو مع الزمن سوف يظهر تلك المعجزات الموجودة في القرآن الكريم وسوف يعلّمها الناس بالتدريج:

﴿قل الحمدُ لله سيُريكُم آياتِهِ فتعرفونَها وما ربُّكَ بغافلٍ عمّا تعملونَ﴾ ٩٣ ـ النمل.

وفي الشطر الثاني من الآية يُعلِمُ الناس عن غيبه بأنه يعلمُ ماذا تعملون، ويعلم ماذا يمكن للشياطين أن توحي لهم من تحريف كامل للدين. وأنهم سوف ينسبون كل أكاذيبهم لصحابة الرسول ومن بعدهم للرسول محمد ومن بعده لله يجعلونه وحياً من السماء. علماً أننا لو قرأنا القرآن لوجدنا من منا الأجدر أن يصحح كتابه الأول.

فبدلاً من أن يصححوا كتبهم المحرفة على كتابنا الصحيح. حرفوا كتابنا الصحيح بواسطة كتبهم المحرفة ذلك حدث فقط بسبب غفلتنا وظلمنا لأنفسنا نحن المسلمين، فنحن الملومون بذلك قبل أن نلوم أحداً غيرنا من العالمين.

الفصل السادس

أسلوبا الإساءة المتعمّدة لشخص الرسول ﷺ

المنافقون والحاسدون من أحفاد الذين بشروا بقدوم المسيح عليه السلام ثم من بعد بعثه للناس أصبحوا أول من كفر به، وتطوع منهم فريق ليندسّ بين الذين آمنوا به، ومع مرور الزمن حاولوا تصويره صورتين متناقضتين إساءةً وتحريفاً..

أ ـ الصورة الأولى: جعلته شخصية ضعيفة مستسلمة ومخنثة.

ب ـ الصورة الثانية: بالغت ببعض الصفات التي طُوّرَتْ مع الزمن حتى بلغت الألوهية: ثم عقد المنافقون اجتماعاً لهم وأصدروا قراراً بتأليه المسيح. وتلخصت فكرة المسيح على الأرض حسب تصويرهم بفكرة المخلّص من الآثام عن طريق حبّ الإنسان للمسيح والإيمان به وبما قاله للناس. واتبع أبناء المنافقين والحاسدين أنفسهم الأسلوب نفسه مع الإسلام والمسلمين والرسول محمد ﷺ. فقد كانوا يبشرون به وبقدومه، ولما بعثه الله سبحانه رسولاً للعالمين كانوا أول من كفر به. ودخل قسم كبير منهم الإسلام بقصد التشويه، تماماً كما فعلوا فعلهم بالمسيح قد فعلوا فعلهم مع الرسول الكريم. وأبيّن فيما يلي جوانب الصورة الأولى، التي جعلت الرسول شخصية ضعيفة ومهزوزة، تتخذ قرارات سريعة وغير مدروسة، تتراجع عنها فوراً، ويظهر عجزها أمام شخصية قوية، واختاروا تلك الشخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخير مثال:

١ ـ الحديث رقم (٣١) مسلسل (٥٢) من صحيح مسلم: الحديث طويل: عن أبي هريرة: مفاده أن الرسول ﷺ خرج من بين أصحابه يوماً فخاف عليه أبو هريرة، فتبعه إلى أن وجده يقضي حاجته ويتوضأ، فكلف الرسول أبا هريرة بمهمة عجيبة، مؤداها أن الله سبحانه قرر إلغاء كلّ ماأنزله على رسوله من آيات القرآن، وكل ماقاله عن الإيمان والعبادة والعمل والصراط المستقيم والحلال والحرام ويوم القيامة والحساب والجنة والنار ثواباً وعقاباً.. وقال الرسول ﷺ لأبي هريرة (كما في متن الحديث):

«يا أبا هريرة ـ وأعطاني نعليه ـ اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد

أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشّره بالجنة».

فتخيلوا هذه الصورة الخبيثة التي يحاول الحاقدون رسمها للرسول ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام يرسل رسولاً من عنده ليبشر من يشهد ألاّ إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بالجنة، وإذا سأله المبشَّر: وماشاهدك يا أبا هريرة على صدق زعمك؟ قال للسائل: هذان نعلا رسول الله شاهدان على صدق ماأقول.

قبل أن نتابع ماجاء في الحديث هذا، تتبدى لنا الصورة واضحة، سخرية واستهزاء بالله والدين والرسول وحتى الخلفاء الراشدين أيضاً.. لنتابع الآن نص الحديث:

«.. فكان أول من لقيت عمر. فقال: ماهاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بين ثدييّ، فخررت لأستي (الأست: من أسماء الدّبر)فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء، وركبني عمر فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله ﷺ: مالك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدييّ ضربةً خررت لأستي. قال: ارجع. فقال رسول الله ﷺ: ياعمر ماحملك على مافعلت؟ قال: يارسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّره بالجنة؟ قال الرسول: نعم، قال عمر: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها، فخلّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فخلّهم».

انتهى الحديث وانتهت مهمة الحاقد الذي يحاول تشويه صورة الرسول بمثل هذا الحديث. ونحن من سذاجتنا مازلنا نروي مثل تلك الأحاديث على أنها وحي من السماء، ونقول عنها أحاديث نبوية شريفة.

٢ ـ الحديث رقم (٣٨٨٧) من صحيح البخاري: وهو حديث المعراج الشهير، وهو طويل جداً، ويهمنا أن نعرف منه الصورة النهائية التي يحاولون من خلالها تصوير الرسول إساءة وحقداً. ومفاد الحديث هذا أن الرسول ﷺ بعد أن صعد السموات السبع وجد في كل سماء أحد الأنبياء والرسل مبتدئاً بآدم في السماء الأولى منتهياً بإبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، يقابل ربه ويكلمه في سدرة المنتهى، فيفرض على الرسول وأمته خمسين صلاة في اليوم والليلة.. نتابع الحديث الآن:

«... ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى -

وموسى في السماء السادسة، ولم يختر الرسول أن يناقش الموضوع مع إبراهيم وإنما فضّل موسى عليه لأسباب لايعرفها إلا المفتري لهذا الحديث ـ فقال ـ أي موسى ـ: بما أُمِرتَ؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله. فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله. فرجعت فأُمرتُ بعشر صلوات كل يوم، فرجعت (إلى موسى) فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بما أُمرتَ؟ قلت: أُمِرتُ بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيتَ فريضتي وخففتَ عن عبادي».

هل هذه الصورة صورة الرسول الذي لايعرف ماذا يقول، ولايعرف ماذا يريد؟ هل هذه صورة الرسول الذي لايعرف ماذا تتحمل أمته وماتطيق؟ هل هذه هي الصورة الحقيقية للرسول محمد ﷺ في الإسلام؟ ألا تناقض هذه الصورة، صورة الرسول في كتاب الله الكريم حيث يصفه سبحانه ويقول:

﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾ ٤ ـ القلم.

كما أن الله سبحانه يصفه صفاتٍ أخرى مثل:

﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ماعَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ﴾ ١٢٨ ـ التوبة.

وقال سبحانه:

﴿.. ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانْفضّوا من حولِكَ﴾ ١٥٩ ـ آل عمران.

فصفات الرسول هذه لم تعجب المنافقين والحاقدين والحاسدين فبدّلوها علينا بصور أخرى، ودون أن نتأكد من صدق افتراءاتهم وأكاذيبهم نُصَفِّقُ لهم استحساناً وَنُرَدِّدُ وراءهم كالببغاوات: (صدق رسول الله ﷺ). وهناك أحاديث كثيرة في هذا السياق ونقول عنها للأسف: إنها أحاديث صحيحة كما في الصحيحين:

٣ ـ الحديث رقم (٢٦٠٣) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم يتيمةٌ وهي أم أنس، حسب ماجاء في شرح النووي في الحاشية ـ فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي. فقالت أم سليم: مالك يابنيّة؟ قالت الجارية: دعا عليّ نبيّ الله ﷺ أن لايكبر سنّي. فالآن لايكبر سنّي أبداً. فخرجت أم سليم مستعجلة تَلُوثُ خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «مالك ياأم سليم؟» فقالت: يانبي الله: أدعوت على يتيمتي؟ قال: «وماذاك يا أم سليم؟» قالت: زَعَمَت أنك دعوت أن لايكبر سنها ولا يكبر قَرنُها. قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي، أني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر، فأيما دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقرّبه بها منه يوم القيامة».

ولنأخذ مثالاً آخر:

٤ ـ في الحديث رقم (٢٦٠٠) من صحيح مسلم: نجد الأمور اختلفت في ديننا الحنيف دون تمييز بين الحلال والحرام، بين الحق والباطل، بين الإيمان والإشراك، وصار في الإسلام من يُلعَن ويُسبّ ينال الخير ـ كما في هذا الحديث، ونحن من غبائنا لم نعلم أن وراء هذه الأحاديث منافقين غايتهم تشويه صورة الرسول خدمةً لسلطانهم حتى إذا سبّ وشتم ولعن وجلد أحداً حتى ولو كان بريئاً، استشهد جنوده عليه بأحاديث الرسول هذه، على أن السلطان قد تفضّل عليه بذلك الجلد وتلك الإهانة خيراً كثيراً.

لنقرأ الحديث رقم (٢٦٠٠) الآن:

عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلّماه بشيء لاأدري ماهو، فأغضباه فلعنهما وسبّهما فلما خرجا قلت: يارسول الله! من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان؟ قال: وماذاك؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: «أو ما علمت ماشارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاةً وأجراً».

نلاحظ هنا تطابقاً في مفردات الحديث الأول مع مفردات الحديث الثاني.. علماً أنه ينبغي ألاّ يتطابقا أبداً، لأن الحديث الأول مرويّ عن أنس بن مالك، والحديث الثاني مرويّ عن عائشة، ولكل إنسان أسلوبه في الرواية، وهذا دليل على أن الذي روى الحديثين مؤلف واحد، افتراهما على الجميع بمن فيهم السند. وهناك رواية أخرى لهذا

الحديث تحت الرقم (٢٦٠٢) في صحيح مسلم.

فكيف لنا أن نصدق أن الرسول ﷺ كان يسبّ ويلعن من يحبّ ويلاطف من يكره؟ وكيف لنا أن نصدق أن الرسول ﷺ يخالف وصية ربّه له في القرآن:

﴿فأما اليتيم فلا تقهر *وأما السائل فلا تنهر﴾ ٩ ـ ١٠ ـ الضحى.

لذلك نجد من يحاول تصوير الرسول صورة السلطان المتجبّر في الأرض، القاسي القلب المحبّ للقتل والمتعطش للدماء، كما في الحديث التالي:

٥ ـ الحديث (٣٠١٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رهطاً من عكلٍ ثمانية قدموا على النبي ﷺ فاجتووا المدينة فقالوا: يارسول الله ابغنا رِسلاً. قال: «ماأجد لكم إلاّ أن تلحقوا بالذود» فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم فأتى الصريخ النبي ﷺ، فبعث الطلب، فما ترجل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فأُحميت فكحلهم بها (أي سَمَلَ عيونهم بها) وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا.

وهذا الحديث لأهميته حاول البخاري ـ رحمه الله ـ أن يضعه لنا في صحيحه في أربعة عشر موضعاً تحت الأرقام التالية:

٢٣٣ ـ١٥٠١ـ ٣٠١٨ ـ ٤١٩٢ ـ ٤١٩٣ ـ ٤٦١٠ ـ ٥٦٨٥ ـ ٥٦٨٦ ـ ٥٧٢٧ ـ ٦٨٠٢ ـ ٦٨٠٣ ـ ٦٨٠٤ ـ ٦٨٠٥ ـ ٦٨٩٩ ـ

وإذا عدنا إلى دستورنا الإلهي فإننا سنجد عقوبة هؤلاء مسجلة بوضوح. ولكن؛ كيف نفتح القرآن ونحن قد عاهدنا جنود السلطان ألا نفتحه أبداً بعد أن سلمونا الوحي الثاني الذي فيه الأحاديث التي وقعنا في غرامها؟ يقول الله عز وجل:

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسولَه ويسعونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

وهكذا نجد الحقيقة واضحة في القرآن الكريم، بينما الذي فعله راوي الحديث أن حلّل شرب بول البعير باسم الرسول، وجمع العقوبات كلها الموجودة في القرآن وحذف الألف من الحرف (أو) بين كل عقوبة وأخرى وجعلها (و) تحريفاً على الله والرسول، بعد ذلك

تبرع بقطع الأطراف الأربعة بدل قطعها من خلاف كي يجعل الإنسان بعد ذلك عاجزاً بشكل كامل، وزاد على ذلك أن قتلهم بالعطش، في حين اكتفى القرآن الكريم بقتلهم عقوبة قصوى، وجعل النفي العقوبة الدنيا. فالقاضي المسلم يختار من تلك العقوبات مايناسب، على عكس ما أحب وفضّل السلطان في العقوبة الواردة في الحديث.

وضيق الفسحة يضطرني لاختصار الشرح في حين الأحاديث كثيرة من هذه النماذج، وكلها تحريف وكذب وافتراء على الله والرسول، ونحن سادرون على تقاعسنا عن العودة إلى القرآن واستبيان الحقائق والتنبيه إلى مايؤكد مخالفة الأحاديث للقرآن، ولأننا أخلدنا إلى معسول القول من الرواة وهم ينفّرون الخَلْقَ من دين الإسلام كما في الأحاديث التالية، التي يبشرون لها بأن تكون سنناً صالحة لاتباعها من المسلمين.

٦ ـ الحديث رقم (١٨٨) من صحيح البخاري: باب استعمال فضل وضوء الناس:

«.. وقال أبو موسى: دعا النبي ﷺ بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال لهما: اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما» (مجَّ فيه: بمعنى بصق فيه).

وهناك حديث قبله وهو:

الحديث رقم (١٨٧) من صحيح البخاري:

«حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا الحكم قال: سمعت أبا جحيفة يقول:

خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به، فصلى النبيّ الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة».

وكي تشمئز النفوس أكثر نجد الإضافة التالية:

(وأمر جرير بن عبد الله أهله أن يتوضؤوا بفضل سواكه).

فهل هذه سنة نبوية شريفة؛ وعلى كل مسلم أن يجبر أهله على الوضوء كما فعل جرير بن عبد الله؟!! وإمعاناً في السخرية منا ومن رسولنا وديننا، نجد الحديث التالي:

٧ ـ الحديث رقم (٤١٥١) من صحيح البخاري: عن البراء بن عازب أنه كان مع الرسول ﷺ يوم الحديبية ألفٌ وأربعمائة أو أكثر فنزلوا على بئر فنزحوها فأتوا النبي ﷺ، فأتى البئر، وقعد على شفيرها، ثم قال: «ائتوني بدلو من مائها» فأُتِيَ به فبصق فدعا ثم قال: «دعوها ساعة» فأَرْوُوا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا. وفي الرواية رقم ٥١٥٠ صحيح البخاري (فأتانا فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم

مضمض ودعا ثم صبّه فيها) وهكذا سخروا منا ومن رسولنا ومن ديننا ونحن نصفق لهم ونقول إنها معجزة. لنفرض أن الله سبحانه يريد أن يجعلها معجزة، ألا يكفي أن يدعو الرسول دعاء مباشراً كما دعا عيسى بن مريم أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء فأنزلها الله؟ أم كان لابد من بصق الرسول في الماء حتى تتم المعجزة؟ ولو حدثت هذه المعجزة فلماذا ذكر الله كل معجزات موسى وعيسى في القرآن الكريم ولم يذكر للرسول أية معجزة إلا القرآن؟. أم يقولون لنا هم أصدق من الله؟ أستغفر الله من كل ذنب عظيم وأتوب إليه.

وكما قلت عند بداية الحديث عن الموضوع: إنّ المنافقين الحاسدين اتبعوا الأساليب الشيطانية التي اتبعوها مع عيسى بن مريم عليه السلام ورسالته كذلك فعلوا مع الرسول محمد ﷺ ورسالته.

وكما أنهم ألّهوه في النهاية، وقالوا عنه: إنه مخلص العالم بالحب، كذلك فعلوا مع الرسول محمد ورسالته، ونفس فكرة الخلاص هي فكرة الشفاعة مع اختلاف الكلمة فقط.

هناك قالوا كما ذكرت لكم إنهم يدعون الناس إلى الإكثار من الآثام لأن الربّ يحب العبد المذنب حتى لايكون موته على الصليب وعذابه من أجل لاشيء، وعندنا حتى لاتكون الشفاعة من أجل لاشيء. قد يظن القارىء بي الظنون ويقول في نفسه ربما الكاتب يبالغ أو يقول لنا غير الحقيقة فحتى لاتبتعدوا بأفكاركم بعيداً إليكم الدليل:

هناك أهل المسيح يقول لهم رجال دينهم اليوم:

أكثروا الذنوب وأحبّوا الرب (المسيح) تخلّصوا من ذنوكم.

وعندنا رجال ديننا يقرؤون علينا من صحيح البخاري ومسلم:

٧ ـ الحديث رقم (٢٧٤٨) من صحيح مسلم: عن أبي أيوب أنه قال: حين حضرته الوفاة:

كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنّكم تذنبون لخلَقَ اللهُ خلقاً يُذنبون، ليغفرَ لهم».

أي باختصار كلما أكثرنا وأكبرنا من الذنوب وأكثرنا من الاستغفار أحبّنا الله أكثر، وهذا الخطاب كنت قد تحدثت عنه في كتابي الأول (إنذار من السماء) حيث سمعته من رجل دينٍ مسيحي، يدعو ويبشّر أتباعه في نيويورك.

الفصل السابع

الأحاديث التي تناقض أخلاق الرسول الكريم ﷺ

لم يكن الرسول ﷺ من الناس الذين يتصدرون المجلس وقد انتفخوا خيلاء وفخراً ويقول معدّداً مناقبه ومفاخره على الأنبياء وعلى الناس بل كان من طبعه التواضع من غير ذل والتسامح عن غير ضعف.

ـ الحديث رقم (٣٥٣٢) من صحيح البخاري: عن محمد بن جبير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ وأن الماحي الذي يمحُو الله بي الكفر وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ الناس على قَدَمي، وأنا العاقِبُ».

هذه محاولة لتصوير الرسول ﷺ صورة مشوهة، وهو جالس بين صحابته ويقول لهم كما كان يقول سلاطين الأرض الذين تألّهوا في الأرض مثل فرعون.

(أنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ النّاسُ على قَدمِي)

وحتى الذين سوف يحشرهم مبني للمجهول احتقاراً، هل هذه الصورة حقيقية عن صورة الرسول الذي يقول عنه الله في التنزيل الحكيم:

﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ أو قوله عز وجل﴿ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولك﴾

لكن جنود السلطان هم الذين وضعوا هذه الأحاديث وأمثالها حتى يعتاد عليها شعبهم، ثم إن وجدوها من صفات سلطانهم قالوا إنه على سنة رسول الله فلا يفعل ما يغضب الله سبحانه، بل إنه يتصرف ضمن السّنَّةِ النبوية الشريفة تماماً. وتلك أصلاً من وحي السماء.

الحديث التالي مثل الأول:

ـ الحديث رقم (٣٣٥) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلّت لي الغنائم

ولم تُحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعَثُ إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

لايكفي أبداً أن يكون بعض مافي هذا المقال صحيحاً حتى يكون الرسول ﷺ هو صاحب المقال السابق لأن الموقف والكلام هنا مفاخرة وتفاخر والرسول ﷺ كان أبعد الناس عن هذه الصفة المذمومة الموجودة أصلاً في السلاطين من الطواغيت. لكن الحديث وضع وألّف أساساً من أجل أن يكون سنة للسلطان بحيث مهما تفاخر وتعاظم على الناس عذروه قائلين: إنّه يتبع سنةَ رسول الله في الحديث، وهذا هو أصلاً سبب وجود مثل هذه الأحاديث في الإسلام.

وكل الأحاديث التالية: أحاديث مفاخرة وكبر وخيلاء، وكلها من الصفات المذمومة في الإسلام، والتي كان الرسول محمد ﷺ يعتبر نفسه قدوةً لكل المؤمنين بالإبتعاد عنها، وأمرهم ألّا يقعوا فيها: فكان يكره أن يسمع من المسلم كلمة أنا، لأنها تأتي دائماً مفاخرةً.

ـ الحديث رقم (٢١٥٥) تحت باب كراهة قول المستأذن (أنا). إذا قيل: من هذا؟ من صحيح مسلم عن جابر قال: أتيت النبي ﷺ فدعوت (صرخت) فقال النبي ﷺ من هذا؟ قلت: (أنا). فخرج وهو يقول: أنا، أنا!!

وفي رواية ثانية «كأنه كره ذلك»

ـ الحديث رقم (١٩٦ / ٣٣٠)من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك. أن الرسول ﷺ قال:

«أنا أول الناس يشفع في الجنة. وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».

ـ الحديث رقم (١٩٦ / ٣٣١) من صحيح مسلم: عن أنس أيضاً: أن الرسول ﷺ قال:

«أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة».

ـ الحديث رقم (١٩٦ / ٣٣٢) من صحيح مسلم: عن أنس أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال:

«أنا أول شفيع في الجنة. لم يصدَّق نبي من الأنبياء ماصدِّقت. وإن من الأنبياء نبياً لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد».

ـ الحديث رقم (١٩٧ / ٣٣٣) من صحيح مسلم: عن أنس أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال:

«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وإذا سألت المسلمين من أين أتاكم هذا العلم عن غيب الله؟ يقولون من الوحي الثاني، الذي أنزل على الرسول، فيقولون بما لايعلمون، ولاشاهد لهم إلاّ هذه الأسماء من السند يرددونها، وربما أغلب أسماء السند مظلومون بكل هذا الكلام كما ظلم به الرسول محمد ﷺ أساساً.

ـ الحديث رقم (١٩٤ / ٣٢٨) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال:

«وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم. فتناول الذراع (من اللحم) وكانت أحب الشاة إليه، فنهس نَهسَةً (نَهَشَ نَهشَةً) فقال: «أنا سيّدُ الناسِ يوم القيامةُ» ثم نَهَسَ أخرى فقال: «أنا سيّدُ الناس يوم القيامة». ثم قال لهم حديثاً طويلاً جداً، وكله فخر ومفاخرة أبعدها مايكون من صفات النبي قولاً وفعلاً.

ـ الحديث رقم (٢٢٧٦) من صحيح مسلم: عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل. واصطفى قريشاً من كنانة. واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفاني من بني هاشم».

هذه المفاخرة بالقبيلة والعشيرة والنسب كانت من أحدى عادات الجاهلية التي أتى الإسلام أصلاً من أجل نهي الناس عنها وإعطائهم بدلاً عنها مقياساً جديداً واضحاً في القرآن الكريم:

﴿إنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

ناسفاً كل ماكان قبلها. ثم يريدنا راوي هذا الحديث أن ننسخ الآية ونعود لقول (واثلة بن الأسقع) لمجرد ادعائه بأنه سمع الرسول ﷺ يقول: لابل قد يكون أحد الرواة العشرة لهذا الحديث هو الذي ألّفه على الرسول ظلماً ليلغي به آية الله التي في القرآن الكريم.

ـ الحديث رقم (٢٢٧٨) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول لله ﷺ:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر. وأوّلُ شافعٍ وأَوّلُ مشفّع».

ـ الحديث رقم (١٩٠) من صحيح مسلم: عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ:
«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.. وآخر أهل النار خروجاً منها». كيف؟ وهذا مازال في غيب الله وحده؟؟.
ـ الحديث رقم (٢٥١١ / ١٧٨) من صحيح مسلم: عن أبي أُسيد عن الرسول ﷺ قال:
«خير دور الأنصار دار بني النجار، ودار بني عبد الأشهل ودار بني الحارث بن الخذرج ودار بني ساعدة» والله: لو كنت مؤثراً بها أحداً لآثرت بها عشيرتي».
ـ وهكذا أعاد السلطان وجنوده العادات الجاهلية القبلية في المفاخرة بالدم والنسل والعشيرة والعائلة بعد أن أزال القرآن من بين أيدي الناس، وحتى التفضيل في النساء صار يعود للقبيلة والعشيرة وليس لمقياس الله الذي في القرآن.
ـ الحديث رقم (٢٥٢٧) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على يتيم في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده».
وهكذا نجد الأحاديث يؤلفها جنود السلطان من أجل إعادة دين الجاهلية القديم للعودة للشرك الذي ينفع ويتماشى مع أهواء السلطان ورغباته في الحياة الدنيا.
ـ الحديث رقم (٢٤٤٧) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».
وقد كان معروفاً من السيرة أن من أفضل الطعام وألذه للرسول هو الثريد مع اللحم هذه حقيقة لاعيب فيها:
ولكن هل يعقل أن يقف الرسول أمام الرجال من صحابته ويقول: اسمعوا:
إن أفضل الطعام وألذه هو الثريد؟ وإن أفضل النساء وألذها هي عائشة؟ حتى يشتهيها قليل الإيمان والمنافق ممن يسمع هذا الحديث من الرسول ﷺ؟ وهل يقبل المنطق هذا الموقف من الرسول ﷺ الذي يعد من أعظم رجال الأرض ومن أعظم الأنبياء والرسل؟؟.
ـ الحديث رقم (٥٢٣) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
«فضلت على الأنبياء بستّ» ثم يجلس بعد ذلك معدداً مفاخره على الناس؟

وكانت الأحاديث الماضية كلها في الفخر والتفاخر بالنفس والعشيرة والقبيلة والزوجة.

- لقد عرف عن الرسول ﷺ لطف معشره للغريب وللقريب، بل شهد الله سبحانه بذلك عندما قال سبحانه:

﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾

ثم عندما قال أيضاً سبحانه عنه:

﴿ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولك﴾

وإليكم الأحاديث التي تناقض هذه الصفات في الرسول الكريم وبالتالي لايمكن أن تكون صحيحة أبداً.

- الحديث رقم (٢٩٨ / ١٢) من صحيح مسلم: عن عائشة قالت:

«أمرني رسول الله ﷺ أن أناوله الخُمرة (السجادة) من المسجد. فقلت: إني حائض. فقال تناوليها. فإن الحيضة ليست في يدك».

إنها نفس جلافة وغلاظة السلطان. وصنعها له جنوده حتى يقال دائماً: إنه يقتدي برسول الله. وهل يعقل برسول الله أن يقف أمام الناس في المسجد ويقول بأعلى صوته ياعائشة ناوليني كذا، فتقول له عائشة أيضاً بأعلى صوتها حتى يسمعها كل من في المسجد: إني حائض ويعلم الناس أن زوج رسول الله قد أتاها الحيض؟ ثم لايخجل من كل ذلك الموقف بل يقول كأي جَلف: تناوليها إن حيضتك ليست في يدك»؟

لماذا يحاول الراوي أن يزيل الخجل عن الرسول من كل هذا الموقف (مع أن الذي نعرفه عن الرسول محمد من السيرة النبوية أنه كان حَيِيّاً يكني دائماً ولايستخدم الألفاظ النابية التي تجرح الأذن ويبتعد عنها كل إنسان مؤدب، فهل نظن بالرسول الذي كانت أخلاقه القرآن والذي أدبه ربه وعلّمه القرآن أن يكون فحاشاً لعّاناً كما شاء له السلطان والحاقدون من أعوانه في هذه الأحاديث، التي أفضل مايقال عنها بأنها بعيدة عن الصدق والصحة والأمانة التي علّمنا إياها الرسول في القرآن الذي وصلنا كاملاً عن لسانه الشريف والذي كان أول ناطق به في العالم كله؟

وهل يعقل أن يكون الرسول ﷺ قد نسي الآيات وهو أول حافظ للقرآن في العالم:

﴿تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للّذينَ لايريدونَ علوّاً في الأرضِ ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ ٨٣ - القصص.

﴿ولا تمشِ في الأرضِ مَرَحَاً﴾ ٣٧ - الإسراء.

﴿ولا تصعِّر خَدَّكَ للناسِ ولا تمشِ في الأرضِ مَرَحاً إنّ الله لايحبُّ كلَّ مختالٍ فخور﴾ ١٨ - لقمان.

ونجد الحديث التالي رقم (٩١) - المتسلسل (١٤٩) من صحيح مسلم: يناقض كل الأحاديث السابقة، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

«لايدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبْر»

أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ بأنه كان فحاشاً يسب ويلعن ويضرب النساء. علماً أن كل تلك الصفات كانت من أبعد الصفات عن الرسول محمد ﷺ حقيقة وليس مدحاً ومبالغة نتيجة الحب. وليس عيباً أن يحبّ المؤمن رسوله الذي كان السبب في هديه إلى سبيل الله الصحيح وتخليصه من شرور الدنيا كلها.

٢ - الحديث رقم (٥٢٥٥) من صحيح البخاري: عن أبي أُسَيد قال: «خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط. حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي ﷺ: «اجلسوا ها هنا» ودخل وقد أتي بالجَونّية (أحد سبايا الحرب اسمها أميمة) فأُنزلت في بيتٍ في نَخلٍ في بيت أميمة النعمان بن شراحبيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل النبي ﷺ قال:

«هَبي نفسك لي. قالت: وهل تَهَبُ الملكة نفسها للسُوَقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها (كناية عن أنه ضربها) لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك. فقال: قد عذت بمعاذ، ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقين، وألحقها بأهلها».

أولاً: الراوي يصف بأن الرسول قد دخل عليها ليبني بها مباشرة بعد الأسر والشرع الإسلامي يمنع ذلك للمتزوجات قبل انقضاء العدة والتأكد من وجود الحمل من عدم وجوده، وهذه مناقضة شرعية واضحة.

ثانياً: الحوار بما دار بين الرسول والمرأة، كيف سمعه الراوي وقد كان الرسول في قصر الملكة بحسب الرواية؟

ثالثاً: أن الرسول كان من ذلك النوع من الرجال الذين لايغضبون إلا لله، أما أن يغضب لنفسه فيضرب المرأة فهذه لم تكن من طباع الرسول الكريم ولا من صفاته. وكل هذه الصفات لايمكن أن تكون في نبي كريم بل في سلطان غلبه هواه وغلبته شهوته فألفها له

جندي من جنوده لينعم بسنة جديدة في الإسلام الجديد الذي بدأ يؤسسه لنفسه بعد أن حجز على القرآن الكريم.

وإليكم الدليل إلى صحة ماذهبت إليه من نفس الأحاديث، لأن الصحيح أيضاً بقي بين ذلك الركام الهائل من الأكاذيب:

الحديث رقم (٦١٢٦) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ماخُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله».

وهذا الحديث إن صح فإنه كان من الرسول فعلاً. فهو لايناقض أخلاق الرسول ولا آيات القرآن الكريم، ويشهد على أحاديث كثيرة سوف نذكرها الآن وكلها من الصحيحين بأنها غير صحيحة أبداً.

٣ ـ الحديث رقم (١٠٠٧) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟ قال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعاً كسبع يوسف (أي أن النبي ﷺ دعا على قومه بالمجاعة) فأخذتهم سَنَةٌ حَصَّت كلَّ شيء، حتى أكلوا الجلودَ الميّتَةَ والجِيَف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع. فأتاه أبو سفيان فقال: يامحمد، إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا. قال الله تعالى:

﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله:

﴿إنكم عائدون يوم نبطشُ البطشةَ الكبرى﴾ ١٦ ـ الدخان.

هذا من أغرب الأحاديث المؤلفة افتراء على الله وعلى الرسول. وأعتقد أن سرّ احتفاظ البخاري ومسلم رحمهما الله بهذا الحديث كي يكون شاهداً للتاريخ. كيف افترى جنود السلطان الأحاديث الكاذبة على الله والرسول وقالوا عنها (وحي) وهم يعلمون أنهم كاذبون من أجل أرضاء السلطان وإرضاء نفوسهم التي أضمرت على الغدر والإساءة للإسلام والمسلمين؟ حيث جعلوا أبا سفيان زعيم المشركين السابق أرحم وأرأف بالناس وبأهله من الرسول، وأوصل رحماً منه، حتى يأتي ويحاور الرسول ﷺ ليذكّره بطاعة الله وبالقرآن وتعاليم القرآن والإحسان لذوي القربى والمساكين، والرسول ﷺ لو كان سيدعو عليهم، مرت ظروف أكثر صعوبة مما يصفه الحديث ولكنه لم يشأ أن يدعو عليهم بغضب الله على أحد منهم مهما اشتد ظلماً وطغياناً على المسلمين، بل

كان يصبر صبراً جميلاً، كما رأيناه يوم خذله الناس في الطائف والتجأ إلى حائط يبث شكواه لله رب العالمين فلم يرض أن يدعو على أحد حتى من أعدائه فكيف بأهله وأقربائه ورحمه؟ والله هو الذي وصفه بصفة الرؤوف الرحيم وليس أبا سفيان..
﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ماعَنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم﴾ ١٢٨ - التوبة.

فلو كان قاسي القلب كما يحاول جنود السلطان أن يصفُوهُ لما دخل إلى مكة فاتحاً، ولم يرق فيها قطرة دم، ولم يكن قلبه عامراً بحب التشفي والانتقام، ولم يكن يبحث عن الغنائم وكنوز الدنيا وأسلابها، بل قال لهم: من دخل داره فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن بقي في داره فهو آمن، وأضاف لها المتزلفون من المنافقين: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن حتى ينال من السلطان مما يشتهي في خزائنه من الذهب والفضة..
٤ ـ الحديث رقم (٥٩٣٥) من صحيح البخاري: عن أسماء بنت أبي بكر: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «إني أنكحت ابنتي ثم أصابها شكوى فتحرّق رأسها وزوجها يستحثني بها (أي باختصار أن ابنة المرأة أصاب جلدة رأسها مرض جلدي سَبَّبَ تَساقُطَ شَعْرِها فأصبحت خفيفة الشعر والشَّعْرُ يشكل قسماً كبيراً من جمال المرأة وحسن مظهرها ومنظرها) أفأصل رأسها؟» (أي أن المرأة تستأذن من الرسول: هل مايمنع في الشرع الإسلامي من وصل شعرها بشعر آخر ليعوضها عن جمالها المفقود حتى لايزهد فيها زوجها؟)
فماذا نتوقع من الرسول محمد ﷺ لو كان فعلاً واجه هذا الموقف.؟ بما أنه يحفظ آيات الله كلها التي في القرآن الكريم فلن يجد أبداً مايمنع من الإجابة بالإيجاب لهذه المرأة التي جاءت لاتطلب منكراً ولا تحليل محرم ورد ذكره في كتاب الله. ولم تطلب طلباً تخطت به حدود الله. ولكن جنود السلطان الذين قلبوا كل شيء لابد لهم أيضاً من أن يقلبوا الموقف هنا أيضاً في هذا الحديث.

«فسبّ رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة» (أي التي تقوم بعملية التجميل هذه مع طالبة التجميل»).

هل تسيؤون الظن برسولكم الكريمة لدرجة تجعلكم تصدقون أنه كان بمثل تلك الأخلاق الشرسة وليس على لسانه إلا السبّ واللعن؟.

٥ ـ الحديث رقم (٥٩٢٤) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد «أن رجلاً اطلع

من جحر في دار النبي ﷺ والنبي يحك رأسه بالمدري فقال:
«لو علمت أنك تنظر لطعنت بها عينك، إنما جعل الأذن من قبل الإبصار» لم يكن الرسول الكريم بهذه الفظاظة خاصة مع البسطاء والجهال من الناس، والدليل على كلامي تجدونه في نفس الأحاديث التي لايمكن أن تخلوا من كلمة حق ضائعة هنا أو هناك:

٦ ـ الحديث رقم (٢٢٠) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس (أي بدؤوا يضربونه ويسبونه) فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا (أي صبّوا) على بوله سجلاً (دلواً) من ماء، فإنما بعثتم مُيَسِّرينَ، ولم تُبعَثُوا معسِّرينَ».

المهم أن لايفقد المسلم الميزان، عندها باستطاعته تمييز الحق من الباطل.
لكن الحق من بين الأحاديث أصبح نادراً، لأن السلطان لم يكن يرغَبُه وكما لم يكن جنوده يطيقُونه أيضاً.

٧ ـ الحديث رقم (٧٣٤٦) من صحيح البخاري: عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول في صلاة الفجر بعد أن رفع رأسه في الركوع قال: اللهم ربنا ولك الحمد في الآخرة. ثم قال: «اللهم إلعن فلاناً وفلاناً» فأنزل الله عز وجل.
﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ ١٢٨ ـ آل عمران.

فجنود السلطان كانوا دائماً يستغلون الأحاديث الصحيحة المروية عن الصحابة بسند لايمكن التشكيك فيه أبداً، فيأتون لمتن الحديث إما يحذفونه كله أو يبقون عليه مع إضافة مايريدون إضافته، كما في الحديث السابق الذي نبحثه الآن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فهو صحابي جليل وهو ابن عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، ومن أعظم الشخصيات الإسلامية والسواعد القوية التي ساهمت في بناء الإسلام الصحيح. ربما كان نص الحديث عن ركن من أركان الصلاة، فيروي أنه سمع الرسول ﷺ يقول في صلاة الفجر: «اللهم ربنا ولك الحمد في الآخرة».

ثم أضاف عليها جندي السلطان الذي يتوقع مكافأة جزيلة من السلطان لعمله هذا بوضع عبارة «اللهم العن فلاناً وفلاناً» وبدون ذكر أسماء، لأن المطلوب هو إيجاد شاهد إثبات على أن الرسول سبق ولعن أحداً في الإسلام وفي المكان المخصص لعبادة الله سبحانه فقط، وليس ليكون مكاناً للسبِّ وللَّعنِ حتى تكون له سنة صالحة ومتبعة من

بعده لمن شاء وأراد أن يلعن ويسبب خصومه السياسيين. لكن الله سبحانه ينبّه رسوله أن لله قوانينه وسننه التي يتبعها حتى لايظلم أحداً فيقرّر لرسوله الوضع النهائي في آخر كلمة من الآية.

﴿ فإنهم ظالمون﴾

والظالم عند الله لايستحق المغفرة ولايستحق أيضاً الإيمان. وهذا الكلام عليه دليلٌ من اللع تعالى وهو قد سبق وقرر هذه الأمور في آيات واضحة وصريحة من القرآن:

﴿والله لايهدي القومَ الظالمين﴾ ٨٦ ـ آل عمران.

﴿إنّ الله لايهدي القومَ الظالمين﴾ ٥١ ـ المائدة.

﴿ألَا لعنةُ الله على الظالمين﴾ ١٨ ـ هود.

﴿إن الظالمين لهم عذابٌ أليم﴾ ٢٢ ـ إبراهيم.

﴿وأعتدنا للظالمينَ عذاباً أليماً﴾ ٣٧ ـ الفرقان.

﴿ما للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع﴾ ١٨ ـ غافر.

بعد أن نقرأ كل هذه الآيات ونصل إلى الأخيرة، يجب أن نعلم أن الله لايطيع الشفاعات أبداً، لأنه إن أطاع ظلم العباد. هذا في عدله وحسابه في السماء ولكن الآية تقصد أنه لا حميم ولا شفيع للظالم في الأرض بحسب شرع الله إذا طبّقه العباد قانوناً ودستوراً. أما في يوم الحساب فإن رب العالمين قد رفض مبدأ الشفاعة من أساسه لأنه سبق وأن أعلن لكل الناس قائلاً:

﴿إنَّ الله لايظلم مثقالَ ذرّةٍ﴾ ٤٠ ـ النساء.

والذي لايفهم آيات القرآن بهذا الأسلوب لم يفهم القرآن وآياته بعد.

بينما نجد الحديث يقلب الموضوع تماماً ويجعل النبي ـ الذي كان يدعو الله بأن يغفر لهم ـ يَلعَنُهُم ويطلب اللعنة عليهم من الله سبحانه؟

وكلكم تذكرون موقف الرسول بعد وفاة زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي.

٨ ـ الحديث رقم (٢٧٧٤) من صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمر قال: لما توفي عبد الله بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه. فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه. فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام

عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله! أتصلّي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله. فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة. وسأزيده على سبعين. قال عمر: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل:

﴿ولا تصلِّ على أحدٍمنهم ماتَ أبداً ولا تقم على قبرِهِ﴾ ٨٤ - التوبة.

لاشك أن في الحديث السابق بعض الحقائق لكن الافتراء واضح وجلي على العين الناقدة الخبيرة بأساليب المنافقين ووسائلهم من خلال تقصي آثارهم. حيث يحاول جندي السلطان أن يجعل من عمر الشخصية القوية التي لاتحترم الرسول، وهذا واضح في الأسلوب، فليس الرسول محمد الذي يمكن لأصحابه أن يشدوه من ثوبه تهجّماً. فهو رسول يوحى إليه من ربه ومكلف برسالة للعالمين، والرسول شخصية غير اعتيادية أبداً، فيه مزايا لايمكن حصرها، ولكن ضمن المعقول والممكن في الإنسان دون الحاجة للمبالغة فيه. ربما نوى الرسول فعلاً أن يصلي عليه، لكن ليس في القرآن مايشير إلى أن الرسول قد صلى فعلاً عليه، بل إن الله قد أرسل إليه الوحي قبل أن يصلّي عليه حتى لاتصبح بعد ذلك سنة أبداً، وهذا هو الأرجح بدليل إن الأمر واضح من الله، ولم يقل له لِمَ صلّيت على منافق؟ أو لم قمت على قبره؟ والله سبحانه لايستحي من الحق. وقد قالها للرسول قبل هذه المرة عندما حرّم على نفسه شرب العسل بمؤامرة من بعض نسائه في القصة المعروفة.

﴿يا أيّها النبي لم تحرّم ما أحلَّ الله لكَ تبتغي مرضاتَ أزواجِكَ والله غفورٌ رحيم﴾ ١ - التحريم.

وأنتم تلاحظون لم يقل له الله (يا أيها النبي لاتحرّم ما أحل الله لك).

بل قال له كما ترون (يا أيها النبي لِمَ تحرّم ما أحلَّ الله لك).

والفرق واضح، ولو صلى الرسول على المنافق لقال له سبحانه يا أيها النبي، لِم تُصلِّ على منافق؟ (الحديث نفسه ورد في صحيح البخاري برقم ٤٦٧٠) بينما وجدنا الحديث السابق يقول ظلماً إن الرسول ﷺ في صلاة الصبح يطلب اللعنة من الله على بعض الناس دون أن يحدد الأسماء، حتى تكون سنةً متبعة من السلطان وجنوده الأوفياء له لسبّ ولعن من يشاؤون.

ـ وأحاديث أخرى حاولت أن تصور الرسول إنساناً يحابي أصهاره وأزواج بناته ويعطيهم مالاحق لهم فيه لمجرد القرابة والنسب، حتى تكون من بعد سنة متبعة للسلطان

بحجة تلك الأحاديث التي اعتبرها رجال الدين عنده شرعاً مفروضاً واجب الاتباع من الجميع، وأصبحت قوانين نافذة في القضاء الإسلامي. فصارت حجة رسمية حتى يميز به السلطان أهله وأقرباءه وعشيرته وقبيلته عن العالمين.

٩ ـ الحديث رقم (٣١٣٠) من صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنما تَغَيَّب عثمان (بن عفان) عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له النبي:

«إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه» لاحظوا أسلوب الشيطان في الدس (كانت تحته بنت الرسول) ولأنه كان صهر الرسول يحابيه ويقول له لك أجرُكَ الكامل من الله، وكما أن حصتك من الغنائم محفوظة، وكأنك حضرت المعركة تماماً. علماً أننا إذا درسنا السيرة النبوية لاكتشفنا أن الرسول لم تكن هذه من صفاته أبداً، ولم يكن يحابي أحداً على أحد، وكان يقول الحق ولو على نفسه ومن أجل ذلك قال: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، وكما أنه كان مطيعاً لله ولايتكلم في غيب الله أبداً إلا بما وصله علمه في القرآن، وماليس في القرآن لم يصل إلى الرسول أبداً.

وقد كان الرسول إذا سئل عن شيء لم يصله علمه من الله لايخجل أن يقول معترفاً بعدم علمه، ولم يقل للناس إنه عالم متبحر في غيب الله كله، كما فعل مشايخ السلطان فيما بعد، فتكلموا عن غيب الله كله باسم الرسول الكريم، والرسول بريء من كل افتراءاتهم وتخيلاتهم.

١٠ ـ الحديث رقم (١٢٤٣) من صحيح البخاري: عن امرأة من الأنصار زكت أحد المهاجرين من جيرانها الذي سكن عندهم في الدار بعد الهجرة وبعد أن قاسمهم الأنصار دورهم، وكان اسمه (ابو السائب)فمات. فقالت بحضور الرسول الكريم (فشهادتي عليك لقد أكرمك الله أبا السائب)فقال النبي ﷺ: «ومايدريك أن الله أكرمه؟» فقلت بأبي أنت يارسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال عليه السلام: «أما هو فقد جاءه اليقين. والله إني لأرجو له الخير، والله ماأدري ـ وأنا رسول الله ـ مايفعل بي؟» قالت: فوالله لاأزكي أحداً بعده أبداً».

فصفات الرسول الكريم لم تكن أبداً كما يحاول السلطان وجنوده تصويرها في تلك الأحاديث المفتراة ظلماً لأنفسهم وللرسول ﷺ وللمسلمين، من أجل جعل تلك الصفات مع الأمر والنهي الجديد سنَّةً نافذة في الشرع السلطاني تحت غطاء الإسلام والإيمان.

رسول الإسلام ورسول السلام ورسول الله في دين الحرية إلى كافة الناس، الذي بلغ للناس ديناً للعالمين يصلح لكل زمان ومكان وإلى يوم الدين، وحث الناس على مكارم الأخلاق، وعلمه ربه أن العبودية مرحلة من تاريخ البشرية، ومن أعراف الناس، لابد أن تتوقف يوماً في كل مكان. فكان الإسلام سباقاً، لتحبيب الناس إلى هذا العرف الجديد من دون إكراه، لأن الله سبحانه الذي يطور الإنسان بعامل الزمن يعلم تماماً اتجاه المسير للتاريخ فبدأ الإسلام الخطوة الأولى نحو تحرير العبيد وأنا أقصد إسلام القرآن ولا أتكلم عن دين السلطان في هذه الفقرة.

فبدأ الإسلام الخطوة الأولى بأن جعل عتق العبد أو الأمة كفارة للمسلم عن كثير من الذنوب. لعلم الله أن الإكثار من عتق الرقاب مع توقف القتال والحروب بعد عصر الرسول وصحابته وعودة الإسلام إلى نشر الدين بالجهاد السلمي وبالحكمة والموعظة الحسنة، فلن يكون هناك مصدر جديد للعبيد، فيكون المسلمون هم أول من ينتهي من عرف العبودية للدخول إلى عصر حقوق الإنسان في الحرية لكن السلاطين اعتباراً من السلطان الأول قلبوا الإسلام رأساً على عقب بعد الفتنة الكبرى، وأعادوا الأمور إلى ماكانت عليه مع الإبقاء على الأسماء دون الروح أو المضمون. فكان الإسلام مع الأسف الشديد هو آخر الناس للوصول إلى هذا العرف مع وجود بقايا لهذا العرف بينهم إلى اليوم، لأنهم لم يستطيعوا بعد التخلص من تعاليم دين السلطان للعودة إلى دين الرحمن الموجود في القرآن الكريم دون باقي الكتب كلها عند المسلمين.

ولذلك يجب أن لانفاجأ عندما يأتينا جندي من جنود السلطان بحديث معاكس للإسلام كله، ومعاكس لأخلاق الرسول التي تميل كلها لأخلاق الأحرار من الناس، المتحررين من جميع أنواع العبودية إلاّ لله وحده لا شريك له، لعلمهم جميعاً بأن من كان عبداً لله وملكاً لرب العباد لايمكن أن يكن مملوكاً لأي مخلوق آخر أبداً، لكن السلطان الذي يحب أن يكون عنده آلاف العبيد والإماء والجواري فقد ألّف له جنوده مايشاء ويرغب من الأحاديث إرضاء له، ولو كان في ذلك إغضاب لله تعالى، طالما سوف يقبضون ـ الدراهم جائزةً عملهم ـ كذباً وافتراء على رسول الله:

الحديث رقم (٢٥٤٨) من صحيح البخاري: قال أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ قال:

«للعبد المملوك الصالح أُجران. والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرُّ أُمّي لأحببت أن أموت وأنا مملوك».

وهذا من أجل تحبيب العبيد بالعبودية، فنقول لهم كذباً إن الرسول كان يتمنى أن يكون عبداً مملوكاً للناس.

هل هذا الحديث وحي من الله مثل القرآن الذي يشرح دين الرحمن؟ كيف كرم الله الإنسان وأسجد له الملائكة أجمعين؟

هل كان الرسول ﷺ فتاناً؟ هل تصدقون ذلك؟

هل يمكن أن يأتيه رجل من صحابته وقد تزوج البارحة وبدل أن يبشره بكلمات التبريك وبالرفاه والبنين وأن يجعل الله زوجته مباركة ويكون وجودها معه وجود خير وسعد في حياته فيقول له بدل كل ذلك الكلام ماتزوجت؟ فيجيبه الرجل وكأنه قد ارتكب جريمة لاتغتفر تزوجت ثيباً! «امرأة سبق أن تزوجت سواء كانت مطلقة أو أرملة» فماذا يجيبه الرسول؟:

الحديث رقم (٥٠٨٠) من صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: (بعد الحوار السابق الذي سجّلناه) قال لي رسول الله ﷺ:

«هلا جارية تلاعبها وتلاعبك» وقد تفنن جنود السلطان بعبارة الرسول الأخيرة التي هي أصلاً افتراء للروايات التي وردت في ذلك الصحيح فقط:

تحت باب اسمه: باب استحباب نكاح البكر:

في المسلسل (٥٥) الحديث رقم (٧١٥): قال له الرسول ﷺ:

«فأين أنت من العذارى ولعابها».

في المسلسل (٥٤): «فهلا بكراً تلاعبها؟».

في المسلسل (٥٦): «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟».

أو قال: «تضاحكها وتضاحكك».

وفي رواية أبي ربيع: «تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك».

وفي الرواية (٥٧): «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟».

وفي الرواية (٥٨): «فهلا تزوجت بكراً تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك وتلاعبها؟».

أي أن الرسول ﷺ يكرهه بما فعل، وكان يحبذ لو تزوج بكراً صغيرة.

هذه هي الأحاديث التي يحبها السلطان ويدفع من أجل افترائها الهبات والعطايا حتى

تصبح له سُنَّةً محببة، ويصبح شغله الشاغل في جنة الدنيا فض البكارى من العذارى. وحتى هذه استوردوها من كتب أهل الكتاب، لأن السلاطين عندهم كانوا قد سبقوا المسلمين إلى مثل تلك التحريفات حتى جعلوا الزواج من المطلقات من المحرمات ديناً: (والذي يتزوج مطلقة يرتكب الزنى)(*).

في توصيات للكهنة في سفر اللاويين في التوراة نجد:

(ليتزوج من عذراء، لا من أرملة ولا مطلقة ولا زانية مُدَنَّسَةً بل يتزوج عذراء من سبطه، فلا يدنس نسله بين شعبه لأني أنا الرب الذي أُقدسُهُ)(**).

وهكذا تجدون أني لم أخطىء أبداً في تقديري عندما قلت لكم: إن مصادر دين السلطان كلها من مخلفات سلاطين أهل الكتاب، ومن محرفاتهم القديمة التي قدّمت لكم عنها نموذجاً قبل بحثنا عن الأحاديث، حتى تعلموا عن أي مصادر كنت أبحث وأتكلم.

والآن: إذا عدنا إلى قرآننا المهجور منذ أول سلطان تسلم الحكم في الإسلام ماذا نجد عن ذلك؟

قال الله تعالى وهو يخاطب رسوله الكريم:

﴿عسى ربّه إن طلَّقكُنّ أن يبدلَهُ أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيّباتٍ وأبكاراً﴾ ٥ ـ التحريم.

فنجد أن سبحانه قد وضع الثيبات قبل الأبكار للتفضيل، حتى يجعل فرصتها في الزواج قبل البكر لأن فرصة زواج البكر قائمة في كل وقت.

وإذا عدنا للسيرة النبوية لنرى ماذا فعل الرسول، هل طبق سنة الله التي في كتابه؟ أم أنه طبّق سُنَّةً خاصة بنفسه كما يدّعي السلطان وجنوده؟ فنجده أنه قد تزوج أول زواج له من خديجة رضي الله عنها وهو في الخامسة والعشرين ولم يتزوج غيرها حتى ماتت وهو يقارب الخمسين، ثم تزوج من بعدها وكانت له زوجاته من الثيبات ولم يتزوج في حياته كّلها إلا بكراً واحدة هي عائشة رضي الله عنها.

معنى ذلك أن الرسول كان يطبق سنة الله وكتاب الله ولم يكن له سنة خاصة به.

(*) إنجيل متى الإصحاح ١٩ ـ الفقرة ٩.

(*) العهد القديم ـ سفر اللاويين ـ الإصحاح ٢١ ـ الفقرات ١٣ ـ ١٥.

إذاً علمنا الآن أن كل السنن التي نقرؤها في هذه الأحاديث هي سنن السلطان التي زورها وافتراها على لسان الرسول ليعطي لها القدسية، ومن بعد ذلك دفع لجنوده حتى أجمعوا كلهم على أنها وحي أيضاً من السماء مثل القرآن تماماً، حتى يجعل من سننه التي ألّفها له جنوده ديناً خاصاً سمّاه الإسلام ظلماً ولكني أبرهن لكم في هذا الكتاب، أنه دين السلطان، وفيه كل رغباته وأمانيه وشهواته الدنيوية. ومناقضتها الدائمة للقرآن تثبت صحة ماأدعو إليه.

والقاعدة في إخراج الأحاديث وافترائها هي حاجة السلطان. فلو فرضنا أن أحد المقاتلين أخذ لنفسه من السبايا واحدة أعجبت السلطان الذي يريدها لنفسه فحتى لايتقول الناس على سلطانهم، كان جنوده يوفرون له ما يحتاجه من أحاديث تخدمه عند الأزمات، مثل الحديث التالي:

١٣ ـ الحديث رقم (١٣٦٥) من صحيح مسلم: عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وفي قصة طويلة نصل إلى موضوعنا حيث قال:

«وأصبناها عُنوَةً. وجُمِعَ السَّبْيُ فجاءه دُحيَة فقال: يارسول الله! أعطني جاريةً من السبي. فقال: اذهب فخذ جاريةً» فأخذ صفية بنت حُييٍّ. فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يانبي الله أعطيت دُحيَة، صفيَّة بنت حُييٍّ، سيد قريظة والنَّضير؟ ماتصلح إلا لك. قال: «ادعوه بها» قال: فجاء بها. فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جاريةً من السبي غيرها. قال: وأعتقها وتزوجها».

إلى نهاية القصة. التي توحي بأن الرسول أعجب بجمالها فأحبها لنفسه.

ومايهمنا أن جندي السلطان غرس سنة وقاعدة للسلطان يستطيع أن يستخدمها في أي وقت يشاء، بحجة أن الرسول ﷺ قد سنّ تلك السنة النبوية، ولايهمّه كثيراً أن هذا الموضوع لم يكن من أخلاق الرسول، فهو لم يكن يبحث في غزواته عن الغنائم والكنوز والسبايا الحسان. كان رسولاً ينفذ تعاليم ربه ويعمل على تقوية الإسلام، وجعل قاعدة صلبة لها في جزيرة العرب عاصمتها المدينة المنورة، حتى إذا تركها الرسول بعد وفاته استطاع من يأتي بعده الوقوف على قدميه، وخاصة أنه قد تخلص من الأعداء الداخليين، لكون خطرهم أكبر من الأعداء المهاجمين عليه من الخارج.

وفعلاً استطاع الخليفة أبو بكر من بعده القضاء على الفتنة الأولى في الإسلام وهي فتنة الامتناع عن الزكاة، وقد بينت أنها لم تكن ردة، وبرهنت عليها بما يجب من البراهين

والأدلة اللازمة، ثم حروب عمر بن الخطاب الدفاعية ولم تكن تلك الحروب من أجل نشر الدعوة أبداً بل كانت دفاعاً عن النفس، لأن الفرس والروم اكتشفوا وجود قوة عسكرية ناشئة وبشكل مفاجىء وغير متوقع من الجزيرة العربية، لأنهم كانوا يسخرون منهم سابقاً ويعلمون باستحالة اتحاد قبيلتين منهم على أمرٍ واحد أبداً فكانوا يجهزون الجيوش للقضاء على تلك القوة في مهدها وكان الرسول الكريم يعلم أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم فعلمها لأصحابه.

الحديث التالي الذي ألفه جنود السلطان كان من أحب الأحاديث لكل السلاطين، إذ كان بموجبه يُهدى للسلطان من جميع أنحاء السلطنة بأجمل الفتيات، هبة من الآباء للسلطان الذي كان ينتقي منهن من يشاء ويوزع الباقي على حاشيته ومقربيه.

الحديث رقم (٥٠٣٠) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد قال: إن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله جئت لأهب لك نفسي. فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يارسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة فزوّجنيها. فقال له: «هل عندك من شيء» فقال: لا والله يارسول الله. قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ماوجدت شيئاً. قال: «انظر ولو خاتماً من حديد»، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ولاخاتماً من حديد ولكن هذا إزاري - قال سهل ماله رداء - فلها نصفه. فقال رسول الله ﷺ: «ماتصنع بإزارك؟ إن لَبِستَهُ لم يكن عليها منه شيء وإن لَبِسَتهُ لم يكن عليك شيء». فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولّياً (أي منسحباً من الموضوع) ، فأمر به، فَدُعِيَ، فلما جاء قال: «ماذا معكَ من القرآن؟ قال: هي سورة كذا، وسورة كذا، عدّها. قال: «أتقرؤهنّ عن ظهر قلبك؟» قال: نعم. قال: اذهب قد ملّكتها بما معكَ من القرآن».

قد تظنون هذا من الأحاديث البسيطة. إن الذي افترى هذا الحديث هو شيطان حقيقي. لقد هدم بنصف صفحة مما صف من الكلمات حقوق المرأة في الإسلام كله، وجعلها تساوي صِفراً. وقد تستغربون، وإليكم شرح هذا الحديث الخطير ومعه الدليل على ماأقول:

إن كل جملة وردت في هذا الحديث اعتبرت في إسلامنا الحالي قانوناً نافذاً منذ ألف

وأربعمائة عام وحتى الآن، علماً أن كل مافي هذا الحديث افتراء على ماهو موجود في القرآن وبالتالي فهو افتراء على الله والرسول معاً.

والمسلمون لايعلمون خطورة الأحاديث التي يسمعونها في المساجد من الأئمة ويرددون عند سماعها كالببغاوات وراء قول الإمام الخطيب:

صدق رسول الله ﷺ، وهم لايعلمون أن الرسول بريء من كل تلك الافتراءات براءة حتمية لامجال للنقاش أو الجدال فيها، والدليل موجودٌ، وهو نص القرآن المحفوظ سليماً ومناقضاً لكل تلك النصوص المحرّفة. والناس لايعلمون أن السلطان ومفتيه وولي أمر المرأة هم الذين سنّوا تلك الأحاديث قوانين سادت ونفذت معتبرين أن تلك الأحاديث صارت ثابتة وتحولت من بعد الرسول الذي وُضِعَ اسمه فيها ظلماً، لتصبح من حقوق هؤلاء الذين عَدَّدْتُ مراكزهم، وبالتالي صارت المرأة عبْدة مملوكة للسلطان باعتبارأنه ولي أمر النساء جميعاً من بعد الرسول، ثم تتدرج ولاية الأمر عليها إلى أبيها أو عمها أو خالها فيتصرف بها الجميع تصرفَهم بالأشياء وليسَ بالأحياء التي لها حقوق إنسانية من ربِّ العالمين. فالمرأة بعد هذا الحديث مع مساعدة أحاديث أخرى مماثلة طبعاً حوَّلها شرع السلطان إلى شيء واعتبرت من المتاع الخاص بالرجل وألغوا وجودها كنفس إنسانية توازي وتساوي نفس الرجل تماماً.

إن الجملة التي اتهمت المرأة بأنها قالتها وهي: (يارسول الله جئت لأهب لك نفسي) صارت ترجمتها في الشرع الإسلامي: يا أيها الناس أنا المرأة في الإسلام أقرُّ واعترف بأنّي قد وهبتُ حريَّتي وشخصيَّتي وكرامَتي ووجودي كلَّه للرَّجل المتمثلِ في السُّلطان وولي الأمر والزوج. لماذا؟

يحاول مفتري الحديث أن يلصق الموضوع بالرسول الكريم، وبالتالي بالقرآن من أجل وجود آية يتيمة ووحيدة في القرآن الكريم وهي التي تقول:

﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسَها للنبيّ﴾

وهي آية خاصة بالرسول محمد ﷺ ولا علاقة بالمؤمنين ولا بالمسلمين أبداً. ولذلك رب العالمين يخاطبه فيها بصفة النبوة وليس بصفة الرسالة والرَّسولية التي فيها تبليغ للناس. فليس في هذه الآية أي تبليغ، لأن المؤمنين لاعلاقة لهم بالموضوع وهي الآية التالية في القرآن الكريم التي تنظم علاقة الرسول مع نسائه وبيته الخاص:

﴿يا أيها النبي إنّا أحلَلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورَهنّ وماملكت يمينُك مما أفاء الله

عليكَ وبناتِ عمّك وبناتِ عمّاتكَ وبناتِ خالِك وبناتِ خالاتِك اللاّتي هاجرن معك وامرأةً مؤمنة إن وهبت نفسَها للنبي إن أرادَ أن يستنكحها خالصةً لك من دونِ المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكَت أيمانُهم لكيلا يكونَ عليك حرجٌ وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ٥٠ ـ الأحزاب.

وإذا دققنا في كلمات الآية وجدنا أن موضوع الهبة من المؤمنة لنفسها لايمكن أن تتجاوز الرسول إطلاقاً لقول الله فيها ﴿خالصةً لك من دون المؤمنين﴾ أي إما أن يقبل الرسول أو يعتذر وانتهى الموضوع.

وإذا فكرنا بالموضوع إنسانياً لوجدنا أن المرأة التي تقدم على مثل تلك الخطوة لايدفعها لذلك إلا حبها الخالص لشخص الرسول النبي فتريد من حبها أن تكون خالصة له.

والمرأة بطبعها الذي خلقها عليه الله خجولة في مثل هذه الأمور، وإن تجرأت لايمكن أن تقدم عليها علناً والرسول في مجلسه العام بين صحابته، وإنما تتحين أن تستأذن لتكلّمه على انفراد لأن الموضوع كله ذاتي وشخصي.

أما الطريقة التي يعرضها جندي السلطان هنا فكأنها دخلت سوق النخاسة لتبيع نفسها، فعرضت ذلك على تاجر صعد فيها النظر ثم طأطأ رأسه دليل عدم إعجابه بالمعروض عليه ومن ثم جلوس المرأة في مجلس الرجال والكل يتأملها ليشتريها حتى يقول أحدهم: إذا كنت لاترغب فيها يارسول الله أنا آخذها. ثم يكتشف الرسول أن الرجل الوحيد الذي رغب فيها مفلس هو وأهله جميعاً. وليس عندهم خاتم من حديد. ثم أراد الرجل الوحيد الذي أبدى رغبته بالانسحاب فيتحايل عليه التاجر الكبير على إعطائها له بأي ثمن. وإذا دققنا في الحوار لوجدنا أن المرأة فقدت وجودها وحقها في نفسها بمجرد قولها في عبارتها الأولى (يارسول الله جئت لأهب لك نفسي). فلم يعد يسألها أحدٌ أبداً: مارأيك أنت ياامرأة؟ لأن السلطان الذي دفع الدنانير وصمم هذا الحديث ليكون قانوناً دائماً يحكم به النساء شاء ألا يكون للمرأة حق في نفسها أو رأي أو قرار.

والشاهد على صحة ماأذهب إليها الجملة الأخيرة التي وضعوها على لسان الرسول الكريم وهو بريء منها، وهي: «اذهب فقد ملّكتكها بما معك من القرآن» أي أنها أصبحت ملك يمينك. وليس في الموضوع زواج، بل بيع وشراء كما قلت لكم. وهكذا نحن: نطبق قوانين الشيطان ثم نعود لنقول للناس ولأنفسنا بأننا مسلمون. وأي إسلام

ودين هذا الذي نطبقه إن لم يكن دين السلطان؟!! أين دين الله الذي في القرآن؟. أفلا تبصرون؟

اعذروني على قولي (فعرضت ذلك على تاجر) ولم أقل الرسول ﷺ لأني أعتقد جازماً أن الرسول العظيم بريء من كل هذه القصة تماماً.

وأنا شخصياً لم أفاجأ بعد قراءتي لحديث المرأة التي وهبت نفسها للرسول عندما وجدت في صحيح البخاري بعد ذلك باباً خاصاً بعنوان:

باب السلطان ولي بقول النبي «زوّجنا كها بما معك من القرآن» لأن السلطان لم يدفع آلاف الدنانير من أجل تأليف تلك الأحاديث لتروى له في أحاديث سمره، وإنما من أجل جعلها قوانين وسنن نافذة، تطبق على الناس شرعاً في القضاء والمعاملات، ويصبح من بعدها ديناً يؤمن به المسلمون كلهم في سلطنته، ومن يكفر بتلك الأحاديث كفر وارتد عن الدين ويحق قتله بشرع السلطان وليس بشرع الله الذي في القرآن، لأن القرآن أساساً لم يُكره أحداً على الإسلام، بل قالها لهم صراحة: ﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وحسابكم عند الله. ولم يجعل رسوله وكيلاً على الناس ولا أولياء الأمور من بعده، لكن ذلك كان فقط في دين الرحمن ونحن نتكلم الآن في دين السلطان.

الحديث رقم (٦٥٥٠) من صحيح البخاري: عن أنس قال: أصيب حارثة (قتل) يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر واحتسب وإن تكن الأخرى ترى ماأصنع؟ فقال رسول الله ﷺ:

«ويحك أَوَهَبِلتِ؟ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه لفي جنة الفردوس»

هل يمكن للرسول الكريم أن يقول للمرأة الملهوفة على ابنها الوحيد الذي مات عنها «ويحك أوهَبِلتِ؟» أم هذا هو سنة السلطان في الكلام مع النساء بشكل عام؟

١٤ ـ الحديث رقم (٣٠٤) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر (أي أحد العيدين) إلى المصلّى فمر على النساء فقال: «تصوروا الرسول الكريم في صباح يوم كريم من صباح يوم أحد العيدين يمر على النساء اللواتي أتين إلى صلاة العيد من صباح ذلك اليوم الباكر ليستبشرن خيراً بهذا العيد السعيد فيلتقي بهن الرسول الكريم فيخطب فيهن قائلاً في خطبته عيد وأي عيد!!»

«يا معشر النساء تصدقن فإني أُريتُكُنّ أكثرَ أهلِ النار» (والعياذ بالله من هذا الصباح).
فقلن (مذعورات): وبم يارسول الله؟ قال (الرسول الكريم):
«تكثرن اللعن وتكفرن العشير. مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكنّ».
قلن: (وهن مصدومات بهذا الكلام في هذا الصباح من هذا اليوم المفروض أن يكون سعيداً على كل المسلمين) (وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله؟)
قال:
«أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟».
قلن: (بلى).
قال:
«فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصَلّ ولم تصم؟»
قلن: (بلى). (أيضاً).
قال: «فذلك من نقصان دينها».
ألم تخرج من كل النساء من تقول: وماذنبنا في كل هذا يارسول الله؟ أليس الله هو القائل في قرآنه الكريم:
﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ ٢٨٦ - البقرة.
أليس الله هو الذي يقول أيضاً في القرآن الكريم:
﴿ولا تَزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ ١٨ - فاطر.
وماذنبنا إذا خلقنا الله نساء؟ ولكن هكذا كانت مشيئة السلطان بأن تسن القوانين الشرعية الجديدة على لسان الرسول الكريم كذباً، حتى إن فعل مثلها السلطان قال مستشهداً بمثل هذه الأحاديث هو أو رجاله من جنوده ليبرّروا تصرفاته كلها بأنه رجل تقي يتبع سنة سيد المرسلين. والغريب أكثر: أن ما يزيد عن تسعة وتسعون بالمائة من المسلمين لازالوا يصدقون مثل هذه الأحاديث المشوّهةُ لسمعة الرسول وأخلاقه وتصرفاته بين العالمين، التي لايمكن أن يؤلفها على الرسول إلا حاقدٌ أو حاسدٌ أو منافق.
الرسول الكريم يعفو عن خائن لله وللرسول وللمؤمنين خيانة عظمى بحجة واهية. وهذه

صورة جديدة يحاول جنود السلطان أن يلصقوها بالرسول ﷺ حتى تكون سنة للسلطان يعفو عمّن يشاء من الخونة وأعداء الإسلام المتسترين بالإسلام نفاقاً إذا شاء:

١٥ ـ الحديث رقم (٤٨٩٠) وتحت باب (لاتتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء) من صحيح البخاري ليكون دليلاً لهذا الشيخ الجليل بأنه لم يكن موافقاً على كل مايقال عن الرسول ﷺ من أحاديث غير صحيحة، ولكنه من خشية السياف كان لايجرؤ على الإجهار بها علناً فوضعها في كتابه الصحيح حتى يلمحها كل مؤمن غيور على دينه يبحث عن الحقيقة في أي يوم من الأيام ـ كما أن للحديث هدفين وهما: الإساءة المباشرة للرسول ﷺ ومن بعده لعلي بن أبي طالب لأن الحديث عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وصاحب الحديث جندي من جنود السلطان الأموي الذي يعادي آل البيت ويسبّهم على منابر المساجد كل يوم جمعة وفي كل خطبة، حيث يقول علي بن أبي طالب في هذا الحديث:

(بعثني رسول الله ﷺ وأنا والزبير والمقداد فقال:

«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها».

فذهبنا تعادى بناخيلُنا (أي نتسابق سرعة بالخيول) حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي بالكتاب.

فقالت: مامعي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب.

فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، (أي باختصار: جندي من جنود المسلمين يخون رسوله وإخوانه كلهم ويرسل للأعداء بأخبار تهمّ المشركين الذين يقاتلون المسلمين أي خيانة عظمى وثابتة بدليل مادي) فقال النبي ﷺ:

«ماهذا ياحاطب؟». قال:

لاتعجل عليّ يارسول الله، إني كنت أمرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً (أي معروفاً) يحمون (بها) قرابتي، ومافعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني. (أي باختصار شديد عذر أقبح من ذنب).

فقال النبي ﷺ :

«إنَّهُ قَد صدَقَكُم» (وهل يكفي أن يقول الجاسوس الذي قبض عليه متلبساً بالجرم وشاهد إدانته معه فيأتي أمام المحكمة ويعترف بجرمه؟ وكيف لايعترف وهو ثابت عليه بالدليل؟ فهل يكفي اعترافه للإعفاء عنه؟. ثم إن هذا موضوع عام يهم كل المسلمين وليس بأمر خاص للرسول الكريم.

فقال عمر: دعني يارسولَ الله فأضربُ عُنقهُ.

فقال الرسول ﷺ: إنَّهُ شهدَ بدراً ومايُدريكَ لعلَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلعَ على أَهلِ بدرٍ فقال: «اعملوا ماشئتُم فقد غَفَرْتُ لكُم» قال عمر: ونزلت فيه:

﴿يا أيها الذينَ آمنوا لاتتّخذوا عدوّي وعدوّكم﴾ قال: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمر.

غايات الحديث في الإساءة للرسول ﷺ ولعلي رضي الله عنه واضحة وجلية، إذ يحاول المحدث التلبيس على المؤمن موضوع الرأفة والتسامح من قبل الرسول ﷺ.

فقد كان الرسول فعلاً متسامحاً في كل مايخصه من حقوق يستطيع أن يتصرف بها من شخصه، لكن الرسول مع ذلك كان حازماً وشديداً خاصة إذا كان الموضوع متعلقاً في أمر من أمور الله التي فيها حدّ من حدوده، وهنا الخيانة من كبائر الإسلام العشرة. حيث لاتسامح من الله أو الرسول فيها. وقد سمعنا الرسول قبل ذلك وهو يتحدث عن أحد الحدود وهو حد السرقة إذ قال:

«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

أي إن الرسول ﷺ لن يتساهل في حدود الله مطلقاً. ولكن يمكن أن يتسامح مع رجل أو امرأة آذت الرسول شخصياً بالكلام أو بالفعل، كأن ترمي عليه القاذورات مثلاً وهو سائر في الطريق. أما أن يتسامح في قتل أو سرقة أو خيانة عظمى فليس هذا هو رسول الإسلام. أما أن يقلّد جندي السلطان فهذا حديثٌ ثانٍ سمعناه قبل ذلك فيرتب الحديث تماماً مثل الحديث السابق ليمرره افتراء قياساً على حديث سابق آخر وهذا هو الأرجح في قصتنا هذه ويستطيع القارىء إجراء المقارنة مع الحديثين وجوانب المشابهة بينهما فمع حشر عمر بن الخطاب في موضوع الحديث السابق الذي قرأناه تحت الرقم (٢٧٧٤) من صحيح مسلم. في قصة صلاة الرسول على زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ حيث رأينا موقف الرسول ﷺ كان موقف المستغفر بعد موت الرجل، بينما كان موقف عمر المعارضة. فجعل الراوي هنا أيضاً موقف الرسول مع هذا الخائن الذي

اعترف بخيانته مثل موقفه مع الرجل الذي مات وصار في ذمة الله.

إن هذا الكلام وأمثاله في الحديث ليس له أصل إلا في خيال الرواة فقط. لذلك لانستطيع الأخذِ برواياتهم المناقضة لآيات الله وسننه ومبادئه في كتابه.

من المعروف عن الرسول ﷺ الرأفة والرحمة، وتاريخ السيرة النبوية بشكل عام يشهد على ذلك، هذا مع الشهادة الأصلية من الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم التي استشهدنا بها مراراً في هذا الكتاب. ومن المعروف من تلك الطباع أنه ﷺ كان إذا خُيِّرَ بين أمرين أو حُكمين كان يميل على اختيار الأيسر دائماً دون تهاون قطعاً في حدود الله، والقصة التالية من أكبر مادُسّ على الرسول ﷺ من إتهام بأنه كان يميل للعنف والقتل والتعذيب، وهي تماماً على عكس طباعه وميوله التي عرف بها بين الناس ومن القرآن.

١٦ ـ الحديث رقم (٦٨٠٤) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رهط من عكل على النبي ﷺ كانوا في الصفة فاجتووا المدينة فقالوا: يارسول الله أبغنا رسلاً فقال:

«مأأجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ» فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، فأتى النبي ﷺ الصريخَ فبعث الطَّلَبُ في آثارهم فما ترجل النهار حتى أتي بهم، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها. وقطع أيديهم وأرجلهم وماحَسَمَهم ثم ألقوا في الحرّة يستسقون فما سُقوا حتى ماتوا. (كحلهم بها: أي فقأ بها أعينهم. وماحَسَمَهم: اي لم يخلص عليهم قتلاً حتى يعذبهم).

قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله ورسوله.

وهذا الحديث الذي ألفه جنود السلطان ليس فقط يناقض أخلاق الرسول بل أيضاً يناقض الدين الإسلامي الذي لايطالب قطعاً بجمع العقوبات، بل دائماً بالأخذ بأشدها عند التشدد. كحالة هذا المثال الذي مرّ معنا أكبر جريمة ارتكبت كانت القتل للراعي فتكون عقوبتهم بالمقابل القتل وهي أشد العقوبات في الإسلام.

أما الوصف الموجود في الحديث بأن الرسول أتى بمسامير وقام بتحميتها بالنار ثم فقئت بها أعينهم، هذه العقوبة غير واردة في الإسلام كله، ولا في القرآن، وهي ليست من العقوبات التي سمح بها الله في الإسلام ـ بل من التي نجدها عند أهل الكتاب، وقد

تكون من إحدى تحريفاتهم القديمة وليست من الله سبحانه أيضاً. ثم قطع الرسول أيديهم وأرجلهم وهذه العقوبة أيضاً غير موجودة في الإسلام بهذا الشكل (ببتر الطرفين العلويين والطرفين السفليين) كما في هذا الحديث؛ بل سمح به في حالات خاصة بقطع الأطراف من خلاف أي (اليد اليمنى والقدم اليسرى أو العكس فقط) كما لم يسمح الإسلام بالتعذيب في القتل بالطريقة المشوهة الموجودة في الحديث. وبإمكاننا أن نتأكد من الآية الواضحة في القرآن حول هذا الموضوع:

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

وبإمكان القارىء أن يتأكد من أن الله سبحانه لم يجمع هذه العقوبات بحرف العطف (و) وإنما وصلها جميعاً بالحرف (أو) التي تعطي الحرية للقاضي الشرعي المسلم بأن ينتقي العقوبة المناسبة من كل هذه العقوبات بحسب شدة الجريمة وقناعته ولكن ليس له على الإطلاق أن يجمع كل هذه العقوبات في حكم واحد على أي مجرم مهما كان. ولكن آية القرآن لاتتماشى مع رغبات السلطان الدموية ورغبته في الانتقام خاصة من أعدائه السياسيين فيريد الجمع ولا يريد الانتقاء. فخَدَمَهُ جنوده الذين كانوا يؤلفون له الأحاديث خدمة لرغباته مقابل مايدفعه من آلاف الدنانير، وهذا الحديث من أنفَسِ ماقَدّمُوه للسلاطين المتعطشين للانتقام الدموي.

والكثير من سذج المسلمين يظنون أن هذا الحديث المنافي للأخلاق السليمة والمناقض للقرآن الكريم هو حديث صحيح، قاله الرسول لمجرد أنهم يجدونه مكتوباً في صحيح البخاري ومسلم، ولا يعلمون أن البخاري ومسلم حاولا أن يلفتا أنظار الناس إلى هذه الأمور المناقضة للقرآن ولأخلاق الرسول، بإبقائها في الحديث الصحيح للناس في المستقبل، لأنهما كانا لايستطيعان أن يقولا آراءهما بحرية في حكم يسيطر فيه الطاغوت على كل شيء.

(ملاحظة: سبق ورويت لكم رواية أخرى عن هذا الحديث وهو الحديث رقم (٣٠١٨) من صحيح البخاري ـ المؤلف).

الفصل الثامن

لماذا شوهوا صورة الرسول الكريم من خلال الأحاديث التي افتروها ثم عادوا وادعوا الشرف والقدسية لها؟

كانت غاية السلاطين هي تصوير الرسول صورة نموذجية عن السلطان حتى يتطابق في ذهن المسلم وتفكيره صورة رسوله المحبوب مع صورة سلطانه الحالي. وهذا ليس من الأمور السهلة. لأنه مع التشويه الكبير المطلوب لابد من إبقاء صورة الرسول صورة محببة للناس جميعاً. لأن حب الناس لرسولهم هو الذي يجعلهم يقبلون بكل السنن والأحاديث التي افتراها جنودهم دون أن يعلموا أنها تمت بأمر سلطانهم من أجل خراب بصرتهم وأكل حقوقهم وللتسلط على رقابهم بقوة السياف والجلاد، وبكتم الأنفاس ومنع الحريات عن الأمة. وهذا يدعونا أن نبحث لنعلم الصورة الحقيقية للسلطان: وهو الحاكم المطلق الذي لايحد سلطته شيء والذي تتدفق عليه الأموال من جميع الجهات، ومع تدفق الأموال تتدفق عليه مئات من السبايا من حسناوات البلاد المفتوحة جديداً في عهده باسم الجهاد الذي أعلنه لنشر الإسلام اسماً، بينما هو من أجل الحصول على غايات دنيوية وليس فيها أي شيء لله، وهو يعلم أن اسمه خليفة رسول الله، والخليفة يجب أن يقتدي بالرسول، والاقتداء بالرسول الصحيح مع القرآن الصحيح لن يحقق له رغباته وأهواءه التي يسعى إليها، إذاً لابد من وضع صورة جديدة للرسول مع وضع تعاليم جديدة للإسلام، حتى يستطيع السلطان الوصول إلى مبتغاه، وهذان الموضوعان (تشويه صورة الرسول ووضع التعاليم الجديدة غير الموجودة في القرآن) كانا منوطين لجنود السلطان. وحتى لايظن القارىء أن هذا الكتاب هو مثل بعض الكتب، يتهم من دون دليل أو إثبات فقد تعهدت منذ البداية الالتزام بأسلوب البحث العلمي حتى لا أقول ولا أتقول على أحد إلا بالدليل الثابت، وأول ما أبدأ به هذا البحث (الأحاديث التي حاول جنود السلطان أن يشوهوا بها صورة الرسول) هو الحديث التالي:

١ ـ الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال:

كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ (أي هل كان من طاقة الرسول أن يفعل ذلك؟) قال أنس: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلاً.

هل هذه الصورة في هذا الحديث النبوي الشريف والمنسوب إلى صحابي جليل ظلماً هو أنس بن مالك وفي كتاب صحيح البخاري الذي ختم له جمهور السنة وهم (كل جنود السلطان طبعاً) أكرر: هل هذه الصورة صحيحة؟

هل كان الرسول الكريم لاهم له ولا شغل ولا عمل إلا الجنس لكون الله تعالى قد وضع فيه رغبة جامحة للنساء تعادل قوة ثلاثين رجلاً عادياً فلم يبق له من همٍّ ولا عمل في الليل ولا في النهار إلا أن يدور على نسائه الإحدى عشرة متنقلاً من حضن واحدة للأخرى، بلا تعب ولا توقف ولا كلل ولا ملل صيفاً وربيعاً وخريفاً وشتاءاً ليلاً ونهاراً. ليكون معجزة الله تعالى في قوة الجنس على الأرض؟

أم أن هذه هي الصورة التي كان يشتهيها لنفسه السلطان وجنوده الذين لم يكن لهم عمل إلا في أحضان العذارى، فوضعوا الصورة السابقة للرسول ظلماً حتى تكون سنة نبوية شريفة يقتدى بها؟

٢ ـ الحديث رقم (٦٩١) من صحيح البخاري: عن أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟ أو يجعل الله صورته صورة حمار؟».

إن الله سبحانه وتعالى شهد للرسول وقال:

﴿إنكَ لعلى خُلُقٍ عظيم﴾

ودلّ رسوله الكريم على أسلوب الدعوة بالآية التالية:

﴿ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾

فأين الخُلُق العظيم في هذا الحديث؟ وأين إطاعة الله الواجبة على الرسول والله يأمره بأسلوب الدعوة؟ فهل هذا الأسلوب المنفّر هو أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة؟

باختصار: هذا الحديث لايمكن أن يكون الرسول ولا الصحابي الجليل أبو هريرة هما اللذان قالاه، بل هو من إنسان حاقد على الإسلام وعلى المسلمين وعلى رسول الإسلام، يريد أن يشوه الدين بمثل هذه الأحاديث التي ظاهرها الدين وباطنها الحقد

الدفين على الإسلام والمسلمين.

كفانا نحن المسلمين نَوْماً ورُقاداً في كهفنا العظيم، وآن الأوان أن ننفُضَ ماعلق علينا من غبارٍ وترابٍ وأوساخٍ خلال رَقدَتِنا التي طالَت عدّة قرون بعد العشرة.

٣ ـ الحديث رقم (٤٨٠٨) من صحيح البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة. ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه. وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان (ربّ هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي) قال: رَوح فردّه خاسئاً».

لماذا يتذكر الرسول قول سليمان ولايتذكر قول الله في القرآن في وصف الجن والعفاريت:

﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم﴾ ٢٧ ـ الأعراف.

فهل كان الرسول محمد ﷺ قد نسي آيات القرآن كما كان السلطان وجنوده قد نسوا ذلك من زمن بعيد؟. إذاً ففي علم الرسول أنه لن يستطيع أن يرى الجن لا هو ولا الناسِ من حوله، فكيف يَدَّعي إذاً ويقول عكس العلم الموجود في كتاب الله الذي أُرسلَ على يديه للناس؟

كلام يناقض بعضه. وهكذا كل ادعاءات السلطان وجنوده دائماً، والرسول ﷺ بريءٌ منها.

٤ ـ الحديث رقم (٧٤٦٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، يفيء وَرَقَهُ من حيث أتتها الريح تكفؤها (أي تميل مع الريح) فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يُكفَأُ بالبلاء (أي يلين ويميل) ومثل الكافر كمثل الأرزة صمّاء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء».

أولاً: إن المعنى الذي يقصد إليه الحديث هو لمصلحة السلطان وليس من مصلحة المؤمن ولا من مصلحة الإسلام. فالمؤمن يصبر بالبلاء ولكن يميل ويلين معناه أن ينافق ويمالق السلطان الذي كان يشكل رأس البلاء. والدليل على أن الرسول لم يقل هذا الحديث موجود في نص الحديث نفسه، وهو:

ـ عندما يريد إنسان أن يضرب مثلاً يختار المثل عادةً من واقع حياته وحياة الناس من حوله حتى يؤدي المثل الغرض المطلوب والمعنى المراد. والله سبحانه كان قدوة في هذا الموضوع فيما يتعلق بالناس، فكان سبحانه يضرب الأمثال من واقع الناس ومن واقع حياتهم في صحراء الجزيرة، حيث نزلت الرسالة وماذا كان يحيط بالناس بحيث يكون من مشاهداتهم اليومية؟ السماء الصافية في الليل، والنجوم الساطعة، الإبل في الصحراء، السحاب والغيوم في مواسم الغيث.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبلِ كيف خُلِقَت﴾ ١٧ ـ الغاشية.

﴿وإلى السماء كيف رُفِعَت﴾ ١٨ ـ الغاشية.

﴿وإلى الجبالِ كيف نُصِبَت﴾ ١٩ ـ الغاشية.

﴿وإلى الأرض كيف سُطِحَت﴾ ٢٠ ـ الغاشية.

﴿والشمس والقمر والنجوم مسخّراتٍ بأمره﴾ ٥٤ ـ الأعراف.

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ ١٦ ـ النحل.

كل هذه الأمور من المشاهد الطبيعية التي يألفها سكان الصحراء في الجزيرة العربية ولذلك لن تجد في القرآن الكريم آيات تقول مثلاً.

أفلا ينظرون إلى البطريق كيف خلقت، أو أفلا ينظرون إلى الدب الأبيض كيف خلق، أو أفلا ينظرون إلى الفقمة كيف خلقت. لماذا؟

لأن هذه الحيوانات غير موجودة أصلاً في الجزيرة، بل إنهم جميعاً لايعرفون بوجودها في زمن الرسالة.

بينما إذا عدنا لنص الحديث من جديد لوجدنا بالتالي:

«ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»

وشجر الأرز من أنواع الشجر غير معروف إلا في بلاد الشام وخاصة في لبنان، وسكان الجزيرة والصحراء لايعرفون شجر الأرز لأنها لم تكن ضمن معلوماتهم أصلاً، فكيف يضرب الرسول ﷺ مثلاً بشيء لايعرفه هو ولايعرفه سامعوه من أصحابه؟ فالذي ألّف الحديث كان قريباً أو من سكان بلاد الشام، والأرجح أنه حصل أيام بني أمية الذين كانت عاصمتهم دمشق الواقعة في بلاد الشام.

٥ ـ الحديث رقم (٣٨٦٠) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة (مرفوض شكلاً وموضوعاً) قال: إنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته. فبينما هو يتبعه بها فقال «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة فقال:

«أبغِني أَحجاراً استنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة» (أي أنه يريد بعض الحجارة الصغيرة حتى ينظف بها نفسه من الغائط. (وأهل البر يلجؤون لهذا في حال عدم توفر الماء، ولكن الراوي نسي أن مع أبي هريرة الماء في الأداوة لوضوئه وحاجته، أي بما يكفي للغرضين معاً، فما هو الداعي لطلب الأحجار؟)

فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: مابال العظم والروثة؟ قال هما من طعام الجن وأنه أتاني وفدٌ جنٌ نُصَيبِين ونِعمَ الجِنُّ فسألوني الزاد (سألوه الرزق) فدعوت الله أن لايمرّوا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً. (ولماذا لم يسألوا الله مباشرة؟) هل يستطيع أن يدّعي أي مسلم اليوم أن هذا علم؟ وفيه بقيةٌ من عقل؟

وهل يستطيع أن يدعي أي مسلم أن مصدر هذه المعلومات هو القرآن الكريم؟

إذاً: من أين مصدر هذا العلم إذا كان ليس من الله في القرآن، والنبي كما نعلم لم يقرأالكتب قبل ذلك حتى تكون له مصادر للمعلومات غير المصدر الوحيد الذي علمناه في القرآن الكريم؟ إذاً لم يبق للمسلم الذي يريد أن يكون دينه نظيفاً، وطاهراً إلا أن يعترف بأن هذه الأحاديث ليست من دينه، بل ألفها حاقدون ليشوهوا بها الدين الذي بقي طاهراً بفضل الِله وحده بحفظه للقرآن طاهراً لم يتعرض له بشرٌ بزيادة حرفٍ أو بنقصان حرف.

٦ ـ الحديث رقم (٣٣٠٣) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال:

«إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها (أي الديكة) رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً». فهل هناك تمييز عنصري عند الله بين مخلوقاته؟

٧ ـ الحديث رقم (٣٢٩٢) من صحيح البخاري. قال النبي ﷺ:

«الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرّها فإنها لاتضره».

٨ ـ الحديث رقم (٣٢٩٥) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً فإن الشيطان يبيت على خيشومه»
هل كل هذه الأحاديث وحي من الله سبحانه، مثل آيات القرآن ولافرق؟

٩ ـ الحديث رقم (٣٢٨٠) من صحيح البخاري: عن جابر عن النبي ﷺ قال:
«إذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فحلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخَمِّر إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً.

١٠ ـ الحديث رقم (٣٨٤٩) من صحيح البخاري: عن عمر بن ميمون قال: (رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها، فرجمتها معهم) صدق ابن ميمون.
أي أن الله سبحانه قد سنّ رجم الزانية سنّة عند القرود! وهل هذا وحي من السماء؟

١١ ـ الحديث رقم (٣٢٨٥) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ:
«إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراطٌ، فإذا قُضِيَ أقبَلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أدبر، فإذا قُضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول: أذكر كذا وكذا، حتى لايدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو».

إن جمهور السنّة ومشايخهم يشهدون أن أحاديث الرسول كلها وحي من السماء. فهل هذه الأحاديث من نفس مصدر الوحي ونفس مصدر المعلومات التي أتى منها آيات القرآن الكريم؟ أم أن هذه الأحاديث من مصدر آخر؟ لأننا لانجد تشابهاً ولا تطابقاً بين هذين الوحيين على الإطلاق؟!

١٢ ـ الحديث رقم (٣٢٨٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:
«التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده مااستطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان».

١٣ ـ الحديث رقم (٣٢٨٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ:
«كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بأصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب(الحجاب الحاجز). وهل هذا وحي من السماء؟

١٤ ـ الحديث رقم (٣٢٩١) من صحيح البخاري: عن عائشة: سألت النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال:
«هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم».

١٥ ـ الحديث رقم (٣٢٧٤)من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إذا مرّ بين يدي أحدكم شيء وهو يصلّي فليمنعه، فإن أبى فليمنعه، فإن أبى فليقاتله، فإنه شيطان».

إن الإنسان لايرى شياطين الجن بدليل القرآن، فلم يبق أن الذي يمرّ أمام المصلي ويقطع صلاته إلا من شياطين الإنس، تصوروا رسول الله ورسول الإسلام يوصي كل مصلٍ يمر أمامه رجل في المسجد أن يترك صلاته ويلحقه ويقاتله لأنه شيطان، بدليل هذا الحديث (الشريف). هل هذا دين سلام؟

أم أنه يدعو كما يريد صاحب هذا الحديث الأساسي دين قتال وعراك وشجار مع الناس أجمعين؟ ثم نقول بكل سذاجة (أحاديث شريفة) وبعد أن نقرأها نقول (صدق رسول الله) أستغفر الله من كل ذنب عظيم.

وهل هذا الكلام يمكن أن يكون من كلام سيد المرسلين؟ تصوروا أن إنساناً أمريكياً عالماً لايؤمن بأن الرسول نبي ولا يؤمن بأنه رسول ويعتقد بأنه رجل عادي ومصلح اجتماعي ألّف هذا العالم كتاباً عن أعظم مائة شخصية تاريخية مرّت على تاريخ العالم كله، وكان لهم تأثير على عجلة التاريخ العالمي كله، فيضطر هذا العالم نتيجة المعلومات المتوفرة لديه من منجزات الرسول محمد ﷺ أن يضعه في رأس القائمةويعطيه الرقم واحد، ثم نأتي نحن المسلمين وننسب إليه مثل هذا الكلام الذي كله أوهام وأباطيل، ونقول عنها: أحاديث الرسول الشريفة؟

١٦ ـ الحديث رقم (١١٤٤) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟ قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل: مازال نائماً حتى أصبح، ماقام إلى الصلاة، فقال: «بَالَ الشيطانُ في أُذُنِه».

١٧ ـ الحديث رقم (٥٠٩) من صحيح البخاري: عن أبي صالح السمان قال: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم جمعة يصلي إلى شيء يستره من الناس، فأراد شاب من بني أبي مَعِيط أن يجتازَ بين يديه فدفعه أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه (أي لم يجد ممرّاً إلا من أمام أبي سعيد) فدفعه أبو سعيد أشدّ من الأولى، فنال من أبي سعيد (أي لم يسكت الشاب بل دافع عن الضرب بالضرب) ثم دخل على مروان فشكا إليه مالقي من أبي سعيد، ودخل أبو سعيد خلفه على مروان، فقال: مالك ولابن أخيك يا أبا سعيد؟ قال:

(سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان».

إن الذي وضع هذا الحديث لئيمٌ وخبيث، ويتمنى في قرارة نفسه أن يتقاتل المسلمون في المساجد ويختلفون بين بعضهم على أمور تافهة. ولا يعقل أن صحابياً جليلاً له تاريخه المشرف مثل أبي سعيد الخدري أن يتقول على رسول الله حديثاً موضوعاً لا علم فيه ولا عقل ولا منطق، وإنما إساءة واضحة وصريحة للإسلام ولرسول المسلمين.

وبما أنّ جنود السلطان لم يتركوا حديثاً إلا وحرفوه بإضافة أشياء كثيرة من خيالاتهم، ولكن الله لابد كاشفٌ كذبهم وتحريفهم للأحاديث التي رواها في الأصل الصحابة، كما حصلت تماماً من دون إضافات، وعندنا حديث يثبت ذلك هو:

١٨ ـ الحديث رقم (١٣٨) من صحيح البخاري: تحت باب (التخفيف من الوضوء) حتى يستطيع السلطان أن يصلي من غير وضوء إذا شاء تخفيفاً له. والحديث عن عبد الله بن عباس الذي كان في العاشرة من عمره عند وفاة الرسول كما قال ذلك بنفسه، والحديث يقول: حدثنا سفيان عن عمرو وقال: أخبرني كريب عن ابن عباس أن النبي ﷺ نام حتى نفخ (شخر)، ثم صلّى (من غير وضوء بعد النوم)، وربما قال: اضطجع حتى نفخ ثم قام فصلى، (من غير وضوء جديد) ثم حدثنا به سفيان مرة بعد مرة عن عمرو عن كريب عن ابن عباس قال: بتّ عند خالتي ميمونة ليلة (وهناك رواية أخرى يصف فيها ابن عباس كيف نام على نفس الوسادة مع خالته ومع الرسول في تلك الليلة وهذا يدل على أن ابن عباس كان حديث عهد بالرضاعة ولايتجاوز الخامسة) فقام النبي ﷺ من الليل، فلما كان في بعض الليل قام النبي فتوضأ من شنّ معلّق وضوءاً خفيفاً، وقام يصلي، فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ماشاء الله ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المنادي فأذنه بالصلاة، فقام معه إلى الصلاة، فصلى ولم يتوضأ. قلنا لعمرو: إن ناساً يقولون إن رسول الله ﷺ تنام عينه ولاينام قلبه، قال عمرو: سمعت عبيد بن نُمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ:

﴿إني أرى في المنام إني أذبحك﴾* ١٠٢ ـ الصافات.

هذا الحديث لطفل ينام عند خالته في الليلة المخصصة لها مع الرسول ﷺ وينام على نفس مخدة الرسول ﷺ وميمونة، كيف له أن يميز الوضوء الكامل من الوضوء

الخفيف؟ وفي رواية أخرى يعدّ فيها الركعات فيصلي الرسول ثلاث عشرة ركعة؟ ويميز ابن عباس أن الرسول أوتر في الأخيرة منها؟ وهل كان يعلم ماهو الوتر؟

المهم ليس الحديث بحد ذاته، وإنما أن أهل السنة وعلماءها يجمعون على الأخذ بحديث الطفل، ويجعلون منه شرعاً وقانوناً لأمة المسلمين وبشكل دائم ويصبح سنة، والسلطان يستطيع أن يصلي من غير وضوء إذا نام وشخر مستنداً لهذا الحديث (الشريف) الذي رواه طفل في الخامسة!.

١٩ ـ الحديث رقم (٣٤٩) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

«فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه.

(وهل كانت الحكمة والإيمان مادة يمكن حَشوَ القلوب بها يوماً؟ وهل في كل القرآن مثل هذه الأوهام؟)

ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح! قال من هذا؟ قال: جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. فقال: أُرسِلَ إليهِ؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعدٌ على يمينه أسوِدَة وعلى يساره أسوِدَة (أسودة: يعني أشياء ومخلوقات سوداء) إذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية. فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ماقاله الأول».

هل تعتقدون أن هذا الكلام وحي من السماء ومن كلام رب العالمين مثل آيات القرآن الكريم؟ أم أنه كلام إنسان لغته العربية غير سليمة وكذلك نطقه؟ فهو يريد أن يقول: عن يمينه مخلوقات بيضاء وعن يساره مخلوقات سوداء فيخلط ويقول عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة.

ونجد في مسند الإمام أحمد رواية أخرى أفضل لغة، مروية عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم (سوداء) فقال للذي في يمينه: إلى الجنة، وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي.

هذا وقد بحثت عن مصدر الحديث فوجدته في الإنجيل:

(وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز فيوقف الغنم (البيض) عن يمينه، والماعز (السود) عن يساره، ثم يقول المَلِكُ للذين عن يمينه: تعالوا يامن باركهم أبي، رثوا الملكوت (الجنة) الذي أعدَّ لكم منذ إنشاء العالم. ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية (الجحيم) المعدة لإبليس وأعوانه)(*).

وكذلك فإن كل أحاديث الإسراء والمعراج مصدرها من التوراة سفر حزقيال، ومن العهد الجديد ـ سفر الرؤيا ـ ليوحنا اللاهوتي.

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ ـ الفقرات ٣١ ـ ٤١ ـ بالانتقاء.

الفصل التاسع

الأحاديث التي يتنبأ فيها الرسول عن المستقبل - (الحديث عن غيب الله)

عند أهل الكتاب كتب تحدث فيها أنبياؤهم عن غيب الله الذي في المستقبل وعندهم كلمة (نبي) ترادف الشخص الذي يتنبأعن الأحداث والأخبار التي سوف تحصل في المستقبل. فتجد لكل نبي لائحة بتنبؤاته عن المستقبل.

بينما في إسلام القرآن هذا الكلام مرفوض من أساسه، لأن علم المستقبل من غيب الله، وهذا الغيب هو تحت تصرف الله وحده لاشريك له فيه أبداً.

والرسول الذي يأتي بأخبار عن المستقبل يجب أن يكون مؤيداً بنص مكتوب في رسالة النبي أو في رسالة نبي أتى قبله ليكون شاهداً له بأن مايقول صحيح. مثلاً عندما أتى الرسول محمد ﷺ بالآيات:

﴿غُلِبَت الرومُ * في أدنى الأرض وهم من بعدِ غَلَبِهِم سيَغلبون * في بضعِ سنين لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرَحُ المؤمنون﴾ ٢ - ٤ - الروم.

فالآيات تشهد بالتنبؤ الذي أتى به الرسول من ربه وحياً. ولكن كتب أهل الكتاب بعد تحريفها لايمكن أخذها شواهد لأي شيء. وكل تنبؤ ينسبه جنود السلطان تقليداً لأنبياء أهل الكتاب للرسول محمد ﷺ لاشاهد له في القرآن، ببساطة كلها موضوعة ولا أصل لها. لأن الله سبحانه ينبهنا دائماً للشهادة حتى لايتقول أحدٌ مايشاء على الرسول ﷺ ظلماً وبهتاناً.

﴿قل أيّ شيء أكبر شهادة قلِ الله شهيدٌ بيني وبينكم﴾ ١٩ - الأنعام.

والله سبحانه وتعالى لايحضر الشهادة بنفسه وإنما تشهد له كلماته في كتاب منير مثل القرآن الكريم الذي لاتحريف فيه. أما ماحُرِّفَ لاتقبل شهادته بعد ذلك أبداً. والله تحدى الذين يكذبون على الله قائلاً:

﴿وادعُوا شهداءكُم من دونِ الله إن كنتم صادقين﴾ ٢٣ - البقرة.

﴿قل هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا﴾ ١٥٠ ـ الأنعام.

والآيات التي تحصر الغيب بالله تقول:

﴿عالمُ الغيب فلا يُظهِرُ على غيبِهِ أحداً﴾ ٢٦ ـ الجن.

﴿قل لايعلمُ من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله﴾ ٦٥ ـ النمل.

وقال سبحانه على لسان الرسول ليتأكد الجميع أن الرسول ﷺ ليس شريك الله في الغيب، ولا بالألوهية بل هو عبد الله ورسوله.

﴿قل لا أقولُ لكم عندي خزائن الله ولا أعلَمُ الغيب﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

﴿ولو كنتُ أعلَمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

وحتى نتبين أن الرسول ـ أي رسول. لايمكن أن يتقول على ربه بالأقاويل وكيف يشاء كما فعل جنود السلطان باسم الرسول كذباً وبهتاناً. لأن الرسل منهم ملزمون بالتبليغ تماماً بما أوصي إليهم فإن الآيات التالية دليل كاف على ذلك:

﴿إنه لقولُ رسولٍ كريم * وماهو بشاعرٍ قليلاً ماتؤمنون * ولا بقَولِ كاهنٍ قليلاً ماتذّكرون تَنزيلٌ من ربِّ العالمين * ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل﴾

فماذا يفعل الله به؟

في تلك الحال؟ انظروا إلى هذا التصوير الحركي والصورة الحية التي يصورها لنا الله سبحانه وتصوير القرآن يعتبر من إحدى معجزات القرآن البلاغية.

﴿لأخذنا منه باليمين * ثم لقطَعنا منه الوتين (الوتين هو الشريان الرئيسي الذي يربط القلب بالرأس مباشرة وبقطعه يكون الذبح قد حصل فعلاً، ولايمكن إجراء أي عملية إنقاذ للمخلوق الذي نفذ فيه الذبح) فما منكم من أحَدٍ عَنه حاجزين﴾ أي لايستطيع عندها أن يحجزه عنا أحد، وأحد هنا آتية على الإطلاق على كل الموجودات والمخلوقات، وطبعاً الله يعلم أن رسوله الكريم لن يتقول على الله ظلماً ولذلك قال لنا في نهاية هذه الآيات:

﴿وإنه لتذكرةٌ للمتقين﴾ ثم يخبرنا الله عن غيبه هو بأنه سيخرج منكم من يفعل ذلك ويتقول على الرسول كلاماً لم يقله هو ونحن متأكدون من ذلك، ولكن الذي فعل ذلك هم المكذبون الذين ظهروا منكم أيها المؤمنون، لأن الله تعالى كما رأينا يخاطب

المتقين وليس الكافرين أو المشركين، وهذا تنبؤ من الله أنه سيخرج من بين صحابته من سيكذب على الله والرسول. ولذلك يقول الله في نهاية هذه الآيات الكريمة:

﴿وإنا لنعلَمُ أنّ منكم مكذّبين﴾ ٤٠ - ٤٩ - الحاقة.

إن الآيات واضحة لوحدها ولا تحتاج لشرح، بل تحتاج لقلب صاف جاهز للتلقي من الله مباشرة من مصدر الحق والنور من دون أي حاجز - ولكن جرّبوا أن تذهبوا إلى أي رجلِ دينٍ يؤمن بالقرآن والحديث واطلبوا منه أن يشرح لكم هذه الآيات المفهومة، فسوف يؤولها لكم تأويلاً آخر وتخرجون من عنده ولم تفهموا شيئاً. لماذا ؟ لأنه اعتاد من شيوخه السابقين أن لايؤول إلا كما قيل له بواسطة الأحاديث التي وضعها جنود السلطان خلال أكثر من ألف وأربعمائة من السنين خدمة لكل السلاطين الذي تعاقبوا على حكم السُنَّة، ابتداء من معاوية وانتهاء بالسلطان عبد الحميد آخر الخلفاء الإسلاميين. وإليكم الآن بعض الأحاديث التي تنسب للرسول ﷺ ظلماً بأنه قالها: وكلها تناقض آيات الغيب.

١ - الحديث رقم (٧٣١٢) من صحيح البخاري: عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله، (إلى هنا والحديث سليم ولاغبار عليه ولكن انتبهوا لباقي الحديث) ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة. أو حتى يأتي أمر الله»

إن هذا كان لايزال في غيب الله بالنسبة للرسول فهو غير كلامه، والتاريخ يثبت أيضاً أن الاستقامة في أمر الأمة توقف وانتهى ابتداءً بصاحب الحديث نفسه وهو معاوية بن أبي سفيان.

٢ - الحديث رقم (٤٨١٣) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش. فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة». ليس في القرآن مايشهد على صحة هذا الحديث.

٣ - الحديث رقم (٦٥٢٢) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير. وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا،

وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»
(ليس في القرآن مايشهد على صحة هذا الحديث، وأن الله تعالى سوف يبعث البعير يوم القيامة).

٤ ـ الحديث رقم (٦٥١٥) من صحيح البخاري: عن عمر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال:
«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشياً، إما النار وإما الجنة، فيقال هذا مقعدك حتى تُبعَثَ».
(كل مافي القرآن يناقض هذا الحديث).

٥ ـ الحديث رقم (١٤١٤) من صحيح البخاري: عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
«ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لايجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به، من قلة الرجال وكثرة النساء»
(هذه مثل أمنية ابليس بالجنة).

انتبه للحديث التالي فإنه يناقض كل الكلام الذي ورد في الحديث (١٤١٤).

٦ ـ الحديث رقم (٧٠٦٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال:
«يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج».
قالوا يارسول الله: أيمَ هو؟ قال: «القتل القتل».

٨ ـ الحديث رقم (٦٤٧٢) من صحيح البخاري: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:
«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربّهم يتوكلون».

٩ ـ الحديث رقم (٦٥٢٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:
«أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول: ياربّ كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعون، فقالوا: يارسول الله إذا ماأخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود».
ـ إذا كان هذا الحديث صحيحاً، فأين الحساب وعدل الله بالميزان؟

١٠ ـ الحديث رقم (١٩٦) من صحيح مسلم: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً». وفي رواية أخرى «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وهذا الحديث ليس فقط يناقض القرآن وإنما يناقض أيضاً ماقاله في الحديث السابق.

١١ ـ الحديث رقم (٣٥٩٤) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يأتي على الناس زمان يغزون، فيقال: فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح عليهم، ثم يغزون. فيقال لهم: هل فيكم من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم».

وظلوا هكذا يفتح لهم حتى آخر سلطان عثماني، فكان عصر المسلمين كله حروباً وغزوات خدمةً للسلطان تحت اسم الجهاد في سبيل الله.

١٢ ـ الحديث رقم (٧١١٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«لاتقوم الساعة ـ وإما قال ـ من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون للخمسين امرأة القَيِّم الواحد».

١٣ ـ الحديث رقم (٣٥٧٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجانّ المطرقة».

والآن سوف أنقل لكم بعض النماذج من صحيح مسلم عن الأحاديث التي فيها التنبؤ عن الغيب وهي كثيرة جداً:

١٥ ـ الحديث رقم (٢٩٠١) مسلسل (٤٠) من صحيح مسلم: عن حذيفة بن أُسيد عن النبي ﷺ قال:

«إن الساعة لاتكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، خسف

في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قُعرَةِ عَدَن تَدْحَلُ الناسَ» وقال في العاشرة: نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وإذا بحثنا في كتب أهل الكتاب عن مصادر هذه الأحاديث نجدها في إنجيل متى تحت عنوان (علامات نهاية الزمان):

(انتبهوا! لايضللكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو المسيح (الرب) وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب... وتحدث مجاعات وزلازل، في عدة أماكن. فيرقد كثيرون.. ويظهر كثير من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين.. وحالاً بعد الضيقة في تلك الأيام تظلم الشمس ويحجب القمر ضوءه وتتهاوى النجوم من السماء..، يرون ابن الإنسان (المسيح عائداً) آتياً على سحب السماء فاسهروا إذن لأنكم لاتعرفون في أية ساعة يرجع ربكم.. لأن ابن الإنسان سيرجع في ساعة لاتتوقعونها)(*).

إذا كنتم تتذكرون الأحاديث التي نسبوها للرسول من أن المسيح الدجال أعور ولكن ربكم ليس بأعور، فهذه الأحاديث كانت آتية من هذا الخلط بين المسيح والله في إسلام السلطان. الذي مصادره كتب أهل الكتاب ورجال دينه أيضاً مستوردون من عندهم.

(.... من سجنه، فيخرج ليضلل الأمم.. يأجوج وماجوج ويجمعهم للقتال وعددهم كثير جداً كرمل البحر)

(ثم يطرح إبليس الذي كان يضللهم في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الدجال هناك سوف يعذبون)(**).

وهكذا كل الأحاديث الواردة في باب: خروج الدجال، وباب: نزول عيسى بن مريم، وباب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، وباب: الآيات التي تكون قبل الساعة.

وإنسان رأى بعينه كيف أعاد السلطان الناس إلى عبادة اللات والعزى القديمة وأعادهم إلى الإشراك من جديد تحت اسم الشفاعة وغير دين الإسلام الحقيقي إلى دين آخر يختلف عنه اختلاف الليل عن النهار ويبتعد عنه بعد السماء عن الأرض أحبَّ أن يقول الحقيقة في عصر لايمكن أن يقول الإنسان مايشاء بحرية إلا وتعرض لقطع رأسه، فقالها

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٤ ـ من الفقرة ٣ ـ ٤٤ بالانتقاء.

(**) سفر الرؤيا الإصحاح ١٩ ـ ٢٠ ـ الفقرات ١٠.

عن لسان الرسول ظلماً لنفسه وللرسول ﷺ:

١٦ ـ الحديث رقم (٢٩٠٧) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»

فقلت: يارسول الله! إني كُنتُ لأظنُّ حين أنزل الله

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهرَهُ على الدينِ كلّه ولو كرِهَ المشركون﴾ ٩ ـ التوبة.

أن ذلك تامّاً، قال: «إنه سيكون من ذلك ماشاء الله. ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفى كلّ من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

وهذا بالفعل مارآه هذا الراوي يحدث أمام عينيه بعد استلام معاوية وبداية دين السلطان. فاللات والعزى كانت للشفاعة وعاد الناس للإشراك أيضاً بالشفاعة وصاحب الحديث كما ترون يشير إلى أصحاب للرسول من الذين عاشوا إلى مابعد الفتنة، وعاصروا السلطان وجنوده بأنهم من الذين لم يكن في قلبهم حبة خردل من إيمان دون أن يحددهم بالأسماء، ولكن يشملهم جميعاً والله أعلم بهم منا، وعليه حسابهم وليس علينا. رحمهم الله أجمعين.

الفصل العاشر

الأحاديث التي تتكلم عن معجزات للرسول محمد ﷺ:

وبما أني قد تعرضت لهذا الموضوع وشرحته في كتابي الأول (إنذار من السماء) فسوف أستعيد ماكتبته تحت الشبهة السادسة.

هل كانت للرسول ﷺ معجزات خاصة لم يرد ذكرها في القرآن الكريم؟

للقارىء الذي لم يقرأكتابي الأول: أقول:

يأتي الإعجاز عادة من التحدي: مثال ذلك مثلاً: لو أن أبطال الجري لمسافة المائة متر يأتيهم شخص يجري أمامهم المسافة في ثانيتين فيكون ذلك إعجازاً للجميع الذين يعلمون سلفاً بأنهم غير قادرين على الوقوف أمامه موقف التحدي لأن الفرق عظيم، أما لو أنه قطع المسافة بثماني ثواني لخرج إليه كثير أو قليل من الذين يريدون تحديه لأن عمله قريب من أترابه وأصحابه.

أما الذي قطعه بثانيتين أي أقل منهم بخمسة أضعاف. هذا بالنسبة للذين يتقنون هذا الفن من الرياضة يعتبر إعجازاً، لأنهم يعرفون كم من الوقت والتدريب يحتاج الشخص لتخفيض بعض أجزاء الثانية عما كان عليه زمنه في المحاولات السابقة.

والله سبحانه وتعالى قد أرسل سابقاً الرسالات ومن الأمم التي حدثنا عنها وعن رسالاتهم وأنبيائهم بالتفصيل هي ماذكر لنا منهم في القرآن حيث بدأ بـ (نوح عليه السلام ـ هود ـ صالح ـ شعيب ـ لوط ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ إسحق ـ يعقوب ـ يوسف ـ يونس ـ أيوب ـ موسى ـ هارون ـ داوود ـ سليمان ـ زكريا ـ يحيى ـ ذو الكفل ـ إدريس ـ إلياس ـ إليسع ـ عيسى ـ محمد ﷺ.

وعدد الرسل منهم (١٣) والباقي أنبياء فقط وليست لهم رسالات.

والرسل هم: نوح ـ هود ـ صالح ـ لوط ـ شعيب ـ يونس ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ إلياس ـ يوسف ـ موسى ـ عيسى ـ محمد ﷺ.

(مصدر هذه المعلومات من القرآن الكريم وآياته فقط).

وكل رسول كان يأتي لقومه برسالة من ربه يريد أن يبلغها، كان قومه يقفون له بالمرصاد ويكذبونه فترى مثلاً كل رسول يؤيده ربه بشيء يتحدى به الآخرين من غير المؤمنين بعد:

يوسف عليه السلام علمه ربه تأويل المنامات. (الرؤيا).

وتأويل الأحلام ليس علماً بالغيب، لأن العلم بالغيب علم قائم بذاته محصور كله بالله تعالى لايشاركه فيه أحد وقد شرحت ذلك سابقاً.

إلى أن كان موسى فأيده الله بتسع آيات بينات حتى لايكذبه قومه. وهذه الآيات التسعة كلها مذكورة في القرآن الكريم.

ثم كان عيسى عليه السلام فقد كانت ولادته معجزة من العذراء مريم ابنة عمران ثم تكلم وهو صبي.

ثم بعد رسالته كرسول كان يحيي الموتى ويشفي المرضى الميئوس من شفائهم ويبصر الأعمى، وكلٌ ذلك بإذن الله، حتى يصدقه قومه لأن مايقوم به أمامهم هو تحدٌ وهو معجزٌ في نفس الوقت حتى يصدق به الذين تميل قلوبهم للإيمان ولله أكثر، فيقولون في أنفسهم لو أنه لم يكن رسولاً صادقاً لما استطاع أن يفعل كل ذلك أمام الناس.

وقد ذكر الله تعالى معجزات عيسى عليه السلام كلها في القرآن كاملة. لكن التجربة مع الناس أثبتت أن كل تلك المعجزات لم تنفع الناس وكما لم يؤمن معه إلا الحواريون الاثنا عشر الذين آمنوا به بوحي خاص من الله:

﴿وإذ أَوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾ ١١١ ـ المائدة.

وكان موقف الناس الدائم من المعجزات على أنها سحر ـ فشاء الله بأن يجعل معجزة خاتم الأنبياء محمد ﷺ معجزة خالدة ومختلفة فما معنى هذا الكلام؟

إذا رأى شخص من الناس عملاً خارقاً للعرف والعادة والطبيعة فإن الشخص الذي رأى تلك الخارقة هو الذي سيتأثر بالمعجزة، أما باقي الأشخاص تصلهم بالراوية وبعد الزيادات والحذف فتتناقض الأقوال فيصبح ضرر المعجزة على الرسالة أكبر من فائدتها، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يضرب لنا مثلاً حياً بذلك ثلاثة مواضيع، هي:

١ ـ موضوع الإسراء.

٢ ـ موضوع المعراج.

٣ ـ موضوع الشجرة الملعونة.

﴿سبحان الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصى الذي باركْنا حوله لنُريهُ من آياتِنا إنّه هو السميعُ البصير﴾ ١ ـ الإسراء.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس﴾ ٦٠ ـ الإسراء.

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ ٦٠ ـ الإسراء.

فألف الخلق حول هذه الأمور الثلاثة قصصاً وروايات بآلاف المجلدات ما أنزل الله بها من سلطان، واختلف علماء المسلمين حولها اختلافاً كبيراً، فريق يقول بشيء لايقول به الفريق الآخر، وحتى لانتقول على الله مالانعلم؛ دعونا نلجأ للقرآن وإلى آياته لتتكلم عن نفسها وتقول لنا مطلق الحق فننجوا من الضلال والإضلال:

﴿ما منعنا أن نرسِل بالآيات (المعجزات) إلا أن كذّب بها الأوّلون﴾ ٥٩ ـ الإسراء.

الحقيقة أن المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يسمعون بأنه ظهر نبي من بني هاشم من قبيلة قريش كانوا يقولون له:

(لن نؤمن حتى نُؤْتى مثل ما أُوتي رسل الله﴾ ١٢٤ ـ آل عمران.

فيقول لهم الرسول الكريم أمراً من ربه الكريم:

﴿وماكان لرسولٍ أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ ٣٨ ـ الرعد.

ولكن الله سبحانه يعود ويذكّر نبيه بأن الذي يمنعه من تدعيمه بالمعجزات كما فعل مع موسى وعيسى أن أكثر الناس لن تؤمن له بهذه الطريقة فيقول ربه:

﴿مامنعنا أن نرسل بالآياتِ إلا أن كذّب بها الأولون﴾ ٥٩ ـ الإسراء.

ولذلك يقرر الله سبحانه بعد هذه الآية ألا يتبع أسلوب المعجزات القديم مع آخر رسالة له للناس، خاصة وأن النبي محمد ﷺ تعتبر رسالته للناس كافة وليس لقومه فقط، كما كانت باقي الرسالات. لذلك فأسلوب الدعوة لهذا الدين سوف يختلف عن أسلوب باقي الرسالات التي كان فيه الإعجاز البصري أحد ركائز الإقناع للناس لأسباب يشرحها الله تعالى قائلاً:

﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آيةٍ بينة﴾ ٢١١ ـ البقرة.

لقد أرسل لهم عن طريق موسى فقط تسع آيات بينات كلها ذكرت في القرآن الكريم مع ذلك ماذا كانت النتيجة؟

﴿وما تأتيهم من آيةٍ من آياتِ ربّهم إلا كانوا عنها مُعرِضينَ﴾ ٤ ـ الأنعام.

ثم يشرح له ماذا حصل مع موسى وهارون مع أنه أيدهم بالمعجزات:

﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرِب بعصاكَ البحرَ فانفلقَ البحرُ فكانَ كلُّ فرقٍ كالطودِ العظيم * وأزلَفنا ثمَّ الآخرين * وأنجينا موسى ومَن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين * إنّ في ذلك لآيةً وماكان أكثرهُم مؤمنين*﴾ ٦٣ ـ ٦٧ ـ الشعراء.

وبعد ذلك تشرح قصة موسى في القرآن كيف سبق قومه وذهب إلى موعده مع ربه في الجانب الأيمن من الطور، ثم كيف فتنهم السامري عن دينهم ورجع إليهم موسى (ع) وقد تلقى الوصايا العشرة من ربه فوجدهم قد تركوا عبادة الله الذي أنقذهم من فرعون وجنوده منذ مدة قصيرة بتلك المعجزة الخارقة التي لم يسبق لها مثيل قبل ذلك، وعبدوا العجل الذهبي الذي صنعه السامري لهم وكانوا قد شاهدوا قبل ذلك تسع معجزات حصلت أمامهم من رسولهم موسى بإذن الله وماذا كانت النتيجة؟

لم تقربهم كل تلك المعجزات من الله أكثر لفسادٍ في فطرتهم وفي نفوسهم وعادوا ليشركوا بالله بعد أربعين ليلة من غياب رسولهم عنهم. ولذلك قال الله عنهم:

﴿وإن يروا كلَّ آيةٍ لايؤمنوا بها﴾ ٥٥ ـ الأنعام.

ولكن أصحاب الرسول والناس من حولهم كانوا لايتركون المسلمين يرتاحون بل يستهزئون منهم ويقولون إذا كان رسولكم رسولاً صحيحاً وليس مجرد شاعرٍ أو مفترٍ عليه أن يأتي بآية من الله (معجزة) الكل يطالب بالمعجزة.

﴿بل قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراه بل شاعرٌ فليأتِنا بآيةٍ كما أُرسِلَ الأوّلون﴾ ٥ ـ الأنبياء.

لكن على مايبدو من آيات القرآن الكريم كان الله مصمما: ألاّ يبعث مع هذه الرسالة أية معجزة بصرية(بصائر) لأن الله أعلم بعباده، أو ربما لأنه يريد معجزات أبقى مع الزمن يستطيع أن يراها كل إنسان وفي كل عصر وزمان وليست مجرد معجزات بصرية تنتهي بعد مشاهدة الناس لها تاركة آثاراً سلبية أكثر من النتائج الإيجابية المرجوّة، فقال تعالى يواسي رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ويثبته على ماهو عليه:

﴿لعلّك باخعٌ نفسَك ألا يكونوا مؤمنين * إن نَشَأ ننزل عليهم من السماء آيةً فظلّت

أعناقُهم لها خاضعين﴾ ٣ - ٤ - الشعراء.

لكن الناس كانوا دائماً هم مصيبة الرسل والأنبياء فكانوا لايتركون الرسول ﷺ يرتاح، بل كانوا يلِحّون عليه وعلى المسلمين من صحابة الرسول من الأنصار (الأوس والخزرج) الذين كانوا يخالطون بحكم سكناهم في مدينة واحدة مع بني النَّضير وبني قريظة اليهود الذين كانوا يستهزئون بالرسول يحاولون تأليب المؤمنين عليه:

إذا كان رسولكم فعلاً رسولٌ منِ عند الله فيجب أن يُؤَيَّدَ بآيات (معجزات) حتى يصدّقُه الناس، أما مايقوله من آيات في القرآن. ماهذه إلاّ من أساطير الأولين وقد اقتبسها من كتبنا القديمة.

فيعود رب العالمين ليثبت رسوله من جديد فيقول له وللعالمين:

﴿قد نعلَمُ أنه لَيَحْزُنُكَ الذي يقولون فإنهم لايكذبونك ولكنَ الظالمين بآياتِ الله يَجحدون * ولقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلك (يامحمد) فصبروا على ماكُذِّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهُم نصرُنا * ولا مُبدِّل لكلماتِ الله (أي أني قد اتخذت القرار ولن أبدله أو أعدله) ولقد جاءك من نبأ المرسلين * وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلَّماً في السماء فتأتيهم بآيةٍ (معجزة بصرية) ولو شاء اللهُ لجمعهُم على الهدى فلا تكونَنَّ من الجاهلين * إنما يستجيبُ الذينَ يسمعونَ، والموتى (أي أن الأحياء الذين لايسمعون كالموتى) يبعثهُم اللهُ ثم إليه يُرجعون﴾ ٣٣ - ٣٦ - الأنعام.

لكن المشركين لم تفتر همتهم، بل ظلوا يطالبون أن يأتيهم الرسول بمعجزة!

﴿وقالوا لولا تنزل عليه آية من ربّه قل إن الله قادرٌ على أن ينزِّلَ آيةً ولكنّ أكثرهم لايعلمون﴾ ٣٧ - الأنعام.

فينزل عليهم آية هي من الحقائق العلمية اليوم:

﴿وما من دابّةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحَيه إلا أممٌ أمثالكم مافرَّطنا في الكتابِ من شيء ثم إلى ربّهم يُحشرون﴾ ٣٨ - الأنعام.

والآية أو المعجزة الثانية هي أن الله سبحانه لم يفرط في القرآن بشيء، فهو كتاب كامل متكامل يجيب على كل التساؤلات الإنسانية ضمن المعلومات المسموح لهم بها من العلم في الحياة الدنيا، وحسب مصادر معلوماتهم المعتمدة أصلاً على الحواس البشرية من بصر وسمع ولمس وذوق وإحساس مع إدراك يجمعها وفكر ينظمها.

لكن الله سبحانه أعطاهم المعجزتين وكأنه لايريد أن تكون للسائلين مباشرة ولكن لأحفادهم من الذين سيأتون في المستقبل ويكونون على مستوى من العلم والمعرفة بحيث يستطيعون أن يفهموا جواب الله لآبائهم الذين طرحوا السؤال بدايةً.

كما سيفهمها أيضاً أحفاد المسلمين مع أن آباءهم الأولين لم يستطيعوا أن يدركوا جواب الله حين نطقها لهم الرسول أول مرة وهم واقفون معه.

والله سبحانه أعلم بعباده من العباد، لذلك كان كل فترة وأخرى يثبّت الرسول ﷺ من جديد ويدعوه للصبر والاطمئنان والإيمان بأن المعجزات البصرية (البصائر) لن تغير من موقف الناس، وأنك إذا أعطيت أذنك وسمعك لهم فإنهم يضلونك بدلاً من أن ينفعوك ويجعلونك تترك منهج الرحمن لتتبع منهجاً آخر (يامحمد).

﴿وإن تُطع أكثرَ من في الأرض يضلّوكَ عن سبيل الله إن يتّبعون إلا الظّنَّ وإن هُم إلا يَخرصون﴾ ١١٦ ـ الأنعام.

ومهما وعدوك وقالوا لك، إنك إذا أتيتهم بمعجزة أنهم سوف يؤمنون بك وبدعواك، إنهم يكذبون. فهذه من طبيعة الناس وأنا الذي خلقتهم أعرفهم أفضل منك فلا تتعب نفسك بتصديق دعواهم.

﴿أقسموا بالله جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءتهُم آيةٌ (معجزة) ليؤمنُنَّ بها قل إنّما الآياتُ عندَ الله ومايشعركم أنّها إذا جاءت لايؤمنون * ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلَّ شيء قُبُلاً ماكانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يَجهلونَ﴾ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ الأنعام.

وأما للمؤمنين بعد معركة بدر الكبرى أنزل عليهم الآية (المعجزة) التالية ليثبتهم أكثر ويزيد من إيمانهم:

﴿لقد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللهِ وأُخرى كافرةٌ يرونَهم مثلَيهم رَأيَ العينِ والله يؤيدُ بنصرهِ من يشاء إنّ في ذلك لَعبرةً لأُولي الأبصار﴾ ١٣ ـ آل عمران.

وأراد الله سبحانه من نبيه محمد ﷺ أن يغسل يديه من إيمان أهل الكتاب له، فقال تعالى:

﴿ولَئِن آتيتَ الذينَ أوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ (بكل أنواع المعجزات) ماتَبِعُوا قِبلَتَكَ﴾ (فلا تتعب نفسك) ١٤٥ ـ البقرة.

وهكذا يتبين لنا من آيات الله في القرآن الكريم الذي قال عنه تعالى:
﴿مافرّطنا في الكتاب من شيء﴾
أنه اتبع في رسالة خاتم الأنبياء أسلوباً جديداً فشاء أن تكون معجزة هذا الدين معجزة حية متجددة، هي القرآن يشاهده كل إنسان في الوجود. معجزة لاتموت في كل عصر تظهر فيه حقيقة ومعجزة حية جديدة تؤيد المكتشفات العلمية الحديثة والقرآن يثبت أنه تحدث عنها الله من غيبه في وقت لم تكن معروفة. كتاب كل مافيه صحيح وليس فيه من تناقض كل كلمة فيه لايمكن أن تبدل بكلمة أخرى باعتبار أنها مرادفة لها وإلا لتغير المعنى كلية. مثلاً الله لم يستخدم كلمة المطر إلا في حالات غضب الله في القرآن، بينما في حالات الخير والرزق للناس قال عنها (الغيث) وكذلك لفظ الرسول لايمكن أن تبدل في موقعها بكلمة النبي أو العكس وكذلك لفظ الجلالة الله لايمكن أن تبدل مكان كلمة الرب ولا مكان الرحيم أن نضع الغفور، فكل اسم من أسماء الله الحسنى له مقام ومكان خاص وهذه أمور يجهلها أكثر المسلمين لأنهم هجروا القرآن ودينه إلى دين الحديث ظناً من بعض الناس أن الخير والحق كلّه فيما يظنون أن الرسول قد قاله من تلك الروايات المتناقضة مع بعضها البعض.

القرآن الكريم كتاب معجز لكل العصور ولكل الأمكنة ولكل أمم وشعوب الأرض لأن المعجزات التي فيه ليست معجزات بلاغية فقط، بل كلها من الحقائق العلمية وبمنتهى الدقة.

أحد العلماء المتخصصين في علوم الفلك والفضاء والنجوم عندما شرحوا له نظرة القرآن الفلكية وشرحه لتشكل النجوم، قال: نحن العلماء اعتدنا أن نرى الفضاء دائماً من خلال مناظير مكبرة جداً لدرجة أننا لانرى فيها إلا من خلال زوايا ضيقة جداً بينما الوصف الذي عندكم يصف الفضاء بدقة علمية كبيرة جداً ولكنه يصفها وكأنه مطل عليه ومحيط به ويراه من كل الجوانب.

سبحان الله! أنطقه بالحق دون أن يعلم!. ومن غيرَ الله سبحانه وتعالى عنده القدرة على هذه الرؤية وبتلك الإحاطة.

ولكن في العصور التي دخل فيها المسلمون إلى كهفهم للنوم ألف سنة ونيّف دخل إلى ديننا شوائب كثيرة عمداً وجهلاً وسذاجة. ولكن بوجود القرآن الكريم سليماً ونقياً كالماسة البيضاء والشفافة، وبحفظه بقدرة الله تعالى سليماً يمكننا أن نُحَكّمَ آياته على

كل تراثنا لتُزيل عنه كل الشوائب التي تناقضه والتي دخلت أو أُدخلت وهي غريبة عنه حتى نبدأمن جديد طالما معنا القرآن الكريم ونستخدمه بوصلة لنا لتوجيه دفة سفينتنا، فلن نضل إلا إذا تركناه وتمسكنا بغيره ظناً بأن الخير فيما تمسكنا به من جديد.

هذه حقيقة يجب أن نؤمن بها كلنا من جديد. ولقد يَسَّر لنا سبحانه القرآن للحفظ، وهذه أيضاً من إحدى معجزات القرآن الكريم التي تفيد المسلمين الذين يحفظون دستورهم الذي سوف يقودهم للخير والنور والعدل والسلام في صدورهم.

﴿ولقد يسَّرنا القرآنَ للذّكرِ فهل من مدّكر﴾ ١١٨ ـ القمر.

وكثير من الناس يظنون أن الإسراء والمعراج من معجزات الله في الإسلام؟

المعجزة كما شرحت من البداية لاتكون إلا للتحدي وليّ العنق من الأعلى للناس، وكما أنها يجب أن تتم علناً يراه كل الناس جميعاً بلا استثناء من الحضور.

والسحر يتراءى للمسحور كمشاهدٍ حقيقةً لكن لايعرف سرّها إلا من كان من السحرة إذا وُجِدَ أحدهم بين الحضور مثلاً في قصة موسى مع سحرة فرعون الذين بعد أن رموا عصيّهم وحبالهم تراءت للناس أفاعي حقيقية وأرعبُوا منها، لأن الساحر كان قد سحر أعين المشاهدين ومنهم موسى، لأنه ليس ساحراً أصلاً (فأوجس في نفسه خيفةً موسى) فثبته الله ورمى عصاه فأصبحت أفعى حقيقية. ولأنَّ السحرة لاتُسحر أعينهم كباقي المشاهدين منهم يرون الحبال حبالاً والعصي مازالت عصياً وإن تراءت للناس غير ذلك لكنهم لما رأوا عصا موسى تحولت إلى أفعى حقيقية ابتلعت كل ماألقوا به على الأرض خرّوا سجداً على الأرض لله، وآمنوا به. هذه معجزة بصرية للسحرة أنفسهم.

أما الإسراء موضوع بين الله ورسوله لم يره أحد، فلا يدخل ضمن المعجزات لأن الله لم يتحد به أحداً من الناس، ولكن يؤمن به المسلم تسليماً لأن الله سبحانه لايمكن أن يقول إلا الصدق فكان الإسراء والمعراج موضوعين خاصين بالنبي وحده، لتثبيته ورفع معنوياته خاصة وأنها حصلت كما تقول أغلب الروايات في بداية الإسلام في مكة. والمسلمون كتبوا في كتب الحديث مجلدات عن هذين الموضوعين اللذين كما قال الله عنهما بأنها كانت فتنة للناس ليرينا الله كيف يتصرف البشر عندما يعطون فرصة أو مجالاً صغيراً للتقول والتخيل ماذا يفعلون.

وكل ماورد في الأحاديث لايخلو من تناقضات ومناقضات للعلم والحقيقة حول هذا الموضوع مع الدخول في علم الله الحقيقي في الغيب، علماً أن المعراج رؤيا رآها الرسول

وهو نائم وليس لها أية علاقة بالحقيقة والواقع، فدخل فيها المسلمون من المحدثين في متاهات لها أول وليس لها آخر متخطّين كل الحدود المسموحة والممنوعة.

إذ كيف نقبل أن يكون الله في القرآن الكريم في منتهى العلم والحق والحقيقة ثم نقبل بروايات كلها ظن وتخمين، وليس فيها علم ولاحقيقة؟ وماهي إلا مجرد مجموعة من الأوهام المتناقضة مع بعضها البعض والمناقضة لما ورد في القرآن، وبعد أن علمنا أنه لايعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى فلم يبق إلا أن نعترف بأن كل ماورد عن هذا الموضوع في الروايات المنسوبة للرسول ﷺ كلها تخيلات ونسبتها للرسول ﷺ فيها ظلم شديد له وتشويه لسمعته كرسول للعالمين.

والآن بعد هذه المقدمة التي برهنت فيها أنه لم يؤيد الله رسوله الكريم بأية معجزات من البصائر مما كان يؤيد بها الله رسله السابقين، واختار أن تكون معجزة النبي ﷺ معجزة خاصة وخالدة ومتميزة عن باقي المعجزات، سوف نستعرض بعض المعجزات التي ألّفها ووضعها المحدّثون على مبدأ (إنما الأعمال بالنيات) (وماكنا نكذب على الرسول وإنما نكذب له) (وحتى لايكون أقل قدراً وقيمةً من باقي رسل أهل الكتاب الذين يتحدوننا بأن الله سبحانه قد دعم رسلهم بتلك المعجزات، فلماذا لاتكون له معجزات أكثر مما كانت لرسلهم كلهم؟).

١ ـ الحديث رقم (٤٢٥١) من صحيح البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله قالوا: لانقرّ بهذا لو نعلم أنك رسول الله مامنعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله» ثم قال لعلي: «امح رسول الله» قالِ علي: لا والله لاأمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يُحسِنُ يَكتُب فكَتَبَ:

«هذا ماقاضى محمد بن عبد الله لايدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لايخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه وأن لايمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها» فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي، ياعمٌ. فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر. قال علي: أنا

أخذتها وهي بنت عمي. وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها. وقال: الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك».

وقال لجعفر: «أشبهتَ خلقي وخُلُقي». وقال لزيد «أنت أخونا ومولانا» وقال علي: (للرسول ﷺ): ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة» هذا الحديث من الأحاديث النموذجية في الدسّ على الإسلام من الداخل وكأن المحدّث ظاهراً يحسن للرسول والإسلام. ومن الباطن بيده حَرْبَةٌ للطعن وليس للإحسان. واللغم الأساسي في هذا الحديث الذي يجب أن ننتبه أيضاً لأسماء السند فيه المشهود لهم بالثقة من جنود السلطان، ثم في متن الحديث في العبارة التالية لامتناع علي بن أبي طالب للكتابة: (فاضطر الرسول لأن يكتب) والمعروف عنه أنه كان أمياً لايعرف القراءة والكتابة، ولم يكن هذا قال عن قيل؛ وإنما بشهادة من الله سبحانه.

﴿وما كُنتَ تتلو من قبلهِ من كتاب ولاتخُطُّهُ بيمينكَ إذاً لارتابَ المُبطلون﴾ ٤٨ ـ العنكبوت.

ثم يأتون إلينا ليشككونا ويطعنوا برسولنا، حيث يقول نص الحديث: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب «هذا ماقاضى» إلى آخر المعاهدة. قد يظن المسلم الساذج أنها معجزة، والمعجزة كما أوضحت: هو أن يأتي الإنسان بشيء يعجز أي إنسان عن الإتيان به.

والكتابة من الأشياء التي يمكن أن يحسنها كل الناس إذا حاولوا تعلّمها لذلك فهذه ليست معجزة لأحد، وليست من أبواب الإعجاز في شيء، بل هي من باب التشكيك بالرسول ﷺ بأنه كان يعرف القراءة والكتابة، ولكنه كان يدعي عدم معرفتها. لأن أهل الكتاب كانوا دائماً يتهمونه بأنه يأتي بالقرآن من كتبهم القديمة وأساطير الأولين. وهذا هو الدليل، فإنه قد كتب أخيراً وهو مضطر.

والطعنة الثانية هي في ابنة حمزة، ومن سياق الحديث تستنتج أن الرسول وآل البيت كل همهم النساء والزواج، فلم يصدق الرسول وآل أبي طالب أن وجدوا أنثى، فكل واحد كان يريد أن يتزوجها، لكن أحكام التحريم في القرآن بأنواعها وجدت في حالة ابنة حمزة فلم تحل لأحد منهم مع الأسف الشديد.

والطعنة الثالثة في هذا الحديث: أن الرسول ﷺ قبل قليل قد وقع على معاهدة خطّية بأن لايُخرِجَ معه من أهل مكة أحداً، وهي تتضمن النساء والرجال والأطفال على

مختلف الأعمار، بينما حكم الرسول بأن يأخذها جعفر بن أبي طالب معه إلى المدينة، طبعاً لأنهم كلهم راجعون إليها. ليستدل من يشاء بعدها على أن الرسول ﷺ لم يكن يحترم ماعاهد عليه بل يفعل مابدا له، وهذا غير صحيح على الإطلاق.

والطعنة الرابعة والأخيرة في هذا الحديث: أن الرسول كان ولازال على عقلية الجاهلية بالعصبية القبلية، فمقياس التفضيل عنده لازال العائلة والدم والقبيلة، مخالفاً بذلك ميزان الإسلام الجديد بـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُم عند الله أتقاكُم﴾.

فتعود كلمات مثل (أنت أخونا ومولانا) من أجل القرابة، تعود لتحلّ محلّ تلك الآية الكريمة السابقة. أو (أنت مني وأنا منك) بصلة الدم وليس (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) ثم بعد كل هذا لازلنا نحن المسلمين نعتبر مثل هذه الأحاديث التي كلها معاول وطعنات تهدم في ديننا (أحاديث مقدسة) نتمسّك بها ومن أجلها نهجر القرآن الكريم كتاب الحقّ والعدل والهدى والنور لكل العالمين من الله العزيز الحكيم.

٢ ـ الحديث رقم (٣٥٧٧) من صحيح البخاري: (انتبهوا للسند من جديد): حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال:

«كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر (أي بصق فيه) فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا وروت ـ أو صدرت ـ ركائبنا».

نحن نعلم من القرآن الكريم: إذا أراد الله أن يري الناس معجزة فإنه قادر على ذلك في أي لحظة يشاء، والمعجزات أصلاً تحصل بإذن الله وبقدرته وليس بإذن الرسول ولا بقوة منه، فهو مجرد وسيط لا أكثر ولا أقل، والقرآن الكريم وآياته تشهد على هذا الكلام.

إذاً فما هو الداعي لأن يجعل هذا المحدث الحاقد ليأتي كالأفعى السّامّة ليبث سمومه بحجة الصدق فيقول كلاماً مسموماً لايمكن قبوله عقلاً ولامنطقاً فيجعله يتمضمض بالماء ثم يبصق في البئر فيتكاثر الماء الذي بصق فيه الرسول ﷺ حتى يشرب منه الناس؟

هذا وقد رأينا في المقدمة إصرار الله سبحانه وتعالى على ألا يدعم هذا الدين بالمعجزات البصرية، والدليل أنه لم يذكر للرسول معجزة واحدة في القرآن الكريم، بل كل ماهو موجود في الأحاديث هو من اختلاق المغرضين فصدقهم السّذّج الذين ظنوا أنهم يحسنون صنعاً إن رووا عن رسولهم المعجزات. حتى يباروا به أنبياء أهل الكتاب.

٣ ـ الحديث رقم (٥٦٥٢) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: ألا أريك امرأة

من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال:

«إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لاأتكشف، فدعا لها.

طبعاً المقصود من الحديث هو أن يؤمن الذي يقرؤه بأن دعوة الرسول لاتُرَدّ من الله سبحانه. فالرسول ﷺ عليه أن يدعو أولاً ومن بعد ذلك «كن فيكون» هذه الصورة هي من أسوأ ماتصوره المسلمون في دين الحديث، فتجعل منه أفراداً اتّكاليين يتمنون على الله الأماني ولايعملون ولايتعلمون. إذا كانت كل دعوات الرسول مستجابة لماذا لم يدع الرسول ربه بأن لاتموت خديجة زوجته الأولى التي كان يحبها كثيراً؟ ولماذا مات أبناء الرسول الذكور وهم لازالوا أطفالاً.؟

لماذا لم يدع ربّه أن يجعل عمّه أبا طالب يؤمن بالله قبل أن يموت حتى يغفر الله له؟

لماذا لم يدع ربه أن يجعل قريش تقبل على الإيمان فيؤمنوا به بسهولة ويسر من دون إضاعة السنين من الصراع والحرب والقتل؟ إن كل هذه الصور المفتراة على الرسول تشوه دين الإسلام فتجعله دين رفع الأذرع والتضرع لله من غير نتائج، لأن الله سبحانه لايستجيب لأماني من غير عمل ولقد مضى علينا أكثر من ألف سنة ونحن نتضرّع بعد كل صلاة جمعة وأيدينا مرفوعة للسماء، والإمام يدعو ونحن نقول: آمين، ألم يصدف مرة واحدة خلال الألف والأربعمائة من السنين أن يتطابق قَوْلَةَ آمين منّا مع قولة الملائكة؟ حتى يستجيب الله ولو مرة؟

ليس هذا هو الدين الذي أتى به محمد صلوات الله عليه وطبقه الصحابة في معارك اليرموك والقادسية، بل هو دين مدسوس علينا حتى نصبح كلنا كالخشب المسنّدة (لا للعير ولا للنفير) ولا ننفع لشيء أبداً، إنه دين من تأليف المنافقين والحاقدين من أعدائنا، والذين مالت نفوسهم للكفر منا لاشكَّ في ذلك أبداً.

٤ ـ الحديث رقم (٥٦٥٧) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: إن غلاماً ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: «أَسلِم» فأسلمْ. إذا كانت كلمات الرسول ﷺ هكذا لاترد؛ لماذا عندما ذهب الرسول إلى الطائف وهو يدعوهم للإسلام طردوه وجعلوا سفهاءهم يلحقون به يؤذونه بالكلام حتى ألجؤوه إلى حائط؟

لماذا لم يدعُ ربه بأن يؤمن له أهل الطائف وينتهي الأمر بسهولة ويسر؟ أم أن الله كان يحب أن يعذب رسوله؟ إن الأمور لاتبنى على هذه الأرض بالأماني وإنما بالعمل والصبر. وهذا ماكان يحاول ربنا أن يعلّمه للإنسان في كل الرسالات. إن رفع الأكف والدُّعاء والتضرع لن يبني شيئاً. والرسول محمد ﷺ لم يحقق نجاحاته وانتصاراته بالدعاء أبداً بل بالعمل الدؤوب مع الفكر والتخطيط والتنفيذ ولم يؤمن معه من الصحابة أحدٌ بالدعاء بل بالدعوة والصبر والقدوة الحسنة مع انكار الذات والتوكل مع كل ذلك على الله الواحد الأحد. هذا هو سبيل النجاح في الإسلام.

٥ ـ الحديث رقم (٥٦٣٩) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله قال: رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فَجُعِلَ في إناء، فأتى النبي ﷺ فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال: «حيَّ على أهل الوضوء البركة من الله» فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه. فتوضأ الناس وشربوا. فجعلت لا آلو ماجعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة. قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: الفاً وأربعمائة.

وحتى لاتكون معجزة العشاء الرباني المذكورة في الإنجيل والتي ذكره الله في سورة المائدة خاصة بالمسيح وحده دون الرسول ﷺ فقد لجأ بعض المحدثين إلى أن يجعلوا للرسول عشاء ربانياً أيضاً كما في الحديث التالي:

٦ ـ الحديث رقم (٤١٠١) من صحيح البخاري: عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُديَةٌ شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر. ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب فعاد كثيباً أَهيَلَ أو أَهْيَم، فقلت: يارسول الله ائذن لي إلى البيت! فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي شيئاً ماكان في ذلك صبر فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمةُ بين الأثافي قد كادت أن تنضج فقلت: طُعَيم لي فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان قال: «كم هو؟» فذكرت له قال: «كثيرٌ طيبٌ». قال: «قل لها لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي» فقال: «قوموا». فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا» فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم

يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة».

٧ ـ الحديث رقم (٢٠٩٥) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ:

«يارسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؛ فإن لي غلاماً نجاراً، قال: إن شئت، فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمّها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت. قال: بكت على ماكانت تسمع من الذكر».

ربما كان المحدث الذي وضع هذا الحديث يريد أن يقول للناس الذين أصبحت قلوبهم قاسية فلم يعد سماع آيات القرآن الكريم يؤثر عليها وفيها فأراد أن يقول لهم إن الحجر والخشب والشجر يمكن أن يتأثر بتلك الآيات فكيف لاتتأثرون به أيها الذين عشقتم الدنيا ونسيتم ربكم ودينكم وآخرتكم، ونبذتم قرآنكم وهجرتموه إلى أحاديث ليس فيها إلا طعنات الحاقدين.

٨ ـ الحديث رقم (٣٥٨١) من صحيح البخاري: عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصُّفة كانوا أناساً فقراء. وأن النبي ﷺ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث: ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي بعشرة، وأبو بكر ثلاثة قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال امرأتي وخادمي؟ بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ فجاء بعد مامضى من الليل ماشاء الله. قالت له امرأته ماحبسك عن أضيافك. أو ضيفك؟. قال: أو عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا عليهم فغلبوهم. فذهبت فاختبأت. فقال: ياغُنثَر ـ أي ياجاهل ـ فَجَدَّعَ وَسَبَّ ـ وقال: كلوا. قال: لا أطعمه أبداً قال: وأيم الله ماكنا نأخذ من اللقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل، فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر. فقال لامرأته: يا أخت بني فراس. قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات. فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى

النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل فعرفنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل، غير أنه بعث معهم، قال: أكلوا منها أجمعين أو كما قال». (إذا فهمتم لهذا العشاء الرباني من مغزىً أكون أنا أيضاً فهمته؟!!).

فهل هذه أحاديث نبوية شريفة يليق بنا أن نقول عنها: إنها كتاب الحكمة والذي أنزله الله وحياً من السماء على رسولنا محمد ويتلى في البيوت على أنه من عند رب العالمين؟

٩ ـ الحديث رقم (٣٥٧٢) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبي بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من أصابعه فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة».

ثم استمعوا للحديث الذي بعده:

١٠ ـ الحديث رقم (٣٥٧٣) أيضاً للبخاري: عن أنس قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوهُ فأُتيَ رسول الله ﷺ بوضوء. فوضعَ رسولُ الله ﷺ يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضؤوا من عند آخرهم.. ثم لنستمع لجابر بن عبد الله ماذا عنده؟

١١ـ الحديث رقم (٣٥٧٦) من صحيح البخاري: عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجَهَشَ الناس نحوه. فقال: مالكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولانشرب إلا مابين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا. قلت: «كم كنتم؟» قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة). ثم لنستمع للحديث الذي بعده:

١٢ ـ الحديث رقم (٣٣٤) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش. انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق. فقالوا: ألا ترى ماصنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال: ماشاء الله أن يقول: «جعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي) فقام

رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آيته التيمّم (فتيمّموا) فقال أسيد بن الحضير: ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته.

وهذا الحديث مذكور في صحيح البخاري تحت الأرقام التالية:

(٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٦٧٢ - ٣٧٧٣ - ٤٥٨٣ - ٤٦٠٧ - ٤٦٠٨ - ٥١٦٤ - ٥٢٥٠ - ٥٨٨٢ - ٦٨٤٤ - ٦٨٤٥).

وماذا تعلمنا من الأحاديث السابقة؟ ولماذا لم تنبع الماء من أصابع الرسول ﷺ في حديث عائشة؟ علمنا أن ضياع العقد وقصتها كانت في حديث الإفك حيث أضاعت عائشة رضي الله عقدها فتأخرت عن الركب وحصل الذي حصل، وتكلم الناس عنها ظلماً حتى برأها الله بعد ذلك، فلماذا يصرّ المحدث هنا أيضاً. أن يجعل عقد عائشة في قصةٍ ثانية؟.

ومادخل فخذ عائشة وخاصرتها حتى يحشرها المحدّث في هذه القصة؟

ألا يعلم أن ذلك من عورة أمهات المؤمنين؟ وأنه لايجوز أن يتقول على فخذ عائشة؟ وإن فعلَ فكأنه يكشف عن عورتها لكل الناس؟ إن الذي وضع الحديث يعلم ذلك، ولكن المسلمين من البسطاء الذين يردّدون هذه الأحاديث وهم يظنونها أنها من الأحاديث النبوية الشريفة، ولايعلمون أنها أكاذيب مدسوسة على الإسلام لتشويه صورته التي بيّنها الله في القرآن الكريم - إنّ أعداء الإسلام الذين حسدونا على القرآن أحبّوا أن نهجر ذلك الكتاب العظيم إلى مثل هذه الأحاديث التي لاتجد في أحدها ما نجده في الحديث الآخر. هذا يقول لك: إن أصابع الرسول منبع للمياهِ يشربُ منها مائة ألف، كما قال جابر بن عبد الله، وقال أنس: إنها كانت تكفي ثلاثمائة، بينما يقول إسرائيل إن النبي بصق في البئر فزادت ماؤه.

وقالت عائشة: إنه لم يكن ماء على الإطلاق فنزلت آيات التيمم وتيمّم الناس. فمن من هؤلاء الصحابة نصدّق؟ هل هناك تناقض أكثر من ذلك في أي دين؟

هذا هو دين الحديث، بينما دين القرآن ليس على هذه الحال أبداً وليس فيه تناقض ولا اختلاف.

١٣ - معجزة تقوية الذاكرة ببسط الثوب:

الحديث رقم (٢٤٩٢) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: إنكم تزعمون أن أبا

هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ. والله الموعد (فليحاسبني الله إن كنت أكذب) كنت رجلاً مسكيناً. أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفقُ بالأسواق (أي أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وأمثالهم من المهاجرين كان شغلهم الشاغل الصفق بالأسواق من أجل البيع والشراء والتجارة، ناسين ربّهم الذي يجاهد في سبيله أبو هريرة لوحده) وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضممته إليَّ. فما نسيت شيئاً سمعته منه.

أي إنه كان الوحيد الذي حضر المعجزة لانشغال الجميع بالدنيا، فنفذ وصية الرسول وحده، حتى بلغ مارواه وحده. أو ماروي عنه ربما كذب عليه مثلما كذب على الرسول، والله أعلم.

المهم بلغت الروايات والأحاديث المروية عنه ٥٣٧٤ حديثاً، وإذا اعتبرنا أن صحيح مسلم كله المروي عن كل صحابة الرسول كلهم فيه ٣٠٣٣ حديثاً والذي يتألف من خمسة مجلدات فأحاديث أبي هريرة وحدها تأخذ ضعفي مجلدات صحيح مسلم تقريباً.

١٤ ـ قصة انشقاق القمر.

الحديث رقم (٣٨٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية، فأراهم القمر شقّين، حتى رأوا حرّاء بينهما».

الحديث رقم (٢٨٠٠/٤٤) من صحيح مسلم: عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله ﷺ:

«اشهدوا». وهناك روايات مختلفة وكل رواية منها لاتقول ماقالته الرواية الأولى، وكلها آتية من تفسير الآية المتشابهة في القرآن الكريم والتي تقول:

﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ ١ ـ سورة القمر.

وإن صيغة الآية آتية في صيغة الماضي. فالتبس على المحدثين الذين لم يتركوا باباً إلا وطرقوه، ولم يتركوا كتاباً لأهل الكتاب إلا (وفصفصوه) ثم أعادوا صياغته من جديد على أنها أحاديث سمعوها من الرسول ﷺ فأدخلوها هكذا تبرعاً في دين الإسلام.

ولكن فاتهم جميعاً أن الله سبحانه استخدم أسلوب الماضي في كثير من الآيات كوسيلة من وسائل التعبير والتصوير في القرآن الكريم ليعطي للآيات سبحانه قوةً في التأثير على النفس أكبر لعلمه أن الخبر بصيغة الماضي يحمل صفة الأمر الواقع فلا يعود الإنسان يناقش الموضوع من ناحية الإمكانية، بينما تبقى الأنباء بصيغة المستقبل تحمل ولا زالت الاحتمالية ضمنها ممكنة أو غير ممكنة الحصول. مثل الآيات التالية:

﴿والذين آمنوا وَعمِلوا الصالحاتِ لانكلّفُ نفساً إلا وسعَها أولئك أصحابُ الجنّةِ هم فيها خالدون﴾ ٤٢ ـ الأعراف.

الفصل الحادي عشر

الأحاديث ذات الأهداف والغايات السياسية

بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، انتصر الشيطان في الشرق وعربد على أرض المسلمين مستبيحاً كل المحرمات، فصار الكذب والغدر والخيانة والقتل من الصغائر بعد أن كانت في عصر الرسول وصحابته الكرام من الكبائر التي يقشعر لها بدن المؤمن. فخرجت روايات كاذبة على لسان الرسول ﷺ في حق علي أو العكس بحسب الفئة المروّجة لتلك الروايات المختلقة.

وفي هذه الدراسة لا أتطرق للروايات التي اتفق عليها أهل السنة على أنها مكذوبة وموضوعة أو ضعيفة، وإنما ينحصر بحثي فقط في الأحاديث التي استحسنها أهل السنة وقالوا عنها إنها من صحيح الصحاح، ومن الأحاديث القدسية، وإن رجال سندها ورواتها كانوا من الصادقين الذين شهد لهم السلطان وجنوده بذلك شهادات متواترة.

- ومن المستحسن والمستحب لكل مسلم سنياً كان أم شيعياً أم كان يتبع أية طائفة أخرى من الطوائف الإسلامية المتعددة وورث ذلك كله عن أجداده وآبائه ففرضت عليه على أنها دينه ومُعتَقَدَهُ دون أن يكون له الخيار في ذلك أبداً أن يجلس لوحده ويتساءل مع نفسه: من هم السُنّة؟ وماهو أصلهم؟ وما سبب نشأتهم؟ أو من هم الشيعة؟ وماهو أصلهم؟ وكيف كان منشؤهم؟ وهكذا إلى آخر طائفة إسلامية موجودة إلى الآن.

- في كل فتنة سياسية أو حرب أهلية تحصل في أي أمة من أمم الأرض تكون هناك فئتان مختلفتان ومتناقضتان بشدة وتطرف، ودون أن تقبل أية حلول وسط لحل الخلاف، وتكون بينهما فئة أخرى تشكل الغالبية العظمى وهي الفئة الفقيرة التي لاتملك شيئاً ولا طموحات لديها أكثر من تحصيل قوتها اليومي، فلا تجد لنفسها مصلحة في الوقوف مع أحد الجانبين فتقف من جهلها على الحياد، دون أن تعلم أنها بسلبيتها هذه تساعد الشرّ والشيطان. بالانتصار على الحق.

وفي النهاية تميل هذه الفئة بالتدريج وتؤيد مرغمة الفئة المنتصرة بحسب مبدئها المقدس الدائم (من تزوّج أمي فهو عمّي).

وهكذا بعد انتصار الفئة الباغية صارت الغالبية العظمى من المسلمين معه كواقع حال، وليس من واقع تفضيل فكري أو سياسي أو ديني. وهكذا أيضاً أصبحت الغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالسنة.

والسنة بحكم هذا الانتماء الجديد والمفروض على الأكثرية كواقع حالٍ عاشوا وردّدوا كل أفكار السلطان ومساعديه ومؤيديه وجنوده المخلصين من رجال ومشايخ الدين، بحيث أصبحت مع مرور الأيام ومن كثرة الترديد والتكرار عقيدة لديهم، دون أن يسألوا ويعرفوا مصدرها وأصلها وأسبابها ودوافعها السياسية التي كانت في ساحة الصراع على السلطة والتي أصبحت الشغل الشاغل لكل الفئات بعد ذلك وبعد اختفاء نور الحق لدى الجميع.

ـ فأصبحت كل الفئات تتطلع إلى الحكم وتسعى إليه على أنه مصدر الثراء والقوة والجاه والنعيم على الأرض، ولم يعد أحد يسعى إلى الحكم من أجل تحقيق الحق أو العدالة أو إعادة الرسالة الأساسية للإسلام بعد ضياع القرآن واختفائه من النفوس قبل اختفائه من الأيدي، وأخيراً مع الأيام وضع على الرف ولم يعد أحد يفتحه إلا في مناسبات الموت والجنازات.

أما الحكم والأحكام والشريعة والقضاء ومايطبق على الناس من عقائد ومن عقلية كانت تتم بحسب نصوص الأحاديث التي كَتبتُ لكم نماذج منها منذ أن بدأت البحث معكم في هذا الكتاب. تلك هي الشريعة والقانون في القضاء، وبموجبها يتم الحكم بين الناس وزبدة تلك الأحاديث ـ حشيت بالرؤوس وأصبحت تُشكّل ـ عقلية الأمة. وهكذا ضيع الناس رسالة السماء وصاروا يتبعون تلك المكتبات التي كتبها جنود السلطان من الحاقدين والمأجورين ليصبح شرع الحاكم الجديد الذي قرر إنشاء جنته على الأرض بعد أن نسي جنة السماء أو وهبها لأمته مقابل تخلّيهم له عن الدنيا بما فيها. وكل ذلك حصل تحت اسم وغطاء فضفاض اسمه الإسلام دون أن يكون لهذا الاسم أية مصداقية في العمل أو الإيمان، فبقي هذا الاسم شكلاً، بينما بقي الفعل والتطبيق للوحي الثاني المدّعى، والكتاب الثاني المفترى ظلماً على الله والرسول وسمّوه (كتاب الحكمة) وعدنا نحن أهل السنة مع تطور الزمن فحوّرنا الاسم وبدلناه إلى اسم السُنّة أو الحديث النبوي

الشريف. وصار الدين كله يدعى بالسُّنَّة.

وكما يقول المثل الشعبي الدارج (الذي بيده القلم لايكتب نفسه من الأشقياء).

وهكذا يجب أن لانفاجأ نحن أتباع السنة ولا أخواننا أتباع الشيعة أو أتباع الطوائف الإسلامية المتعددة الأخرى بهذه الحقائق لأنه تاريخنا المشترك الذي فُرِضَ علينا ولم نُخَيَّر فيه، فصار لزاماً علينا أن نُحَكِّمَ عقولنا لنَعودَ إلى الأصل ونترك كل الفروع.

والآن لنفتح نحن أهل السنة صحيح البخاري أو صحيح مسلم وكلاهما شيخ من شيوخ السنة وفي عصريهما وفي فترة الخلافة العباسية، قد تتوقعون اختلاف العقلية مابين السلطان الأموي والسلطان العباسي، لكن اختلاف العائلة أو العشيرة الحاكمة لم يغير العقلية، لأن أهداف السلطانين وغايتهما كانت واحدة وكلاهما كان يسعى إلى جنة الدنيا ولايريد أن يسمع أو يسعى لجنة الآخرة، فبقي كتاب الله مهجوراً كما كان، وهكذا يجب أن لانفاجىء بعدم تغير الأمور والأحوال، ومع الأيام انتقلت السلطة بعد ضعف السلطة المركزية ونشوء حكم الدويلات الإسلامية بشكل رسمي في بداية القرن العشرين وانتهى دور المسلمين بشكل فعلي بعد الحرب العالمية الأولى، وخرجوا من التاريخ كأمة فاعلة ومؤثرة في صنع الأحداث. وتحولت إلى أمة منفعلة فقط.

لكن فترة نشوء وتشكل الأحاديث النبوية كانت مع بداية العصر الأموي حيث كثر الوضع والتأليف بشكل جنوني، واستمر الوضع والتأليف باسم الرسول ﷺ أيضاً في كل العصور الإسلامية، ولكن على نطاق ضيق ومحدود، لأن احتمال كشف المكذوب منها في العصور المتأخرة صار أسهل لمن يريد إجراء دراسة بالمقارنة مع الكتب والمستنسخات القديمة التي وضعت في العصر الأموي الأول.

وسوف أبدأ بحثي هذا بثلاثة أحاديث يتعمّد فيها الراوي المؤلف إهمال اسم علي بن أبي طالب عمداً للإشارة إلى أن الرسول نفسه كان يتجاهله لعدم بروز دوره وصغر شأنه في الإسلام وبين المسلمين، مخالفاً بذلك حقائق التاريخ الإسلامي كله.

١ ـ الحديث رقم (٣٦٩٧) من صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لانعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لانفاضل بينهم». أين اسم علي بن أبي طالب؟.

٢ ـ الحديث رقم (٣٦٩٣) من صحيح البخاري: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ:

«افتح له وبشّره بالجنة. ففتحت له. فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ افتح له وبشره بالجنة. ففتحت له فإذا هو عمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبي فحمد الله. ثم استفتح رجل فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان».. أين علي في هذه القصة؟

٣ ـ الحديث رقم (٣٦٩٠) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«بينما راع في غنمه عدا الذئب فأخذ شاةً فطلبها حتى استنقذها فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله. فقال النبي: فإني أومن به وأبو بكر وعمر وماثم أبو بكر وعمر».

أين علي في هذا المقال؟

ثم للنظر إلى الحديث التالي حيث يظهر فيه الراوي غضب الرسول على علي بن أبي طالب لأسباب عائلية وشخصية والرسول ﷺ كان أبعد الناس عن مثل هذه الصفات. وكل ذلك حتى يقنع سلطان المسلمين الجديد موقف الرسول السلبي من علي بن أبي طالب وعدم رضائه السابق عنه:

٤ ـ الحديث رقم (٥٢٣٠) من صحيح البخاري: عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر:

(تصوروا لقد تحولت المشكلة من خاصة إلى عامة وصار الرسول يبحثها مع الناس في المسجد وعلى منبر الخطابة):

«إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن ثم لاآذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعةٌ مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها»...

هذا الحديث المفترى لايسيء فقط لعلي بن أبي طالب فقط؛ وإنما يسيء أكثر لسمعة الرسول ﷺ الذي يظهره بمظهر السلطان الذي تسيره أهواؤه وعواطفه من دون تحكيم

عقله وعدله على الناس جميعاً فيصبح له مقاييس متعددة للحكم واتخاذ الآراء والقرارات. بينما العكس هو الصحيح والرسول كان قدوة في الحق والعدل بين الناس جميعاً ولا يفضل في ذلك ابنته عن الناس فهو الذي قال للناس قديماً:

«لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» إن صَحَّتْ هذه الرواية.

أما هذه الصورة الجديدة التي يحاول إرساءها الراوي الجديد. فهي صورة غير صحيحة أبداً، وإذا عدنا لموضوع العرف والعادة في موضوع الزواج في عصر الرسول بحسب كتب السيرة لم يكن من زواج الرجل على زوجته أي شيء يشين الرجل أو الزوجة الأولى أبداً.

مثلاً تزوج عمر بن الخطاب في حياته: في الجاهلية والإسلام سبع نساء وهن: جميلة بنت عاصم. وزينب بنت مظعون، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل. وقريبة بنت أبي أمية، وميكة بنت جرول، وأم حكيم بنت الحارث. وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. وكانت له أمتان وله منهما أولاد هما: فكيهة ولهية.

وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل وعنده أربع نساء وهن: نائلة، ورملة، وأم البنين، وفاختة(*).

ونذكر أيضاً زوجات علي بن أبي طالب(**):

فنجد أن أول زوجاته هي: فاطمة بنت الرسول ﷺ بنى بها بعد معركة بدر فولدت له الحسن والحسين، ويقال: محسن، ومات وهو صغير، وولدت له من البنات: زينب وأم كلثوم، ولم يتزوج عليّ على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر وتزوج بعدها علي بزوجات كثيرة منهن من توفين في حياته، ومنهن من طلقهن وتوفي عن أربع. وهكذا نجد أن موضوع الزواج كان موضوعاً تحكمه الأعراف السائدة ولايتدخل فيه الدين إلا لتثبيت الحدود وعدم السماح بتجاوزها، وآيات القرآن شاهدة على صحة ماأقول. وهكذا نجد أن الله سبحانه ترك موضوع الزواج تابعاً لحرية الإنسان وظروفه وميوله ضمن حدود المتعارف عليه بين الناس، شريطة أن لايتعارض ذلك مع حدود الله المبينة في شرعه وآياته البينات في القرآن. أما أن نصوِّرَ أو أن نَتَصَوَّرَ بأن الرسول ﷺ قد

(*) هذه الأخبار عن ماورد في سيرة الصحابة في تاريخ ابن كثير ـ الجزء السابع ص ١٤٤ ـ وص ٢٣٠ ـ طبع دار الريان في القاهرة ١٩٨٨.

(**) نفس المصدر الجزء السابع ـ ص ٣٤٤.

ثار على علي بن أبي طالب في المسجد وأمام الناس وأعلنها حرباً عليه، فهذا الكلام بعيد عن الحقيقة وبعيد عن أخلاق الرسول وصفاته بعداً شاسعاً ولا أساس لهذا الحديث إلا الهدف الخبيث، بأن يقلل الراوي من قيمة علي بن أبي طالب في نظر المسلمين من السامعين للحديث. بالعكس؛لقد كانت محبة الرسول لعلي موجودة في قلب الرسول مذ كان طفلاً ودخل الإسلام وحتى آخر أيام الرسول على هذه الأرض، لم يغيرها أو يبدّلها شيء أبداً.

بغض النظر عن القرابة الدموية التي كانت بينهما فالرسول أصبح بعد الإسلام مقياسه للتفاضل بين الناس هو المقياس الذي بينه ربه في الرسالة وهي التقوى والإيمان.

لكن هدف السلطان الأموي كان الإساءة المباشرة والدائمة لعلي بن أبي طالب بالذات ولآل البيت عامة لشعوره الدائم شخصياً بأنهم أحق منه في هذا الأمر الذي وصل إليه بالدهاء والحيلة ليس فقط بسبب قرابة الدم التي استبعدها الإسلام ولكن بسبب السبق للإسلام والإيمان والعمل والجهاد في سبيل الله، فله في ذلك تاريخ طويل. بينما كل الناس يعلمون أن أبا سفيان وكل عائلته مادخلوا إلى الإسلام إلا مرغمين وبعد فتح مكة ولم يبق أمامهم خيار آخر أبداً(*).

وكان شعوره الدائم بعدم استحقاقه لذلك عن جدارة يجعله دائم التحفز والترقب للأخطار ويقرب بالتالي كل الذين يبدون كرههم وعداءهم لآل البيت. ويقرب أكثر كل الذين يتبرعون بتقديم أحاديث جديدة مروية عن لسان الرسول تؤكد دعواه وتنصرها ولايهمه صدقها بقدر مايهمه تأثيرها في الناس من أجل خلق عقلية جديدة لدى التابعين لسلطته بكره علي وآله أو عدم حبهم أو الوقوف إلى جانبهم على الأقل.

وهذه الأحاديث في تراث السنة أكثر من أن تحصى لأن كثيراً من المحدثين استخدموا تلك الأحاديث وسيلة حقيقية للتقرب من السلطان وجنوده وتقدموا بها في البداية تبرعاً

(*) أرجو أن لايتحسس القارىء من ذكر الحقائق بما يتعلق بقصة أبو سفيان ودوره كرئيس للمشركين، ويظن إنني أتحامل عليه بسبب سياسي أو شخصي هذا الكتاب لذكر الحقائق التاريخية وليس من أجل التحامل على فلان أو محاباة فلان ولكننا إذا لم نفهم الحقيقة والواقع لانستطيع أن نفهم القصة من بدايتها. فعدم مساواة معاوية مع علي لست أنا الذي يقرره بل قرره الله تعالى سلفاً في إسلام القرآن الكريم إذ قال:

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ ـ ١٠٠ ـ التوبة.

﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ ـ ٢٠ ـ التوبة.

وتطوعاً ثم صارت بعد الاستخدام مهمةً رسمية ووظيفة يتقاضى عليها أجره المعلوم حتى صارت مسبة علي ولعنة آل البيت من مستلزمات الخطبة الإسلامية في أيام الجمع من على منابر المساجد التابعة للسلطان الأموي التي وجدت أصلاً للدعوة لدين الله وإقرار الحق والعدل والسلام، وليس لسب ولعن عباد الله.

٥ ـ الحديث رقم (٦٩٢٢) من صحيح البخاري: عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم. فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا، لم أحرقهم. لنهي رسول الله ﷺ «لاتعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله: «من بدّل دينه فاقتلوه».

الحديث نفسه يناقض القرآن، ولكن يحاول أن يجعل مع ذلك من علي قاسي القلب لا رحمة في قلبه. وسبب مناقضة القرآن واضحة، لأن الإسلام يقول علناً (لاإكراه في الدين). وكما يقول (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)ويقول للرسول: أنت مبلغ ومنذر فقط، (ولست عليهم بوكيل) كل هذه الأمور تثبت عدم وجود إكراه في العقيدة. وهذه هي الحالة الدائمة يجب أن لانخلط في ذلك المهمة الخاصة التي شرحتها، وكلف بها الرسول وحده من دون باقي الناس وانتهت تلك المهمة بعد وفاة الرسول، وبعد نزول الآيات التي أَنْسَتْ الحالة الأولى تماماً.

ـ وبعد أن تخلص السلطان من خصومه القدماء من آل البيت ظهر له أعداء جدد فصار لابد أن يدعم موقفه الجديد ضدهم فظهرت أحاديث تؤكد وجوب إبقاء الإمامة في قريش حتى لايطمع فيها باقي الناس فيضعف موقفه أمامهم.

٦ ـ الحديث رقم (٣٥٠٠) من صحيح البخاري: عن محمد بن جبير بن مطعم قال: إنه بلغ معاوية وعنده وفد من قريش. أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: اما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله فأولئك جهالهم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن هذا الأمر في قريش، لايعاديهم أحد إلا كَبَّهُ الله على وجهه ما أقاموا الدين».

ليس في كل الإسلام ولا في رسالة الإسلام التي هي القرآن، أية إشارة إلى وجوب إبقاء السلطة في قريش أو في غيرها، فالأمر شورى بين الناس، لكن المصلحة الجديدة للسلطان الجديد كانت تقتضي لهذه الدعوة، لأن الإسلام أصلاً أتى دعوة عامة ونظام

الحكم فيه شورى، أي يتم بالانتقاء والانتخاب، وميزان التفضيل الوحيد في الإسلام هو التقوى، لكن السلطان الذي أعاد الناس إلى دين آبائهم في الجاهلية القديمة تحت راية الإسلام عاد يدعو للقبلية من جديد.

والسلطان في بداية دعوته وأثناء حربه كان يريد أن تكون دعواه على نفس مستوى دعوى علي بن أبي طالب حتى لاتقول الناس إن فئة معاوية هي الضالة أو أن معاوية على خطأ، فروج له جنوده أحاديث تساويه بالدعوى مع خصمه:

٧ ـ الحديث رقم (٣٦٠٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لاتقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة» أي كلاهما على حق وأهدافهما واحدة لكنهما مختلفان في الرأي والوسيلة فقط.

والسلاطين سواء كانوا من بني أمية أو من بني العباس، كان يهمّهم بقاء الحديث التالي بين الناس حتى لاينافسهم في السلطة أحد:

٨ ـ الحديث رقم (٧١٤٠) من صحيح البخاري: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«لايزال هذا الأمر في قريش مابقي منهم اثنان».

وكان جنود السلطان يتقنون فن تحريف الأحاديث، إذ بإضافة كلمة هنا وكلمة هناك مع حذف كلمة هنا وكلمة هناك يصبح الحديث الذي كان صحيحاً في السابق حديثاً جديداً، أُخرج لمصلحة السلطان، هذا والظاهر أن البخاري رحمه الله أحب في صحيحه أن يعطينا صورة صحيحة لما كان يجري بين السلطان وجنوده من تحريف لكلام الرسول. لنستمع للحديث التالي:

٩ ـ الحديث رقم (٣٦٤١) من صحيح البخاري: عن عمير بن هانىء قال: إنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:

«لايزال من أمتي أُمَّةٌ قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالطهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك».

قال عمير: قال مالك.. قال معاذ: «وهم بالشام».

فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول «وهم بالشام». أي أن هذه الفئة التي

بقيت على الصراط المستقيم من دون أي انحراف هي الفئة التي بقيت بالشام وهم معاوية وأتباعه وهم طبعاً من السنة.

١٠ ـ الحديث رقم (٣٧٦٥) من صحيح البخاري: عن ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا واحدة؟

قال: «إنه فقيه».

والحديث معناه أن ابن عباس الذي يعتبره أهل السنة حبراً للإسلام مثل أحبار اليهود طالما شهد لمعاوية بأنه فقيه فهو يعلم ماذا يقول، فإن كلام معاوية بعد ذلك في الدين مشهود له ويؤخذ به على أنه علم.

والأحاديث التي يغيب فيها اسم علي بن أبي طالب عن قصد وتعمد كثيرة جداً مثل التي بدأنا بها هذا البحث، لأن جنود السلطان الموالين طبعاً للسلطان الأموي عمدوا إلى كل الأحاديث بين أيديهم فأزالوا اسم علي منها:

١١ ـ الحديث رقم (٣٦٨٦) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: صعد النبي ﷺ إلى أُحدومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال:

«اثبت أُحُد، فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد».

لاشك أن الحديث مفترى على الرسول لأسباب كثيرة، ومنها استحالةُ هذا الموقف من الرسول المؤمن بالله والمؤمن بأن مايحدث من زلازل في الأرض هي بأمر الله تعالى وتقديره، وليس بقرار من الجبل نفسه، والذي يصفه الراوي هو سلطان متجبر في الأرض يرفس ويلعن ويشتم من يشاء، والثاني أن الرسول لايعلم الغيب حتى يعلم بمقتل عمر وهو مايزال يرزق أمامه، فمقتله في غيب الله تعالى وحده لاشريك له وكذلك عثمان.

ولكن أين علي؟ فلماذا لم يكن معهم ياترى؟

١٢ ـ الحديث رقم (٣٦٦٢) من صحيح البخاري: عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته قلت: أي الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب. فعدّ رجالاً.

لا ذكرَ لاسم علي بن أبي طالب بينهم، وكأنه غير موجود.

١٣ ـ الحديث رقم (٣٦٦٠) من صحيح البخاري: عن همام قال: سمعت عماراً يقول:

«رأيت رسول الله ومامعه إلا خمسة أَعبُد (عبيد) وامرأتان وأبو بكر».
أي أن هؤلاء هم الذين أسلموا معه في بداية الرسالة:
وأين كان علي بن أبي طالب؟ ولماذا لانجد له ذكراً حتى في هذه القصة؟
١٤ ـ الحديث رقم (٣٦٥٥) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: كنا نُخَيِّر بين الناس في زمن النبي فَنُخَيِّر (فنختار) أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم».
وأين اسم علي بين هؤلاء؟
أحببت فقط أن أبرهن للقارىء أن هذا التجاهل والاستبعاد لاسم علي بن أبي طالب لم يتم بالصدفة وإنما وراءه قاصد وتجاهل مقصود. تماماً مثل التجاهل المقصود لحمزة عم الرسول وأنتم تعرفون السبب.
وهناك أحاديث كثيرة يبدو عليها الطهارة والبراءة من الظاهر، وهي أحاديث خبيثة ولها أهداف بعيدة وعميقة مثل الحديث التالي:
١٥ ـ الحديث رقم (٣٦٠٤) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُهْلِكُ الناس هذا الحي من قريش. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم».
والمقصود بـ (هم) أبناء أبي طالب كلهم، وماهو هدف الحديث؟
هدفه البعيد والخبيث هو السماح للأمويين بالقضاء على آل البيت كلهم وخاصة بني أبي طالب بحجة أنه قضاء الله وقدره المكتوب عليهم من الله سلفاً لأن جنود السلطان كانوا يروّجون أن كل مايقوله الرسول هو وحيٌ مِن السماء مقدس يجب الأخذ به، ولذلك ونتيجة لهذا القضاء والقدر المكتوب، فقد كُتِبَ أيضاً على بني أمية أن ينفذوا قضاء الله ولا ذنب لهم في ذلك طبعاً.
١٦ ـ الحديث رقم (٣٦١١) من صحيح البخاري: عن علي رضي الله عنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة.
سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«يأتي في آخر الزمان قوم، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لايجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة».

ـ هذا الحديث مركب الأبعاد، البعد الأول فيه: هو نسبته ظلماً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهو التقي الورع فلا يمكن أن يكون هو صاحب هذا الكلام غير المسؤول والمناقض لكل ما أتى به الرسول من رسالة في القرآن الكريم. والمعروف لدى الجميع أن الرسول كان يكتفي من الإنسان بالقول بالشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وإن كذب فحسابه على الله وليس على العبد، لأنه ليس لمحمد ﷺ أو لأي أحد من بعده من الناس أن يعرفوا مافي سريرة الإنسان إلا الله، فكيف يقول علي رضي الله عنه عن أناس قولهم من خير قول البرية والمقصود بـ (هم) في هذا الحديث السياسي الخوارج الذين أصبح خطرهم على بني أمية أيضاً، فيؤلفون على لسان علي حديثاً يكون حجة لهم بالتخلص منهم بقتلهم، لأنه صار لمن يقتلهم أجر عند الله يوم القيامة. إذاً الحديث تفوح منه رائحة الأموية ويتهم به علي بن أبي طالب. ليضربوا به عصفورين بحجر واحد. آل البيت والخوارج معاً.

وهناك أحاديث أخرى إذا انتبه لها الباحث أو المدقق وجد أن أصابع جنود السلطان ألحقت إليها تعديلات، ومنها أن السلطان الأموي يهمه طبعاً أن لاتكون الأحاديث التي تردد أن أبا سفيان، كان من المؤلفة قلوبهم ومن الذين كان الرسول يدفع لهم العطايا حتى يستميلهم للإسلام بالمال.

١٧ ـ الحديث رقم (٤٣٣٦) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟ رضي الله عنه قال:

لما كان يوم حنين آثر النبي ناساً (لاحظوا حتى الراوي الأساسي يتهم الرسول بأنه فضل بعض الناس على ناس) أعطى الأقرع مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى ناساً (وتركها نكرة) فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت لأخبرَنَّ النبي ﷺ قال: رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

القصة من أساسها مكذوبة على الرسول ﷺ ولها غايات للإساءة له شخصياً مع إزالة اسم أبي سفيان من الحديث الأساسي.

لأن أصل الحديث أن الرسول تصرف بعد أن قسم بين المسلمين وأخذ الخمس الذي هو لله وللرسول، وهو حرّ التصرف فيه، فاستخدم الذي كان لله خدمة لدين الله في المؤلفة قلوبهم الواردة أصلاً في القرآن الكريم، وإذا عدنا لكتب السيرة مثل تاريخ ابن كثير ماذا نجد هناك؟

وقال الإمام أحمد بن حنبل عن..... عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمر في آخرين يوم حنين»

وهناك حديث آخر أيضاً عن الإمام أحمد بن حنبل عن.........

أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مائة من الإبل وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة، وأعطى صفوان بن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ثم أكملها له الرسول بعد ذلك(*).

وهذه الأحاديث تثبت أن بني أمية كانوا من المؤلفة قلوبهم ومن الذين قبضوا من الرسول على ذلك، لكن السلطان الأموي لايريد أن يرى في أحاديث الرسول مايشير إلى تلك الأمور، فأزالها له جنوده من الأحاديث المتداولة بين الناس والأئمة، ولكن الحقيقة لايمكن أن تخفى على كل الناس ولابد للحق أن يظهر يوماً وإن طال به الأمر وأُحسِنَ إخفاؤه(**).

مع أنَّ أبو سفيان أعلن إسلامه مرغماً بعد الفتح لمكة وليس قبل ذلك، ونجد في صحيح مسلم باباً خاصاً اسمه (باب من فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه).

ولكنك ولو بحثت عن فضائل حمزة بن عبد المطلب عمّ الرسول وأسد الإسلام فلن تجد له اسماً بين الذين لهم فضل في الإسلام، لا في كتاب البخاري ولا في كتاب مسلم ولا في أي كتاب لأهل السنة ولا نستطيع أن نتهم بذلك أحداً منهم، لأنه

(*) هذه الأحاديث تحاول أن تصور الرسول محمد وكأنه وزع من غنائم معركة حنين وسببها مباشرة على زعماء القبائل، فغضب لذلك الأنصار وبعض المهاجرين وقالوا أقوالاً جارحة بحق الرسول الكريم. كل هذه الأحاديث لا أصل لها، لأن الرسول محمد قدوة في تنفيذ أحكام القرآن الكريم، والرسول لم يوزع أي شيء إلا من الخمس الذي هو حصة الله والرسول وهو حرٌ في ذلك أما الناس فقد أخذت حقوقها.

(**) كل ما أهدف إليه هو أن يعلم القارىء أن السلطان عندما يكتب له الناس التاريخ لايكتبون له إلا مايظنون أنه يسره ويستبعدون كل مايكره وهذا هو سبب محاربة دين الله للطاغوت لأنه يحارب الحق والحقيقة في الأرض وكل سلطان يستبد في الأرض يصبح مثل معاوية فلا فضل لأحد منهم على أحد. لذلك فكل سلاطين المسلمين الذين تتابعوا في الحكم إلى آخر سلطان إسلامي كانوا على نفس النموذج ولم يشذ منهم أحد سوى واحد هو عمر بن عبد العزيز الأموي.فأنا لست مع العباسيين ولا ضد الأمويين بل ضد من شذ عن منهج الله منهم جميعاً، وهذا هو المقياس الفاصل للجميع.

بساطة: لم يكن السلطان يسمح بذكر اسمه أو فضائله لأي إنسان، هذه حقيقة يجب أن لايتجاهلها المسلم الواعي.
وهناك أحاديث أخرى الغاية منها تأييد السلطان في كل الأمور، وعدم مخالفة أمره لأي سبب كان، حتى تجعل من الشعب كله باسم الله والرسول قطيعاً من الغنم يساق بهم إلى المسلخ كل يوم وليس فيهم من يقول: لماذا؟ أو يخرج من بينهم من يعترض، مثل:
١٨ ـ الحديث رقم (٧٠٥٥) ـ (٧٠٥٦) من صحيح البخاري: عن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي فبايعنا فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على السَّمعِ والطّاعة في منشطِنا ومكرهِنا وعُسرِنا ويُسرنا وأثرةٍ علينا وأن لاننازع الأمر أهله إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله برهان.
إن دراسة الحديث نفسه تبين الإضافات الجديدة، ولمسات جنود السلطان في الحديث واضحة: مثل: وأثرةٍ علينا (وإن فضل نفسه على المسلمين ليس لهم في أن يسألوا أو أن يعترضوا، وهذه من السلطان وليست من الرسول ﷺ).
«وأن لاننازع الأمر أهله» المبايعة للرسول، ولماذا ذكر منازعة الأمر أهله؟ لامحل لها من الإعراب في هذا الموقف، فلم يكن أحدٌ من المسلمين ينازع الرسول على ماهو أهل له وهكذا نعلم بأن الحديث موجود لمصلحة السلطان وليس لمصلحة الدين أو الله أو الرسول. ولو كان السلطان يهمه كل ذلك لأبقى القرآن وهو دستور المسلمين بدل هذا الحشد الهائل من الأحاديث المتناقضة مع بعضها البعض، والذي يدخل للبحث فيها يتوه بينها وحتى لايفاجأ المسلم بتصرفات السلطان فيصدم قد وضع له جنوده أحاديث فيها مخففات صدمة، مثل:
١٩ ـ الحديث رقم (٧٠٥٢) من صحيح البخاري: عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله؟؟ قال: قال لنا رسول الله ﷺ:
«إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها». قالوا: فما تأمرنا يارسول الله؟: «أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم».
وماذا يبغي السلطان أكثر من هذا؟ وهو الذي لايطالب إلا بالدنيا! وأموال الدنيا.
٢٠ـ الحديث رقم (٧٠٥٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه عن خرج من السلطان شبراً مات ميتةً جاهلية». أي مات على الإشراك والعياذ بالله، وقد حرمت عليه الجنة.

٢١ ـ وحتى يتأكد المسلم أن إطاعة الأمير من إطاعة الله فيردد جنود السلطان على مسامعه أحاديث مثل الحديث رقم (٧١٣٧) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وحتى لايفكر من كان من غير قريش بالسلطة أو الحكم في الإسلام قالوا أحاديث مثل:

الحديث رقم (٧٢٢٢) ـ (٧٢٢٣) من صحيح البخاري: عن جابر بن سمرة قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً (حسب توزيع أهل الكتاب دائماً على الاثني عشرية) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش».

وحتى يتأكد السلطان أن الذهب والفضة والحرير والديباج هي كلها للسلطان وحده، ألّف له جنوده هذا الحديث.

٢٢ ـ الحديث رقم (٥٨٣١) صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: كان حذيفة بالمدائن فاستسقى فأتاه دهقان بماءٍ في إناءٍ من فضةٍ فرماه به وقال: إني لم أرمه إلا أني نَهيته فلم ينته. قال رسول الله: الذهب والفضة والحرير والديباج هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة.

ومن يحتج من الناس على السلطان في أنه يحابي أهل عشيرته وأقرباءه أكثر من باقي الناس ذكروا له حديثاً عن الرسول بأنه كان يفعل ذلك أيضاً، فلا بأس فهي سنة نبوية.

٢٣ـ الحديث رقم (٣٥٠٢) من صحيح البخاري: عن جبير بن مطعم قال:

«مشيت أنا وعثمان بن عفان فقال: يارسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا، إنما نحن وهم بمنزلة واحدة». فقال النبي ﷺ:

«إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد».

وهكذا أعاد السلطان الأمور على ما كانت عليه في الجاهلية قبل الإسلام، ولكن تحت راية الإسلام وباسم الله ومحمد هذه المرة والعقلية لم تتغير نفس المبادىء القديمة وعقلية ابن العشيرة والعصبية القبلية والعائلية، وصار الميزان هو الميزان القبلي بعد أن أزال السلطان ميزان الله القائم على التفاضل بين الناس بالتقوى.

وبنفس العقلية حاول أصحاب علي أيضاً أن يقابلوا أعداءهم من بني أمية فارتكبوا تقريباً نفس الأخطاء مثلاً:

٢٤ ـ الحديث رقم (٣٦٢٩) من صحيح البخاري: عن الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به المنبر فقال: ابني هذا سيد (يصور الرسول ﷺ بعقلية السلطان الذي يريد من الناس أن يبايعوا لابنه على حياته) ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

أو الحديث:

٢٥ ـ الحديث رقم (٣٧٠٦) من صحيح البخاري: عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعلي:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟».

٢٦ ـ وحتى يسنّ جنود السلطان قانون العقوبة الجماعية قالوا الحديث التالي:

الحديث رقم (٣٣١٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة. فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟».

وهذا الحديث حتى يقول السلطان وجنوده إذا كان الأنبياء يظلمون وهذا نموذج عن ظلمهم فإنه إذا ظلم السلطان الناس بالعقوبات الجماعية فإن ذلك ليس عجيباً!

وهكذا وجدنا في تلك الأحاديث ذات الغايات والأهداف السياسية كيف كان هَمُّ السلطان وجنوده مركزاً على إقناع الناس بحقوق السلطان على الناس دون أن يذكروا لنا بالمقابل ماهي حقوق الرعية على السلطان؟ بل الأدهى من ذلك أنهم لم يذكروا ولم يعترفوا بأي حق للرعية على السلطان. وبدلاً من كل ذلك أعلنوا للناس في حديث صريح بأن على الناس أن يؤدوا للسلطان كل حقوقه في الدنيا، وهم بالمقابل يسألون الله عن حقوقهم الضائعة، ولكن ليس في الدنيا بل في الآخرة. وللسلطان وجنوده في الدنيا النساء خاصة من العذارى والذهب والفضة والديباج والنعيم وهذه كلها سوف تكون للرعية في الآخرة فقط وليس لهم منها نصيب في الدنيا، ثم نقول بعد كل ذلك عن تلك الأحاديث من سذاجتنا وغفلتنا إنها أحاديث نبوية شريفة، والنبي ﷺ والشرف بريئان منها كلها براءة حتمية.

ومن يحاول أن يشرح لنا هذه الحقائق ربما قاتلناه أو قلنا عنه كافر زنديق وجاحد يحاول أن يشكك في سنة الرسول وأحاديثه القدسية العزيزة على نفوس الرعية. وماذا هو العزيز في كل هذا الركام الهائل؟ إن السلطان لم يترك لهم إلا الجحيم على الأرض ومازالت الآخرة في غيب الله وليس للسلطان وجنوده أن يوزعوها على الناس وهم في الدنيا لأنها ليست من ممتلكاتهم، ولا هو تحت تصرفهم المباشر. ولكن ماذا إذا أشرك الناس غباء وسذاجة بالله وجعلوا لله كتابين وسنتين وكلامين، وأشركوا بالله الرسول بالشفاعة والغيب؟ ماذا ينتظرهم عندها في السماء؟ هل الجنة كما وعدهم شياطين الإنس على الأرض على لسان جنود السلطان؟ أم أن لهم عذاب جهنم وحرم الله عليهم الجنة؟

﴿إنّه من يُشرك بالله فقد حرَّمَ الله عليه الجنَّة﴾ ٧٢ - المائدة.

ولماذا لايعتبر المسلم المعاصر من عبر تاريخ وقصص القرآن الكريم بشكل مباشر؟ لماذا لايحاول فهم القصص وتكرر نفس التاريخ في الأمم والرسالات السابقة كلها ابتداء بقصة نوح مع قومه ثم قصة عاد مع أخيهم هود وقصة ثمود مع أخيهم صالح وقصة مدين مع أخيهم شعيب وقصة لوط مع قومه وقصة موسى مع بني إسرائيل.

ماهو الشيء المشترك الذي نجده في كل تلك القصص ولا يغيب عنها أبداً.

يأتي الرسول برسالة من الله يؤمن به أقلية من القوم من أصحاب الفكر المتحرر عن الآبائية وغالباً مايكونون من المستضعفين في القوم.

ويكون الملأ من أمة كل رسول هم أصحاب المال والنفوذ والسلطة يقفون دائماً موقف التكذيب لأنهم يعلمون قبل غيرهم أن مايبشر به الرسول هو لمصلحة الأكثرية العامة من الأمة وهم يسعون إلى مايعتقدون بأنه مصلحتهم الخاصة فيسعون للدنيا ولايمكن تحصيل الرفاه لهم إلا بالتسلط على الناس وأكل حقوقهم. فيتسلطون عادة على بسطاء الناس نتيجة تفوقها بعلمها وفكرها ومجالسها ونفوذها. لذلك لم نجد في أي رسالة أبداً أن شذّ الملأ مرة وآمن بالرسول بل دائماً يقفون موقف التكذيب والعداء للرسل.

وهذا هو تماماً ماحصل في رسالة الإسلام إذ وقف الملأ بزعامة بني أمية وعلى رأسهم أبو سفيان في معاداة محمد رسول الله إلى آخر لحظة ولكن الجديد في رسالة الإسلام أن المؤمنين بالرسول كثر عددهم إلى حد كان كافياً في النهاية للتغلب بالقوة على هذه الفئة وفرض رأي المؤمنين السياسي عليهم بالقوة. وهذا لايعني أنهم استسلموا للنهاية وذابوا مع باقي المؤمنين ومن يعتقد ذلك يكون من السذج ومن الذين لايفهمون في أمور

السياسة شيئاً. لذلك كان من الطبيعي جداً أن تتحرك تلك الفئة بالتحالف مع كل القوى الموتورة الأخرى مثل اليهودفي الجزيرة العربية وهم حلفاء بني أمية القدماء من أيام حروب الرسول في بدر وأحد والخندق، لاستعادة الزعامة السياسية من جديد.

ثم بعد نجاح تلك الفئة بإعادة الزعامة مرة أخرى إلى دار أبي سفيان يجب أن يفهم منها المسلم أن الزعامة عادت للملأ. والملأ لايمكن أبداً أن يسير على سبيل الله لأنها لاترى لنفسها مصلحة بالسير فيها من الأساس، من هنا يجب على المسلم أن يستنتج أن الحكم الذي صار بيد الملأ يجب أن يكون حكماً إشراكياً وليس حكماً على شرع الله ومن السذاجة الاعتقاد بأن الملأ قد غيّر رأيه فجأة وغيّر مواقفه التاريخية كلها في قصص التاريخ وعاد ليسير على مبادىء الرحمن من جديد.

لذلك فعلى المسلمين أن يستفيدوا من منطق التاريخ المسجل في القرآن ليستيقنوا أن ماهم عليه اليوم وابتداء من أول سلطان أموي لم يعد على سبيل الله أبداً بل على سبيل الشياطين. والمسلم الذي يريد العودة إلى الإسلام الصحيح لابد أن ينسى كل شيء عنده اليوم ويبدأ من الصفر بعد أن يستعيد كتابه الصحيح الذي هو رسالة محمد ﷺ الصحيحة وكل ماقيل له بعد ذلك كان مناقضاً تماماً لرسالة الرحمن لأن الذي قالها له هم زعماء الملأ الذين لايمكن لهم أن يجتمعوا معه في نفس الخندق أبداً.

والمسلم الذي لايستطيع أن يفهم كل ذلك لايستطيع أن يدرك سبب انحراف الإسلام من ألف وأربعمائة سنة إلى اليوم. فهو يعبد الطاغوت ويظن أنه يعبد الله لمجرد أنه يقول أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه ولكن عملياً فهو يطيع السلطان والإطاعة هي العبادة الحقيقية. لذلك قالوا عن فاقد الحرية عبداً لأنه مجبر على إطاعة مالكه وسيّده.

لابد أنه كان بين الناس كثير من المؤمنين الذين يعرفون أن السلطان وجنوده هم سبب كل الشرور وكل المظالم في الأرض ويعرفون أنهم كلهم كانوا من الذين يعرفون ويحرفون الحق علناً وكانوا يعلمون أيضاً أنهم قد عادوا إلى الإشراك القديم وإلى عقلية الجاهلية القديمة، صحيح أن الناس لم تعد تصنع تماثيل للات والعزى ولكن الناس كانوا قد عادوا إلى نفس عقلية ذلك العصر. بدون اختلاف أبداً فأَحَبَّ أن يعبر عن رأيه في جو ليس فيه أي شكل من أشكال الحرية أو الحريات الإنسانية فظلم نفسه بأن افترى حديثاً على الرسول قائلاً: وها هو الإمام مسلم ينبهنا إلى تلك الحالة:

٢٧ ـ الحديث رقم (٢٩٠٧) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة عن عائشة قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لايذهب الليل والنهار حتى تُعبَدَ اللات والعزى»

فقلت يارسول الله؟ إني كنتُ لأظنُّ حين أَنزل الله:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون﴾ ٩ ـ التوبة.

أن ذلك تاماً: فأجابها الرسول الكريم قائلاً:

«إنه سيكون من ذلك ماشاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيِّبة. فتوفى كل من في قلبه مثقال حبَّةٍ خردلٍ من إيمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

وصاحب هذا الحديث كما تشاهدونه بعد أن علمنا استحالة أن يكون الرسول محمد ﷺ هو قائله لأن هذا من أنباء الغيب والرسول ﷺ لايعرف الغيب إلا بمقدار الوحي المسجل في القرآن. والذي وضع هذا الحديث يتهم بعضاً من صحابة الرسول الذين عاصروا عصر الفتنة الكبرى وعاشوا في فترة الخلافة الأموية التي أعادت فعلاً الأمور إلى ماكانت عليه قبل الإسلام حقيقةً وإن حافظت على الأسماء والشكليات. ربما في تلك الظروف انجرف بعضٌ من هؤلاء الصحابة تحت تأثير المال والشيطان وإغراءاته فخدموا السلاطين بافتراءات وتحريفات، وهذا مايشير إليه الحديث صراحةً، والله أعلم في النهاية لأننا لانستطيع أن نقول عن هذا أي شيء يقيني طالما ليس مصدرنا فيه من آيات الله تعالى في القرآن الكريم.

الفصل الثاني عشر

موضوع الإسراء والمعراج

من المعروف أن المعراج كان حلماً وقد أجراها الله فتنةً للناس فوقعوا فيها فأصبحت من أكبر الثغرات التي نفذ منها المغرضون لإدخال مالايجوز إدخاله للدين الإسلامي. فادّعوا من غير دليل طبعاً أن الله سبحانه من بعد المعراج قد كشف للرسول عن كل أنواع الغيب في السموات والأرض، فانتقل في لحظة واحدة كل غيب السموات بعدها للرسول ﷺ الذي بحسب زعم الرواة والمحدثين حدثهم عنها بنفسه.

والثغرة الثانية كانت في القصة التي يسميها أهل السنة نقلاً عن أهل الكتاب:

(قصة الخضر مع موسى)

وقد برهنت في هذا الكتاب أن كل مصادر المحدثين عن هذه المواضيع لم تكن من الرسول محمد ﷺ الذي لايمكن أن يفتري على الله كذباً، وهو الذي لم يَفْتَرِ حرفاً واحداً عليه سبحانه في كل الرسالة المحفوظة في القرآن الكريم الذي ظهر فيه إعجازٌ جديد في القرن العشرين وهو الإعجاز العددي الذي يثبت رياضياً وعلمياً بحيث لايترك مجالاً للشك أو الظن أبداً أن القرآن كامل بالحرف كما نزل على الرسول محمد ﷺ.

بل كانت كل مصادرهم من كتب أهل الكتاب المحرفة والتي عرضت عليكم نماذج منها حتى تتأكدوا بأنفسكم أنها محرفة فعلاً، وليس هذا الكلام ظلماً تقَوَّلهُ عليهم أحَد بل إن الله أثبت تحريفهم في القرآن الكريم.

وفي كتب أهل الكتاب هناك معراجان، معراج في التوراة وفي سفر حزقيال، ومعراج آخر في العهد الجديد، كتاب المسيحيين المقدس في سفر الرؤيا آخر أسفار الكتاب المقدس عندهم، وهذان السفران كانا أساساً لكل الإلهامات والخيالات التي نزلت على كتبة الحديث عندنا نحن المسلمين.

هذا وقد كتب البخاري قصة الإسراء والمعراج تحت بابين مختلفين لإدراكه أن كلاً

منهما مستقل عن الآخر وإن كان رواة الحديث قد خلطوا بينهما.

فكتب في الباب (٤١) باب حديث الإسراء وقول الله تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبدهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى﴾

١ - الحديث رقم (٣٨٨٦) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«لما كذبتني قريش قمت في الحِجْرِ فجلّى لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» - أي أخبرهم بالأوصاف الحقيقية لبيت المقدس -

ثم ينتقل بعد ذلك مباشرة إلى الباب (٤٢) باب المعراج:

وقبل أن أعرض عليكم أي نموذج من أحاديث المعراج لأن الفتنة والتأليف حصلت فيها وليس في باب الإسراء، أحب أن تقرؤوا نموذجاً من التوراة - سفر حزقيال - لتقارنوا بعدها بأنفسكم وأنتم تقرؤون الأحاديث وتعلموا بأنفسكم أن مصدر جنود السلطان كان كتب أهل الكتاب: العهد القديم، سفر حزقيال الإصحاح الثامن:

(بينما كنت جالساً في بيتي، وشيوخ يهوذا ماثلون أمامي، حلّت عَلَيّ قوة السيد الرب هناك، فنظرت فإذا بشبه إنسان وكأنه من نار... وقبض علي بناصية رأسي وحلق بي روح بين الأرض والسماء وأحضرني في رؤى الله إلى أورشليم، إلى مدخل البوابة الشمالية للساحة الداخلية حيث ينتصب التمثال المثير للغيرة. فإذا بمجد إله إسرائيل حالّ هناك...

ثم أحضرني فنظرت وإذا بثقب في الجدار فقال لي: يا ابن آدم انقب في الجدار فنقبت في الجدار وإذا باب....

فقال لي: أرأيت ياابن آدم مايقترفه كل واحد من شيوخ شعب إسرائيل في محراب تماثيله «قائلين الرب لايرانا! الرب هجر الأرض؟».

ولكن انتظر فلا تلبث أن تشهد أرجاساً أفظع يرتكبونها. ثم أحضرني إلى المدخل الشمالي لبوابة هيكل الرب، فإذا هناك نساء يندبن تموز (إله الخصب) فحوّرها جنود السلطان عندنا وقالوا: (أريت النار فرأيت أكثر أهلها النساء) (والحصان الذي يصفه الراوي عندنا بأنه أكبر من الحمار وأصغر من الحصان ركبه الرسول حتى طار به يأتي ذكره باسم (الكروبيم).

(فارتفع مجد الرب من حيث كان حالاً فوق الكروبيم واتجه نحو عتبة الباب).

ثم يصف لنا عرش الرب بعد ذلك والرؤيا طويلة جداً صارت منبعاً زخماً لخيال الرواة عندنا كما كان سفر الرؤيا في الإنجيل.

وماذا نجد في سفر الرؤيا في كتاب الإنجيل المقدس:

(وفي يوم الرب. صرت في الروح فسمعت من ورائي صوتاً عالياً كصوت البوق يقول: «دوِّن ماتراه في كتاب»... وعندما التفت نحو الصوت رأيت كائناً يشبه ابن الإنسان يقف وسط سبع منائر من ذهب، ويرتدي ثوباً طويلاً إلى الرجلين، يلف صدره حزام من ذهب، شعر رأسه ناصع البياض كالصوف أو الثلج وعيناه كشعلة ملتهبة.. صوته يدوي كصوت شلال غزير... وجهه يتوهج بالنور كشمس الظهيرة وكان بيده اليمنى سبع نجوم ومن فمه يخرج سيف قاطع ذو حدين.. فلما رأيته ارتميت عند قدميه كالميت فلمسني بيده اليمنى وقال: «لاتخف أنا الأول والآخر أنا الحيّ كنتُ ميتاً، ولكن ها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين. ولي مفاتيح الموت والهاوية».

ثم يصف لنا العرش في السماء ويقول:

(وفي الحال صرت في الروح، فرأيت في السماء عرشاً يجلس عليه واحد تنبعث منه أنوارٌ كأنها صادرة من لمعان اليشب والعقيق الأحمر.. وقد أحاط بالعرش أربعة وعشرون عرشاً يجلس عليها أربعة وعشرون شيخاً يلبسون ثياباً بيضاء. وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب.. وأمامه سبعة مصابيح نار مضاءة هي أرواح الله السبعة (الشمعدان ذو القواعد السبعة عند اليهود).

وفي وسط العرش وحوله أربعة كائنات تكسوها عيون كثيرة من الأمام ومن الخلف(*).

٢ ـ الحديث رقم (٣٨٨٧) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال:

«بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت فَقَدَّ ـ قال: وسمعته يقول فَشَقَّ ـ مابين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي: مايعني به؟ قال من ثَغرة نِحره إلى شعرته. وسمعته يقول من قَصِّهِ إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي ثم حُشِيَ ثمَّ أعيد، ثم أتيت بدابَّةٍ دونَ البَغلِ

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ١ ـ ٤ بالانتقاء.

وفوقَ الحمار أبيَضَ، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوهُ عندَ أقصى طرفِهِ، فحُمِلتُ عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدُّنيا فاستفتَحَ، فقيل مَن هذا؟. قال: جبريل؟ قيل: ومن معكَ؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به. فنعم المجيء جاء. ففتح. فلما خلصت فإذا فيها آدم. فقال: هذا أبوك آدم فسلّم عليه فسلمت عليه: فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد إلى السماء الثانية (وباختصار لأن كل ماقلناه بالحرف مكرر في كل سماء) حيث وجد فيها يحيى وعيسى وهما ابنا خالة ثم صعد إلى السماء الثالثة حيث وجد يوسُفَ وفي السماء الرابعة وجد إدريس وفي الخامسة وجد هارون وفي السادسة وجد موسى وفي السابعة إبراهيم عليهم السلام جميعاً.

ثم ارتفع إلى سدرة المنتهى حيث عرش الرحمن ووجد أربعة أنهار (سيحون وجيحون والنيل والفرات).

(رواة الحديث عندنا عندما ينقلون الأحاديث من كتب أهل الكتاب لايعلمون أن أهل الكتاب بعد أن حرفوا كتابهم خاصة التوراة لايؤمنون إلا بجنة واحدة وهي على الأرض وعندما يكتبون عن الأنهار طبعاً يكتبون عن أنهار الأرض فاختلطت الأمور على علمائنا).

(وأقام الرب الإله جنَّة في شرقي عدن، ووضع فيها آدم الذي جَبَلَهُ، واستنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة بهية للنظر ولذيذة للأكل، وغرس أيضاً شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر في وسط الجنة. وكان نهر يجري في عدن ليسقي الجنة ومايلبث أن ينقسم هناك إلى أربعة أنهر: الأول فيها يدعى فيشون الذي يلتف حول كل الحويلة حيث يوجد الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. وفيها أيضاً المقل وحجر الجزع (أنواع من الأحجار الكريمة) والنهر الثاني يدعى جيحون الذي يحيط بجميع أرض كوش، والنهر الثالث يدعى حَدّاقيل أي نهر دجلة وهو الجاري شرق آشور والنهر الرابع هو الفرات. وأخذ الرب الإلهُ آدَمَ ووضعه في جنة عدن ليفلحها ويعتني بها. وأمر الرب الإله آدم قائلاً: «كل ماتشاء من جميع أشجار الجنة، ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت»(*).

وهكذا نجد أن أهل الكتاب يصفون جنات الأرض وعلماءنا كانوا يسبحون في جنة

(*) سفر التكوين الإصحاح الثاني الفقرات ٨ ـ ١٥ العهد القديم.

السماوات مع خيالاتهم. ويتخيلون أن هناك دجلة والفرات وسيحون وجيحون.

ثم يصف لنا كيف فرض عليه الله خمسين صلاة في اليوم والليلة وكيف عاد إلى موسى يستنصحه وكيف عاد إلى الرب مراراً وتكراراً في أعجب مفاوضة تمت في السماء بين الله سبحانه وتعالى وبين موسى، وكان فيها محمد رسول الله ناقلاً للرسائل (أنا لا أتقول شيئاً من عندي فكله موجود في نص الحديث الذي افتراه جنود السلطان على الله والرسول وموسى) إلى أن توصل الرسول إلى خمس صلوات في اليوم والليلة. وهذه الرواية واحدة من عشرات الروايات حول نفس الموضوع كل رواية أعجب من الأخرى، وأنا اكتفيت بهذه الرواية التي نقلتها إليكم باختصار شديد من صحيح البخاري. فهل هذه الرواية وحي من السماء ولها قيمة مثل القرآن ومثل نصوص الرحمن؟ ومن نفس مصدر كتاب الله؟

وهل هذا الأسلوب مثل أسلوب القرآن المعجز في كل شيء مثل الآيات التالية:

﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرةً لمن يخشى * تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى * الرحمن على العرشِ استوى * له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرَّ وأخفى * الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ ١ - ٨ - طه.

هل يسمو أسلوب الحديث السابق إلى مستوى هذا الأسلوب المعجز بياناً ولُغةً وسبكاً ومعنىً وفوق كل ذلك إحصاءً لعدد الأحرف فيها؟

إن جمهور أئمة السنة أجمعوا على أن الحديث السابق وأمثاله في صحيح البخاري مما ضَرَبتُ عليه من الأمثلة في هذا الكتاب كلها من عند الله، وكلها وحي، وكلها مقدس وله نفس قيمة النص القرآني في الشرع الإسلامي كله.

إن هذا الرأي فُرِضَ على الناس قديماً لوجود مصلحة للسلطان بأن يسير الناس على دينه الذي أَلَّفَهُ له جنوده خدمةً بمقابل من آلاف الدنانير عاشوا بها مترفين والواحد منهم عنده ألف زوجة في جناح الحريم. فلم يكن أحد منهم على استعداد أن يخسَرَ كل نعيمِهِ المقيم والذي تهواه نفسه في مقابل قول الحقيقة التي بالنسبة له كانت لاتسمن ولا تغني عن جوع. ولكن عهد السلاطين انتهى فيجب على الناس أن يعيدوا التوازن الطبيعي لأدمغتهم التي استُعمِرَت لأكثر من ألف من السنين. والبخاري لايستطيع أن يقول لنا الحقيقة بصراحة، ولكنه في الحقيقة لقد حاول جهده. وحتى أبيِّن ما أقصد إليه

سوف أضرب هذا المثال:

(اثناء الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي وأيام ستالين بالذات وهو سلطان من سلاطين الأرض النموذجيّين كانت الناس تخاف من قول الحقيقة في عصره. كان لي جار أرمني في دمشق يقصّ علي هذه القصة: إن بعضاً من أهله وأقربائه غادروا سوريا وعادوا لأرمينيا التي كانت تابعة لحكم الدكتاتور ستالين واتفق المغادرون مع الذين بقوا في سوريا ينتظرون الأخبار من الذين كانوا فدائيون بالذهاب في تلك الفترة، على أنهم إذا وجدوا الأمور جيدةً، والعودةَ لأرمينيا مشجِّعةً سوف يرسلون صورهم وهم واقفون، أما إذا كانت الأمور سيئة وغير مشجّعة على الإطلاق وأنهم قد ندموا على تلك المغامرة، فسوف يرسلون صورهم وهم جالسون. وبعد مرور أكثر من سنة وصلتهم رسالة وفيها صورهم وهم منبطحون على الأرض).

قد تكون القصة مضحكة للسامع الآن لكنها كانت حقيقة مؤلمة بالنسبة للذين تلقوا تلك الرسالة أو بالنسبة للذين أرسلوها. وعصر البخاري لم يكن أفضل من عصر ستالين في شيء فقد كان نفس العقلية المتسلطة هي السائدة.

فماذا أرسل البخاري لنا من رسائل نستطيع أن نستقرئها؟ ونفعل ذلك دائماً في كل كتب التراث القديم، والبخاري بالذات له رسائل مهمة بهذه الطريقة فقد وضع في حديثه الأحاديث المناقضة لبعضها غالباً قريبة من بعضها حتى ينبه القارىء من دون أن يشير مباشرة إليها. وفي حديثنا هذا ماذا أرسل لنا البخاري من رسالة؟

لنقرأ الحديث الذي يليه مباشرة:

٣ ـ الحديث رقم (٣٨٨٨) من صحيح البخاري: عن ابن عباس، رضي الله عنهما في قوله:

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس﴾ ٦٠ ـ الإسراء.

قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: «والشجرة الملعونة في القرآن هي الزقوم».

وأعتقد أن كلمة (عين) بعد كلمة رؤيا من الإضافات التي أضيفت على مستنسخات الكتاب من قبل جنود السلطان الذين كانوا يمثلون الرقابة على المطبوعات في تلك الأيام. لأن الرؤيا بحسب ماوردت فيه الآيات في القرآن لاتكون إلا أثناء النوم أما الذي يراه الإنسان أثناء الصحو إما أن يكون حقيقة إذا كانت من الله، أو أن تكون خيالاً إذا

كانت من ساحر يستخدم قوة السحر على أعين الناس المسحورين. فإذا كانت حقيقة يجب أن يكون الرسول قد نقل فعلاً إلى تلك الأماكن في تلك الليلة، وليس في كل القرآن مايدعم هذه النظرية. والآية الموجودة في القرآن الكريم تثبت في موضوع الإسراء أنه حصل بجسد الرسول ولكن من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ذهاباً وإياباً فقط.

أما موضوع العروج للسماء ليس في القرآن ما يؤيد ذلك ولو قال الله تعالى أنه فعل لوجب التصديق به كما وجب التصديق في موضوع الإسراء، لكن المعراج بحسب القرآن لم يحصل إلا في الرؤيا أي في المنام. وقد أخبرنا الله به مع الهدف (الغرض) من قصة المعراج وتلك الرؤيا بقوله سبحانه وتعالى في الآية:

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةٍ للناس﴾ ٦٠ - الإسراء.

وفعلاً كانت فتنة عظيمة ألّف حوله المسلمون من المغرضين والمنافقين قصصاً كثيرة للإساءة للدين.

والآن لنعد إلى موضوع الرؤيا في القرآن الكريم فلن نجد أن كلمة الرؤيا وردت إلا أربع مرات وهي في الآيات التالية:

﴿يا أيها الملأ أفتوني في رُؤياي إن كنتم للرّؤيا تَعْبرون﴾ ٤٣ - يوسف.

وهي الرؤيا التي رآها في المنام ملك مصر، وأوّلها له يوسف عليه السلام.

والآية الثانية هي الآية الموجودة معنا في هذا الحديث:

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس﴾ ٦٠ - الإسراء.

والآية الثالثة هي في قصة إبراهيم:

﴿فلما بلغَ معه السعيَ قال يابني إنّي أرى في المنام أني أذبحُك فانظُر ماذا ترى قالَ ياأبتِ افعل ماتؤمرُ ستجدُني إن شاء الله من الصابرين﴾ ١٠٢ - الصافات.

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ ١٠٥ - الصافات.

ثم يقول تعالى:

﴿إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبحٍ عظيم﴾ ١٠٧ - الصافات.

ثم المرة الرابعة:

﴿لقد صدقَ الله رسولَه الرُّؤيا بالحقّ لتَدْخُلُنّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنينَ محلّقينَ رؤوسكم ومقصّرينَ لاتخافونَ فَعَلِمَ مالم تعلَموا فجعَلَ من دونِ ذلك فَتْحاً قريباً﴾ ٢٧ـ الفتح.

نص الآية يدل على أن الرسول ﷺ رأى رؤيا في المنام وهو يدخل المسجد الحرام، وتلك كانت مناماً وليست حقيقة، فأحب الله أن يجعلها حقيقة واقعة بأن أدخل الرسول مع المسلمين إلى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ولايخافون أحداً.

ونص الآية يفرق بين الرؤيا التي هي خيال وبين الواقع والحقيقة الفعلية التي حصلت بعد الفتح، والآية تنطق بذلك لوحدها، والنص أمامكم لاداعي للتأويل ولا للتفسير.

وهذه هي المرات الأربع التي وردت فيها كلمة الرؤيا في القرآن وكلها تدل أن الرؤيا دائماً منام والمنام خيال وليس واقع، أي ليس بالضرورة أن يكون مايراه النائم صورة لحقائق موجودة، بل يمكن أن تكون صوراً لخيالات، ولكن الله سبحانه عندما يحقق الرؤيا تصبح واقعاً كما حصل مع الرسول ﷺ بعد الفتح لمكة وليس قبله. فالذي كان قبله كان خيالاً يريد الله أن يجعله حقيقة في المستقبل، وهذه هي الرؤيا الصادقة، (خيال سوف يتحقق في المستقبل) وكما حصل مع يوسف عليه السلام أيضاً. إذاً: فكلمة رؤيا عين الواردة في الحديث رقم (٣٨٨٨) لا معنى لها لأن الرؤيا لاتكون إلا في المنام.

﴿والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾ ٤٦ ـ النور.

ومَن الأَوْلى بنا تصديق كتاب الله الحقيقي والمؤكد بأن كل حرف منه قد صدر منه سبحانه؟ أم تصديق جنود السلطان ورواة الحديث ونحن لسنا متأكدين من صدقهم وصدق نواياهم وكلها ظنون في ظنون؟

﴿قل الله يهدي للحقّ أفمنْ يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يتّبع أَمّن لايهدي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون * وما يتّبع أكثرهم إلاّ ظناً إنّ الظنَّ لايُغني من الحقّ شيئاً إنّ الله عليمٌ بما يفعلُون﴾ ٣٥ ـ ٣٦ ـ يونس.

هذه الآية دليل من الله تعالى على أن صاحب الهدى هو الله سبحانه أما الذي يقول هدي محمد فإنه يخالف الله سبحانه ويتبع من لايستطيع هدياً إلا بعد أن يُهدى.

هذا وقد برهنت في كتابي الأول (إنذار من السماء) كيف فرض الله الصلوات الخمس

في القرآن وكما برهنت كيف أن الله سبحانه سمح لرسوله بأن يحدد عدد الركعات في كل صلاة مع تحديد الحدّ الأدنى من الزكاة لرسوله مستنداً في البرهان على آيات من القرآن الكريم، بينما يحاول الراوي المغرض هنا أن يلفق لنا قصة خيالية عن كيفية حصول التفاوض بين الله وموسى حول موضوع الصلاة وكان الرسول محمد كما يصوره الراوي مجرد ناقل ووسيط بين موسى والله سبحانه وتعالى كمفاوضين أساسيين وهذه القصة تهدمها آيات القرآن التي تثبت كيف حصل ذلك من دون هذه المفاوضة الكوميديَّة.

الفصل الثالث عشر

قصة الخضر
في القرآن الكريم

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً * قال له موسى هل أتّبِعُكَ على أن تُعلِّمن مما عُلِّمتَ رشداً * قال إنك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على مالم تُحِط به خُبراً * قال ستجدُني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً * قال فإن اتّبعتَني فلا تَسألني عن شيء حتى أحدِثَ لك منه ذِكراً * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خَرقَها قال أخَرَقتها لتغرّق أهلَها لقد جئتَ شيئاً إمراً * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً * قال إن سألتُكَ عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتُ من لدنّي عذراً * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها فأبَوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامَهُ قال لو شئتَ لاتخذت عليه أجراً * قال هذا فراقُ بيني وبينك سأنبّئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً *أما السفينة فكانت لمساكينَ يعملون في البحرِ فأردتُ أن أعيبَها وكانَ وراءهُم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غَصباً * وأما الغلامُ فكانَ أبواه مؤمنين فخَشِينا أن يرهِقَهُما طُغياناً وكُفراً * فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خَيراً منه زَكاةً وأقْربَ رُحماً * وأما الجدارُ فكان لغلامَين يتيمَين في المدينة وكان تَحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأرادَ ربُّكَ أن يَبْلُغا أشُدَّهُما ويستخرجَا كنزَهما رحمةً من ربّكَ وما فعلتُه عن أَمري ذلكَ تأويلُ مالَم تستَطِعْ عليه صبراً﴾ ٦٥ - ٨٢ - الكهف.

هذه القصة يسميها المسلمون قصة الخضر عليه السلام، آخذين الاسم من التوراة المحرفة علماً أن الله سبحانه وتعالى اكتفى بأن قال عنه (عبداً من عبادنا).

المهم أن هذه القصة رمزية سواء حصلت فعلاً مع موسى كما وردت في نص الآيات أو كانت مجرد رؤيا لموسى ولله مقصد تعليمي وتربوي للناس الذين كان الله سبحانه دائماً يتوجه بالرسالات والرسل لنقلهم نقلات حضارية وفكرية، وإعادتهم دائماً على الطريق الصحيح بعد الضياع والضلال من قبل الشيطان. وفي هذه القصة يبرهن لنا

سبحانه أن البشر بشكل عام لايستطيعون التعايش مع مخلوق له صفات إلهية: مخلوق يعرف الغيب ويعرف ماذا سيفعل كل إنسان وماذا سيحصل لكل إنسان مستقبلاً وبالتفصيل.

وهدف هذه القصة هو إقناع الإنسان بالبرهان استحالة التعايش مع رسول أو حكيم أو مسؤول من هذا النوع، وهذا هو السرّ في أن الله سبحانه كان دائماً يرسل الرسل من نفس الناس إلى نفس الناس المطلوب إصلاحهم، فأنبياء ورسل بني إسرائيل كانوا من الإسرائيليين وكما كان الرسول محمد ﷺ من القرشيين يأتي ليهدي قومه بدايةً ومن ثم للعالمين، والذي يستوعب القصة يفهم لماذا لم يمنح الله لرسله عامة وللرسول محمد خاصة صفات خاصة وذاتية فيكشف عنه الغيب مثلاً أو أن يعطيه قدرَةً خاصة يستطيع بها أن يقوم بمعجزات خارقة أو أي شيء مماثل، عندها يصبح التعايش بين الرسول وبين من حوله من الناس مستحيلاً، كما حصل بين موسى والعبد الصالح، فموسى له منطق إنساني ملزم به، وأمامه منطق آخر لايستطيع التعايش معه واستيعابه، فكان لابد من الفراق فافترقا. وقد قال العبد الصالح قبل الوداع كلمة هامة يجب الانتباه إليها، وهي:

«وما فعلته عن أمري»

أي أن الله سبحانه كان يكشف له الأسباب ويرسل له الأمر بالتنفيذ، ولكن مع الأسف الشديد كانت هذه القصة بالذات من أكثر القصص التي استغلّها جنود السلطان لمصلحة الحاكم المستبد، لأنهم وبأحاديث مكذوبة على الرسول جعلوه تماماً مثل هذا العبد الصالح، مكشوفاً عنه حجاب الغيب كله، وجعلوه يعلم المستقبل ويقوم بالمعجزات. ولو عددنا المعجزات التي تمَّت على يدي الرسول من خيال جنود السلطان لوجدناها تفوق كل معجزات أنبياء بني إسرائيل، وبما أن السلطان خليفة للرسول جعلوا له الحق في أن يفعل مايشاء استناداً لتلك الأحاديث المختلقة ظلماً.

فارتكب السلاطين أشنع الجرائم بحق البشرية وبحق شعوبهم وهم يقولون إنما ينفذون إرادة الله وقضائه وقدره. ومع زوال السلاطين لازال أهل السنة متشبثين بهذا التراث العزيز على نفوسهم، والذي رافق أجدادهم لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين. حان الوقت لأن يعيدوا النظر، هل ماقاله جنود السلطان هو الحق أم ماقاله الله في القرآن هو الحق والواجب للاتباع؟ كما رأينا في الآية التي تقول:

﴿أفَمن يَهدي إلى الحق أحقّ أن يُتَّبَعَ أمَّن لايَهدي إلا أن يُهدَى فما لكم كيف تحكمون﴾ ٣٥ - يونس.

كما كانت هذه القصة مجالاً للتأويل الخاطىء لآيات كثيرة من القرآن، فأعطت نتائج سلبية كبيرة على الفكر الإسلامي خلال عشراتٍ من القرون. مع ضياع نور الله وهديه الموجود في القرآن، علماً أن آيات هذه القصة لايمكن إطلاقاً أن تعمّم، لأن الله صرّح مراراً وتكراراً في القرآن وآياته بأنه لم يسمح ولم يعط غيبه لأي مخلوق محدّداً (السموات والأرض) أي لم يسمح لا للملائكة ولا للجن ولا للإنس بأن يشاركوا الله في غيبه. وهذا هو الذي يجعلني أعتقد أن قصة العبد الصالح قصة رمزية، لأن الله لم يقل في القرآن: إنه لم يسمح بمعرفة الغيب إلا لهذا العبد الصالح، أو (للخضر) كما يقولون، بل قال بشكل قطعي:

﴿قل لايعلَمَ مَن في السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلا الله﴾ ٦٥ - النمل.

وقال سبحانه عن الجن:

﴿أن لو كانوا يعلمون الغيبَ مالبثوا في العذابِ المهين﴾ ١٤ - سبأ.

وقال على لسان الرسول:

﴿قل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلَمُ الغيب﴾ ٥٠ - الأنعام.

فمن أجدر بالتصديق؟

هل نصدق كتاب الله؟

أم نصدق جنود السلطان؟

الفصل الرابع عشر

ما معنى الدعاء وماهو الفرق بين التمني والرجاء؟

تكلمت عن هذا الموضوع في بحث خاص في كتابي الأول وأعود لأذكّر القارىء بيعض المبادىء الأساسية التي وردت في القرآن الكريم.

أوهام كثيرة دخلت إلى عقيدة المسلمين لأن علماء السنَّة عندنا نقلوا إلى ديننا كل ماكان عند أهل الكتاب من عقائد محرفة فانتقلت إلينا بواسطة الأحاديث الموضوعة.

ومن تلك الأوهام مواضيع الدعاء. سواء ماكان أو مانقل عن الرسول ﷺ بأنها من دعواته أو ما أصبحت بعد ذلك دعوات لكل المسلمين من بعده.

فيعتقدون وهماً أن كل تلك الدعوات يجب أن تكون مستجابة طالما دعا بها الرسول محمد ﷺ متناسين آيات الله في القرآن الكريم بشروط الدعاء المستجاب. سواء كان للرسل أو الأنبياء أو لباقي البشر، فعند الله سبحانه سنة واحدة لايغيرها من أجل أحد من خلقه، والسنة عند الله هي قوانينه الدائمة.

﴿فلن تَجِدَ لسنّةِ الله تبديلاً ولن تجدَ لسنّةِ الله تحويلا﴾ ٤٣ ـ فاطر.

وقد قال الله سبحانه عن الدعاء:

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدّاعِ إذا دعانِ﴾ ١٨٦ ـ البقرة.

ولكن ماهي شروط استجابة الدعاء؟

أهم شرط لاستجابة الدعاء هو العمل: ولكن كيف؟

مثلاً: الفلاح يفلح الأرض ويسمدها ويقوم بجميع مايلزم فنياً وعلمياً من زراعة وري وتعشيب، ثم يدعو الله سبحانه أن يرزقه من عمله الذي قام به رزقاً حسناً. والدعاء لايشترط أن يكون منطوقاً؛ يكفي أن يكون في نيّة الرجل الذي كان يرجو التوفيق وهو يعمل فهو دعاء، لأن الله سبحانه يعلم مافي السرائر كلها. وهذا هو الدعاء مع الرجاء. وكل دعاء لايرافقه أو يسبقه العمل المتصل بموضوع الدعاء يعتبر من التمني على الله. ،

التمني من الشيطان وليس من الرحمن لأنه وهم لاحقيقة له: ولذلك يقول سبحانه:
﴿يَعِدُهُم ويُمَنِّيهِم ومايعِدُهُم الشيطانُ إلا غروراً﴾ ١٢٠ ـ النساء.

وحتى يعلم الإنسان أن الأمور لا تُبلَغُ بالتَّمني والدعاء من دون عمل قال سبحانه:
﴿أم للإنسان ما تمنَّى﴾ ٢٤ ـ النجم.

والمعنى واضح. إذ يقول سبحانه: هل يظن الإنسان أنه سوف يبلغ أمانيه من غير عمل؟ وكل أنواع الدعاء الموجودة عندنا في الإسلام من رفع الأكف بعد كل صلاة جمعة والدعاء لله وراء الإمام كلها من باب الأماني التي لايرافقها عمل، فإننا ندعو الله نحن كل المسلمين منذ ألف وأربعمائة من السنين ولم يستجب الله سبحانه لأي دعاء حتى الآن، والسبب واضح لأنها كلها من باب التمني وليس من باب الرجاء الذي يقول عنه الله إنه يجب أن يترافق مع العمل والسعي:
﴿فمن كانَ يرجو لقاء ربِّهِ فليعمل عملاً صالحاً﴾ ١١٠ ـ الكهف.

وقد بينت فيما سبق أن العمل الذي يقصده الله هو العمل الذي له أجرٌ في الأرض (أي خدمة للناس من جميع أنواع الأعمال الصالحة خدمة للمجتمع الإنساني) أما فهم العمل أنه هو الإيمان، أو أن العبادات من صلاة وصوم وحج بأنها أعمال رغم أنها مجرَّدُ عبادات فهذا تحريف. وعلى المؤمن أن يجلس لوحده ويفكر: إذا كانت المسألة بكل هذه البساطة كما يحاول جنود السلطان بما يروونه على لسان أبي هريرة لماذا لم يدع الرسول أن يهدي أهله فيستجيب له الله وانتهى الأمر؟

ولأبي هريرة قصة أخرى أعجب من هذه التي استمعنا إليها في الحديث رقم (٢٥٢٤) حيث يقول أن الرسول دعا له: أن يهدي قبيلة دوس«اللهم إهدِ دوساً وأْتِ بهم مؤمنين» فهداهم الله وأتوا مؤمنين.

لماذا إذاً لم يدع الرسول بدل أن يضيع ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يجاهد ويتحمل عنت المشركين؟ لو كانت الأمور تتم بهذه البساطة لقال بعد صلاة الصبح من أحد الأيام: اللهم اهدِ قريشاً وانتهى الموضوع. أو اللهم اهد العالم للإسلام. إن الرسول لم يحاول مطلقاً أن يجعل المسلمين يعتقدون أن الله يستجيب لمجرد الأدعية والتضرعات بل إن الله يستجيب للأفعال والأعمال أما عقلية الجلوس بعد كل صلاة والأكف مرفوعة والتمني على الله بالأماني هي العقلية الجديدة التي خلقها السلطان وجنوده بدل

العقلية العملية التي زرعها الرسول وصحابته حتى مقتل عثمان بين الناس. ولذا فإن كل الأدعية التي تدَّعي المعجزات في كل الأديان ونحن أخذنا ذلك من أهل الكتاب أصلاً: كلها أماني كاذبة، يقدمها رجال السلطان للناس ليعوّدوهم بها على الصبر وتحمل المكاره من الفقر والجهل وظلم السلطان. كباب من أبواب التفريغ والتنفيس للضغوط والهموم المتراكمة عن نفوس الناس ولذلك فسوف أمُرُّ على الأدعية الموجودة في صحيح مسلم باختصار شديد. وبالرغم من تأكيد الناس البسطاء على صدقها وصحتها فهي مع الأسف الشديد غير صحيحة، والإسلام بُنِيَ على العمل وليس على رفع الأكف إلى السماء والتمني على الله بالأماني.

اللهم اجعل بالمدينة ضعفي مابمكة من البركة. الحديث رقم (١٣٦٩) - صحيح مسلم.

اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك. الحديث رقم (٢٤٩٨) - صحيح مسلم.

اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه. وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً. الحديث رقم (٢٤٩٨) - صحيح مسلم.

وماذا إذا كان عبد الله هذا قد استحق بأفعاله وحقيقة أمره يوم الحساب أن يكون من أهل النار؟ فهل نتخيل هكذا وهماً أنه سوف يدخل الجنة بقوة تلك الدعوة؟

هل تعلمون أنه لو كان ذلك حقيقة فهذا يعني أن الله غير صادق في قوله بأنه لايظلم أحداً؟.

فإذا دخل إنسان واحد لايستحق الجنة عن جدارة بعمله وإيمانه بل دخلها بشفاعة الرسول أو بشفاعة أحد، وإنسان آخر دخل النار مع أنه أقل أخطاء عن الأول لأنه لم يجد من يشفع له ويدعو الله له، معنى ذلك أن ميزان الله كله قد تحطم وعدالته قد هدمت وظلمه قد ظهر، إن الذي يتحدثون عنه هو عدالة السلطان على الأرض، حيث الشفاعة موجودة وحيث الظلم موجود، وحيث العدالة مفقودة. لذا فإن الإيمان بالشفاعة هو إشراك بالله من جديد. هذا وقد برهنت في كتابي الأول أن مشركي مكة كانوا يؤمنون بالله على أنه الخالق المدبر لهذا الكون وهذا موجود في القرآن وليس في الحديث وفي آيات واضحة مثل الآيات التالية:

﴿ولَئِن سألتَهم من خلقَ السمواتِ والأرضَ وسخّر الشّمسَ والقمرَ ليقولُنَّ الله فأنّى يؤفكون﴾ ٦١ - العنكبوت.

﴿ولَئِن سألتهُم من نزَّل من السماء ماء فأحيا بهِ الأرضَ من بعدِ موتِها ليقولنّ الله قل

الحمدُ لله بل أكثرُهم لايعقِلون﴾ ٦٣ ـ العنكبوت.

إذاً طالما المشركون يؤمنون بكل ذلك فكيف كان إشراكهم بالله العلي القدير؟ لقد كانوا يعبدون مع الله آلهة أخرى، يقولون عنها: إنها ستشفع لهم عند الله وتقربهم من الله زلفى. لنستمع للآية التالية:

﴿ويعبدونَ من دونِ الله مالا يضُرُّهُم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلَمِ في السمواتِ ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ١٨ ـ يونس.

ولكن الله رفض أن يعلن عن أي شفيع له من كل خلقه، لا بل قال:

﴿قل لله الشفاعةُ جميعاً له ملكُ السمواتِ والأرضِ﴾ ٤٤ ـ الزمر.

إذاً بعد هذه الآيات ماذا نفهم من جديد؟

نفهم أن جنود السلطان أعادوا الناس إلى دين الجاهلية من جديد على أن يؤمنوا بالله ربّاً وبمحمدٍ شفيعاً. وماذا يعني هذا الكلام؟

يعني أنهم عادوا للإشراك القديم، ولكن بصورة جديدة، فبدل أن تكون اللاّت والعزّى هي التي كانت ستشفع عند الله لهم، فالمشركون الجدد في عصر السلطان عادوا للإيمان من جديد بالله خالقاً كما كانوا سابقاً، وكما سمعنا فالآيات السابقة تشير إلى اعتراف المشركين القدماء بالله وعدم كفرهم بوجوده، بل كانوا يدّعون قديماً بشفاعة اللات والعزّى أو باقي الأسماء الآخرى، والآن يشركون بالله محمداً شفيعاً. ومن أين أتاهم هذا الوحي الجديد بأن الله تعالى قد وافق لمحمد ﷺ بالشفاعة؟ إنه من الأحاديث المروية على لسان الرواة. وهل هذه الروايات كافية لإلغاء الآيات القرآنية التالية التي تنكر الشفاعة لأحد؟

﴿مَن ذا الذي يشفَعُ عندَه إلا بإذنِهِ﴾ ٢٥٥ ـ البقرة.

ومعنى هذه الآية واضح، من كان عنده إذن منّي بالشفاعة ليبرز شهادته وبرهانه من الله بآية من القرآن تقول: أن الله قد سمح للملاك فلان أو للرسول فلان بالشفاعة. وباختصار لايوجد.

﴿ليس لهم من دونِهِ وليٌّ ولا شفيعٌ لعلّهم يتّقون﴾ ٥١ ـ الأنعام.

﴿مالكُم من دونِهِ من وليٍّ ولا شفيعٍ أفَلاَ تتذكّرون﴾ ٤ ـ السجدة.

﴿أم اتّخذوا من دونِ الله شفعاء﴾ ٤٣ ـ الزمر.

﴿ولا يقبلُ منها عدلٌ ولا تنفَعُها شفاعةٌ﴾ ١٢٣ ـ البقرة.

إن الله لن يغير عدله وميزانه من أجل أحد، ولذلك قالها بصراحة للرسول عندما لم يقبل منه استغفاره لبعض المنافقين، والاستغفار أقل درجة من الشفاعة:

﴿سواء عليهم استغفرتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لن يَغفِرَ الله لهم﴾ ٦ ـ المنافقون.

﴿إن تستغفر لهم سبعين مرةً فلن يغفرَ الله لهم﴾ ٨٠ ـ التوبة.

والآية الأخيرة ليس معناها أن الله سوف يغفر إذا دعا لهم الرسول ثمانين مرة، وإنما العدد سبعون هنا معناه أنَّ تكرار الاستغفار من العبد لن يغيّر موقف الله من الحقائق، فالله سبحانه لايتعامل في مثل هذه الأمور بالعاطفة والهوى لأن العاطفة متى دخلت في موضوع الحقوق ضاعت الحقوق. وهذا كان السبب والسّر بأن جعل الله شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد، ليس لأن مكانة المرأة عند الله أقل من الرجل ولكن لعلمه بما خلق، وبأنه وضع في المرأة عاطفة أكثر تحتاجها لأنها ستكون أماً، فعاطفتها الأكثر تجعلها أبعد بقليل من الرجل عن الحق.

فالرجل يُغَلّبُ عقله بينما ربما المرأة غلَّبت عاطفتها فأضاعت الحق وهي تظن أنها تحفظه لِتَغَلُّب عاطفتها عليها أحياناً.

وهكذا نجد أن الأدعية كثيرة جداً. مثل:

اللهم أوسِع له في قبرِه: (حديث رقم (٩٢٠) ـ من صحيح مسلم).

اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً: (لأنه كان لايثبت على الفرس) (حديث رقم (٢٤٧٥) ـ من صحيح مسلم).

اللهم صلّ على آل أبي أوفى: (حديث رقم (١٠٧٨) ـ من صحيح مسلم).

اللهم نجِّ عياش بن أبي ربيعة: (الحديث رقم (٦٧٥) ـ من صحيح مسلم).

وكل من كان يؤمن بأن دعاء الرسول معجزة ومجرد دعائه مستجاب فهو ببساطة واهم. والدليل أن حياة الرسول كلها كانت جهاداً وكفاحاً حقيقياً، لا وهم فيها بل عمل متواصل ودائم ومستمر دون توقف. أما توقف المسلمين عن العمل وتحوّلهم للدعاء والتضرع فقد حصل بعد الفتنة الكبرى، وبعد أن ترك الناس دين الله وهجروا القرآن

وعادوا إلى دين السلطان الجديد، وإلى كتاب الله المدّعى من جديد بأنه وحي من السماء، وهي كلها لاتعدو عن روايات ألّفها جنود السلطان لخدمة سيدهم وإلههم الجديد على الأرض، ناسين رب العالمين وكتابه الذي حنّطوه بعد مقتل عثمان، ولم يعد إليه أحد إلا خليفة واحد هو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حكم لمدة سنة ونصف ومات بعدها مسموماً من قبل الطامعين في الحكم، حقيقةٌ مرّة. وأمامَ مُسلم اليوم خياران لاثالث بينهما:

إما أن يبقى على ماوجدَ عليه آباءه الأوّلين ويقول: إنا على آثارهم مقتدون، فتبقى أموره في الدنيا على حالها وهي تتطور مع الأيام من سيء إلى أسوأ كما عهدناها إبتداء من مقتل عثمان وإلى اليوم، فيكون مصيره جهنم لأنه يشرك بالله في الحقيقة حتى وإن كان لايعلم. وإما أن يرفض مافرض جنود السلطان عليه وعلى آبائه خلال مئات السنين ابتداء بمعاوية وانتهاء بالسلطان عبد الحميد، من روايات ثبت تأليفها وتناقضها مع آيات الله في القرآن الكريم في هذه الدراسة المستفيضة الجادة، وبأنه لم يكن مع الرسول رسالتان، واحدة علنية هي القرآن والثانية سرّيّة حفظها جنود السلطان.

وبدون العودة للقرآن الكريم وإلى الله الواحد الأحد مع نبذ كل تلك الخيالات والأوهام التي قد تكون عزيزة على بعض الناس كما كانت اللات والعزى عزيزةً على مشركي قريش، ولكن ليس من حل وسط في هذا الموضوع. لابد من نبذ مالابد من نبذه وتركه حتى نتمكن من القيام بالحركة الضرورية اللازمة للعودة إلى دين الإسلام الصحيح الموجود فقط في كتاب الله، والذي كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وكل باقي الصحابة الكرام قبل مقتل عثمان وقبل الفتنة الكبرى في الإسلام التي ساهم فيها شياطين الإنس مساهمة فعالة، بحيث أصبحت الآيات التالية تنطبق علينا تماماً:

﴿أذلكَ خيرٌ نزلاً أم شجرةُ الزّقّوم * إنا جعلناها فتنةً للظالمين * إنّها شجرةٌ تخرج في أصل الجحيم * طلعُها كأنّه رؤوسُ الشياطين * فإنهم لآكلونَ منها فمالئونَ منها البطونَ * ثم إنّ لهم عليها لَشَوْباً من حميم * ثم إنّ مرجعَهم لإلى الجحيم * إنّهم ألفَوا آباءهم ضالّينَ * فهم على آثارِهم يُهرَعونَ * ولقد ضَلَّ قبلَهُم أكثرُ الأوّلينَ * ولقد أرسلنا فيهم منذِرينَ * فانظر كيف كان عاقبةُ المنذَرينَ * إلاّ عباد الله المخلصين﴾ ٦٢ ـ ٧٤ ـ الصافات.

كل تلك الآيات تقصّ علينا قصتنا باختصار، وقصة كل الأمم من الذين أضلّهم شياطين الإنس والجن عن السبيل الصحيح فتاهوا عن شرع الله ودينه. واستبدله لهم الشياطين

بحيث تطابق أهواء السلطان ومصالحه على الأرض فصاروا يسيرون على هدي السلطان بعد أن نكروا هدي الله وكتابه المبين. وهذا لا ينطبق على المسلمين فحسب بل ينطبق على أصحاب الديانات السماوية كلّها، فاليهود اليوم أغلبهم يشرك بالله والباقي يكفر بيوم القيامة، وهم العلمانيون منهم. والمسيحيون اليوم أغلبهم يشرك بالله المسيح والباقي يكفر بيوم القيامة، وهم العلمانيون منهم. والمسلمون اليوم أغلبهم يشرك بالله والباقي يكفر بيوم القيامة، وهم العلمانيون منهم.

فأين المؤمنون الموحدون لله والسائرون على هدى الرحمن وسنّته وكتابه وحده ولايؤمنون بالشفاعة والخلاص إلا للّه؟؟.

والذي يستثني نفسه ويقول: إلاّ أنا، فإني مازلت على سبيل الله الصحيح فليسأل نفسه: من أي طائفة من طوائف المسلمين هو؟ فإن اكتشف أنه ينتمي لإحدى تلك الطوائف الكثيرة فهذا هو البرهان الأكيد على أنه ليس على سبيل الله بل على سبيل الشياطين، لأن محمداً وصحبه لم يكونوا كلّهم يتبعون كل تلك الطرائق والسبل، بل كانوا على سبيل الله، ولايمكن أن نكون على ذلك السبيل ومعنا مع كتاب الله كتاب آخر نشرك به الله، ولايمكن أن نكون على السبيل الصحيح ونحن نطبق مع سنة الله سنةً أخرى. لايمكن أن تكون على سبيل الله الصحيح ونحن نؤمن بشفاعة محمد ﷺ وغيره أبداً من الأولياء والصالحين وكل ماذكرته لكم هو إشراك بالله لاشك فيه أبداً.

أما طالما بقينا نُنَزِّهُ أنفسنا، حيث السنّيّ يقول: كل الناس مخطئون إلا نحنُ، والشيعي يقول: كل الناس مخطئون إلا نحنُ، فإننا لن نكتشف أننا كلنا على الخطأ وسوف نبقى دائماً لانريد أن نعترف بالخطأ، والذي لايعترف بخطئه لايمكن أن يعود للصحيح أبداً. أول شيء يجب أن يحصل في عقولنا هو الإدراك بحجم الخطأ الذي نحن عليه حتى يكون العمل المحضر مع الجهد كافيين لإزالة ذلك الخطأ الكبير ولابد لنا جميعاً أن نعود إلى طاعة الله والرسول من جديد. ولابد أن نؤمن بوجوب تطبيق أمر الرسول الدائم الذي ألغاه السلطان بقوة لمعان الذهب في أعين المحدثين والرواة، والمنقول عن أبي سعيد الخدري في الصحيحين:

«من كتب عني غيرَ القرآن فليمحُه».

وأمر الرسول هذا نسخَهُ المحدثون بقرار صدر عنهم تحت تأثير ضغط الذهب اللماع الذي لم يستطع أن يقاومه جنود السلطان كثيراً، والمسلم اليوم إذا لم يؤمن بهذه

الحقائق، وينفض عن نفسه غبار الماضي ليبدأ خطواته من جديد، فلا أمل له ولا للمسلمين بالتحسن، وكل محاولاته للترقيع والتوصيل سوف تبوء بالفشل لأن العطل الأساسي قديم وعميق الجذور. أما محاولات دهن المراهم على مرض لايتم شفاؤهُ إلا بالكيّ لن ينفع فلا بد له من الكي ولو كان مؤلماً وشديداً حتى لو اضطرنا إلى البتر أيضاً بترنا مايجب بتره، لابد أن نعود إلى قرآننا الكريم ونزيل عنه الغبار وأعشاش العناكب ونجعله كتاباً لنا وللأحياء منا بعد أن جعلناه كتاباً خاصاً بالأموات وبالجنازات ليقرأ على من في القبور. الذين لم يعودوا بحاجة إلى هداية نور الله سبحانه في الدنيا بعد أن أصبحوا في ذمة الله سبحانه وتعالى.

نحن الأحياء. نحن الضالون الذين بحاجة لكتاب الله ونوره حتى نخرج من الظلام والظلم الذي فرضناه بأنفسنا على أنفسنا، أو فرضه آباؤنا علينا فتركنا كتاب الله الذي أرسله من أجل هدايتنا إلى طريق الخير والعدل والحب والسلام على لسان رسولنا الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه. وقد وفى الله سبحانه على ماعاهده عليه فبلغ الرسالة لنا كاملة غير منقوصة، فخنّا نحن الأمانة من بعده، وتركنا سبيل الله، فعَذّبنا أنفسنا بأيدينا وظلمنا أنفسنا ولن نضرّ الله سبحانه وتعالى بشيء حتى وإن قصدنا ذلك. كما أننا لن ننفعه أيضاً بشيء حتى وإن قصدنا ذلك، فالله سبحانه غني عنا جميعاً، ونحن الفقراء إليه. ونحن الذين ضللنا السبيل. ونحن المحتاجون إليه وإلى هديه ونوره دائماً ومن دونه نتعذب كما ترون في الدنيا، ولن يكون حصادنا في الآخرة بأفضل مما زرعنا ونزرع الآن في هذه الدنيا بأيدينا.

فعلينا جميعاً أن نعود إلى كتاب الله ونوره فنخرج به من الظلمات التي نحن فيها من قرون.

﴿كتاب أنزلناهُ إليكَ لتُخرِجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ﴾ ١ - إبراهيم.

صدق الله العظيم

الفصل الخامس عشر

الأحاديث التي تحاول أن تنسب للرسول ﷺ علوماً مثل الطب

الأحاديث التي تحاول أن تنسب للرسول معرفته بعلوم دون أن يكون مصدرها الحقيقي من القرآن كلها أحاديث موضوعة غايتها حرف الناس عن الحقائق والعقلية العلمية التي في آيات القرآن إلى عقلية تؤمن بالأوهام والخرافات والأباطيل وذلك في سعيٍ السلطان الدائم إلى تحويل الناس من دين التوحيد الذي لايناسب تطلعاته وطموحاته إلى دين الشرك الذي يسعى إليه لتأليه نفسه عن طريق الأحاديث الموضوعة ظلماً باسم الرسول ﷺ وصحابته، وتحت غطاء الإسلام.

١ ـ تعويذة جديدة لشفاء المرضى:

الحديث رقم (٥٧٤٥) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض:

«بسم الله تربةُ أرضنا بريقة (لعاب) بَعضنا يُشفى سَقيمُنا».

٢ ـ تعويذة أخرى للشفاء من الأمراض:

الحديث رقم (٥٧٤٤) من صحيح البخاري: عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يرقي ويقول:

«امسح الباسَ ربّ الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت».

٣ ـ تعويذة ثالثة للشفاء من الأمراض:

الحديث رقم (٥٧٤٢) من صحيح البخاري: عن عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال:

«يا أبا حمزة اشتكيت. فقال انس: ألا أرقّيك برُقْيَةِ رسول الله ﷺ قال: بلى قال: اللهم ربّ الناس مذهب الباس إشفِ أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاءً لايغادر سقماً».

٤ ـ شفاء بالقوة:

الحديث رقم (٥٧١٦) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

إن أخي استطلق بطنه. فقال: «اسقه عسلاً فسقاه: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً (أي اشتد حال المرض أكثر) فقال: (الرسول ﷺ): «صدق الله وكذبَ بطنُ أخيك».

إن أمراض البطن اليوم في الطب الحديث يدعونها الأمراض الباطنية أو الأمراض الداخلية وهي اختصاص يدرسه الطبيب في سبع سنوات، ويتدرب عليه في سنوات أخرى بشكل عملي، عدا اختصاص الجراحة الداخلية التي لها اختصاصات متعددة، فإن كل تلك الأمراض لايمكن شفاؤها جميعاً بالعسل مع كون العسل دواء جيداً لبعض الأمراض، وهذا لايمكن إنكاره، لكننا لانستطيع أن نقول لمريض معه سرطان المعدة أو سرطان الأمعاء على أنواعها أو سرطان البانكرياس أو إنسداد القناة الصفراوية في الكبد بالحصيات أو أمراض الكلية، ومايشعر به المريض عادة هو مغص وألم شديد، والمريض العادي لايميز ألم المعدة عن ألم المرارة أو عن ألم الكلية، فهذه الأمور تحتاج إلى فحوصات وتحاليل وتصوير بالأشعة حتى يتأكد الطبيب من نوع المرض، أما أن نقول لكل تلك الحالات: خذ العسل واشربه وإن عاد المريض يشتكي من جديد نقول له لقد صدق الله وكذب بطن أخيك...

هذا لايجوز، ولا أعتقد أن الرسول محمد ﷺ يمكن أن يكون صاحب ذلك الحديث، لأنه ـ الحديث ـ بعيد عن العلم والمنطق، علماً أن الرسول ﷺ يعلم أن في العسل منافع كثيرة وفيه شفاء للناس من بعض الأمراض وليس كلها.

والله تعالى لم يعلمنا في يوم من الأيام أنه أرسل محمداً ليكون طبيباً للأجساد وأمراضها كما أنه هو نفسه لم يدَّعِ ذلك العلم في يوم من الأيام.

٥ ـ لا عدوى ولا صفر (صفر: داء يأخذ البطن) ولا هامة:

الحديث رقم (٥٧١٧) من صحيح البخاري: عن أبو هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«لا عدوى ولا صفر ولاهامة». فقال أعرابي: يارسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: فمن أعدى الأول؟ (أي من أين أتى المرض للجمل الأول؟).

٦ ـ الحبة السوداء دواء لكل داء:

الحديث رقم (٥٦٨٧) عن عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول:
«إن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» قلت: وما السام؟ قال: «الموت» (أي أنه دواء لكل داء إلا الموت الذي لاشفاء له). (لي صاحب أصيب بالسرطان واكتشف الأطباء مرضه مبكراً وقالوا له: إن بالإمكان شفاءه بإذن الله إذا وافق على إجراء جراحة مبكرة للمرض. لكنه آمن أن الحبة السوداء سوف تشفيه وظلّ يستخدمها شهوراً إلى أن استفحل المرض وعجز الأطباء عن تقديم أي عون له إلى أن مات، رحمه الله).

٧ ـ المن شفاء للعين:

الحديث رقم (٥٧٠٨) من صحيح البخاري: عن سعيد بن زيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول:
«الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

٨ ـ التمر يحمي من السُمّ والسّحر:

الحديث رقم (٥٧٦٩) من صحيح البخاري: عن سعد؟ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«من تصبَّح بسبع تمراتٍ عجوة لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحرٌ».

٩ ـ الشفاء من ذات الجنب (التهاب الرئة):

الحديث رقم (٥٧١٨) من صحيح البخاري: عن أخت عكاشة بن محصن عن الرسول عندما أتته بابن لها مريض (علقت عليه من العذرة) فقال لها الرسول ﷺ:
«اتّقوا الله على ماتدغرون أولادكم بهذه الأعلاق؟ . عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب».

١٠ ـ السعوط بالقسط الهندي والبحري:

الحديث رقم (٥٦٩٢) من صحيح البخاري: عن أم قيس بنت محصن قالت: سمعت النبي ﷺ يقول:
«عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية يستعطّ به من العذرة ويُلَدُّ به من ذات الجنبِ».

مئات وآلاف الأحاديث من هذه في التراث الإسلامي وكلها منسوبة للرسول ﷺ وكأنه أرسل رسولاً للناس في الطب العربي. إن كل من يعتقد بأن للرسول علماً آخر

غير الذي أعطاه إياه في القرآن يكون واهماً، والقرآن ليس بكتاب للطب لشفاء أمراض الأجسام العضوية وإنما كانت رسالة سماوية لشفاء ومعالجة النفوس، ومن ثم المجتمعات لترقىٰ من الجهل للعلم الصحيح لتترك الأوهام والظنون وتتجه للعلم والعلوم والبناء الصحيح لإعمار الأرض التي وكَّل الإنسان لإعمارها وإصلاحها لا لإفسادها وتخريبها.

وإذا بحثت بين هذا الركام الهائل من الأباطيل لا بد أن تجد حديثاً أو روايةً فيها رائحة العلم والصدق كالرواية التالية:

١١ ـ الحديث رقم (٥٧٠٤) من صحيح البخاري: عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة بنار. وما أحب أن أكتوي» إذا صح هذا الحديث فإن الرسول ﷺ يعترف لهم بأن الأساليب المتبعة في الطب من الرقى والتعاويذ وغيرها لا فائدة منها فعلياً، إلا ماكان منها من معالجة حقيقية ولو كانت بدائية للمرض وأسبابه بالجراحة (شرطة محجم) أو تعقيم (لذعة بنار) واعترف الرسول شخصياً (بأنه لايحب أن يكتوي بالنار) وليس في هذا الحديث أي إدعاء من الرسول بعلم الطب، وإنما اعتراف بواقع الجهل المقيم.

الذي كان مجيئه بالقرآن لتغيير أسلوب التفكير مما كان عليه من أسلوب الأوهام إلى الأسلوب العلمي الحقيقي الذي يدعو إليه العلم والعلماء الحقيقيون.

ـ ماهو هدف رجال دين السلطان من افتراء أحاديث طبية مثل:

«الحبة السوداء دواء لكل داء»؟.

أو الأحاديث التي تشجع على استخدام العود الهندي:

«عليك بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب».

إلى آخر تلك الأحاديث الكثيرة في التراث الإسلامي؟

ـإن من له إلمام في الأمور التجارية يعلم أهمية الدعاية للسلع، فتجد اليوم شركات تنفق مليارات الدولارات على الدعاية سنوياً لعلمها أثر الدعاية في الناس وترغيبهم في شرائها.

وفي عصر تأليف الأحاديث ـ خاصة بعد أن رفع الحصر الذي كان مفروضاً من قبل الرسول محمد ﷺ ومن الصحابة الكرام خلفاء الرسول الأربعة ـ أصبح الحديث نفسه

سلعة يعرضها راوي الحديث الذي أتقن فن الافتراء والتأليف وهذا معروف في عهود خلفاء بني أمية إلى آخر الخلفاء العباسيين، ونحن نعلم أن صحيح البخاري ومسلم كتب في العصر العباسي وفي بداية ضعف تلك الخلافة بعد الأمين والمأمون ولدي الرشيد.

وكل تاجر يعلم في كل العصور أهمية الدعاية للبضاعة، فإن حديثاً مثل: «الحبة السوداء دواء لكل داء» تجعل من تاجر لتلك المادة تطير تجارته في الآفاق ومثل ذلك التاجر لن يبخل بالمال والسخاء على أي راوٍ للحديث من الذين كانوا يعرضون بضاعتهم على الخلفاء، وقد ضربت عليهم أمثلة في هذا الكتاب.

ولايشترط في كل الأحاديث التي يؤلفها جنود السلطان أن تكون كلها بأوامر السلطان، إذ إن سبب تعلقهم بالسلطان كونه يدفع لهم بسخاء، لكن ذلك لايمنع أبداً إن وجدوا من يدفع بسخاء أيضاً من التجار والأغنياء فإنهم لن يرفضوا طلبهم طالما المطلوب هو الحصول في النتيجة العامة على المال من السلطان أو من غيره.

وهذه الفقرة التوضيحية كتبتها فقط للمتسائلين القائلين:

ماذا يستفيد السلطان من الترويج لأحاديث طبية عن الرسول ﷺ؟ فالسلطان تهمه الأمور المالية والسياسية صحيح، ولكن جنود السلطان أيضاً لن يستطيع أحد أن يمنعهم من التأليف أيضاً لباقي أصحاب المصالح طالما أصبح التأليف والتزوير مهنة يرتزقون منها والناس تتقبل تلك البضاعة التي أصبحت رابحة فصار الآلاف من الشباب يتوجهون لدراسة الحديث وحفظه دون القرآن الكريم، وأغلب علماء الحديث كانوا لا يحفظون القرآن، وأمامكم تاريخ الطبري وابن كثير يثبتان ذلك.

الفصل السادس عشر

الإساءة المقصودة لنساء الرسول ﷺ «أمهات المؤمنين»

لم يترك المنافقون من الحساد والحاقدين في دين الإسلام باباً من الأبواب يمكن به الإساءة للدين ولله سبحانه وللرسول ﷺ إلا وطرقوه، من دون أي حياء أو حشمةٍوهم بعد أن وضعوا مبدأً جديداً في الإسلام تحت شعار جديد (لاحياء في الدين) قد قالوا كل شيء لايجوز قوله أصلاً.. والرسول منع المسلمين من التصوير اليدوي رسماً أو نحتاً حتى يبعد الدين الإسلامي عما وقع فيه أهل الكتاب بما فعلوه بالتصوير والنحت عندهم.

فلجأالحاقدون إلى أسلوب جديد في التصوير وهو التصوير باللغة. والنحت باستخدام الكلمات. واللغة وسيلة من وسائل التصوير في العالم ومعروفة ويلجأ له الشعراء والأدباء لتصوير مايشاؤون، فيصفون كل شيء ويصورون بها صوراً دقيقة ناطقة ومتحركة إن شاؤوا.

لنستمع مثلاً لابن الرومي وهو يصف خبازاً:

(إن أنسَ لا أَنسَ خبازاً مررتُ به ... يَدحُوا الرقاقةَ مثلَ اللَّمح بالبصر.

مابين رؤيتها في يَدِه كُرةً ... وبينَ رؤيتها قوراء كالقمرِ

إلا بمقدار ماتنداحُ دائرةٌ ... في اليمّ يلقى فيه بالحَجَر)

ثلاثة أبيات كانت كافية لتصوير صورة دقيقة متحركة إلى خيالنا كما أرادها ابن الرومي. فلجأ جنود السلطان للتصوير اللغوي بدلاً من الرسم والنحت الذي كان عند أهل الكتاب علماً أن الرسول قد نهى عنها بدليل وجود أحاديث مثل:

ـ الحديث رقم (٥٢٤٠) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال:

«لاتباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتُها لزوجها كأنه ينظُرُ إليها».

لكن الحاقدين تفننوا في أشكال الإساءة خاصة لبيت الرسول وأمهات المؤمنين تحت

ستار الدين وفائدة الناس من السنة النبوية، وأن نساء النبي هن أعرف الناس بأسرار الرسول وبالدين الإسلامي الصحيح، وكلها أحاديث مؤلفة ولا أصل لها إلا خيالهم المريض وشيطانهم المريد. وبلا حياء مع أن الحياء من الإيمان ومن أسس الإسلام. فبدؤوا بأحاديث فيها أوصاف لأجزاء من أجسام نساء النبي مثل:

١ ـ الحديث رقم (٥٢٥٠) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت: عاتبني أبو بكر وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ ورأسه على فخذي». وأين السنة في كل هذا الحديث؟

٢ ـ الحديث رقم (٤٤٥٠) من صحيح البخاري: عن عائشة (الموضوع عن مرض الرسول ﷺ الأخير قبل وفاته) (فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله، وإن رأسه بين سحري ونحري وخالط ريقه ريقي) ماهو الداعي لذكر كل هذه الأمور في هذا المقام؟

٣ ـ ما هي السنة النبوية التي يريد أن يعلمنا بها جندي السلطان بهذا الحديث؟

ـ الحديث رقم (٥٢١١) من صحيح البخاري: عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أخرج أقرع بين نسائه فطارت القرعة لعائشة وحفصة (علماً أن القرعة نوع من أنواع اليانصيب وهي ممنوعة في الإسلام، وقد كانت في الجاهلية فمنعها الله والرسول).

فكان الرسول يتبع الدور ولا يتبع القرعة. لكن الراوي يريد إعادة كل شيء في دين السلطان إلى ماكان عليه في زمن أبي سفيان، مشيئة السلطان الجديد.

فيقول الراوي:

فطارت القرعة لعائشة وحفصة (والمنطق يقول أن تطير القرعة لواحدة من نساء النبي طالما كانت قرعة وهكذا يصرُّ جنود السلطان. لأن ظروف القصة تقتضي وجود أخرى مع عائشة) ثم تتابع القصة للراوي فتقول:

وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث فقالت حفصة:

ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر؟ (ماذا يمكن أن يحصل) فقلت بلى فركبت فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الأذخر (شوك من أنواع الشيح ينبت بالصحراء) وتقول: «يارب سلّط عليَّ عقرباً أو حية تلدغني ولا أستطيع أن أقول له شيئاً» (من شدة غيظها بما فعلته بنفسها).

٤ ـ الحديث رقم (٧٥٤٩) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت:
«كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض».
وهل هذه سنة شريفة على كل المسلمين عندما يريدون أن يقرؤوا القرآن يجب أن يفعلوها؟

٥ ـ لاحظوا محاولة التشكيك الخبيثة بالرسول ﷺ في الحديث التالي:
ـ الحديث رقم (٧٠٠١) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته وجعلت تُفَلّي رأسه فنام رسول الله، ثم استيقظ وهو يضحك. انتهى الحديث الشريف.

٦ ـ الحديث رقم (١٢٠٩) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أمد رجلي في قبلة النبي ﷺ وهو يصلّي فإذا سجد غمزني فرفعتها فإذا قام مددتها.

أين السنة في كل ذلك؟ (ألم يفرض الله الصلاة على النساء في الإسلام؟ المؤلف).

٧ ـ الحديث رقم (٩٥٠) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت: وكان يوم عيد يلعب السودان بالورق والحراب، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال: أتشتهين تنظرين؟ قلت: نعم. فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يابني أرفدة حتى إذا مللت قال: (حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي».

٨ ـ الحديث رقم (٥٣٦١) من صحيح البخاري: عن أبي ليلى حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ماتلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة قال:

«فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال: «على مكانكما» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدتُ برد قدميهِ على بَطني. «فقال: ألا أدلكما على خير من سألني إذا أخذتما مضاجعكما أو آويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم».

٩ ـ الحديث رقم (٢٩٩) الحديث رقم (٣٠٠) من صحيح البخاري (تحت باب مباشرة الحائض) عن عائشة قالت:

«كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ في إناء واحد، كلانا جُنُب. وكان يأمرني فأتَّزِرُ فيباشرني وأنا حائض».

١٠ ـ الحديث رقم (٣٠٢) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت:

«كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتَّزر في فور حيضتها ثم يباشرها».

١١ ـ الحديث رقم (٢٩٥) من صحيح مسلم: عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت:

كان رسول الله ﷺ يضطجع معي وأنا حائض وبيني وبينه ثوب.

١٢ ـ الحديث رقم (٣٠٠) من صحيح مسلم: عن عائشة قالت:

«كنت أشرب وأنا حائض ثم أُناوله النبي فيضع فاه على موضع فيَّ (أي فمي) فيشرَبُ وأَتعَرَّقُ العرقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضَعُ فاه على موضِع فيَّ (أي الموضع الذي عليه عرق عائشة من القدح) ويشرَب».

فهل تظنون أن غاية هذا الجندي هي خدمة الإسلام والمسلمين بوضع سنة جديدة وصالحة للإسلام الجديد بعد أن نسخ آية القرآن الكريم؟ أم أن له غاية مستترة لايعرفها إلا الله سبحانه وتعالى؟

١٣ ـ الحديث رقم (٢٩٦) من صحيح مسلم: عن أم سلمة قالت: بينما أن مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة. إذ حضت. فانسلَلتُ. فأخذت ثياب حيضَتي. فقال لي رسول الله ﷺ:

«أنَفِسْتِ؟» قلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة.

قالت: وكانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان في الإناء الواحد من الجنابة.

١٤ ـ الحديث رقم (٣٠٣) من صحيح البخاري عن ميمونة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتَّزرت وهي حائض. رواه سفيان عن الشيباني.

وماذا يقول الله لنا في القرآن الكريم عن المحيض؟:

﴿ويسألونكَ عن المحيض قلْ هو أذىً فاعتزِلُوا النساءَ في المحيضِ ولا تقربوهُنَّ حتى يَطْهُرنَ فإذا تطَهّرْنَ فأْتوهُنَّ من حيثُ أَمَرَكُم الله إنَّ اللّهَ يحبُّ التوابينَ ويحبُّ المتطهّرين﴾ ٢٢٢ ـ البقرة.

والآن اسألوا أنفسكم ماهو الشيء الغامض وغير المفهوم في هذه الآية ويحتاج إلى شرح إضافي من كل نساء الرسول؟ وهل ماوجدتم في شرح الأحاديث السابقة مايطابق نص الآية القرآنية؟ لنبحث إذاً في مصادر أهل الكتاب لعلنا نجد بصيصاً من نور يدلنا على سرّ هذه الأحاديث العجيبة في شرع الإسلام ودينه!.

ماذا نجد في التوراة عن الحيض؟ (*).

(وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من يلمسها يكون نجساً إلى المساء. كل ماتنام عليه في أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مسّ متاعاً تجلس عليه، يغسل ثيابهُ ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء، وكل من يلمس شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذي تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء. وإن عاشرها رجلٍ وأصابه شيء من طمثها، يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش ينام عليه يصبح نجساً).

ماذا وجدتم؟ إنه تحريم شديد جداً بل مبالغ فيه أليست هذه حقيقة؟ فلماذا إذاً نفس الجندي الحاقد الذي يعلمُ تماماً ماذا في كتابه يروي لنا تلك الروايات السابقة وكلها تناقض حتى ما في كتابه وفي كتاب المسلمين؟

يريد من هذه الأحاديث تحقيق هدفين كبيرين:

أولهما: البرهان على أن صاحب تلك الأحاديث النجسة برأيه طبعاً لابد أن يكون نبياً من الأنبياء الدجالين الكذابين من المذكورين بكثرة في كتبهم ومكتتباتهم.

وثانيهما: أن من يطبق تلك الأحاديث على أنها شرع يكون قد تنجس كله، ولذلك فهم عندما يقولون عن أنفسهم: إنهم شعب الله المختار فإنما يقولون عن باقي الشعوب: إنها كلها نجسة، وهم في الحقيقة شياطين الإنس في الأرض، استطاعوا بمثل تلك الأحاديث أن ينجسوا دين المسلمين والمسلمين أنفسهم كما استطاعوا تنجيس أتباع المسيح بالاعتقاد بألوهية المسيح وبترك شرع الله وأكل لحم الخنزير الذي يعتبرونه من أكبر المنجسات في الأرض. فهل بعد هذا تعجبون إلى وجود مثل تلك الأحاديث عندنا في دين السلطان الجديد، شرعاً مباركاً من جنود السلطان كلهم؟

(*) سفر اللاويين ـ الإصحاح ١٥، تحت عنوان: نجاسة طمث المرأة، اعتباراً من الفقرة ١٩ حتى الفقرة ٢٤.

فهل تصدقون بعد كل ماسمعتم أن الرسول محمد ﷺ الذي صبر في شبابه كله على امرأة واحدة هي خديجة رضي الله عنها ولم يتزوج عليها حتى توفاها الله وكانت تكبره بحسب الروايات في السيرة بخمس عشرة سنة فتحول بعد أن قارب الستين من عمره إلى أعجوبة جنسية، ولم يعد عنده همٌّ ولا شاغل إلا الطواف على النساء من واحدة للأخرى، وفي كل ساعة من الليل أو النهار يطوف على إحدى عشرة من نسائه؟ هل هذه صورة حقيقية للرسول الكريم محمد بن عبد الله الذي نقرأ تاريخه وأخلاقه المشرفة في القرآن وفي السيرة النبوية؟

فهو لم يعد يميز في تلك الصورة المشوهة طبعاً بين الحائضات منهن مع أن الله ينهاه في آية صريحة عن الاقتراب منهن. إن الإساءة واضحة ولاتحتاج إلى ذكاء خاص أو فطنة حتى يدركها الإنسان، كل مايحتاجه المسلم أن يكف عن عشق الحديث بقلبه وهواه بعدها سوف يكتشف عقله الحقيقة. السرّ في العشق الذي يعمي البصر والبصيرة.

والشيخان البخاري ومسلم لم يُقَصِّرا من طرفهما بوضع كل الشواهد بأيدينا لكشف الأمور. ومانحتاجه فقط هو تحكيم العقل في الأمور وإعادة هذا الميزان الإلهي ليعود فعالاً من جديد بين المسلمين.

وإذا أخذنا صحيح مسلم لوجدنا أحاديث أكثر وكلها على نفس المنوال: لأنه أيضاً يريد أن ينبهنا:

١٥ ـ الحديث رقم (٣٢٠) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة، فسألها عن غُسل النبي ﷺ من الجنابة؟ فدعت بإناء قدر الصاع (بيان عملي) فاغتسلت (أمامهما) وبيننا وبينها ستر. وأفرغت على رأسها ثلاثاً. قال: وكان أزواج النبي ﷺ يأخذن من رؤوسهن حتى تكون كالوفرة (أي رفع شعورهن إلى ما فوق الأذنين).

تصوروا هذه الصورة: عائشة رضي الله عنها تشرح لرجلين عندها في بيان عملي تقنية الغُسل من الجنابة، وهي خلف الستار عارية تغتسل ليعلم الرجلان كيف يكون الغسل في الإسلام وهم من الصحابة، لكن لم يكن عندهما من الوقت مايسمح أن يكون سؤالهما للرسول مباشرة فيعلّمهما ماهو الغُسلُ من الجنابة، وكيف تتم تقنيتها المعقدة.

١٦ ـ الحديث رقم (٣٣١) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة قال: قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل بدأ بيمينه فصبّ عليها الماء فغسلها، ثم صب الماء على

الأذى الذي به بيمينه، وغسل عنه بشماله، حتى إذا فرغ من ذلك صبَّ على رأسه.

قالت عائشة كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان (ماهو الداعي لإضافة الراوي الجديد في نهاية الحديث، وتصوير الرسول وزوجته الشابة التي لم يبق جندي من جنود السلطان إلا وقد أكد لنا مئات المرات أنها كانت في الثامنة عشرة من عمرها عندما توفي عنها الرسول ﷺ فيصورهما لخيالنا يغتسلان من إناء واحد وهما جنبان؟ هل هذه هي الطريقة المثلى لتعليم سنة الغسل من الجنابة في الإسلام؟

وحتى لاتكون الصورة واحدة نجد أن المحدثين يتسابقون لكشف عورات باقي نساء النبي ﷺ أيضاً على كل المسلمين.

١٧ ـ الحديث رقم (٣٢٣) من صحيح مسلم: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يغتسل بفضل ميمونة (أي أن الرسول ﷺ كان يغتسل بالماء الذي سبق لزوجته ميمونة واغتسلت به).

١٨ ـ الحديث رقم (٣٢٤) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أن زينب أم سلمة حدثته أن أم سلمة حدثتها قالت: كانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان في الإناء الواحد من الجنابة.

لاحظوا الفائدة العظيمة التي جنيناها، والعلم الذي تعلمناه من هذه الأحاديث الشريفة، بعد أن عرّينا كل نساء الرسول وأعراضه وتصورناهنّ عاريات وهن يَغْتَسِلْنَ مع الرسول ﷺ في إناء واحد من الجنابة.

الله سبحانه وتعالى يكني عن جماع الرجل بالمرأة في القرآن الكريم بكلمة (إذا لامستم النساء) أما في دين السلطان فلا داعي للاحتشام لأنه لاحياء في دين السلطان.

١٩ـ الحديث رقم (٣٤٩) من صحيح البخاري: عن أبي موسى قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والإنصار:

فقال الأنصار: لايجب الغسل إلا من الدفق او الماء.

وقال المهاجرون: بل إذا خالط وجب الغسل.

(مساكين لقد نسوا تكنولوجيا الغسل من الجنابة فصاروا حزبين مختلفين).

قال أبو موسى (الأشعري): فأنا أشفيكم من ذلك (أي آتيكم بالخبر اليقين لأزيل أسباب

الخلاف بين حزبي الأنصار والمهاجرين).
(والراوي الخبيث يسخرمنا بوضع وحشر اسم أبي موسى في هذه القصة ويذكرنا كيف حلّ الخلاف يوم التحكيم في حرب الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية وكيف خدعه عمرو بن العاص).
فقمت فاستأذنت على عائشة. فأُذن لي. فقلت لها: ياأماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك في شيء وإني أستحييك (إذا كانت القصة حقيقية لأرسل زوجته أو أخته لتكفيه هذا الحرج، لكن القصة كلها تلفيق وافتراء).
فقالت: لاتستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك! قلت: فما يوجب الغُسلَ؟ قالت: على الخبير سقطت. قال رسول الله ﷺ:
«إذا جلس بين شعبها الأربع ومسّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل»
(أفلا يكفي أن يقول الرسول:
«إذا باشر أحدُكم زوجَه فقد وجَبَ الغسلُ حتى وإن لم ينزل الماء»
«إذا لامستم النساء وأُعجِلْتُم أو توقَّفْتُم قبل الإنزال وجب الغسل»؟
لكن غاية الراوي السخرية منا ومن ديننا بعد أن اتخذ مظهر الشيخ الواعظ الغيور على أمته ودينه.
كل تلك الأحاديث غايتها في الظاهر خدمة الدين والإسلام، ولها غايات خفية للدّسّ على الله والإسلام والرسول، والإساءة لهم جميعاً حقداً وحسداً.
هذه حقيقة واقعة إذا لم يميزها المسلم الغيور على دينه وإسلامه يكون مع الأسف من الغافلين.
وإذا لم نعلن ونكشف عن الحاقد المنافق الذي سخر منا جميعاً كما يشاء وفوق هذا كله قبض أجرة تشفّيه وسخريته من أموال المسلمين عطايا من السلطان الذي منعها عن شعبه وأمته، بقي ذلك المجرم وأمثاله يتحكمون برقابنا إلى اليوم. فلمصلحة من إذاً نَتَسَتَّرُ عليه بعد أن شبع ضحكاً علينا وبثَّ السُّمَّ الذي كان يتمنى أن يبثه في الإسلام وبين المسلمين؟
اسمعوا تعليق أحد علماء المسلمين حول الحديث النبوي الشريف الآنف الذكر لأهميته القصوى في الدين:

«قالت على الخبير سقطت» وقد شرح الإمام النووي ذلك على حاشية مسلم وقال: معناه صادفت خبيراً بحقيقة ماسألت عنه، عارفاً بخفيِّهِ وجَليِّهِ. حاذقاً فيه.

قال رسول الله:

«إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسَّ الخِتَانُ الخِتَانَ فقد وجب الغُسْلُ».

وفي شرح الإمام النووي على حاشية مسلم:

(قال العلماء: معناه غَيَّبتَ ذَكَرَكَ في فَرجِها).

شعبها الأربع: اختلف العلماء في المراد بالشعب الأربع. فقيل: هي اليدان والرجلان وقيل الرجلان والفخذان. وقيل الرجلان والشُّفْرَان. واختار القاضي عَيّاض أنَّ المراد شُعَب الفَرجِ الأربعة. والشُّعب النواحي واحدتُها شُعبة.

وهكذا نكون قد تعلمنا تكنولوجيا الغسل في الإسلام، وهي باختصار أن يغسل المرء منّا جسده بالماء الطاهر من قمة رأسه إلى قدميه بصبٍّ الماء عليه.

٢٠ ـ الحديث رقم (٣٥٠) من صحيح مسلم: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرَّجل يجامِعُ أهله ثم يَكسَل. هل عليهما الغُسْلُ وعائشة جالسةٌ (لاحظوا! إن الراوي يريد أن يحشر عائشة في القصة).

فقال رسول الله ﷺ:

«إنّي لأفعَلُ ذلكَ أنا وهذه ثمَّ نَغتَسِلُ».

لاحظوا أيضاً كيف يتفننون بحشر نساء الرسول في مثل تلك الأحاديث الخبيثة ولو كانت غاية هذا الحديث تعليمية كما الإدعاء المفروض علينا لاكتفى المحدث بالقول: سأل رجل رسول الله ﷺ ماهي موجبات الغسل في الإسلام؟ فقال مثلاً: طالما تمت المباشرة فقد وجب الغسل. أما أن نجد كل هذه الروايات التي بين أيدينا وكلها تتفنن في تعرية نساء الرسول اللاتي حجبهن الله عن كل المؤمنين ومنع الكلام عنهن بما يؤذي عفتهن وكشف عوراتهن لأحد مهما كان السبب فإن كل تلك الأحاديث خبيثة تفوح منها روائح الشياطين وليس فيها من روائح الملائكة شيء، ولا من أثر المؤمنين الحقيقيين فيها أيضاً.

وبما أنَّ سنَّةَ الأحاديث دائماً كما شرحت سابقاً تناقض بعضها البعض فإليكم الحديث الذي ينقض كل ماقالته الأحاديث السابقة:

٢١ ـ الحديث رقم (٣٤٣) من صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوم الاثنين إلى قباء، حتى إذا كنا في بني سالم وقف رسول الله ﷺ على باب عتبان فصرخ به، فخرج يجرّ إزاره فقال رسول الله ﷺ أعجلنا الرجل (أي حملناه على أن يعجل من فوق امرأته) فقال عتبان يارسول الله: أرأيت الرجل يعجل عن امرأته ولم يُمنِ ماذا عليه؟

قال رسول الله ﷺ «إنما الماء من الماء».

أي لاغسل عليه لأنه لم ينزل الماء بعد. ولكنه سبق وجلس بين شعبها الأربعة وسبق مسُّ الختانِ الختانَ.

الحديث رقم (٣٤٥) أوضح من السابق: أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن طريق سند مختلف أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار فأرسل إليه فخرج ورأسه يقطر (عرقاً) فقال: «لعلنا أعجلناك؟ قال: نعم يارسول الله. فقال له الرسول ﷺ: إذا أُعجِلْتَ أو أُقحِطْتَ (أي عدم إنزال المني. وهي استعارة من قحوط المطر) فلا غسل عليك، وعليك الوضوء».

لاحظوا كيف ناقض هذان الحديثان أو هذا الحديث المروي على طريقتين كلّ الأحاديث السابقة.

وإذا سألنا علماء المسلمين، لماذا هذا التناقض في دين السلطان بشكل دائم؟ لما وجدوا إلا أن يقولوا كما يلي:

الحديث رقم (٣٤٤) من صحيح مسلم: عن أبي العلاء قال:

كان رسول الله ﷺ ينسخ حديثه بعضه بعضاً كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً».

ألا يشكِّكُ هذا الحديث المسلم إذا كان ضعيف الاطّلاع على دين القرآن بدينه وبقرآنه كله. وهذا التشكيك لمصلحة من؟

٢٢ ـ راوٍ جديد يتفنن بأسلوب الحديث حتى يجعله أكثر إثارة وأكثر حركة وحيوية:

الحديث رقم (٣٢١) من صحيح مسلم: عن عائشة قالت:

«كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد. فيبادرني (فيباشرني) حتى أقول: دع لي (دَعني) دع لي (دَعني). قالت: وهما جنبان».

هذه صورة مع الحركة للرسول ﷺ مع زوجته الشابة وهما عاريان وبينهما إناء فيباشر

الرسول ﷺ زوجته التي تقول له بدلع نسائي دع لي، دع لي، وهما جنبان من الأصل وهل تريدون صوراً عارية عن الرسول وزوجاته أكثر ذلك؟ ثم نقول من ألف وأربعمائة من السنين عن هذه الأحاديث أنَّها أحاديث شريفة وأنها وحي من السماء؟ وهي في القوة أقوى من آيات القرآن لأنها تهيمن على آيات الله فتنسخها كلها، كما فعل السلطان بكل القرآن الكريم.

وكلها تحت شعار (لاحياء في الدين) (إذا لم تستح فافعل ما شئت وقل ماشئت) لذلك نجد علماء السنة الذين هم من جنود السلطان كانوا يحرمون الحلال ويحللون الحرام للسلطان مع وجود نص صريح فيه من القرآن الكريم بحجة أنه كلام الرسول وكل الأحاديث وحي من السماء، وكما أن القرآن وحي فيستطيع كلا الوحيين أن ينسخ أحدهما الآخر. فما نقول عنه نحن الآن إنه يناقض القرآن، لايقول عنه هؤلاء يناقض القرآن، بل يقولون: إنه ينسخه، فالله حرّ في أن ينسخ مايشاء بما يشاء طالما الكتاب كتابه، والحكمة التي هي كل الأحاديث أيضاً كتابه، فبإمكان هذه الأحاديث أن تنسخ آيات القرآن لتحل محلها، والباقي سهل، فما علينا إلا بشخص متخصص بمعرفة رجال السند بشكل متسلسل وموصول وسبق أن روى بعضهم عن بعض أحاديث كثيرة وموجودة بشكل لايمكن الطعن في سندها أبداً.

وهكذا تم إخراج دين السلطان على مراحل وحسب الحاجة والضرورات حتى حوّلوا المسلمين بالتدريج إلى قطيع حقيقي يسوق بهم السلطان وأعوانه إلى أين شاؤوا.

الفصل السابع عشر

دور النساء في دين السلطان

بحثت في كل أحاديث الشيخين البخاري ومسلم عن دور ومكانة المرأة وحقوقها وواجباتها الدينية على اعتبار أن الحديث يمثل ديناً وشرعاً عند غالبية المسلمين، فوجدت أغلب الأحاديث الموجودة تعتبر المرأة شيئاً من الأشياء التابعة للرجل، وبحسب منطق تلك الأحاديث فهي لاتعتبرها ولا تنظر إليها على أنها مخلوق إنساني وذات نفس إنسانية مساوية لنفس الرجل أبداً، كما نجده في دين الرحمن الذي هو كتاب الله، ونصوص آياته البينات.

فالقرآن الكريم يورد كلمة النفس الإنسانية في ٢٨١ آية مختلفة، وهو يخاطب النفس دون تمييز لها سواء كانت نفساً ذكرية أم أنثوية.

بينما نفاجأ أن منطق أغلب الأحاديث التي لاتعتبر إلا الرجال ونادراً مانجد فيها أي شيء عن شؤون المرأة خاصة حقوقها أو حتى واجباتها الدينية.

مثلاً في كتاب الصلاة في صحيح البخاري نجد دائماً الرسول الكريم هو الذي يصلي داخل البيت أو خارجه في المسجد، فلا ذكر لنساء الرسول في الصلاة، وكأنهن غير مكلفات بها أبداً. فإذا تصفحنا أبواب ذلك الكتاب وجدنا ١٠٩ أبواب، أذكر منها على سبيل المثال باب الصلاة على الفراش:

ـ الحديث رقم (٣٨٢) من صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلايَ في قِبلتِهِ، فإذا سجدَ غمزني فقبضتُ رجليَّ فإذا قام بسطتهما، وهذا الحديث ذكر في (١٤) موضعاً مختلفاً من صحيح البخاري لأهميته.

ـ الحديث رقم (٣٨٣) من صحيح البخاري: عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهي بينه وبين القبلة على فراش أهله اعتراض الجنازة (أي كالصلاة على الميت).

ـ الحديث رقم (٤٩٥) من صحيح البخاري: عن عون ابن أبي جُحَيفَة قال: سمعت

أبي قال أن النبي ﷺ صلى بهم بالبطحاء. وبين يديه عنزة ـ الظُّهر ركعتين والعصر ركعتين يمرُّ بين يديهِ المرأةُ والحمارُ. (أي أن المرأة والحمار لم يعودوا يقطعان الصلاة إذا وضع المصلي العنزة أمامه).

ولأهمية الموضوع نجد الحديث نفسه في الباب (٩٣).. باب الصلاة إلى العنزة.

ـ الحديث رقم (٤٩٩) من صحيح البخاري: حدثنا عون بن أبي جُحيفة قال: سمعت أبي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتي بوضوء فتوضأ فصلى بنا الظهر والعصر، وبين يديه عنزة والمرأة والحمار يمرّون من ورائها.

وفي باب الصلاة إلى السرير، نجد الحديث التالي:

ـ الحديث رقم (٥٠٨) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت: أَعَدَلتمونا بالكلب والحمار؟ لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجيء النبي ﷺ فيتوسط السرير فيصلي، فَأَكرَهُ أن أُسَنِّحَهُ، فأنسل من قِبَلِ رجلَي السرير حتى أنسلَّ من لحافي.

وفي باب استقبال الرَّجُلُ الرَّجلَ وهو يصلي الحديث التالي:

ـ الحديث رقم (٥١١) من صحيح البخاري: عن مسروق عن عائشة أنه ذُكرَ عندَها مايقطع الصلاة فقالوا: يقطعها الكلب والحمار والمرأة، قالت: لقد جعلتمونا كلاباً، لقد رأيت النبي ﷺ يصلي وإني لبينه وبين القبلة وأنا مضطجعة على السرير. فتكون لي الحاجة فأكره أن أستقبله فأنسل انسلالاً.

وفي الحديث رقم (٥١٧) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن شداد قال: أخبرتني خالتي ميمونة بنت الحارث. قالت: كان فراشي حيال مصلى النبي ﷺ فربما وقع ثوبه علي وأنا على فراشي.

وفي باب: هل يغمز الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد؟

الحديث رقم (٥١٩) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار لقد رأيتني ورسول الله يصلي وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة، فإذا أراد أن يسجد غمز رجليّ فقبضتهما».

وهكذا فوجئت أن لا أجد ذكراً للصلاة في بيوت رسول الله وعند كل زوجاته فلم أجد ذكراً لصلاة نساء الرسول خلفه أبداً ولا حتى ذكراً لصلاتهن وحدهن في أكثر من مائة باب من أبواب الصلاة.

لنعد الآن إلى آيات الرحمن بعد أن تفقدنا آيات السلطان.

﴿يامريم اقنتي لربّك واسجُدي واركَعي مع الراكعين﴾ ٤٣ - آل عمران.

في كل الآيات التي فيها النداء من الله بـ: (يا أيها الذين آمنوا) هذا النداء موجه في نفس اللحظة لكل الناس ذكوراً وإناثاً دون أي فرق في إسلام القرآن:

﴿يا أيها الذين آمنوا اركَعوا واسجُدوا واعبُدوا ربّكم﴾ ٧٧ - الحج.

وحتى نعلم أن الموضوع ليس فيه تفريق بين رجال ونساء يقول تعالى أحياناً للتذكير:

﴿عسى ربّه إن طلقَكُنّ أن يبدلَه أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً﴾ ٥ - التحريم.

﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونساء مؤمناتٌ﴾ ٢٥ - الفتح.

﴿فاستجابَ لهم ربُّهم إني لاأضيع عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى﴾ ١٩٥ - آل عمران.

﴿ومن يعمل الصالحاتِ من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة﴾

﴿ومن عَمِلَ عملاً صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنُحيينّه حياةً طيبة﴾ ٩٧ - النحل.

﴿ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾ ٤٠ - غافر.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمَكُم عندَ الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبير﴾ ١٣ - الحجرات.

وهكذا نعود إلى فهم الحق والحقيقة في آيات الرحمن التي في القرآن الكريم بعد تلك الجولة في أغلب الأحاديث المنسوبة ظلماً وافتراء للرسول الكريم محمد ﷺ. وإذا عدنا مرةً أخرى للأحاديث نجد ذلك الحق مختفياً وماذا نجد كمثال من تلك الأحاديث في صحيح البخاري.

الحديث رقم (٦٥٤٦) من صحيح البخاري: عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال:

«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

وفي الحديث رقم (٦٥٤٧) من صحيح البخاري: عن أسامة عن النبي ﷺ قال:

«قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أنَّ أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقُمتُ على باب النار فإذا عامّة من دخلها النساء».

وهكذا هو السلطان لم يكن راضياً عن النساء المحجوزات بالآلاف في قصوره، لا هو استطاع أن يرضيهن ولا هنّ كنّ راضيات عنه أبداً.

لقد تكلمت سابقاً عن نساء الرسول وفوجئت كما قلت أني لم أجد ذكراً لهن في الصلاة. والآن ألا تستغربون ألا نجد في كل صحيح البخاري حديثاً واحداً يقول فيه الرسول: لنساء المؤمنين، صلوا خلفي؟ أو أن يذكر كلمة واحدة عن صلاة المؤمنات من النساء؟ أليس ذلك عجيباً؟ والآن لنعد إلى دين الرحمن ونتفقد القرآن في آيات الصلاة ماذا نجد:

نجد في كل الآيات التالية أن رب العالمين يخاطب المؤمنين (نساء ورجالاً، دون تفريق في سبعٍ وستين آية وهو يخاطب المؤمنين في مثل الآيات التالية:

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصّبرِ والصّلاةِ﴾ ١٥٣ ـ البقرة.

﴿إن الصلاةَ كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ ١٠٣ ـ البقرة.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتُم إلى الصلاةِ فاغسلُوا وجوهَكُم﴾ ٦ ـ المائدة.

﴿من آمنَ بالله واليومِ الآخر وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ﴾ ١٨ ـ التوبة.

﴿قل لِعباديَ الذين آمنوا يُقيموا الصلاةَ﴾ ٣١ ـ إبراهيم.

﴿واذكُر في الكتابِ إسماعيلَ إنّه كان صادقَ الوعدِ وكانَ رسولاً نبياً * وكان يأمرُ أهلَه بالصلاةِ والزكاةِ وكان عند ربّه رضيّاً﴾ ٥٤ ـ ٥٥ ـ مريم.

والله تعالى يقول لرسوله الكريم محمد ﷺ:

﴿وأمُر أهلَكَ بالصلاةِ واصطَبِر عليها﴾ ١٣٢ ـ طه.

ولا نجد له أمراً واحداً في كل الأحاديث التي لدينا بالآلاف.

هذا دليل آخر على أن هذه الأحاديث ليست أحاديثه هو أبداً.

والله تعالى أحياناً خاطب النساء وحدهن دون الرجال وقال مخاطباً نساء النبي مع أن

السلطان لم يذكر لهنّ صلاةً أو صياماً أبداً في دين السلطان:

﴿وقرنَ في بيوتِكُنّ ولا تبرّجن تبرّجَ الجاهليةِ الأولى وأقِمنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاةَ وأطعنَ الله ورسولَه إنّما يريدُ الله ليذهِبَ عنكم الرّجسَ أهلَ البيت ويُطهركم تطهيراً﴾ ٣٣ - الأحزاب.

وكما طلب منهن تلاوة القرآن الكريم:

﴿واذكرنَ مايُتلى في بيوتِكُن من آياتِ الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ ٣٤ - الأحزاب.

﴿إن المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمينَ والصائماتِ والحافظينَ فروجَهم والحافظاتَ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أَعدَّ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ ٣٥ - الأحزاب.

هل وجدتم أي تمييز بين الرجال والنساء في دين الرحمن؟

الفصل الثامن عشر

أحاديث لا معنى لها ولا مغزى «منسوبة للرسول ﷺ ظلماً وبهتاناً»

١ ـ الحديث رقم (٦٦٣٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلّهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله» فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل.

وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين

وهذا الحديث مستوحى من التوراة التي تذكر نساء كثيرات للنبي سليمان:

(وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات. فضلاً عن ابنة فرعون، فتزوج نساء مؤابيات، وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلاً لهم: لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم) ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن. فكانت له سبع مئة زوجة، وثلاث مئة محظية، فانحرفن بقلبه عن الرب فاستطعن في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى، فلم يكن قلبه مستقيماً مع الرب إلهه كقلب داوود أبيه، ومالبث أن عبد عشتاروت آلهة الصيدونيين.. وارتكب الشر في عيني الرب)(*).

٢ ـ الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال:

«كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلاً».

فما هي السنة الشريفة التي يريد أن يعلمنا بها جندي السلطان الذي يتحفنا بهذا الحديث الشريف؟.

(*) التوراة ـ سفر الملوك الأول ـ الإصحاح الحادي عشر ـ الفقرات ١ ـ ٦.

إن المغرضين والحاقدين معهم كانوا يحبون أن يجعلوا من الرسول الكريم وسيلة للتندر والتفكه والتسلية للناس دون أي احتشام. ولم يتركوا حتى أمهات المؤمنين من شرهم وسمومهم كما رأينا قبل قليل. فكما أن جنود السلطان عند أهل الكتاب اختلقوا روايات حول النبي سليمان وجعلوه رمزاً للفحولة والقوة الجنسية يطوف على تسعين امرأة في الليلة الواحدة. كذلك ألّف جنود السلطان عندنا روايات كثيرة عن الرسول ﷺ اكتفيت منها بنموذج واحد يكفي ويزيد لإعطاء فكرة عن عدم احتشامهم وعدم احترامهم لحرمة الرسول ﷺ.

٣ ـ ماهي الغاية وماهو الهدف الذي نرجوه من تعليم المسلم الحديث التالي:

الحديث رقم (١٢٠٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نادت امرأة ابنها وهو في صومعته قالت: ياجُرَيجُ. قال: اللهم أمي وصلاتي. قالت: ياجريج، قال: اللهم أمي وصلاتي. قالت: ياجريج. قال: اللهم أمي وصلاتي. قالت: اللهم لا يموت جُريج حتى ينظر في وجه المياميس (أي دعت عليه بأن يرتكب ابنها الزنى وهي من الكبائر مع المومسات) وكانت تأوي إلى صومته راعية.. ترعى الغنم، فولدت، فقيل لها: ممن هذا الولد؟ قالت: من جُريج نزل من صومعته. قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟ قال: يابابُوس. من أبوكَ؟ قال: راعي الغنم»؟.

(أي أن جريج بما أنه قد أصبح ولياً من أولياء الله من كثرة صلاته مع أنه نسي أُمّه فإن الله قد أظهر على يديه معجزة جديدة فأنطق المولود الصغير للراعية وقال الحقيقة ليبرىء جريج من التهمة) فما هو مغزى هذ الحديث المنقول بالحرف من كتب أهل الكتاب للإسلام؟ الهدف أن يعلمونا تعاليم جديدة عكس التعاليم الموجودة في القرآن.

وفي باب الاستلقاء ووضع الرجل على الأخرى (سنة جديدة في دين الإسلام) تحت هذا الباب نجد الحديث التالي:

٤ ـ الحديث رقم (٥٩٦٩) من صحيح البخاري: عن عباد بن تميم: عن عمه أنه أبصر النبي ﷺ يضطجع في المسجد رافعاً إحدى رجليه على الأخرى.

٥ ـ الحديث رقم (٥٩١١) من صحيح البخاري: عن أنس أو جابر بن عبد الله. (أي أن الراوي غير واثق) وكان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين لم أر بعده شبيهاً له؟.

لماذا هذا الوصف المنفّر والمشوّه للرسول الكريم؟ وماهي الفائدة التي يرجوها المسلم أساساً لمعرفة حجم كفي النبي ﷺ وحجم قدميه؟ وما علاقة ذلك بمنهج الإسلام؟

٦ ـ الحديث رقم (٥٣٦٧) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيباً (أي أرملة أو مطلقة لها خبرة في الحياة وليست عذراء صغيرة السن حتى تستطيع أن تقوم بمهمة تربية البنات الأيتام التسعة).

فقال لي رسول الله ﷺ: «تزوجت ياجابر؟ فقلت: نعم. فقال بكراً أم ثيباً؟» قلت: بل ثيباً. قال:

«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك. وتضاحكها وتضاحكك؟».

ولايعقل بالمنطق أن يكون جواب رسول الله ﷺ هذا الجواب: لأنّ القرآن لايفرّق بين الثيبات والأبكار، بدليل الآية الموجهة أصلاً للرسول ﷺ:

﴿عسى ربّه إن طلقكُنّ أن يبدلَه أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيبّات وأبكاراً﴾ ٥ ـ التحريم.

بل إن الله سبحانه وضع الثيبات قبل الأبكار ليكون لهن التفضيل أولاً

وإذا عدنا لتاريخ السيرة ولزوجات الرسول ﷺ لوجدنا أنه تزوج كل زوجاته ابتداء بزوجته الأولى خديجة رضي الله عنها وكلّهن من الثيبات ماعدا واحدة فقط هي عائشة التي كانت من الأبكار. إذاً وبعد أن عرفنا ذلك لايمكن أن يقول الرسول ﷺ لصحابي يراه كل يوم عدة مرات في الصلاة والمجالس ويعرف وضعه العائلي تماماً ماورد في الحديث أو أن يثبط همته ويكرهه بزوجته بعد أن تزوج وانتهى الأمر فيقول له:

«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟!».

ولكن إذا بحثنا أكثر وقلنا لمصلحة من في النهاية وجود مثل هذه الأحاديث في دين الإسلام؟ فإن ذلك المفتاح السحري مفتاح المصلحة يكشف لنا السرّ الغامض في كل هذه الروايات، إنه السلطان وجنوده الذين لاعمل لهم إلا اللعب مع العذارى وفض البكارى فيجعلونها سنّة من سنن الإسلام التي يجب أن يقتدى بها، عندها نعلم سرّ كثرة الروايات لهذا الحديث بالذات، وبما أن هذا الموضوع كان هو الشغل الشاغل والهم الوحيد للسلطان وجنوده، فنجد تركيزاً هائلاً عليه في الإسلام، خاصة في إسلام ودين السلطان المعتمد على الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ.

في كتاب حادي الأرواح(*). قال الطبراني: عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: «أيجامع أهل الجنة؟ قال: دحّاً دحّاً ولكن لامنيّ ولامنيّة» أي لاإنزال ولا موت، وقال: أبو نعيم حدثنا... عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هل يمسّ أهل الجنة أزواجهم؟ قال: نعم. والذي بعثني بالحق بذكرٍ لايملّ وفرجٍ لايَحْفى وشهوةٍ لا تنقطع».

وقال الحسن بن سفيان عن... أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ:

هل ينكح أهل الجنة؟ قال: «إي والذي بعثني بالحق دَحْماً دَحْماً وأشار بيده، ولكن لامنيّ ولا منيّة».

وعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى:

﴿إن أصحابَ الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون﴾ ٥٥ - يس.

قال: شغلهم افتضاض العذارى.

حدّثنا إسحق بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث بن سعيد بن جبير قال: عن الرسول ﷺ:

«إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً ليجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه».

وكلام من هذا كثير في كتب التراث لعلماء الدين الإسلامي عندنا ويخجل اي منا أن يُقرِيء مما فيه لابنته العذراء. فكيف نسمي هذا ديناً ثم نتجرأ ونقول إن الرسول ﷺ هو الذي قاله ونعود فنؤكد أن كل هذه الأقاويل وحي من السماء ومصدرها جميعاً من الله سبحانه وتعالى وهي التي تشكل كتاب الحكمة ونصرٌ بعدها بالآية الكريمة:

﴿واذكُرنَ مايتلى في بيوتِكُنّ من آياتِ الله والحكمة﴾ ٣٤ - الأحزاب.

فيصر علماؤنا بالإجماع أن المقصود بهذه الآية هي آيات الله التي في القرآن، وآيات الحكمة التي نقرؤها الآن؟ هل تصلح هذه الآيات حتى تقرأ في بيوت النساء حيث يوجد نساؤنا وبناتنا وأعراضنا؟.

لو قلنا للمسلمين: إن كل ماقدمته من أمثلة في هذا الكتاب من الأحاديث النبوية حتى

(*) كتاب حاوي الأرواح لابن قيم الجوزية طبع دار الكتاب العربي ١٩٩٤ ص ٢٨٠.

الآن هو من دين آخر غير دين الإسلام لاستطاع عندها كل واحد منهم أن يعطي عنها رأياً سليماً، مقرراً أنها كلها بعيدة عن العقل، وكلها غير صحيحة، ولايعقل أن يقولها رسول كريم مرسل من ربه أبداً، لأنها كلها تناقض العقل والمنطق والأخلاق العامة، وقال في النهاية رأيه بأنها كلها مختلقة مفتراة ومحرّفة لأهداف وغايات يجهلها. ولكن بمجرد قولنا له: أنها من أحاديث الرسول محمد ﷺ يفقد فوراً هذا الميزان ويعود إلى عاطفته التي شكلتها في نفسه حالة العشق التي خلقها بنفسه، ظناً أن حبه لله والرسول يستوجب أن يصدق كل شيء عنهما دون أن يعلم أنه يرتكب بذلك أكبر حماقة بحق نفسه وبحق أمته وشعبه، يعود ضررها باستغفاله هو وأمثاله من قبل شياطين الإنس فيلغون دورهم كله في الحياة الدنيا ليصبحوا مجرد أرقام لا معنى لها، ويلغون دورهم الأساسي في الحياة الدنيا التي من أجلها خلقهم الله تعالى.

ومسلم اليوم يجب أن يدخل في وعيه هذا الموضوع وأن يتفهمه تماماً حتى يتخلص منه ويعلم لماذا استطاع في الحالة الأولى إعطاء رأي سليم وعجز في الحالة الثانية. ماهو السر في هذا العجز الجديد؟

السرّ كما قلت ناتج من الارتباط العاطفي وحالة العشق التي شرحتها، ويجب أن يعلم أن حالة العشق هذه تعمي بصيرة الإنسان وتحجب عنه الحقائق، لذلك تعارف الناس على وصفه بالحب الأعمى حيث يصل العاشق إلى مرحلة لايستطيع عندها رؤية أي عيوب مهما كانت لمحبوبه، وتولّدُ عنده حالة دفاع غريزية أقرب للكائنات الأخرى منها عن الإنسان الذي يتميز بالعقل. وقد يظن البعض أن حالة العشق هذه لايمكن أن تحصل إلاّ بين الذكور والإناث مثل عشق الحبيبين الذي نسميه عادة بالعاشقين. بل يمكن أن يكون المعشوق إنساناً أو إلهاً أو قبيلة أو أمةً أو وطناً.

وهذه الحالة تكون أكثر ماتكون عند المتدينين ونضيف عليهم صفة خاصة لتمييزهم (المتعصبين) والإنسان الذي يصل بفكرته مهما كانت إلى مرحلة التعصب لها يكون قد وصل إلى المرحلة التي لايستطيع تحكيم عقله ومنطقه مع تلك الفكرة أبداً.

ونفس الإنسان إذا ناقشته بمواضيع أخرى لاعلاقة لها بفكرته تلك تجده إنساناً عادياً مثل باقي الناس يتميز بالعقل والفكر والمنطق السليم، لكنك إذا عدت وفاجأته من جديد وطرحت فكرته التي قد تعصب لها تجده فوراً قد طرح عقله وفكره جانباً وعاد ليحمي فكرته المحبوبة بعاطفته وحدها، تماماً مثل الأم التي تحاول حماية أطفالها، والذي يدفع

الأم إلى ذلك ليس عقلها وإنما غريزتها الأنثوية وعاطفتها نحو أولادها، والأم في ذلك لاتستخدم عقلها أبداً. كثير من الأمهات في حالات الولادات المستعصية سُئلن من قبل أطبائهن، بالخيار بين التضحية بحياتها عندها يمكن إنقاذ الطفل أو أن تضحي بالطفل من أجل إنقاذ حياتها. أغلب الأمهات يخترن حياة الطفل على حياتهن. لماذا؟ لأنه هكذا خلق الله الأمهات.

والإنسان عن طريق الوعي والعلم يمكن أن يدخل هذا الموضوع تحت إدراكه الفكري، عندها يستطيع مناقشة الموضوع ذاتياً فيكتشف حالات الخطأ التي وقع فيها سابقاً نتيجة تعصبه السابق لفكرة ما. فكل أنواع التعصب تشد الإنسان إلى حالة فقدان البصيرة هذه وتلك من أخطر الحالات على الإنسان وعلى حياته ومصيره، لأن حالة التعصب هذه تفقده إنسانيته بالكامل ويتحول إلى مخلوق ذي شكل آدمي دون أن يكون له أي شيء من ميزات الإنسان من عقل وفكر ومنطق أبداً. وأخطر أنواع التعصب هو الذي يأخذ الطابع العقائدي الذي تعارف عليه الناس بالتعصب الديني أو السياسي أو الحزبي.

وهي من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الإنسان بحق نفسه بالسماح لها بالوقوع فيها. ورجال الدين لكل الأديان التي في الأرض هم المسؤولون تقريباً عن هذا المرض الذي يصيب الشباب في العالم كله. وسببه ضعف كل أديان الأرض الحالية من الناحية الفكرية وعدم قدرتها على الصمود أمام منطق العقل لأن كل أديان الأرض الحالية هي دون استثناء أديان باطلة، حرفت كلها لاستغلال الناس لمصلحة من بيده السلطة والمال. والله قد وضع قانوناً مثل قانون دافعة أرخميدس في الفيزياء لكشف هذه الحقيقة لكل الناس:

﴿بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ ١٨ ـ الأنبياء.

لأن الإنسان قد أخذ من الله تعالى صفة غير موجودة في باقي المخلوقات، وذلك عندما نفخ في آدم الذي اصطفاه ربنا من باقي بني البشر ليخلق منه الإنسان الأول المتميز بالفكر والعقل وباقي ملحقاتهما من منطق وكلام وكتابة وقراءة وقدرة على التذكر والتعلم. فعقل هذا الإنسان يدمغ كل أفكار تلك الأديان وتختفي من أمامه لأنها وهم وباطل.

رجال الدين يعرفون تماماً أن كل أفكارهم الدينية لاتصمد أمام الحق وأمام السلاح الذي

بيد الإنسان من الله وهو عقله ومنطقه، لذلك نجد إجماعاً من كل أغلب رجال الدين في مختلف أديان الأرض فيقولون لتلاميذهم كلاماً موحداً تقريباً مؤداه أن الإيمان بالقلب وليس بالعقل، لذلك إذا كنت تريد أن تؤمن لاتسأل ولا تجادل ولا تناقش، فقط نريد منك الحب أي العاطفة المجردة فيقع المريد في المصيدة لأنه أكل الطعم وصدق ماقيل له، ومع مرور الوقت يخلق منه الأستاذ أو الموجّه الديني إنساناً متعصباً لأفكار ليس له القدرة على مناقشتها أبداً، وهذا من أخطر الأمور، فقد شوهوا هذا الإنسان الذي كان سوياً من قبل.

والذي يقع فيه صعب الشفاء، لأنه يصاب بتحجر لفكره، فلا يمكن بعدها لأساليب العقل والمنطق أن تؤثر عليه كثيراً أو قليلاً، لكن المفكرين في الأمة إذا أدركوا هذا الموضوع وقدروا خطورته يمكن حماية النشء من الأجيال الصاعدة بغرس أهمية العقل والفكر في الإنسان وأن الإنسان يجب ألا يقبل بأي شيء يرفضه العقل والمنطق الإنساني أصلاً، يجب تشجيع الشباب على المناقشات الفكرية، وطالما نتكلم عن كتاب الله فإن القرآن هو الكتاب الوحيد في العالم الذي يأمر أن تكون العقيدة بالعقل والمنطق الإنساني ويدعو إليها، وسبب عدم استثنائي للإسلام بين الأديان هو علمي أن الإسلام المطبق حالياً لايختلف عن باقي أديان الأرض الأخرى بشيء أبداً، لكن القرآن الذي هو رسالة الإسلام الحقيقية صُمِّمَ أصلاً للعقل، والله سبحانه قد جعله دين الحق الذي لايمكن لمن يفهمه أن يقع في مصيدة أي دجال أو شيطان من شياطين الإنس والجن، لذلك قال الله تعالى عنه مخاطباً الشيطان:

﴿إنّ عبادي ليسَ لك عليهم سلطان﴾ ٤٢ ـ الحجر.

وهذه حقيقة، لأن عباد الله الحقيقيون ليسوا هم الذين أحبوه، ولكن هم الذين عرفوه بعقولهم وتعرفوا عليه قبل أن يبدؤوا علاقة الحب معه سبحانه.

أما الذي يبدأ العلاقة بالحب المجرد عن العقل يكون صاحبها قد ارتكب أكبر غلطة بحق نفسه أولاً وبحق محبوبه ثانياً، فيصبح الموضوع كله مبنياً من الأساس على أوهام وخيالات أوجدت أصلاً لإضلال الناس إذا كان الموضوع دينياً، فيسيّره الموجهون ويستغلونه وهو لايعلم.

أما إذا حصرنا الموضوع بالحب والعشق الإنساني بين حبيبين مثلاً: رجل وامرأة فكل أنواع هذا العشق لاتثمر أبداً، وكما أنها لايمكن أن تستمر تحت ظروف علاقة طبيعية

بين زوج وزوجة، وبكلمة مختصرة: فإن قيس وليلى أو روميو وجوليت لو حدث وتزوجوا لانتهى هذا العشق إلى فشل ذريع، لأنه مبني من أساسه على الأوهام، والزواج واقع حقيقي ليس فيه أوهام وهذان لايجتمعان أبداً. لذلك نجد الحق في هذا الموضوع هو الزواج وجمع الجسدين بشرع الله في فراش واحد، فالحق هذا يُزهقُ الباطل الذي كان موضوع العشق والغرام الرومانسي، فيزول ويزهق فوراً ويختفي أمام قوة ونور الواقع ويبقى الحب الحقيقي فقط.

وأغلب أفكار ديننا الحالي المطبق طبعاً والذي أسميه في هذا الكتاب بدين السلطان حتماً ليست بدين الله الموجود في القرآن الكريم. فما هي مصادر ديننا المطبق إذاً؟

إنها كتب أهل الكتاب التي وضعها خبراء متخصصون من أجل جعلها ديناً للناس لتحقيق أهداف وغايات ومصلحة الطبقة الغنية المتنفذة في الأمة متمثلاً في شخص السلطان الذي يصبح الإله المعبود على الأرض تحت غطاء الدين واسم الله والرسول دون أن يكون لله والرسول والدين أية علاقة حقيقية في الأمر كله أي مجرد اسم قد جُرِّد من المعنى تماماً. الله سبحانه جعل الإنسان بعد أن كرمه، حراً بإرادته وتفكيره واختياره، وقَدَّسَ له هذه الحرية ولم يعد يتدخل فيها، بل جعل مشيئة الإنسان في الاختيار قبل مشيئة الله تعالى وذلك بمشيئةٍ سابقةٍ منه سبحانه.

السلطان لم تعجبه فكرة حرية الإنسان هذه، فاستطاع عن طريق مساعديه من جنود السلطان المتخصصين أن يسحبوا تلك الحرية ليس بالقوة، بل عن طريق إقناعه بأحاديث مفتراة على الله والرسول، وأقنعوه بالتدريج أن كل مايحصل معه مكتوب عليه ومقدّر سلفاً، ولا جدوى من المكابرة والتحدي والسعي والعمل فلا بد من التسليم، وعندما سلّم واستسلم قالوا له، لقد نجحت في الامتحان فأنت المسلم المطلوب وإنك ستدخل الجنَّة فوراً ولكن ليس جنة الدنيا فتلك لانصيب لك فيها، بل الجنة التي لايؤمن بها السلطان وجنوده أجمعين. والجنود هنا كما تلاحظون يمثلون الملأ من الأمة. وهكذا استسلم المسلم وقبل أن يعود فرداً من القطيع السلطاني ولفترة قياسية لها ألف وأربعمائة عام، هو مايزال ضمن القطيع نفسه، ولسوف يبقى فيه إلى ماشاء الله إلى أن يصحو لنفسه ويُخرجَ نفسه كما أدخلها هناكَ أول مرة بنفسه أيضاً.

وإذا عدنا للإنجيل مثلاً: لوجدنا الوصية العظمى في دين المسيحية تقول:

«أحب الربّ إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك!» «هذه هي الوصية العظمى

والثانية مثلها: «أحب قريبك كنفسك!»(*).

وكلاهما كما رأيتم يعتمد على الحب وحده والعاطفة دون اعتماد العقل، والوصية العظمى هذه تؤدي إلى العصبية الدينية دائماً وفي كل الأديان. وتلك هي الفكرة الأولى.

والفكرة الثانية تؤدي إلى العصبية القبلية أو القومية أو العنصرية. وكلها عصبيات لعدم وجود العقل فيها أبداً. لذلك كلها قنابل متفجرة لايمكن أن تؤدي لسلام على الأرض؛ بل لحروب وسفك دماء فقط، تماماً كما نرى منها الآن كل يوم.

لذلك أهل الإنجيل يقولون:

لن تستطيعوا أن تفهموا الله بعقولكم ولكنكم تستطيعون فقط أن تحبوه بقلوبكم فأدخل جنود السلاطين عندنا هذه الفكرة التي من أهل الكتاب أصلاً إلى عقيدة أهل السنة التي كانت في الأصل معتمدة على دين العقل والقرآن وحده، وفهم الدين كان يعتمد على العقل وحرية الاختيار بالمنطق والمناقشة، فنسخوا كل آيات القرآن ووضعوا بدلاً عنها نقيضها كما رأيتم بأنفسكم في هذا الكتاب، وكل ذلك حصل ظلماً وافتراءً لمصلحة أصحاب المال والقوة والنفوذ بزعامة سلطان المسلمين وصارت مكتتباتهم شرعاً وديناً جديداً لكل المسلمين من أهل السنة، وأنا فردٌ منهم وخروجي عنهم وحدي لن يغير الموقف كثيراً أو قليلاً:

﴿فويلٌ للذينَ يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثمّ يقولونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

لذلك فأنا أدعو المسلمين الذين وقعوا في حالة العشق هذه في دينهم أن يكتشفوا هذه الحالة بأنفسهم أولاً، ومن أعراضها أنهم لايستطيعون تحكيم العقل في أمور الإيمان كله. يجب أن يعلم المسلم أن الشك هو مفتاح كل الحقائق، والثقة العمياء هي مفتاح كل غفله ليصبح بعدها من كبار المُغفّلين. وليس في كل الدين مالايمكن مناقشته بالعقل والمنطق إذا اعتبرنا الدين هو إسلام الرحمن الموجود كله محفوظاً في القرآن الكريم، فكله عقل ومنطق، ومن يستطيع أن يستعيد هذه الحقيقة في حياته من جديد ويتمسك بكتاب الله وحده مع نبذ كل الكتب الأخرى حتى كتب التفاسير للقرآن الكريم، عندها يتحرَّرُ عقله من سجنه من جديد ويعود مسلماً حرّاً إلى الحياة فاعلاً فعّالاً ويعمل

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ٣٧ ـ ٣٩.

عملاً صالحاً وهو يشعر بعزّته وكرامته ووجوده بدل أن يكون مذلولاً بوجوده الشكليّ على الأرض دون أن يكون له تواجد فعلي. كما هو اليوم.

والمسلم يجب أن يعلم أن كل الأحاديث النبوية الشريفة التي عشقها وهو يسمعها من شيخه ومن جدّه وهو صغير وترسخت في نفسه على أنها أقوال الرسول محمد النبي العظيم والرسول الكريم لأمة المسلمين والذي يحبه حباً عظيماً أن رسوله الكريم لم يقل أبداً كل تلك الافتراءات.

وها أنا أقدم لك نماذج عنها حتى تؤمن أنها لايمكن أن تصدر عن رسول عظيم أبداً بل كلها مجرد أكاذيب ومفتريات دفع ثمنها سلاطين المسلمين آلاف الدنانير من تعب المسلمين وعرقهم من الذين سبقونا من أجدادنا وآبائنا الأولين، من أجل أن يجعلوها ديناً وشرعاً وسُنَّةً بدل دين الله وشرعِه وسُنَّتِهِ الموجودة في القرآن وقد برهنت لك كل ذلك بالبراهين والأدلة في هذا الكتاب، حتى لاتظن أني أيضاً مجرد واهم لايعرف ماذا يقول: والسرّ في كل ذلك في المصلحة التي تسعى لها الطبقة المتنفذة لأن دين الله فيه مصلحة الأمة كلها، جاعلاً مصلحة السلطان من مصلحة أمته ودين السلطان يتعارض مع ذلك، لأن السلطان لايريد مصلحة الأمة وإنما يريد مصلحته الشخصية كما يراها ببصيرته القصيرة فاختار أن يتمتع بمتع الدنيا كلها متناسياً مصلحة أمته، بل حولهم جميعاً إلى قطيع ليستغلهم ويستفيد منهم دون أن يفيدهم بشيء أبداً. إلا بجعلهم من المشركين بالله فأخسرهم الآخرة أيضاً.

لذلك يجب أن نعلم علم اليقين أن كل الأحاديث التي تروى في المساجد من قبل الأئمة لم توجد بالمصادفة وكما لم يبتعد الناس عن دين الله الذي في القرآن بالمصادفةوكما لم يتحول القرآن إلى كتاب يقرأ فقط على الأموات بالمصادفة؛ بل كان وراء كل مانراه من حولنا مُدَبِّرٌ من شياطين الإنس الماكرين، الذين يعلمون مايفعلون ومايمكرون ومايحرفون، إنهم علماء السوء وهم أصل البلاء.

والآن وبعد هذه الشطحة الفكرية لنعد إلى نماذج الأحاديث التي نستعرضها معاً في الكتاب:

باب قبالان في نعل ومن رأى قبالاً واحداً واسعاً.

٧ ـ الحديث رقم (٥٨٥٧) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه:

«أن نعل النبي ﷺ كان لها قبالان». والمسلم لايكتمل إيمانه إلا إذا علم شكل حذاء ونعل الرسول الكريم.

٨ ـ باب الارتداف على الدابة:

الحديث رقم (٥٩٦٤): عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على إكافٍ عليه قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وأردف أسامة وراءه (وهذا خبر خطير).

٩ ـ الحديث رقم (٥٩٦٦) حدثنا أيوب قال: ذُكِرَ الأَشَرُّ الثلاثة عند عكرمة فقال: قال ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ. وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه. فأيهم شر أو أيهم خير؟

(وقثم والفضل أولاد العباس بن عبد المطلب) (والحديث كله من أجل ذكر أولاد العباس بحديث شريف).

١٠ ـ الحديث رقم (٦٣١١) من صحيح البخاري: عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت. فإن متَّ متَّ على الفطرة واجعلهن آخر ماتقول فقلت استذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت؟ قال: «لا ونبيك الذي أرسلت؟» (لاحظوا أول راوٍ عنه بدأبتغيير النص قبل أن يغادره) وماذا إذا كان المسلم لم يدرس فقه اللغة في إحدى مدارس الدين بل كان مسلماً عادياً؟ وكيف يصبح شكل الحديث بعد أن يتناقله سبعة أجيال متعاقبة وفي فترة تزيد عن قرنين من الزمان؟

١١ـ الحديث رقم (٢٣٢٤) عن صحيح مسلم: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها. فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها وسيلة من وسائل التبريك.

١٢ ـ الحديث رقم (٧٧) في صحيح البخاري (المذكور في الصحيح ستّ مرات تحت الأرقام ١٨٩ ـ ٨٣٩ وتحت الرقم ١١٨٥ ، و٦٣٥٤ و٦٤٢٢ من صحيح البخاري لأهمية الحديث) عن محمود بن الربيع قال: عقلت من النبي ﷺ مجَّةً مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دَلوٍ، (أي أن الرسول ﷺ بصق مافي فمه من ماء تمضمض به في وجه الصبي) وانتهى الحديث الهام.

١٣ ـ الحديث رقم (١١٦) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا

النبي ﷺ العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال:

«أرأيتم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

وسبب تأليف هذا الحديث وأمثاله هو اعتقاد الرواة والمحدثين بعد قراءة الآية القرآنية باقتراب الساعة في الآية:

﴿اقتربت الساعةُ وانشقّ القمر﴾ فظنوا أن الساعة لايمكن أن تتأخر عن مائة سنة، وقالوا: إنه بعد مئة سنة من وفاة الرسول ﷺ لن يبقى على سطح الأرض أحد. وألّفوا أحاديث شريفة باسم الرسول.

والناس الذين عاشوا أكثر من مائة من السنين بعد وفاة الرسول عادوا فأولوا الحديث وقالوا: كان الرسول ﷺ يقصد بأنه لن يعيش مما كان على سطح الأرض أو ولد قبل أن يقول الرسول حديثه أكثر من مائة سنة.

ونقول لهؤلاء: المعجزة يجب أن تكون تحدياً، فإذا كان هذا الحديث معجزة كما تدعون وهي علامة من علامات النبوة، فكيف يمكن الإثبات للناس أنه لم يعش أحد على الأرض في الصين أو في أمريكا الشمالية التي لم تكن مكتشفة بعد أو في بلاد القوقاز حيث يعيش المعمّرين لأكثر من مائة وخمسين عاماً؟.

ببساطة ليس من أي وسيلة للإثبات أبداً.

١٤ ـ الحديث رقم (١٧٤) من صحيح البخاري: عن حمزة بن عبد الله عن أبيه قال: كانت الكلاب تقبل وتدبر في المسجد في زمان رسول لله ﷺ فلم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك (هل يريد المحدث أن يقول بأن الرسول ﷺ كان لايفرّق بين الطهارة والنجاسة).

١٥ ـ الحديث رقم (٥٨٩٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ:

«إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم».

أي إنهم لايصبغون الشعر الشائب بل يتركونه على حاله. فإذا كانت السنة هي المخالفة فإن رجال الدين عندهم يطلقون اللحى ويحفّون الشوارب خاصة اليهود منهم فلماذا نقلدهم في هذه؟.

١٦ ـ الحديث رقم (٦٣٠٦) من صحيح البخاري: عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأناعبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت، أعوذ بك من شرّ ماصنعت، أبوء لك بنعمتك علي ، أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت». قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

وماذا إذا كان الذي قالها بلسانه مشركاً بالله أو مرتكباً للكبائر فيقول الله عنه في آيات القرآن: إنه لن يدخل الجنة أبداً إذا كان مشركاً. أو حتى ينال جزاءه العادل في جهنم إذا ارتكب باقي الكبائر. فهل هذا الحديث قد ألغى كل آيات القرآن الكريم ونسخها؟

وهذا الحديث مروي من قبل ستة من الرواة قبل البخاري، وكل راوٍ يروي عن جيل أجداده حتى صار عمر الحديث (٢٥٠سنة) عندما وصل للشيخ البخاري هذا النص أخيراً.

فإذا قمنا بتجربة وأحضرنا ستة من طلاب المدارس من أحسن الحفظة فيهم للاختبار ثم فصلناهم عن بعضهم ثم قرأنا على الأول نص الحديث لمرة واحدة وقلنا له: مطلوب منك أن تذهب للغرفة المجاورة حيث ستجد طالباً آخر فتقرأعليه ماعلق في ذهنك، وتطلب منه أن يفعل مثلك مع الطالب الموجود في الغرفة الأخرى المجاورة وهكذا حتى يأتي القائم بالتجربة فيعود ليكتب ماعلق في ذهن الطالب السادس فهل تعتقدون أنها سوف تبقى كاملة كما هو نص الحديث عندنا الآن، ويدل نصه أن الذي ألفه شخصياً هو الذي أكتبَها للبخاري مباشرة. إن أسماء الصحابة كلهم الذين حضروا معركة بدر الكبرى وعددهم ٣١٨ صحابياً مذكورون في السيرة فيكفي أن ينتقي اسماً منها ليسند إليه الحديث الذي ألفه منذ لحظات، ثم يأتي لنصوص الأحاديث الأخرى في كتب الحديث فيأخذ الأسماء الخمسة من أحد الأحاديث، فيصبح الحديث صحيح الإسناد لاغبار عليه، لأن كل الأسماء المذكورة أسماء صحيحة، وقد تأكد العلماء أنهم قد رووا عن بعض سابقاً.

إن الذين يزورون العاديات القديمة يحاولون التجربة بأساليب فنية حتى تبدو مصنوعاتهم الحديثة قديمة جداً. ومحدثنا كان قليل الخبرة فلم يلجأ لأسلوب التمويه هذا أصلاً علماً أن كثيرين من المؤلفين المتمرسين كانوا لاينسون هذا الوضوع أبداً.

١٧ ـ الحديث رقم (٥٩٩٦) من صحيح البخاري: عن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامةُ بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وَضَعَ، وإذا رَفَعَ رفَعَها. (وماذا يفعل الرسول ﷺ إذا سجد؟).

هل يمكن للرسول ﷺ أن يضع نفسه في هذا الموقف، وهو يقف أمام الله سبحانه ليؤدي فريضة من فرائض الإسلام وهو يقف إماماً للمسلمين في المسجد؟.

١٨ ـ الحديث رقم (٦٢٢٣) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب. فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان. فليرده ما استطاع فإذا قال: (ها) ضحك منه الشيطان».

إن الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان وفيه الإمكانية للعطاس ولها أسبابها، وإمكانية التثاؤب ولها أسبابها، وهي موجودة في باقي مخلوقاته أيضاً، «العطاس والتثاؤب»، وما دخل الشيطان في خلق الله سبحانه وتعالى؟. وليس هذا بأسلوب جيد لتعليم آداب السلوك للإنسان.

١٩ ـ الحديث رقم (٥٨٥٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ليُحفِهما جميعاً أو لينعَلهُما»

(أي لا يمشي بفردة حذاء واحدة، إما أن يلبس الزوج أو يمشي حافياً).

وهل هذا الموضوع يحتاج إلى وحي من السماء ليتلى على الناس في كتاب مبين؟

٢٠ ـ الحديث رقم (٥٦٠٩) من صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شرب لبناً فمضمض وقال: «إنَّ لهُ دسماً» (وهل هذا وحي من السماء أيضاً ومن آيات الكتاب والحكمة؟)

٢١ ـ الحديث رقم (٥٥١٧) من صحيح البخاري: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجاً. (وهل قال أحداً أن الدجاج محرم في الإسلم؟)

٢٢ـ وفي باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل. رقم (٥٣).

الحديث رقم (٥٤٥٦) من صحيح البخاري: عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

«إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يلعَقَها أو يُلعِقَها».

(أي إما أن يمصّها ويلعقها هو بنفسه أو ينوب عنه من يمصُّها ويلعقها له).

٢٣ ـ الحديث رقم (٤٦١٥) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟ رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا:

ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيباتِ ما أحلَّ الله لكم﴾ ٨٧ ـ المائدة.

إن صاحبنا القديم عبد الله؟ الذي لم يشأ أن يعرّفنا على اسمه الأصلي وهو دائماً يكتفي باسمه الحركي يريد أن يبيعنا فكرة مرفوضة أساساً وهي: أن الرجال الذين كانوا مع الرسول في غزوة إن طالت سوف تدوم شهراً أو شهرين وغزوات الرسول لم تطل أكثر من ذلك أبداً، فيعرضون على الرسول أن يختصوا فيصبحوا بعدها من الخصيان لمجرد أنهم لم يطيقوا البعاد عن النساء تلك الفترة. ولكن غايته طبعاً أخبث من ذلك، لأنه يريد أن يوجد زواج المتعة المحرّم في الإسلام أصلاً، فيذهب إلى امرأة ويدفع لها أي شيء، وفي مقابل ذلك يتمتع بها حتى تنتهي الغزوة، ويعود بعدها إلى زوجاته من دون أن يختصي. ويستشهد لنا بآية من القرآن تتكلم عن موضوع آخر غير موضوع النساء أصلاً في سورة المائدة. لأن الآية التي بعدها تبين أن الموضوع كان يخص الطعام وليس الجنس. والآية تقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيباتِ ماأحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لايحب المعتدين *وكُلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيباً واتّقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ ٨٧ ـ ٨٨ ـ المائدة.

٢٤ ـ الحديث رقم (٣٧٨٤) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك عنه عن النبي ﷺ قال:

«آية الإيمان حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار».

(وهل هذه الآية وحي من الله دائم يجب أن يسير عليه المسلم الصيني والأوروبي والعربي إلى يوم الدين؟).

٢٥ ـ الحديث رقم (٢٤٧١) من صحيح البخاري: عن حذيفة رضي الله عنها قال:

«لقد رأيت رسول الله ﷺ، أو قال: لقد أتى النبي ﷺ سِبَاطَةَ قومٍ فبال قائماً»

(فهل هذا وحي من السماء وهو من دين القرآن وواجب تطبيقه على كل المؤمنين؟).

ومثله الحديث التالي: تحت باب لايمسك ذكره بيمينه إذا بال:

٢٦ ـ الحديث رقم (١٥٤) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي ﷺ قال:

«إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولايستنج بيمينه ولا يتنفس في الإناء».

٢٧ ـ وفي باب حك المخاط بالحصى من المسجد:

الحديث رقم (٤٠٨ ـ ٤٠٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله ﷺ رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاه فحكها فقال:

«إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى» وفي رواية أخرى: «إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه، فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه» الرواية رقم (٤١٣).

وفي الرواية رقم (٤١٧) من صحيح البخاري:

«ثم أخذ طرف ردائه فبصَقَ فيه وردَّ بعضَهُ على بعض».

هل هذه الأحاديث والآيات كلها وحي من السماء يجب تنفيذها على كل المؤمنين في الأرض إلى يوم الدين؟

ومثل هذه الأحاديث أكثر من أن تحصى في الصحيحين أكتفي هنا بذكر بعض النماذج من صحيح البخاري وحده على اعتبار أنه الأصل والأساس للأحاديث الصحيحة كلها بحسب اعتقاد أهل السنّة. وهناك أبواب كثيرة مثل:

باب (هل يَغْمِزُ الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد؟).

باب (عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً على الحمار).

باب (يرد المصلي من مرّ بين يديه «بالقوة») وإن اضطر قاتله.

باب (وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن).

باب (الثلاثة على الدابة).

باب (التلبيد) للشعر.

وكلها أحاديث وروايات لايمكن أن يكون الرسول ﷺ هو صاحبها أو قائلها، وإنما نسبت إليه ظلماً وجهلاً من جنود السلطان.

الفصل التاسع عشر

أساليب الاحتيال في شرع السلطان

بعد أن برهنت بالدليل الثابت وبالشواهد من القرآن الكريم على أن كل الشرع الذي نسميه الشرع الإسلامي يعتمد اعتماداً على مؤلفات جنود السلطان دون الاعتماد على آيات الله في كتاب القرآن الكريم إلا إسماً مع إبقاء الفعل والتنفيذ لمؤلفات جنود السلطان المشهود لهم بالثقة والاعتماد دائماً، ننتقل سوية إلي موضوع آخر.. وقد لفت النظر إليه الشيخ البخاري رحمه الله في صحيحه مخصصاً قسماً خاصاً سماه كتاب الحيل.

وقد أوضح كيف استغل فقهاء السلطان الحديث الذي أشرت إليه في بحث خاص من هذا الكتاب تحت عنوان (ثلاثة أحاديث موضوعة كانت الأساس في تغيير دين المسلمين) من دين الله الذي في القرآن إلى دين السلطان الموجود في أحاديث جنوده. وهو حديث:

«إنما الأعمال بالنيات وأن لكل أمرىء مانوى». وهو أول حديث يفتتح به كتاب الحيل لأنه حجر الزاوية بالنسبة لكل تلك الأحاديث المفتراة على الله والرسول. فوضعها لنا في أول جملة من كتابه حتى يدل من كان يريد أن يعرف أن ذلك الحديث كان المفتاح الذهبي لكل أبواب الاحتيال في دين السلطان التي فتحت كل تلك الأبواب على مصراعيها لجنود السلطان من أجل تأليف فقه دين السلطان. وقد أشار البخاري على جنود السلطان بعبارة (وقال بعضهم) حتى لايكون متهماً من قبل أحدٍ منهم أمام السلطان.

١ ـ وفي باب الحيلة في الزواج وفي نهاية حديثه رقم (٦٩٦٠) قال:

وقال بعض الناس: إن احتال (أحدهم) حتى تزوج على الشغار فهو جائز والشرط باطل. وقال بعضهم: المتعة والشغار جائز، والشرط باطل والشغار هو مايسميه أهل الريف في برّ الشام ـ بالبديلة ـ وهو أن يتزوج رجل بابنة رجل آخر، ويزوجه ابنته في مقابل دون

صداق (مهر) أو أخ يزوج أخته لرجل في مقابل ان يتزوج أخت الرجل دون صداق.

وهذا زواج مرفوض في إسلام القرآن لعدة أسباب أهمها:

أ ـ أن المهر والصداق من حق المرأة المتزوجة وليس من حق الأب أو الأخ للتمتع به ولفك أزمته الشخصية.

ب ـ هذا الأسلوب في الزواج لايراعي موافقة الابنة أو الأخت على رضائها وموافقتها بل ترغم عليه بالإكراه.

ج ـ يحدث كثيراً أن يطلق أحدهما زوجته لعدم إمكانية التفاهم مثلاً، فيذهب ويأخذ ابنته أو أخته من تحت الرجل الثاني تعسفاً دون النظر إلى تفاهمهما أو لوجود أولاد وأطفال مسبباً جرحاً دامياً في المجتمع بترك أطفال الزوجة السعيدة وأخذها من بيت الزوجية بالقوة دون اعتبار لإرادتها وسعادتها ورغبتها أو حقوقها الإلهية الممنوحة لها في القرآن ودون النظر إلى كل ذلك بالجملة وشرع السلطان يعتبر هذا العمل المخالف لشرع الله شرعاً نافذاً، وقد تعدينا بهذا الهدف ثلاثة حدود من حدود الله وليس حداً واحداً فقط.

وكذلك زواج المتعة حرام بنص من القرآن لايستطيع أن يبيحه الرسول أبداً. لذلك يعتبر زواج المتعة زنى ويدخل في باب الكبائر العشرة ولا يمكن اعتباره تحت باب الزواج أبداً.

وكانت مصلحة السلطان بإيجاد هذه البدعة في الإسلام أنه كان يرسل جنوده للقتال والغزو باسم الجهاد ونشر الإسلام والتبليغ للرسالة اسماً، وهو يسعى للغنائم والحصول على كنوز العالم فعلاً، وكان أغلب مقاتليه متزوجين وليس من السهل تبديلهم واستدعاؤهم فخرج له جنوده بأحاديث مفتراة عن الرسول بالسماح بزواج المتعة والإفتاء به إن الإسلام لايعالج أبداً نصف مشكلة، فإذا حل جنود السلطان نصف المشكلة بالسماح للمقاتلين في الجبهة بزواج المتعة المحرّم في الإسلام، فليقولوا لنا، كيف حلّوا مشكلة النساء اللاتي قد تغيب عنهنّ أزواجهنّ؟ ماذا يفعلن بأنفسهن؟

هل يتزوجن بزواج المتعة أيضاً؟

﴿ومن يتبدّل الكفرَ بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيلَ﴾ ١٠٨ ـ البقرة.

٢ ـ وقال بعض الناس في نهاية الحديث رقم (٦٩٦٨) من صحيح البخاري: باب النكاح للبكر. إن لم تستأذن البكر ولم تزوج. فاحتال رجل فأقام شاهدي زور أنه

تزوجها برضاها (وكلُّه كذب) فأثبت القاضي نكاحها (أمر واقع أي أن القاضي يأخذ بالثبوتيات ولا يسمع لرأي المخلوقة التي تصيح أنا لاأعرف هذا الرجل ولم أتزوجه أبداً ويزوجها للرجل رغم أنف المرأة).

والزوج يعلم أن الشهادة باطلة(وكلها زور وبهتان) فلا بأس أن يطأها، وهو تزويج صحيح. ثم نقول عن هذا كله إسلام ونحن مسلمين ياعباد الله: إن هذا هو الاغتصاب في عرف الأمم.

٣ ـ وقال بعض الناس: في نهاية الحديث رقم (٦٩٧٠) باب النكاح ـ للثيب ـ

«إن احتال إنسان بشاهدي زور على تزويج امرأة ثيب بأمرها فأثبت القاضي نكاحها إياه والزوج يعلم أنه لم يتزوجها قط فإنه يسعه هذا النكاح ولابأس بالمقام له معها»

(إنه اغتصاب علني يؤيده شرع السلطان علناً).

(وهي تحصل حتى الآن في محاكمنا الشرعية بأن ينزل رجل ومعه شاهدا زور مأجوران مع امرأة مأجورة محجبة حجاباً كاملاً لايظهر منها أي شيء من جسمها على الإطلاق إلا امرأة مغلفة بقماش أسود من رأسها إلى ماأسفل قدميها، ولايدل على أنها أنثى إلا صوتها وتشهد على نفسها بأنها هي فلانة التي قد نوى الرجل اغتصابها ثم يشهد الشاهدان أنهما يعرفان المرأة، فيثبت القاضي هذا الزواج زواجاً شرعياً غير قابل للطعن، بينما تكون فلانة بنت فلان التي زوِّجت زوراً نائمة في بيتها ولا تعلم أن الناس ومعهم قاضي السلطان قد باعوا فيها واشتروا، ويحق لهذا الزوج أن يقود تلك الإنسانة البريئة إلى بيت الزوجية بالشرطة، ويسوقها أمامه وكأنها خروف العيد.

ثم نجلس لنتبجح ونقول: إن الإسلام قد أنصف المرأة.

وأي إسلام هو الذي أنصفها إسلام الله الذي لايطبقه أحد؟

أم هو إسلام السلطان الذي ترون منه نماذج الآن؟

٥ ـ وفي نهاية الحديث رقم (٦٩٧١) من صحيح البخاري: وقال بعض الناس:

«إن هُدِيَ رجل جارية يتيمة أو بكراً فأبت فاحتال فجاء بشاهدي زور على أنه تزوجها فأدركت اليتيمة (ماحصل أثناء غفلتها) فرضيت اليتيمة فقبل القاضي شهادة الزور والزوج يعلم ببطلان ذلك (قالوا) حلّ له الوطء. (علماً أن كل ما مر معنا حتى الآن هو زنى مع الإكراه) (اغتصاب حقيقي).

وفي باب الهبة. عندنا الحديث التالي الذي لايناقض متنه القرآن الكريم وهو:

٦ ـ الحديث رقم (٦٩٧٥) من صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه (أي يأكل ثانية ما وقع في القيء) ليس لنا مثل السوء».

وقال بعض الناس:

«إن وهب هبةً ألف درهم أو أكثر حتى مكث عنده سنين واحتال في ذلك ثم رجع الواهب فيها فلا زكاة على واحد منهما. فخالف الرسول ﷺ في الهبة وأسقط الزكاة».

ونجد في حاشية البخاري مايلي: شرحاً من (المصحّح) الذي لانجد له اسماً في صحيح البخاري كله. قوله ـ (فخالف الرسول) أنظر كيف يُحلُّ هذا القول في حق أبي حنيفة مع أنه مستدل في تجويز الرجوع من الهبة إذا لم يكن مانع من الموانع بقوله عليه السلام: من وهب هبة فهو أحق بهبته مالم يثب منها، ..... ولم ينكر إمامنا أبو حنيفة الحديث الذي ذكره البخاري هنا، بل عمل به أيضاً في كراهة الرجوع، ولايدل الحديث المذكور على أكثر من ذلك، فإن فِعلَ الكلب إنما يوصف بالقبح لا بالحرمة، إلى نهاية الشرح الذي يدل أنه كله من دين السلطان الفضفاض الذي يمكن أن نجد فيه لكل شيء فتوى خاصة إذا شاء السلطان.

٧ ـ الحديث رقم (٦٩٧٦) من صحيح البخاري: عن الشفعة. عن جابر بن عبد الله قال:

«إنما جعل النبي الشفعة في كل مالم (مالا) يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة.

ما معنى الحديث «الجار أحق بالشفعة».

كثيراً ما يحصل أن يموت الرجل عن دار وعنده بنون وبنات فيتقاسم الورثة الدار مشتركين بحيث يأخذ لوفرضنا كل منهم غرفة وتبقى باقي الموجودات في الدار كالساحة الداخلية والمطبخ والمنتفعات الأخرى كالحمام مشتركة، لعدم وجود غيرها أصلاً، فإذا أحب أحدهم أن يبيع حصته فالورثة من إخوته هم جيرانه في هذه الحالة

وهم أحق بالشفعة أي بالبيع فلا يجوز بيع الحصة للغريب إلا في حال امتناع الجميع عن الشراء. لأن من حقهم ألا يدخلوا غريباً ليعيش بينهم. أحبَبتُ أن أضرب المثال السابق فقط لتقريب المعنى بالشُّفعة. علماً أن الشفعة تتسع أحياناً من القرابة المباشرة بين الأخوات إلى القرابة الأبعد مثل أبناء العم وأبناء أبناء العم، ويدخل فيها أيضاً باقي الورثة من مختلف الأقارب وحتى يحتال الفقيه ليس على النص القرآني الذي لم يعد أحداً يعمل به، بل على حديث من أحاديث الرسول التي ندرس نماذج منها حتى نجد أيضاً من يحتال على ذلك من جديد، علماً أن أساليب الاحتيال هذه مأخوذة من الأصل من أهل الكتاب: (التلمود بالذات)

«مرض التأويل غير المشروط (الاحتيال).

عرفه اليهود منذ عهد مدرسة الاسكندرية، واشتهر به الفيلسوف اليهودي (فيلون) (استخدمه اليهود) لرفع شأن العهد القديم والتقائه مع الفكر والمنطق، ثم قابل اليهود (به) الإنجيل والقرآن تشكيكاً وتعطيلاً. إذ هم لديهم سلاح دفاع عن العهد القديم وسلاح هجوم على الإنجيل والقرآن..»(*).

- في نهاية الحديث رقم (٦٩٧٦) من صحيح البخاري: قال بعض الناس:

الشفعة للجوار، ثمَّ عمدَ إلى ماشدده فأبطله وقال: إن اشترى داراً فخاف أن يأخذها الجار بالشفعة فاشترى سهماً من مائة سهم ثم اشترى الباقي وكان للجار الشفعة في السهم الأول، ولاشفعة له في باقي الدار وله أن يحتال في ذلك.

وحتى نفهم هذا الحديث إليكم الحديث الذي بعده: علماً أن البخاري رضي الله عنه ينبهنا إلى الصحيح وإلى الخطأ المتبع في زمانه.

٨ - الحديث رقم (٦٩٧٧) من صحيح البخاري: عن عمر بن الشديد قال:

جاء المسور بن مخرمة فوضع يده على منكبي فانطلقت معه إلى سعد، فقال أبو رافع للمسور: ألا تأمر هذا أن يشتري مني بيتي الذي في داري؟ فقال: لا أزيده على أربعمائة إمّا مقطعة وإما منجمة. قال: أُعطِيتُ خمسمائة نقداً فمنعته ولولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: (الجار أَحَقُّ بِصَقْبِهِ) (بالشُّفعَة) مابعتَكَهُ. أو قال ما أعطيتَكَهُ.

(*) عن كتاب الماسونية في العراء - للشيخ الدكتور محمد علي الزعبي - الصفحة ٢٥٠، إصدار لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٥.

وقال بعض الناس: إذا أراد أن يبيع الشفعة فله أن يحتال حتى يبطل الشفعة فيهب البائع للمشتري الدار ويحدها ويدفعها إليه ويعوضه المشتري ألف درهم، فلا يكون للشفيع فيها شفعة. (أي الاحتيال بالتسمية فبدل أن يقول البائع بعتك للشاري يقول له: وهبتك، وبدل أن يقول الشاري دفعت لك ثمن كذا يقول دفعت لك تعويضاً).

٩ ـ الحديث رقم (٦٩٧٨) من صحيح البخاري: وفي نهاية الحديث:

قال بعض الناس:

اشترى نصيب داراً فأراد أن يبطل الشفعة (فوهب) وهب لابنه الصغير.

(والشاري اشترى الدار من الولد الصغير الذي لايقع عليه يمين لصغر سنّه).

١٠ـ الحديث رقم (٦٩٨٠) من صحيح البخاري: عن أبي رافع قال: قال النبي ﷺ: «الجار أحق بصقبه» (بالشفعة).

وقال بعض الناس:

إن اشترى داراً بعشرين ألف درهم فلا بأس أن يحتال حتى يشتري الدار بعشرين ألف درهم، وينقده تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين درهماً وينقده ديناراً بما بقي من العشرين ألفاً (أي يقول له: هذا الدينار في مقابل مابقي من ثمن الدار فإن طلب الشفيع أخذها (مضطراً) بعشرين ألف درهم (يدفعها فعلاً الشفيع) وإلا فلا سبيل له على الدار (هذا الأسلوب يتبعه من يريد أن يجعل الشفيع الذي يتضرر ضرراً مباشراً من عملية البيع للغريب، فيضطر أن يدفع الثمن ولو كان مرتفعاً حتى يتجنب الضرر بالبيع الجديد إذا حصل. وإذا اشترى الشفيع كما يتوقع البائع أصلاً ودفع المبلغ كاملاً أي عشرين ألفاً، أعاد البائع للمشتري الأول بحسب الاتفاق المسبق مبلغ تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين درهماً مع ديناره الذي كان في مقابل الباقي فيكون بذلك صادقاً وأميناً أمام الله والناس، مع أنه بالفعل كان قد باع الدار بعشرة آلاف درهم للغريب، ثم نقول لماذا غضب الله الشديد علينا نحن المسلمين؟

وهكذا أخرج جنود السلطان فقه سلطانهم للناس.

ثم نقول بعد هذا: نحن من المسلمين لمجرد قولنا أشهد أن لا إله إلا الله، ثم نعود لنطبق شرع الشيطان، ونحن نظن أننا نضحك على الجميع ولا نعلم أننا لانضحك إلا على أنفسنا ولانخدع سوى أنفسنا.

وإذا قرأنا الباب كله نستنتج أن البخاري رضي الله عنه لم يكن راضياً عما يحصل بدليل إشارته للصحيح دائماً، ولكن جنود السلطان اعتبروا فيما بعد كتابه منزلاً من السماء واعتبروا أمثلة البخاري نفسه عن الاحتيال الذي لم يكن راضياً عنه أنها من الصحيح، واعتبروها وسائل مشروعة للاحتيال ضاربين المثل بالبخاري عليها رحمة الله وأسكنه فسيح جناته.

﴿يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعونَ إلا أنفسهم ومايشعرونَ﴾ ٩ ـ البقرة.

وحتى يبين لنا البخاري رحمه الله أن كل المحتالين كانوا لايطبقون شرع الله الذي في القرآن ولا حتى ماقاله الرسول ﷺ حقيقة فقد ذكر لنا الحديث التالي مع أحاديث الاحتيال لجنود السلطان.

١١ ـ الحديث رقم (٦٩٦٦) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«لكل غادرٍلواء يوم القيامة يعرف به».

وكما ذكر لنا الحديث التالي: الذي لايناقض أيضاً شرع الله في القرآن وإنما يماشيه تماماً.

١٢ ـ الحديث رقم (٦٩٩٧) من صحيح البخاري: عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال:

«إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحَنُ من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعةً من النار».

ألحَنُ من بعض (أي أقوى فصاحة وأقدر على فن الكلام وقدرة الإقناع بإستخدام الكلمات، وبالتالي أقدر على إقناع القاضي الذي هو الرسول في هذا المثال الذي يبرهن لكل من له أذن تسمع بأن الرسول الكريم إنسان مثلنا وغير معصوم عن الخطأ وغير مكشوف عنه الحجاب ليعلم الغيب أيضاً).

الفصل العشرون

أحاديث نبوية شريفة لتحليل شرب الخمور

هناك مبدأ عام من مبادىء الماكيافيلية في السياسة يقول:

إن الهدف أو الغاية التي لايمكن تحقيقها بشكل مباشر يمكن تحقيقها بشكل غير مباشر دائماً مع الصبر والمتابعة.

وكان من أمنيات السلطان تحليل شرب الخمور الثابت رجاستها في القرآن ومنعها. فكيف حقق جنود السلطان هذه الأمنية لسلطان الزمان؟.

لقد لجؤوا إلى أحاديث لتخفيف عقوبة شارب الخمرة مثل الحديث التالي:

١ ـ الحديث رقم (٥٥٧٥) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها في الآخرة».

طبعاً يفهم من الحديث السابق مايلي:

١ ـ من شرب الخمر في الدنيا ثم تاب قبل أن يغادر هذه الدنيا غفر له تماماً وله في الآخرة مثل نصيب الذي لم يشرب الخمرة أبداً.

٢ ـ ومن شرب الخمر في الدنيا، ثم مات قبل أن يتوب حَرَّمَ الله عليه أن يشربها في الآخرة، لذلك صادفت كثيراً من المسلمين الذين يشربون الخمرة، وعند معاتبتهم يقولون: لقد استغنينا عن نصيبنا من الخمرة في الجنة. وهكذا بكل بساطة، لأن الحديث النبوي الشريف الذي يقول عنه جمهور العلماء من السنة إنه وحي من السماء يصرح بذلك علناً. ولايقولها سرّاً كما لاحظتم ذلك.

٢ ـ هناك أحاديث لاتناقض القرآن الكريم، مثل الحديث التالي:

ـ الحديث رقم (٥٥٨١): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام عمر على المنبر فقال أما بعد: نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير،

والخمر ماخامر العقل.

أو الحديث التالي الذي لايناقض القرآن أيضاً:

ـ الحديث رقم (٦١٢٤) من صحيح البخاري: عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل قال لهما:

«يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا وتطاوعا» قال أبو موسى: يارسول الله: إنا بأرض يصنَعُ فيها شراب من العسل يقال له البتع، وشراب الشعير يقال له المزر؟ فقال رسول الله ﷺ:

«كل مُسكرٍ حرام». (أي تنهون عن كل المسكرات بغض النظر عن أسلوب صنعها) إذاً جنود السلطان محاصرون، والقرآن صريح وآياته صريحة والأحاديث أيضاً واضحة وصريحة، ومنع الخمرة واضح لاشك فيه، فما العمل؟

لقد علم جنود السلطان أن اللعب بآيات القرآن مستحيل فلم يبق له إلا الأحاديث الصحيحة يجب تعديلها وتحريفها بالتدريج. وقد يظن القارىء أني ربما أتخيل ولا أقول ماكان يحصل في الحقيقة؟ لننظر ماذا فعلوا.

أتوا للحديث الأول والذي رأيناه تحت الرقم (٥٥٨١) وماذا فعلوا به؟

ـ الحديث رقم (٥٦٠١) من صحيح البخاري: عن جابر قال:

«نهى النبي ﷺ عن الزبيب والتمر والبسر والرُّطب».

ماهو الجديد في هذا الحديث ولم يكن موجوداً في السابق؟

أولاً: أزيلت كلمة التحريم التي ذكرت في الحديث السابق وخففت إلى كلمة النهي.

ثانياً: أزيلت كلمة الخمر.

ثالثاً: أزيلت كلمة السكر ـ والمسكر.

وصار النهي عن الزبيب والتَّمر والبُسر والرُّطب.

والناس في فهم ذلك طائفتان: طائفة تفهمه على أن النهي فقط عن الأكل.

لأن النهي عن الشرب غير موجود في الحديث.

والطائفة الأخرى تفهمه أنه المخمر من تلك الأصناف فينتهي عنها..

ثم أذاعوا الحديث الثاني:

ـ الحديث رقم (٥٦٠٢) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: نهى النبي ﷺ أن يجمع بين التمر والزهو. والتمر والزبيب. ولِيُنبَذ كل واحد منهما على حدة.

والرسول بحسب هذا الحديث النبوي الشريف صار خماراً ويعطي نصائح في أسلوب صناعة الخمر.

وكما ترون صار تحت يد السلطان أول حديث نبوي يستطيع بواسطته وعلى سنته الشريفة تعاطي وشرب النبيذ أو الخمر، شريطة أن لايجمع بين نبيذ التمر مع الزهو ولا نبيذ التمر مع نبيذ الزبيب. أما إذا نبذ (صنع النبيذ كل واحد منهما على حدة) فلا بأس من ذلك..

ـ الحديث رقم (٢٠٠٣) من صحيح مسلم مسلسل (٧٦): عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:

«من شرب الخمر في الدنيا حُرِمَها في الآخرة».

ـ الحديث رقم (٢٠٠٣) مسلسل (٧٧): من صحيح مسلم: عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:

«من شرب الخمر في الدنيا فلم يَتُبْ منها حرمها في الآخرة فلم يُسقها».

ـ ونفس الحديث مسلسل (٧٨): أيضاً عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ:

«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة. إلا أن يتوب».

أتلاحظون كيف تطورت نفس الأحاديث لنفس الشخص باللعب في متنها بالكلمات؟ إلى أن تم إعلان شرب الخمر في الحديث التالي:

ـ الحديث رقم (١٩٨٧) من صحيح مسلم مسلسل (٢٢): عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«من شرب النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً أو تمراً فرداً أو بُسراً فرداً» (والمعنى واضح) أي أن الرسول ينصحهم بالشرب، ولكن شريطة ألا يجعلوا منها كوكتيل. ولا بأس الشرب نبيذ الزبيب لوحده ونبيذ التمر لوحده ونبيذ البُسر لوحده).

ـ الحديث رقم (١٩٨٨) من صحيح مسلم مسلسل (٢٤): عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لاتنتبذوا الزهو والرطب جميعاً. ولا تنتبذوا الزبيب والتمر معاً، انتبذوا كل واحد منهما على حدة».

وهذه النتائج إلى الآن جيدة وقد تم تأمينها لمجلس السلطان وندمائه الذين صاروا يشربون الخمر علناً دون خجل أو حياء، وهم يسمون أنفسهم بأمراء المؤمنين. إذاً فأنا لم أكن أحلم مثلما ظن البعض منكم في بداية الحديث، وماكنت أتوقعه قد حصل فعلاً ونال السلطان مراده، وكما نال جنود السلطان الأكفاء في فن تزوير الأحاديث رضاء السلطان وثناءه وفوقها دنانيره الذهبية، مكافأة على هذا الفرج العظيم لمجلس مولانا السلطان المعظم وندمائه الكرام، أمثال أبي نواس شاعر اللواطيين المتغزل بالغلمان.

وهكذا تسابق الجنود في خدمة سيدهم المعظم، وأوجدوا أحاديث أخرى حتى يجعلوا الموضوع متواتراً لامجال للتشكيك فيه من قبل أحد. وليكن في معلومكم أني أكتفي في بحثي هذا كما وعدتكُم أن أقتصر في مواضيع البحوث وفي مجال البرهان بألا أستخدم إلا من الصحيحين دون أن ألجأ لباقي المصادر الآخرى وهي كثيرة جداً.

ـ الحديث رقم (٤٦٦٩) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله: إنا هذ الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مُضَرفلسنا نخلص إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأشياء نأخذ بها وندعوا إليها من وراءنا قال:

«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله وعقدَ واحدة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ماغنمتم، وأنهاكم عن الدُّبَّاء والنَّقير والحَنتَم والمُزَفَّت».

هذا الحديث يصيد عصافير كثيرة بحجر واحد. ولكن كيف؟

كل مايهم السلطان من المسلمين هو الأمور التالية:

١ ـ إيتاء الزكاة لجباة السلطان ليزيد من دخل بيت مال المسلمين اسماً، وهو بيت مال السلطان فعلاً (بعد أن حصل على مفاتيح خزائن الأرض كما شرحت لكم سابقاً إذا لم تنسوا ذلك فأصبح بعده المتصرف بذلك المال كله كما يشاء).

٢ ـ أداء الخمس من الغنائم لله ثم للرسول، ثم صارت اليوم تحت تصرف السلطان وحده لأنه خليفة الرسول ﷺ وينوب عن الله في الأرض.

٣ ـ وأنهاكم عن أربع وهي الدُّبّاء والنَّقير والحَنتَم والمُزَفَّت.

وإذا سأل المسلم عن هذه الأربعة قال له جنود السلطان هي أربعة من الأوعية (وسأشرحها كما ورد شرحها في صحيح مسلم، في شرح الحديث رقم (١٧)

أ ـ الدُّبّاء: هو الوعاء من القرع اليابس.

ب ـ النَّقير: هو الوعاء المنقور من جذع الشجرة (ساقها).

ج ـ الحَنتم: الواحدة حَنتَمَة وقد اختلف فيه فأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خُضر والثاني أنها الجرار كلها. والثالث أنها جرار يؤتى بها من مصر، والرابع جرار حُمر، أعناقها في جوانبها يجلب فيها الخمر من مصر، والخامس أفواهها في جنوبها (من الجنب) يجلب فيها الخمر من الطائف. والسادس جرار كانت تعمل من طِينٍ وشعر وأدَم.

د ـ المُزَفّت (أو المُقَيَّر) وهي المطلي بالزفت أو القار من الجرار.

بعد أن عرفتم كل هذا فقد أصبحتم من الفقهاء في دين السلطان، وعلمتم من أين يجب أن تشربوا الخمر، وماهي الأواني التي يجب على المسلم أن لايستخدمها في شرب الخمر، وهو حرّ طبعاً في أن يشرب من غيرها كما يشاء.

ولما رأى جنود السلطان تقدماً ونجاحاً في مساعي خطتهم الموفقة عادوا ونسخوا الحديث السابق وسمحوا بالشرب فيها من جديد، ربما لأن كل ممنوع مرغوب والسلطان صار لايحب شرب الخمر إلا منها، ربما والله أعلم.

ـ الحديث رقم (٥٥٩٢) من صحيح البخاري: عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الظروف (الظروف هي: الدُّبّاء والنقير والحنتم والمزفت).

فقالت الأنصار: إنه لابد لنا منها قال (الرسول ﷺ): «فلا إذاً» (أي فلا نهي عنها بعد اليوم).

ـ الحديث رقم (٥٥٩٥) من صحيح البخاري: عن عائشة أم المؤمنين سألها الأسود وقال: يا أم المؤمنين، عمَّ نهى النبي ﷺ أن ينتبذ فيه؟ قالت: نهانا في ذلك أهل البيت أن ننتبذ في الدُّبّاء والمزَفَّت. قلت: أنا ذكرت الجر والحنتم؟ قالت: إنما أحدثك ماسمعت أأحدث مالم أسمع؟

وهنا صار لابد للسلطان بعد أن حلل له جنوده الخمر في الإسلام من تحليل مباشرة

النساء في رمضان أيضاً حتى لايكون عليه حرج إن فعل ذلك وطلب من نسائه المؤمنات يقول لهم: إني لا أفعل إلا بسنة رسول الله، ويستشهد بحديث شريف أخرجه له شيخ الإفتاء في السلطنة:

ورد في الباب رقم (٢٣) تحت عنوان (باب المباشرة للصائم) في صحيح البخاري الحديث التالي:

ـ الحديث رقم (١٩٢٧) من صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لدربه».

(وقال جابر بن زيد إن نظر فأمنى يتم صومه)

وكما هي العادة الدائمة فإن جنود السلطان دائماً يتجاهلون آيات الله في القرآن الكريم:

﴿أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيامِ الرَّفثُ إلى نسائِكم هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ علِمَ الله أنّكم كنتُم تختانون أنفسَكُم فتابَ عليكم وعفا عنكم فالآنَ باشروهُنّ وابتغوا ماكتَبَ الله لكم وكُلوا واشربوا حتى يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجرِ ثم أتمّوا الصيامَ إلى الليل ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدودُ الله فلا تقرَبوها كذلك يبيّن الله آياتِهِ للناسِ لعلّهم يتّقون﴾ ١٨٧ ـ البقرة.

وهكذا بدّل جنود اسلطان بالتدريج دين الإسلام الصحيح الذي أتى صافياً نقياً في القرآن الكريم إلى دين خاص بالسلطان وجنوده وتحت اسم الإسلام، دون أن يكون فيه من الإسلام إلا الاسم وشهادة أن لا إله إلا الله قولاً لا فعلاً وإيماناً.

وتحت باب مايكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج عن الملة.

ورد في صحيح البخاري تحت هذا الباب:

الحديث رقم (٦٧٨٠): أن رجلاً من القوم قال على شارب الخمرة: اللهم العنه، ما أكثر مايؤتى به فقال النبي ﷺ لاتلعنوه فوالله ماعلمت أنه يحب الله ورسوله.

وفي الحديث رقم (٦٧٨١) من صحيح البخاري:

قال رجل ماله أخزاه الله (عن شارب الخمرة) فقال رسول الله:

«لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

صار لشارب الخمرة من يحن عليه ويتلطف به بعد هذه الأحاديث، وصار لعنه في الإسلام مكروهاً. فهل يلعن المسلم سلطانه لمجرد أنه سمع أنه يسكر مع ندمائه وحريمه

في قصر الحريم؟
والرسول الكريم بريء من كل ماسمعتم، لأنه هو الذي تلا بلسانه على أهل الأرض لأول مرة الآيات الكريمة التالية:

﴿إنّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوهُ﴾ ٩٠ ـ المائدة.

﴿إنما يريد الشيطانُ أن يوقعَ بينكُم العداوةَ والبغضاء في الخمرِ والميسرِ﴾ ٩١ ـ المائدة.

﴿يسألونك عن الخمرِ والميسرِ قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس وإثمُهما أكبر من نفعهما﴾ ٢١٩ ـ البقرة.

صدق الله العظيم

الفصل الحادي والعشرون

بحث في الإيمان مع الإشراك بالله

على المسلم الذي يحب أن يفهم دينه أكثر أن يحاول فهم المعنى الحقيقي لآيات كتاب الله أكثر: لأنه الطريق الوحيد للفهم والاستيعاب دون أن يكون معرضاً للأوهام ـ لأنه ببساطة الكتاب الوحيد الخالي من الأوهام ـ فهو الكتاب الوحيد الذي مازال يحوي الحقائق الصادرة عن الحق وحده ـ وهل هناك في كل العالم كتاب مثله أو يمكن أن يكون شبيهاً له؟ لن نحصل أبداً على مثله مهما حاولنا:

نعم لقد أرسل الله تعالى قبله كتباً أخبرنا عنها، ولكن الله تعالى يعلم قبلنا أنها قد حرّفت جميعاً.

وشاء لسبب لايعرفه إلا هو تعالى أن يجعل كتابه الأخير ممنوعاً عن التحريف من الناس بحيث لو حاول تحريفه أحدٌ أوجد الله من يكشف محاولة ذلك الإنسان ويحبطها فوراً. لأن الله تعالى يملك قلوب الناس ويتصرف بها إن شاء ومتى شاء، وإن كنا نجهل ذلك إلى اليوم ولا ندركه وذلك حتى يبقي الله كتابه الأخير على الأرض سليماً صافياً خالياً من أي زيادة أو نقصان عن اللحظة التي نزل فيها على قلب محمد الرسول الأمين خاتم الأنبياء على هذه الأرض. ودليل عدم تحريفه جعلها الله تعالى في ذات الكتاب برهاناً رياضياً عددياً لايقبل الظن والاحتمال (انظر الإعجاز العددي في القرآن ـ في كتابي الأول إنذار من السماء).

ولعلم الله تعالى كل هذه الأمور قال سبحانه في القرآن ويقولها بشكل دائم لكل إنسان يقرأ كتابه في أي لحظة شاء:

﴿قل فأتوا بكتابٍ من عندِ الله هو أهدى منه أتّبعهُ﴾ ٤٩ ـ القصص.

هذه الآية دائمة ومستمرة. أين هو الكتاب الذي لم يحرّف ويوازي بنوره وحقائقه كتاب القرآن اليوم؟ ببساطة لم يعد لأي كتاب غير القرآن من وجود. إن الله تعالى لايخاطب في تلك الآية المؤمنين وحدهم، لأن كل مؤمن عنده الاعتقاد أن كتابه الذي

يسير بموجبه ويؤمن بما فيه، هو الكتاب الأهدى والأحسن من غير دليل. لكن الله تعالى في هذه الآية يخاطب كل الناس في العالم مؤمنين وكفاراً ويتحداهم جميعاً:

أين هو الكتاب الذي لم يحرفه ابن الإنسان إلى هذه اللحظة في الأرض؟

كل عالم في الأرض بعد أن يرى الإعجاز العددي سوف يقول ويعترف بالحقيقة التي قالها تعالى في تلك الآية.

فإذا عدنا لذلك الكتاب الوحيد نستقرىء الحقائق نجد آية تقول حقيقة نعيشها نحن بني الإنس ولاندركها تمام الإدراك ماهي؟ :

﴿وما يؤمِنُ أكثرُهُم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ - يوسف.

وتلك هي الحقيقة المؤلمة التي وقع فيها أغلب المؤمنين في العالم من جميع الأديان الموجودة على الأرض.

هل تظنون أن الشاب الذي قتل إسحاق رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني غير مؤمن؟ بل إنه مؤمن إلى حد التطرف. أقصد إيماناً شديداً جداً. ويؤمن بنفس القوة بكتبه المقدسة كلها.

والآن اطرحوا على أنفسكم السؤال التالي:

إن التوراة وكل كتب أهل الكتاب محرّفة وهذه حقيقة يمكن أن يتوصل إليها كل باحث يبحث الموضوع بالأساليب العلمية دون أن يُدخل العاطفة في موضوع بحثه كما فعلت في هذا الكتاب فبرهنت لكم من خلال عرض نصوص منها مع مقارنتها بالنصوص غير المحرفة وكشفت لكم وضوح التحريف في كل تلك النصوص.

وكما برهنت لكم أيضاً بتحريف كتب الإنجيل وعقيدة المسيح بنفس الأسلوب السابق لتحريف كل كتب اليهود.

والمسلم سهل الإقناع والاقتناع إذا رأى الأدلة المادية الواضحة في تحريف كل تلك النصوص. إذا كان الكلام عن أي دين غير الإسلام، حيث تنقلب تلك السهولة إلى شبه استحالة عندما نكلم المسلم عن النصوص التي يؤمن بها هو وإن كانت من تأليف الشيطان.

والآن:

اطرحوا على أنفسكم السؤال التالي:

هل المؤمن الذي قتل رابين مؤمن موحد بالله أم مؤمن دخل الإشراك إلى عقيدته؟

وحتى تستطيعوا إيجاد الجواب بسهولة يجب أن تعلموا أن المؤمن الذي يدخل في إيمانه مصادر للوهم لأن الوهم كما أكدت لكم دائماً هو من الشيطان. يكون ذلك المؤمن قد أشرك في إيمانه الشيطان من دون أن يعلم حقيقة إشراكه، وهذا يحصل لدى كل المؤمنين على الأرض وليس فقط في ديانة دون أخرى.

سوف يكون جوابكم أنه قد أشرك بالله لإيمانه بالكتب التي حرفها جنود السلطان عندهم أيام حكم سلاطينهم بعد غياب المؤمنين الحقيقين. وهذا صحيح تماماً.

والآن أريد أن تطرحوا على أنفسكم سؤالاً آخر:

هل الشباب الذين قتلوا السادات في مصر مؤمنون؟

أيضاً لن نختلف في أنهم جميعاً من المؤمنين إيماناً قوياً جداً وبكل ماعند المسلمين من كتب، هي القرآن وكتب الحديث الآخرى.

هل وصل إيمانك واعتقادك من خلال هذا الكتاب إلى أن المسلمين أيضاً قد وقعوا في نفس أخطاء أهل الكتاب وهجروا كتاب الله ولحقوا ماقيل لهم أنها وحي آخر من السماء من الأحاديث النبوية الشريفة التي فرضها سلطان المسلمين ديناً على الناس بمؤازرة جنوده خلال أربعة عشر قرناً من الزمان؟

إذا قلت نعم يجب أن لانختلف أبداً في أن المسلم المؤمن اليوم بكتبه المحرفة هو أيضاً مؤمن يشرك بالله من غير أن يعلم حقيقة إشراكه مثل اليهودي السابق تماماً. وأن المسيحي المؤمن اليوم بكتبه المحرفة، هو مؤمن يشرك بالله من غير أن يعلم، وكذلك البوذي المؤمن بالله ويحرق نفسه أمام الناس حياً وبإرادته ومن دون أن يكرهه أحد هو مؤمن يشرك بالله من غير أن يعلم.

واعتقاد المسلم بإشراك كل أولئك لن يكون صعباً عليه طالما نستطيع أن نعطيه الأدلة والشواهد مع الإثباتات على إشراكهم جميعاً.

لكن الصعوبة تبدأ عند الكلام مع المسلم عن إشراكه هو ومشايخه وآبائه الأولين إشراكاً قديماً، بدأ أوَّل مابدأ بعد الفتنة الكبرى في الإسلام التي انتهت بانتصار الفئة الباغية. بعد أن كثر بين المسلمين الذين مالت قلوبهم ونفوسهم للدنيا وجنتها أكثر من الذين مالت قلوبهم لجنة الآخرة، وهذا هو الميزان الحرج الذي وضعه الله تعالى للكشف عن النفوس التي يختبرها، معتبراً عباده الوحيدين هم الذين لايستطيع الشيطان إغواءهم بجميع أشكاله (شيطان النفس مع الهوى وهو أقرب الشياطين وأقواها على النفس البشرية مع

شياطين الإنس من الذين انغمسوا في الشهوات وأخيراً شياطين الجن الذين تحالفوا مع شياطين الإنس الذين التقت مصالحهم، حيث عقدوا فيما بينهم تحالف وُدٍّ وتبادل منافع ومصالح لاتحاد الهدف والغاية فيما بينهم).

وقد قال سبحانه وتعالى مخاطباً كل أنواع الشياطين في الأرض وعلى رأسهم إبليس اللعين:

﴿إنّ عبادي ليسَ لك عليهم سلطان إلا من اتّبعكَ من الغاوين﴾ ٤٢ ـ الحجر.

إنّ في فهم هذه الآية مفتاحاً لإعادة الإيمان بالله إيماناً صحيحاً مرة أخرى.

ـ إن الله تعالى لايقصد كما يظن كثير من المسلمين الذين تَوَّهَتهُم التفاسير القرآنية الكثيرة بأن معنى الشطر الآخير من الآية (إلا من اتبعك من الغاوين) أن الله تعالى يقصد بهم الكفار.. ولو كان الأمر كذلك لقال سبحانه إلا الذين كفروا.

وأداة الاستثناء (إلا) لا تكون إلا إذا كنا نتكلم فقط عن عباد الله الحقيقيين الذين هم المؤمنين من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من صحابة الرسول، عند تألق الإسلام الصحيح. معنى ذلك أن الله يقصد بتلك العبارة فئة مؤمنة وليست فئة كافرة وحتى نفهم ذلك الشطر يجب أن نفهم معنى الغاوين. فأصل الكلمة ومصدرها هو من (الغي) الذي هو الاعتقاد الذي أفسده الجهل..

إذاً يكون معنى الغاوين، هم المؤمنون الذين دخل إلى معتقداتهم أوهامٌ أفسدت عليهم إيمانهم الصحيح أصلاً، ومايحتاجه ذلك المؤمن هو إعادة بناء إيمانه على العقل وليس على القلب والعاطفة والحب. لكن الشياطين الذين زرعوا هذا النوع من الإيمان حريصون على أتباعهم ويقولون لهم باستمرار: لاتسمعوا لمن يقول لكم إن الإيمان يجب أن يكون من العقل بل لاعلاقة للإيمان بالعقل، فالإيمان كله حب وكله من القلب. هذه هي نقطة الضعف التي بها تمّ اصطيادهم. وعليها يركزون حتى لايتحرر عبيدهم من جديد. وهذا مايفسر خوفهم من اللجوء لتحكيم العقل، لعلم الأساتذة بضعف حججهم وإمكانية تحطمها كلها على صخرة العقل والمنطق الميزان الإلهي الذي جهز به الله سبحانه وتعالى الإنسان ليكون حريصاً على إيمانه، ومعه الكاشف ويقع تحت تصرفه وهو عقله ومنطقه وبين يديه الدليل والمقياس الذي هو كتاب الله وقرآنه.

وطالما يحتفظ المؤمن المسلم بهما مع استمرار استخدامهما، فلن يستطيع شياطين الأرض على اختلاف أنواعهم وأجناسهم أن يوقعوه تحت الإغواء أبداً.

لماذا؟ لأنه تسلح بالعقل والعلم والإيمان بالله وكتابه معاً.

والمؤمن العاقل يجب أن لايستبعد أن يأتيه شياطين الإنس ليخدعوه وهم يلبسون لباس الشيخ ويتقنون شكله ودوره وكلامه، يجب أن لايستبعد أن يكون الشيطان منهم قد اتخذ مظهر الشيخ وصورته بلبس القفطان والجبة فتجده دائماً في المساجد ولا يتكلم إلا عن القرآن والأحاديث الشريفة ويصلي ويصوم مع المصلين والصائمين ويحمل بين يديه سبحة طويلة ويتمتم بشفتيه مع حركة أصابع يمناه على حباتها. ولايعلم إلا الله مافي سريرته وماقد أضمر عليه من خبث ومن شرّ. أو من طيب ومن خير أبداً.

فإن كان يدعوك للإيمان بالله وبالرسول بقلبك مع إبعاد عقلك عن الإيمان وعن السؤال والنقاش والحوار لأمور الإيمان كلها، يكون شيطان من الإنس في صورة رجل دين، وإن كان يحدثك بالعقل وعن العقل وأن الله كله عقل وحق وأن الشيطان كله وهم وهوى، وما الحب كله إلا من الهوى، عندها يكون فعلاً رجل دين وعلم حقيقي يدعوك إلى الإيمان بالله وبالتوحيد به سبحانه.

فالأول كان يدعوك للإشراك بالله، والثاني هو الذي يدعوك لتوحيد الله وحده لا شريك له، وهذا هو المقياس الكاشف لك على صحة إيمانك يجب ألا تضيعه أبداً. إذاً علمنا حتى الآن أن الجهل هو الباب العريض الذي به وعن طريقه يدخل الشيطان إلى قلوب المؤمنين. ويستغلهم لمصالحه وأهوائه التي لايعلمها إلا هو، والله تعالى، والغافلون من أتباعه يظنون جهلاً وتوهماً أنهم يتبعون الرحمن، وهم لا يعلمون أنهم يتبعون الشيطان وهو يلبس قفطاناً حتى لايشكّوا فيه أبداً. وهذا أشد أنواع الظلم من الإنسان لذاته الإنسانية ولنفسه.

ومن أصعب الأمور إعادة إقناع الإنسان المسلم الذي وقع فريسة الشيطان فآمن على هذا النموذج من الإيمان فأصبح بين يدي الشيطان يستخدمه ويحركه كما يشاء، وينفذ به أيضاً مايشاء، فهو قد أصبح في يد أستاذه أطوع من بنانه، وتلميذه صادق الإيمان. وإيمانه قويٌ ونابعٌ من كيانه كله ولكن لايعلم أبداً بحقيقة إشراكه إلا الله وأستاذه اللعين إبليس من الإنس، الذي باع آخرته بدنياه.

لذلك يقول سبحانه على لسان لقمان في القرآن متحدثاً عن هؤلاء:

﴿وإذ قالَ لقمان لابنه وهو يَعِظُهُ يابنيّ لاتُشرِك بالله إنّ الشِّرك لظلمٌ عظيم﴾ ١٣ ــ لقمان.

وظلم المشرك لذاته ذلك الظلم العظيم ناتج من حرمان ذاته من جنة الدنيا ومتعها نتيجة

إيمانه الباطل ولايعلم أنه مع كل ذلك الحرص الشديد على إيمانه فإنه يتبع إلهاً وهمياً وليس حقيقياً، لإشراكه مع الحق الذي هو الله بالوهم الذي لايكون إلا في الشيطان. والمشرك من هذا النوع لايعلم طبعاً أنه محروم من متع الآخرة وجنتها أيضاً. لأنه غير مدرك لحقيقة إشراكه، لذلك فهو يوم القيامة سوف يفاجأ بالنتيجة ويقسم لله أنه لم يكن من المشركين، لأنه لم يكن يعلم ذلك فعلاً حيث يقول الله تعالى في وصف ذلك الموقف منهم يوم القيامة:

﴿ثمّ لم تكُن فتنتُهم إلا أن قالوا والله ربّنا ماكنّا مشركين﴾ ٢٣ ـ الأنعام.

ولكن مع الأسف الشديد لهم عدمُ معرفتهم لحقيقة إشراكهم لاتحميهم من النتيجة العامة، إنهم قد أساؤوا ولم يستخدموا عقولهم التي كانت معهم من أجل التمييز.

فهل هناك ظلمٌ من النفس للنفس أكبر من ذلك؟ حرم نفسه بنفسه من جنتي الدنيا والآخرة، وتحمل في دنياه عذاب التزامه بما كان يظنه ويتوهمه إيماناً بالله، وهو لايعلم أنه كان يؤمن بالشيطان والأوهام أكثر.

فالكافر الذي اختار الدنيا على الآخرة علناً أفضل منه، لأنه على الأقل قد عاش ولو للحظات قصيرة، تلك هي لحظات حياته في الدنيا، مع المقارنة مع نعيم الآخرة الخالد. فيقول له سبحانه وتعالى:

﴿إنّه مَن يشرِك بالله فقد حرَّمَ الله عليه الجنّة﴾ ٧٢ ـ المائدة.

ولايقولها حتى للكافر، فالله تعالى لم يحرم الجنة على الكافرين بل قال لهم أنه سوف يعذِبهم فيها، وليس في كل القرآن آية تقول:

من كفر بالله فإن الله قد حرم عليه الجنة أبداً. وهذا هو القرآن أمامكم ويمكنكم أن تتأكدوا بأنفسكم.

﴿قالَ ياقومِ أرأيتُم إن كنتُ على بيّنةٍ من ربي ورزقني منه رزقاً حسَناً وما أُريدُ أن أخالِفكم إلى ما أنهاكُم عنه إن أريد إلا الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلتُ وإليه أنيب﴾ ٨٨ ـ هود.

صدق الله العظيم.

الفصل الثاني والعشرون

الشواهد على إشراكنا الحالي

إن فكرة الإشراك بالله تعالى من الأفكار التي مازالت بعيدة عن فكر المسلمين لأن مصلحة السلطان كانت تقتضي جهل المسلمين بها حتى لايكتشفوا إشراكهم. فلو عدنا للقرآن الكريم لوجدنا آيات كثيرة عن الإشراك تقول مثلاً: حقيقة من حقائق الناس: أن أغلب الناس عادة يشركون بالله نتيجة غفلة وسذاجة الأكثرية وعدم وجود مفكرين وقادة حريصين على مصلحة الأمة بشكل تتحقق فيه مصلحة الأفراد معها.

﴿وما يُؤمِنُ أكثرُهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

والإشراك من أكبر أنواع الظلم للذات على الأرض، لذلك يقول سبحانه على لسان لقمان:

﴿يابنيّ لاتُشرِك بالله إنّ الشركَ لظُلمٌ عظيم﴾ ١٣ ـ لقمان.

ومن تتبع القصص القرآنية نستطيع أن نعلم أن الأديان كلها تبدأ بالتوحيد، ثم بعد فترة يأتي من يحرفهم للإشراك بالله؟ قلت لكم في أماكن كثيرة من هذا الكتاب: إن من يريد أن يفهم أسرار الدين والسياسة يجب أن يبحث دائماً عن المصلحة، فهي دائماً التي تكون المفتاح لفهم كل المقاصد والغايات التي تكون قبلها غير مفهومة. أي باختصار هناك دائماً أصحاب مصلحة من أجل حرف الناس عن التوحيد الذي يأتي به الرسل عادةً إلى الإشراك، وهؤلاء يسميهم القرآن عادة بالملأ، وهم الأغنياء والوجهاء وأصحاب الزعامة والنفوذ والقوة في كل أمة. وهم أقلية دائماً، والله تعالى يطالب بالتوحيد لمصلحة الأكثرية المستضعفة.

ولكن إلى الآن لم يفهم القارىء لماذا يكون التوحيد لمصلحة الأكثرية المؤمنة، ويكون الإشراك لمصلحة الأقلية الكافرة، وكيف تتحقق مصلحة الأقلية بالإشراك بالله؟

لاحظوا المعادلة الرياضية التالية بالكلمات وليست بالأرقام:

إذا حافظ أتباع رسول الله (في أي دين سماوي) على عبوديتهم لله وحافظوا بالنظر إلى

الرسول كإنسان عادي دون أي ميزات خاصة إلا اختياره من قبل الله رسولاً وبقي في نظر باقي عباد الله من المؤمنين إنساناً عادياً ويحبونه كأستاذ ومعلم مكلف برسالة من الله. ظلّ الناس على التوحيد وظلّوا يقولون عنه، هو: عبد الله ورسوله.

الآن إذا مات الرسول فسوف يخلفه رجل من باقي المؤمنين به، فيصبح خليفة عبد الله، وهو بهذا لم يتجاوز باقي العباد الآخرين بشيء فيبقى أميراً للمؤمنين الموحدين فعلاً، ويسعى لمصلحة نفس المؤمنين لعدم تميزه عنهم بشيء أبداً.

ولكن إذا قلنا عن الرسول إنَّه مخلّص البشرية أو شفيع الناس كلهم، أو ابن الله أو قلنا عنه: كليم الله، وحبيب الله، وصفي الله، وخليل الله، أو قلنا عنه هو الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه يوم القيامة، عندها يتحول خليفته ليرث كل تلك الصفات ويتحول إلى طاغوت يجمع حوله الملأ من الذين يؤمنون بالدنيا وجنتها ولايؤمنون بالآخرة ـ ولكن هذه العملية لاتتم بين عشية وضحاها، بل تأخذ فترة جيل أو جيلين من أجل تحويل عقائد الناس أيضاً بالتدريج من الأفكار التوحيدية إلى أفكار الإشراك التي تخدم الطاغوت ومَلَئِه، أو كما رمزت إليهم في هذا الكتاب بالسلطان وجنوده، وهكذا فهمنا كيف أن أفكار الإشراك تخدم السلطان الذي يختار أن تكون جنته على الأرض مقدراً أن يحول شعبه كله عبيداً له ويخدمون مصلحته مستخدماً عليهم سلطته الإلهية وهي سلطة مطلقة.

والآن لنعد إلى موضوعنا الأساسي بعد هذه المقدمة التوضيحية:

ـ من الأمور التي يجهلها مسلم اليوم فكرة المخلّص التي تعتبر حجر الزاوية الأساسي الذي بُنيت عليه الديانة المسيحية المحرفة طبعاً عن رسالة المسيح الأساسية بواسطة رجال الدين المسيحي الذين يمثلون أيضاً جنود السلطان المسيحي في فترة سيطرة الكنيسة على أوروبا كلها.

وملخص الفكرة أن الله تعالى أرسل ابنه الحبيب المسيح في جسد ابن الإنسان ثم عذبه وصلبه دون أن يرتكب خطأً في حياته، من أجل أن يكون ذلك العذاب بديلاً عن عذاب البشر الذين يؤمنون بأن الله تعالى قد بعث ابنه وصلبه من أجل خلاصهم من خطاياهم. وحتى نفهم الفكرة أكثر لنقرأ بعض النصوص من إنجيل يوحنا لتشرح لنا كيف أن الإنسان الذي يُحبُّ المسيح ويأكل الخبز المقدس الذي يمثل جسد المسيح ويشرب النبيذ (الخمر) الذي يمثل دم المسيح ويكون قد شَفَعَ له المسيح وخلَّصَهُ من

خطاياه (ماتقدم منها وما تأخر).

(الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن الذي يُؤمنُ بي فله حياةٌ أبدية. أنا هو خبزُ الحياة)..

(أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء، إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أقدمه أنا هو جسدي، أقدمه من أجل أن يحيا العالم).

(الحقَّ الحقَّ أقول لكم إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا من دمه فلا حياة لكم في داخلكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديَّة، وأنا أقيمُهُ في اليوم الأخير)(*).

لذلك نجد أيام الأحد كل الذين يذهبون إلى الكنيسة يتقدمون من المذبح أمام رجل الدين الذي يناولهم قطعة من الخبز يضعها في فم كل المصلين بالدور ثم يشربون بعدها من الخمر وهذه العملية يسمونها بالمناولة.

والمسلمون لايدركون من هذا الوصف الأهمية الكبرى ومصلحة السلطان من هذه العملية البسيطة التي شرحتها قبل قليل: أولاً يجب أن تدركوا أن كل الذين يتناولون من ذلك الخبز يؤمنون تماماً بالخلاص من خطاياهم بهذه الطريقة.

علمنا إذاً أن المسيحي بحاجة لرجل الدين بحسب اعتقاده حتى يقدم له ذلك الخبز المقدس ولايستطيع أن يأكل في بيته من الخبز الذي تعجنه زوجته ليخلص نفسه بنفسه فصار خلاصه مرتبطاً بجندي السلطان، أو بالأحرى بالسلطان نفسه، وهكذا فهمنا كيف سيطر السلطان المسيحي على شعبه كله عن طريق رجال الدين وصاروا كلهم تحت قبضة يده، فقد عادوا بإشراكهم عبيداً للسلطان بعد أن كانوا عبيداً لله وحده، أحراراً في الأرض ولا سيد لهم إلا الله. هذا هو الفرق بين العبودية لله، بالإيمان والتوحيد، والعبودية للسلطان بالإشراك بالله.

وقد ضربت هذا المثال مستخدماً الدين المسيحي لأشرح فكرة الإشراك بالله، لأن المسلم قادر على رؤية الإشراك بوضوح في الأديان الأخرى، ولكنه لايستطيع أن يرى بنفس الوضوح أبداً عندما يتعلق الموضوع بإشراكه هو، لإيمانه المسبق بأن مايفعله هو خالٍ تماماً من الإشراك. علماً أننا نحن المسلمين من أتباع كل الطوائف الإسلامية المختلفة لسنا إلا على دين السلطان، ولا نختلف كثيراً عن إخواننا من أتباع المسيح. قد نختلف

(*) إنجيل يوحنا الإصحاح ٦ ـ الفقرات ٤٧ ـ ٥٤ بالانتقاء.

بالطقوس وأشكال العبادات لكن الروح واحدة. كيف؟

بعد حديث الشفاعة الذي قرأناه في هذا الكتاب أصبح محمد ﷺ هو الشفيع الأول من بين كل الأنبياء والرسل وهذه الشفاعة تعني تماماً نفس فكرة الخلاص المسيحية، وهو تخليص العباد من كل الخطايا مهما كانت، وإخراجهم من النار رأساً إلى الجنة (بشفاعة سيدنا محمد).

اذهبوا إلى كل المدن الإسلامية وادخلوا المساجد الكبيرة فيها ستجدون في كثير من تلك المساجد قبوراً إن سألتم المصلين عنها قالوا لكم: إنها قبور الأولياء الصالحين. في القاهرة مثلاً: التي كانت عاصمة الفاطميين ستجدون أسماء أولاد علي وبناته رضي الله عنهم، وسوف تجدون الناس وخاصة النساء حول تلك المزارات وهم يدعونها ويطلبون الشفاعة منها ويقدمون النذور لها ماالذي يجري إذاً؟ وماهي حقيقة الموقف؟

الحقيقة أن اسم اللات والعزى رمز الإشراك القديم اختفت وظهرت بعدها رموز أكثر بكثير بحسب كثرة الطوائف الإسلامية، فلو جمعت كل هذه الرموز لفاقت عدد كل الأصنام التي كسرها محمد ﷺ في الكعبة. إذاً لماذا نخجل من قول الحقيقة؟

كنا مشركين قبل محمد ﷺ وبعد وفاته بربع قرن عدنا إلى إشراكنا السابق مع اختلاف بسيط في الشكليات التي لاتؤثر كثيراً ولاتبدل من الموقف شيئاً أبداً، وهي أننا نحب أن يكون اسمُنا (المسلمين) ونقول بلساننا فقط:

أشهد أن لا إله إلا الله، ونؤدي حركات وتمتمات كل يوم ونسميها صلاة.

والزكاة توقفنا عنها منذ زمن بعيد والدليل عدد فقرائنا المتزايد طرداً مع زيادة عدد الأغنياء والمترفين عندنا ـ ونصوم تجويعاً لنحتفل في المساء بأطايب الطعام ونذهب إلى الحج سياحة واستجماماً ونظن أنفسنا أننا قد ملكنا مفاتيح الجنة، ولا نعلم أننا مشركون أباً عن جدّ حتى يصل آخر جدّ لنا إلى ألف وأربعمائة سنة. وأنا لا أتكلم عن طائفة معيّنة بالذات، فكما يقول المثل الشعبي الدارج (كلنا في الهوى سوى) ـ (أومافي حدا أحسن من حدا).

ثم إذا دخلنا إلى أي مسجد من مساجد السنة ماذا نجد:

نجد الآيات القرآنية التي توقفنا عن قراءتها وتطبيقها تزين الجدران. وكما نجد اسم الله بالحجم الكبير يمين المحراب واسم محمد بنفس الحجم إلى يسار المحراب، ولو زار أجنبي المسجد ولا يعرف دين الإسلام لظن فوراً أننا نعبد إلهين، والله اسم الإله الأول،

ومحمد اسم الإله الثاني. أليس هذا اعتراف ضمني بالإشراك؟

أهل المسيح يقولون: الآب والابن.. (الله والمسيح) دائماً ونحن ندرك أنهم مشركون. أهل الإسلام صاروا يقولون أيضاً الله ومحمد والله ومحمد دائماً. أليس هذا هو الإشراك؟ فلماذا إذاً لاندرك إشراكنا ولا نراه أبداً؟

هل تظنون الإشراك يحتاج إلى نص عقد شراكة موقع من الطرفين؟

هل تظنون أن أهل المسيح يقولون نحن نشرك بالله؟ أبداً. إذا سألتهم لأنكروا ذلك تمام الإنكار، وهم صادقون في إنكارهم لأنهم لايعرفون حقيقة كونهم مشركين. لأنهم قد وقعوا في الفخ الذي حدثتكم عنه قبل ذلك، فخ العشق وحب المسيح الذي روَّج له رجال الدين.

ونحن هل تظنون يا أهل السنة أننا لم نقع في فخ العشق وحب محمد بترويج من رجال السلطان؟ وأنتم يا أهل الشيعة هل تظنون أنكم لم تقعوا في الفخ، فخ العشق وحب علي؟ المصيبة أننا كلنا نعاني من نفس المرض، مرض العشق والإشراك بالله الذي يدعو إليه السلطان مسيحيةً وسنةً وشيعةً ورجال الدين هم سبب المصيبة وأصل البلاء في كل دين.

قد تظنون أني أنا وحدي أتخيل هذا الكلام: اسمعوا إذاً هذا النص من الإنجيل التي حرفها نفس رجال الدين عندهم، لابد أن يبقى فيها بعض الصحيح ولو ندر، كما نجد ذلك أيضاً عندنا في بعض الأحاديث التي سقطت سهواً من أيديهم فبقيت تقول لوحدها الحقيقة.

(وتكلَّم أحد علماء الشريعة قائلاً له: «يامعلِّم، إنَّكَ بقولكَ هذا تُهيننا نحن أيضاً». فقال: الويل أيضاً لكم ياعلماء الشريعة. فإنكم تُحمِّلونَ الناسَ أحمالاً مُرهقة، وأنتم لاتمسونها بأصبعٍ من أصابعكُم! الويلُ لكُم فإنكُم تبنونَ قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم، فأنتم إذن تشهدون موافقين على أعمال آبائكم....

الويل لكم ياعلماء الشريعة فإنكم خطفتم مفتاح المعرفة فلا أنتم دخلتم ولا تركتُم الداخلين يدخلون»(*).

أليس هذا هو نفس مصيبة علماء الشريعة عندنا والذين أدعوهم في كتابي هذا جنود

(*) إنجيل لوقا الإصحاح ١١ ـ الفقرات ٤٥ ـ ٥٢ بالانتقاء.

السلطان؟ ألم يخفوا عن الناس القرآن وقالوا لهم (لايمسه إلا المطهرون) وقالوا لهم: لاتفسروه ولاتؤولوه لأنَّ كلام الله شديد له معاني باطنية ولا تدركونها أنتم لأنكم جهلاء؟ فالله وحده هو الذي سمح لنا وحدنا أن نقرأه نحن ونفسّرها لكم بعد ذلك، ففسروها كما يشاء السلطان وكما يشاء الحاقدون، وهكذا تم إفهام القرآن رسالة السماء للناس أجمعين ثم لانقول بعد ذلك كما قال المسيح عليه السلام: فويل لكم ياعلماء الشريعة!

إنهم أصل المصيبة في كل الأديان جميعاً مع زعيمهم وولي نعمتهم السلطان.

وكما قال عيسى بن مريم عليه السلام أيضاً: موجهاً كلامه لرجال الدين اليهودي وعلماء الشريعة.

(فردَّ عليهم، قائلاً: «أحسَنَ إشعياء إذ تنبَّأ عنكُم أيها المراؤون»كما جاء في الكتاب: «هذا الشَّعبُ يكرمني بشفتيه، وأما قلبُهُ فبعيدٌ عني جداً. إنما باطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم ليست إلا وصايا الناس (وصايا السلطان) فقد أهمَلتُم وصيَّة الله لتحافِظوا علي تقليدكم أنتم! فإنَّ موسى قال: أكرم أباكَ وأمَّكَ! وأيضاً: من أهانَ أباهُ أو أمَّهُ، فليكن الموتُ عقاباً له! ولكنَّكم أنتم تقولون: إذا قالَ أحد لأبيه أو أمه: إنَّ ماكُنتُ أعولُكَ به قد جعلتُهُ قرباناً أي تقدمَةً (للهيكل)، فهوَ في حلٍّ من إعانة أبيهِ أو أمِّهِ! وهكذا تُبطلُونَ كلمة الله بتعليمِكُمُ التَّقليدي الذي تتناقلونهُ. وهناكَ أمورٌ كثيرةٌ مثلُ هذه تفعلونها»(*).

وعيسى بن مريم لم يقل للناس اعشقوني وألِّهوني وأشركوني بالله، بل كان يقول لهم تماماً مثل ماكان الرسول محمد يقول لنا:

(وبينما كان خارجاً إلى الطريق أسرع إليه رجُلٌ وجثا له يسأله: «أيّها المعلِّم الصّالح، ماذا أعمَلُ لأرثَ الحياةَ الأبديّة؟» ولكن يسوع قال له: «لماذا تدعُوني الصّالحُ؟ ليسَ أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله»(**).

ولذلك نجد في قرآننا الآيات التالية عن عيسى بن مريم عليه السلام.

﴿وإذ قالَ الله ياعيسى ابنَ مريم أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتّخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلمُ مافي

(*) إنجيل مرقس الإصحاح ٧ ـ الفقرات ٦ ـ ١٣.

(**) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ ـ الفقرات ١٧ ـ ١٨.

نفسي ولا أعلمُ مافي نفسِكَ إنّكَ علامُ الغيوب * ماقلتُ لهم إلا ما أمرتَني بهِ أن اعبدوا الله ربّي وربَّكم وكنتُ عليهم شهيداً مادمت فيهم فلمّا توفّيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شيء شهيد * إن تعذِّبهُم فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم﴾ ١١٦ - ١١٨ - المائدة.

وكذلك نحن إذا عدنا للصحيحين فسوف نجد بعض الروايات الصحيحة التي سقطت سهواً من أيدي علماء الشريعة بالتبديل والتحريف فنجد أيضاً الحقيقة واضحةً وصريحةً. كما أننا نجد معها الأحاديث التي حرفت وعدلت وأزيل منها عبودية الرسول اللازمة والواجبة تنبيهاً من الله تعالى أن لانذكر اسم الرسول إلا مقروناً بها في كل كلامنا عنه، منعاً للإشراك بالله من جديد.

- يجب على المسلم أبداً أن لايُزيل عن رسوله هذه العبودية. فأتانا من أقنعنا بعكسه فجعلناه كليماً وحبيباً وصفياً وخليلاً وشفيعاً ومخلصاً للمسلمين، ونحن نظن أننا نحسن إليه بكل ذلك ونرفع من قدره ولانعلم أننا كنا نرفع فقط من قدر السلطان وتجبره وظلمه ونظلم بالتالي أنفسنا بإشراكنا السلطان بالله. وصدقنا روايات جنود السلطان التي تجعل من الرسول شريكاً كاملاً لله في غيبه وكل أسراره التي رأيناها في أحاديث الجنة والنار والعرش والكرسي وسدرة المنتهى في هذا الكتاب. ثم جعلنا له كتاباً خاصاً مع كتاب الله سميناه سُنَّة محمد، وسمينا كتاب الله القرآن وسمينا كتاب محمد «الحكمة».

لاحظوا مثلاً كيف تَستبعدُ الأحاديث التالية العبودية التي أقرها الله وقرنها باسم محمد ﷺ:

- الحديث رقم (٨) من صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

بني الإسلام على خمس:

«شهادة أن لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله. وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة والحجِّ وصومِ رمضان».

أولاً: أين كلمة عبده المفروض أن تكون بعد ذكر محمد؟

ثانياً: إذا عددنا الشروط الماضية نجدها ستة بدل الخمسة التي أعلن عنها ابن عمر، لماذا؟ لأن الراوي المحدث أضاف عبارة (وأن محمداً رسول الله) من عنده.

وقد يسأل أحدكم ماالذي يجعلني أذهب إلى ذلك الاعتقاد؟ وماهو دليلي على ذلك؟
إذا عدنا للقرآن الكريم لانجد الله يضع شرطاً أساسياً من شروط الإيمان ويقرر فيها وجوب الإيمان والشهادة بأن محمداً رسول الله.

فإذا قبل المرء الإيمان بتوحيد الله قُبِلَ إيمانه ثم بالتدريج تعلَم دينَه وإسلامه. فمع الأيام سوف يؤمن لوحده بأن محمد هو عبد الله ورسوله حتماً بعد أن يصبح مسلماً من المسلمين الصالحين، ودليلي هو أننا إذا تفقدنا القرآن وقرأنا كل آيات الصراط المستقيم والوصايا العشرة ووصايا المتقين لانجد إلا شرطاً واحداً وهو:

(أن لاتشركوا بالله أحداً) هذا هو الشرط الأساسي.

ثم إذا تتبعنا الآيات التي ذكر الله تعالى فيها كلمة آمَنَ سوف نجدها في (٣٣) موضعاً من القرآن، ليس فيها آية واحدة تقول آمَنَ بالله وبرسوله أو آمِنْ بالله وبرسوله أبداً.. بل نجدها كلها مثل الآية التالية:

﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهَكم قِبَلَ المشرقِ والمغرب ولكن البرّ مَن آمَنَ بالله واليومِ الآخر والملائكة والكتابِ والنبيّين وآتى المالَ على حبّهِ ذوي القربى واليتامى والمساكينَ وابن السبيل والسائلينَ وفي الرّقابِ وأقامَ الصلاةَ وأتى الزكاة والمُوفون بعهدِهم إذا عاهدوا والصابرينَ وفي البأساء والضّرّاء وحين البأسِ أولئك الذين صَدَقوا واولئك هم المتقون﴾ ١٧٧ ـ البقرة.

دققوا في تلك الآية الكريمة، إنها تعدد لنا شروط الإيمان وشروط الإسلام كلها بل تستطيعون أن تقولوا إن تلك الآية هي ملخص رسالة الإسلام كلها.

هل وجدتم فيها شرطاً من الله يقول يجب عليكم أن تقولوا: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) كما نقوله نحن اليوم؟

كما قلت لكم إنّ الشرط غير موجود سلفاً، لكن المسلم لوحده في المستقبل سوف يقر بقلبه وعقله أن محمداً عبد الله ورسوله، وإلا فمن أين له القرآن الذي أتى أصلاً على لسان الرسول؟ فالله لم يرسل القرآن كتاباً مطبوعاً على ورق من السماء.

﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزِلَ من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمنَ بالله وملائكتِهِ وكتبهِ ورسلهِ لانفرّقُ بين أحدٍ من رسُلِهِ وقالوا سَمِعنا وأطَعنا غفرانَكَ ربَّنا وإليكَ المصير﴾ ٢٨٥ ـ البقرة.

نعم لقد كان ذلك هو إيمان الرسول وصحابته، ولكن ليس هذا إيمان المسلمين اليوم، بل إننا نفرّقُ بين الرسل، لابل نجعل الرسول نفسه يفرّقُ بين الرسل، كيف؟.

لقد قالوا لنا: إن كل الأحاديث التالية صحيحة افتراء على الرسول أولاً ومن ثم على الله ثانياً بعد أن عادوا وأعلنوا أنها أيضاً وحيٌ من السماء وهم يعلمون أنها كلها مجرد أكاذيب لها غايات دنيوية ومصالح مرغوبة وقد قبضوا أجرهم عليها من السلطان.

ـ الحديث رقم (١٩٦) المسلسل (٣٣١) من صحيح مسلم: (أنا أكثر الناسِ تبعاً يوم القيامةِ وأنا أوَّلُ من يَقرعُ باب الجنَّة).

ـ الحديث رقم (١٩٦) المسلسل (٣٣٠) من صحيح مسلم: (أنا أوَّلُ الناس يشفع في الجنَّة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً).

ـ الحديث رقم (١٩٦) المسلسل (٣٣٢) من صحيح مسلم: (أنا أوَّلُ شفيع في الجنة).

ـ الحديث رقم (٢٣٦٥) المسلسل (١٤٣) من صحيح مسلم: (أنا أولى الناس بابن مريم).

ـ الحديث رقم (٢٣٦٥) المسلسل (١٤٤) من صحيح مسلم: (أنا أولى الناس بعيسى).

ـ الحديث رقم (١٩٤) المسلسل (٣٢٧) من صحيح مسلم: (أنا سيدُ الناس يوم القيامة).

ـ الحديث رقم (٢٢٧٨) من صحيح مسلم: (أنا سيدُ وَلَد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفَّع).

ـ الحديث رقم (١٩٧) المسلسل (٣٣٣) من صحيح مسلم: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمدٌ فيقول: بكَ أُمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك).

ـ الحديث رقم (٢٣٥٥) من صحيح مسلم: (أنا محمد، وأحمد والمقفِّي والحاشر ونبيُّ التَّوبة، ونبيُّ الرحمة).

وأخيراً سوف أختم هذه المجموعة بالحديث العجيب التالي:

ـ الحديث رقم (٢٣٥٤) المسلسل (١٢٤) من صحيح مسلم: (حدثني زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم وابن أبي عُمر ـ واللفظ لزهير ـ (قال إسحق: أخبرنا. وقال الآخران: حدثنا) سفيان بن عيينة عن الزهري، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «أنا محمَّدٌ. وأنا أحمد. وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكُفرُ. وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على عقبي. وأنا العاقبُ الذي ليس بعدهُ نبيٌّ).

ـ المسلسل (١٢٥) حدثني حَدقلةُ بن يحيى. أخبرنا ابن وهبٍ. أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء، محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأن الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قدميَّ. وأنا العاقِبُ الذي ليسَ بعدهُ أحدٌ». وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً.

لقد ذكرني هذا الحديث بفخر الشعراء فتذكرت قول المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني ... والسَّيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

أو قول المتفاخر الآخر عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا رضيع ... تخرُّ لـه الجبابرُ ساجدينا

ولكن جندي السلطان في الحديث السابق قد سبق الشعراء كلهم بأشواط كبيرة. هل تصدقون أن الرسول الكريم كان بهذه النفسية من العنجهية والمفاخرة؟.

وهل تظنون أن الرسول محمد ﷺ كان يستنكف أن يكون عبداً لله؟

﴿سبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً﴾ ١ ـ الإسراء.

﴿هو الذي ينزّلُ على عبدِهِ آياتٍ بيّنات﴾ ٩ ـ الحديد.

﴿فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى﴾ ١٠ ـ النجم.

﴿تبارك الذي نزّلَ الفرقانَ على عبدِهِ ليكونَ للعالمين نذيراً﴾ ١ ـ الفرقان.

﴿الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ ولم يجعل له عِوَجاً﴾ ١ ـ الكهف.

﴿إن كنتُم في ريبٍ مما نّزلنا على عبدِنا فأتوا بسورةٍ من مثلِهِ﴾ ٢٣ ـ البقرة.

﴿إن كنتُم آمنتُم بالله وما أنزَلنا على عبدِنا يومَ الفرقان﴾ ٤١ ـ الأنفال.

وهكذا نجد قرآننا يذكرنا دائماً بعبودية الجميع لله، والسلطان يشاء أن نستثني محمداً ليس حباً به كما سبق وقلت وإنما من أجل نفسه التي شاءت أن تنصب نفسها إلهاً وطاغوتاً في الأرض يقول فَيسجُدُ له الجميع. أم هل نسيتم فرعون الذي ذكره لنا ربنا أربعاً وسبعين مرة حتى لاننسى قصته في الأرض فنقع في حبائل فرعون آخر وتحت اسم آخر. عودوا للتاريخ، ألم يكن الناس يسجدون للسلاطين (خلفاء الرسول الكريم) والذين

كانوا يتسمون بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين؟

ألم يكونوا يقبلون قدميه أثناء المقابلات مع المسلمين؟

كيف كان يسمح بهذا وهو يدعي أنه خليفة رسول الله؟

أم أن تقبيل قدمي السلطان كانت من السنن الحسان التي سنها له جنوده في إسلام السلطان من جديد؟

طبعاً أنا لاأتكلم عن الخلفاء الراشدين هنا؛ بل أتكلم عن السلاطين.

والإنسان الذي يؤكد عبودية الرسول كما رأيتم في آيات القرآن يؤكد بنفس اللحظة حريته الشخصية وعدم عبوديته إلا لله، وهذا هو الذي لايحبه كل السلاطين في الأرض، إنهم يكرهون من يقول ذلك ولايريد الاعتراف بعبوديته لهم أولاً لذلك وكما رأينا، كل الأحاديث تصب في بحيرة السلطان التي أنشأها له جنوده على الأرض. فكلما استطاع جنود السلطان أن يحلقوا بنا وبخيالنا وتصوراتنا بإبعاد الرسول محمد ﷺ عن الأرض وعن بشريته ورفعه إلى مستوى الله تعالى بجعله معصوماً عن الخطأ بذاته وله القدرة على معرفة الغيب والمستقبل ذاتياً، وله القدرة على فعل المعجزات ذاتياً وآنياً وله قدرات خارقة وصفات الإله، من الصفات التي نقرؤها وقرأناها سوياً في هذا الكتاب بحيث جعلنا الرسول بعد كل ذلك هو المصطفى، وهوكليم الله وهو صفيه وشفيعه وحبيبه وخليله، وكل تلك الصفات التي لا أصل لها في كتاب الله هي الصفات التي كان يسعى ويدفع من أجلها السلطان آلاف الدنانير لأنها هي الأحاديث التي جعلت منه إلهاً على الأرض بعد أن أصبح خليفة محمد رسول الله على الأرض، لقد فاتنا أن ننتبه إلى سرّ هذا الرَّفْع والدَّفع نحو السماء للرسول متناسين مصالح السلطان المنتفع من كل ذلك على الأرض. والمعادلة الواضحة التي شرحتها لكم في مقدمة هذا الموضوع: إذا كان محمدٌ عبداً لله فالسلطان خليفة عبد الله، فإذاً هو لم يتجاوز باقي عباد الله بشيء أبداً، وهذا مالايريده السلطان أبداً.

ولكن إذا قلنا عن محمد ﷺ شفيع الله وهو الذي يحشر الناس يوم القيامة على قدمه فالسلطان خليفته يستطيع أن يحشر الناس في أي لحظة أيضاً على قدمه. وهذا هو ما طبّقه ونفّذه سلاطين المسلمين إلى اليوم ولم يفهمه المسلمين أيضاً إلى اليوم.

هل أصبحت الصورة واضحة؟ أم أنها مازالت تحتاج إلى توضيح أكبر حتى تستيقنوا بالدافع لإشراكنا الحالي وحقيقته، وأني لا أتقول أوهاماً بل أذكر لكم حقائق ملموسة

يمكن أن تروها بأعينكم؟

في إحدى البلاد الإسلامية أقدم شاب عاق على ضرب أبيه أمام الناس بسبب خلاف ما فهرع الجيران وأخبروا الشرطة التي حضرت فعلاً للتدخل في الموضوع بسرعة فما كان من الشاب الشيطان إلا أن قال لرئيس مفرزة الشرطة (جواباً على سؤاله لماذا تضرب أباك؟) فأجابه وهو يصيح في وجه ضابط الشرطة:

ـ إنه يَسُبُّ السُّلطان. ماذا تريدني أن أفعل؟ هل أسكت له؟ أم أُأَدِّبُهُ كما يجب؟

إذاً بعد كل الذي قرأناه وفهمناه حتى الآن لابد لنا أن نتوقف لحظة ونترك كل مافي أيدينا من شواغلنا الدنيوية، ونفكر مستخدمين ميزان الله الذي ملكناه بإرادةٍ منه وهو العقل والفكر الذي لم يمنحه الله لمخلوق إلا للإنسان. يجب أن نشك بكل ماسمعناه من كل الذين نحبهم من آباء وأجداد ومعلمين ومشايخ وأولياء وصالحين، لأن الشك هو مفتاح الإيمان الصحيح الخالي من الأوهام والأباطيل، والله يريدنا أن نؤمن بالعقل وليس بالعاطفة، كما حاول أصحاب المصلحة والغايات أن يفهمونا الإيمان.

يجب أن نشك بكل تراثنا الذي ورثناه عن آبائنا من أقوال وأعراف وتقاليد وأمثال ونضعها في ميزان العقل ومعنا الكاشف لها جميعاً وهي آيات الله الحقيقية في كتاب الله ووحيه الحقيقي الذي لا كتاب لنا في ديننا سواه كما ليس لنا سوى الله إلهاً أبداً.

وبما أن الله قد خلقنا أفراداً وسوف يميتنا أفراداً ولسوف يحاسبنا أفراداً لذلك يجب أن نتحمل مسؤولية إيماننا أو كفرنا أيضاً أفراداً، لا أن نتكل على أب أو أخ ربما كان مخدوعاً، فلن ينفعنا أن احتججنا بأن السبب في غفلتنا وإشراكنا أبٌ أو أخ لنا. ولسوف يكون جواب الله تعالى للجميع: لماذا لم تفكروا؟ لماذا لم تستخدموا عقولكم أنتم؟ ولماذا لم تحكموا ميزانكم؟ ماذا فعلتم إذاً بذلك الميزان؟ إننا جميعاً أيها الإخوة مقدمون عاجلاً أم آجلاً إلى ذلك اليوم الذي لاتقبل فيه أعذار من أحد أبداً، إذا ظهر فعلاً أنه قد أهمل ذلك الميزان ولم يستخدمه في كل أمور حياته حتى لايفتنه الشيطان المتمثل في نفسه، وماتهوى من أشياء، وفي أصحابه المشجعين له عليها. والعاقل من بدأبنفسه بإعادة ترتيب مافي صندوق أفكاره من الأوهام والأباطيل التي تناقض أو لايجد مايقابلها في كتاب الله فيتخلص منها بالجملة تماماً كما تخلص أبو بكر الصديق من الـ(خمسمائة حديث التي كان قد جمعها وكتبها عن الرسول محمد خلال حياته ورفقته وصحبته للرسول محمد) فعلها لعلمه أن طاعة الرسول من إطاعة الله، والرسول

أصدر أمراً دائماً لايجوز نسخه من أحد لتعارض نسخه مع حدود الله، وذلك الأمر كان مانقل عن الرسول في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري:

«من كتب عني غير القرآن فليمحه»:

إنها جملة مفيدة واضحة ومفهومة لكل من ليست له غايات ومصالح في ألا يفهمها، لذلك أطاعها كل صحابة الرسول الذين كان لهم عقلٍ ودور ووزن في الإسلام أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً، فكلهم كانوا يلمون بالقراءة والكتابة ولولا الحديث السابق وصحته لوجَدنا عند كل من هؤلاء الأربعة كتباً اليوم بين أيدينا نسميها صحيح الصديق وصحيح عمر، وصحيح عثمان، وصحيح علي، قبل أن نسمع عن صحيح البخاري ومسلم، تماماً كما صار عند أهل المسيح من أصحاب المسيح وحواريه أناجيل يسمونها اليوم:

(إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا).

إذاً يجب أن نقتدي بالصديق أبي بكر، فنحن لن نحب الرسول أبداً، أكثر من حب الصديق له ولن نحب أحاديث الرسول أيضاً أكثر من حبه لها، فكما أنه أحرقها وتخلص منها لمصلحة الإسلام والمسلمين إمتثالاً لأمر الرسول الكريم الواجب طاعته على كل مسلم ومسلمة.. يجب أن نفعل مثله ونهجر كل الأحاديث بالإجماع دون أن نجلس وننتقي منها لأنها مهما كانت قليلة سوف تشكل كتاباً مع كتاب الله، وهذا إشراك أبعدنا الله تعالى عنه أجمعين، . لنا القرآن كتاب الله، ومايفهمه المرء منه مباشرةً دون شيخ أو سلطان أيضاً يكفيه علماً بالإسلام. والإسلام أيها الإخوة دين يسر وليس بدين عسرٍأبداً. أرسله تعالى لنا ليُيَسّرأمورنا وليس من أجل تعسيرها، لكننا نحن لغفلتنا وسذاجتنا صدقنا الشياطين واتبعناهم دون أن نفكر في صحة دعواهم ونعود لنتلوا القرآن من جديد صباح مساء، وفي كل تلاوة لنا تتفتح لنا نوافذ جديدة ومعانٍ لم نكن قد فهمناها في التلاوة السابقة، ونطابق في حياتنا مانقرأ لأن مانقرؤه شرع وقانون للتطبيق والعمل به، وليست مجرد قصيدة شعر قالها شاعر في لحظة تأمل. إنه دين واجب الاتباع، فنبدأ بأنفسنا ونقول الصدق ولو على أنفسنا، ولا نكذب بعد الآن أبداً، والكذب أم الشرور كلها ونزيل الحقد والبغضاء والحسد من قلوبنا، وننظر إلى جميع الناس نظرة المحبة من جديد ومع مرور الزمن سوف نلاحظ على أنفسنا ونكتشف أننا نتغير ونتطور نحو الأحسن والأفضل من خلال تمسكنا بحقائق القرآن وتركِنا وهجرِنا

لكل مصادر الوهم والظنون، فتتحسن علاقتنا المباشرة مع كل المحيطين بنا من زوجات وأولاد وآباء وأمهات وأقرباء وأصدقاء ومعارف، وإن استطاع المرء منا أن يبشر بهذه التعاليم الجديدة القديمة ـ الجديدة في التطبيق والقديمة قدم القرآن على الأرض مهجوراً من غير عمل أو تطبيق. نبشر بأفكار القرآن بالحكمة والموعظة الحسنة لنزيد عدد العائدين إلى دين الرحمن بعد أن تركوا دين السلطان. حتى يعود الخير ليعم الجميع.

أما إذا ظن السنيُ منا أنه هو وأتباع مذهبه الوحيدون على السبيل الصحيح وكل باقي الطوائف والأديان الأخرى ذاهبة إلى جهنم وبئس المصير، أو ظن الشيعي منا أنه أيضاً هو وأتباع مذهبه الوحيدون على السبيل المختار وباقي الطوائف الإسلامية والأديان الأخرى مصيرها الجحيم، فلن نصل عندها إلى أي شيء، ولن يتبدل شيء مما نحن فيه من نقمة الله، وكما أننا لن نرى نعم الله أبداً. يجب أن نعترف أولاً بالحقيقة الكبرى أننا جميعاً على خطأ وخطأ كبير جداً، وخطيئتنا واحدة، فليست خطيئة أحد منا أصغر من خطيئة الآخر، وكما قلت لكم (ليس فينا أحد أفضل من أحد) فكلنا غارقون في الخطيئة والخطأ، والتصحيح يجب أن يعم الجميع بلا استثناء إذ لم يبق من كل المسلمين اليوم على سبيل الله أحد، بل الكل قد أشرك بالله وليس حديثاً كما قلت لكم، بل إشراك قديم طال به الزمن لأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وتفرقت بنا سُبُل الشياطين فأصبحنا نتبع عشرات الطوائف والسبل. والأخطاء الكبيرة العميقة مثل هذه لايمكن شفاؤها بالمراهم والدهون، بل تحتاج إلى عمليات جراحية فيها بتر وقص وكيّ بالنار، وليست عملية سهلة كما قد يتصورها أي ساذج جديد أبداً، إنه عمل يحتاج إلى كل جهد الأمة من الناس كل بحسب قدرته، وطاقته على التغيير المهم مساهمة كل الذين يؤمنون بهذه الفكرة من جديد. ولا يمكن تحويلنا عن المسار الخطأ الذي نحن عليه اليوم لنعود إلى السبيل الصحيح إلا إذا تحركنا وشمرنا عن سواعدنا للعمل الجاد والجهاد لإعادة دين الرحمن إلى بيوت المسلمين. ولا تفهموا الجهاد خطأ كما حاول السلطان أن يفرضه علينا، بل افهموه كما ورد في كتاب الله تعالى. (وقد فصّلت كل ذلك في بحث الجهاد في الإسلام في هذا الكتاب فأرجوا أن تقرأوه).

والجهاد بحسب القرآن دعوة سلمية للإسلام بلا عنف ولا دم ولا قتال، بل هو جهدٌ وجهادٌ ومجاهدة مع الصبر للإنسان المؤمن في سبيل الله والإيمان من أجل تبليغ رسالة الله إلى كل العالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا فرض ودائم في الإسلام، مابقي على الأرض مسلمون حقيقيون.

﴿يا أيّها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسولِهِ والكتابِ الذي نَزَّلَ على رسولِهِ والكتابِ الذي أَنْزَلَ من قبلُ ومن يكفُر بالله وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾ ١٣٦ - النساء.

صدق الله العظيم

من نتهم؟

طالما كل الناس قديماً وحديثاً يعلمون أن الافتراء في الأحاديث حدث في كل العصور الإسلامية ابتداء من العصر الأموي ونهاية بالعصر العباسي على اعتبار أن الصحيحين قد كتبا في العصر العباسي، فمن نتهم بالتأليف والتزوير والافتراء؟

هل نتهم الصحابة؟

هل نتهم التابعين؟

هل نتهم تابعي التابعين؟

هل نتهم الإمام البخاري والإمام مسلم؟

أم هل نتهم المنافقين؟

مع اعتبار أن الشيطان لم يمت في كل تلك الأزمنة، والإغراء موجود والفتنة دائمة من الشيطان للناس في كل عصر ومصر، ودليل الاتهام يجب أن يكون من كتاب الله، فكلنا يعلم كيف استطاع السامري وهو شيطان من الإنس أن يحرف أمة كاملة عن دينها إلى الإشراك في مدة وجيزة لم تتجاوز أربعين ليلة، غاب فيها نبي واحد هو موسى، علماً أن النبي الثاني هارون بقي معهم، والذين أشركوا هم صحابة الرسول موسى وهارون الذين آمنوا معهما ابتداء من مصر ورافقوهما في رحلة طويلة وشاقة، ورأوا بأم أعينهم خلالها تسع معجزات كبيرة من الله حصلت على يد موسى عليه السلام، وكل ذلك لم يمنعهم عن فتنة الشيطان التي حصلت بإذن مسبقٍ من الله تعالى.

فلا يجوز بعد ذلك أن نبعد الشيطان وفتنته عن أي إنسان طالما أصبح الإغواء متواجداً بعد أن أصبح الخلفاء يدفعون بسخاء في تأليف الأحاديث عن الرسول، في البداية كانت من أجل النصر والتأييد السياسي ضد فئة علي بن أبي طالب، ثم بعد ذلك تعددت الأسباب وكثرت مثل رغبة السلطان بتغيير أفكار المسلمين عن الحرية، لأن السلطان المستبد لاتعجبه الأفكار الديموقراطية التي ينادي بها الإسلام صراحةً في القرآن

الكريم، كذلك من أجل التصرف في الأموال وجعل مفاتيح الخزائن في يد السلطان، كذلك في المسائل الشرعية الأخرى حتى يتصرف السلطان كما يشاء بحقوق الناس، وهكذا نجد وراء كل تأليف دافع ومصلحة، كما رأينا أخيراً أن مصالح التجار في الدعاية لبعض السلع جعلتهم يدفعون لرواة الأحاديث لتأليف أحاديث تروّج بضائع معينة مقابل السخاء عليهم بالمال، طبعاً ليس هناك أي شيء بالمجّان، ولكني شخصياً أستبعد أو أحب أن أستبعد الصحابة جميعاً من التأليف والتزوير على الرسول الكريم، ولكني لاأستبعد أحداً من بعدهم وكما لاأتهم أحداً منهم بالذات.

أما الإمامان البخاري ومسلم فإني أبَرِّئُهُما، لأنّي لَمَستُ خلال دراستي لكتابيهما أنهما قد جهّزا وثيقتين كاملتين للاتهام بالتزوير والتأليف والافتراء للأحاديث، بدليل جمعهما لكل الأحاديث المتناقضة مع بعضها بالقرب من بعضها حتى لايتوه الباحث عنها. أو للإشارة بطريقة مباشرة للأحاديث التي تناقض القرآن الكريم بوضع النص ثم وضع الحديث المناقض تحت عنوان الآية. والذي يدرس ظروف عصريهما يعلم خطورة من يُتَّهَمُ بكشف خطة السلطان وجنوده، لأنها سوف تعرضه لأقصى العقوبات التي قد تصل إلى حد القتل بالسيف، لذلك لم يستطيعا أن يقولا كل ماعندهما بصراحة، ولكني أشرت كثيراً إلى المواضع التي تؤكد انتباههما لوجود تناقض بين الأحاديث ونصوص الكتاب.

وكلمة جنود السلطان تنطبق على كل إنسان من الرواة أو المحدثين الذين ليس لهم اسم مباشر في الأحاديث، لكنهم زوّروا الأحاديث وألفوا على الرسول والصحابة إرضاء لأي جهة من أجل الحصول على مال الدنيا...

كما يدخل ضمن الفئة طبعاً المنافقون من الحاقدين الذين دخلوا الإسلام وقد اضمروا على تخريبه من الداخل. فهؤلاء مصلحتهم التخريب وحرف العقيدة الإسلامية وتحويلها من عقيدة علمية عقلانية منطقية إيجابية إلى عقيدة تؤمن بالخرافات والأوهام والأباطيل، لجعلها عقيدة سلبية تؤذي أتباعها بدل أن تفيدهم وتحسن من أحوالهم في الدنيا والآخرة. ومن تلك الأهداف الهدامة التي سعى إليها المخربون: فكرتا العِلمْ والعَمَلْ. وذلك بجعل العلم مقصوراً على العلوم الدينية في إسلامهم الجديد وحصر فكرة العمل بالإيمان والعبادات مع التشجيع على الزهد والتوقف عن العمل على جميع أشكاله في الإسلام وتحديد الأعمال بالسعي فقط للآخرة وحدها ونسيان الدنيا

واستخلاف الله للإنسان على الأرض. حتى تتحول الأمة كلها إلى أمة ميتة بين الأمم.

يؤسفني أن أقول: إنهم حققوا نجاحات ضخمة في كل تخطيطاتهم ولمدة خيالية من الزمن دون أن يأتي من ينبه المسلمين لما يحصل بهم وحولهم حتى يستفيقوا من غفلتهم الطويلة الأمد.

وهكذا يجب أن نعلم أن عبارة (جنود السلطان) تحوي كل أصحاب المصالح المختلفة الذين يمكن أن تشملهم:

أولاً: من يعملون لتحقيق مصالح السلطان مقابل عطاياه.

ثانياً: من يعملون لتحقيق مصالحهم الشخصية مقابل عطايا سخية، مثل المروّجين لبضائعهم تحت ستار أحادث نبوية، مثال: الأحاديث الطبية.

ثالثاً: من يعملون لتحقيق أهداف بعيدة نتيجة حقد وضغينة وحسد قديم.

والفئات الثلاثة عملت معاً لقلب دين المسلمين، من دين إيجابي فعال إلى دين سلبي هو دين يؤمن بالخرافات والأوهام لافعالية فيه أبداً. وكما تشاهدونه مطبقاً إلى اليوم ابتداءً بطائفة السنّة وإلى أصغر طائفة عند المسلمين.

الفصل الثالث والعشرين

كيف رسخوا في فكر المسلمين استحالة فهم كتاب الله بشكل مباشر؟

هذه الفكرة هي أصلاً حلقة من مشروع متكامل لابد أن نفهمه ولو باختصار قبل البدء ببحث هذه الحلقة منفردة.

هذا المشروع قد طرح على جنود السلطان من قبل زعيمهم وولي نعمتهم السلطان المعظم من أجل تحقيق طموحاته ومشاريعه الدنيوية التي تتلخص بتحقيق امبراطورية واسعة ومترامية الأطراف تحت اسم الإسلام والمسلمين وبزعامة الخليفة السلطان ذي السلطة الإلهية المطلقة التي لايمكن أن يحدها أي شيء أبداً ولايمكن معارضتها من قبل أحد رعاياه.

ومن ثم إنشاء بطانة وحاشية سلطانية تتحقق فيها كل شروط الجنة الموصوفة في كتاب المسلمين من بناء وهندسة وذهب وفضة ومحظيات بالآلاف حتى يتمتع بها السلطان الذي اختار أن تكون جنته في الدنيا لعدم إيمانه بجنة الآخرة.

ومن ثم جعله ممثلاً لله على الأرض، ويحكم باسمه لكن ليس بتطبيق كتابه، بل بتطبيق سنن وقوانين أخرى تخدم مصالحه الأرضية.

هذا باختصار شديد هو المشروع السلطاني المعروض على هيئة جنود السلطان «الأكارم» للخروج بأفضل خطّة لتحقيق كل تلك الأهداف بالتدريج، ومن دون استخدام عنف أو قوة، أو اللجوء إلى الشرطة والعسكر من أجل تحقيق الأمن والنظام.

لقد كان معلوماً من قبل السلطان وجنوده جميعاً أن رسالة الإسلام وخاصةً آيات القرآن الكريم قد حررت الإنسان المسلم من الوهم والباطل والظنون والخرافات والأساطير أولاً. ثم حررت إرادته وحريته من جميع أشكال العبودية والتسلط مع جعل عبودية الإنسان لله وحده لاشريك له. ثانياً.

فإذا تصورنا الآن أن الإنسان الذي كان مسجوناً في قمقم أوهامه حرّره الله بآيات القرآن الواضحة والصريحة. فكأنه أخرجه من ذلك القمقم إنساناً عملاقاً فعالاً للخير

آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يدعو للسلم والسلام والإخاء في العالم كله وإلى رسالة ربه الكريم التي هي الإسلام. وكما رأيتم إن الإسلام حرر الإنسان من عبودية العباد. بعد أن ربط عبوديته بالسماء. لكن هذا التحرير أضر بمصالح الملأ الذين كفروا ويكفرون دائماً بتعاليم الله وكفروا أيضاً باليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار، لأنهم كانوا يستغلون كل أولئك الذين حررهم الله ويستعبدونهم لمصالحهم الدنيوية. وفي جنتهم الأرضية. فأحبّوا الاحتيال على المسلم لإعادته إلى قمقمه من جديد، حتى يعيدوا النير على رقبته لاستعباده، من أجل مصالحهم فقط، وقد كان مكرهم كبيراً جداً ومن النوع الذي يقول عنه سبحانه في القرآن الكريم:

﴿وقد مَكَروا مكرَهُم وعندَ الله مكرُهم وإن كانَ مكرُهم لتَزولُ منه الجبال﴾ ٤٦ - إبراهيم.

وهكذا فهمنا أن موضوعنا الحالي كان هو الحلقة الأولى من سلسلة الحلقات التي تعيد المسلم إلى ماكان عليه آباؤه وأجداده من الإشراك مع إجراء بعض التعديلات الشكلية في الاسم والعبادات والطقوس التي لابأس من الإبقاء عليها، لعلمهم أن كل الشكليات لاتأثير لها طالما أصبحت العقائد الأساسية كلها مسبوكة بيد صياغهم المحترفين وهي كفيلة بكل المطلوب. فكان أول الأوهام وأقواها أثراً على عقلية مسلمي اليوم هو أن القرآن صعب على الفهم المباشر من قبل المسلم العادي دون مساعدة خبير (شيخ). فكان ذلك هو أول وأخطر الأوهام التي استطاع جنود السلطان زرعها في أفكار أجدادنا، وجعلوها عقيدة راسخة من عقائد المسلمين. علماً أن هذا الوهم يناقض الحقائق القرآنية كلها.

فالقرآن أسهل كثيراً حفظاً وفهماً من كل مكتتبات علماء السلطان وكل الروايات التي اخترعوها ظلماً ونسبوها افتراءاً للرسول الكريم، ومن بعد الرسول نسبوها لله وحياً ثانياً.

ولكن يجب أن لايغيب عن فكرنا أن القرآن فيه نوعان مختلفان من الآيات ذكرتهما وعددتهما في كل كتبي للتأكيد عليها وإدراكها من قبل الجميع، نوع فيه شروح وتفصيلات عن الدين والعقيدة والعبادات والحدود والصراط المستقيم وأحكام الشرع كلها، والله تعالى يسمي هذا القسم (بأم الكتاب) أو يطلق عليها اسم (آيات الحكمة) أو (الأحكام) أو (الذكر الحكيم) أو (الفرقان) أي الذي يفرّق الحق عن الباطل.

والنوع الثاني وهو آيات القرآن (وهذا الاسم يطلق على الجزء وعلى الكل، وقد شرحت ذلك سابقاً وضربت عليه مثالاً: كيف نطلق اسم مصر على القاهرة، وهي الجزء،

ونطلقه أيضاً على كل البلد، أو اسم الشام على العاصمة دمشق، ونفس الاسم على كل بلاد الشام، وكذلك القرآن. وفيها الآيات المتشابهة التي فيها أنباء عن غيب الله كله، من علوم وتاريخ وقصص وتنبؤات عن أحداث سوف تحصل في المستقبل:

﴿هو الذي أنزَل عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٌ فأما الذين في قلوبهم زَيغٌ فيتّبعون ماتَشابَهَ منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاء تأويلهِ ومايعلَمُ تأويلَه إلاّ الله (وقف تام) والراسخونَ في العلمِ يقولون آمنّا به كلّ من عند ربنا ومايذكّر إلاّ أولو الألباب﴾ ٧ - آل عمران.

وأولو الألباب ليس المقصود بهم كما ترون الذين آمنوا بالله عن طريق العاطفة بل عن طريق العقل، وما الألباب إلا العقول المدركة.

فيعلمنا تعالى أن الذين في قلوبهم زيغ مثل جنود السلطان أصحابنا والذين يبغون الفتنة في الإسلام وعن الإسلام الصحيح هم وحدهم الذين يتبعون هذا النوع من المتشابه الذي كان الرسول وصحبه لايفسرونها ولا يشرحونها ولايؤولونها أبداً. وحتى يتأكد المسلم أن هذه هي الحقيقة فما عليه إلا العودة للقرآن وقراءته من جديد مع هذا التمييز لهذين النوعين من الآيات، فالمفهومة منها هي التي فيه الأحكام والعبادات مثل:

﴿يا أيّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكم الصّيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلِكم﴾ ١٨٣ - البقرة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا لايحلّ لكم أن ترِثوا النساء كَرهاً﴾ ١٩ - النساء.

﴿يا أيّها الذين آمنوا أَوفوا بالعقود﴾ ١ - المائدة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالَكُم بينَكم بالباطل﴾ ٢٩ - النساء.

﴿يا أيّها الذين آمنوا استعينوا بالصّبر والصلاةِ إنّ الله مع الصابرين﴾ ١٥٣ - البقرة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا مما رَزَقناكُم﴾ ٢٥٤ - البقرة.

﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتتّخذوا الكافرينَ أولياء﴾ ١٤٤ - النساء.

﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاةِ فاغسِلوا وجوهَكُم وأيديكم إلى المرافق وامسَحُوا برؤوسِكُم وأرجلكُم إلى الكعبيّن وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسَحوا بوجوهِكُم وأيديكم منه﴾ ٦ - المائدة.

١ ـ والمتشابه من الآيات أنواع: قسمٌ عن أنباء الغيب يعلّمنا بها بمقدار معين دون تجاوز ذلك المقدار الذي علمنا به من القرآن الكريم، مثل الآيات التي تشرح وتصف الجنة والجحيم والساعة ويوم الحشر والحساب والنفخ في الصور، وآيات تصف العرش والكرسي والسموات وتتكلم عن الجن والملائكة، وباقي مخلوقات الله.

٢ ـ والقسم الآخر من المتشابه وهو القصص القرآني وتاريخ الشعوب والأمم التي سبقتنا، وللقرآن في ذلك أسلوب خاص متميز، حيث يركز على الحدث التاريخي مهملاً الزمان والمكان والأشخاص والأسماء غالباً، لأن الغاية هي الحدث نفسه، أسبابه ونتائجه، وعلم التاريخ أساساً الغاية منه هي العبرة التاريخية من أجل التعلم من خبرة الذين سبقونا من الناس، وعلماء التاريخ اليوم بدأوا يأخذون بهذه الأمور بعد أن علموا أن كل الباقي لادور له ولا تأثير فيهملونه.

٣ ـ والقسم الثالث من المتشابه هو الأنباء عن علوم الله في الكون من التي نسميها اليوم بالعلوم الطبيعية، من فيزياء وكيمياء وأحياء وعلم طبقات الأرض والفلك والكون إلى آخر علوم النفس والاجتماع والسياسة والعلوم الإنسانية.

٤ ـ والقسم الرابع تعلم الإنسان من قبل الله بواسطة الأنبياء للعلوم مثل صناعة الحديد واستخراجه وتعدينه وعلم تأويل الأحلام وغيرها من علوم الإنسان.

٥ ـ والقسم الخامس هو الآيات القرآنية التي يعلمنا الله تعالى أنها سوف تحدث في المستقبل، وهي من أقل كل الأقسام السابقة، لأن المفروض أن لايعلم الإنسان بما سيحدث في المستقبل لأن ذلك يزيل عن الإنسان فعاليته ويحوله إلى كائن منفعل ينتظر حدوث الأحداث ولايحاول أن يصنعها بحركته وإرادته وسعيه وعمله ونشاطه، وهو المطلوب منه على هذه الأرض وسوف أضرب مثالاً عن هذه الأنواع الخمسة من المتشابه في القرآن الكريم:

١ ـ آيات من النوع الأول:

﴿الذين يحملونَ العرشَ ومن حوله يسبّحون بحمدِ ربّهم﴾ ٧ ـ غافر.

﴿ويحملُ عرشَ ربِّكَ فوقَهم يومئذٍ ثمانية﴾ ١٧ ـ الحاقة.

﴿وترى الملائكة حافين من حولِ العرشِ﴾ ٧٥ ـ الزمر.

وليس لنا أن نؤول أو أن نضيف فوق مافهمناه من هذه الآيات أي شيء أبداً.

٢ ـ آيات من النوع الثاني:

﴿قالوا يانوحُ قد جادَلتنا فأكثرتَ جَدالَنا فأتِنا بما تَعِدُنا إن كُنتَ من الصادقين﴾ ٣٢ـ هود.

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قالَ ياقومِ اعبدُوا الله مالكم من إلهٍ غيرُهُ﴾ ٥٠ ـ هود.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتِنا وسلطانٍ مبين * إلى فرعون وملأه فاتّبعوا أمرَ فرعون وما أمرُ فرعون برشيدٍ﴾ ٩٦ ـ ٩٧ ـ هود.

٣ ـ آيات من النوع الثالث:

﴿والأرضَ مدَدناها وألقَينا فيها رواسيَ﴾ ١٩ ـ الحجر.

﴿وألقى في الأرضِ رواسيَ أن تَميدَ بِكُم﴾ ١٥ ـ النحل.

﴿ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجَين لعلّكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ*ثم جعلناهُ نطفةً في قرارٍ مكينٍ*ثم خلَقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مُضغةً فخلَقنا المضغةَ عِظاماً فكَسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخرَ فتبارَكَ الله أحسنُ الخالقين﴾ ١٤ ـ المؤمنون.

٤ ـ آيات من النوع الرابع:

﴿ففهمناها سليمانَ وكلاً آتينا حُكماً وعِلماً وسخّرنا مع داوودَ الجبالَ يسبحّنَ والطيرَ وكنّا فاعلين وعلّمناه صنعةَ لبوسٍ لكم لتحصنَكُم من بأسِكم فهل أنتم شاكرون﴾ ٨٠ ـ الأنبياء.

﴿وكذلك يَجتَبيكَ ربُّكَ ويعلّمكَ من تأويلِ الأحاديث﴾ ٦ ـ يوسف.

﴿الذي علّم بالقلمِ علَّمَ الإنسانَ مالم يعلم﴾ ٥ ـ العلق.

٥ ـ آيات من النوع الخامس:

﴿غُلِبَت الرومُ * في أدنى الأرضِ وهم من بعدِ غَلَبِهِم سيَغلِبون * في بِضعِ سنينَ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرَحُ المؤمنونَ * بنصرِالله ينصُرُ من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لايخلفُ الله وعدَه ولكنّ أكثرَ الناسِ لايعلمون﴾ ٢ ـ ٦ ـ الروم.

وهذه الآيات لم يسمح لنا ربنا بتأويلها، لأن كل كلام نقوله عنها بالاستناد إلى أوهامنا أو أوهام الذين سبقونا من محرفات كتبهم سوف تدخلنا إلى باب الأوهام من جديد وأعلمنا ربنا بما يخصّ الآيات التاريخية والعلمية التي يمكن أن تعرف في المستقبل نتيجة

تطوير الله لعلم الإنسان على الأرض، فأعلمنا سلفاً أنه سوف يأتينا نبأها في المستقبل.

﴿ولتَعلَمُنَّ نبأَهُ بعد حينٍ﴾ ٨٨ ـ ص.

ومن تلك الآيات التي وصل نبأها نتيجة الاكتشافات العلمية:

آيات كثيرة في القرآن الكريم، وكلها معجزات تدل لكل ذي عقل وبصيرة أن كتاب الله من عند الله وحده وليس من صنع الإنسان وتأليفه أبداً، بدليل تلك الآيات التي لم تكن في علم الإنسان عند نزولها على رسولنا محمد ﷺ.

والآن أصبحت من الحقائق العلمية، مثل:

﴿وجعلنا فيها رواسيَ شامخاتٍ﴾ ٢٧ ـ المرسلات.

﴿والجبالَ أوتاداً﴾ ٧ ـ النبأ.

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تَميدَ بكم﴾ ١٥ ـ النحل.

كل هذه الآيات تشرح حقيقة علمية علمها علماء طبقات الأرض اليوم، وعلموا أن الجبال فعلاً هي التي تعمل مثبتات للقشرة الأرضية، تماماً كما تكون الأوتاد مثبتة للخيمة، أو الرواسي مثبتة للسفينة. ولولا الجبال التي تغرز في السائل الناري داخل الأرض لكانت الزلازل كبيرة جداً لدرجة لايمكن للإنسان أن يستقر عليها، أو أن يقوم بأي عمران أبداً كذلك علماء الفيزياء أيضاً فقد علموا أن كل شيء في الكون مكوّن من أزواج تماماً كما أخبرنا به الله تعالى في الآية:

﴿ومن كلِّ شيء خلقنا زوجَين لعلّكم تذكّرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

كما أن الله تعالى قد ضرب في أمثاله في القرآن بأشياء حقيقية وليست وهمية مثل: الآية التالية:

﴿إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتهم لي ساجدين﴾ ٤ ـ يوسف.

هذا مثل حقيقي علمه علماء الفلك اليوم، وفي عصر الرسول كان الناس يظنون أن الشمس والقمر من الكواكب، والأرض مركز الكون كله، بينما نجد في هذه الآية أن الأرض مجرد كوكب من الكواكب، والشمس والقمر لم يشملها الله بالكواكب. وهكذا تجدون أن القرآن مليء بالمعجزات العلمية وتحتاج إلى تلاوة متبصرة من كل المسلمين لإظهارها للناس من جديد.

نعم ربما هناك كثير من الآيات العلمية مازالت في غيب الله لأن العلماء لم يكتشفوا سرّها بعد، وخبرها سوف يأتي للناس الآتين في المستقبل. وهذه هي سنة الله في الأشياء وفي القرآن.

وهكذا أكون قد برهنت لكم بالأدلة القاطعة من كتاب الله على أن كتاب الله فيه نوعان مختلفان من الآيات، نوع فيه الآيات (بمعنى المعجزات وشرحت لكم ذلك) ونوع آخر من الآيات ليس فيها آيات (بمعنى الإعجاز الأول) ولكنها تشكل آيات الرسالة التي فيها أوامر ونواهٍ وآيات الصراط والحلال والحرام والعبادات والأحكام الشرعية، وليس فيها مايصعب على الفهم أبداً وليست بحاجة إلى وسيط يحتكر لنفسه المعرفة فيها وهو يظن أن القرآن كله لاعلم فيه لأن أدلته كلها لفظية، ولكن العلم موجود فقط في التوراة والإنجيل ومكتتبات جنود السلاطين الأخرى من الأحاديث وهو يظن أن في تلك الأشياء فقط أصل العلوم كلها، وليس فيها حقيقة إلا كل ما شَوَّهَ الدين عند المسلمين الذي زينه سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم وجعله دين الإسلام للعالمين.

﴿إنَّ هذا القرآنَ يهدي للّتي هي أقومُ ويبشّر المؤمنينَ الذين يعمَلونَ الصالحاتِ أنّ لهم أجراً كبيراً﴾ ٩ ـ الإسراء.

صدق الله العظيم

الفصل الرابع والعشرون

لماذا يسعى الطغاة إلى تأليه الرسل؟ كما أله قيصر روما المسيح عليه السلام.

سوف أحاول في هذا البحث البرهان على أن هذه الفكرة كانت من الأهداف البعيدة التي كان يسعى إليها سلطان المسلمين، لأنه إن استطاع تحقيقها سوف تمنحه السلطة المطلقة مع الصفات الإلهية التي يكتسبها الرسول ﷺ فتكون بالوراثة، والخلافة من حق خليفة الرسول، ويصبح بإمكانه إعلان ألوهيته على العباد بفضل دينه وشرائعه التي صكها له جنوده كما يشاء ويرغب، وجعلوها بالتدريج تكتسب قوة الوحي الإلهي مبتعدين عن شرع الله ودينه وسننه الموجودة أصلاً في القرآن الكريم، الذي أصبح مهجوراً، ولم يعد أحدٌ يذكر حتى اسمه في دين السلطان الجديد، ولايتذكرونه إلا في مناسبات الموت والجنازات. فالسلطان عندما يحتفل بذكرى مولد النبي ﷺ فإنه يحولها لتصبح في موضوع ذكراه هو. وأنا لاأقول هذا من باب المبالغة وإنما من باب ذكر الحقائق الواقعية التي يعيشها أهل السنة الذين يشكلون الغالبية العظمى من المسلمين.

لكن هذا ليس معناه أن الباقي ظل على الحق والطريق الصحيح بل إن عند الباقي أيضاً سلاطينهم وجنودهم الذين عندهم الدوافع نفسها لأن يقتدوا بسلطان السنة وإن اختلفوا بالتفاصيل.

وجنود السلطان عجزوا فيما نجح فيه أهل الكتاب بتحريف كتبهم كلها، ولم يستطيعوا تحريف حرف واحد من أحرف القرآن بالزيادة ولا بالنقصان. وقد برهنت في كتابي الأول في الإعجاز العددي عن هذا الموضوع بالتفصيل، فلجأجنود السلطان إلى هجر القرآن واستحداث نصوص جديدة سموها أحاديث الرسول الشريفة والأحاديث القدسية وتابعوا خطوات الخطة التي رسموها لتنفيذها خطوة خطوة مقتدين بأهل الكتاب وبما فعلوه بالسيد المسيح عليه السلام.

فكانت أول خطوة هي إلغاء عبودية الرسول لله في الأحاديث النبوية، طالما حَجَروا على القرآن ومُنِعَ عن الناس، فهم لن يعلموا بالتغييرات التي يستحدثونها في الدين. فكان

لابد من إزالة العبودية في نص الشهادة الذي يتردد في أسماع الناس عند الأذان كل يوم خمس مرات وفي كل آذان مرتين.

فجعلوا الأذان كما يلي:

- الحديث رقم (٩١٤) من صحيح البخاري: عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: «سمعت معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على المنبر أذن المؤذن قال: الله أكبر الله أكبر، قال معاوية، الله أكبر الله أكبر. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال معاوية: وأنا، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال معاوية وأنا. فلما قضى التأذين قال: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ على هذا المجلس حين أذّن المؤذن، يقول ماسمعتم مني من مقالتي».

وهكذا، أزيلت كلمة عبده من الأذان كما رأيتم.

ثم بدؤوا بعد ذلك بوضع الأحاديث التي بدأت ترفع الرسول تدريجياً نحو السماء مع جعل صفات خاصة مميزة للرسول ليست من صفات البشر، بل من صفات الله تعالى. بعد أن كانت صفاته في القرآن من صفات الناس دون أي تمايز أو اختلاف إلا بكونه مكلفاً من الله تعالى بالرسالة ويتنزل عليه وحيٌ من السماء.

١ ـ الحديث رقم (٦٦٤٤) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«أتمّوا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده إني لأراكم من بعد ظهري إذا ماركعتم وإذا ماسجدتم».

هذه مثلاً ليست من صفات البشر، فالرسول بحسب هذا الحديث صار يرى دون الحاجة إلى عين مادية، كل ماوراءه من المصلين.

فرفعوه بها درجة.

٢ ـ الحديث رقم (١٩٦١) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل. قال:

«لست كأحدٍ منكُم. إني أُطعَمُ وأسقى. أو إني أبيتُ أُطعَمُ وأُسقى».

أي أني قادر على الوصال، وأنتم عاجزون عنه لأني لست مثلكم.

والوصال: هو مواصلة الصوم لأكثر من يوم كامل بيومين أو ثلاثة أيام من غير طعام أو شراب (وأني أطعم وأسقى) وضعها الراوي لتوحي للقارىء أن الرسول يطعمه الله ويسقيه بطريقة خاصة لا علاقة للناس العاديين بها، فهو ليس بإنسان عادي مثلهم.

ورفعوه أيضاً بهذا الحديث درجة.

٣ ـ الحديث رقم (٥٦٥١) من صحيح البخاري: في باب عيادة المغمي عليه: عن جابر بن عبد الله قال: مرضت مرضاً فآتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي فتوضأ النبي ﷺ ثم صب وضوءه علي فأفقت، فإذا النبي ﷺ.... إلى نهاية الحديث.

جندي السلطان يحاول أن يزرع في مخيلة المسلم أن وضوء الرسول والماء الذي استخدمه في ذلك صارت له قوة عجائبية. ورفعوه بها درجة.

٤ ـ الحديث رقم (٦٣٨٣) من صحيح البخاري: عن أبي موسى قال: دعا النبي ﷺ بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال:

«اللهم اغفر لعُبيد أبي عامر» ورأيت بياض إبطيه (هذه هي الشهادة على صدق راوي الحديث ولو لم يكن صادقاً لما رأى بياض إبطي النبي ﷺ) فقال:

«اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس».

طبعاً، معنى الحديث ضمناً: أن الله سبحانه لابد استجاب لدعوة رسوله الكريم وجعل عبيد أبي عامر فوق كل خلق الله ولو زنى ولو سرق. ورفعوه بها درجة.

٥ ـ الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشر.

قال: قلت لأنس أو كان يطيقه (أي هل كان من طاقة الرسول أن يفعل ذلك؟) قال أنس: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلاً.

فجعلوه سوبرمان العالم في الجنس.

ورفعوه بها درجة.

٦ ـ الحديث رقم (٧٢٧٠) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: ضمّني إليه النبي ﷺ وقال:

«اللهم علّمه الكتاب».

(فاستجاب الله سبحانه لدعاء الرسول وصار ابن عباس بعدها حبراً من علماء المسلمين، ويعرف كل آيات القرآن الكريم، من محكمها ومتشابهها، ويعلم كل آية من آيات الله فيما نزلت، مع أنه يقول بنفسه إنه كان في العاشرة من عمره عندما توفي الرسول ﷺ لكن كل ماقرأه حصل بفعل معجزة الدعاء السابق).

ورفعوه بها درجة.

٧ ـ الحديث رقم (٧٧) من صحيح البخاري: عن محمود بن الربيع قال: عقلت (فهمت وأدركت العلم عن الرسول ﷺ) من النبي ﷺ:

«مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو».

ورفعوه بها درجة.

٨ ـ الحديث رقم (٥٦٥٧) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه، أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: أسلم فأسلَمَ (الغلام).

ورفعوه بها درجة.

٩ ـ الحديث رقم (٦٣٣٤) من صحيح البخاري: عن أنس قال: قالت أم سليم (أم أنس) للنبي ﷺ: أنس خادمك قال:

«اللهمّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته».

فاستجاب الله سبحانه دعاء الرسول، وصار أنس من الأغنياء في العصر الأموي وكثر ولده حتى زادوا مع أحفاده عن المائة.

ورفعوه بها درجة.

١٠ ـ الحديث رقم (١٤٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً، قال: من وضع هذا؟ فأخبر، فقال: «اللهم فقّههُ في الدين».

فصار من أكبر علماء وفقهاء الدين.

ورفعوه بها درجة.

١١ ـ الحديث رقم (٣٦٤٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قلت: يارسول الله إني سمعت منك حديثاً فأنساه قال ﷺ: «ابسط رداءك» فبسطته، فغرف بيديه فيه ثم قال: «ضُمَّهُ» فضممته (على صدري) فما نسيت حديثاً بعد.

شملته معجزة الرسول ﷺ فلم ينس بعد ذلك، وخرج من فئة الإنسان الذي من صفاته النسيان إلى فئة أخرى بالمعجزة، وروى لوحده آلاف الأحاديث.

ورفعوه بها درجة.

١٢ ـ الحديث رقم (٥٦٥٢) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال عطاء بن أبي رباح: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى! قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال:

«إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك».

فقالت: أصبر، فقالت: إني اتكشف فادع الله أن لاأتكشف فدعا لها.

ورفعوه بها درجة.

١٣ ـ الحديث رقم (٣٥٧٩) من صحيح البخاري: حدثنا: إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله؟؟؟ قال: «كنا نعد الآيات بركة، (المعجزات) وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال:

«اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حَيِّ على الطَّهور المبارك والبركة من الله».

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، معجزتان في لحظة واحدة.

وقد اختلف الرواة من بعد ذلك، فأكد أحدهم أن عدد الذين شربوا من ذلك الماء كانوا أربع عشر مائة. وفي الحديث رقم (٣٥٧٦): عن جابر بن عبد الله: قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا. وزاد: وكنا خمس عشرة مائة».

ورفعوه بها درجة.

١٤ ـ الحديث رقم (٦٤٥٢) من صحيح البخاري: (وحتى لايكون المسيح وحده الذي عنده العشاء الرباني فصار للرسول ﷺ عشاءات ربانية: أولاً بالحليب (اللبن): عن أبي هريرة في حديث طويل مختصره: «ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف مافي نفسي وما في وجهي. ثم قال«أباهر»، قلت: لبيك يارسول الله قال: «إلحَق»

ومضى فتتبعته فدخل فاستأذنت فأذن لي، فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟»، قال: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «أبا هرّ» قلت: لبيك يارسول الله. قال: «الحق إلى أهل الصُّفَّة فادعهم لي» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لايأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وماهذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وماعسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدٌّ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت قال: «يا أبا هرّ»؛ قلت: لبيك يارسول الله. قال: «خذ فأعطهم»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي وتبسم فقال: «ابا هرّ»، قلت: لبيك يارسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت»قلت: صدقت يارسول الله. قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، فقال: «اشرب»، فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة.

ورفعوه بها درجة.

وحتى لايتجرأ أحد بعد ذلك ولو لمجرد الشك أو التفكير بأن محمد رسول الله من البشر أو كان أصلاً من البشر وضعوا الحديث التالي:

١٥ ـ الحديث رقم (٣٥٣٢) من صحيح البخاري: عن محمد بن جبير بن مُطعِم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشرُ الناسُ على قَدَمَيَّ، وأنا العاقِبُ».

لاحظوا الأسلوب الجديد في الحديث:

«أنا الحاشر الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمَيَّ». لم يعد حتى لله من وجود في موضوع الحشر كله. وأنا العاقب.

ورفعوه بها درجة.

إليكم عشاء رباني آخرعن الرسول ﷺ:

١٦ ـ الحديث رقم (٣٥٧٨) من صحيح البخاري: عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوعَ، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم.

فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت يدي وأتتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم فقال لي رسول الله:

«أأرسلك أبو طلحة؟»فقلت: نعم، قال: «بطعام؟» قلت: نعم. فقال: رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا». فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: ياأم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا مانطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي يا أم سليم، ماعندك؟» فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّو وعصرت أم سليم عكة فَأَدَمَتْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ماشاء الله أن يقول. ثم قال: «إئذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «إئذن لعشرة»، فأذن لهم. فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «إئذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «إذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

ورفعوه بها درجة.

١٧ ـ الحديث رقم (٣٥٧٧) من صحيح البخاري: عن مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر. فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرةً، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض وَمَجَّ في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا.

ورفعوه بها درجة.

١٨ ـ الحديث رقم (٣٥٨١) من صحيح البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل.. عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصُّفَّةِ كانوا أناساً فقراء وأن النبي ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام

أربعة فليذهب بخامس أو سادس». أو كما قال. وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي بعشرة وأبو بكر ثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي ولاأدري هل قال امرأتي وخادمي، بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ فجاء بعد مامضى من الليل ماشاء الله. قالت له امرأته: ماحبسك عن أضيافك؟ أو ضيفك؟ . قال: أوعشيتِهِم؟ قالت: أبوا حتى تجيء. قد عرضوا عليهم فغلبوهم، فذهبت فاختبأت فقال: ياغُنثَر، فَجَدَّعَ وسَبَّ. وقال: كلوا. قال لا أطعمه أبداً. قال: وأيم الله ماكنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها. حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل. فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر. فقال لامرأته: يا أخت بني فراس. قالت: لا وقرّة عيني، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات. فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهدٌ، فمضى الأجل، فعرفنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم قال: أكلوا منها أجمَعُون أو كما قال: وغيرهم يقول: فَتَفَرَّقنا.

ورفعوه بها درجة.

ثم يأتي موضوع الشفاعة:

١٩ ـ الحديث رقم (٦٥٦٦) من صحيح البخاري: عن عمران بن حصين. قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين».

ورفعوه بها درجة.

٢٠ ـ الحديث رقم (٦٥٦٥) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يجمع الناس يوم القيامة فيقولون، لو استشفعنا على ربّنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر ملائكته فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هُنَاكُم. ويذكر خطيئته ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: ليست هُنَاكُم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لَسْتُ هُنَاكُم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلم الله فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست

هُنَاكُم، ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاستأذن ربي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيَدعُني ماشاء الله ثم يقال: ارفع رأسك سل تُعطَه قل: يُسمَع، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحُدُّ لي حداً ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى مابقي في النار إلا من حبسه القرآن». وكان قتادة يقول عند هذا: أي وَجَبَ عليه الخلود.

ورفعوه بها درجة.

ونحن لازلنا على نفس الطريق، وإذا بقينا على دين السلطان فسوف يجتمع جنود السلطان في مكان ما كما فعل أهل الكتاب قبلنا ويصدرون قراراً بالإجماع بتأليه الرسول محمد ﷺ. أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم وأتوب إليه.

وأنا لا أدعي علم الغيب ولا أقرأ المستقبل ولكن ما نحن عليه الآن يدل بوضوح ويؤشر لوحده بأن النتائج سوف تكون بحسب ممشانا الحالي إلى تلك النتيجة.

علماً بأننا قد أشركنا جميعاً عندما قلنا بكتاب مع كتاب الله، وبسنة مع سنة الله، وكما أشركنا عندما قلنا بهدي مع هدي الله، وعندما قلنا بشفاعة مع شفاعة الله.

وقد قال الله سبحانه في القرآن الكريم:

﴿وما محمدٌ إلا رسول قد خَلَت من قبلِهِ الرسلُ أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتُم على أعقابِكُم ومن ينقلِبْ على عقبيهِ فلن يضرّ الله شيئاً وسَيجزي الله الشاكرين﴾ ١٤٤ ـ آل عمران.

وكما قال سبحانه عن القرآن الكريم معدداً صفات ومزايا كتاب الله:

﴿ولو جعلنا قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلَت آياتُه أأعجمي وعربيّ قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء والذين لايؤمنون في آذانِهِم وقرٌ وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ ٤٤ ـ فصلت.

صدق الله العظيم

الفصل الخامس والعشرون

صورة الرسول الحقيقية بالاستناد لآيات القرآن الكريم

في الصفحات السابقة كنا نرى من خلال الأحاديث التي درسناها في هذا الكتاب صورتين متناقضتين، صورة تحاول الإساءة إليه شخصياً، بتغيير صفاته الحقيقية وتصويره صوراً مختلفة قصدها الإساءة له شخصياً والإقلال من أهميته ودوره في الإسلام، وهذه كانت تبرعاً من المنافقين والحاقدين عليه وعلى الإسلام. والصورة الثانية صورة مبالغ فيها لإعطائه صفات إلهية، وهي مقصودة من أجل أن يكتسب السلطان تلك الصفات، فتصبح سلطته مطلقة لايحدها حدود، خاصة وأن القرآن الكريم أُبعِدَ عن أيدي الناس بعد أن أصبحت مؤلفات جنود السلطان هي القانون والدستور الدائم للأمة، وبها يتم القضاء والشرع والحكم بين الناس بعدل السلطان.

ولابد لنا أن نعود لآيات القرآن الكريم لنستعيد صفات الرسول الحقيقية بعد أن استمعنا لكل تلك الصفات السابقة، خلال صفحات هذا الكتاب من خلال الأحاديث:

أولاً: صفات الرسول الشخصية التي ذكرت في القرآن الكريم في وصف الرسول وأخلاقه الشخصية:

لقد كانت أخلاقه وخلقه كإنسان في مستوى النخبة:

﴿وإنّكَ لعلى خلقٍ عظيم﴾ ٤ ـ القلم.

كان الرسول الكريم أنيساً ودوداً محباً دَمِثاً لايغضب ولايثور إلا نادراً:

﴿ولو كنت فظّاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولِك﴾ ١٥٩ ـ آل عمران.

وقد كانت من صفات الرسول الرحمة والرأفة بالناس، يخشى عليهم من العذاب والعنت يحب هداية كل الناس للخير حتى يخلصهم جميعاً من عذاب شديد، يعلم أنه قادم على كل الغافلين عنه فيضحي براحته وبكل وقته ساعياً لهداية الناس إلى السبيل الصحيح، لدرجة أن الله سبحانه عاتبه على ذلك الحرص الشديد قائلاً:

﴿إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.
(أي من يرغب ويشاء ويختار بنفسه هداية الله للصراط المستقيم).
ومن أجل كل ذلك الحرص والرحمة والرأفة بالناس قال تعالى عنه:
﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ١٢٨ ـ التوبة.
﴿محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ٢٩ ـ الفتح.
وحتى لانعطي للرسول صفات ليست له ينبهنا ربنا إلى دور الرسول في الرسالة وأين ينتهي دوره فيها:
﴿إنّما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ ١٢ ـ هود.
﴿قل لستُ عليكم بوكيلٍ﴾ ٦٦ ـ الأنعام.
وهذا إقرار بقول الرسول الكريم بأنه لم يوكل من قبل الله على أحد، فعليه فقط البلاغ والإنذار.
ليس للرسول أن يُكَفِّرَ أحداً أو يحاسب أي إنسان على موقفه الإيماني:
فمن يقول بلسانه لا إله إلا الله لم يعد مع الرسول بعدها من سؤال أو جواب:
﴿وما جعلناكَ عليهم حفيظاً وما أنتَ عليهم بوكيل﴾ ١٠٧ ـ الأنعام.
والله تعالى يعلم أن الناس من بعده سوف يقولون بشفاعة محمد فيجعله يُقِرُّ ويقول للناس:
﴿قل لله الشفاعةُ جميعاً له ملكُ السّموات والأرض﴾ ٤٤ ـ الزمر.
حتى تكون هذه الآية جواباً لكل من يقول: إن الرسول هو شفيع المسلمين يوم القيامة، وكما ينبه الله الناس الذين قالوا بعذاب القبر وأن الناس في قبورهم أحياء يحسون ويسمعون ويتعذبون وينعمون: أحدهما في جحيم القبر والثاني في نعيم القبر. فيقول الله لهؤلاء الناس سلفاً:
﴿وما أنتَ بمسمعٍ مَن في القبور﴾ ٢٢ ـ فاطر.
لأن الذين ماتوا لم يعودوا ليسمعوا أو يحسّوا بشيء بعد أن تحلّلت عظامُهم إلى تراب.

ونحن تعودنا من خلال الأحاديث ونحن نسمع بسُنَّة الرسول، والله يؤكّدُ لنا في القرآن أن لاسُنَّةَ إلا لله تعالى:

﴿سنة الله في الذين خَلَوا من قبل﴾ ٦٢ - الأحزاب.

﴿فلن تجدَ لسُنَّةِ الله تبديلاً ولن تجدَ لسُنَّة الله تحويلاً﴾ ٤٣ - فاطر.

ونحن تعودنا من خلال الأحاديث أن نسمع بهدي محمد. والله تعالى يؤكد أنه لاهدي إلا هدي الله تعالى ولايشاركه في الهدي أحد:

﴿وإن الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم﴾ ٥٤ - الحج.

﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ ٢٣ - الزمر.

﴿ليس عليكَ هُداهم ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ - البقرة.

﴿إن تحرص على هُداهُم فإنَّ الله لايهدي من يضِلُّ﴾ ٣٧ - النحل.

﴿وما أنتَ بهادي العُمي عن ضلالاتِهم﴾ ٨١ - النمل.

والله يؤكد حتى نعلم أن الهدى من الله وحده فيقول:

﴿وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ٤٣ - الأعراف.

وحتى يعلم كلّ الناس أن الرسول لاعلاقة له بالهداية فقد قال سبحانه:

﴿إنك لاتهدي من أحبَبت ولكنَّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ - القصص.

وقد لاحظتم أن ٩٠٪ من الأحاديث التي درسناها جعلت الرسول يعلم بكل غيب الله وأسراره دون أن يكون مايدل على صحتها في القرآن، بل نجد القرآن يكذبها جميعاً في الآيات التالية:

﴿ولله غيبُ السموات والأرض﴾ ٧٧ - النحل.

﴿قل لايعلَمُ مَن في السمواتِ والأرض الغيبَ إلا الله﴾ ٦٥ - النمل.

وقال سبحانه على لسان رسوله إقراراً منه بعدم معرفة الغيب لعلمه أننا سوف نتقول عليه في الأحاديث:

﴿قل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملكٌ إن أتبع إلا

مايُوحى إليَّ﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

الآية جواب لافتراءات كثيرة جداً بحق الرسول الكريم.

﴿ولو كنتُ أعلَمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

وهكذا تشاهدون بأعينكم أن الأحاديث إذا كانت تتجه شمالاً فإن آيات الله في القرآن تتجه بعكسها تماماً إلى اليمين.

ذلك لأن جنود السلطان أقسموا يمين الطاعة لولي نعمتهم وخالفوا الله في كل ما أمر من آيات، مثل:

﴿ذلكم الله ربُّكم لا إله إلا هو خالقُ كلِّ شيء فاعبدُوهُ وهو على كلِ شيء وكيلٌ﴾ ١٠٢ ـ الأنعام.

فاختاروا أن يعبدوا السلطان ـ بدلاً من الله تعالى.

ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد ولن يستطيعوا أن يذهبوا بعيداً أبداً:

﴿ولقد جئتمونا فُرادى كما خلَقناكُم أولَ مرةٍ وتركتُم ماخوّلنا كم وراء ظهورِكُم وما نرى معكم شفعاءكُم الذين زعمتُم أنّهم فيكم شركاء لقد تَقَطّع بينكم وضلّ عنكم ماكنتم تزعُمون﴾ ٩٤ ـ الأنعام.

الله تعالى يسخر منهم كاشفاً عن أفعالهم لعلمه الغيب سبحانه بما سيفعلون، مصوراً كيف ستكون حالتهم يوم القيامة عندما يسألهم أين شفعاؤكم الذين زعمتم أنهم سوف يخرجونكم من الجحيم؟.

فمن كان يظن أن المسيحَ مخلّصه أو الرسول شفيعه أو اللات والعزى فكلهم عند الله تعالى سواء في موضوع الشفاعة لأنه لاشفاعة لأحد عند الله.

ولا مخلص سواه أبداً، فهو الله لاشريك له الآمر الناهي هناك.

ورداً على الذين يقولون أحاديث الرسول والأحاديث النبوية القدسية. يقول لهم سبحانه رداً على كل أولئك:

﴿فبأي حديثٍ بعد الله وآياتِهِ يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ ٥٠ ـ المرسلات.

والله سبحانه نهى موضوع الحديث كله وأثبت بطلانه بآية قرآنية واحدة:

﴿الله نزَّل أحسَن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربَّهم ثم تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ ٢٣ ـ الزمر.

صدق الله العظيم

الفصل السادس والعشرون

تصور الله سبحانه وتعالى في فكر المسلمين اليوم

من خلال مارأيتم حتى الآن فإن أغلب الحديث الموجود في الصحيحين يعتمد أساساً كمصدر للعلم على كتب أهل الكتاب المحرفة، دون الاعتماد على القرآن الكريم الذي هو الأساس بالنسبة للمسلمين. فصارت عقائد أغلب المسلمين وتصوراتهم منبعها تلك الكتب التي تتصور أنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم على صورته، والفارق الوحيد هو الفرق بالحجم والضخامة والقوة والقدرة. فهم يتصورونه كما يتصورونه في كنائسهم كلها وهو جالس على عرشه والملائكة تحوم من حوله. ونفس الصورة موجودة في أذهان المسلمين مع فارق وحيد أنهم لايرسمونه في المساجد.

ولذلك إذا سألنا أي شيخ أو جندي من جنود السلطان لوصف لنا الله بيدين وقدمين وعينين وأذنين وهكذا.. علماً أنه لو رجع إلى قرآنه الكريم لوجد مايخالف اعتقاده هذا المستند لكتب أهل الكتاب وتحريفاتهم وحدها.

إن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم بكل صراحة إن قانون الخلق عند الله يعتمد على الزوجية كمبدأ في الخلق.

﴿ومن كلِ شيءٍ خلَقنا زوجَين لعلّكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

وهنا الله سبحانه يتكلم عن كل شيء. عن الجمادات قبل الأحياء.

﴿ومن كلِّ الثمراتِ جعلَ فيها زوجَين اثنين﴾ ٣ ـ الرعد.

﴿فيهما من كلِ فاكهةٍ زوجان﴾ ٥٢ ـ الرحمن.

﴿وإنّه خلق الزوجين الذّكَرَ والأنثى﴾ ٣٩ ـ القيامة.

وهنا عندنا ملاحظة أخرى هامة لم ينتبه إليها الكثيرون بعد، وهي الحقيقة التالية:

إن الله سبحانه يقول عن كل مخلوق فرد حيواناً كان أم نباتاً أو جماداً، أو إنساناً، ورجلاً كان أم أنثى «زوج» فمن أين تأتي الزوجية للفرد أو للمخلوق؟ لنتخيل أنفسنا

ونحن نقف أمام المرآة وكأن خطاً وهمياً يمر من أعلى رأسنا إلى مابين قدمينا فيقسمنا إلى قسمين يمين ويسار متساويين. فماذا نرى؟

نكتشف أننا نتكون فعلاً من اجتماع أزواج بشكل دائم، عينين، أذنين، حتى الأسنان ستة عشر على اليمين وستة عشر على اليسار في الفكين، وكل سن يناظر نظيره في الطرف الآخر من كل فك ويعاكسه في الاتجاه، وكأنه صورته في المرآة العاكسة. ومن هنا فكل مخلوق فرد يدعوه الله (زوج) لوحده، لأنه يتشكل أصلاً من اجتماع الأزواج كما شاهدتم بأنفسكم.

والآن إذا تصورنا الله على شكل الإنسان، نكون قد منحنا الله سبحانه صفة الزوجية دون أن ندري، وهذا يعني بالضرورة أن كل خيالات أهل الكتاب وتصوراتهم لله الفرد الأحد الذي يرفض الزوجية بذاته لايمكن أن يشبه الإنسان المعتمد في قانون خلقه على الزوجية كما بينت هنا الآن.

ونحن المسلمين كان اعتمادنا على أهل الكتاب وتخيلاتهم في عقيدتنا الإسلامية كلها فارتكبنا أكبر خطأ يمكن أن يرتكبه إنسان، ولا يمكن العودة إلى العقيدة السليمة والخالية من كل تلك الأوهام إلا بالعودة لكتاب الإسلام وحده، الذي هو القرآن الكريم، ليكون هو وحده الأساس في تكوين العقيدة والتصورات الإسلامية، وإلا نكون فقط كالذي يحمل اسم محمد، لكنه يهودي أو مسيحي في العقيدة والإيمان. وحتى لو سمى المسلم دينه (الإسلام) فهذ الاسم لن يغير حقيقة عقيدته المستندة للتوراة والإنجيل في العقائد والتصورات وإن كان لايعلم. والذي يميز المسلم اليوم ليس عدم إعتقاده بالتوراة والإنجيل المحرفة، ولكن بإعتقاده بأوهام أكبر وأكثر من ماهو متوفر في كل كتب أهل الكتاب كلها لأن جنود سلطاننا كانوا نشيطين في تأليف الأوهام والضلالات، فأنتجوا خلال ألف وأربعمائة من السنين التي قضاها المسلمون وخاصةً هؤلاء الجنود من دون أي عمل إلا في التحليق في تلك الأوهام لتأليف أوهام وأباطيل جديدة، فأصبح عندنا خزائن منها والتي بدراستها لازلنا نعتقد بأننا نُخَرِّجُ علماء للمسلمين.

ولذلك إذا عاد المسلم إلى سورة الإخلاص وقرأها من جديد:

﴿قل هو الله أحدٌ * الله الصمدُ * لم يلدولم يُولَد * ولم يكُن له كفواً أحد﴾

لاكتشف من جديد أن الله سبحانه كما يصوره القرآن هو فرد صمد، ليس كمثله

شيء، ولا يمكن أبداً أن يشبه الإنسان الذي كل مافيه يؤكد الزوجية، بينما الله سبحانه كل مافيه يؤكد الفردية والأحدية.

ونخطىء أكثر لوعدنا لنتخيل الله سبحانه من جديد بناء على خيالنا الأول الذي كان خطأ من أساسه فنعود لنتصور الله سبحانه وتعالى وله عين واحدة أو أذن واحدة أو يدٌ واحدة، أو رجل واحدة، ومن الذي قال لنا إن الله بحاجة إلى عين مادية أو أذن مادية أو يد مادية أو رجل مادية؟ فالله ليس مخلوقاً مثلنا حتى يحتاج لكل ذلك، وأفضل شيء نفعله أن لانحاول تخيله أو تصوره بالشكل، ويكفينا أن نرى قدرته فينا وفي الكون ليكون دليلاً لنا على وجود الله الخالق القدير.

﴿وقال الذي آمن ياقوم اتّبعونِ أهدِكُم سبيلَ الرشادِ * ياقومِ إنّما هذه الحياةُ الدُّنيا متاعٌ وإنّ الآخرةَ هي دارُ القَرار * وياقومِ مالي أدعوكم إلى النَّجاةِ وتدعونَني إلى النار * تدعونني لأكفرَ بالله وأشرِكَ به ماليسَ لي بهِ علمٌ وأنا أدعوكُم إلى العزيزِ الغفّار﴾ ٣٩ - ٤٢ - غافر.

صدق الله العظيم.

الفصل السابع والعشرون

كيف يمكن للمسلم المعاصر أن يكتشف إشراكه الحالي بالله؟

لاشك أن كل المسلمين في العالم كله متفقون في أمر واحد وهو حبهم العظيم للرسول محمد ﷺ، ابتداء بصحابته من أمثال أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً وانتهاء بآخر مسلم وعى الإسلام اليوم.

وكان باب الحب هذا هو نقطة الضعف (مع أنها يجب أن تكون نقطة قوة) التي استغلها المنافقين من أعداء الإسلام والمسلمين من الذين دخلوا الإسلام وكلهم عزمٌ على تخريبه من الداخل وتفريغه من كل عناصر القوة التي تميزه عن باقي العقائد في العالم، فأدخلوا أحاديث وضعت لخدمة تلك الأهداف الهدامة مع خدمة أهداف صاحب السلطة الذي كان يدفع لهم أجور خدماتهم ليجعلوه بتلك الأحاديث مع الأيام إلهاً يعبد باسم الله والرسول على الأرض.

وما مضى قد مضى ولا يمكن إعادته ولا تصحيحه، ولكن على مسلم اليوم أن يميز بين حبه للرسول ﷺ وبين تصديقه للأحاديث المنسوبة ظلماً وبهتاناً له. لأن أغلبَها وضعت حتى يقتدي بها السلطان وتكون سنته وقانونه على الأرض وحتى تأتي أعماله مطابقةً لسنة رسوله فلا يلومه عليها مسلم، وهي من هذا الباب تشوه صورة الرسول المحبوب بيننا جميعاً.

ونحن نعلم أن الذي يحب حباً عظيماً لايناقش محبوبه ولايحاسبه بل يقبله كما هو، فاستغل جنود السلطان هذه النقطة فشوهوا الصورة كثيراً. والمسلم كان يتقبل كل الصور بحسن نية ويجد لها التأويلات المناسبة لكل حالة، ومنحوا الثقة لمن كانوا يتسمون بعلماء المسلمين نتيجة فرضية خاطئة في ذهن المسلم العادي الذي سيقول في نفسه (إذا كُنتُ أنا الذي لا أعرفُ عن الرسول الكريم إلا بعضَ الأشياء وبعض الأحاديث، وبعض القصص من سيرته العظيمة وأحبه هذا الحب فكيف بالعالم الذي يعرف كل شيء عنه؟ لابد أنه يحبه أكثر مني بآلاف المرات.

فلم يخطر على فكره أن يكون ذلك العالم منافقاً أو حاسداً أو حاقداً دخل الإسلام أصلاً لتخريبه على أصحابه. نسي المسلم أيضاً أن كثيراً من علماء المسلمين كانوا يخلصون للسلطان فقط ولا يخلصون لله ولا لدينه ولا حتى لمحمد.

ولذلك يتعلق المسلمون اليوم بما قيل لهم منذ نعومة أظفارهم بأنها أحاديث صحيحةعن الرسول محمد ﷺ تعلقاً عاطفياً، من دون أن تكون لهم القدرة على نقدها، وهم على استعداد للدفاع عنها بدماءهم وأنفسهم، وفي قرارة أنفسهم لايريدون من أحد أن يكشف لهم الحقيقة حتى وإن كانت مكذوبة، لأن في ذلك الكشف إثباتاً لحقيقة غفلتهم وسذاجتهم، فلا يحبون أن يكتشفوا أنه ضحك على ذقونهم وذقون آبائهم لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين، بل يحبون أن يستمروا في غفلتهم ووهمهم وخيالهم الحالي، ولا يريدون أن يتقبلوا الحقيقة من أحد حتى ولو قدمت لهم على طبق من ذهب تماماً كالمدمن على الخمرة، فإنه لن يمتنع عنها بمجرد أن تشرح له الحقائق العلمية عن مضار المشروبات المخمرة على الصحة العامة للإنسان. والشيء الوحيد الذي يجعله يفتح أذنيه ويستمع لنصائح الطبيب أو المعالج هو عندما يعلم أنه قد بدأت تظهر في جسده مثلاً بوادر لأشياء هي دلائل على إصابته بمرض خطير، كتشمع الكبد مثلاً، فإذا لم تعالج بعناية وتحت إشراف طبي، عندها سوف يتغير موقفه تماماً.

ـ كيف يمكن للإنسان أن يكتشف ويعرف إذا كان موحداً أم كان يشرك بالله من دون أن يعلم؟

والموضوع سهل، لكنه يحتاج إلى متابعة مع قوة للملاحظة خاصة للذات وأسلوب الكشف يتم بمعرفة المواقف، لماذا؟

لأن للمشرك حيال كل مشكلة موقفاً خاصاً يدل على إشراكه، وكذلك الموحد حيال نفس المشكلة له موقف مغاير، يدل على أنه من الموحدين. وحتى نستطيع أن نسير في الموضوع معاً، لابد أن نعرف أولاً صفات الله ما يقابلها كصفات للشيطان:

صفات الله	صفات الشيطان
من صفات الله: أنه الحق	ومن صفات الشيطان بالمقابل أنه باطل
ومن صفات الحق: الحقيقة	ومن صفات الباطل: أنه الوهم
ومن صفات الحقيقة: الوجود والتواجد	ومن صفات الوهم: اللاوجود واللاتواجد

ويكفي أن نعرف هذه الصفات لكي نكتشف بها الموحد عن المشرك لنفرض أننا نعرف في قرية زراعية فَلّاحَيْن، أحدهما اسمه زيد والآخر اسمه عبيد وكل منهما عنده بستان من الأشجار المثمرة، ولنفرض أن الوقت هو الربيع والأشجار تحمل الثمار وهي في أول مرحلة لها بعد الإزهار (أول الحمل) سمعا من محطة الإذاعة المحلية أنه سوف يحصل صقيع وستنزل درجات الحرارة إلى (− ٢ مئوية ليلاً) وزيد وعبيد سمعا الخبر وعادا إلى البيت مهمومين بالخبر المزعج زيد أخذ زوجته وأولاده وذهب فوراً إلى البستان لأنه كان قد حَضَّرَ أوعية للدخان من أجل الطوارىء، وأخذ معه مقاييس الحرارة حتى يسهر الليلة على أشجاره، وعند هبوط درجة الحرارة إلى عشرة مئوية بدأ بإشعال أوعية الدخان، وهكذا ظل حتى أشرقت الشمس وهو يعمل ويدعو الله أن يحمي أشجاره تلك الليلة. وفي اليوم الثاني كشف على الأشجار فوجدها بحمد الله وشكره قد سلمت من الصقيع ولم تصب إلا بأضرار طفيفة جداً.

وبما أن زيداً تصرف ضمن معطيات الحق والحقيقة التي هي من صفات الله فقد وفقه الله ونجح فيما يريد، وموقف زيد من نموذج عمله هو الموحِّد. لنعد إلى عبيد وَنَرَ كيف تصرف:

عاد إلى البيت وجلس في داره هو وأهل بيته، وظلوا يصلون ويدعون الله أن يحمي أشجارهم من الصقيع، أو يَنذُرُ للوليِّ الفلاني وللولي العلاني بكبشين إن أنقد له أشجاره بشفاعة منه تلك الليلة، وفتح كتاب الأوراد والتسابيح والابتهالات ولم يُبق منها شيئاً وفي اليوم الثاني يذهب إلى البستان ليجد أن كل الثمار الصغيرة قد أحرقها الصقيع وانتهى أمرها، فلن يحمل بستانه ثمراً تلك السنة، فنموذج عبيد هو الذي اختار منهج الوهم والخيالات التي هي من صفات الشيطان فسار عليها، لذلك فهو من المشركين بالله وليس من الموحدين وهو لايعلم بحقيقة إشراكه مع الأسف.
وإذا سألنا زيداً وعبيداً:

قبل بداية تلاوة القرآن تقولان عادة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ماهو القصد والنية من ذلك؟ وماذا تقصدان مقابل ذكركما لتلك التعويذة؟

زيد سوف يقول: أطلب وأتوجه لله بالنية على أن يلهمني بالمعاني الحقيقية الواقعية للآيات ويبعد عن نفسي كل المعاني الوهمية التي من الشيطان ولا وجود لها عند الرحمن، حتى أستطيع الاستفادة قدر الإمكان من فهم المعاني الفعلية لآيات القرآن، من

أجل تطبيقها منهجاً في حياتي الشخصية والعملية.

إن وجدت الآيات تدعو إلى الصدق وتذم الكذب حاولت أن ألتزم بالصدق وامتنع عن الكذب قدر استطاعتي وإن وجدت الآيات تأمر بالزكاة حاولت أن أعرف مستحقيها حتى أدفع ما علي من الزكاة، وإن وجدت الآيات تطلب مني صلة الرحم والإحسان للوالدين وإكرامهما حاولت أن أكون أول المطبقين وهكذا في كل آيات القرآن الكريم، فأطبق ماأقرؤه في كل علاقاتي مع الناس مع أسرتي وفي عملي ومع أصحابي وأهل البلدة التي أعيش فيها. وهو بهذا من الموحدين.

أما عبيد فسوف يقول: عندما أقول هذه التعويذة فإنها ستحرق كل العفاريت الذين كانوا في الغرفة ولا أراهم، وتلهب ظهورهم فيولون هاربين ويسمع ضراطهم، ومن بعدها أجلس أنا وحدي في الغرفة وأقرأ القرآن.

ـ الحديث رقم (٢٢٠٣) من صحيح مسلم: عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، ويلبسها عليّ (يخلطها ويشكّكني فيها) فقال رسول الله ﷺ:

«ذاك شيطان يقال له خُنذُب فإذا أحسَستَهُ فتعوذ بالله منه واتفل (أبصق) على يسارِكَ ثلاثاً». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

وبما أن عبيداً قد أدخل في عقله الأوهام التي لاوجود لها عند الله، فهو من المشركين، يشرك الوهم مع الحق والحقيقة.

وزيد إذا كان يعمل في الزراعة سوف يبحث في المكاتب ومحلات بيع الكتب عن الكتب العلمية التي تبحث في أمور تحسين الزراعة باستخدام المكتشفات العلمية نتيجة أبحاث العلماء والأخصائيين، ويقرأ عن الوسائل الحديثة المتطورة في أساليب الري للمزروعات وأنواع الأسمدة العضوية والكيميائية، ويدرس عن مضارها ومنافعها للمزروعات التي يقوم هو بإنتاجها حتى يُحَسّن الإنتاج ويضاعِفَ أرباحه مستخدماً فكره ومحاولاً زيادة معلوماته دائماً بالاستفادة من النشرات العلمية التي توزعها وزارة الزراعة في بلده. مستفيداً بذلك من تطور العلم والبحوث والتجارب الزراعية في العالم كله.

فيكون بذلك كله يزداد تقرباً لله وتوحيداً له، فالله يضاعف له رزقه وأجره في الدنيا ويضاعف له أيضاً أجره ودخله في السماء على قيامه بعمله الصالح خير قيام، ويعتبره

رب العالمين من المصلحين في الأرض والذين يعملون صالحاً. وعبيد الذي يرى تطور بستان جاره زيد وازدهاره وتحسن أحواله يبدأ بالحقد عليه وكرهه واستغابته واستغابة عمله ومزروعاته ويحسده ويتمنى زوال نعمة جاره بكارثة من عاصفة أو حريق. فيزداد بعداً عن الله وعن التوحيد وانغماساً في الإشراك رغم أنه يقضي جل وقته في الصلاة والدعاء، بأن يحسن الله أوضاعه المالية المتدهورة، ويرزقه أموالاً كثيرة مثل مايرزق جاره زيداً. أو يذهب هو أو يرسل زوجته إلى قبر أحد أولياء الله كما يعتقد لتقديم الأضاحي تقرّباً لله وطلب شفاعة الولي عند الله حتى تتحسن أموره. او يعتقد هو وزوجته كلما زادت أمورهم بالتدهور أكثر أن عيناً قد أصابتهم. أو أن جارهم زيداً قد عمل لهم سحراً فيذهب هو وزوجته إلى شيخ متخصص لفك السحر ويذهب عنه تأثير العين فيعطيه الشيخ بعض الحجب لتحجب عنه الشرور وتبعد عنه الشياطين والأرواح الشريرة، فيزداد بذلك إشراكاً وتقرباً للشيطان وابتعاداً عن الله وعن الحق والحقائق.

وإذا كانت زوجة زيد لم تنجب أولاداً مع أنها متزوجة من زيد منذ أكثر من ثلاث سنوات يأخذها زوجها إلى العاصمة حيث له صديق أو قريب يعمل هناك فيدله على طبيب أخصائي في شؤون الحمل والتوليد، ويحل مشكلته إن كان السبب أو المانع موجوداً فيه، أو حل مشكلتها بشكل علمي إن وجد الأخصائي أنها هي التي كانت السبب فيعود ويرزقه الله ولداً وأولاداً بعد ذلك فيزداد شكراً وحمداً لله، ويزداد قرباً وحمداً له ويزداد توحيداً وإيماناً بربه الكريم.

أما عبيد إذا حصلت له نفس المشكلة لجأ إلى شيخ مشعوذ أو شيخة ليدفع أمواله بلا طائل وقد تتعرض زوجته لخطر حقيقي نتيجة تلك المعالجات البدائية والمحاولات التي لاأصل لها ولا مبدأ علمي سليم إلا في أوهام هؤلاء الناس. فلا تلد زوجته، فيزداد حسده وحقده وبغضه لجاره زيد الذي ينجح في كل شيء بالحظ كما يعتقد عبيد وتؤيده في ذلك زوجته.

وربما حاول تعويض إحباطه المتكرر وشعوره المتزايد بالنقص إلى ازدياد أوهامه ليتخيل أنه قد يحصل على الغنى بشراء أوراق اليانصيب. فيشتري منها في كل شهر ليحلم وهو يحملها حتى إجراء السحب بالأحلام الوردية وبالقصور والملابس الفاخرة والمجوهرات التي يمكن شراؤها لنفسه ولزوجته إذا ربح الجائزة الكبرى، دون أن يعلم أن الذي أسس اليانصيب هو شيطان أراد أن يعيش بين الأغنياء على حساب أمثاله، الذين يدفعون له

المال في سبيل حلم لن يتحقق يقيناً إلا بالنسبة لصاحب المؤسسة، فيزداد كل يوم بعداً عن الله وقرباً من الشيطان مع أنه مايزال يصلي الفرائض ويصلي تطوعاً النوافل ويصوم مع رمضان كل اثنين وكل خميس. ويدعو لله بلا توقف ولا ملل، ولكن دون ظهور أي نتائج عن الاستجابة أبداً. وهو لايعلم أنه يسير على طريق الوهم والباطل وليس في كل أعماله مايدل على أنه يتبع الحق الذي معه الحقائق، فهو يزداد إشراكاً بالله من دون أن يعلم أنه يشرك بالله أصلاً.

وإذا مرض ابن زيد أخذه فوراً إلى طبيب أخصائي ودعا ربه بعد كل صلاة أن ينقذ ابنه الحبيب الغالي على قلبه ونفسه فيشفى ابنه بإذن الله بعد أن يكشف الطبيب نتيجة التحاليل المخبرية نوع الجرثوم المسبب لمرضه فيصف له الدواء المناسب ويعود ابنه قوياً مرحاً كما كان. فيزداد زيد حباً لله وشكراً له على نعمه وتزداد سعادته في الدنيا ويكون ربه راضياً عنه بدليل ازدياد نعم الله عليه من جميع الجوانب، وهو كل أعماله صالحة ولايفعل مايؤذي أي إنسان ولا يقترب من الحرام وإلى مانهى عنه الله سبحانه أبداً. ويتأمل أن يضاعف له الله سبحانه حسناته في السماء كما وعد عباده الصالحين ليكافأه بها يوم الحساب على حسن إيمانه وتوحيده لله.

وأما عبيد فإذا كان عنده ولد ومرض وأخبرته زوجته بذلك قال لها: اسمعي ياامرأة لقد سمعت في خطبة الجمعة من شيخنا أن رسول الله ﷺ قال وهو الصادق المصدوق: أن الحبة السوداء شفاء من كل داء، فعليك بها وقد يكون ابنه مصاباً بالحمة التيفية (التيفوئيد) وهو لايعلم فيداويه بالحبة السوداء فتسوء أحوال الصبي أكثر فتأتي زوجته تشتكي وهي باكية وتعلمه عن تدهور صحة الولد وخطورة حالته فيقول لها:

اسمعي يا امرأة: اسقيه بابونج وتابعي على الحبة السوداء لن يموت أحد وينقصه عمر. إذا كان الله قد كتب له أن يعيش فسوف يعيش، وإذا كان الله قد كتب له أن يموت فسوف يموت، هذه الأمور كلها بيد الله وحده. وهو لايعلم أن هذا صحيح فقط إذا سار على مبدأ جاره زيد أو على مبدأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان من أفضل الذين فهموا دين الإسلام (اعقلها وتوكل) بمعنى اعمل مافي وسعك وطاقتك وأحسن بما هو متوفر لديك مستخدماً العقل والعلم والحقائق مبعداً كل الأوهام، والباقي على رب العالمين، وهذا هو المبدأ الإسلامي الصحيح.

لكن عبيداً يُصِرُّ على أن في الحبة السوداء والبابونج الشفاء بإذن الله. فيموت الصبي

متأثراً من ارتفاع حرارته، لأنهم كانوا يغطونه جهلاً مع وجود الحمى بدلاً من القيام بتبريده. فيزداد عبيد بعداً عن طريق التوحيد وانغماساً في طريق الإشراك، لأن كل أفعاله وأفكاره من صنف الأوهام، وما الأوهام إلا من الباطل. وما الباطل إلا من الشيطان.

وإذا أراد زيد أن يفتح متجراً أو مصنعاً ذهب أولاً إلى مكتب للدراسات وأعطاهم فكرته وأعلن لهم عن نيته بافتتاح متجر أو مصنع وحدد لهم المبلغ الذي يريد استثماره في المشروع مع تحديد الأماكن التي يرغب إنشاء المشروع فيها، فيقوم مكتب الدراسات بدراسة مشروعه دراسة علمية ويحصل زيد مقابل مبلغ معقول على معلومات لم يكن ليحصل عليها ولا أن يعرفها لو لم يلجأ إليهم فينبهونه عن كل الأخطار المحتملة ومزايا كل مشروع وكل مكان، حتى يقوم زيد بانتقاء الصناعة المطلوبة للسوق مع المكان المناسب لإنشاء المصنع، وهو حر بعد ذلك أن يختار مايناسبه أو أن يحجم قبل أن يخسر أمواله كلها على مشروع فاشل فيقوم بالمشروع وينجح من بدايته بفضل الله ورعايته ويزداد شكراً وتوحيداً لله.

أما عبيد إذا توفر معه مبلغ للاستثمار أصلاً وفكر باستثماره فلن يفكر أبداً بأن يدفع لشركة دراسات لن تقدم له في النهاية إلا بعض النصائح وكلها كلام بكلام فيرغب بتوفير ذلك المال وضمه إلى رأس المال واستخدام ذكائه الشخصي والاعتماد عليه وعلى الله، فإذا كُتِبَ له النجاح فسوف ينجحُ. فيرى متجراً أو مصنعاً ناجحاً فيقول في نفسه: إن هذا العمل ناجح، لماذا لا أفتح متجراً أو مصنعاً مثله؟ ليبيع أو ينتج من نفس البضائع. فيدخل إلى مشروع دون إجراء أي دراسة له وكما أنه لايملك الخبرة اللازمة لإدارته فيفشل ويخسر أمواله رغم أنه كان يبتهل هو وأهل بيته كل يوم وبعد كل صلاة إلى الله على إنجاح المشروع لهم فلم يستجب الرحمن له، لماذا؟ لأنه سار على درب الأوهام ولم يختر طريق الحق والحقائق والعلم والنور حتى في استثمار الأموال. فيزداد عبيد في طريق الإشراك توغلاً، وكما يزداد بعداً عن الله وعن سبيله الصحيح.

وهكذا نستطيع أن نؤلف قصصاً عن زيد وعبيد، أحدهما يزداد علماً وهداية ونوراً وعدلاً وتوحيداً لله، والآخر يزداد جهلاً وضلالاً وظلماً لنفسه وإشراكه بالله.

والمسلم العادي اليوم يظن أن الإشراك (صنَمٌ) وطالما هو لايعبد الأصنام ويقول كل يوم

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عشرات المرات ويصلي ويصوم رمضان ويحج إلى الكعبة، فيظن ويتوهم أنه بعيد عن الإشراك، ولايعلم أنه غارق حتى أذنيه في الإشراك، ولكن من دون أن يعلم.

والمصيبة أن المستفيدين من حالة الإشراك التي وقع فيها يشجعونه أكثر ويقولون له لاتسمع هذا الكلام أنك من أعظم الموحدين، وإنك من الأولياء الصالحين. وهكذا نحن المسلمين اليوم، نظن أننا الموحدون الوحيدون في العالم دون أن نعلم أننا من أكثر المشركين إشراكاً. والدليل واضح ولايحتاج إلى برهان وهي نقمة الله التي تتناسب طرداً مع قوة الإشراك بالله، فهل في العالم كله أمة تعاني من نقمة الله مانعاني نحن اليوم؟ ونحن الذين نظلم أنفسنا بأنفسنا ولم يظلمنا أحد لا الله تعالى ولا الناس ولا الصهيونية ولا الاستعمار.

الفصل الثامن والعشرون

النسخ والإنساء

إن موضوع النسخ والإنساء من أهم المواضيع التي استغلها جنود السلطان من أجل إخراج الدين الجديد متناسين دين الله الحقيقي الموجود في كتاب الله (القرآن الكريم).

ولذلك فإني أعتبر فهم المسلم المعاصر لهذا الموضوع بالذات حجر الزاوية الأساسي في فهم دين السلطان من أجل إمكانية عودته من بعد يقينه عقلاً بأنه فعلاً على السبيل الخطأ الذي ورثه عن آبائه، لكن الله تعالى لن يغفر له أبداً إشراكه النابع عن جهله وعدم معرفته لسبب جوهري وأساسي ذلك أن الله تعالى أعطاه الميزان والكاشف لذلك الإشراك، وهو عقله، فلم يستخدمه أبداً، فمسؤوليته ناتجة عن عدم استخدامه لما منحه الله تعالى من أداة، بدليل أن الله تعالى لن يحاسب الذين فقدوا عقولهم. لأنهم فقدوا الميزان. والميزة للإنسان عن الحيوان، هو العقل والفكر مع توفر الحرية والإرادة الحرة بالاختيار للسبيل الصحيح.

وكي يفهم المسلم موضوع النسخ والإنساء من جديد، يجب أن ينسى كل ماسمعه من آبائه وأجداده وشيوخه وأساتذته ومعلميه في صغره وفي كبره عن موضوع النسخ والإنساء، لأن كل ذلك خطأ يقع في وادي السلطان ومصلحته والحقيقة الصادقة تقع فقط في آيات القرآن الكريم.

والمسلم حُرٌّ في أن يقبل كلامي أو لا يقبله، لكن ما أقوله الآن هو الحقيقة التي اكتشفتها وتعبت لاكتشافها سنين طويلة، وفي اعتقادي أن المسلم بعد أن يعود إلى فهم النسخ والإنساء على حقيقته من جديد من السهل بعدها أن يفهم باقي قصة السلطان وجنوده الذين استخدموا هذا السلاح الرهيب لتقويض دين الله تعالى، وإخراج دين آخر لايمتُّ لدين الله بِصِلَة نسبوه ظلماً للرسول وقالوا عنه دين محمد مستغلين حب الناس له. فهو دين بعيد عن الله وعن رسالة السماء التي أتى بها محمد وبلغها للناس واتّبعها الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

وقد طرحت هذا الموضوع في كتابي الأول، لكني ابتعدت عن التعمق فيه لأن غايتي من كتابي الأول طرح المواضيع مع لفت نظر المسلمين إلى أهميتها دون التعرض إلى بحثها والبرهان على صحتها أو العكس ـ لاعتقادي أن القارىء غير جاهز بعد لمثل تلك الأبحاث، فهو مازال يؤمن بصحة كل الأحاديث التي يسمعها ويقول عنها الجميع من صحيح الصحاح، ومن أقوال الرسول الشريفة التي لايمكن أن يتطرق إليها شك المسلم أو المؤمن أبداً. ولكن بعد أن وضعت أمام القارىء الحقائق في كتاب النظرية عدت لأضع نفس المواضيع تحت نور شمس الظهيرة، لأبَرهِنَ له على تناقضها مع آيات القرآن الكريم مبيناً أين تقع مصلحة السلطان والحاقدين الذين ساعدوه عى افترائها، وهكذا أصبحت قادراً على بحث المواضيع بحرية أكبر، لاعتقادي أن القارىء يسير معي خطوة خطوة وهو قادر الآن على تفهم أمور كان يصعب عليه تفهمها لو طرحتها قبل وقتها مع محاولة التعمق فيها.

والآن لنبدأ بتفهم الموضوع من أساسه:

إذا عدنا إلى كتابنا الصحيح الذي لاصحيح لنا بعده ولاقبله أبداً ماذا نجد في كتاب الله عن موضوع النسخ والإنساء:

﴿وما أرسلنا من قبلِكَ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أُمنيّتِهِ فينسَخُ الله مايُلقي الشيطانُ ثم يحكم الله آياتِه والله علمٌ حكيم﴾ ٥٢ ـ الحج.

وإذا اعتقدنا أننا سنجد قصة هذه الآية وسبب نزولها في الصحيحين، نكون عندها لم نفهم دين السلطان بعد. لأن السلطان الذي استخدم تلك الآية لنسخ القرآن وآياته كلها حتى يضع بدلاً عنها آياتهُ التي اكتتبها جنوده إفتراءاً على الرسول أولاً ثم على الله من بعد جعلها وحياً من السماء، كان لايريد أبداً الكشف عن سر تلك الآية لأحد من المسلمين أبداً.

لكن الله تعالى إذا أراد أن يكشف سراً ومكراً وكيداً للشياطين فإنه سبحانه وتعالى خير الماكرين:

﴿ومكَروا مكراً ومكَرنا مكراً وهم لايشعرون﴾ ٥٠ ـ النمل.

﴿إنه يكيدون كيداً * وأكيدُ كيداً * فمهّل الكافرينَ أمهلهُم رويداً﴾ ١٧ ـ الطارق.

لذلك إذا لجأنا لكتب السيرة وتاريخها نجد الحقيقة التاريخية مازالت هناك لكني سوف

أرجيء هذا الموضوع لما بعد إظهار مآرب السلطان، وكيف استخدم تلك الآية لتخدم مصالحه في قلب دين الله رأساً على عقب.

لأني كما شرحت لكم مراراً فالسلطان ومن ورائه الملأ وهم المستفيدون من حكمه ونظامه من الأغنياء والوجهاء من زعماء العشائر والقبائل والمصالح وهؤلاء لهم تواجد في كل أمة، بالإضافة إلى كبار الموظفين من المساعدين والوزراء والمستشارين في الحكم، الذين نجدهم غالباً من رجال الدين، إذا كان الحكم من أساسه حكماً دينياً كما كان الحال في مملكة اليهود أيام سليمان وداوود أو أيام العصور الوسطى في أوروبا بزعامة الكنيسة. أو أيام العصور الإسلامية المختلفة أيام الخلافة الإسلامية انتهاء بسلاطين بني عثمان الذين استخدموا استانبول عاصمةً لهم وللخلافة. فإن كل أولئك أدركوا منذ اللحظة الأولى التي استلم فيها الحكم السلطان الأول أن مصالحهم تتعارض مباشرة مع كتاب القرآن فعملوا على إزالته بالتدريج دون عنف، مستخدمين وسائل الإقناع للشعب الجاهل بزيادة جهله مع الأيام بإبعاد كتاب القرآن من بين أيدي الناس حتى لايعلموا عن حقائق الأمور شيئاً وساعدهم على ذلك عدم انتشار الطباعة والورق وغلاء أسعار الكتب المستنسخة بحيث يستحيل على أفراد الشعب العادي اقتناء نسخ مخطوطة من القرآن الكريم.

لكننا لانستطيع أن نقول أن رجال الدين الإسلامي كلهم كانوا مع السلطان. لقد بقيت فئة منهم مع قلّتها مع الله ومع الحقيقة، لكن السلطان عرف كيف يتخلص من تأثير هؤلاء بمرور الأيام.

حدثتكم في مقدمة هذا الكتاب نقلاً عن مقدمة الإمام مسلم من صحيحه وبينت لكم كيف أن جنود السلطان كانوا يتخلصون من هؤلاء بمنع رواة الأحاديث من الأخذ عنهم. وهنا يجب أن نعلم أن رواية الأحاديث في تلك العصور أصبحت تجارة رابحة جداً ومهنة مطلوبة من الناس ليست لوجه الله تعالى وإنما بكل ماتعنيه كلمة تجارة من معنى ورجل الدين عندما يتحول إلى تاجر فعلى الأمة السلام. فالتاجر لايحب إلا البضائع الرائجة فليس من مصلحته ولا من مصلحة تجارته أن يأخذ عن رجال الدين الحقيقيين الذين يؤمنون بالله تعالى وبالدين ويقولون الحقيقة لوجه الله ولا يريدون من أجل ذلك أبيض ولا أصفر. وهؤلاء مَنَعَ زُعماء جنود السلطان الأخذَ عنهم مايروونه من أحاديث وروايات صحيحة عن الرسول، لأنها تتعارض مع السياسة والخطة العامة

للدولة. والدولة كانت تحارب بكل قواتها تلك الفئة المتنورة التي تقول الحقيقة فصار عددهم في تناقص مضطرد مع الأيام، حتى أصبحوا من الندرة لدرجة يمكن أن يعدهم المرء على أصابعه في أمة كبيرة مترامية الأطراف من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وإلى السودان والصومال واليمن جنوباً وإلى بلاد الشركس والشيشان والداغستان شمالاً.

فالخطة العامة في الدولة خاصة مع بداية العصر العباسي كانت محاولة التقليل من أهمية كتاب الله الذي هو القرآن وزيادة أهمية الوحي الثاني الذي ادعاه السلطان وجنوده لكتاب الحكمة للروايات التي افتروها على الرسول ظلماً ولجعلها مصادر للشرع والقضاء والقانون والدستور للإمبراطورية الإسلامية. وقالوا عن القرآن إنه كتاب ليس فيه علم وأن أدلته لفظية:

(قال الإمام شمس الدين بن القيم: ولقد أخبرني أصحابنا عن بعض أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولم يحفظ القرآن فقال له: لوحفظت القرآن أولاً كان أولى، فقال: وهل في القرآن علم؟

قال: وقال لي شيخنا مرة في وصف هؤلاء (المقصود هو الشيخ أحمد بن تيمية): إنهم طافوا على أرباب المذاهب ففازوا بأخسِّ المطالب، ويكفيك دليلاً على أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله، ماترى فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه لبعض، قال تعالى:

﴿ولو كانَ من عندِ غيرِ الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وهذا يدل على أن ماكان من عنده سبحانه لايختلف، وأنَّ مااختلف وتناقض ليس من عنده تعالى وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار ديناً يُدان به ويُحكم به على الله ورسوله، سبحانك هذا بهتان عظيم؟)(*).

والآن بعد هذه المقدمة السريعة سوف أنتقل لأشرح لكم حقيقة النسخ والإنساء في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله تعالى كلمة النسخ في القرآن الكريم مرتين فقط:

المرة الأولى وهي الآية التي ذكرتها في أول البحث، وسوف أذكرها هنا مع الآيات

(*) عن كتاب الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٤ ـ الصفحة ١٥٦.

المرافقة معها لشرحها:

وقد بحثت في الصحيحين عن شرح للموضوع فلم أجد، ثم لجأت إلى تاريخ البداية والنهاية لابن كثير فوجدته يعتذر عن شرحها قائلاً:

(ثم ذكر ابن إسحق من عاد من مُهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب وهو ماثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ماضلَّ صاحبُكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد. فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى:

﴿وما أرسلنا قبلَك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطانُ في أمنيتِهِ فينسخُ الله مايُلقي الشيطانُ ثم يحكم الله آياته والله عليمٌ حكيم﴾

وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعُها من لايضعها على مواضيعها إلا أنّ أصل القصة في الصحيح)(*).

وعدت أيضاً إلى صحيح البخاري أبحث عن الحديث فوجدت الحديث التالي:

الحديث رقم (٤٨٦٢) من صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس».

والحديث رقم (٤٨٦٣) من صحيح البخاري: عن عبد الله؟؟؟ رضي الله عنه قال:

أول سورة أُنزلت فيها سجدة (والنجم)، قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفة إلّارجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

وهكذا ترون أن حديث ابن عباس لم يذكر القصة، وحديث عبد الله حاول أن يبعد الموضوع بالإيهام بأنه يتعلق بمواقع السجدات في آيات القرآن الكريم، والظاهر أن الموضوع كان من الأشياء المحظور نشرها فلم يستطع البخاري أن يذكر أكثر من ذلك، فعدت وبحثت في تاريخ الطبري فوجدته كما وجدته أيضاً في أسباب النزول للواحدي طبع دار القبلة ـ المملكة العربية السعودية ـ جدّة ١٩٨٧.

(*) عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي المجلد ٢ ـ الجزء ٣ ـ ص ٨٨ ـ طبع دار الريان للتراث ١٩٨١.

وأشرح القصة باختصار:

بعد نزول الآية: (أفرأيتم اللاتَ والعُزى) من سورة النجم ألقى الشيطان نتيجة لتمني الرسول ﷺ ألا ينزل الله تعالى في ذلك اليوم مايغضب قومه من قريش، لأنه كان يطمع بإسلام بعض وجهائهم، فألقى الشيطان في أمنية الرسول وفي ذهنه بعض الكلمات فاعتقد الرسول أنها من الوحي، فطلب من كتبة الوحي عنده تسجيلها وكتابتها في نص القرآن الكريم وكانت كما يلي:

﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزّى * تلكَ الغرانيق العُلى * وإن شفاعتَهُنّ لتُرتجى﴾ فسُرَّ القرشيون من المشركين بذلك وسجدوا مع الرسول في الصلاة(*)، ولكن بعد فترة نزل جبريل وعاتب الرسول وصحّح الآية ناسخاً ما ألقى الشيطان، فعادت السورة بعد النسخ والإزالة (طبعاً كل ذلك حصل بمشيئة من الله تعالى لدرسٍ يريد الله تعالى أن يعلمه للرسول وللمسلمين من بعده). وصارت الآية بعد النسخ كما يلي:

﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزى * ومناةَ الثالثةَ الأخرى * ألكُم الذَّكر وله الأنثى﴾

وبقي القرآن على ذلك إلى اليوم، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين.

وأنزل الله تعالى الآية التالية لتشرح الذي حصل بأسلوب الله الخاص بالقرآن الكريم:

﴿وما أرسلنا من قبلِكَ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطانُ في أمنيّتِهِ فينسخُ الله مايُلقي الشيطانُ ثم يحكِم الله آياتهِ والله عليمٌ حكيم * ليجعلَ مايُلقي الشيطان فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبُهم وإنّ الظالمين لفي شقاقٍ بعيد * وليعلَمَ الذين أوتوا العلمَ أنه الحقُّ من ربّك فيؤمنوا به فتَخبِتَ له قلوبُهم وإنّ الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراطٍ * مستقيم ولا يزالُ الذين كفروا في مِريةٍ منه حتى تأتيهمُ الساعةُ بغتَةً أو يأتيهم عذابُ يومٍ عقيم﴾ ٥٢ - ٥٥ - الحج.

هذه الآيات تحكي لنا قصتين:

(*) القصة حدثت في أول الإسلام وقبل هجرة الرسول الكريم وفي تلك الأيام كان المسلمون يصلون في الكعبة بحضور المشركين وتواجدهم حول المسلمين، لأن الكعبة كانت مكاناً عاماً للجميع وكان الطواف حولها يتم في كل وقت قبل الإسلام، ومن أيام الرسول إبراهيم عليه السلام. وهذا مايفسر سجود المشركين عندما قرأ الرسول الآية القرآنية مع وجود تلك الكلمات فيها. لأنها سرّتهم والظاهر أن الرسول والمؤمنين كانوا يصلون إحدى الصلوات التي فيها التلاوة للآيات علناً وهي إما صلاة الصبح أو المغرب أو العشاء أو صلاة الجمعة.

القصة الأولى: كيف ضرب الله مثلاً للرسول والمؤمنين بأن جعل الشيطان يلقي مجموعة كلمات ليظهر مافي قلوب مشركي مكة الذين ما أن سمعوها حتى سجدوا لرب محمد وقالوا: لقد ذكر محمد آلهتنا بخير، فسجدوا معه وعندما عاد جبريل ونسخ الله ماألقى الشيطان فعاد مشركوا مكة إلى ماكانوا عليه من الكفر والإشراك بالله.

والقصة الثانية: هي مافعله شياطين الإنس بأن نسخوا آيات القرآن كلها واستبدلوها بما ألقت الشياطين في قلوب الرواة الذين قالوا عن كل افتراءاتهم إنها وحي من السماء، وآيات قدسية، مستخدمين حجة النسخ نفسها. وهذا مايفسره سبحانه في الآية (ليجعل مايُلقي الشيطانُ فتنةً للذين في قلوبهم مرض) وهم جنود السلطان (والقاسية قلوبهم) هم السلطان ومساعدوه الذين خططوا للافتراء على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول الكريم، لكن الله تعالى سوف يظهر الحق في نفس القرآن بآيات علمية ورياضية لاتقبل الشك، بل كلها يقين على أن كتاب القرآن مصدره من الرحمن مباشرةً ولايمكن أن يكون من تأليف البشر، لأن كل إعجازاته تبرهن للعقل باستحالة تأليف الإنس والجن له والعلماء الذين يرون تلك الإعجازات بأعينهم سوف يعودون إلى الإيمان من جديد بالله سبحانه وتعالى:

﴿وليعلم الذين أوتوا العلمَ أنّه الحقّ من ربّك فيؤمنوا به﴾

ولو قصد به رب العالمين رجال الدين لما قال الذين أتوا العلم، بل لقال: الذين تفقهوا في الدين. علماً أن الذين تفقهوا في الدين لايمكن أن نقول عنهم (فيؤمنوا به) لأن الفقهاء الحقيقيين هم مؤمنون أصلاً وإيمانهم أساسٌ لفقههم.

لكن الله تعالى يتكلم عن علماء الطبيعة الذين كانوا ملحدين صدَّقوا بعد رؤية إعجازات القرآن فآمنوا من جديد بالله تعالى.

وهكذا عند ظهور الحق وحقيقة آيات القرآن من جديد للناس فإنها سوف تنسخ كل مؤلفات الشياطين ليعود القرآن إلى صدور الناس فعالاً كما كان أول مرة من جديد وتلك هي القصة الثانية التي يحدثنا عنها ربنا تنبؤاً للمستقبل وهل تظنون أن الله ليس بقادر على فعل ذلك؟

والآن ماذا فهمنا من النسخ من خلال القصة الماضية؟ (فينسخ الله مايلقي الشيطان؟) فهمنا أن النسخ هو الإلغاء مع الإزالة للنص المنسوخ من القرآن أو من الكتاب.

لنقرأ الآية الثانية في القرآن والتي ذكر فيها تعالى أيضاً كلمة النسخ:
﴿وما ننسَخْ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخير منها أو مثلها﴾ ١٠٦ - البقرة.
هذه الآية تعطي فعلاً من الله واحداً مقابل فعلين مختلفين، وهما:
النسخ والإنساء.
وقد حاول مفسرو جنود السلطان أن يجعلوا هاتين الكلمتين مترادفتين وواجبي الآن إثبات العكس بالبرهان والدليل.
أولاً: لنفرض أنهم على حق وأن الكلمتين تعطيان فعلاً نفس المعنى، ماذا يحدث عندها للآية السابقة؟ لنحاول أن نقرأها بأسلوبين مختلفين مرة نبدل كلمة ننسخ بنُنْسي، ومرة نبدل كلمة ننسي بنَنْسخ ونرى هل يستقيم المعنى؟:
(وما نُنسي من آيةٍ أو نُنسها نأتِ بخير منها أو مثلها) حالة - أ -.
(وما نَنسخْ من آية أو نَنسخُها نأتِ بخير منها أو مثلها) حالة - ب -.
وهكذا تكتشفون أن الحالتين مرفوضتان معنى، والشيء الطبيعي إذاً أن النسخ حالة خاصة تختلف عن الإنساء التي هي أيضاً حالة خاصة أخرى ولكل حالة ظروفها وأسبابهاواختلافاتها.
فهمنا حتى الآن الحالة الأولى وهي حالة النسخ.
ومن شروطها مايلي:
١ - النسخ يستوجب إزالة النص المنسوخ الذي ألقاه الشيطان مثالاً على النبي في العبارتين اللتين عاد الشياطين فحاولوا إخفاءهما حتى لاتنكشف لعبتهم وقصتهم كلها للمؤمنين، ولكن الله تعالى شاء أن يظهرهما للعالمين مرة أخرى على أيدي عباد يملك قلوبهم دائماً، فيستطيع أن يلهمهم بما يشاء وفي أي وقت يشاء. لأن الله تعالى سوف ينسخ كل ماألقته الشياطين من ألف وأربعمائة من السنين وحتى الآن دفعة واحدة، ليعود القرآن الذي نسخوه ليحل محلها من جديد. تماماً كما نزل أول مرة على قلب الرسول الكريم وكتبها كُتّاب الوحي.
٢ - إن النسخ في الحالة الأولى، أقصد في قصة الغرانيق التي كانت مثالاً من الله للعالمين حصل فقط في القسم الأول من كتاب الله وفي الجزء المسمى بالقرآن، ويحتوي على الآيات المتشابهة فقط، وهذا القسم يستحيل النسخ فيه إلا بإذن الله كما حصل

في هذه القصة، وقد أعاد الله آياته بعد أن أزال ماألقى الشيطان في قلب الرسول بإذن خاص منه.

والآن وبعد أن فهمنا موضوع النسخ، لننتقل إلى الموضوع الثاني وهو الإنساء، علماً أنهم لم يحاولوا أن يتكلموا عن الإنساء أبداً، لأنها لاتخدم مصالحهم أبداً. لعلمهم أن الله تعالى جعل الإنساء رحمةً للناس من عامة المؤمنين ومن أجل تعليمهم أسلوب تعديل أحكام الشرع للمسلمين متمشياً مع تطور الأعراف وعقليات الناس وتغير الزمان والمكان، وهذا الكلام العام يحتاج إلى شرح وتوضيح حتى يفهمه الجميع.

بدايةً يجب أن نتفق على أن تثبيت القوانين والأحكام وعدم تعديلها ظلم شديد للناس، والله تعالى لم يرسل دين الإسلام أصلاً إلا لتخليص الناس من الظلم والظالمين وليكون رحمة للعالمين، ويدلنا ويعلمنا على طريق العدل والحق والنور وهذا لايمكن تحقيقه في عالم كل شيء فيه يتغير من لحظة إلى أخرى إلا بوجود دستور قابل للتعديل، وقوانين أيضاً قابلة للتعديل، مع مرور الوقت واختلاف المكان والأعراف مع متطلبات التطور الإنساني للعصر ووسائل الإنتاج.

لنضرب على ذلك مثلاً معاصراً: قانون السير وسرعة السيارات منذ بداية اختراع السيارة وحتى اليوم. فلو ثبتنا مثلاً على أول قانون لتحديد السرعة الذي صدر في إنكلترا بتحديدها بثلاثة كيلومترات في الساعةكانت مصيبة كبرى وعائقاً كبيراً في حركة النقل في العالم كله، ولكن القانون كان يتعدل دائماً مع تحسن صناعة السيارات وتحسن الطرقات في العالم ولم يثبت على حال أبداً، وأمور الحياة كلها مثل ذلك المثال لايبقى فيها شيء ثابت أبداً بل كل شيء قابل للتعديل والتبديل والقوانين بالتالي يجب أن تعدَّل مع ذلك التطور وإلا حصل ظلم شديد.

إذاً يقيناً ليس في القرآن نسخٌ وإنما هناك إنساء فقط وهو المطلوب برهانه. ولاحظوا فإن جنود السلطان لم يستخدموا الإنساء أبداً بل استخدموا النسخ، والنسخ عادة لايكون إلا لما يلقي الشيطان بإذن الله. ولكن ماذا ينسخ الشيطان؟ لقد حاولوا أن ينسخوا القرآن كله فلم يستطيعوا أبداً أن يغيروا منه حرفاً واحداً، لكنهم نجحوا في مجال آخر في مجال عقائد الناس، حيث نسخوا فعلاً من عقائد المسلمين كل آيات الله وبدّلوها لهم بافتراءات جنود السلطان مع دعوى فاجرة بأنها كلها من الله وحياً آخر من السماء. ورسخوها في أذهان الجهال من المسلمين لفترة زمنية قياسية وحتى الآن.

لكن المسلمين يجب أن يتعلموا من كتاب الله من جديد كيف يجب عليهم تعديل الأحكام عن آيات الأحكام الواردة في كتاب الله دون حاجة إلى أي نسخ أبداً؛ بل بالإنساء للأحكام التي أرسلها الله أصلاً قابلة للتعديل بوضع أحكام جديدة تتماشى مع الزمن دائماً والأحكام المتقادمة مع الزمن يمكن الاحتفاظ بها في الأرشيف الإسلامي لتصبح من التراث لمعرفة تطور الشرع الإسلامي في المستقبل للذين يدرسون تاريخ تطور الأحكام في الإسلام عن طريق الرجوع للنصوص التي توقف العمل بها، وأصبحت في التراث للذكرى وللتاريخ فقط (طبعاً القرآن يبقى على حاله كما أنزله الله) إذاً فعلى المسلمين متابعة السير على مبدأ الإنساء في القوانين وليس على مبدأ النسخ أبداً. (بمعنى رمي النص المنسوخ والاستغناء عنه للأبد) كما فعل الله سبحانه بالكلمات التي ألقاها الشيطان كمثال في فكر محمد ﷺ أثناء نزول الوحي عليه. فعلها ربنا ليرينا ماسيفعله شياطين الإنس في مستقبل الإسلام ناسخين آيات الله بآيات صادرة عن مجلس السلطان وكلها افتراء على الله والرسول كما شاهدتم بأعينكم خلال دراسة الأحاديث في هذا الكتاب. وذلك مايجب علينا أن ننسخه نحن أيضاً.

وحتى نفهم الإنساء أكثر لابد أن نضرب عليه بعض الأمثلة:

في بداية الإسلام كان أغلب المسلمين يشربون الخمرة وكانت من الأمور التي تعود عليها الناس منذ الجاهلية، والله تعالى يعلم أن شرب الخمر عند أغلب الناس يعتبر من العادات المستحكمة التي لايمكن للناس تركها بسهولة أبداً، ففي صدر الإسلام وبدايته اكتفى سبحانه بإنزال الآية التالية:

﴿لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾ ٤٣ ـ النساء.

وهذه الآية اضطرت المسلمين إلى التخفيف من الشرب ومع الزمن قوي إيمانهم إلى الحد الذي علم فيه رب العالمين أنهم أصبحوا قادرين على تحمل تبعات الآية الجديدة والقانون الجديد في الإسلام، فأنسى رب العالمين الآية القديمة بآية جديدة أفضل من الأولى؛ ولكنه لم يُزِل النص القديم من القرآن بل أبقى عليه وهذا هو الفرق بين النسخ والإنساء الذي حاول جنود السلطان أن يخفوه عنا طوال كل هذه السنين، لأنهم كانوا يريدون استخدام آية النسخ لنسخ أمور كثيرة من القرآن سوف أبرهن عليها في هذا البحث وقبل نهايته.

لنستمع مرة أخرى للآية حتى نتيقن أنَّ النسخ هو إزالة النص بينما الإنساء هو تعديل

النص بنص جديد آخر مع الإبقاء على النص القديم.

﴿وما ننسَخْ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلِها﴾ ١٠٦ ـ البقرة.

وهذا هو النصف الأول الذي يتساوى فيه النسخ والإنساء وهو الاستبدال بهما بنص آخر مثلها أو خير منها، وفي هذا الموضوع يتساوى النسخ والإنساء كما رأيتم.

وإذا أحببنا أن نعرف الفرق بين النسخ والإنساء لنستمع للآية الثانية:

﴿وما أرسلنا من قبلِكَ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أُمنيّتِهِ فينسَخُ الله مايُلقي الشيطانُ ثم يحكم الله آياتِه والله عليمٌ حكيم﴾ ٥٢ ـ الحج.

هنا في هذه الآية عرفنا أن النسخ يختلف عن الإنساء، فالنسخ يشترط فيه إزالة النص المنسوخ من النص المقدس، لأنه من الشيطان وغير مقدس، فيتخلص منه بالإتلاف، تماماً كما فعل الله بالكلمات التي ألقاها الشيطان في أمنية الرسول الكريم:

(تلك الغرانيقُ العلى * وإنّ شفاعتَهُنَّ لَترتَجَى).

وأرسل بدلاً عنها وحياً سماوياً مقدساً، آيتين من الله تعالى:

﴿ومناةَ الثالثةَ الآخرى * أَلَكُم الذَّكرُ وله الأنثى﴾ ٢٠ ـ ٢١ ـ النجم.

ولكن في آية الإنساء أنزل تعالى آية جديدة مبقياً على الآية القديمة السابقة:

﴿إنّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوه﴾ ٩٠ ـ المائدة.

مثال آخر عن الإنساء (لأن النسخ ليس له أمثلة في القرآن أبداً إلا المثال السابق الوحيد في كل القرآن وقد شرحته بما فيه الكفاية).

إنّ الله تعالى أذن للرسول وفي خلال حياته وأثناء استمرار نزول وحي السماء عليه باستخدام أسلوب العنف والقتال في الإسلام من أجل فرض سيطرة المسلمين سياسياً في منطقة الجزيرة العربية، من أجل تقوية قاعدة المسلمين والإسلام قبل وفاة الرسول، ثم عاد الله تعالى وأنسى آيات القتال السابقة بآيات أخرى معاكسة لها تماماً وهذا الموضوع يحتاج إلى شرح مفصل، وقد شرحته في بحث الجهاد وستجدونه في القسم الأخير من هذا الكتاب:

إذاً لانقول عن تلك الآيات التي توقّفت فاعليّتها آياتٌ منسوخة؛ بل نقول عنها تمييزاً إنها آيات مَنسِيّة، وكما تشاهدون لم آتيكم بشيء من عندي فكل ماذكرته لكم موجود

أمامكم في آيات القرآن الكريم، التي أصبحت مع الأسف الشديد مهجورة، ولاينظر إليها أحد من المسلمين سواء من علمائنا أو فقهائنا أو حتى من المسلمين الذين أشركوا بالله على أيدي جنود السلطان.

والآيات الخاصة بالقتال كانت مثل:

﴿فقاتل في سبيل الله ولا تُكلَّفُ إلاّ نَفْسَكَ وحرِّضِ المؤمنينَ عسى الله أنَ يكُفَّ بأسَ الذين كفروا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً﴾ ٨٤ - النساء.

قلت في مرات عديدة بأن الله تعالى دقيق جداً في استخدام الكلمات، وهذه الدقة تصل إلى مستوى الإعجاز فعلاً، ولذلك قارىء القرآن يجب أن يكون لماحاً دقيق الملاحظة.

مثلاً في تلك الآية السابقة:

لاحظوا أن الله تعالى قال موجهاً الكلام للرسول فقط وبصيغة المفرد:

(فقاتِل في سبيلِ الله ولا تُكَلَّف إلا نَفْسَكَ).

لاحظوا: لم يقل سبحانه في بداية الآية مثلاً: يا أيها الذين آمنوا أو: يا أيها المؤمنون أو: كتب على المؤمنين. أو بصيغة الجمع: فقاتلوا في سبيل الله بل حدّد سبحانه قائلاً ومخاطباً الرسول وحده دون باقي المؤمنين.

(فقاتل في سبيل الله)

علماً أن الله تعالى يعلم أن المؤمنين سوف يشتركون في ذلك القتال ولكن الله تعالى لايريد أن يجعل من القتال أسلوباً لنشر الدعوة لدينه في العالم من قبل المسلمين، فأكد ألا يستخدم في نص القرآن الذي سوف يبقى إلى يوم القيامة أيّ كلمة يمكن أن يَفهَمَ منها المسلم أنَّ القتال سُنَّةٌ في نَشْرِ الإسلام كما فعلها جنود السلطان بعد استلام السلاطين للحكم. (وقد شرحت ذلك في بحث الجهاد في هذا الكتاب أيضاً).

لنفكر في الموضوع بشكل منطقي:

لو شاء الله، لنشر دينه بقوة السيف على الناس، فالله تعالى هو أقوى من كل عباده لخلق الناس مؤمنين عابدين مطيعين، وليس لهم القدرة على الكفر أو الإشراك أصلاً كما فعل وخلق الملائكة مثلاً.

ولكن مشيئته عزّ وجل كانت هذه المرة تختلف في الإنسان الذي منحه الفكر والعقل

مع القدرة على التحرك بحرية لاختيار الخير أو الشر بإرادة مستقلة من الإنسان، وبمشيئة سابقة منه لمشيئة الله تعالى بإذن من الله.

هكذا شاء الله لهذا المخلوق بالذات، ومن أجل ذلك شرحت لكم أنه ميزه عن باقي مخلوقاته وكرمه وأسجدَ له جميع خلقه من الملائكة والجن فلم يخرج منهم إلا إبليس الذي استكبر وأبى أن يسجد لآدم.

لذلك يجب أن نفهم مقصد الرحمن من تكليف الرسول بالذات في تلك الحرب الخاصة، والقتال الذي كُلِّف به ماهي الغاية منه؟

هل المطلوب نشر العقيدة والإيمان؟

أم المطلوب إنهاء دور كل الأفكار المناوئة للإسلام في الجزيرة العربية سياسياً حتى لايكون لأي فئة منها دورٌ في العداء مع الإسلام سياسياً؟

نعم، لقد كانت حرب الرسول الخاصة من أجل تحقيق هذه الغاية فقط.

ويكفي كل الناس أن يرموا السلاح ويقولوا بلسانهم أشهد أن لا إله إلا الله خاصة من المشركين حتى يكف المسلمين عنهم، لأن قولهم ذلك ولو باللسان اعتراف بسلطة الإسلام في المنطقة، وكان هذا هو المطلوب فقط في هذه المرحلة. لأن الله تعالى يعلم أن منطقة الإيمان في الإنسان مصونة، ولايمكن دخولها إلا من طريق العقل والرغبة والحب، وكل عنف مع تلك المنطقة يعطي دائماً نتائج سلبية، ولا يمكن نشر أي عقيدة في العالم بالقوة أبداً.

وأكد الله تعالى بكلمة (لاتُكَلَّفُ إلا نَفْسُكَ) حتى يعلم المسلم أن هذا الأمر ينتهي بانتهاء نفس الرسول على هذه الأرض ووفاته ورجوع نفسه الطاهرة راضية مرضية إلى ربها، وكما تلاحظون أيضاً تجنب الله تعالى أن يقول للرسول في تتمة الآية (فحرّض المؤمنين) لم يقل سبحانه فيها (فحرض المؤمنين على القتال) مع أنها مفهومة ضمناً. لماذا؟ حتى لاتكون في النص أي كلمة يمكن أن يستخدمها الشياطين من أجل التذرع بالقتال في سبيل نشر الإسلام بالعنف في مستقبل الإسلام. وقد شرح الله تعالى السبب في هذا الإجراء في نفس الآية:

﴿حتى يكفَّ بأسَ الذين كفروا﴾

والآن لننتقل للآيات التي نزلت وأنست آيات القتال هذه وأوقفت عملها:

﴿لا إكراهَ في الدين قد تبيَّنَ الرُّشدُ من الغي﴾ ٢٥٦ ـ لبقرة.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

﴿ادع إلى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

وهذه الآيات الثلاث تنهي كلّ أَشكالِ وأنواع العنف في سبيل الدعوة للإسلام وهي آيات دائمة لايمكن تطويرها ولا إنساؤها من قبل أحد من الناس، لأنها ليست ضمن آيات الأحكام والشرع والقوانين التي تحكم بين الناس.

وهكذا فهمنا تماماً مامعنى النسخ ومامعنى الإنساء، بدليلِ آيات القرآن الكريم مباشرة، وبشهادة آيات الله تعالى، وليس بعد شهادة الله شهادة أبداً. وهذه هي الصورة الحقيقية للنسخ والإنساء في الإسلام.

الآن سوف ننتقل إلى موضوع مكمل للبحث سوف أشرح لكم فيه ماذا فعل جنود السلطان وكيف حاولوا إفهام الناس موضوع النسخ والإنساء في إسلام ودين السلطان، لتروا في المقابل الصورة المشوهة والمزورة للنسخ والإنساء والذي مازلنا نطبقه حتى يومنا هذا، ونحن نظن أننا على دين الله ولانعلم أننا نطبق دين السلطان.

لقد حاول جنود السلطان تشويه صورة القرآن عند المسلمين بأنه كتاب مثل باقي الكتب الأخرى جرى وتم أثناء تأليفها نسخ أشياء كثيرة كانت موجودة، كما حاولوا الإيهام بأن القرآن ناقص وهناك آيات أخرى نزلت لم تسجل ففقدت، وحتى أقنع القارىء فلا بد أن أقدم له أدلة تثبت هذا الكلام.

إن موضوعاً خطيراً كهذا لايمكن أن يفوت على الشيخين البخاري ومسلم، فتجدهما قد ذكرا لنا تلك المحاولة الخبيثة في صحيحهما كما يلي:

ـ نجد في صحيح البخاري حديثين، أحدهما مختصر وهو الحديث رقم (٦٨٢٩) وحديث آخر تحت باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصَنَت.

ـ الحديث رقم (٦٨٣) من صحيح البخاري: عن ابن عباس: وهو حديث طويل جداً قد ذكرته بالكامل في بحث رجم الزاني في آخر هذا الكتاب مايهمنا منه مايلي: مما نقل على لسان عمر بن الخطاب افتراء ومن أجل تحقيق غايات خبيثة للسلطان وجنوده شرحتها في البحث الذي أشرت إليه.

الحديث: «إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آيةُ

الرَّجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف».

هذه فقرة صغيرة من خطبة طويلة جداً لعمر بن الخطاب وصلت بالرواية الشفهية إلى البخاري كما يدَّعي رواة الأحاديث.

وإذا عدنا إلى صحيح مسلم نجد نفس الحديث تقريباً تحت باب: رجم الثيب في الزنى وكما نجد في حاشية صحيح مسلم التفسير التالي للحديث رقم (١٦٩١) من صحيح مسلم: (أراد بآية الرجم: (الشيخ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهُما البتَّةُ) وهذا ما نُسِخَ لفظُهُ وبقي حُكمُهُ) انتهى الشرح.

هل رأيتم أعجب من هذا:

﴿انظر كيف يفترون على الله الكَذِبَ وكفى بِهِ إثماً مبيناً﴾ ٥٠ ـ النساء.

تخيلوا وقدروا وحدكم: كيف يمكن لقانون إلهي واجب التطبيق على كل الناس ينسخ الله لفظه من القرآن فلا يعود له وجود أبداً ثم يطلب من الناس تطبيقه؟ هل يمكن قبول هذا الموضوع عقلاً. وكيف يطلب الله من الناس المستحيل وكيف لهم أن يعلموا بوجود هذا الأمر إذا كان لاوجود له أصلاً. (والله إنهم كانوا لايعقلون مايقولون) وإذا أراد الله تعالى أن يكشف إنساناً على حقيقته تَوَّه رأيهُ وكشف أمره.

وقد يستغرب القارىء أكثر إذا علم مصدر هذا الكلام!؟

إنه من كتاب التوراة بعد أن أزال السلطان شريعة محمد بشريعة موسى المعدة والمحرفة كما يشاء السلطان:

(وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة يقتل الزاني والزانية)(*).

والقتل في شريعة موسى الموجودة في التوراة هي: (فقال الرب لموسى: «لترجُمْهُ الجماعة كلّها بالحجارة خارجَ المخيَّم، لأن عقابه القتل حتماً». فأخذه الشعب إلى خارج المخيم ورجموه بالحجارة حتى مات كما أمر الربُّ موسى)(**).

(*) سفر اللاويين الإصحاح ٢٠ ـ الفقرة ١٠ ـ العهد القديم.

(**) العهد القديم ـ سفر العدد ـ الإصحاح ١٥ ـ الفقرات ٣٥ ـ ٣٦.

وهكذا كما ترون فإن المنافقين والحاقدين من محترفي التحريف والافتراء حرفوا لنا ديننا ونحن لم نكتشف ذلك منذ أربعة عشر قرناً.

وسوف أستشهد ببعض الأمثلة كيف نسخوا آيات القرآن أمام أعين آبائنا وهم ينظرون، ولايعلمون ماذا يفعل الشياطين بدينهم ومعتقداتهم لمجرد تلبية رغبات سلطان المسلمين.

واستخدموا فكرة النسخ التي شرحتها ظلماً تلبية لتنفيذ جرائمهم في التحريف والتزوير في النصوص المقدسة لمجرد عدم رغبة فعالية تلك النصوص في شرع السلطان.

١ ـ الحديث رقم (٥١١٩) من صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة مابينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا تزايدا أو يتتاركا، تتاركا». فما أدري أشَيءٌ كان لنا خاصة، أم للناس عامة؟ قال أبو عبد الله: وبينه علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ.

إن هذا الحديث الذي وضعه لنا البخاري في صحيحه لينبه المسلمين إليه حديث خطير، إذ يجعل بموجبه الزنى حلالاً باسم أن الرجل والمرأة يجربان بعضهما ثلاثة أيام إن أحبّا بعضهما استمرا، بإتمام عقد الزواج بشكل رسمي، وإن لم يحصل الاتفاق يكون كما يقول المثل الشعبي (يادار مادخلك شر) فيذهب كل منهما في سبيله وكأن شيئاً لم يكن. ثم نسبة هذا الحديث لعلي بحيث إذا كشف تحريفه أساء لعلي فقط، وهذا هدف خبيث آخر، وكما رأيتم فإن كلمة منسوخ كلها من أساسها من اختراع جنود السلطان ولا وجود لها في دين الله كما برهنت لكم في مقدمة هذا البحث.

وهكذا تجدون أن الموضوع من أساسه افتراء، وإذا استند إلى شيء فيستند فقط لكتب أهل الكتاب المحرفة التي تقول مثلاً:

(وإذا وجَدَ رجل فتاةً عذراء غير مخطوبة فأمسكَها وضاجَعَها وضُبطا معاً يدفع الرجل الذي ضاجَعَ الفتاة خمسين قطعة من الفضة ويتزوجها لأنه اعتدى عليها)(*).

وهكذا تجدون أن عقوبة اغتصاب العذراء مع الضبط بالجرم المشهود هو الزواج منها وهل توجد شريعة تسهل وتخفف جريمة الاغتصاب مع الزنى أكثر من ذلك.

فالحديث الذي قرأناه من نفس المصدر.

(*) سفر التثنية الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ٢٨ ـ ٢٩.

٢ ـ الحديث رقم (٤٧٦٢) من صحيح البخاري: (انتبهوا لأسماء السند) حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جُرَيج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ فقرأت عليه (ولايقتلونَ النفّس التي حرّم الله إلا بالحق).

فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال:

«هذه (آية) مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء».

وانتهى الحديث.

إنّ هذا الكلام خطير جداً، ننسخ به آية من آيات الصراط المستقيم، علماً أنه لانسخ في آيات القرآن كما شرحت لكم أبداً، ولم يحصل إلا في تلك المرة اليتيمة وقد فعلها الله تعالى ليرينا كيف ستدّعي الشياطين النسخ في آيات الله كلها كما تشاهدون وهناك من يحاول أن يوحي تبرعاً من عنده بأن كل مايقوله جنود السلطان من أحاديث تدّعي بنسخ بعض آيات القرآن التي لاتعجبهم بأنه من الواجب إزالتها ومحوها من القرآن بإصدار طبعات جديدة لاتحوي الآيات التي نسخها السلطان ولم يعد يستسيغها جنوده مثل الحديث التالي:

٣ ـ الحديث رقم (٤٥٣٦) من صحيح البخاري: عن ابن أبي مليكة، قال: قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) إلى قوله (غير إخراج) قد نسختها الآية الأخرى فَلِمَ تَكتُبُها؟. قال تَدَعُها يا ابن أخي! لا أُغَيِّر شيئاً منه مكانَه).

وهكذا كانت أمنية السلطان وجنوده إزالة آيات القرآن الكريم من الوجود كله والإبقاء على آيات السلطان وجنوده فقط.

وهكذا درجت كلمة منسوخة على لسان علماء السنة علماً بأنه ليس في القرآن نسخٌ وإنما فيه إنساء بحيث يتم تعديل الأحكام بأحكام جديدة متطورة تتماشى مع روح العصر. لكن القرآن لايُمَسّ، ولايقال إن الحكم الجديد قد نُسِخَ بل أُنسَى الآية القرآنية لأن النَّسخ للآيات بيد الله وحده وليس بيد البشر، وآيات الله تبقى كما هي في القرآن إلى يوم القيامة.

٤ ـ الحديث رقم (٤٥٠٦) من صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما إنه قرأ (فدية طعام مساكين) قال هي مَنسوخَة؟

٥ ـ الحديث رقم (٤٥٠٧) من صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت:

(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فَنَسَخَتها.

هذا الكلام بعيد جداً عن الصحة وناتج عن سوء فهم للآية مقصود.

وأصل الآية القرآنية:

﴿يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكم الصيامُ كما كتبَ على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون * أياماً معدوداتٍ فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ البقرة.

ليس في موضوع الآيتين لانسخ ولا إنساء، ولكن هناك سوء فهم مقصود من جنود السلطان وراءه غاية الإساءة للدين مع الإحسان للسلطان.

إن الذي يقوله ويفسره الراوي في الحديث رقم (٤٥٠٧) أن الذي لديه طاقته المالية نتيجة غناه وبحبوحة الرزق فما عليه صيام أبداً، لأنه إن شاء أطعم عن كل يوم من أيام رمضان مسكيناً وانتهى الأمر. هذا فهم يناسب السلطان وجنوده تماماً. والآية كما تلاحظون تتكلم عن حالة خاصة لمريض لايستطيع الصيام أو إنسان كان في سفر فأفطر المريض ربما الشهر كله والمسافر عدة أيام فإن كانت من طاقتهما وفي وسعهما أن يطعما مسكيناً عن كل يوم أفطرا فيه فالله تعالى يعلمهم أن ذلك فدية وتطوّ ولكنهم مع كل ذلك إن عادوا بعد ذلك فصاموا: (خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون) إن كان ذلك من طاقتهم.

لكن رغبة جنود السلطان أن يكثروا من النسخ في القرآن من أجل جعلها سنة جديدة من سنن دين السلطان فيستطيعون بعد ذلك نسخ مالا يعجبهم من آيات القرآن بسهولة وهم كانوا يفعلون ذلك وهم يعرفون ويحرفون طوعاً لولي نعمتهم ولأهوائهم وشهواتهم الدنيوية.

وإذا انتبهنا للآية فالله تعالى جعل إطعام المسكين هو الحد الأدنى من الطاقة التي تكلم عنها وجعلها سبحانه مفتوحة، أي إذا كان من طاقته مثلاً إطعام ستين مسكيناً عن كل يوم فهذا أفضل، بدليل قوله تعالى: (فمن تطوّع خيراً فهو خير) وهذا تطوع لا إكراه فيه

وتعود لنفس المؤمن وكرمه وإمكانياته المادية.

وهكذا نجد أن الآية الأولى (١٨٤) تبحث موضوع الصيام للفئة الأولى المقتدرة من المسلمين ثم نجد بعدها الآية (١٨٥)حيث يعود سبحانه ويكرر موضوع الصيام ويذكر أيضاً حالة المريض والذي كان على سفر بأن يعود فيصوم بعد رمضان بدلاً عن الأيام التي أفطر ولكن دون أن يذكر له إطعام المساكين لأنه نفسه قد يكون من المساكين، فمن أين له إطعامهم؟ وتلك هي للفئة الثانية الفقيرة.

ولكن إذا كان مرض الإنسان من النوع الدائم المزمن كمرض السكري أو الذين أجروا مثلاً: عمليات استئصال الغدة الصفراوية (المرارة) فلا يستطيعون أن يبقوا معدتهم فارغة لمدة طويلة فيعفون من الصيام، وهذا ماتفسره الآية بعد ذلك في قول الله تعالى:

(يريد الله بكم اليسرَ ولا يريد بكم العُسر).

وهكذا نكون قد فهمنا أن جنود السلطان في أغلب الأحاديث يريدون إضلال المسلم وليس إرشاده أبداً، ويوهمونا بالنسخ مع علمهم بعدم وجود نسخ في آيات الله الموجودة في القرآن أبداً.

٦ ـ الحديث رقم (٤٥٤٦) من صحيح البخاري: عن مروان الأصفرعن رجل؟ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: أحسبه ابن عمر (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تُخفوه) قال نسختها الآية التي بعدها.

إن الكلام الوارد في الحديث تنقصه الدقة العلمية للأسباب التالية:

النص القرآني المقصود هو الآية:

﴿وإن تُبدُوا مافي أنفسِكُم أو تُخفوه يُحاسبكُم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ ٢٨٤ ـ البقرة.

لنفرض أن رجلاً أراد أن يحسن إلى عائلة فقيرة وخلال ذهابه إلى دار العائلة ليدفع لهم مبلغاً من المال، وكان كل ذلك مازال في نفسه وتفكيره فقط. فصدمته سيارة في الطريق ونقل إلى المستشفى توفي على أثرها دون أن يستطيع تحقيق ماكان في نفسه، أعتقد من خلال فهمي لآيات الرحمن في القرآن أن الله تعالى سوف يثيبه وكأنه فد فعل ماكان يفكر فيه، لأنه سبحانه يعلم ماكان من صدق نيته على فعل الخير الذي لم يتحقق له.

والآن لنفرض حالة معاكسة، رجل كان ذاهباً لقتل رجل عامداً متعمداً بيده سلاح

القتل. فمات هو في حادث سيارة.

أعتقد أيضاً أن الله تعالى عادل فلن يحاسبه على جريمة قتل لم يرتكبها فعلاً، لكنه سوف يحاسبه على إثم النية التي عقد عليها.

فهذه الآية غير منسوخة وقد بينت لكم في بداية البحث بعدم وجود نسخ في القرآن أبداً. وكما أن هذه الآية غير منسية لأن الآية الثانية لها أيضاً فعل مع الآية الأولى وهي: ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾ بل إن هذه الآية تكملة للآية الأولى وشارحة لها.

وهكذا نجد مئات من المحاولات وكلها تحاول أن تدس على الإسلام وتسيء للقرآن والرسول الكريم وكلها افتراءات كاذبة لاحق فيها ولا حقيقة يعلمون ويحرفون لمصالح دنيوية إرضاء لأولي الأمر من شياطين الإنس.

﴿فمن أظلمُ ممّن افترى على الله كذباً ليُضلّ الناسَ بغيرِ علمٍ إنّ الله لايهدي القومَ الظالمين﴾ ١٤٤ ـ الأنعام.

وفي باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة:

إن الذي يسمع هذا العنوان يتخيل السلطان الذي يتردّد في إصدار الأوامر والتعليمات لرعاياه، ولا يمكن أن يتخيل الله سبحانه أبداً. فالله لايتردد ولاينسخ ما أمر به أبداً لأنه لاينسى ولايسهو وهو الخالق العليم الخبير بنفوس من خلق من الناس.

٧ ـ الحديث رقم (١٤٠٤) من صحيح مسلم: عن قيس قال سمعت عبد الله؟ ؟ يقول: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا نساء. فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك. ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيباتِ ما أحلّ لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين﴾ ٨٧ ـ المائدة.

هذا الحديث ينسب للرسول بأنه سمح بالبغاء في الإسلام.

فما معنى أن يأتي رجل إلى امرأة ويقول لها: ادفع لك ثوباً في مقابل أن تبقي معي يوماً أو يومين وأقول علناً بأني تزوجتك ثم أطلقك بعد انقضاء المدة؟ بماذا يختلف عن البغاء المنتشر حالياً في العالم كله؟

فقط بعدم وجود شاهدين، ولم يقل بلسانه إني تزوجتك على سنة الله ورسوله، ثم بعد

أن يقضي منها وطره ويدفع لها ماتم الاتفاق عليه يقول لها: أنت طالق بالثلاثة، حتى لايكون لها نفقة.

هذا هو دين السلطان الذي أخرجه له جنوده الأكارم.

ثم ماذا قرأ عبد الله من آية سورة المائدة ليوهم المسلم الجاهل الذي لم يلمس بيده بعد القرآن، بأن الله قد حلل له ذلك في آية قرآنية وجعلها له من الطيبات التي يجب أن يتمتع بها. وإذا كانت الآية السابقة صحيحة ونزلت من أجل تحليل زواج المتعة في الإسلام فكيف ينسخ الرسول الكريم أمراً دائماً من الله يتعلق بالتحليل والتحريم الذي يعتبر في الإسلام من حدود الله وحده.

إليكم نص الآيات التي ترافقها حتى تعلموا أن الله تعالي لم يكن يتكلم عن ماكان يفكر فيه عبد الله أن يفعله وهو يعلم ماذا تعني تلك الآية تماماً.

﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتحرّموا طيباتِ ما أحلَّ الّله لكم ولا تَعتَدوا إنَّ الّله لايحبّ المعتدين * وكُلُوا ممّا رَزَقكم الّلهُ حلالاً طيّباً واتّقوا الّلهَ الذي أنتم به مؤمنون﴾ ٨٧ - ٨٨ - المائدة.

إن عمل عبد الله هو مثل الذي يقول للمصلّي: كيف تصلّي يارجل؟ ألم تسمع أن الله تعالى قد نهى عن الصلاة؟ إذ يقول تعالى ويقرأ: «ويلٌ للمصلين» ويسكت، ولايريد أن يتم مافي الآيات لأنها أيضاً آية كاملة لوحدها لكن المسلم لايمكن أن يفهمها إلا إذا قرنها بالآيات المرافقة التي تأتي بعدها:

﴿الذين هُمْ عن صَلاتِهم ساهون * الذين هم يُراؤون * ويمنعون الماعون﴾ ٥-٦-٧-الماعون.

وهكذا نجد في صحيح البخاري إحدى وعشرين رواية من هذه الأحاديث، هذه تقول، سمح الرسول بالمتعة، وحديث آخر يقول: نسخها الرسول في عام الفتح (لمكة)، أي قبل وفاة الرسول بسنوات قليلة. وهناك أحاديث في الصحيحين تقول إن زواج المتعة كان سارياً في زمن الرسول وزمن الصديق وزمن عمر بن الخطاب، وأحاديث تقول إن عمر بن الخطاب هو الذي أوقفها ومنعها في الإسلام، وكأن كتاب القرآن لم يعد موجوداً. وهذه الأحاديث تجدونها في هذا الكتاب.

وكيف نصدق الرواة ونكذب كتاب الله؟

﴿انظر كيفَ كذّبوا على أنفسِهِم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون﴾

صدق الله العظيم.

الفصل التاسع والعشرون

ثلاثة أحاديث خطيرة

ثلاثة أحاديث خطيرة افتراها جنود السلطان لقلب دين المسلمين من دين الرحمن إلى دين خاص بالسلطان، وجعلوا له شرعاً خاصاً بأحاديث وروايات افتروها على الله ورسوله، مناقضاً كل ماورد في كتاب الله، واستمروا في تطبيق ذلك البهتان أربعة عشر قرناً، ولايزال الذين عشقوه مستمرين في تطبيقه حتى الآن دون أن يسألوا عن كل المظالم التي سببها في أنحاء العالم الإسلامي.

وأنتم رأيتم معي، خلال هذا الكتاب وفصوله، صحة هذا الكلام وصدقه ويقينه، لأن الحقيقة لايمكن أن تُخفى أبداً، والله تعالى قد أعطانا سرّ كشفها، وهذا مافعلته في هذا الكتاب: وضعت الحق إلى جانب الباطل وقارنته بالعقل، فزهق الباطل فوراًواختفى أثره، وأصبح بلا قوة، وكأنه لم يكن قبل ذلك.

﴿بل نقذِفُ بالحقّ على الباطلِ فيدمغُه فإذا هو زاهقٌ﴾ ١٨ ـ الأنبياء.

وزاهق: بمعنى يموت يختفي أمام قوة الحق.

وأقوى هذه الأحاديث الثلاثة من حيث الأثر الحديث التالي:

عن راوٍ ـ لا كنية له، واسمه الحركي (عبد الله) ـ هكذا نجده ـ دائماً ـ دون كنية في صحيح البخاري وصحيح مسلم، علماً أن كل الأحاديث الخطيرة، أو أغلبها، منسوبة له.

١ ـ الحديث الأول:

الحديث رقم (٢٦٤٣) من صحيح مسلم: عن عبد الله؟؟ قال:

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ـ (أي الصادق في قوله، والمصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم، على اعتبار أن هذا الحديث وحي من الله تعالى حسب إجماع علماء السنة المصدق لهم من السلطان)ـ

«أنَّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل المَلَكُ فينفُخُ فيه الروح، ويؤمرُ بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوا الذي لا إله غيره: إن أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ـ هذا الحديث هو أخطر حديث افتراه جنود السلطان في كل افتراءاتهم السابقة، وكل كلمة في هذا الحديث مناقضة للقرآن تماماً، والذي افتراه شيطان ماكر استطاع به أن يقلب عقيدة الإسلام من عقيدة إيجابية أرسلها الله تعالى رحمة للناس ولمصلحة كل المؤمنين والمتقين في العالم الإسلامي، وحوّلها إلى عقيدة سلبية لمصلحة السلطان، بحيث تسلب من المسلم كل شيء ميّزه به ربُّ العالمين عن باقي مخلوقاته من حرية في الفكر والإيمان، وحرية في الرأي والاختيار وحرية العمل والإرادة الفاعلة في الإنسان، فعاد وحوّله من جديد إلى إنسان قَدَريٍّ انهزامي بلا فعالية ولا طموح ولا هدف يسعى لتحقيقه وليس له القدرة على أن يقول لا أبداً، بل إنسانٌ مستسلمٌ لقدرِهِ المكتوب له سلفاً من السلطان فتجده مستسلماً لكل شيء؛ فما هي الفوائد التي جناها السلطان مباشرة من هذا الحديث الخطير؟

١ ـ نحن نعلم أن كل قائد أمة وكل سلطان فيها يُعتبر المسؤول الأول عن حياة وأمن وسلامة أمته كأفراد موجودين تحت سيطرته وقيادته المباشرة، وباعتباره المسؤول عن حفظ وصيانة الثروة القومية وثروات أمته ومسؤولاً عن تأمين العمل والمسكن ومصادر الرزق الكريم لكل أفراد الأمة مكافحاً الجهل والمرض والفقر، الآفاتِ الخطيرة، الثلاث التي تصيب الشعوب نتيجة الظلم والتسلط على العباد من غير حق أو عدل أو رحمة، وبتطبيق الحديث السابق:

تخلى السلطان عن كل تلك المسؤوليات، والتي من أجلها أصلاً قبل به الشعب ليكون على رأس السلطة، فأسندها السلطان لله تعالى متخلياً عن ولايته عليها ومسؤولياته عنها؛ وحتى تتوضح الصورة أكثر، فإن جميع دول العالم المتقدم اليوم تطبق نظاماً للتأمينات الاجتماعية تنص عليها قوانين الدولة بحيث إذا قُتِل ربّ أسرة أثناء قيامه بوظيفته فعلى الدولة أن تدفع تعويضات لأسرته بشكل نقدي لتأمين حياة أطفاله

وزوجته باعتبار أن معيلهم قد قتل ولم يعد لهم مصدر للرزق من بعده؛ والذي يفقد عمله، التأمينات تدفع له حتى يستطيع تأمين عمل آخر غيره، حتى لاينقطع هذا المواطن عن مصدر رزقه، فيصبح بين يوم وليلة، بلا مورد ـ مال يسترزق منه، علماً أن الحديث الذي قرأناه قبل قليل يُخلي مسؤولية السلطان عن أكبر ثلاث مسؤوليات كانت هي الأصل والسبب في وجود السلطة والسلطان ولولاها لما كان أي مجتمع إنساني بحاجة إلى من يسوس أموره ولا من يتصدر مسؤولية التنظيم والتنفيذ للشرائع والقوانين والأنظمة الموجودة فيه كما تبينها آيات القرآن الكريم: فلو فرضنا أن ألفاً من المقاتلين في جيش السلطان قتلوا في معركة، فإنه وبحسب عقلية ومنطق الحديث السابق، ليس لهم ولا لأهلهم من بعدهم أية حقوق تترتب على السلطان وصندوق ماله الذي يسميه، كذباً، بيت مال المسلمين، لذلك يكتفي مساعدوه بإرسال ورقة إعلام للأهل بأن ولدهم أو معيلهم فلان الفلاني قد استشهد بطلاً وهو يجاهد في سبيل الله وأن الله تعالى قد جعله من سكان جنته، وهو الآن هناك بين حوريات الجنة يمرح ويلعب في سعادة وحبور مع الخالدين من أمثاله، فبشرى لهم وله بهذا المصير، وانتهت بذلك مهمة السلطان وجنوده ومسؤوليتهم كلها، لأنه بحسب نص الحديث فهو غير مسؤول عن مقتله، والله تعالى هو وحده الذي قدّر وقرّر له ذلك المصير من قبل أن يولد، وأن رزقه أيضاًقد انتهى على الأرض، أما موضوع رزق أولاده الصغار أو أهل بيته الآخرين من أم وأب شيخين عاجزين أو أخت عانس أو زوجة قد ترملت وبين يديها أيتام صغار مثلاً، فالسلطان أيضاً وبحسب نص الحديث غير مسؤول عنهم جميعاً، بل المسؤول الوحيد هو الله تعالى ورزقهم على الله وليس على السلطان، وكل جنوده من علماء الدين والحديث يؤيدونه على هذا الموقف لأن الحديث النبوي الشريف قد صدر وحياً من العدالة السماوية، وهو عبارة عن آية من آيات كتاب الحكمة حسب إجماع علماء السنة (الجمهور).

لذلك حتى لو راجع أهل (الشهيد) القاضي الإسلامي المسؤول فسوف يقول لهم الكلام نفسه لأن نص الحديث واضح وصريح ولايحتاج إلى تفسير أو توضيح إضافيين، فإذا كان لطيفاً قال لهم بلباقة: لكم الله ورزقكم على رب العالمين وليس لكم عند السلطان ولا في بيت مال المسلمين أية حقوق على الإطلاق.

لنفرض الآن فرضية أخرى بأن ألفاً من عمال المناجم الذين يعملون في مناجم السلطان لاستخراج الذهب أو الألماس أو الحديد أو أي شيء آخر قد قتلوا داخل المنجم نتيجة خطأ من الأخطاء أو خطر من الأخطار التي تواجه عمال مناجم الأرض. سوف يرسل

موظفوا السلطان ومساعدوه رسائل إلى أهالي الضحايا للإعلام بما حدث لهم وأنهم قتلوا شهداء الواجب وخدمة الحق، مع كلمات تعزية وشكر، لاتسمن ولاتغني من جوْع، إلى زوجات ترمّلن بفضل السلطان مع باقي الأطفال والأهل: بحسب نص الحديث السلطان غير مسؤول، والمسؤول الوحيد هو الله تعالى موزّع الأرزاق سبحانه، وانتهى الموضوع.

فإذا فرضنا أنه خرج من بين فقهاء المسلمين رجل صالح يعلم تماماً ماذا يفعل السلطان ويعلم أنه يظلم العباد علناً ونبّه الناس إلى حقوقها المسلوبة مستنداً للقرآن وأحكامه ضارباً بعرض الحائط أحاديث السلطان كلها، فأصبح هذا الرجل الصالح يوقظ الناس، الذين سهر جنوده الليالي الطوال مع الجهد الجهيد لتنويمهم في الكهف العظيم، فبدأ ينبّه الغافلين عن حقوقهم المسلوبة حتى يقفوا صفاً واحداً للمطالبة بها واستعادتها من جديد.

والرجل الذي يعظهم هو واحد منهم ويعرفونه ويعرفون أصله وفصله وتاريخ أسرته ولايشكون في صلاحِهِ وتُقاهُ وأنّه لم يفعل سابقاً أو لاحقاً إلا بما يرضي الله تعالى، يستطيع السلطان بحسب نص الحديث السابق أن يلقي عليه القبض ويتخلص منه بسرعة،. وحتى لايخرج أحد ليدافع عنه من الناس، يسرع جنوده بإلقاء الخطب عمّا حدث، وفي خطبة الجمعة، معلنين للمسلمين:

لايغرنكم المظهر، فقد نبّهنا الله في الوحي الثاني الذي أنزله على سيد المرسلين محمد صلوات الله عليه في حديث صحيح مكتوب في صحيح البخاري وصحيح مسلم، بأن الرجل قد يكون فيما يبدو للناس من أفعاله بأنه من أهل الجنة لكنه قد يكون من أهل الكفر والنار، وأنتم لاتعلمون ويقرأون عليهم نص الحديث الشريف!!

وإذا رأى الناس بأن السلطان يفعل كل المنكرات ويرتكب كل الكبائر علناً في مجالسه وخرج إليه من يحتج ويقول معترضاً على أفعال سلطان المسلمين، وقائدهم ورائدهم تصدى له جنوده قائلين:

«لاتستعجلوا الأمور وتستبقوا الأحداث، قد يكون الرجل فيما يعمل من أعمال وأفعال في هذه الدنيا بحسب ماتشاهدون وترون بأعينكم توجب أن يكون كافراً، ومن أهل النار، لكن مايدريكم بأن الله تعالى قد كتبه من أهل الجنة ومن الصالحين؟ ويقرأون عليهم نص الحديث الشريف شهادة دامغة لكل ظنونهم وشكوكهم التي لامبرر لها

أبداً، والحديث كما ترون واضح وصريح ويقولون عنه بأنه من وحي الله تعالى على رسوله الكريم الذي كان لاينطق عن الهوى وإنما وحي يوحى، لاتظلموا سلطانكم بالظاهر من أعماله وأفعاله، فهو قد يكون من أولياء الله المقربين الصالحين وأنتم لاتعلمون، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، ونحن فقط الذين نعلم الحقيقة ونخبركم بها صحيحة وصادقة، والله تعالى قد كتب كل ذلك في كتابه وفي غيبه وأنتم عندها لم تكونوا حاضرين، لتقرروا وتحكموا هكذا على ظاهر ماتشاهدون؛ وأقنعوا الرَعيَّة وأعادوهم للحظيرة من جديد»!

وهكذا تجدون أن هذا الحديث لو دفع ثمنه السلطان ملايين الدنانير فهو لن يفي جنديّه الذي افتراه، حقه لأنه من عباقرة الافتراء والتزوير في العالم الإسلامي، ولكنه مع الأسف، مايزال من جنود السلطان المجهولين، وضاع حقُّهُ واسمُهُ بين باقي الجنود المكرمين، وظهر بقدرة الله تعالى من جديد وبوحي منه سبحانه تحت اسم «عبد الله»!!

لقد تكلمت حتى الآن عن الفوائد التي جناها السلطان من هذا الحديث ـ والآن، وقد انتهى السلطان، وانتهى عهد السلاطين في الإسلام بعد آخر سلطان تسلط على رقاب المسلمين، وهو السلطان عبد الحميد، الخليفة الإسلامي الذي كان مقره في استانبول في آخر عهد الخلافة العثمانية.

لكن، مع الأسف الشديد، فإن المسلمين مازالوا تحت تأثير هذا الحديث وأمثاله، ومازالت كلماته تفعل فعلها وتأثيرها الهدام مازال مستمراً ليس في الشرع والأحكام فقط بل بتأثيره السلبي على عقيدة المسلم ومنطقه وأسلوب تفكيره إلى اليوم.

أَيُّ ربٌّ عمل أو صاحب شركة صغيرة كانت أم كبيرة، خاصة كانت أم عامة، ويقتل عنده عاملٌ أو مجموعة من العمال أو تعرضوا لحوادث في العمل وأثناءه وكانت نتيجتها مقتل بعض العمال أو تسببت لهم بعاهات مستديمة مثل فقدان يد أو رجل أو أي عضو آخر يكون سبباً في الإقعاد عن العمل، بحسب الشرع الإسلامي أو القضاء الإسلامي الحالي الذي يدعي قولاًبتطبيق أحكام القرآن ويطبق فعلاً أحكام الأحاديث التي، بحسب منطقهم، تشرح آيات الله التي في القرآن، فليس على صاحب الشركة أية مسؤولية مالية أو جزائية لأن كل الحوادث ـ بحسب هذا المنطق ـ من قضاء الله وقدره المحتوم، والمكتوب سلفاً، والذي لايمكن عن طريق الحرص والحذر واستخدام أساليب

الحيطة، منعها من الحدوث، ولأن هذا المنطق هو السائد، فلا يمكن تحميل المسؤولية القضائية أو الجنائية بما يترتب عليها من مسؤوليات مالية أو جزائية، باختصار: الله سبحانه وتعالى الذي قرر وكتب وهو المسؤول الوحيد، ولايمكن تحميل أي إنسان المسؤولية، بحجة إهمال أو تقصير ويَنسَحِبُ ذلك على القتل العمد: يقول لك القاتل ماذنبي أنا إذا اختارني الله لأكون المنفذ لجريمة خطط لها الخالق سبحانه وجعلني أنفذها أنا، طالما اختارني أنا لأنفذها فأنا أيضاً ضحية ولا ذنب لي في كل ماحصل، فكل ذلك كان مقدراً ومكتوباً علينا جميعاً!!

وأخرجت أحاديث تؤيد هذه العقلية والمنطق عند المسلمين:

الحديث رقم (٢٦٥٢) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«احتج آدم وموسى، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟

فقال النبي ﷺ:

فحج آدمُ موسى.. فحج آدمُ موسى»

هذا هو المنطق الجديد الذي استوردناه من كتب أهل الكتاب ليحل بدلاً عن منطق القرآن الكريم عند المسلمين، ولتحل هذه الأحاديث وحياً ثانياً من الله بدل الوحي الأساسي الذي في القرآن، ثم لانعلم بعد لماذا أمورنا كلها مقلوبة؟

إنَّ أوصاف جنود السلطان المزوّرين لكلّ الأديان وصفاتهم واحدة في كل زمان ونجد وصفهم حتى في كتب أهل الكتاب مما سقط من أيديهم عن التحريف:

(لأنهم يقولون ولايفعلون، بل يَحزِمُونَ أحمالاً ثقيلة لاتطاق ويضعُونها على أكتاف الناس؛ ولكنهم، هم، لايريدون أن يحركوها بطرف الإصبع. وكل مايعملونه فإنما يعملونه لكي يلفتوا نظر الناس إليهم، فهم يُعَرِّضون عصائبهم، ويطيلون أطراف أثوابهم، ويحبون أماكن الصدارة في الولائم، وصدور المجالس في المجامع، وأن تلقى عليهم التحيات في الساحات، وأن يدعوهم الناس «يامعلم! يامعلم!» أما أنتم فلا تقبلوا أن يدعوكم أحد: يامعلم لأن معلمكم واحد، وأنتم جميعاً إخوة ولاتدعوا أحداًعلى الأرض أباً لكم: لأن أباكم واحد، وهو الأب الذي في السماوات (هذا رد على المسيحيين الذين يقولون لرجال دينهم (يا أبونا). ولاتقبلوا أن يدعوكم أحدٌ رؤساء، لأن رئيسكم واحد، وهو المسيح وليكن أكبركم

خادماً لكم، فإن كلَّ من يرفع نفسه يوضع، ومن يضَع نفسه يُرفع)(*).

وفكرة أن كل شيء مكتوب على الإنسان من قبل أن يولد ليست فكرةً إسلامية أساساً بل فكرة زرعها الحاقدون من أفكارهم التي يحملونها من كتبهم، مثل فكرة أن الله قدَّر من بدء الخليقة من سيدخل النار ومن سيدخل الجنة ومن الذي سيؤمن ومن الذي سيكفر؛ فلنستمع إلى هذا النص من إنجيل متى:

«عندما يعود ابن الإنسان (المسيح) في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض، كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز، فيوقف الغنم عن يمينه والماعز عن يساره، ثم يقول الملكُ للذين عن يمينه: تعالوا يامن باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أُعَدَّ منذ إنشاء العالم.

ثم يقول للذين عن يساره (للسود من الماعز) ابتعدوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه»(**).

اسمعوا تعاليم جنود السلطان عندهم التي أصبحت مهمتهم أيضاً في ديننا حتى يفرقوا المسلمين كما تشاهدون:

(أتظنون أني جئت لأُرسي السلام على الأرض؟ أقول لكم: لا، بل بالأحرى الإنقسام: فإنه منذ الآن يكون في البيت الواحد خمسة فينقسمون ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة، فالأب ينقسم على ابنه، والابن على أبيه، والأم على بنتها، والبنت على أمها، والحماة على كنتها والكنَّة على حماتها)(***).

اسمعوا المنطق التالي فإنه يطابق منطق الحديث الذي نتكلم عنه:

سلطان الله المطلق ورحمته:

(من أنت أيها الإنسان حتى ترد جواباً على الله؟ أيقول الشيء المصنوع لصانعه لماذا صنعتني هكذا؟ أوليس لصانع الفخار سلطة على الطين ليصنع من كتلة واحدة وعاء للاستعمال الرفيع وآخر للاستعمال الوضيع؟

فماذا إذا كان الله وقد شاء أن يظهر غضبه ويعلن قدرته، احتَمَلَ بكلِّ صبر أوعية

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٣ ـ الفقرات ١ ـ ١٢.

(**) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ ـ الفقرات ٣١ ـ ٤١.

(***) إنجيل لوقا ـ الإصحاح ١٢ ـ الفقرات ٥١ ـ ٥٣.

غضب جاهزة للهلاك وذلك بقصد أن يعلن غنى مجده في أوعية الرحمة التي سبق فأعدها للمجد)(*).

أي أن الله تعالى سبق وقدر سلفاً لمن سيظهر غضبه ولمن سيظهر مجده، وهذا المنطق يناقض تماماً منطق القرآن، ولكن مع الأسف الشديد لم يعد القرآن كتاب المسلمين إلا بالاسم لأنَّ مانطبقه ونسير بموجبه، كما برهنتُ لكم، هو فقط من تعليمات التوراة والإنجيل التي شبعت إفتراء وتحريفاً عبر العصور، وعلماؤنا اعتبروهما منهلاً للعلم والافتراء على الرسول تحت شعار كنا نكذب لمصلحة الله ومصلحة الدين ولم نكذب لنضر الإسلام والمسلمين.

﴿وإنّما الأعمالُ بالنيّاتِ، ولكلٍّ امرىءٍ مانوى﴾

نعود مرة أخرى إلى الحديث الذي استوحاه الراوي من كتب أهل الكتاب ومنطقهم، كيف قلب عقلية الناس ومنطقهم بحيث أصبح منطق ذلك الحديث هو السائد بين المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة: فكل مدير شركة مثلاً أو مسؤول ما، عندما يأتي إليه أهل أحد المتضررين من حادثٍ كانت نتيجته: قتلاً أو عجزاً عن العمل للمطالبة بحقوقهم، فبحسب الشرع الإسلامي الحنيف، إذا كان هو الوحيد المطبق كقانون للحكم بين الناس بالعدل والميزان، خاصةً إذا كان يعتبر كلَّ ماورد في صحيح البخاري ومسلم وهي كلها نصوص مقدسة وهي وحي ثابت من الله سبحانه، ولها حكم القرآن، بل لها قوة نسخ آيات القرآن أيضاً، كما يعتبرها كل أهل السنة اليوم، فليس للمتضررين حقوق أبداً.

وبحسب نصوص (الصحيح) من كتاب الحكمة الذي عدّلنا اسمه حديثاً إلى كتاب السنة يستطيع مدير الشركة أن يقول وهو مطمئن وبصوت جهوري مسموع من الجميع:

«أتحاسبونني أنا على موضوع قدّره الله سبحانه وتعالى»؟

«أنا أيضاًقد تضررت مصالحي فمن يدفع لي»؟

فيقوم ليشرح للمشتكين الأضرار المالية التي لحقت بشركته نتيجة ذلك الحادث مهما كان، فيقول المسؤول متشكياً: أنا مثلكم لقد خسرت أيضاً سيارة وتعطلت أعمالي

(*) العهد الجديد ـ رسالة بولص إلى مؤمني روما ـ الإصحاح ٩ ـ الفقرات ٢٠ ـ ٢٢

فلماذا تحاسبوني على عمل قدّره الله؟ وهو الوحيد المسؤول سبحانه عما يقدر وعما يقرر.

وهكذا تجد أن هذه القصة وأمثالها تنزل إلى كل المستويات وتفعل فعلها التخريبي في الحقوق بشكل غير منطقي لكنه مثبوت في الصحيحين فهو قانون إلهي لايستطيع أحد أن يبدّله أو أن يعدّله.

مثال آخر: إن ذهبتَ إلى مشفى ما فوجدتَ إنساناً مات نتيجة إهمال طبيب أو ممرضة، أو خطأ ناتج عن عدم اهتمام أو عدم تقدير للعواقب مع وجود تقصير واضح، كل المسؤوليات تخلى ويصبح الله سبحانه وحده هو المسؤول الأول والأخير.

ننزل للمدارس: فإذا ضرب أستاذ طالباً وصفعه بقوة مثلاً، وكانت نتيجة تلك الصفعة ثقب طبلة الأذن للطالب أو كسر فكه أو كسر يده أو قدمه، مما سبب له عاهة مستديمة فيكون الله المسؤول، وبهذا يكون الله سبحانه المسؤول عن كل أخطاء البشر باعتباره المقدّر والمقرّر لكل الأفعال، من قبل أن يخلق الإنسان، وهو سبحانه المقدّر لكل الحوادث وليس الناس وليس إهمالهم وليس تقصيرهم، قد تضحكون، ولكني لا أكتب فصلاً كوميدياً في رواية، وإنما أذكر لكم حقائق عن ديننا وعقيدتنا الإسلامية اليوم.

حديث واحد يضعه جندي مجهول واحدواسمه الحركي (عبد الله) وبلا كنية في الصحيحين (رقم الحديث في صحيح البخاري (٦٥٩٤) وهو الحديث الأول في باب القدر).

فينسب مايقوله هذا المجهول النسب إلى رسول الله ويصدق له كل علماء السنة لأن الحديث كما شرحتُ، منافعُهُ مطلوبة بشدة من قبل ولي نعمتهم، واهب الدنانير لهم، فلا يستطيعون التأخر عليه، فمصلحة السلطان فوق مصلحة الجميع، وهكذا يدخل الحديث في الصحيحين متصدراً باب القدر ليصبح قانوناً إلهياً ووحياً من الله سبحانه ليتسلط على رقاب البشر لأكثر من ألف وأربعمائة من السنين؛ فهل تقدّرون حجم الظلم الذي سببه، وحجم الحقوق التي أهدرت نتيجة لمثل هذا الحديث وأمثاله في وحي الله الثاني عندنا نحن المسلمين؟

ثم نجلس ونتساءل بعدها: لماذا تتدهور أمورنا كل يوم نحن المسلمين؟

ونعود لنرفع أكف الضراعة من جديد بعد كل صلاة جمعة، ونصرخ بأعلى أصواتنا

متضرعين، ولاتستجاب دعواتنا أبداً بل يستجاب بعكسها تماماً، نطلب النصر فنبلى بالهزائم، نطلب الغنى فنبلى بالفقر، نطلب العلم فنبلى بالجهل.

إن العيب موجود في أسلوب تفكيرنا كله، والعيب موجود بأسلوب تصوّرنا للدين، العيب موجود في عقيدتنا الحالية التي أدخل فيها عقائد ليست من الله ولا من كتابه ولا من وحيه إنما كلها كانت من الشياطين، أليس كل المأجورين من المنافقين والحاقدين والحاسدين من الذين خدموا السلاطين وكانوا له جنوده المخلصين من شياطين الإنس؟

إن العطل في العقيدة التي حُرِّفَتْ بفعل فاعل قاصد ومتعمد لإضلالنا عن سبيل الله.

فصارت كل معتقداتنا أوهاماً وأباطيل لاوجود لها إلا في عقولنا نحن المسلمين واستحكمت مع طول الزمن، فأصبحت تلك الأوهام ثابتة، وكأنها من أصل عقولنا، تتحكم في أسلوب تفكيرنا كله وفي عقليتنا كمسلمين، وتحد من إمكانياتنا وقدراتنا الإنسانية كلها.

صحيح أن القرآن واضح وليس فيه أوهام أصلاً ولكن مَن مِنَ المسلمين اليوم لايشرك بكتاب الله كتاباً آخر؟

- ومَن مِنَ المسلمين لايشرك مع هدي الله هدياً آخر؟
- ومَن مِنَ المسلمين لايشرك مع سنة الله سنة أخرى؟
- ومَن مِنَ المسلمين لايشرك مع حديث الله حديثاً آخر؟
- ومَن مِنَ المسلمين لايشرك مع كلام الله كلاماً آخر؟

والقرآن أمامنا ويتحدى الجميع بآياته الواضحة الجلية وليس فيها إلا مايثبت عكس معتقداتنا كلها.

والله سبحانه يؤكد بأنه لاكتاب للمسلمين إلا القرآن، الذي يتألف كما شرحت ضمناً من كتابين لأن كلّ ما أوجده الله في هذا الكون بشهادته سبحانه يجب أن يكون زوجياً لأنه اختص وحده بصفة الفردية سبحانه الخالق الفعال لما يريد.

ولو أوجد القرآن فرداً لخالف سنة موجوداته كلها، وناقض ماقاله سبحانه في القرآن (ومن كلِّ شيءٍ خَلَقنا زوجينِ لعلّكم تذكرون)، وشيء نكرة، مجهول ينطبق على كل الموجودات قطعاً.

والله يؤكد أن لا هدي لكل الناس جميعاً إلا هدي الله..

والله يؤكد أن لا سنة مع سنة الله..

والله يؤكد أن لا حديث مع حديث الله..

والله يؤكد أنه لاكلام مع كلام الله، وكل ذلك مثبوت في كلام الله الذي في القرآن الكريم، والشيء الوحيد الذي أقر به الله سبحانه لمحمد ﷺ بإطاعة الرسول فيما أمر.

فإذا كان الرسول ﷺ لاهدي خاصاً به ولا سنةً خاصةً به ولاحديثاً خاصاً به ولا كلام خاصاً به فيما يتعلق بشؤون الإسلام، وتنظيمه، وله أمر فقط، فماذا يعني ذلك؟

إنه مثل أي قائد تعيّنه القيادة العامة في أي بلد ليكون قائداً للجيش، فقائد الجيش أيضاً في كل بلد يتلقى الأوامر من رئيس البلاد، فينفذها هو وجيشه كما أمر رئيسه، ولاحق له بإجراء أي تعديل عليها، يؤمر بالقتال فيقاتل، والرئيس يعلن للناس وللجنود دائماً: عليكم بطاعة رؤسائكم وضباطكم، إذاً فلهم الطاعة، ولهم أن يأمروا، لكن ليسَ بأوامر خاصة من عند أنفسهم، بل بأوامر القيادة العامة، التي تصدر الأوامر عادة، والرسول مثل ذلك له رئيس واحد هو الله سبحانه صاحب الهدي والسنة والحديث والكلام، وحده لاشريك له، وللرسول ﷺ من بين كل ذلك له الأمر فقط بما أمر الله، وليس له بإجراء أي تعديل على أوامر الله التي في القرآن، وإذا لم نفهم ديننا بهذا الأسلوب فلن نفهم إسلام القرآن أبداً.

وهذا الكلام البسيط الذي أقوله الآن كان يفهمه كل جنود السلطان أفضل مني بكثير، لكن مصلحة السلطان التي فُضّلت بعد الفتنة الإسلامية الكبرى على مصلحة الله جرفت كل ضعاف النفوس بقوة الذهب والفضة مع اتجاه الجنة العاجلة متناسين جنة الله التي في السماء، وهكذا نجد أن العطل ليس في دين الله سبحانه وتعالى الذي هو القرآن، بل العطل وكل العطل بما وضعه جنود السلطان بين أيدي الناس على أنه الدين الصحيح، بأحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، وإن تابعنا مسيرة الإسلام والمسلمين بمنطق تلك الأحاديث كما فعلنا ذلك إلى اليوم، فلن نصل في النهاية إلا إلى أن نشك في إسلامنا وفي خالقنا فيتركَ أغلب الناس هذا الدين ويهجروه لأنه أصبح يتعارض مع العقل والمنطق السليم، وقد فعلها قبلنا أهل الكتاب في عصر النهضة الأوروبية، ولو لم يفعلوا ذلك لظلوا في أوهام رجال الدين عندهم ولما استطاعوا أن يحققوا شيئاً إلى اليوم، ونحن أيضاً وصلنا إلى نفس المنعطف الخطر، فلابد من صحوة حقيقية وإعادة دفة التوجيه بالقرآن، لأننا إن تابعنا على نفس منطق هذه الأحاديث كما قرأنا قبل قليل في

الحديث الذي حجّ فيه آدم موسى، سوف يخرج لي ابني أو ابنتي، متسائلين، كما سوف يخرج لكم ابنكم او ابنتكم ليسألوكم:

إذا كان هذا الحديث صحيحاً يا أبانا فنحن غير مسؤولين أمام الله عن كل أعمالنا وأخطائنا أيضاً، وإذا قلنا لهم: وكيف أنتم غير مسؤولين؟ لأجابونا بمنطق العلم والحجة نفسها: كيف يحملنا الله سبحانه وتعالى مسؤولية أخطاء وأفعال وهو سبحانه الذي قدرها علينا من قبل أن نخلق؟ فنسكت جميعاً ولانستطيع أن نقاوم حجتهم ومنطقهم، وإذا سألونا، وقالوا: أليس الله سبحانه هو الذي يقول بأنه لايظلم مثقال ذرة لعباده؟ فنقول: نعم هو الذي قال ذلك فعلاً في القرآن الكريم، فيقولون لنا: إن الله سبحانه وتعالى لم يصدق معنا إذاً أبداً. فنقول لهم: كيف؟ وهل تكذبون الله سبحانه؟ نستغفر الله العظيم من كلامكم هذا! فيقولون لنا: كيف لايظلم مثقال ذرة، وقد قدر لنا سلفاً بأن يكون أغلب أهل النار من النساء من قبل أن يخلقهن؟ أليس هذا ظلماً واضحاً وصريحاً يا آباءنا المكرمين؟ فنقول لهم: إن الله يفعل مايشاء. فيقولون لنا: نحن لانتدخل في مشيئته وإنما نقول مطالبين بما وعدنا.

كيف يقول لنا بأنه لايظلم مثقال ذرة وقد قدَّر على كل إنسان سلفاً من قبل أن يخلق، إن كان سوف يكون من أهل النار؟ أو من أهل الجنة؟ ولو شاء الله بأن لايظلم أحداً كما تقولون لنا، لأرسل كل الناس إلى الجنة من غير حساب لأن الناس فعلاً غير مسؤولين عن أعمال قدرها عليهم الله سلفاً من قبل أن يخلقوا، وكما حج أبونا آدم موسى عليهما السلام، فنسكت نحن جميعاً، لأن أولادنا حاجونا جميعاً. كما حج آدم موسى. كما حج آدم موسى!!!

إن من أكبر مصائبنا، جميع المسلمين، أن أوهامنا هي التي تتحكم فينا وتقودنا جميعاً فنتوهم. دائماً بأن الجبة والقفطان مع سبعة أذرع من قماش أبيض لُفَّ على طربوش بعناية تامة وإتقان مع لحية بيضاء وسبحة نفيسة في اليد تصنع عالماً أو حكيماً أو نصف إله بصورة دائمة وأكيدة.

إنما العلم والحكمة هما من خير الله ونعمه وفضله يمنحها رب العالمين لمن يشاء من عباده الذين يستحقونها بجدارة وعن علم ومعرفة حقيقية كانت ثمرة جد واجتهاد، وأما الحكمة فهي موهبة من الله سبحانه يمنحها أيضاً لبعض عباده الذين يقدرون العقل والمنطق، وقال تعالى:

﴿إنّما يخشى اللّهَ من عبادِهِ العلماءُ﴾ ٢٨ ـ فاطر.

وكما قال سبحانه:

﴿فَمَنْ أظلمُ ممن افترى على اللّهِ كذباً ليضلَّ الناسَ بغيرِ علمٍ﴾ ١٤٤ ـ الأنعام.

وكما قال رب العالمين:

﴿يُؤتي الحكمةَ مَنْ يشاءُ ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً﴾ ٢٦٩ ـ البقرة.

صدق الله العظيم

٢ ـ الحديث الثاني:

الحديث رقم (١٨٢٩) من صحيح مسلم، عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:

«ألا كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيّته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

قبل الدخول في شرح هذا الحديث يجب التنويه إلى أن مصدر هذا الحديث هو من كتب أهل الكتاب ومن الإنجيل بالذات، وإليكم النص الأساسي:

«الحق الحق أقول لكم: إن الذي لايدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص، وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف، لهذا يفتح البواب، والخراف تسمع صوته، فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها، ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها، والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته، وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لاتعرف صوت الغرباء، هذا المثل قال لهم يسوع... أن هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف، وأما الذي هو أجير وليس راعياً، الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب..

ولي خرافٌ أُخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون قطيعاً واحداً وراعياً واحداً، لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً... لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً»(*).

(*) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٠ ـ مختارات من الفقرات ١ ـ ١٨.

طبعاً هذا الكلام محرّف أيضاً عن الرسول عيسى عليه السلام، كما أن الحديث محرف وليس من أقوال الرسول محمد ﷺ.

ورجال الدين بشكل رسميّ، لأي دين على الأرض، لهم وظيفة واحدة، وهذه الوظيفة هي تأنيس وتدجين الناس، واستئصال شوكاتهم عن طريق العقيدة، واستغلال حب الناس الموجه لشخص الرسول المرسل من قبل الله لتخليصهم من الذنوب والآثام وفعل الشر كما في العقيدة المسيحية الموجهة لحب السيد المسيح عليه السلام، أو استغلال الحب العظيم من المسلمين والموجه إلى رسولهم محمد ﷺ، ولكن هم يفعلون ذلك لمصلحة من؟

يفعلونها قطعاً لمصلحة السلطان الذي استول على الزعامة الدينية والدنيوية بالاستخلاف عن الرسول ﷺ الذي كان من الأساس رسولاً نبياً ومُبلِّغاً لوحي الله في الأرض وحاكماً زمانياً لدولة المسلمين في عصره.

وفكرة الخرفان والقطيع، والراعي والرعية، سواء في نص الحديث الإسلامي أو في النص الأصلي المسيحي هي ليست من الله قطعاً، لماذا؟ وماهو الدليل على هذا الإنكار؟

إنّ دليلي هو في القرآن الكريم...

إن الله سبحانه وتعالى الذي كرم الإنسان ومنحه العقل والفكر وانطقه وعلمه الأسماء كلها ونفخ فيه من روحه وميزه عن باقي مخلوقاته كلها وأسجد له كل ملائكته لتميزه بالإرادة الحرة في الاختيار للكفر أو للإيمان بمشيئة خاصة للإنسان، سابقة لمشيئة الله، بعد كل هذا التكريم الذي فعله الله للإنسان لم يكن أبداً ليعود به إلى مستوى القطيع من باقي مخلوقاته أبداً، لأنه لو شاء أن يبقيه في مستوى القطيع لما أكرمه كل ذلك الإكرام ولما ميزه على أحد، بل أبقاه، مثل باقي الحيوانات الأخرى، يفعل وفق مازرع الله فيه من غريزة فقط، ولايستطيع أن يفعل مايشاء هو أبداً.

إن الإنسان لم يقدّر بعد إكرام الله له بتلك الميزات التي تجعله قادراً على التفكير مع إمكانية التوجه بحرية غير محدودة لاختيار مايشاء من طريق، دون أن يكون عليه تأثير من أحد، ولاحتى من ربه الذي خلقه، فهو يستطيع أن يقف موقفاً معاكساً بالكفر والإلحاد لله إن شاء ذلك، وهذا طبعاً لم يتم هكذا عفوياً أو بالخطأ بل تمت بإرادة ومشيئة وتخطيط من الله تعالى سابقة بحيث يمكن التعبير عنها بالقول:

إن الله تعالى شاء أن يفعل ذلك لغاية يقصدها هو، وهي مازالت في غيبه، ولا نعرف

سرها نحن البشر، وكل مانعرفه فقط ما أعلمنا عنه في كتابه قائلاً بأنه لم يفعل ذلك عبثاً، ولم يخلقنا وهو في حالة لهو أو لعب وتسلية، وإنما بهدف وبتوجه منه سبحانه وتعالى:

﴿أَفَحَسِبتُم إنّما خلقناكم عبثاً﴾ ١١٥ - المؤمنون.

﴿وماخَلَقنا السماء والأرضَ ومابينَهُما لاعبينَ، لو أردنا أن نتَّخِذَ لهواً لاتَّخذناهُ من لدُنّا إن كنّا فاعلين﴾ ١٦ - ١٧ - الأنبياء.

وخلق الإنسان يأتي في عبارة (ومابينهما) أي ماخلق الله تعالى مابين السماء والأرض من مخلوقات.

وكما قلت لكم آنفاً، لم يكن الله تعالى بعد أن كرم الإنسان على ملائكته الذين أسجدهم له ليعود بذلك الإنسان المكرم إلى مستوى القطيع من الغنم، بل أرسل الأنبياء والرسل حتى يعلّموا هذا الإنسان مالم يعلم، فعلموه القراءة والكتابة وأصول اللغة وقواعدها، ليرفع من مستواه، ويطوّر من أحواله، ويرفع من مستواه العلمي والمعرفي والحضاري في العالم كله، ولم يكن سبحانه ليرضى عن إعادته إلى مستوى الحيوانات مرة أخرى.

لكن، إذا فكرتم بالسلطان الذي اختار طريق الشيطان فإن من مصلحته عدم الإبقاء على تلك المزايا التي حسده عليها إبليس، وتذكرون قصة رفض سجوده له، تذكرون بنود الاتفاق بين إبليس وبين ربه بأنه سوف يعيد هذا الإنسان الذي شاء الله أن يكرّمه إلى مستوى أقل من مستوى الحيوانات الأخرى، ويجعلهم كلهم تابعين له، منفذين لأوامره ونصائحه، ومصلحة السلطان تلتقي مع مصلحة إبليس لأنه أيضاً يريد أن يعيدهم عبيداً له من غير حرية أبداً، لأنه لايستطيع أن يستبد ويصبح إلهاً على الأرض، معبوداً منهم، إن لم يفعل ذلك، فالسلطان الذي اختار أن يتبع أهواءه وشهواته، تحالف مع الشياطين كلها لتحقيق مآربه ومطالبه؛ هذه حقيقة، (كما قرأتم بأنفسكم) تُؤكّد أنَّ كلَّ شرع السلطان، الموجود عندنا من خلال الأحاديث يتناقض قطعاً مع نصوص القرآن الكريم. فالله والرسول الكريم شرعهما القرآن، والسلطان شرعه الأحاديث المفتراة، وعندما سار الرسول الكريم وأصحابه نصف قرن من الزمان، رأيتم النعم التي انهالت عليهم من رب العالمين نتيجة السير على سبيل الله وتطبيق منهج الرحمن الذي على الصراط المستقيم، وعندما قبلنا أن نعود قطيعاً من الغنم يسوق بنا شياطين السلطان ماذا حل بنا؟ انظروا

حولكم إلى العالم الإسلامي حتى تروا الصورة الحقيقية لما فعله دين السلطان بنا ومايزال يفعل بنا إلى اليوم! ولابديل عن العودة مرى أخرى إلى دين الرحمن من جديد، وإلا خسرنا الدنيا وخسرنا الآخرة معها أيضاً.

ويجب ألا يغيب عن فكرنا أن الكتاب الوحيد في العالم كله الذي لم تستطع أيدي الشياطين أن تمسه بالتحريف والتبديل ولن تستطيع هو القرآن الكريم لذلك بقي هو المصدر الوحيد الذي بقي للناس، وللراغبين منهم في معرفة الحقيقة الكاملة من الله تعالى مباشرة، من أجل إمكانية تصحيح الأخطاء كلها والعودة مرة أخرى إلى سبيل الله الصحيح.

وأنا لاأقول هذا الكلام بشكل عاطفي، متعاطفاً مع الدين الإسلامي لكوني مسلماً بل أقوله لأنه حقيقة، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد في العالم الذي جعل فيه الله تعالى إعجازات تبرهن ذاتياً على أنه كتاب فوق مستوى علم الإنسان وقدرته بكثير، فكل المعلومات العلمية التي بدأت تتكشف للعلماء في القرن العشرين لم تكن من مستوى معلومات البشر وقت إنزال الكتاب على الأرض أيام الرسول محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي، كما أن الإعجاز العددي الذي شرحته في كتابي الأول، فوق إمكانيات العقل البشري وفوق قدرته حتى يوم القيامة، فهذه إثباتات علمية بأن القرآن ليس كما ظن الكثيرون من قبل، بل إن فيه مايثبت لكلِّ عقل إنساني متفتح بالعلم أنه كتاب من السماء وليس من طاقة البشر إن يأتوا بمثله أبداً.

لكن في عصور الجهل والظلمات التي قاد إليها السلطان والشيطان مع الأسف الشديد فقد استطاع رجال الدين، الذين اختاروا الدنيا مع السلطان وتحالفوا معه، أن يحرفوا القرآن بأسلوب غير مباشر، بعد أن ربطوا تأويل آياته عن طريقماافتروه من أحاديث تفسر كل شيء بحسب منطقهم الجديد، ضاربين بمنطق القرآن ومصلحة المسلمين الحقيقية عرض الحائط، وقالوا للناس لابد للمسلم من رجل دين يشرح له دينه لأن رسالة القرآن لايمكن فهمها من قبل الناس مباشرة، فهي بحاجة إلى خبراء متخصصين، شريطة أن يكونوا من الثقات المشهود لهم وبالأخذ عنهم والسماع لرأيهم، وتلك الشهادة (شهادة السلطان وجنوده) لم تكن تمنح إلا للذين يتعهدون لهم بالسير بحسب المنهج الذي خططوا له، لإعادة كل الناس قطيعاً من جديد تحت عصا السلطان.

وبهذه العملية من الربط والتوثيق استطاعوا الحجر على كل القرآن الكريم وآياته لأكثر

من ألف وأربعمائة من السنين الطويلة، التي قضاها المسلمون تحت نير استعبادهم واستبدادهم وتضليلهم، مبقين المسلمين في ظلام الجهل والفقر، فأصبحوا كقطيع فعليّ، ولايعرفون لأنفسهم مخرجاً أو منفذاً.

أعود الآن بعد هذه المقدمة السريعة إلى فكرة القطيع والراعي بعد أن تأكدنا أنها فكرة مستوردة من كتب أهل الكتاب المحرفة.

وكما شرحت لكم في مناسبات عديدة، أن المفتاح السحري لفهم منطق الحديث بعد أن تأكدتم في هذا الكتاب أنها كلها موضوعة إلا ماندر وسقط سهواً من أيديهم، وكما تأكدتم أيضاً أن المحرفين لها كانوا هم جنود السلطان لخدمة مصالح مولاهم وولي نعمتهم، نعود لنبحث عن المصلحة والهدف والغاية التي يسعى إليها السلطان من وراء الحديث المفترى ليصبح قانوناً ودستوراً في نظام حكمه، لنشره ضمن أفراد (رعيته) (وهذه كلمة دبلوماسية لكنها تؤدي نفس معنى القطيع التي يسعون ويرجون لزرعه في عقول المسلمين جميعاً)(*).

في الحديث الذي نبحثه الآن الغاية واضحة والمصلحة ظاهرة للعيان:

السلطان يريد من شعبه طاعة عمياء كطاعة أي قطيع للراعي، حتى يستطيع أن يسوق بهم إلى حيث يشاء السلطان وليس إلى حيث يشاء الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.. ولا إلى حيث يشاء القطيع حتماً لأنه ليس لأي قطيعٍ أو رعية في العالم رأي في نفسه أو في ذاته، وإلاّ ماسمِّيَ قطيعاً أو رعية أصلاً.

الرأي فقط، دائماً وأبداً، للراعي صاحب الرعية، وهي دائماً وأبداً مسلوبة الإرادة والاختيار، ولاتستطيع أن تختار المرعى او نوع الزرع أو حتى الزمان، فقط عليها أن تنفذ ماتؤمر به، إنكم لن تشاهدوا راعياً يجلس مع رعيته للتشاور حتى وإن كان فعلاً في أمور تخص شؤون الرعية الذاتية، بل الراعي هو الذي يقرر ذلك دائماً بالوكالة عن رعيته.

(*) (انتبه رجال الدين المسيحي أيضاً لكلمة القطيع وأنها قاسية على الناس فصاروا يعدلون كلمة القطيع بكلمة الرعية في الطبعات الحديثة. ففي الكتاب المقدس الذي تم جمعه وطبعه في مصر الجديدة القاهرة في G. C. Center يقول: فيكون هناك قطيع واحد وراعٍ واحد (يوحنا ١٠ - ١٦).

بينما نجد في النسخة التي تصدرها دار الكتاب المقدس في العالم العربي Arabic Bible 9000-1982 تقول: (وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد) (يوحنا ١٠ - ١٦).

إذاً لابد أن نفهم أن الفكرة والهدف من اللحظة الأولى والغاية هي إعطاء السلطة الإلهية للراعي بالتصرف كما يشاء سواء كان هذا الراعي هو السلطان الأكبر أو من الرعاة الصغار الذين يقعون تحت سلطة الراعي الكبير، أو كان مثلاً حاكماً لمدينة أو مديراً لمدرسة، أو مديراً لجامعة، أو مديراً لمستشفى أو مديراً لشركة، أو حتى رباًلأسرة، الكل منهم نفس السلطة المركزية الاستبدادية، سلطة الراعي، وكل مايقع تحت سلطتهم: رعية لا رأي لهم أصلاً.

وسلطة كل هؤلاء مقدسة، ولا يطلب منهم أبداً أن يستشيروا أحداً من الرعية، لأننا لو كنا نريد أن نستشيرهم أصلاً لما اخترنا تسمية الراعي والرعية، بل أخترنا اسماً آخر غير هذا الاسم، وهكذا وجدنا من جديد أن الاستشارة والتشاور غير موجودة في قاموس وعقلية الراعي والرعاة أصلاً، فلا أحد إذاً يتوقع من السلطان أن يجلس ويستشير شعبه أو أمته ولايُتوقع ذلك أيضاً من حاكم المدينة يجلس مع سكان مدينته للتشاور، ولا من مدير المدرسة يتشاور مع طلابه أو مدير المستشفي مع أطبائه وموظفيه ومرضاه أو مدير الشركة مع موظفيه وعماله ولا حتى رب الأسرة مع أفراد أسرته، إذا كان كل المذكورين أعلاه يعيشون تحت ظل نظام سلطاني واحد.

الكل، من مبدأ الاستبداد بالرأي، مع عدم التوقع للاستشارة أو التشاور وهما الفكرتان الموجودتان فقط في القرآن الكريم لتكونا قاعدة للديموقراطية الإسلامية، فذلك كان من أول الأهداف التي سعى السلطان إلى نسخها ونسفها من الدين وأبعادها وإخفائها حتى عن الجن والعفاريت، وصار مجرد القول به كفراً وتعدياً على حقوق السلطان الإلهية.

والحديث السابق مهما كان قوياً لابد من أحاديث أخرى مساندة ومساعدة لتثبيت القاعدة الأساسية في عقلية المسلم، وهي عقلية الراعي والقطيع.

فوضع جنود السلطان تلك الأحاديث المساندة مثل:

الحديث رقم (١٨٣٦) من صحيح مسلم:عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك، ومَنْشطك ومَكْرهك (أي بمعنى فيما تحب وفيما تكره) وأَثْرةٍ عليك (الأثرة هي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم. أي اسمعوا وأطيعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم)، وهذا ليس بشرح تبرعت به من عندي وإنما شرح الإمام النووي على حاشية صحيح مسلم!

حاولوا أن تبحثوا عن حقوق الرعية في الحديث السابق؟

بساطة تامة لاوجود لها، لأن السلطان عندما طلب تأليف مثل هذا الحديث لم يكن يفكر بالرعية بأكثر من قطيع من الأغنام، ففي عقله أن الحق الوحيد للغنم بأن تعلف حتى تسمن، ثم تساق إلى المذبح، والمذبح كان هو الجهاد في رأي السلطان. وحتى إذا عدنا للحديث الأول الأساسي رقم (١٨٢٩) وقرأناه من جديد وانتبهنا للكلمات بدقة أكبر لوجدناه يؤكد على التسلط، مثلاً:

الأمير الذي على الناس راع، أو الرجل راع على أهل بيته، واضع الحديث يستخدم حرف الجر (على) ليصور الفوقية والتسلط على الذي تحته، والفوقية والتحتية والتسلط والسيطرة واضحة تماماً من نص الحديث، لأنه لو استخدم حرف الجر (في) تشمل الراعي مع الرعية على مستوى مكانيّ وتقديري واحد، مع بقاء وجود الفرق الأساسي، وهو كون الراعي المفكر الوحيد، بينما الرعية (القطيع) مسلوبة الإرادة والتفكير، وحتى هذه لم يشأ السلطان أن يتنازل عنها، يريدها أن تكون تسلطاً، واستبداداً، في الظاهر الباطن معاً، ومع كل أسف فقد حصل على مايشاء ولمدة لايمكن تصورها حتى بالخيال. والمضحك المبكي في القصة كلها أن الرعية لازالت ترفض استبدال ما استخدمه السلطان من أحاديث وأساليب للتسلط عليه وتعذيبه بها، فقد عشقت الرعية الاستبداد كأسلوب، ولاتريد بديلاً عنه أبداً، رغم زوال السلطان بنفسه منذ زمن بعيد.

بعض الآيات القرآنية التي تناقض النص السابق، للحديث:

﴿ولقد كَرَمنا بني آدم﴾ ٧٠ - الإسراء.

لنقرأما قاله إبليس حسداً وتحدياً لبني آدم:

﴿قال أَرَأيتَكَ هذا الذي كرّمتَ عليَّ لئن أخّرتنِ إلى يوم القيامة لأحتَنِكَنَّ ذريّتَه إلا قليلاً﴾ ٦٢ - الإسراء.

ولا يكرّم الإنسان إلا من ربه الكريم:

﴿ومن يُهِن الله فما له من مُكرِم﴾ ١٨ - الحج.

﴿وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خَلَقنا تفضيلاً﴾ ٧٠ - الإسراء.

ولطول عهد الإنسان المسلم بعقلية الاستبداد فقد ترسخت وتحجرت مع الزمن في عقله صورة الراعي والرعية، وأصبحت أسلوباً للتفكير متميزاً، فصار يمتاز به المسلم عن باقي شعوب العالم، وأديانها المختلفة، لدرجة صارت عقليته ترفض الأسلوب الديموقراطي،

ولاتعرف أن تتماشى معه بارتياح وعفوية للاستفادة من ميزات الديموقراطية في العالم، كما تستفيد وتتماشى معه باقي الشعوب من أمم الأرض، وأفضل من يعرف كيف يطوع النظام الديمقراطي لمصلحته بالعقل والعلم والحساب هم اليهود في الولايات المتحدة، والأسوأ على الإطلاق في الانسجام مع روح الديموقراطية هي الأقليات المسلمة على اختلاف قومياتها وأجناسها العرقية والقومية، فيتصرف المسلم مع الأسف دائماً وكأنه يرفض إلا أن يكون ضمن الرعية التي لايتوقع فيها أحد أن تفكر عن نفسها بنفسها، بل هناك دائماً مسؤول يفكر عنها ويقرر لها ماينا سبها، وكأن المسلم في لاشعوره يبحث عمن يستبد به لدرجة صرت معها أتخيل أن المسلمين لو أتاهم عهد ديموقراطي ورؤساء ديموقراطيون لسعى الشعب بما يفرزه من المنافقين بسرعة إلى تحويل الرؤساء بالتدريج إلى عقلية الاستبداد، وتحويل العهد كله إلى عهد استبدادي من جديد، لذلك لابد للمفكرين الذين عليهم معالجة المشكلة أن يلموا بهذه الحقائق، حتى تكون أساليب المعالجة عميقة دون الاكتفاء بالمعالجات السطحية التي لايكون لها حظ المعالجة من الجذور.

وحتى تتيقنوا من صحة هذه النظرية فما عليكم إلا أن تلقوا نظرة سريعة على خارطة الدول التي يعيش فيها المسلمون كأغلبية في العالم كله، ستفاجأون بأن النموذج واحد، وهو النموذج الاستبدادي وعدم وجود النظام الديموقراطي، وإن وجدتم في بعض الدول، التي سعت وأوجدته بالقوة حتى تقلد به الغرب، ترونها تعود بعد مدة ليست بالطويلة إلى النموذج الاستبدادي من جديد؛ وإعادة سريعة لتاريخ المنطقة الإسلامية ودولها ستثبت لكم هذه الحقيقة المرة؛ إذ لو أن الأمور كانت تسير بحسب قانون الصدفة والاحتمالات لكان العقل والمنطق يقولان بوجوب وجود خمسين بالمائة تقريباً من الدول ديموقراطية وخمسين بالمائة أيضاً استبدادية، لكن الإجماع على الاستبدادية يشير حتماً إلى وجود خلل غير طبيعي في أسلوب تكوين عقل المسلم وأسلوب تفكيره، ونحتاج لمعالجته من الأساس، وإلا لما تمكن المفكر من إيجاد الحل على الإطلاق، ولذلك وكما تلاحظون فإنني أدعو إلى تغييرات جذرية، ولا أدعو إلى علاجات سطحية أبداً، لأنها لن تنفع في شيء ولن تغير شيئاً، وانطلاقاً من هذه الحقيقة تشكلت قناعتي، بأن الذي يرفض الديموقراطية حالياً ليس الحكام وإنما الشعب بإغلبيته العظمى، وهذا لاينفي وجود أحزاب ديموقراطية تسعى إلى تثبيت العقلية الديموقراطية، ولكنهم مع الأسف الشديد لايزالون أقلية، فالعقلية العامة والسائدة حتى الأن هي التي تتقبل الاستبدادية،

كما أن هذا لن يتم إلا بتضافر جهود الشباب المثقف كله، بإزالة الأسباب، ومن ثم السعي من جديد لإعادة نشر أفكار القرآن الكريم: الشورى وديموقراطية الإسلام أصلاً، متخطين بذلك كل عيوب الديموقراطيات الحالية.

إن عقلية الراعي والرعية هي العقلية التي كانت سائدة في أغلب العصور السلطانية وخاصة في فترة الخلافة العثمانية.

فالسلطان كان هو الراعي الكبير معتبراً سكان امبراطوريته قطيعاً كبيراً ورث أمر خلافتها ورعايتها من الله تعالى الذي اختاره ليكون مسؤولاً عنهم بالوراثة. وكان يعتمد في إدارة ذلك القطيع الكبير على رعاة أصغر منه مكانة كان يسميهم الولاة، وهؤلاء أيضاً يستخدمون رعاة أصغر من الإقطاعيين الذين يسمّون بأمراء الإقطاع، كما كانت الأمور في أوروبا أيضاً قبل عصر النهضة، وكان هذا الإقطاعي سلطاناً صغيراً في منطقته وإقطاعيته، يتصرف بكل شيء تصرف المالك بملكه، ولايعدم كل هؤلاء من أن يجدوا بعض الناس من أدعياء الدين والعلم للقيام بمساعدتهم في تأنيس الناس وتدجينهم حتى لايثوروا على النظام، حيث يرددون عليهم أحاديث منسوبة للرسول الكريم، بأنه ولو أكل الأمير حقهم فعليهم الطاعة والصبر والشكوى لله وحده، وهناك في الآخرة سوف تصلهم كل حقوقهم. أما في الدنيا فلا حق لهم حتى بالاعتراض على الظلم والمقيم، لأنه شيء قدَّره الله عليهم وليس لهم إلا الصبرُ والصبرُ والصبرُ ومن ثم الصبر.

فلابد أن يدعو جميعاً للسلطان الأكبر ومن تبعهم من الولاة بإحسان إلى يوم الدين، ولابد من تجديد البيعة لهم في كل مناسبة من المناسبات، وإن قل رزق الناس وكثر رزق المسؤولين فالله وحده هو موزع الأرزاق، وقد شاءت حكمته أن يعطي الحكام ويمنع الشعب. وإن قال لهم ناصحٌ: لاتظلموا الناس ولا تأكلوا حقوق العباد قالوا:

﴿أَنُطعِمُ مَن لو يشاءُ اللّهُ أَطعَمَهُ إن أنتُم إلاّ في ضلال مُبين﴾ ٤٧ - يس.

فما على الناس سوى الدعاء والرجاء والصبر على الفقر والجهل والمرض، وأنَّ الله تعالى سوف يعوضهم في الآخرة بنعيم جنة عرضها السموات والأرض، وخطباء السلطان وظيفتهم إقناع الناس وتهدئة نفوسهم الجائعة والثائرة على الظلم بشكل مستمر.

فهل هناك ظلم أشد من ذلك على الإنسان عندما يمارسه متسلط متجبر باسم الله ظلماً

وعدواناً وهو يقول: إن رسول الله تعالى هو الذي ينصحكم بالأحاديث النبوية الشريفة التالية:

الحديث رقم (١٨٤٦) من صحيح مسلم: عن زيد الجعفي يسأل رسول الله ﷺ قائلاً: (يانبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟

فأعرض عنه الرسول، ثم (أعاد السائل) سأله، فأعرض عنه في الثانية، أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس. (حتى يكف عن السؤال) وقال (الرسول ﷺ أخيراً): «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ماحُمِّلُوا وعليكم ماحُمِّلتم».

وفي الحديث رقم (١٨٤٩) من صحيح مسلم: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«من رأى من أميره شيئاً يكرَهُهُ، فليَصبر. فإنه من فارَقَ الجماعةَ (القطيع) شبراً فماتَ ميتة جاهلية».

الحديث رقم (١٨٣٦) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكَ السمع والطاعة في عُسرِكَ ويُسركَ ومَنشَطكَ ومَكرهِكَ وأثَرَة عليكَ».

وهل يريد السلطان والولاة والأمراء خيراً أو بديلاً عن هذه القوانين والسنن الإلهية لتكون وحياً دائماً لايمكن تبديله لأنه من قول السماء؟

إنه افتراء صريح على الرسول أوّلاً وعلى الله تعالى، ولكن مع الأسف الشديد لقد عشق أغلب المسلمين تلك الأحاديث، ولايريدون بديلاً عنها أبداً، حتى ولو كانت آيات الله الحقيقية من القرآن الكريم التي تقول عكس هذا الكلام تماماً تنتظرهم ليقرأوها ويفهموها حتى يتوقفوا عن ظلم أنفسهم بقبول ظلم الناس والسكوت الدائم عليه. وإذا طبقوا أحكام الله سعدوا بها في الدنيا والآخرة معاً. ولكنهم لايرون كتاب الله أبداً ولا يريدونه بعد أن أجبروا على هَجرِهِ إلى غير رجعة.

أليس هذا دليلٌ واضحٌ على إشراك الأغلبية العظمى فغضب الله عليهم ولايريدهم أن يروا كتابهُ وآياته البينات وهم مشركون:

﴿أفرأَيتَم مَنْ اتَّخذَ إلههُ هواهُ وأَضَلَّهُ اللّهُ على عِلمٍ وخَتَمَ على سَمعِهِ وقَلبهِ وجَعلَ على بَصرِهِ غَشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكَّرون﴾ ٢٣ الجاثية.

صدق الله العظيم

٣ ـ الحديث الثالث:

وهو من أصعب الأحاديث على الاكتشاف، لأنه متخفٍ برداء حديث لايناقص القرآن، فهو حديث ذو حدين، يمكن فهمه على وجهين مختلفين تماماً، وغالباً ما استخدمه جنود السلطان على وجه الشر منه دون استخدامه لوجه الخير أبداً.

الحديث رقم (١٩٠٧) من صحيح مسلم: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرىء مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ماهاجر إليه».

الحديث بشكله الكامل الذي قرأناه في النص هو الحد الول للحديث وهو حد الخير منه، لكن جنود السلطان نشروه بين الناس بشكل مختصر، فصار الحد الثاني هو الشرّ للحديث هو الغالب دائماً: أقصد، بعد أن صار الحديث متداولاً كما يلي:

«إنما الأعمال بالنيات» ـ أو

«إنما الأعمال بالنيات ولكل امرى مانوى»

فصار معنى الحديث يؤدي إلى مبدأ (ماكيافيلي) الشهير في مبادىء السياسة العالمية. (الغاية تبرر الوسيلة)(*).

وعليه يمكن أن يكذب الإنسان على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول ﷺ تماماً كما فعل جنود السلطان من خلال ما تشاهدونه وتلمسونه من الأحاديث التي ثبت لكم بأنها تناقض القرآن الكريم وآياته، ومن غير المعقول أن يناقض الله سبحانه ذاته في آيات الرسالة التي في القرآن، لكن إذا سألنا هذا العالِم لماذا فعلت ذلك؟ في محاكمة علنية لوقف أمام المحكمة ليدافع عن نفسه ويقول: لقد كانت غايتي ونيتي خدمة الله والرسول والدين الإسلامي. ولقال لنا أيضاً: إنَّما الأعمال بالنيات، وأنا نيتي كانت سليمة ولم تكن عاطلة، كنت أكذب نعم ولكن لمصلحة الله والرسول، ولا أكذب عليهما لاسمح الله وغايتي وعظ المسلمين وخدمة الدين، خاصة بعد أن صار الحديث التالي بفضل

(*) وقد انتبه الإمام البخاري إلى هذا الموضوع، وأحب أن ينبهنا عليه (لجميع المسلمين طبعاً) حيث وضع الحديث نفسه في أول كتاب الحِيَلْ في صحيحه تحت رقم (٦٩٥٣).

جنود السلطان من الأحاديث الشائعة بين الناس بعد إجراء التعديل بإضافة كلمة عامداً متعمداً.

(من كذب علي عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

فصار كل واضعي الأحاديث عن الرسول ﷺ يقولون بكل بساطة.إننا كنا نكذب للرسول ولانكذب عليه، وإنما الأعمال بالنيات، فصار حديث (إنما الأعمال بالنيات) مع مساعدة حديث (التعمد في الكذب) يعملان بالتضامن والتكافل على السماح لمن يشاء بالكذب. والتأليف في الدين وعلى الله سبحانه وعلى الرسول، ثم بعد قول جنود السلطان بأن كل أحاديث الرسول هي وحي من الله، صار مصدر الحديث من عند الله سبحانه، وبالتالي صار الكذب على الله مباشرة، وليس على الرسول ﷺ فقط.

إن الأحاديث الثلاثة التي شرحتها في هذا البحث، تبيّن مدى قوة الهدم في الدين وفي العقيدة الصحيحة ووضع بدائل معاكسة لها، بحيث تناقضها تماماً بحرف اتجاه سفينة المسلمين إلى الاتجاه المعاكس عما كان مطلوباً الاتجاه إليه من قبل الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام، التي هي القرآن الكريم، مُبَلَّغاً للناس ليكون هو السبيل وهو الهديُ وهو السنَّة وهو أحسن الحديث وهو كلام الله، فاصرَّ السلطان وجنوده الذين اتبعوا أهواءهم إلا أن يجرّوا المسلمين للإشراك بالله من جديد بجعلِ كتاب آخر مع كتاب وهديٍ لمحمد ﷺ مع هدي الله وسنةٍ للرسول ﷺ مع سنة الله وحديثٍ للرسول مع حديث الله، وكلامٍ للرسول مع كلام الله، علماً بأن كل هذه الأمور غير مذكورة على الإطلاق في نصوص القرآن الكريم.

فغيروا الإسلام بإسلام جديد، ولم يستطع الذين استلموا دفة التوجيه من بعد الرسول وصحابته من الخلفاء الراشدين إلا أن يرجعوا بالمسلمين كما هو متوقع بعد تغيير الاتجاه طبعاً إلى نفس العقلية القبلية المشركة التي كانت قبل الإسلام مع تغيير واحد هو تغيير الاسم، مع بقاء ماحققه المسلمون الأوائل من انتصارات حقيقية على أرض الواقع، فازداد المسلمون حجماً وعدداً دون أن تكون تلك القوة شاملة لجميع نواحي الحياة، لأنهم تركوا كل شيء جميل كان الإسلام يدعو إليه، وعادوا إلى أفكار الجاهلية، فسحب الله منهم بالتدريج كل النِّعَمِ التي حازها الأولون بصدقهم وإيمانهم:

﴿ذلك بأنّ الله لم يكُ مُغيّراً نعمَةً أنّعَمَها على قومٍ حتّى يغيِّروا مابأنفُسهم﴾ ٥٣ ـ الأنفال.

صدق الله العظيم

الفصل الثلاثون

الخير والشر ـ الرحمن والشيطان

مقدمة ـ ارتباط الوثنية بالأوهام:

إذا عدنا إلى القاموس لنعرف معنى الكلمة الإنجليزية Idol لوجدناها تعني: وثن (الذي هو الإله الوهمي) ووجدناها تعني الطيف باعتبار الطيف وهماً وخيالاً. ووجدناها تعني المحبوب لدرجة العبادة وهذا يدخل في مجال الوهم كونه يخلع صفات غير حقيقية على المحبوب، ووجدناها تعني (الحب الأعمى)، أي المحب الذي لايعود له القدرة على تمييز عيوب المحبوب، لأنه قد توهم محبوبه فوق البشر، فأعطاه صفات إلهية أو ملائكية. واللغة العربية الواسعة بمفرداتها لاتستخدم الكلمة بمعاني مختلفة كما في الإنجليزية؛ بل تستخدم الكلمة لمعنى واحد مختار، فنقول (وَهم) عن وهم من الأوهام، ونقول (وثن) عن الإله الوهمي، ونقول (المعبود) عن الحبيب الذي استولى على العقل والمنطق، فصار المحب من بعده أعمى فلا يرى. فاللغة العربية أوسع مفرداتٍ كما نرى، وعربيّ الثقافة عندما يطلع على الثقافة الأوروبية، من خلال ترجمات أشخاص لم يدركوا هذه الحقائق يجدها عائقاً أمام فهم الثقافة أو الحضارة الأوروبية كلها.

وعلى سبيل المثال، الفيلسوف الانكليزي (فرانسيس بيكون) الذي عاش في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، كان له تأثيرٌ رئيسيّ على فلسفة العلوم بأفكاره المبكرة، فبيّن أن فكرة الوثنية أو الأوهام أو الإشراك أو الحب الأعمى، تدخل ضمن مفهوم الكلمة الإنكليزية Idols، بينما ترجمتنا لها بكلمة (وهم) وحدها لاتعطي كل أفكار الفيلسوف المحمولة على تلك الكلمة الانكليزية، لأن كلمة (وهم) وحدها لاتحمل بشكل مباشر باقي الأفكار التي ذكرتها سابقاً.

وقد كتب (بيكون) عن أوهام الإنسان هذه الناتجة عن الطبيعة البشرية قائلاً:

(إن ميل الإنسان الطبيعي للأوهام والأوثان والحب الذي يصل إلى التأليه يعود للعوامل التالية:

١ ـ أوهام القبيلة، ٢ ـ أوهام الكهف. ٣ ـ أوهام السوق. ٤ ـ أوهام المسرح).
ونترجمها بتصرف حتى لانقع في أخطاء الترجمة الحرفية فنقول:
١ ـ أوهام العادات والتقاليد. ٢ ـ أوهام العربي الناتجة عن حياة الخيمة، واللغة مع تطورها (أوهام الشعر)، ٣ ـ الأوهام الدارجة، ٤ ـ الأوهام الناتجة عن تأثير الفلسفات والأديان الخاطئة أو المحرفة.

ونحن المسلمين من نفس طينة البشر نتعرض لهذه التأثيرات؛ بل تعرضنا لها جميعاً كما تعرض لها غيرنا، ومعتقداتنا الإسلامية الحالية خليط من هذه الأوهام الأربعة، وارتكبنا أيضاً الأخطاء التي ارتكبت قبلنا من قبل جميع الأمم والقوميات السابقة، والتي كانت تتبع ديانات ورسالات أخرى، خاصة من الذين اتبعوا التوراة والإنجيل من الذين نسميهم أهل الكتاب. وهذه التأكيدات ليست مني بل من الله تعالى في القصص القرآني هم حرفوا الدين، ونحن فعلنا مثلهم إن لم يكن بشكل أشد.

هم لحقوا جنة الدنيا ونسوا جنة الله في الآخرة، وسلاطيننا فعلوا ذلك، بل أشد، ولفترة زمنية أطول.

هم ألَّهوا بعض الرسل وأشركوا بالله، ونحن رفعنا رسولنا الذي أحببناه حباً أعمى حتى صارت له صفات الإله، وميّزناه عن صفات البشر، إذاً الأخطاء تتكرر دون أن يتعلم الإنسان الدرس، لأنه لايطبق نصيحة الله، الأولى «إقرأ»، وفي القراءة حل لكل مشاكل الإنسان، القراءة المتبصرة للتعلم والاستفادة من خبرات التاريخ.

لكننا مع الأسف لانقرأ، بل تركنا القراءة بالجملة، فوقعنا في الأخطاء أيضاً بالجملة، فأشركنا بالله أشياء كثيرة مثل: كتاباً مع كتاب الله، وهدياً مع هدي الله، وسنة مع سنة الله، وكلاماً مع كلام الله، وحديثاً مع حديث الله، وشفاعة مع شفاعة الله، وعلماً بالغيب مع الله وبمعجزاته. والشيء الوحيد الذي نمتازُ به كمسلمين هو أننا عجزنا عن تحريف القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، في حين نجحوا في تحريف كل كتبهم؛ وهذا لم يكن بفضلنا أبداً، بل كان بفضل الله وقدرته وحدها الذي لاشريك له، ولهذا فنحن لانستطيع أن نعطي أنفسنا أية علامة أو درجة تمييز لأنفسنا عن أتباع أهل الكتاب أبداً.

الإنسان الذي يعود ليذَكِّر الناس بعبادة الله وحده والعودة إلى سبيل الله وحده، أو إلى كتاب الله وحده، يواجهه الناس دائماً بحسب الموقف التقليدي ويقولون له:
﴿قالوا أَجِئتَنَا لنعبُدَ الله وحدَهُ ونذرَ ماكانَ يعبُد آباؤُنا﴾ ٧٠ ـ الأعراف.

وهذه المشكلة دائمة، فالذي يدعو اليوم لدين التوحيد من جديد يقابله الآبائيون، الذين أحبوا حباً أعميَ، بلا عقل أو تفكير، ماكان عليه آباؤهم الأولون، وإن قلت لهم: إنكم تشركون مع الله رسولَهُ، لما صدقوك بل اتهموك بأنك كافر ومارق عن الدين وتحب تشويه الدين الصحيح، علماً أن كل ادعاءاتهم تنهار واحدة بعد أخرى لو نظروا إلى آيات الله في القرآن الكريم الذي لايحوي أوهاماً بل يحوي حقائق ناصعة فقط...

ولكن، ليس هناك حل إلاّ أن يعرف الإنسان الحقائق من جديد خاصة إذا كان هذا الإنسان يريد أن ينطلق ليبني من جديد، على قاعدة صحيحة، أبنية حقيقية موجودة على الأرض، يستخدم فيها مواد حقيقية من مواد الأرض وتربتها، وليست أبنية وهمية يشيدها الإنسان في الأوهام لتسكنها مخلوقات وهمية لاوجود لها في الواقع.

وأول الحقائق التي لابد للمسلم أن يعرفها منذ البدء هي حقيقة إشراكه مع آبائه الأولين، وأنه إن بقي على أفكار الإشراك هذه فلن يصل إلاّ إلى أوهام أكبر بالمقابل، لأنه انطلق من قاعدة وهمية لا أساس لها أصلاً إلا في صندوق أوهامه الذي لابد من تبديل مافيه من أفكار ومعتقدات وهمية، لاتستند لا إلى علم حقيقي ولا إلى تجارب حقيقية، ولا إلى خبرة حقيقية في الحياة، بل تعتمد كما ذكرنا على المصادر الأربعة الطبيعية للأوهام البشرية كلها، كما صنفها (بيكون).

الرحمن والشيطان

إن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، خلق مخلوقات في عالم كله مبني على الثنائية والتناقضية ومنح مخلوقاته تلك حرية الاختيار للخير أو للشر فتحول المخلوق الذي اختار الشر إلى شيطان فوظَّفه بإرادةٍ منه ليكون داعياً لحزب الشر والكفر في الأرض، كما جعل نفسه رمزاً للخير والحق والإيمان والعدل في الأرض، ومن يتبعه يكون من حزبه.

وكما رأينا هو الذي خلق الإنسان ومَنَحَهُ العقلَ والحرية مع الإرادة القادرة لتحويله إلى أحد الاتجاهين بمشيئة نابعة من ذات الإنسان ونفسه الحرة: فإن غَلَّب الأهواء والشهوات الآنية على منطق العقل؛ يكون قد اختار بحريته ومشيئته سبيل الشيطان، وإن غَلَّب منطق عقله في اختيار سبيل الحق والعدل في الأرض؛ يكون عندها قد اختار سبيل الرحمن. والله تعالى عندما خلق الملائكة لخدمته خلقهم دون تلك المشيئة. فهم

لايستطيعون أن يعصوا ربهم أبداً، لأنه لم يخلق فيهم الإرادة والقدرة على العصيان أصلاً، وكما لم يفتنهم أيضاً بالشهوات والشيطان. فهم باختصار مسيّرون دائماً لما خلقوا له وغير مخيرين أبداً.

لكن الإنسان كما رأينا يختلف موضوعه عن باقي مخلوقات الله كلها، بحرية الاختيار والمسؤولية الناتجة عنها فجعله سبحانه مخلوقاً متميزاً بدليل أنه أسجد له باقي مخلوقاته العاقلة كلها من الجن والملائكة، ومن البدهي أنه لم يشذّ أحد من الملائكة عن السجود، لأنهم كما علمنا لايملكون القدرة على العصيان والرفض، لكن الذي عصا كان من الجن وهم (إبليس وذريته) من مخلوقات الأرض الأخرى، التي فيها أيضاً القدرة والمشيئة لاختيار سبيل الخير أو سبيل الشرّ كالإنسان. والله تعالى قد خلق الجن من نار السّموم؛ لكن ماهو سبب تفضيل الله آدم حتى يطلب السجود له من الجن أيضاً؟ هذا سرّ مازال في غيب الله، مهما تكلمنا فيه لن يزيد كلامنا عن مستوى الظن والتخمين، الذي لايمكن أن يرقى إلى مستوى العلم أو اليقين.

والإنسان مع كل تلك الامتيازات التي خصه بها الله، بقي يعاني من عيب كبير؛ هو إمكانية اختياره الدائم للسبيل الذي فيه تعاسته في الدنيا مع التنكر الدائم لله، وهو الذي خلقه لهدف أسمى وأعلى من مجرد العيش والتمتع بالشهوات والغرائز الأرضية، ولاسبيل لتغطية ذلك العيب إلا من خلال المعرفة والإيمان والإدراك لحقيقة الله والخير الذي يدعوه إليه، حتى يختار بإرادته سبيل الله عن قناعة وإيمان وحب من بعد الوعي والإدراك العقلي بأن سعادته على الأرض وفي السماء بعد يوم القيامة مرتبط بحسن اختياره هذا، ثم الوصول بإيمانه إلى مرحلة من اليقين والاطمئنان بأنه اختار بميزان الله الصحيح الذي هو عقله ومنطقه وفكره سبيل السعادة الأبدية، الذي بيّنه الله لعباده في كل رسالات السماء بواسطة رسل من الأمم والشعوب نفسها، اختارهم سبحانه لهداية الناس إلى سبيله، لعلم الله السابق بأن الإنسان إذا تُرِكَ لطبعه وهواه قد يختار ماتميل إليه نفسه وهواه وطبعه لتحقيق الملذات الحسية والشهوات الأرضية، ولو كانت على حساب غيره، فالخير الطبيعي بالنسبة له هو في الأشياء التي تساعده على تحقيقها، كما أنه يرى الشرّ في كل عقبة تقف في وجه تحقيق تلك الرغبات من الأهواء والشهوات.

وكما تلاحظون فالحزب الذي يحتاج إلى دعوة فكرية وتوعية عقلية وتبصير هو حزب الرحمن الذي يدعو للخير والحب والسلام والحق والعدل في الأرض، وتخليص الإنسان من

الشرور، فنرى الله تعالى قد أرسل الرسل من بعد الرسل إلى كل أمم الأرض وشعوبها، إلى أن أرسل أخيراً خاتم الرسل محمد ﷺ برسالة القرآن، جاعلاً إعجازات الدين في ذات القرآن، ليكون برهاناً لأصحاب العقول في العالم حتى يعودوا به إلى سبيل الله من جديد.

والقرآن، كتاب فريد لامثيل له في كل العالم، فهو معجزة حية وحقيقية، ودعوة دائمة على الأرض للإنسان حتى يوم القيامة، يبين الله فيه كيف يستطيع الإنسان أن يميز به بين الهداية والرشاد وبين الباطل والضلال من أجل تخليص الإنسانية من الشرور عن طريق الإدراك العقلي لها، فيختار الإنسان سبيل الخير عن علم ومعرفة عقلية وبحرية مطلقة. لذلك قال له سبحانه بعد كل الشرح والتفصيل للرسالات:

﴿مَن شاء فليؤمِن ومَن شاء فليَكفُر﴾

﴿ولا إكراهَ في الدّين﴾

وهكذا يفهم الدين من فهم كتاب الله الذي هو (القرآن الكريم).

فالله سبحانه خالق الكون والبشر يعتبر كلا الحالتين، الكفر والإيمان، حالتين طبيعيتين، الأولى نتيجة للجهل والثانية تكون ثمرة العلم والإدراك لوسائل الله في الأرض. والله يعلم أن قسماً كبيراً من الناس سوف تميل نفوسهم الضعيفة نحو الأهواء والشهوات والشيطان، فيختارون الكفر بدل الإيمان، ويعلم أيضاً أن أقلية من الناس سوف تختار طريق العقل والحق والإيمان بعد فهم الرسالة حق الفهم، والله سبحانه يفتن حتى هذه الأقلية مرات ومرات بالشيطان، وشهوات الدنيا، ليعلم مَن منهم سوف يصمد ويصبر ويجاهد نفسه ويحافظ عليها بالبقاء على الإيمان والتقوى، ومن منهم سوف تضعف نفسه عند الشدائد ويرتد عن دينه وإيمانه:

﴿أَحَسِبَ الناسُ أن يُتركُوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون﴾ ٢ ـ العنكبوت.

ولذلك نجد الله تعالى يكرر الفتنة لعبده المؤمن ليختبر قوة إيمانه كل سنة مرةً أو مرتين:

﴿أولا يرونَ أنَّهم يفتَنُونَ في كلِّ عامٍ مرةً أو مرَّتين﴾ ١٢٦ ـ التوبة.

وكما قلت لكم من أجل أن يعلم الله من هم الصامدون الباقون على الإيمان:

﴿أَم حسِبتُم أَن تدخلوا الجنَّة ولمّا يعلَم الله الذينَ جاهدوا منكم ويعلَم الصّابرين﴾ ١٤٢ ـ آل عمران.

والله تعالى لن يصيبه من كل ذلك شيء أبداً، والمنفعة كلها للإنسان، كما أن المضرّة أيضاً، إن حصلت، فهي على الإنسان وحده..

﴿من كفرَ فعليهِ كُفرُهُ ومن عَمِلَ صالحاً فلأنفسِهم يمهدُون﴾ ٤٤ ـ الروم.

﴿ومن شكرَ فإنما يشكرُ لنفسِه ومن كفرَ فإنّ ربي غنيٌّ كريم﴾ ٤٠ - النمل.
والكافر يغترُّ بقوته وبماله وسلطته في الحياة الدنيا ويعلن كفره حتى للرسل المرسلين لهداية من رب العالمين:
﴿وقالوا إنّا كفرنا بِمَا أُرسِلتُم بِه﴾ ٩ - إبراهيم.
والكافر من هذا النوع يظن نفسه الأذكى والأفهم، ويسخر عادة من الذين آمنوا:
﴿زُيِّن للذينَ كفرُوا الحياةَ الدُّنيا، ويسخرُونَ منَ الذينَ آمنُوا﴾ ٢١٢ - البقرة.
وهؤلاء غالباً مايكونون من أتباع السلاطين وأوليائهم المخلصين:
﴿والذينَ كفَروا أولياؤُهم الطّاغُوت﴾ ٢٥٧ - البقرة.
وينطبق هذا أكثر ماينطبق على جنود السلطان الذين حرَّفوا دين الله بما اكتتبوه من أحاديث افتروها على الله والرسول، وهم يعلمون مايفعلون، فهم كلهم من الذين كفروا، وأولياؤهم الطاغوت، ومالطاغوت إلاّ السلطان، ولم يستطع أغلب الكافرين تصور إمكانية بعثهم مرةً أخرى من قبورهم إلى حياة ثانية أبداً:
﴿وقالَ الذينَ كفرُوا أئذا كُنّا تُراباً وآباؤُنا أئنّا لمُخرَجون﴾ ٦٧ - النمل.
وأما الذين آمنوا بربهم وعملوا الصالحات فقد وعدهم ربهم بالجنتين؛ جنة الدنيا مع نعيمها، وجنة أخرى وهي الأهم هي جنة الرضوان:
﴿ولِمَن خافَ مقامَ ربّهِ جَنَّتان﴾ ٤٦ - الرحمن.
﴿وأما من خافَ مقامَ ربّه ونهى النَّفس عن الهَوى. فإنّ الجنّة هي المأوى﴾ ٤١ - النازعات.
وحتى نعلم أن جنة الأرض ونعيمها لاتكون إلا للمؤمنين، لنقرأ الآية التالية:
﴿وقالوا الحمدُ لله الذي صَدقنا وعدَه، وأورَثَنا الأرضَ نتبوّأ من الجَنَّةِ حيث نشاء، فنِعمَ أجرَ العاملين﴾ ٧٤ - الزمر.
ولو كان الله تعالى يقصد جنة السماء لما قال:
﴿وأَورثنا الأرضَ نتبوّأ من الجنَّة حيث نشاء﴾
تكلمت حتى الآن عن حالتين هما: الكفر والإيمان، وهناك حالة ثالثة يرفضها الله تعالى ولايغفرها للإنسان أبداً، هي حالة الإشراك به؛ بكتابٍ أو سنةٍ أو شفاعةٍ أو علمِ غيب.

والمسلم الذي يختار كتاب الله وسيلة لهديه وبوصلة للإبحار في خضم أمواج الحياة وهو يوجه بها نفسه التي هي سفينته في الدنيا، فقد حّدد موقفه وموقعه من الإيمان بالله وحده لاشريك لهِ، ولن يضل في ذلك البحر طالما لم يتخذ مع تلك البوصلة بوصلات أخرى، ولم يُشرك بكتاب الله كتاباً آخر، ولا مع سُنَّة الله سنةً أخرى، ولا مع حديث الله حديثاً آخر، أما إن آمن بما وجدهُ في كتاب الشيخين الإمامين: البخاري ومسلم ولم يدرك أنهما كانا ينبّهانه على تناقُض تلك الأحاديث مع القرآن فقد وقع في الإشراك بالله، لأنَّ كل ماآمن به على أنه صحيح، ناقض الصحيح الذي عند الله في القرآن الكريم، وكل مافيهما أوهام وظلم وإنكار للحقوق الإنسانية والنفسِ البشرية من جميع الحريات، وتعيده من مخلوق إلهي ميّزه الله بالعقل وحرية الإرادة والتفكير؛ إلى مجرد فردٍ في القطيع لارأي له ولاحرية، كما حوَّل المرأة أيضاًمن مخلوق إلى شيء يستخدمه الرجل للمتعة عند اللزوم ولإنجاب الأولاد أيضاً عند اللزوم في وقت آخر، وهذا هو الإشراك الذي نُمارسهُ نحن المسلمين جميعاً على أنه دين الإسلام وشرعه، وأنا أعلم أنها حقيقة غير سارة لأحد، لكن إدراكها الآن أفضل بكثير من أن نعيش في وهم الاعتقاد بأننا مؤمنون وموحدون، ودليلي هو وضع المسلمين، فهل أوضاعنا في العالم اليوم تشير إلى نِعَمِ الله؟ أم تشير إلى نقمة الله الشديدة؟ ذلك لأن الله تعالى قال لنا في كتابه: ﴿ذلكَ بأنَّ الله لَم يكُ مُغَيِّراً نِعمةً أنعَمَها على قومٍ حتّى يغيِّروا مابأنفُسهم﴾ ٥٣ - الأنفال.

لقد كنا ننعم بنعمة الوحدة الإسلامية فأين الوحدة الإسلامية الآن؟

لقد كنا ننعم بنعمة القوة وهيبة الشعوب والأمم لجانبنا فأين تلك النعمة الآن؟

لقد كنا ننعم بنعمة العلم بعلوم الدنيا كلها فأين تلك النعمة الآن؟

وهكذا نستطيع أن نعدد نعماً كثيرة فقدناها، لماذا؟، هل لأننا بقينا موحدين الله؟ أم لأننا غيرنا ما بأنفسنا من توحيد إلى إشراك؟ والمصيبة من دون أن نعلم أننا أشركنا.

والإنسان المسلم الذي تعوَّد أن يؤمنَ بالأحاديث وبما يسمى اليوم بسُنَّة رسول الله ﷺ ليس من السهل عليه أن يُدرك أنه على خطأ، لإيمانه القوي بها، مع أن إيمانه كله مستند إلى وهمٍ كبير لايدعمه حق واحد من الله أبداً، ولا أحد يستطيع أن يخلصه من وهمه إلا نفسهُ إن شاءت واستخدمت العقل وسيلةً للكشف بين الوهم والحقيقة، مستخدماً معها كاشفاً آخر هو آيات القرآن. إن الله تعالى يدعوه للإيمان عن طريق العقل، بدليل أن الله حق ويدعو للحقائق، والحق والحقائق لايمكن إدراكهما إلا بالعقل، والحب

والعاطفة من الهوى، والأهواء من الشيطان، فالله لايريد من الإنسان أن يحبه إلا بعد أن يتأكد ويتحقق بعقله أولاً من كل الحقائق، وأنها من الله، ثم يبدأ بحب الله مستنداً لحقائقه ونوره وهديه وسننه وحديثه وعدله وإحسانه جميعاً.

بينما كل أحاديث السلطان تدعوه للإيمان بلا فكرٍ أو عقل بل بالحُب وحده، وقلت لكم سابقاً السرّ: لأن كل مافي تلك الأحاديث من أفكار لاتصمدُ أمام العقل بل تنهار، وجنود السلطان الذين يعرفون هذه الحقيقة يقولون دائماً للمؤمنين ليس بعقلك يمكن أن تعرف الله بل بقلبك، ومصدرنا في ذلك كما قلت مراراً هو من كتب أهل الكتاب المحرفة المحرم علينا الأخذ منها لثبوت تحريفها جميعاً (تَوكَّل على الربِّ بكل قلبكَ وعلى فَهمِكَ لاتَعتَمِد)(*).

وفي الأحاديث أيضاً يعتبر الحب أساس الإيمان:

الحديث رقم (١٤) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لايؤمنُ أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده»

لو كان هذا صحيحاً لأدخله الله في شروط الإيمان في القرآن الكريم:

﴿والمؤمنون من آمنَ بالله وملائكتهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ﴾ ٢٨٥ - البقرة.

ليس في هذ الإيمان حب؛ وإنما إيمان بالعقل...

والله تعالى عندما يقول (القلب) لايقصد به مقر العاطفة، بل يقصد به مقر العقل، بدليل الآيات التالية وهي كثيرة في القرآن الكريم:

﴿لهم قلوب لايفقَهون بها، ولهم أعين لايُبصرونَ بها﴾ ١٧٩ - الأعراف.

والقلوب التي تفقه هي العقول، والله لايتحدث عن القلوب التي تحب هنا:

﴿أفلَم يسيروا في الأرضِ فتكون لهم قلوبٌ يعقلونَ بها﴾ ٤٦ - الحج.

هل يتكلم الله هنا عن مركز العقل؟ أم عن مركز الحب والعاطفة؟

﴿وجعَلنا على قلوبِهم أَكِنَّةً أن يفقهوه وفي آذانِهم وقراً﴾ ٢٥ - الأنعام.

وهكذا نعلم من آيات الله أن الله يتكم عن العقل، ولايتحدث عن العاطفة والحب عند ذكر القلوب غالباً.. لكن الأحاديث كلها تركز على الحبّ والعاطفة في القلوب...

(*) التوراة - سفر الأمثال الإصحاح ٣ - الفقرة ٥.

الحديث زقم (١٧) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار وآيةُ النِّفاق بُغضُ الأنصار»

هل هذا وحي من السماء؟ وهل هذه آية من آيات الله؟وهل هذا شرط من شروط الإيمان في الإسلام؟

الحديث رقم (١٦) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال:

«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لايحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكرَهُ أن يُقْذَفَ في النار..».

الحديث رقم (١٥) من صحيح البخاري: عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لايُؤمِنُ أحدكُم حتى أكونَ أَحَبَّ إليه من والِدِه وولدِهِ والناسِ أجمعين».

وهكذا نجد أن إسلام دين السلطان يعتمد أساساً على الحب والكراهية، ولايعتمد على العقل أبداً، ويجعل دين السلطان القلب مركزاً للعواطف، بينما وجدناه في دين الرحمن مركزاً للعقلِ والتفكيرِ والفقه:

﴿ليس البرَّ أن تُوَلوا وجوهكُم قبلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البرَّ من آمنَ بالله واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيِّينَ وآتى المالَ على حبّه ذوي القُربى واليتامى والمساكينَ وابن السبيلِ والسائلينَ وفي الرِّقابِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ والموفونَ بعهدهِم إذا عاهدُوا والصابرينَ في البأساء والضَّراءِ وحينَ البأسِ أولئكَ الذينَ صدقُوا وأولئكَ همُ المتّقُون﴾ ١٧٧ ـ البقرة.

أين وجدتم في هذه الآية التي فيها كل شروط الإيمان والإسلام مكاناً للحب أوالكراهية؟ ببساطة: لايوجد، لأن الله يريد إيماناً بالحق الذي هو الله عن طريق العقل وليس بالقلب المتقلب مع الأهواء.

نعم إن جنود السلطان يريدون أن يحرفونا عن الحقّ بمثلِ ذلك الكلام المعسول، هذا هو الصحيح، والرسول الذي علمهُ كله من الله لو تحدَّث لتحدّث مثل حديث الله، ولكننا نجد ـ مع الأسف ـ أنَّ الأحاديث هذه التي افتراها الرواة تطابق مانجد في كتب أهل الكتابِ المحرّفة، ولاتُطابق ما في القرآن من آيات صحيحة أبداً.

(أَحبَّ الربَّ بكل قلبِكَ)

(أَحبَّ قريبكَ كنفسِكَ)(*).

(أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم).

من هنا مصدر أحاديثنا النبوية كلها وليس من القرآن.

﴿قالَ أَوَلَم تُؤمن، قال: بلى، ولكن ليَطمَئِن قلبي﴾ ٢٦٠ ـ البقرة.

وهذا عن لسان إبراهيم عليه السلام فجواب إبراهيم (ليطمئن قلبي) هل يريد مركز العقل في الإنسان أم يريد مركز الحب والحقد؟

أَلَم تطمئنَ قلوبُكم إلى الآن؟ إني أقول لكم الحق ولاشيء غير الحق!

لقد أشركنا مع كتاب الله كتاباً آخر، ومع هدي الله هدياً آخر، ومع سنَّة الله سنَّةً آخرى، ومع حديث الله حديثاً آخر، ومع شفاعةِ الله شفاعةً أخرى، وكذبنا على رسولنا الكريم وافترينا أكثر من مليون حديث هو بريء منها جميعاً، ثم عدنا وافترينا على الله تعالى بقولنا: إن كل الافتراءات السابقة هي كلها أيضاً وحي من السماء من عند الله تعالى مباشرة، وتركنا وَحْيَ الله الصحيح الذي فيه صراطه المستقيمة؛ كما تركنا سبيل الله وتفرقت بنا السبل والطوائف والشيع والأحزاب، فغضب الله علينا في الدنيا قبل الآخرة، وغيَّر أمورنا كلها من النعيم الذي ساد فترة ليستبدل به سبحانه جحيم الأرض بعد أن غيّرنا نحن أيضاً سبيلنا وطريقنا وعدنا مع كثرتنا كغثاء السيل لاننفَعُ لشيء.. وأُذَكِّرُ بالآية الكريمة مرة أخرى:

﴿ذلكَ بأنَّ الله لَم يكُ مُغَيِّراً نِعمةً أنعَمَها على قومٍ حتّى يغيِّروا ما بأنفُسهم﴾ ٥٣ ـ الأنفال.

وأنا لا أكتب هذا الكتاب حتى نجلس، نبكي وننوح، وإنما حتى ندرك واقع حالنا، وأنا لست سعيداً أن هذا الواقع مؤلمٌ وَمَريرٌ.

ولكن يجب أن ندرك هذا الأمر أولاً، حتى نفكر كيف نستعيد نِعَمَ الله من جديد. لأن ذلك بيدنا نحن، ودليلي أيضاً من القرآن: لقد ربطها سبحانه بنا وبحركتنا ومشيئتنا، والله تعالى لن يحرِّكَ ساكناً ولن يُغَيِّرَ نقمتَهُ أبداً حتى نبدأ بالحركة من جديد، بنبذِ كل مصادر الوهم بعيداًعنا والعودة للإيمان بالله وحده لاشريك له، ولكتابه القرآن الكتاب الوحيد الذي لاثاني له، وبرسوله محمد ﷺ، ونطيع الله والرسول في كل ماورد في

(*) إنجيل متى الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات ٣٧ ـ ٣٩.

القرآن الكريم، ونحن نعلم علم اليقين بأنه لاكتاب مع ذلك الكتاب من جديد، ولا حديث للرسول إلا حديث الله في القرآن، ولاسنَّة للرسول مع سنَّةِ الله، ولاشفاعة للرسول وإنما الشفاعةُ لله جميعاً، وأنَّ الرسولَ لايعلم غيبَ الله أبداً، وعلمُهُ ينتهي بما ورد في القرآن، ولاحق لنا بالإيمان بحرف واحد زيادة عما ورد في كتابنا، كأن نأتي به من كتب أهل الكتاب، كأن نقول مثلاً: إن حواء هي اسم أمنا الأولى، أو نقول: إن هاجر جارية سارة هي أمنا نحن المسلمين...

كل هذا الكلام من كتب أهل الكتاب، وليس لنا علاقة به أبداً، نؤمن أن الله أرسل لهم التوراة والإنجيل نعم، لأن ذلك مذكور في القرآن، أما أن نؤمن بأن الرسول كان يعلم مافي التوراة والإنجيل فهذا افتراء على الله والرسول، هاتوا برهانكم ـ من القرآن ـ إن كنتم صادقين! أين الآية التي تقول مثلاً إن الله تعالى قد قال: إنه علَّم الرسول محمد التوراة والإنجيل؟

نعم لقد قال ذلك ولكن عن رسول آخر هو عيسى بن مريم في القرآن:

﴿ويُعلِّمه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ * ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ ٤٧ ـ ٤٨ ـ آل عمران.

لكن الرسول كان أمياً لم يقرأ التوراة ولا الإنجيل من قبل عند أحد، والله تعالى لم يعلمه التوراة والإنجيل بدليل آيات القرآن.

وأحاديث البخاري ومسلم التي فيها ذكر لأهل الكتاب مصدرها ـ كما برهنت لكم بالنصوص ـ من كتب أهل الكتاب، إذاً لم يبق إلا أن نقرّ ونعترف أننا فعلاً قد افترينا كل تلك الآلاف من الأحاديث افتراءاً وظلماً وبهتاناً على الله والرسول معاً.

وما علينا الآن إلا العودة إلى قرآننا الذي حفظه لنا الله تعالى كاملاً بقدرته، وهو ينتظر منا فقط أن نعود إليه عن إيمان بأن الحق والحقيقة لايوجدان إلا فيه، لننفض عنه غبار ألف وأربعمائة من سنين الهجران، ونُزيل عنه أعشاش العناكب، لنقرأه كما يجب ونفهمَ آياته وكلماته، لنتدبَّرها ونطبِّقها في حياتنا كمنهج إلهي، ونكون عندها فقط قد عدنا إلى سبيل الله الصحيح.

﴿أَفَلا يتدبَّرُونَ القرآنَ أَم على قُلُوبٍ أَقفالُها﴾ ٢٤ ـ محمد.

وإذا كان على القلوب أقفال فيجب أن نزيلها بالعلم والمعرفة، فهي التي تفتح القلوب المغلقة، والله لايتكلم إلا عن عُقُولنا.

يجب أن نؤمن جميعاً أنه لاخلاص لنا ممّا نحن فيه اليومَ إلا بهذا الكتاب، فلا حل لنا سواه، ولاحلٍ لكل المسلمين إلا بالعودة للقرآن الكريم وحده الذي يحوي إسلامنا، عندها فقط نكونُ قد عدنا إلى رحاب الله من جديد، وننسى كل الأباطيل والأوهام التي أَضَلَّتنا لفترةٍ قياسية من الزمن.

أما إن بقينا نظنُّ أنَّ مفتاح القلوب موجود في الأوهام من الأحاديث المتناقضة والمناقضة لكتاب الله كما رأيتم، عندها سوف نبقى عبيداً، جاهزين لكل سلاطين الأرض، حتى يحرثوا الأرض بنا وعلى رقابنا النير الذي وضعناه بأيدينا، ونرفض رفضاًباتاً أن نُزيحهُ نُعادي من يحاول أن يزيحهُ عنا أيضاً لأننا قد عشقنا النير وعشقت جلود ظهورنا سياط الجلادين!!

ونترك كتاب الله ليتلى على الأموات في المقابر، ولا نقبل أن نتلوه أو نقرأ فيه مخطط التحرير لرقابنا جميعاً، ليس لشيء إلا لأنا قد أعطينا الشياطين عهداً أن لانفتحه ولانلمسه بأيدينا أبداً.

لامفر لنا ولاحلَّ لكل مصائبنا إلا أن نقرَّ ونعترف بكل أخطائنا التي ارتكبناها منذ أربعة عشر قرناً، لأننا إن لم نعترف أولاً بأنها أخطاء لن نستطيع أن ندرك الصحيح من بعدها، بل نلحق أوهاماً أكبر وأخطر، لكنا إن اعترفنا بأخطائنا سهُلَ علينا تجنُّبها وصعُب على الشياطين أيضاً إعادتنا إليها من جديد، لأن الشيطان عدوّ دائم لن يترك الأرض أبداً إلى يوم القيامة، وهو موجود لفتنة وإضلال كل النفوس الضعيفة والعقول الجاهلة التي رفضت التسلح بالعلم.

﴿إنَّ الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مُبينٌ﴾ ٥ - يوسف.

ويجب أن نخاف أكثر مانخاف من الشيطان الذي يسكن فينا في النفس الأمارة بالسوء، وهي أخطر الشياطين على كل إنسان.. ثم نخاف من شياطين الإنس ممَّن حولنا، من الذين يدَّعون حبَّنا وصداقتنا يجب أن نتحرَّص منهم جميعاً، فإن كانوا يدعونا إلى أعمال يقبل بها العقل والمنطق وفيها لنا وللناس خير اتبعناهم، وإن كانوا يدعوننا إلى أعمال تميل لها نفوسنا لأنها من الأهواء والشهوات ونعلم أن فيها مايغضب الله تركناهم وقاطعناهم.

يجب علينا أن نتسلح بالقرآن من جديد ونقرأه، لا لنختمه بل لنتدبَّر آياته تطبيقاً، أو نتفهمها لتعود فاعلة في نفوسنا، نطبّقها دستوراً في حياتنا، وموجهاً لأخلاقنا وتصرفاتنا

وعلاقاتنا، وفهماً لعلاقة العبد بربّه.

وأن نعود لنتسلح بالقلم، ومن بعد القلم بالعلم والعلوم الحقيقية كلها، وأن ننسى كل الأوهام التي سمعناها من التوراة والإنجيل والتلمود. لأننا عشنا أربعة عشر قرناً ونحن نطبق محرفات أهل الكتاب، ونظن أننا نطبق الإسلام لمجرد أننا كنا نقول بلساننا (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فلو كان في كل تلك الأوهام خيرٌ لأفاد منها أصحابها الذين هجروها وأصبحوا من العلمانيين كما تعلمون، فقد تركت أوروبا الدين كعقيدةٍ فاعلة بعد القرون الوسطى وإلى اليوم، لأنهم اكتشفوا قبلنا أنها أوهام ولاعلم فيها، فالذين بنوا حضارة الغرب هم الذين كفروا بكل معتقداتنا الحالية وعندما أقول الحالية أقصد أن إيماننا ينحصر فعلاً بما في كتبهم وليس في كل معتقداتنا الحالية من القرآن شيء، وقد برهنت لكم في هذا الكتاب صحة هذا الكلام بالدليل وليس بمجرد الكلام كما تعلمون.

إذاًيجب أن نؤمن أن وضعنا، نحن المسلمين، يختلف عن وضعهم، فهم عندما اكتشفوا أن كل ماعندهم من دين وأفكار دينية تتناقض مع العلم الصحيح أدركوا أنهم يؤمنون بالأوهام، فطرحوها لعدم وجود كتاب آخر لديهم فيه الحقيقة الضائعة كاملة، كما عندنا نحن المسلمين، هم طرحوا كتب الوهم ولحقوا العلم، ونحن مازلنا نلحق أوهامهم التي غرسوها في عقولنا تاركين كتاب أم العلوم كلها مهجوراً وقد تراكمت عليه غبار الأيام وعششت عليه العناكب، وهذا من أشد أنواع الظلم للذات، هناك دعوات وصيحات جديدة في العالم الإسلامي للعودة إلى الصحيح، وأقول للجميع، ودليلي كتاب الله، إن كل من يدعوكم منهم إلى أوهام جديدة لايدعوكم إلى خير أبداً، من يقول لكم: إن الإيمان مركزه القلب وهو يقصد بالقلب مركز العاطفة من حبٍّ وكراهية وبغض وحسد وغيره؛ لايدعوكم إلى خير ولا يبحث عن خير الأمة أبداً، وكل من يدعوكم إلى الإيمان بالقلب وهو يقصد بالقلب مركز العقل والتفكير كما هو في القرآن الكريم، ويدعوكم إلى نبذ الأوهام كلها، فهو صادق ويحبّ خيركم في الدنيا والآخرة، وكل من يقول لكم إن الشك هو مفتاح اليقين يعطيكم المفتاح الصحيح، ومن يقول لكم لاتناقشوا بل أحبوا وآمنوا بكل مانقول لكم لأننا نحن وكلاء الله في الأرض، ونحن الذين مُنحنا الذكاء والفهم والخبرة، وأنتم خلقتم أقل منا، ولن تستطيعوا أن تفهموا كلام الله دون شرحنا، هؤلاء هم الشياطين مهما تظاهروا أنهم من الأولياء والمتقين.

كل من يقول لكم إنَّ في الإسلام وفي الدعوة الصحيحة إليه عنفاً ودماً وقتلاً واغتيالاً وإرهاباً يدلكم على طريق الشيطان لزرع الفتنة والبغضاء والتفرقة والانقسام فيما بينكم، وكل من يقول لكم نسالم من يسالمنا ونقاتل من يقاتلنا يدلكم على المبدأ السليم مبدأ الإسلام في التعامل. إن الإسلام دين سلام ومحبة لكل العالمين، ليس ديناً خاصاً لشعب أو أمة كما يدعي بنو إسرائيل، ليس عندَ الله شعب مختار إلا إذا كان مؤمناً به منفذاً لتعاليمه ومبادئه.

إن الثورة الإسلامية المطلوبة منّا جميعاً ليست ثورة عنف ودم؛ إنما ثورة عقل ومنطق، ويجب أن نفهم أولاً ماهية هذه الثورة ونبدأ بأنفسنا ثم بأولادنا وبناتنا (المجتمع الصغير) دون قمع أو إرهاب، فثورتنا تحتاج إلى وعي وعلم، وعي بثقل المسؤولية وعظمة المهمة، وتنتظر منّا حركة علمية واعية ومدروسة نحو الاتجاهات الصحيحة المحددة من قبل أصحاب الفكر والرأي والعلم الحقيقي من علماء المسلمين الحقيقيين، من مهندسين وعلماء فيزياء وكيمياء وطبقات الأرض وفلك وطب ورياضيات، مع تفقههم في أمور دينهم (أم العلوم) القرآن الكريم، مؤمنين بأنه كتاب للجميع، سهل الفهم؛ وليس علماء السحر والوهم والباطل والظنون، فدين الإسلام دين يسر وليس دين عسر، وفهمه ممكن وفي وقت قصير خاصة للمسلم العادي.

أما أن نتوهم أن مابين أيدينا من نصوص هو الإسلام الصحيح الذي يمكن أن يعيدنا إلى الطريق القويم، أو أن نتوهم أن الثورة لاتكون إلا بالعنف والقتل والإرهاب، وحمل الناس على الاقتناع بقهر السلاح دون فهم آيات القرآن وأفكاره الداعية إلى الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، فإننا نكون على سبل الشيطان، مهما صلّينا أو صمنا، وأعلنا إسلامنا، وعندها لن يقبل منا الله عز وجلَّ إسلاماً يعارض ويناقض القرآن الذي أنزل على رسوله، وموجود بين أيدينا مع أننا لانفتحه ولا نقرأه.

إذاً: لابد وأن نتفق، ونُعمِل العقل والفكر، ونؤمن أن كل ثورة تسبقها أفكار وطروحات ـ كما حصل في بداية الإسلام في مكة ـ فالدعوة كانت سلمية وفكرية، وصراعاً فكرياً بين أتباع الله وأتباع الشيطان، هذا ماكان في الماضي، ومايجب أن يكون الآن وفي المستقبل. وماعدا ذلك يثبت أننا لم نفهم آيات القرآن الكريم. خاصة إذا علمنا أن الإذن بالقتال من الله عز وجل إلى الرسول الكريم مشروح في الآية الكريمة:

﴿فقاتل في سبيلِ الله ولاتُكلّف إلاّ نفسكَ وحَرِّض المؤمنينَ عسى أن يكفَّ بأسَ الذين

كفروا والله أَشدُ بأساً وأَشدُّ تنكيلا﴾ ٨٤ ـ النساء.

ففي هذه الآية ربط حالة وصفة القتال بشخص الرسول بالذات، وحددها بقوله: ﴿ولاتكّلف إلاّ نفسك﴾

أي إن الله تعالى لم يكلف بهذا النوع من القتال المؤمنين بل كلّف بها نفس الرسول بالذات، علماً أن الله تعالى يعلم أن شخص الرسول لم يشترك بالقتل مباشرة بل اشترك فيها كقائد يتحمل مسؤولية القتل والقتال كلها تحت إشراف الله المباشر عن طريق الوحي.

وعندما طلب الله تعالى منه تحريض المسلمين على القتال. استبعد سبحانه كلمة القتال عن المؤمنين، ولم يذكرها مقرونة بهم، حتى لايأتي شيطان وله مصلحة في التحريف ويقول للناس: بل إن المؤمنين أيضاً قد طلب منهم الله القتال، بدليل أنه قال مثلاً ﴿وحرض المؤمنين على القتال﴾.

حتى هذه حسب حسابها رب العالمين فاكتفى بالقول ﴿وحرض المؤمنين﴾ دون أن يذكر كلمة القتال معهم. وهكذا نكتشف من دراسة هذا النص المقدس أن هذا النوع من الدعوة للإسلام كان فقط لحالة خاصة ذكرها ربّ العالمين في النص نفسه قائلاً: ﴿عسى الله أن يكفَّ بأسَ الذين كَفَروا﴾

لأن الله تعالى كان يريد قبل انقطاع الوحي عن الأرض بوفاة الرسول الكريم أن يكون للإسلام قاعدة قوية على الأرض ليس من السهل معها على الكفار تدميرها من جديد، بل يكون المسلمين قادرين معها على الدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم الجديدة، وهذا ماحصل فعلاً عندما أراد الروم والفرس معاً القضاء عليهم فكان النصر بإذن الله للمسلمين، وكل حروب عمر بن الخطاب كانت حروباً دفاعية ولم تكن حروباً لنشر الدعوة الإسلامية، كما شاء كل السلاطين أن يُفهموا الناس جميعاً، من خلال ماسجلوه لنا من تاريخ كتبوه بأيديهم وهم يعلمون أنهم يحرِّفون الحقيقة لمآرب في نفوسهم، شرحتها في هذا الكتاب في بحث الجهاد، ولأهمية الموضوع وحساسيته أعيد ماقلته وأكرره بأسلوب آخر، أرجو أن لايفهمني أحد خطأً، ويظن لأي سبب من الأسباب أنني أدعو إلى إسلامين: إسلام بلا عنف في بداية الدعوة، ومن ثم إلى إسلام آخر يتحول للعنف والإرهاب بعد أن يقوى المسلمون اتباعاً لسنة الرسول ﷺ، كما يدعي بعض الدعاة الذين لم يفهموا القرآن.

أولاً: يجب أن ننسى كل شيء سمعناه عن أي موضوع اسمه سنة للرسول ﷺ. فالسنة والسنن كلها لله وحده فقط، ولا سنَّة في الإسلام كله إلا لله تعالى.

ثانياً: يجب أن نعلم أن ماحصل في صدر الإسلام كان بإذن خاص من الله تعالى، بموجب الآية السابقة التي شرحتها قبل قليل، ثم نزلت آيات أخرى تنسي تلك الآيات وأمثالها من القرآن الكريم في حجة الوداع، حسب ماورد في تاريخ السيرة للرسول الكريم.

﴿اليوم أكملتُ لكم دينَكُم وأتْمَمتُ عليكُم نعمَتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾ ٣ - المائدة.

ثم نزلت آية الإنساء الأولى:

﴿لا إكراه في الدينِ قد تبيَّنَ الرُّشدُ من الغيِّ﴾ ٢٥٦ - البقرة.

بعد نزول الآية السابقة لايجوز وإلى يوم الدين أن نرفع السلاح في وجه أي إنسان في العالم ونقول له: أَسلِم تَسلَم، هذه انتهى وقتها وزمانها ومن بعد تلك اللحظة وإلى يوم القيامة لاتتم الدعوة للإسلام إلا بالسبيل الذي وضحه الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمَةِ والموعظَةِ الحَسَنةِ﴾ ١٢٥ - النحل.

وقد شرحت مراراً أن الحرب التي سمح الله تعالى بها في حياة الرسول وأنهاها قبل وفاته لم يكن مقصدها نشر الدعوة ونشر الإسلام بين الناس؛ بل كانت غايتها القضاء على كل الحركات المناوئة للإسلام، كحركات سياسية، أما إيمان الأفراد وكفرهم فهذا موضوع شخصي، رب العالمين هو أول العارفين أن من تقول له أسلم تسلم والسيف فوق رأسه) وإن قال (أشهد أن لا إله إلا الله) ليس قوله دليل على الإيمان، ولكنه دليلٌ كاف على أنه لن يعود لرفع السيف مرة أخرى في تجمع سياسي مناهض للإسلام، وهذا كان هو المطلوب تحقيقه للرسول في الجزيرة العربية.

لأن الله تعالى كان يعلم أن هناك حروباً كبيرة قادمة على المسلمين خاصة من القوى الأساسية خارج الجزيرة، من الذين كانوا يستهينون بالعرب جميعاً ولا يحسبون لهم أي حساب على الإطلاق، وهذا هو الذي صبرهم كل تلك الفترة، لأنه كان يصعب عليهم التصديق أنه خرج من مكة ومن المدينة قوة تهِّددُ امبراطوريتي الفرس والروم، حتى أن امبراطور الفرس عندما سمع بذلك كان رد فعله الأول أنه أرسل رسالة إلى عامله في اليمن لإرسال كتيبة للقضاء على القوة المزعومة. ولم يفكر هو شخصياً أن

يرسل أحداً من قواته الأساسية، لأن الموضوع بحسب رأيه لايستوجب كل ذلك الاهتمام، وإذا قال له أحد الناس إن أحد جنود تلك القوة سوف يلبس سواريه بعد أن يقضي على عرشه كله لاعتبره مجنوناً مختل القوى العقلية.

ومن أجل تحضير قوات المسلمين لتلك المهمة الكبيرة كان سبحانه يريد أن تكون الجزيرة العربية خالية من أي حركات معارضة سياسياً للإسلام، سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين، لأن المسلمين لن يستطيعوا التوجه للقتال خارج الجزيرة ويعلمون أن لهم أعداء داخلها. وهذا هو سرّ تكليف الرسول بتلك المهمة الخاصة من قبل الله تعالى والتي أنهاها ربّ العالمين قبل وفاة الرسول الكريم بالآيات التي قرأناها مع هذا الموضوع.

ثم نزلت خاتمة آيات الإنساء مُنهيةً عهد العنف في الدعوة إلى غير رجعة أبداً: بالآية الكريمة:

﴿وقُل الحقُّ من ربِّكُم فمَن شَاء فليُؤمن ومن شاء فليَكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وهكذا نهى الله سبحانه عَهْدَ نشر الدعوة بالعنف على الأرض بشكل نهائي، لكي تعود آيات الجهاد هي الفاعلة في نفوس المسلمين إلى يوم الدين، لأنها آيات دائمة ولاعنفَ فيها أبداً. وقد بينت ذلك كله مع أسباب التحريف والافتراء، مبيناً مصلحة السلطان في قلب الجهاد الإسلامي إلى دعوة بالسلاح والسيف في الإسلام من جديد، حتى تحولت كلمة المسلم والإسلام وصار مفهومهما مرتبطاً بمعنى الحرب والعنف في العالم كله، بدل أن تكون كلمة مرادفة للسلم والسلام كما شاء لها الله أولاً، وذلك كله بسبب السلاطين الذين حرفوا الدين من أجل مصالحهم، مبدّلين أوامر الله لنشر الدعوة بالجهاد السلمي من غير عنف على الإطلاق، بل بالجهد والجهاد السلمي، بالصبر والمصابرة والمتابعة على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة التي أمر بها الله تعالى في كتابه الحكيم. والدليل أن كل الذين أُدخلوا إلى الإسلام بالسيف في عهود السلاطين ارتدوا عن الدين، والتاريخ يعلمكم عنهم، فهذه إسبانيا واليونان وكل أوروبا الشرقية رفضت إسلام العنف والسيف، أما إذا أغمضنا أعيننا وكابرنا عن الحقيقة وقلنا بل نشرنا الإسلام في العالم كله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ نكون عندها من الذين لايريدون الاعتراف بالحقيقة، لأننا لانريد أن نتعلم من أخطاء الماضي، والحقيقة المرّة أنَّ السلاطين جعلوها دعوة عنف وقتال وسيف ودماء، ولم تنجح أساليبهم كلها، والدليل أن كل البلاد التي سعى السلاطين لنشر الإسلام فيها بالسيف تظاهرت بالإسلام، ومع مرور الزمن وعودة

القوة لتلك الأمم مع ضعف دولة السلاطين عادوا وارتدوا عن الإسلام من جديد، مع الاحتفاظ بالحقد والكراهية للإسلام والمسلمين كما حصل في إسبانيا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا وبلاد البلقان.

وهذا دليل عملي وتاريخي على أن الدين لايمكن نشره بالعنف أبداً. والله تعالى أول العالمين بتلك الحقيقة، ومن أجل هذا ركّز على الدعوة قائلاً:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحِكمَةِ والموعِظَةِ الحَسَنَة﴾ ١٢٥ - النحل.

وإذا كنا ندعو إلى سبيل الله فعلينا أن ندعو إلى حرية الفكر بقبول الحزبين، حزب الرحمن وحزب الشيطان، والصراع بين الخير والشر يجب أن يستمر على الأرض، وانتصار حزب الخير ليس معناه قتل الشيطان وتحول الناس إلى ملائكة على الأرض، هذا لم يحصل سابقاً ولن يحصل في أي يوم على الأرض لكن إذا قوي حزب الرحمن ضعف حزب الشيطان، واستتر خوفاً، وهو المطلوب، فالشيطان رمزٌ وظّفه الله سبحانه على الأرض وسيبقى عليها طالما بقي الإنسان على نفس الأرض وهذا لم يحصل بإرادة أو فرمان سلطاني، بل بإرادة الله تعالى؛ أما الذين يفكرون بنشر الإسلام بالقوة يفترضون خطأً من دون شعور أنّ الله تعالى ضعيف وليس له القدرة على نشر الإسلام في الأرض، فيأتي هو (الإنسان، القوي) ومعه السيف والبندقية ليفرض مشيئة الله على الناس بقوته. ألا تلاحظون هذا التناقض؟ هل يمكن للإنسان أن يكون أقوى من الله تعالى؟ ألا يقرأ ذلك المسلم آيات القرآن وهي تقول:

﴿ولو شاء ربُّكَ لآمنَ مَن في الأرض كلّهم جميعاً﴾ ٩٩ - يونس.

فلو كانت مشيئة الله أن يؤمن كل الناس لآمنوا جميعاً، فتلك إذاً لم تكن مشيئة الله.

﴿ولو شاء الله ماأشركوا وماجَعَلناكَ عليهم حفيظاً﴾ ١٠٧ - الأنعام.

﴿ولو شاء الله لجعلكُم أمةً واحدة﴾ ٩٣ - النحل.

إذاً عندما نبحث عن مشيئة الله نعود للإيمان بما قلناه بأنه شاء أن يعطي الحرية المطلقة للإنسان في أن يختار مايشاء بعقله وإرادته، ثم من بعد اختياره يجعله يتحمل مسؤولية ذلك الاختيار، لأنه نبّهه بالرسل عن طريق الوحي إلى الصراط المستقيم، وطرق الشيطان الملتوية والكثيرة..

ونحن اليوم نعيش في جحيم الأرض، لماذا؟

لأننا خالفنا نصيحة الله واخترنا الإشراك مع الكفر بالله، فنتعذب باختيارنا، ولا نتعذب لأن الله سبحانه أراد أن يعذبنا، فهو سبحانه ترك لنا الحرية، واخترنا طريق الجحيم، فعذبنا أنفسنا ولم يعذبنا أحد، وظلمنا أنفسنا ولم يظلمنا أحد، وهكذا يجب علينا أن نفهم آيات القرآن من جديد حتى نفهم الإسلام كما شاء الله، لا كما وشاء الشيطان، علينا دائماً أن نعلم أين كانت مشيئة الله، وأين كانت إرادته وسوف نكتشف من القرآن أن مشيئة الله تعالى هي الإبقاء على الحزبين: حزب الرحمن وحزب الشيطان على الأرض بحيث إذا ضعف أحدهما قوي الآخر على حساب الثاني.

وإذا بحثنا سنجدهما موجودين في حرية الاختيار التي منحها الله للإنسان الذي قبل بتحّمل مسؤولية تلك الحرية، وهذه كانت هي الأمانة التي قبل بتحملها ولم يقبلها أحد في العالمين (أمانة المسؤولية المرتبطة بحرية الفكر والإرادة والاختيار للخير والشرّ).

وأي محاولة لخلق حزب واحد باسم الشيطان أو باسم الرحمن سوف يؤدي في النتيجة إلى حل واحد هو التسلط والاستبداد على رقاب العباد، وسواء حصل هذا الاستبداد باسم الشيطان، أو باسم الرحمن، فالنتيجة واحدة ولن يتغير ميزان العدل في الأرض إلا بوجود الحزب الحاكم باسم الرحمن مع السماح للناس أن يكونوا من الحزب الآخر إذا شاؤوا دون إكراه، فالإسلام الذي لايستطيع تأمين جميع أنواع الحريات لأفراده الموجودين تحت دستوره ونظامه يكون قد ترك أصلاً القرآن كدستور، وأشرك بالله وبدستوره دساتير أخرى، لأن دين القرآن لايسمح بطمس الحريات مطلقاً وهي كلها مقدسة.

وكل إنسان حُرٌّ بعقيدته، ولسنا وكلاء الله على الأرض، وليس من حقنا أن ندافع عن حقوق الله فالله ليس بعاجز عن أن يدافع عن حقوقه إذا شاء. وكما أننا لسنا مكلفين بهدي الناس حتى إلى دين الرحمن بل علينا التبليغ والتبشير بالحسنى عن الصحيح وعن الخطأ، وبعدها تنتهي مهمّتُنا لأنَّ هديهم ليس من مهماتنا وإنما من اختصاص ربِّ العباد وحده.

ولذلك نبه الله رسوله وقال:

﴿إنّك لاتهدي من أحببتَ ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

وكما قال سبحانه للرسول ﷺ ولنا من بعده:

﴿وماجعلناكَ عليهم حفيظاً وما أنتَ عليهم بوَكيل﴾ ١٠٧ ـ الأنعام.

﴿انما أنتَ نذيرٌ والله على كلِّ شيء وَكيل﴾ ١٢ - هود.

ونحن لايلحقنا أكثر من التبشير لدين الله بالحسنى:

﴿وما أرسلناكَ إلاّ كافةً للناس بَشيراً ونذيراً﴾ ٢٨ - سبأ.

طالما لم يكن في طاقة الرسول ﷺ أن يقوم بتلك المهمة وهي تبليغ الناس كافةً؛ فقد وَقَعت بالتالي على عاتق كل المسلمين المؤمنين أن يُتموا المهمة بالتبشير للدين الإسلامي عن طريق الجهاد في سبيل الله سلماً من غير عنف أبداً.

﴿وما أرسَلناك إلا مُبَشِّراً ونَذيراً﴾ ١٠٥ - الإسراء.

الفصل الحادي والثلاثون

خاتمة بحث الأحاديث

لنفرض بأن بلداً ما في زمن ما أُنشِئَت في عاصمتها جامعة، ولنفرض أن غالبية سكان ذلك البلد كانوا من الأميين، والمتعلم فيهم هو القادر على القراءة والكتابة، وفيما عدا ذلك لايعرفون عن العلم والعلوم الصحيحة شيئاً. وكل ماكان في رؤوسهم كان من الأوهام الموروثة عن أساطير توارثوها عن الآباء والأجداد. عن طريق السمع في أمسيات الشتاء الطويل، حيث لاعمل ولا وسيلة لقتل الوقت إلا الاستماع للقصاصين والشعراء في خيمة شيخ القبيلة أو العشيرة، يستمتعون بشرب القهوة العربية التي كان يوزعها قصيرو الشيخ على الحاضرين يستمتعون بسماع قصائد المدح والفخر وبالأجداد، وبطولات آبائهم الأولين.

ولنفرض أيضاً أن الجامعة أصدرت قراراً بقبول كل الراغبين بالانتساب تطوعاً لحضور المحاضرات دون أي شروط خاصة كالإلمام بالقراءة والكتابة، لأن غاية الجامعة كانت أساساً تغيير عقلية الناس وأسلوب تفكيرهم وتخليصهم أوهامهم ومعتقداتهم التي تقف في وجه تقدمهم كأمة من الأمم، التي كانت تعيش على الأرض، ولم تكن غاية الجامعة محو الأمية لعلم القائمين عليها بأنها تحتاج إلى معاهد كثيرة، وأموال طائلة لم تكن متوفرة في الأصل لهذه الأمة في تلك الأيام.

هذا وقد قدرت إدارة الجامعة، أن يكون المحاضر فيها أستاذاً واحداً منذ البداية لكونه هو الوحيد القادر على القيام بتلك المهمة، وكان من البلد نفسها، ويتكلم لهجتهم ولغتهم طبعاً.

طلب الأستاذ من جميع الطلبة الذين يتقنون الكتابة أن يجلسوا على حدة، ليسجّلوا أثناء المحاضرات مايُكتبهم أستاذهم من نص كتاب كان يقرؤه عليهم وكان يحفظه عن ظهر قلب من ذاكرته القوية.

فيما عدا ذلك كان أهل البلد يعيشون ضمن عائلات تجارية تنتمي إلى عشائر، والعشائر

تنتسب إلى قبيلة من القبائل، والجميع إذا حدث واجتمعوا في مكان عام بدأوا بالتفاخر والخيلاء بعضهم على بعض، والكل كان يؤمن بوجود الله الواحد الأحد، ولكنهم كانوا يؤمنون بأن أعمال الإنسان وحدها غير كافية على خلاصه وإدخاله للجنة ونوال رضى الرب إن لم يشفع لهم أحد، قياساً على ماكانوا يرونه في حياتهم العملية في الدنيا، وماكانوا يشاهدونه من التأثير الكبير للشفاعة في حل الأمور المستعصية، فالقاتل كان بالإمكان أن يُعفى عنه إن وجد من يشفع له عند صاحب الأمر مثلاً. فظنوا أن لابد من الشفاعة أيضاً عند الله، فأحبوا التقرب إليه زلفى، وهم جميعاً لم يروا الله طبعاً، ولكنهم كانوا يعتقدون بخيالهم الساذج أن السلطان هو بالصورة المصغّرة لله على الأرض، ولما كانوا يعلمون أن أكثر مايحب السلطان النساء لمتعته الذاتية، فظنوا وهماً أن الله لابد أن يكون مثل سلطانهم يحب الإناث. ولما كانوا يظنون أصلاً أن الملائكة من الإناث كما يستدل من اسمهم، فتخيلوهم، إناثاً جميعاً، وظنوا أن الله يفضلهم لهذا السبب على باقي مخلوقاته الأخرى، وتخيل بعضهم شكل الملاك ونحته على الصخر، وأطلق عليه اسماً، فصار من بعده شفيعاً للقبيلة، يتقرب به إلى الله زلفى، متوهمين من عند أنفسهم أنها سوف تشفع لهم عند الله وتخلصهم من ذنوبهم في الدنيا، من دون أن يعلموا أنه عند وصولهم لذلك اليوم لن تنفعهم شفاعة الشافعين، ولايقبل الله سبحانه وتعالى الشفاعة من أحد حتى لاتتكرر المظالم التي كانت تحدث على الأرض بسبب الشفاعات، ودون أن يعلموا بأن الله سبحانه لايظلم مثقال ذرة أحداً لافي الدنيا ولا في الآخرة، لكن الناس هم الذين تعودوا أن يظلموا أنفسهم بأفكارهم أولاً ثم بأفعالهم ثانياً. وكان لهم في مدينتهم مسجد كبير بناه جدّهم الأول، يحجون إليه في أيام معينة من كل سنة، وقد وضعت كل قبيلة آلهتها في ساحة ذلك المسجد حتى تحج إليها في كل عام، وتقدم لها الولاء والطاعة فتشفع لهم في الدنيا وفي الآخرة عند الله.

ومن جهل الناس بشكل عام وسيطرة كل أنواع الأوهام من أساطير وسحر وأوهام الشعر، كان يسهل على أي دخيلٍ مُغرض يتمتع بدهاء وذكاء الثعلب، أن يجعل أمراً مثل دخول قبيلتين في قتال مرير تنتج عنه حرب تدوم سنين طويلة، وغالباً مايكون السبب في إشعالها أمر تافه، كأن يكون سباقاً تفوز فيه فرسٌ لرئيس هذه القبيلة على فرس رئيس قبيلةٍ أخرى، نتيجة مَكرٍ قام به ذلك المُغرِضُ الماكر، بإفزاع فرس أحد رئيسي القبيلتين، فيشرح لهم الأستاذ سبب مايعانونه من تأخر وجحيم في هذه الدنيا ومايشعرون به من هوان وذلٍّ على الله والناس. وأكثر ماتُلاحَظُ عندما يسافرون وهم

تجار فتعامهم البلدان المتفوِّقةُ بالنظام والقوة والحضارة بخشونةٍ ظاهرة واستخفاف ملحوظ نظراً لضعة مكانتهم في بلدهم وضعفهم وتفرق كلمتهم، مع أنهم ليسوا ضعافاً عن قلَّةٍ في العدد أو قلَّةٍ في المال وإنما بسبب مايحملونه من أوهام في صناديق عقولهم؛ فصار الأستاذ يركز في محاضراته كلها وفي مايمليه عليهم من النصوص التي يقرؤها من ذاكرته على موضوع واحد هام، هو أن تلك الأفكار الخاطئة التي لا أصل حقيقياً لها والتي يتمسكون بها ويحبونها ويجعلونها ضمن أسلوب تفكيرهم كلها خاطئة من الأساس، لأنهم لايستخدمون مزايا العقل الأخرى في التفكير السليم، كالمنطق والحجة والدليل والبرهان، التي نحتاج لمعرفتها إلى علم حقيقي وليس إلى العلوم الوهمية أو الظنّية التي كانت مسيطرة ومتفشية.

أما اهتزازهم لأشعار الشعراء بما فيها من مدائح ومفاخر في قصائد الفخر والخيلاء فلن يكون أبداً سبباً للتفوق الحقيقي، وإنما تحقق لهم تفوقات وهمية لاوجود لها إلا في عقولهم وحدها، وماالمفاسد الاجتماعية التي يعاني منها الجميع مثل الزنى والزواج من المحارم، وأنواع الزواج المحرمة ووأد البنات والقمار وأكل الربا وشرب الخمور، إلا مظالم ترتكب كل يوم، وعلى رأس تلك المظالم الغزو الدائم من أجل النهب والسلب والقتل الذي يقوم به القوي ضد الضعيف أو المستضعف مع انتشار السرقات وأكل مال اليتيم وعدم احترام الآباء والأمهات، وأيضاً الغش في البيع وفي الميازين والمكاييل، وعدم وجود الثقة بين الناس ـ والكل يعيش في ذلك الجحيم ولايعرفون طريقاً للخلاص منها في دنياهم، ويعبدون آلهة يتقربون بها لله لإدراكهم بالفطرة وبما يرون من واقعهم بعدم رضى الله عنهم فيريدون أن يشفع لهم ماتوهموه أصلاً من شفيعات يتقربون بهنَّ لله، فكلها أوهام في أوهام لا أصل لها ولا حق فيها فيقرأ عليهم أستاذهم نصوصاً يكتبونها ويستحفظونها، ويشرح تلك النصوص للذين لم يفهموها بلغة مبسطة شارحاً مقاصد النصوص ومؤكداً أن سبب مصائبهم هو ماتحمله رؤوسهم من أوهام قديمة يحبونها لدرجة العشق ويظنون أنها صحيحة، ويعلمهم عشرة مبادىء أساسية إن اتبعها الإنسان بصدق كانت السبب في إخراجه من الجحيم المقيم الذي يعيش فيه إلى جنة الدنيا من جديد، شريطة أن يتفق أغلب الناس عليها، لأن تطبيقها من بعض الأشخاص لاينهي مشكلة جحيم الأرض، فلابد من تطبيق جماعي للقوم حتى يتلمسوا النتائج مباشرة في حياة الناس. ويصبحون بعدها على الطريق المستقيم الذي لااعوجاج فيه، ويؤدي بالضرورة لمن طبقها إلى جنة أخرى في السماء يعدهم بها صاحب الكتاب الأصلي،

الذي يدبر الأمور وحده:

وأول هذه المبادىء: أن ينسوا موضوع الشفاعة لأنها مجرد أوهام لا وجود لها إلاّ في خياهم وظنونهم، ولن يستطيع أحد أن يشفع عند صاحب الكتاب وكل من يؤمن بالشفاعة أو بالشفيع أو بالمخلص فهو لاشك مشرك بالله.

وثانيها: أن يحسنوا تعامهم ومعاملاتهم مع أمهاتهم وآبائهم لما كان لهم من فضل كبير في تربيتهم وتنشئتهم، وعن طريق الإحسان إليهم يرتبطون دائماً بكل دوافع الخير في الإنسان.

والثالث: أن لايعمدوا إلى إجهاض نسائهم، ولانساؤهم يعمدنَ إلى إجهاض أنفسهن خشية الفقر وعدم إمكانية الإنفاق في المستقبل.

والرابع: أن يبتعدوا عن الزنى واللواطة بجميع أشكالها وأنواعها وعدم الوقوع في خطأ اللواطة مع نسائهم أيضاً...

والخامس: أن لايقتلوا النفس الإنسانية إلا بعد محاكمة عادلة يثبت فيها الجرم على الجاني بالأدلة القاطعة.

والسادس: أن لايأكلوا أموال الأيتام وحقوقهم استضعافاً، ولا يقربوها إلا بالخير من أجل استثمارها، وإكثارها لمصلحة الأيتام فقط، ولايمدّن أحد يده إلى تلك الأموال إلا مضطراً لأخذ الحاجة فقط وترك الباقي لأصحابها، حتى يبلغوا الرشد فتسلم لأصحابها.

والسابع: أن لايغشوا الناس في البيع والشراء ولايسرقوا الناس حقوقهم وأموالهم نصباً أو احتيالاً أو خداعاً بموازينَ ومكاييل كاذبة...

والثامن: أن لايكذبوا لأن الكذب أم الشرور كلها وأم المعاصي، والإنسان يجب أن يقول الحق والصدق ولو على نفسه وأقربائه المقربين، حتى يتعود الناس على الحق وقول الحق.

والتاسع:أن يصونوا معاهداتهم واتفاقياتهم في علاقاتهم الفردية والجماعية وأن لايشهدوا زوراً أبداً.

والعاشر: أن يصدقوا في اتباع هذه المبادىء والسير على هديها حتى ينجحوا في أمور حياتهم ويخرجوا من الجحيم المقيم الذي هم فيه ولازالوا، إلى نعيم آخر، ويجب أن يعلموا بأنهم عندما يتخلون عن تلك المبادىء إلى ماكانوا عليه مرة أخرى فسوف

يعودون إلى جحيمهم السابق كما هم الآن، وقبل تطبيقها.

هذا وقد تعرض الأستاذ أثناء محاضراته إلى أن صاحب الكتاب يعلمهم بوجود حياة أخرى خالدة غير الحياة المؤقتة التي يعيشونها الآن وتنتهي عادة بالموت، فمن يستطيع أن يسير على هدي هذا الكتاب فسوف يكون من حقه أن يعيش في تلك الحياة القادمة، في جنة عرضها السموات والأرض، ولكنهم إن فشلوا في السير على هذا الطريق المستقيم فسوف يعيشون دائماً في الجحيم الذي يعيشون فيه الآن، وفي الحياة الثانية سيعيشون في جحيم أكبر عقوبة واستحقاقاً.

وكما تعرض الأستاذ أيضاً إلى مواضيع لم يفهمها الطلاب أبداً، وهي كلها تذكر كلمات مثل الفلك وطبقات الأرض والكون ونشوئه والدخان والنجوم والكواكب والشمس والقمر والليل والنهار والشهر والسنة والتكوير والجنين وتشكّله والخلق وإعادته والتطور والأطوار، فلم يفهموا عنها شيئاً، فقال لهم هذه لاتسألوا عنها لأنها ليست لكم، بل إنها لأحفادكم الذين سوف يأتون من بعدكم، هم وحدهم سيفهمون مقاصد تلك الكلمات أما أنتم فلا تستطيعون ذلك أبداً.

وقال لهم: إن الأجيال القادمة من ذريتكم سوف تدرك مصدر هذه المعلومات يقيناً بأنها ليست من الأرض حتماً، وسوف يصدقون لوحدهم أن مصدر الكتاب الذي كتبتم نصوصه لم يكن كما يظن الأغلبية منكم عندما سمعوا أول مرة بأنه من الأشعار أو من سجع الكهان، واعترف لهم بأنه شخصياً لايعرف معاني تلك النصوص، فلا يتعبوه ولا يتعبوا أنفسهم بالسؤال عنها، فهي كلها مازالت في غيب السماء.

ثم ركز معهم على باقي النصوص المفهومة بذاتها من غير شرح أو توضيح كبير، لأنها مكتوبة بلغة صحيحة ومبسطة دون وجود كلمات غريبة أو صعبة على الفهم، وهي تتناول مواضيع حول أسلوب تنظيم الحياة على الأرض، وفيها أصول المعاملات على أنواعها وشرحاً مفصلاً لأنواع العلاقات الإنسانية من زواج وطلاق وبيع وشراء، متسلسلاً بالصعود إلى قمة المجتمع وتنظيمه سياسياً على أسس صحيحة من العدل والمؤاخاة والحب وإنشاء السلم والسلام والأمن والأمان بين الناس جميعاً. مع مطلب أساسي بوجود قلوب كبيرة قادرة على الرحمة والمغفرة، والابتعاد عن الظلم والمظالم والتسلط والاستبداد بالناس، وأن يدفعوا دائماً من أموالهم حقوقاً للفقراء لأنهم إخوانهم ولهم حقوق يجب أن تدفع حتى يستطيعوا الخروج من أغلال الفقر التي لاترحم؛

وعَلَّمهم مبادىء العبادات التي تسهل عليهم البقاء على سبيل السماء وحده، دون الانحراف عنه، بالصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، كما علمهم الصيام شهراً واحداً في السنة، وعلمهم أن يبقوا على عادتهم القديمة في الحج إلى البيت القديم الذي ابتناه جدهم بعد إزالة كل الشفعاء منه لأنها كانت من خيالهم وأوهامهم، وعلمهم حقوق الرجل وحقوق المرأة وحقوق الكبير وحقوق الصغير وحقوق الأب وحقوق الابن، وحقوق الأم، ومكانتها العظيمة، وعلمهم من هم المحارم في الزواج، وبيّن لهم الحلال والحرام في المأكل والمشرب والملبس، وبين لهم حدود الله وعقوباته على الأرض للزاني والقاتل والسارق، وشاهد الزور والكاذب وقاطع الرحم، كما بين لهم أن هذه الحياة القصيرة جداً وهي ممر لحياة أبدية لاريب فيها وعليهم واجب وامتحان، فمن واجبهم أن يؤمنوا بالعلم والعلوم وأن يتعلموها، ويعمروا الأرض ويصلحوا فيها، ويوقفوا ويمنعوا كل من يحاول الإفساد فيها، وهذه هي المهمة الكبرى التي كُلِّف بها الإنسان على الأرض، وعلى نجاحه في تلك المهمة الأرضية يكون ثوابه وتقدير درجاته في الآخرة.

وبيّن لهم أن أفضل أساليب الحكم حتى لايتسلط عليهم أحد هو أن يكون الرئيس منتخباً من بينهم بالشورى وبيدهم إعادة البيعة له أو سحبها منه بالإجماع إذا كان مسيئاً وخرج عن الطريق الصحيح والقويم وتعاليم الكتاب وبدأ بظلم العباد.

كما أوضح لهم أنهم طالما يهتدون بهدي كتابهم الذي كتبوه بخط أيديهم كما أمرهم به فلن يضلوا عن طريق السماء أبداً، وعلمهم أهمية النظام والتنظيم والعلم والتخطيط فكل أمورهم يجب أن تكون منظمة وموحدة: يُصَلّون في صفوف مستقيمة، يركعون معاً ويسجدون معاً، ويقومون معاً ويصومون معاً، ويفطرون معاً، وفي توقيت واحد في كل بلد يقيمون فيه، وأن النظام والتنظيم ضروريان في كل أمور الحياة الأخرى، وأن الفوضى سبب الضياع، الحياة التي أمامهم لافوضى فيها أبداً بل كل شيء فيها منظم بدقة متناهية لدرجة محسوبة بالأعداد والأرقام والأبعاد والأحجام.

وقال لهم إن كل ماسبق وسمعوه من آبائهم أوهام وضلالات وأساطير، لاحقيقة أو أساس لها، وأن التفاخر والكبر والكبرياء من أشنع الصفات في الإنسان، وعلمهم أن العمل هو المحك وهو الاختبار الأساسي الذي طلبه الخالق من الإنسان، فكل إنسان يجب أن يتعلم عملاً يفيد به الناس ويصلح بعمله في الأرض على قدر طاقته واستطاعته.

وعلمهم أن الذي يفيد الإنسان يوم الحساب هو حسن إيمانه بخالقه أولاً وعمله الذي أداه في خدمة الناس، وهو يخلص في ذلك العمل ثانياً، وكأنه يخدم به نفسه وأقرباءه فيؤديه بأمانة سواء كان رب العمل موجوداً فوق رأسه أو غائباً، كما نبههم إلى عواطف إذا دخلت نفس الإنسان جلبت أمراضاً نفسية، وإذا تفشت في المجتمع أصبحت أمراضاً اجتماعية مثل النفاق والرياء والغيبة والحقد والحسد والنميمة، وبيّن لهم أن نصوص الكتاب الذي بين أيديهم تعالج تلك الأمراض في النفوس لمن يحاول تطبيقها وليس قراءتها والتغني بها، فتلك النصوص قوانين ليتدبرها الإنسان بتطبيقها فعلاً، لأن سرّ قوتها وتأثيرها في التطبيق وليس بالحمل والتقديس «والتبويس».

وعلمهم أن الحب والتعاون والتسامح والدفاع عن الغائب والابتعاد عن الصفات المذمومة هي الصفات التي تقرب الإنسان من خالقه، وليست مجرد العبادات التي لاتنفع بشيء إن لم يستطع الإنسان تغير ذاته وأفكاره القديمة التي كانت ترتاح للشرور والمظالم أكثر، فيصبح لايجد الراحة إلا بالعدل وفعل الخير والخيرات، وظل الأستاذ يعلمهم في تلك الجامعة، ويساعدهم في أمور معاشهم، فتحولوا من أمة مفككة كانت تغزو بعضها البعض إلى أمة واحدة متحابّة وكلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

وبعد أن كان مقياس التفاضل بين الناس الأنساب والآباء والعشيرة والقبيلة صار مفتاح التفاخر بين الناس الأعمال وحسن أدائها مع الإيمان بالله.

ومات عنهم أستاذهم وقد أصبحوا أمةً قوية وليس في رأس أحد منهم شيء من الأوهام، بل الكل يؤمن بالخالق وبالعمل الصالح، وأن مقدار تحصيل الإنسان محسوب بمقدار سعيه وصدقه وجهده وعلمه وإخلاصه في الدنيا، وعلمهم أستاذهم أنه لم يكتب عليهم خالقهم شيئاً ولم يحدد لهم شيئاً سلفاً في كل الأمور المتعلقة ضمن مجال حريتهم واختيارهم، فلا آجال ثابتة، لأن لكل منهم أجلين، أجل مسمى ثابت لايعلمه أحد إلا الذي خلقهم، وآخر يمكن أن يحصل بالقضاء، ويمكن التدخل فيه من قبل الإنسان بعلمه وبقوانينه.

وهي عادة إما تحصل بسبب مرض أو بحادث في الحياة أو العمل، أو بقتل في حرب، أو يعيش دون أن يصيبه من ذلك شيء، حتى يصل إلى أجله المسمى المحتوم فيموت أخيراً لأنه لابد من الموت لكل حي.

والتدخل يمكن أن يحصل بالعلم، مثلاً إن كثر موت الأطفال نتيجة أمراض تصيبهم

فيمكن بالعلم والعلماء اكتشاف أسباب الأمراض هذه ومعالجتها من جذورها، فتقل نسبة الوفيات في الأطفال إلى الحدود الدنيا، فنجد أمة سعت في هذا المجال فوصلت إلى نسبة واحد في الألف من الوفيات في الأطفال حتى سن الخامسة مثلاً، بينا نجد في أمة أخرى، لاتزال تطبق الأوهام بحيث نسبة الوفيات في الأطفال عندها تصل حتى ٣٣٪ من الأطفال حتى سن الخامسة (أو ٣٣٠ في الألف) أي بزيادة ٣٣٠ مرة عن البلاد المتقدمة علمياً وحضارياً، وهذا هو الفرق بين العلم، الذي يدعو إليه الخالق، وبين الأوهام، وكذلك بالنسبة للأعمال فليس من شيء مقدَّر سلفاً للإنسان بل كل إنسان له بقدر سعيه وإرادته ونشاطه وعمله، مستعيناً بالعلم، فالعلم هو الذي يقرر نسب النجاح في أعمال الحياة، والذي خلق العلم وأوجده هو الذي خلق السماوات والأرض، وكذلك الأرزاق أيضاً غير مكتوبة سلفاً؛ بل مرتبطة مع بند العمل.

أما الرزق المحسوب من قبل الخالق فهو الماء والغيث الذي ينزله من السماء، وهو ينزل الغيث دائماً بقدر محسوب فيتحول إلى رزق لخلقه، ولولا ذلك الغيث لتوقفت كل الأرزاق، لأن كل مانأكله ونشربه من ذلك الماء الذي ينزّله من السحاب الذي في السماء. وموت الناس في المجاعات سببه الإنسان الذي يحتكر ويظلم أخاه الإنسان.

أما مصير الإنسان، إلى النعيم أم إلى الجحيم، فهو أيضاً غير مقرر طبعاً، ولو كان مقرراً سلفاً فلا معنى أصلاً للاختبار والنجاح أو السقوط فيه، فهو متروك للإنسان وحده وسعيه ونشاطه ومقدار تفهمه لنصوص الخالق في كتابه ومدى استخدامه لها مع السعي والعمل الصالح، والذي ينجح في إنشاء جنته على الأرض وهو محافظ على إيمانه بالخالق مع التزامه اتباع الطريق المستقيم الذي هو تنفيذ المبادىء العشرة وعدم الدخول في حدود الخالق بارتكاب المعاصي، وعده بأن يدخله إلى جنته مدخلاً كريماً.

أما الذي يتبع أهواءه وشهواته ويكفر بالآخرة وبالخالق ويفعل ماتأمره نفسه الأمارة بالسوء فسوف يظلم نفسه في النهاية بأن يعذبه في جهنم عذاباً أليماً.

لكن الإنسان الذي لم يستطع أن يتخلص من أوهامه القديمة ولم يستطع أن يغير أسلوب. تفكيره؛ بل ظل كما كان آباؤه القدماء وعلى أسلوبهم القديم، هذا الإنسان تسميه النصوص بالمشرك، لأنه يشرك الأوهام مع صفات الخالق التي كلها حقائق، فيعاقبه في الدنيا بأن يحييه في جحيم، وفي الآخرة يجعله من المخلدين في ناره ومن الذين لن يَرَوا جنته أبداً.

ومات عنهم أستاذهم بعد أن تعلموا هذه الأمور، وظلت أمورهم في تحسن ودولتهم في تطور حتى غدت أعظم البلدان وأقواها خلال مدة قصيرة، لاتتجاوز ربع قرن من الزمان.

وبعد مرور تلك الفترة على وفاة الأستاذ المحبوب حصلت فتنة عظيمة دخلت فيها المصلحة مع حب الشهوات والأهواء الإنسانية التي وجد فيها أعداء الأمة من الموتورين فرصة مناسبة لإزالة هذه النعمة عن كل هذه الأمة حسداً منهم وتلاقت مصلحة هؤلاء مع مصلحة فئة من الناس تسعى إلى إعادة الأمور إلى ماكانت عليه مع إبقاء الاسم فقط حتى لايغضبوا المؤمنين بنصوص الكتاب وبتعاليم الأستاذ المحبوب، وكان الأعداء قد دخلوا في صفوف المؤمنين نفاقاً ورياء، مظهرين الحب لهم وللأستاذ، وهم يبطنون عكس ذلك تماماً، فتحالفوا مع أصحاب الفتنة من الذين غلبتهم أهواؤهم وعصبيتهم القبلية التي أزالتها نصوص الكتاب، فضاع بعد ذلك صوت الحق، وظهر الشيطان منتصراً فلم يَعُدْ أحدٌ من المنتصرين يريد ذلك الكتاب الذي ورثوه مكتوباًعن آبائهم، فاجتمع السلطان الجديد مع حلفائه من المنافقين للتشاور في الخطة الممكنة للتخلص بها عن كتاب الخالق، لأنه مع وجوده لايمكن إعادة الناس إلى ماكانوا عليه، فاتفقوا أن يقولوا إن هذا الكتاب عظيم ومقدسٌ، من قدسيته أنه لايجوز لمسه إلاّ للمطهرين، كما لايجوز تفسيره إلا للعلماء، واتفقوا أن يكتبوا ماكان متداولاً بين الناس من شرح الأستاذ للكتاب رواية من الآباء للأبناء، فكتبوا كثيراً من تلك الروايات، وماكتبوا إلا ماتريد أهواؤهم قوله للناس بدلاً من أن يقولوا حقيقة ماقاله الأستاذ، حتى عادوا وكتبوا كل الأوهام القديمة باسم الأستاذ المحبوب من جديد، ثم عادوا وقالوا إنه لم يكن أستاذاً عادياً فكل أقواله الشخصية كانت من نفس مصدر كتابه الأول حتى يعطوا لتلك الأقوال التي اكتتبها المنافقون من أعداء الأمة نظرة القدسية التي كان الشعب ينظر بها للكتاب الأول الذي صار يخشى أن يلمسه أو يقرأه كما يشاء، وهكذا نسي الناس مع الزمن ماكان في كتابهم الأساسي، ولم يعودوا يتذكرون منه إلا اسمه، بل عمد السلطان وأعداء الأمة زيادةً في حقدهم وحسدهم لهذا الشعب، إلى السخرية منهم ومن كتابهم بأن حَفَّظُوا الكتاب الأساسي للعميان من الأطفال حتى يقرؤوها في المقابر على الأموات الذين لن يستطيعوا طبعاً الاستفادة مما كان فيه من قوانين وأساليب لتنظيم المجتمع وحكم الناس بالعدل، ويبقاء المنتصرين مع السلطان في حكم الأمة فترة طويلة جداً وهم يفعلون مايشاؤون، ولايفعلون طبعاً ماتأمرهم به نصوص الكتاب، أرادوا أن

ينشئوا لأنفسهم جنة الله على الأرض ليتنعموا بها وحدهم، مستبدين بالشعب ظلماً وتسلطاً واستغلالاً لقدراتهم من أجل تحقيق شهواتهم وأهوائهم الدنيوية، جعلوا من الناس مقاتلين في حرب سموها حرباً مقدسة، وقالوا لهم إنها في سبيل الخالق والأستاذ محرفين كلام الكتاب وشروح الأستاذ، وهم لايريدون من تلك الحروب إلا إلهاء الناس حتى لايفكروا بما يفعله السلطان وجنوده في قصورهم مع آلاف السبايا التي يحضرها جنودهم من ساحات القتال، لأن الناس هناك كانوا ينتصرون لظنهم أنهم كانوا ينشرون عقائد الخالق والأستاذ بالقوة، ومن لايؤمن معهم قتلوه، وأخذوا ماله ونساءه وأطفاله، وهكذا صار للسلطان جنودٌ وموظفون من الذين تطوعوا لخدمته حتى يكونوا من المقربين منه، فتولوا شرح دين السلطان من جديد، مستندين إلى روايات الأستاذ المحبوب التي حرّفها السلطان وجنوده ـ كما رأينا ـ لمصلحتهم فغيروا كل المبادىء بأسرها، حتى لايبقى على الأرض من خير أو عدل أو نور أو علم أبداً، بل ظلم وشر وجهل وظلام مع فقر وبؤس مقيم لايبارح الناس أبداً، وتركوا للناس الطقوس والعبادات كما أتى بها الأستاذ المحبوب لأنها كانت في مصلحة السلطان أيضاً بما تعلّمه للناس من الطاعة والصبر.وحتى لايثور الناس على هذا الظلم الشديد لم ينس جنود السلطان أن يقولوا للشعب في كل المناسبات أن كل المصائب التي تحل بهم هي من خالقهم وليست من السلطان، وكلها من ظلمه وحده وهو يعذبهم في الدنيا حتى لايعذبهم في الآخرة وكلهم سوف يدخلون الجنة مباشرة إلا الذين كانوا لايطيعون السلطان وجنوده هؤلاء سيعذبهم في قبورهم أيضاً لأنهم كانوا لايدفعون الزكاة للسلطان، وكانوا لايدفعون الخمس من الغنائم التي غنموها في حروبهم التي لم تتوقف أبداً، أما أولئك الذين ارتكبوا الزنا مع نساء السلطان وجنوده من المحجوزات بالآلاف في أقسام الحريم فعقابهم الرجم والموت، للزاني والزانية، حتى لايعود أحدٌ يفكر بأن يقرب منهن أبداً.

ومرت الأمور على تلك الحال ثلاثة قرون طويلة من الزمان والناس يعيشون في ذلك الجحيم، والعذاب على الأرض مقيم.

وصارت الروايات التي أُلفت عن الأستاذ بالملايين، وأصبحت معرفة الحق والحقيقة من المستحيلات، إلى أن خرج من بين الرجال المؤمنين والمتنورين رجلان أرادا أن يوقفا هذا الجنون اللامتناهي في وضع الروايات عن الأستاذ، وكتب كل منهما مايسمح به السلطان بنشره بين الناس من مختارات من أفضل الروايات من بين ذلك الركام الهائل، فخرجا بكتابين يحويان أفضل الموجود منها ولكن دون الإشارة للكتاب الأساسي

أصلاً، لأن ذلك، لم يعد السلطان وجنوده الأتقياء، يسمحون لأحد بالكلام عنه بعد أن صار كتاباً خاصاً بالأموات وحدهم، وبما أنهما كانا لايستطيعان قول الحقيقة علناً فحاولا أن يضعا نماذج في كتابيهما من كل المتناقضات الموجودة في الروايات، حتى يبينوا للأجيال القادمة أنها لم تكن من الخالق ولا من الأستاذ العظيم، لكثرة التناقض والاختلاف الشديد الموجود دائماً في تلك النصوص.

ومرّ على ذينك الكتابين أكثر من ألف سنة، والأمور تتحول من سيء إلى أسوأ حتى سئم الناس من تخلفهم عن باقي الأمم، فظهر الكفر بدين السلطان بين الشباب من الأمة واستطاعوا القضاء على آخر سلطان، وجعلوا قصوره متاحف للناس حتى يتخلصوا من هذا الكابوس الذي سيطر عليهم أكثر من ألف وثلاثمائة من السنين.

هذا وقد مرت مائة عام على آخر سلطان كان يحكم باسم الخالق والأستاذ، وشباب الأمة يحاولون إعادة الناس إلى طريق الحق والعدل والنور من جديد، ولكن محاولاتهم وسعيهم مع جهدهم ونشاطهم كلها كانت تبوء بالفشل. والسبب أن الناس قد عشقوا دين السلطان، فلا يريدون التخلص منه أبداً، ولازالوا يعتقدون بما زرعه جنوده في نفوسهم أن فقرهم وبؤسهم وعذابهم هو من إرادة الخالق وحده ولأنه يحبهم فهو يعذبهم في الدنيا حتى لايعذبهم في الآخرة، فالدنيا فانية، لايريدونها ولكن يريدون جنته التي في السماء، كما كان جنود السلطان يصفونها لهم بالتفصيل الدقيق.

هذه هي قصة هذا الشعب مع أستاذهم المحبوب.

وبعد أن استمعنا إلى هذا المثال نطرح السؤال التالي:

إذا أرادت تلك الأمة العودة إلى تعاليم الكتاب الذي أتى به إليهم أستاذهم المحبوب رسالة لهم من ربهم ليكون نوراً وهداية وطريقاً، وقال لهم لن تضيعوا أبداً طالما تمسكتم بتعاليم هذا الكتاب وحده قبل أن يموت وتعود نفسه الطيبة إلى ربها.

فما الذي يجب أن يفعلوه؟

هل يبقون الحال كما تركها آخر سلطان زال حكمه منذ قرابة مائة من الأعوام؟

وإذا أرادوا إزالتها هل تعتقدون أن ماتم زرعه بإحكام وخبث ودهاء خلال أكثر من ألف وأربعمائة عام يسهل إزالته بخطبة عامة أو بإعلان أو بكتاب أو كتابين؟ أعتقد أن السبيل الوحيد هو جهد مكثف من قبل كل الشباب المثقف، وضمن خطة منظمة لتوعية الناس من جديد، وبالصبر والتأني يمكن إزالة مثل تلك الأفكار التي أصبحت موجودة في

منطقة اللاشعور من الناس وصارت في كروموزومات(*) بنيتهم الأساسية. والتعبير لايمكن أن يتم من الخارج بالقوة على الإطلاق، ولابد بعد التوعية لابُدَّ من جهد خاص من الإنسان نفسه، ومن وعيه بالسَّعْي إلى تبديل كل تلك الأفكار من جديد، وهذا لن يتم إلا بمساعدة الكتاب الأساسي والرسالة الأساسية التي كَتَبَها لهم أستاذهم. يجب إزالة الخوف القديم المزروع فيهم من ذلك الكتاب، ويجب أن يعلموا أن القدسية لذلك الكتاب بما يحوي من أفكار عظيمة، وليست القدسية للحبر والورق المطبوع عليه، فكل الكتب تتساوى إذا نظرنا إليها حبراً وورقاً، والاختلاف الموجود هو في المعنى الذي يصل إلى الإنسان بعد قراءة النصوص، فالكلام هو الذي أتى من السماء وليس الحبر والورق.

إن السلطان وجنوده خلقوا شيعاً وأحزاباً كثيرة خلال تلك الأيام باختلاف المصالح ووجهات النظر، والعودة للكتاب تستدعي إلغاء التشيعات والانقسامات القديمة كلها، لتذهب كما ذهب السلطان والذين ساعدوه على زرع تلك الاختلافات والانقسامات.

هل بقاء الناس في أماكنهم كما يفعلون الآن ـ وهم يراوحون، أو بالأحرى يتأخرون، والناس، كل الناس من حولهم، يتقدمون ـ هو من مصلحة أحد منهم؟

يجب أن يسأل كل إنسان يصل إلى درجة معينة من الوعي نفسه:هل هذه الروايات التي كنا نعتقد أنها من أقوال أستاذنا المحبوب هي أقواله فعلاً، أم هي مجرد روايات ألفها الذين قبضوا ثمنها من صاحب المصلحة بما قدموه من خدمات لحاكم شاء أن يستبد بالناس مستنداً إلى تلك النصوص المحرفة!؟

وإذا كانت من أقواله فعلاً، فلماذا هي متناقضة مع بعضها البعض!؟

ولماذا كلها تناقض نصوص كتاب الخالق بشكل دائم؟؟

هل من مصلحتنا أن نؤمن بكل هذه الأقوال التي لم ينزل بها الله من سلطان أم مصلحتنا في أن نعود إلى كتاب الله وحده فلا نحيد عنه؟

ومسؤولية هذه المحاكمة العقلية وهذا الحوار مع الذات ألا تقع على كل مسلم ومسلمة اليوم؟

ألسنا مسؤولين أمام الله يوم القيامة، عن عقلنا كيف استخدمناه؟

(*) الصبغيات التي تحمل العوامل المورثة.

فهو لايقل عن عقل أحد من الناس، لماذا لم نفكر به؟ ماهو الصحيح؟ وماهو الخطأ؟
لماذا لم نستخدم أعيننا، في القراءة والتعلم والتنور بنور الله؟
ألم نكن أحراراً في أن نختار بأنفسنا مانقرره بعقلنا وفكرنا؟
لماذا اتبعنا خطوات آبائنا كالعميان قبل أن نتوقف لحظة ونقول: إلى أين يسيرون بنا؟ هل هم على الاتجاه الصحيح أم على الاتجاه الخاطىء والمعاكس؟
لماذا لم نسأل أنفسنا كل يوم ألف سؤال وسؤال، حتى لا لانضل ونعيش في الأوهام عمرنا كله، ونحن نقيم في جحيم الأرض، ونظن أن نعيم السماء بانتظارنا؟
وماذا إذا كان الذي ينتظرنا بعد ضلالنا في الأرض جحيماً آخر في السماء؟
في الآية الكريمة:
﴿وإذ أخَذَ ربكَ من بني آدمَ من ظهورهم ذريتهُم وأشهدَهُم على أنفسهم ألستُ بربّكُم قالوا بلى شهِدنا أن تقولوا يومَ القيامة إنّا كنّا عَن هذا غافلين﴾ ١٧٢ - الأعراف.

والذي يريد أن يفهم آيات القرآن الكريم يجب أن لايأخذ بحرفية الكلام؛ وإنما يتبع المعنى والرسالة التي يريد ربنا أن تصلنا من خلال الآية.

والمعنى عندها يتضح بأن الله سبحانه قد زرع فطرة الميل للحق في كل نطفة، ثم يولد الطفل وفيه هذه الفطرة، لكن آباءه بعد الولادة يعلمونه بالتدريج أديان آبائهم بما فيها من شرور وإشراك، فتترسخ تلك الأفكار بالتكرار والممارسة، وينسى ماكان فيه من فطرة أساسية لو ظل عليها لاستطاع أن يقول بها نعم أو لا، ويستطيع أن يقول هذا حق وهذا باطل، ويستطيع بما خلق الله فيه من شجاعة أدبية هبةً منه سبحانه أن يقول هذا عدل وهذا ظلم، ويقف في وجه السلطان الجائر ليقول الحق ولو على نفسه، ويقول هذا صدق وهذا كذب، وهذا وفاء وهذا غش وخداع، ويستطيع أن يعلن هذا أبيض وهذا أسود، ولايخشى في قول الحق لومة لائم، شريطة أن لايكون هو القائل الوحيد، وإذا لم نتوصل لهذا المسلم الذي له القدرة على التمييز بين الحق الحقيقي وبين الحق المزيف الذي يلقنه إياه أصحاب المصالح والمطامع فلن نتغير.

للحقيقة وجه واحد والله سبحانه وتعالى يقول لنا في الوصية العاشرة من وصايا الرحمن في الإسلام:

﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه، ولاتَتّبعوا السّبلَ فتفرَّق بكم عن سبيله، ذلك

وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾ ١٥٣ ـ الأنعام.

والمعنى واضح وبسيط، طريق الله واضح ومستقيم لا أعوجاج فيه، هو الطريق الذي كان عليه الرسول وأصحابه، وعلى المسلم اليوم أن يجلس في غرفة منفرداً ويتساءل:

هل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي من السُنَّة؟

هل كانوا إذاً من الشيعة؟

هل كانوا إذاً من الخوارج؟

هل كانوا من أتباع الشافعي أم الحنبلي أم المالكي أم الحنفي؟ وإذا أجاب بـ (لا) فإننا لسنا على سبيل الله في شيء إذاً.

وليتساءل أيضاً: هل كان يحكم الرسول ومن بعده خلفاؤه بما قاله أبو هريرة وأبن عباس وأبا ذر وابن مسعود أم كانوا يحكمون بكتاب الله؟ فكل من يقول: نعم إنهم كانوا يحكمون بأقوالهم، يكون على دين، غير دين الله، ومن قال: بل كانوا يحكمون بالاثنين معاً، فقد أشرك بالله شيئاً؛ لاحظوا أن الله لم يقل في القرآن من يشرك بالله إلهاً آخر بل قال من يشرك بالله شيئاً، وهذه الأقوال، هي شيء يشركها بالله، والإنسان إذا لم يتحرص يشرك بالله بسهولة، لذلك ينبهنا ربنا ويقول للمؤمن قبل الكافر:

﴿ومايُؤمِنُ أكثرُهم إلاّ وهم مُشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

﴿واعبُدوا الله ولاتُشرِكوا به شيئاً﴾ ٣٦ ـ النساء.

كل المسلمين اليوم يبحثون عن التغيير، والله يُبَسِّطُ هذا الموضوع لمن يبحث عن ذلك فيقول:

﴿إنَّ الله لايُغيّرُ مابقومٍ حتى يغيّرُوا مابأنفُسِهم﴾ ١١ ـ الرعد.

والآية مفهومة وواضحة، وهي من مشيئة الله، وقد اختار سبحانه وأراد لوحده ألاّ يُغيّر مابقوم من ذلٍ وجهل وفقر وتأخر وتفرّق وهوان على الناس وعلى الله، إلا إذا تحركوا واستخدموا عقولهم التي منحهم إياها سلفاً، وهي موجودة دائماً ولكن معطّلة، فيباشرون باستخدامها ثم يحاولون بالجهد والمجاهدة أن يغيروا أحوالهم ومابأنفسهم من جهل وأساطير وخرافات إلى علم حقيقي بعلوم الدنيا التي رددها علينا جنود السلطان بأنها علوم، العلم بها لاينفع والجهل بها لايضر، فضيّعونا، وهم يقولون عن الأقوال المنسوبة ظلماً لأبي هريرة وابن عباس وأنس وعبد الله بن عمر وأبي ذر وابن مسعود: إن

العلم كله فيها، ومافيها إلا ظنون، والله يقول عنها كلها كلمة واحدة وبسيطة وينهي موضوعها

﴿ومايَتبعُ أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظّنّ لايغني من الحقّ شيئاً﴾ ٣٦ - يونس.

علينا أن نبادر جميعاً إلى حصتنا بالتغيير - وهو مجال عملنا الحقيقي - بالقيام بثورة في تغيير العقلية واللحاق بركب الحضارة الإنسانية، والثورة لايشترط فيها أن تكون مرتبطة بالعنف والدم؛ بل إنها ثورة علمية وثقافية؛ وكمثال عندنا اليوم اليابان وكوريا من بعدها، لقد غيروا مابأنفسهم فوفى الله بالشطر الثاني مباشرة وغيّر الله ماكان بأحوالهم من فقر وجهل إلى علم وغنى.

والله سبحانه، إذا انتبهنا؛ لم يقل عن دين القوم أي شيء، بل جعل كلمة قوم مبهمة، مبنية للمجهول لم يحدد لونهم ولا دينهم ولا لغتهم، مجرد قوم، وبعض المغرضين من أعداء المسلمين يحاولون أن يُفهِموا شبابنا اليوم هذه الآية بالمقلوب، فيتركون مجال عمل الناس في التغيير لله، ويأخذون حصة الله في التغير بأن يغيروا هذه الأوضاع بالقوة وبجميع أشكال العنف، وهذا خطأ فادح لن يؤدي إلا إلى خراب أكبر، لأنه ببساطة تامة لايكن تغيير مابنفس الإنسان بالقوة والعنف أبداً، إن أوروبا في عصر النهضة وبدايتها كانت في مرحلة اختيار صعبة: رجال الكنيسة ومعهم كتبهم المحرفة التي تناقض العلم بالجملة، كانوا يحاولون أن يلجموا العلم والتقدم بفرض أفكارهم الساذجة على كل الناس بالقوة، مستندين إلى سلاطينهم الذين كانوا المستفيدين من تلك الأوضاع.

فثارت أوروبا كلها بعد أن طفح الكيل، وتركوا الدين بالجملة ولحقوا بالعلم والعقل، وتستطيع أن تقول إنهم كفروا بالله، ولكن رجال الدين المسيحيون كما نعلم يشركون بالله ويجعلون من المسيح إلهاً، وإذا رجعنا لآيات القرآن لتكون حكماً ماذا نجد؟ إننا سوف نفاجأ بأن الله سبحانه لم يقل أبداًعن الكافر أنه حرّم عليه الجنة، بينما قال سبحانه وتعالى في القرآن:

﴿إنّ الله لايغفِرُ أن يُشركَ به ويَغفرُ مادون ذلك لمن يشاء﴾ ١١٦ - النساء.

لذلك حتى الكفر أفضل من الإشراك كما أن الرمد أفضل من العمى.

الفصل الثاني والثلاثون

أين يمكن أن نجد الصحيح من الحديث الشريف

إن الله تعالى الذي وسع علمه كلَّ شيء، يعلم أن العلم يجب أن يرتكز على قواعد ثابتة وراسخة لاتزعزعها الظنون والاحتمالات، ولاتزلزلها الأوهام والأباطيل. وانطلاقاً من تلك القاعدة جعل الله تعالى شهادته ضرورية لإثبات ماينسب إليه جهلاً أو عمداً.

إذ ليس لدى الإنسان علمٌ مصدره من غير الله تعالى. ولكن على الإنسان أن يدرك مجال علم الله في الحق والحقائق دائماً، وأن لا أوهام ولا ظنون في علم الله ولا في كلماته ولا في مخلوقاته، وعليه أن يعلم أن مجال الأوهام والظنون والأباطيل والخرافات كلها من علوم الشيطان، وفي مجالهم.

وشهادة الله تعالى عادةً لاتكون بحضوره محاكم الناس، فهو سبحانه لايتحرك بمشيئة عباده ومخلوقاته وإنما تتحرك كل مخلوقاته بإذنه وضمن مجال مشيئته سبحانه: وشهادته لاتكون عادة إلاّ من كتاب منه، ثبت عدم تحريفه، ويستحيل على الناس التشكيك فيه، وله القدرة الذاتية على الإثبات، إنه كتاب لم يمسسه إنس ولاجان بالتحريف.

ولم يُعرف أنَّ مثل تلك الصفات قد تجمعت لكتابٍ في الأرض بين أيدي الناس وفي متداولهم إلا لكتابٍ واحدٍ هو القرآن الكريم، وإن لم يدرك ميزاتِ ذلك جميع البشر بعد، ولا أقول هذا تعصباً لدين الإسلام وكتابه، بل لأني عرفت تلك الحقيقة الناصعة مع الذين عرفوها مبكراً، وأشكر الله على هذا الفضل العظيم. تلك الحقيقة التي بدأت تتكشف للناس يوماً بعد يوم، بأن الله تعالى قد ضمَّن كتابه أسراراً كثيرة قادرةً على أن تثبت لكل ذي عقل ومنطق أن ذلك الكتاب ليس من قدرة مخلوقات الله ولا من طاقتهم، مبتدئاً بالمنطق الرياضي العددي التجريدي، ليثبت لهم جميعاً أنه كتاب معجز، لايمكن مجاراته ولامعرفة كل أسراره، بل يكشفها سبحانه بالتدريج، ولكل منا أن يتأكد من برهان الله الرياضي الذي أرسله ليراه البشر، الكفار منهم قبل المؤمنين، الأجانب منهم قبل العرب، لأن لغة الأعداد والأرقام موحدة لاتحتاج لمعرفة لغة خاصة لفهم منطق الأعداد.

﴿يأَيها الناسُ قد جاءكُم برهانٌ من ربّكُم وأَنزَلنا إليكُم نوراً مبيناً * فأما الذينَ آمنوا بالله واعتَصَموا به فسيُدخِلُهُم في رحمةٍ منهُ وفضلٍ ويَهديهم صراطاً مستقيماً﴾ ١٧٤ - ١٧٥ - النساء.

وكما شاهدتم فإن الله تعالى لايخاطب في تلك الآيات أمة دون غيرها، ولاقومية دون سواها، بل يخاطب الناس كلهم على مختلف أعراقهم وأجناسهم، والله تعالى يعلم أن ذلك اليوم، يوم يمسك كل الناس كتاب الله ليروا فيه معجزات الخالق بأعينهم، يومٌ قادمٌ لاشك فيه وليس ببعيد، والله تعالى لم يقل جذافاً ولا من باب المبالغة:

﴿والله غالبٌ على أمرِهِ ولكنّ أكثرَ الناسِ لاَيعلمون﴾ ٢١ - يوسف.

وبعد أن يرى الإنسان برهان ربه لابد أن يفتح الكتاب ليقرأه ويفهم ماكتب فيه، فيفاجأ بأنباء وعلوم يخبره ربه عنها، ليست من علوم البشر ولا من مجال معرفتهم، خاصة في زمن نزول الكتاب إلى الأرض، فيتأكد الإنسان من صدق الكتاب وصحته، ويؤمن بكل حرف ورد فيه خاصة إذا كان من الذين أوتوا العلم والمعرفة فيؤمن بالله من جديد حتى من بعد كفر:

﴿وليعلمَ الذينَ أوتوا العلمَ أنه الحقُّ من ربِّكَ فيؤمنوا به﴾ ٥٤ - الحج.

وأنباء القرآن في العلوم كثيرة ومتنوعة حيث ذكر الله تعالى في القصص أنباء كل شعوب الأرض من الأمم التي سادت واستكبرت ثم بادت.

وأنباء عن الخلق، كيف بدأ، وكيف تطور، وأنباء عن الكون وكيف تشكل أساساً من دخان، وذكر لنا حقائق كثيرة عن الأرض والأفلاك والكواكب والنجوم، وذكر لنا حقائق عن الأرض مثل كرويتها وكون داخلها سائلاً، ترسو فيه الجبال مثل مراسي السفن لتثبيت القشرة الأرضية أمام الزلازل العظيمة التي تمنع الحياة والعمران، وحقائق عن الماء وكيف أنه سبحانه أتى به من مكان ما ولم يكن على الأرض قبلها، فخلق الله الحياة بعدها على الأرض التي كانت ميتة، وحقائق عن الحديد وإحضاره من مكان مافي السماء للأرض، وحقائق عن تطور الإنسان والمخلوقات بدءاً من خلية، وحقائق عن الأجنة وتطورها في رحم الأمهات من مخلوقاته، وكيف أن كل جنين يمرره سبحانه على مبدأ قانون الخلق والإعادة، بإعادة تاريخه السحيق مذ كان خلية واحدة إلى أن تطور وأصبح كائناً كاملاً، ماراً بجميع مراحل تطوره الذي حصل سابقاً في ملايين السنين؛ وأنباء عن اختيار الله للإنسان دون باقي مخلوقاته، وتمييزه عنهم بالإرادة

والفكر واللغة والقدرة على التعلم بالقراءة والكتابة، ثم حمّله سبحانه الأمانة بأن منحه حرية الاختيار، وحمّله مسؤولية ذلك بعد أن أرسل له الرسل ليبنوا له ازدواجية الكون الذي يعيش فيه، وأن الخير من الله تعالى، والشر هو من أنفسنا ومن الشيطان بإذن الله. ويريد الله سبحانه أن يختار الإنسان بينهما عن إدراك وعقل، ويحب له أن يختار الخير ويتجه إليه بحريته دون إكراه عليه، وأن يدير ظهره للشر أيضاً دون أن يمنعه أحد إلا نفسه.

﴿وقُل الحقٌّ من ربّكم فمَن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

فسبحانه رغّبه في الأولى وتوعّده في الثانية، والإنسان حرّ بعد ذلك وهو الذي يتحمل مسؤولية قراره وحده، إما شاكراً وإما كفوراً.

وكتاب الله لم يترك صغيرة أو كبيرة من الأمور التي تهم المسلمين في حياتهم كلها إلا وذكرها، لذلك فهو كتاب شامل كامل، يحوي كل شيء يهم الإنسان، رغم أن علماءنا السابقين لم يفهموه لإشراكهم دون علم بالأشياء، مع نهي الله تعالى عن أن نشرك به شيئاً.

﴿ما فَرَّطنا في الكتاب من شيءٍ﴾ ٣٨ ـ الأنعام.

﴿ألا نعبُدَإلاّ الله ولانُشرِك بِهِ شيئاً﴾ ٦٤ ـ آل عمران.

فهجروا كتاب الله لظنّهم أن لاعلم في القرآن، وأن العلوم في الكتب التي أشركوا بها مع كتاب الله، وهي أشياء كثيرة وليست شيئاً واحداً.

﴿ثمّ لم تَكُن فتنتُهُم إلاّ أن قالوا والله ربّنا ماكنّا مشركين * انظر كيفَ كذّبوا على أنفسِهِم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون﴾ ٢٣ ـ ٢٤ ـ الأنعام.

لكن الله تعالى يعاقب المشرك فوراً في الأرض ويمنع عنه نوره وفهم الحقائق لظلمه نفسه بالإشراك بالله، ولو بحديث مع حديث الله، فالحديث شيء من الأشياء، فيقول سبحانه:

﴿ومنهم من يستمع إليك، وجعلنا على قلوبِهم أكنّةً أن يفقهوهُ وفي أذانِهم وَقراً وإنْ يَرَوا كلّ آيةٍ لايُؤمِنوا بها﴾ ٢٥ ـ الأنعام.

وللذين سيقفون أمام الله منهم قائلين: ﴿والله ربّنا ماكنّا مشركين﴾، سوف يَرُدُّ عليهم ربهم قائلاً:

ألم تشركوا بكتابي كتباً أخرى؟ وقلتم كتاب الله وكتاب الحكمة!
ألم تشركوا بوحيي وحياً آخر؟ وقلتم كل مانطق به الرسول ﷺ وحيٌ!
ألم تشركوا بسنني سنَّةً أخرى؟ وقلتم سنة الله وسنة رسوله!
ألم تشركوا بحديثي حديثاً آخر؟ وقلتم حديث الله وحديث الرسول!
ألم تشركوا بشفاعتي شفاعةً أخرى؟ وقلتم شفاعة الله وشفاعة محمد ﷺ!
ألم تشركوا الرسول وجعلتموه شريكاً لي في الغيب رغم قولي لكم صراحة وعلى لسان الرسول:

﴿قل لايعلَمُ مَن في السّمواتِ والأرضِ الغيبَ إلا الله﴾ ٦٥ ـ النمل.

فجعلتم الرسول شريكاً لي في الغيب والعرش والكرسي، ومفاتيح خزائن الله؟ ماذا سيقول عندها العلماء؟ عندما سيكتشفون أنه لم يكن هناك هديٌ للرسول مع هدي الله، ولا وحي مع وحي الله، ولا معجزات مع معجزات الله، ولاشفاعة إلا لله، إن آيات الله في كتابه واضحة وصريحة، لا لبسَ فيها ولا غموض، يستطيع أن يراها ويفهمها كل من آمن قلبه ولم يدنسه بإشراك ولو بالأشياء، مثل التي ذكرتها، أما الذين أوقعوا أنفسهم في الشرك فإنهم لن يروا أبداً نور الله ولا هديه ولا صراطه جزاء وفاقاً من الله تعالى وهو أحكم الحاكمين. لذا فإن الله تعالى سوف يضع أكنَّةً ـ وهي الحواجز والموانع ـ على عقولهم، ليمنع عنهم رؤية الحق والحقائق، ويمنع عنهم الخير طالما اختاروا الشِّركَ بالله حتى ولو توهم أحدهم أنه أصبح أعلم العلماء، وزهد بالدنيا وعذب نفسه فيها متوهماً أنه يرضي الله وهو إنما يرضي الشيطان.

كذلك فإن الآية تقول لهم: حتى لو حاولتم الاستماع للقرآن وآياته فلن يُدخلَ الله في أسماعهم الحق ولا الحقائق عن نور الله الذي حرموا أنفسهم منه بالإشراك بالله.

والله تعالى يعلم أن هذه المصيبة عامة وشاملة في المؤمنين وليس في الكفار، حيث يقول:

﴿ومايؤمِنُ أكثرُهم باللهِ إلّا وهُمْ مشرِكون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

والله تعالى يشهد في كتابه (القرآن) أنه اختار رسوله (محمداً) أمياً، حتى لايتقول أحد عليه بأشياء غير التي ورد ذكرها في كتاب الله.

﴿وماكنتَ تتلو من قَبلِهِ من كتابٍ ولا تَخُطُّهُ بيمينِكَ﴾ ٤٨ ـ العنكبوت.

وهذا إقرار من الله تعالى بأمية الرسول ﷺ قبل الرسالة ووقت نزولها، لكن ذلك لم يمنع بعض أعداء المسلمين من التقول عليه بأنه يستنسخ من كتب أهل الكتاب قصصهم وأساطيرهم، ولو أن الله تعالى علَّم الرسول علماً أو علمه التوراة والإنجيل لأقرّ بذلك في كتابه، وأخبر به العالمين، كما فعل مع الرسول عيسى عليه السلام عندما قال:

﴿إذ قالَ الله ياعيسى بنَ مريم اذكر نِعمتي عليكَ وعلى والدتِكَ إذ أيّدتُكَ بروحِ القدسِ تُكلِمُ الناسَ في المهدِ وكَهلاً، وإذ علّمتُكَ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ﴾ ١١٠ ـ المائدة.

إذاً فعلمُ محمد ﷺ مقصورٌ على مافي القرآن الذي هو رسالة الله للعالمين، وهو أصلاً مُكلَّفٌ بتبليغ تلك الرسالة وحدها للناس دون أي كتاب آخر. وقد برهنت للجميع في هذا الكتاب أن القرآن يحوي بذاته كتابين لايمكن فصلهما عضوياً لكنهما موجودان في المصحف الكريم الذي ندعوه كتاب الله أو القرآن بإطلاق اسم الجزء على الكل، كما نقول مصر عن القاهرة ونقول الشام عن دمشق.

والجزء الأول من الكتاب هو القرآن وهو الذي يحوي على كل الإعجازات والآيات، من عددية وعلمية وتاريخية، والجزء الثاني من الكتاب هو الذي يدعوه الله بأمّ الكتاب، وأحياناً بالحكمة أو آيات الحكمة أو الأحكام أو الفرقان، وهو الجزء الذي يحوي على الرسالة من افعل كذا ولاتفعل كذا، حيث الحلال والحرام والعبادات، والصراط المستقيم الذي هو الفرقان، وهو الوصايا العشرة، وفيه الكبار العشرة، ووصايا المتقين، وحدود الله وشرعه، وأحكامه في مختلف أمور المسلمين وشؤونهم، والذي هو في الحقيقة دين الرحمن ورسالة الإسلام.

إذاً فكل الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم والتي برهنت لكم في هذا الكتاب أنها غالباً ماتناقض كتاب الله، كما تناقض بعضها أحياناً، مصادرُ إغلبها من التوراة والإنجيل المحرّفتين، مع عدم وجود مايشهد لها في كتاب الله، علماً أن كل الأحاديث التي تناولت بحثها فقط من الصحيحين، (صحيح البخاري وصحيح مسلم).

وسوف أضرب لكم الآن على هذا مثالين من صحيح البخاري:

لقد لاحظت أثناء دراستي للأحاديث في الصحيحين، أن أغلب الأحاديث التي مصدرها من التوراة المحرفة منسوبة لأبي هريرة، وسأختار حديثاً واحداً منها بعد الحديث التالي:

الحديث رقم (١١٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قالت: يارسول الله،

إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: «ابسط رداءك».

فبسطته. قال فغرف بيديه ثم قال: «ضُمَّهُ» فضَمَمتُهُ، فما نسيت شيئاً بعده إلى الآن بعض بسطاء المسلمين يؤمنون أن هذه معجزة من الرسول حدثت فقط بين الرسول الكريم وأبي هريرة وحدهما، ولم يشاركهما هذه المعجزة أحد سواهما.

علماً أن أبا هريرة نفسه قد يكون بريئاً من الحديث، والله أعلم، وقد يكون أحد رواة الحديث هو الذي لفقه عليه. والمثال الذي اخترته من احاديث التوراة هو الحديث التالي:

الحديث رقم (٣٣٥٦) من صحيح البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اخْتَتَنَ إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم»..

إذا بحثنا في كتاب الله الذي هو القرآن فلن نجد مايدعم ويشهد لحديث أبي هريرة. ولكننا إذا بحثنا في كتاب التوراة المحرفة سنجد مايلي:

(وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره عندما خُتِنَ في لحم غُرْلَتِهِ)(*). والغُرْلَةُ هو ما يقصّ عند الاختتان. ويسميه أهل السُنَّة الطهور.

الآن لنفرض أن الله تعالى يحاكم أبا هريرة يوم القيامة ويسأله هل أنت صاحب هذا الحديث يا أبا هريرة؟

الحقيقة هناك احتمالان لاثالث لهما:

الاحتمال الأول: أن يكون بريئاً منه ولم يسمع به في حياته كلها، والله تعالى يعلم ذلك حتى من قبل أبي هريرة، لذلك فلن يسأله لعلمه سلفاً بأنه بريء.

الاحتمال الثاني: أن يكون هو فعلاً صاحب الحديث فسوف يجيب حتماً عندها:

نعم يارب العالمين أنا صاحب الحديث. فيسأله الله تعالى:

لماذا كذبت على رسول الله وقلت عليه مالم يقل؟ وهنا سيدافع عن نفسه ويقول:

إني قرأت هذا في كتاب الله وهو التوراة، وقد قاله رسول الله وهو إبراهيم عليه السلام، فأنا لم آت من عندي بجديد، ولم أكذب على الله ولا على الرسول، فأنا لم أقل: إن

(*) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ١٧ ـ الفقرة ٢٤.

الذي قاله هو رسول الله محمد ﷺ وإنما قلت للناس: قال رسول الله، دون تحديد أو تعيين اسم الرسول. هل تظنون أن هذا الدفاع سوف يبرىء أبا هريرة وأمثاله من عقاب الله؟ إن الله تعالى يعلم بالسرائر، ويعلم ماتخفي الصدور، ويعلم الكاذب والمنافق، ويميز مَن الصادق المؤمن، لكن الشيطان هو الذي يسهل على العباد معصية الله بأساليب ملتوية، فيُحسِّنُ في عين العبد القبيح فيستحسنه لهوىً في نفسه.

وهذا ماحصل لكثير من المسلمين وغير المسلمين من الناس على هذه الأرض في قصة طويلة لصراع الإنسان بين الخير والشر، أو تجاذب نفسه وأهوائه وشهواته بين الرحمن والشيطان.

فإن دل هذا المثال على شيء فعلى ماذا يدل؟

يدل على أنها تحريفات من جنود السلطان، اشترك فيها خيالهم مع كتب أهل الكتاب الأخرى من توراة وإنجيل، وكلها ليست من علوم المسلمين، بدليل أن الرسول محمد ﷺ لايمكن أن يقول مايناقض رسالته التي أتى بها، وبلغها بأمانة مطلقة.

لايمكن للرسول محمد ﷺ أن يعصي الله فيما أمر به في الرسالة نفسها، كأن يأخذ من كتب أهل الكتاب لأنها قد حرفت وضربت لكم في هذا الكتاب أمثلة تبرهن للجميع تحريفها.

فكيف يمكن أن نتصور الرسول الأمين محمد ﷺ وهو مطلق الأمانة في تبليغ القرآن الذي يشهد الآن في الأعجاز العددي أنه بُلِّغَ بالحرف دون زيادة أو نقصان. كيف يمكن أن نتصور الرسول الكريم الذي بلغ تلك الدرجة من الأمانة، يتحول فجأة، ويقول أقوالاً ويتحدث بأحاديث تناقض الرسالة التي قام بتبليغها.

هذا مرفوض عقلاً ومنطقاً، ولايهمنا السندُ طالما تبيّن أنه المتن ليس من الله ولايطابق كلام الله. وما أحاديث الإمامين بخاري ومسلم - رحمهما الله - في هذا المقام إلا كأحاديث آخرى اعترف العلماء بأنها موضوعة، دون أن تكون لديهم الجرأة الكافية لقول الحق، كما قالها الله إنها مفتراة ومكذوبة عى الله والرسول والمؤمنين معاً.وقد يأتينا أحد من المسلمين، الذين تفهموا حقيقة الموضوع المطروح أمامنا، ليطرح الحل التالي كاقتراحٍ شافٍ وحلٍ عادلٍ.

لماذا لايجتمع علماء المسلمين ليدرسوا أحاديث البخاري ومسلم من جديد ويعرضوها على آيات الله في القرآن الكريم، فما طابق منها كتاب الله أخذوه، وما ناقضَ صريح

آياته محوه من الكتاب.

قد يظن بعض الناس أن هذا الحلّ هو الشافي لما نحن فيه اليوم نتيجة التناقض الحاصل بين كثير من الأحاديث في الصحيحين مع آيات القرآن. لكن مع الأسف لن يكون هذا الحل شافياً ولا نافعاً للأسباب التالية:

أولاً: لأننا لم نتوقف عن الإشراك، فما زلنا نشرك بالله وبكتابه أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان.

ثانياً: كتاب الله تعالى كتابٌ حيٌّ يتجدد مع كل زمانٍ ومكانٍ أما أحاديث الرسول الكريم حتى وإن كانت منه فعلاً ولاتناقض روح الإيمان والإسلام فهي كانت تشكل فهم الرسول الخاص والمحدود بإنسانيته بالزمان (القرن السابع الميلادي) والمكان (الجزيرة العربية).

لذلك فهي لاتصلح بعده لكل زمانٍ ومكانٍ مثل القرآن أبداً. وقيمة أحاديثه لاتزيد عن القيمة التاريخية والتراثية وليس لها قوة القانون والسنة أو الدستور مثل آيات القرآن وهذا ما يميز آيات الله التي فيها إعجازات بذاتها عن كلام الناس حتى ولو كانوا رسلاً. فهي ليست آيات وهي خالية من أي إعجاز كان.

ثالثاً: إننا اليوم في عصر بداية العلم ولسنا في عصر نهايته، وقد انكشف لنا تناقض كل تلك الأحاديث مع آيات القرآن الكريم، ماذا سيحدث بعد عشرات آخرى من السنين من الآن؟ عندما يعلم الإنسان من ربه علوماً وتنكشف أسرار أخرى من كتاب الله لم يكن يعرفها اليوم يكتشف تناقض أحاديث أخرى من التي قبلناها نحن اليوم في عصرنا لعدم قدرتنا على الحكم عليها بدقة العالم العارف لمحدودية علمنا ومعارفنا.

وسوف يعود شبابنا من أبنائنا وأحفادنا للشك في دين الله من جديد، ويقولون كيف يمكننا أن نؤمن بدينٍ يناقض العلم والمنطق، فالله أعلم وأعرف من البشر ويجب أن يسبق علمه ومعرفته علم البشر ومعرفتهم، وهذا تماماً مانجده في كتاب واحد هو القرآن، أما مانجده في الحديث فهو غير مقبول أبداً، فكيف يكون من الله؟وهذا هو منطق الله في كتاب (القرآن) يتماشى مع العقل والمنطق الإنساني دائماً ولا يناقضه أبداً؟

إذاً: فلابد لنا أن نفعل مافعله الرسول الكريم وصحابته منذ البداية، وهو أن نطيع أمر الرسول الدائم الذي برهنت على صحته من خلال التزام صحابته، وإطاعة الرسول واجب على كل المسلمين المؤمنين برسالته، (من كتب عني غير القرآن فليمحه) عن أبي

سعيد الخدري في الصحيحين:

ونفعل جميعاً مافعل الصديق والفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً، وننسى كل ما عندنا من أحاديث ننسبها للرسول محمد ﷺ ونقول عنها إنها وحيٌ من الله، ونفسر ونؤول عن طريقها وبواسطتها آيات الله حتى تصبح بعد ذلك لاتنفع إلاّ أصحاب الأغراض والأهداف والمصالح في ديننا. وإذا اقتدينا بأبي بكر الصديق ورفاقه من الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم نكون قد حصّنّا ديننا ومنعنا دخول الظن والوهم إليه من جديد، وتوقفنا عن الإشراك بالله أي شيء، سواء كان كتاباً أو حديثاً أو سنةً أو اعتقاداً بالشفاعة أو مانرويه بالظن عن الإسراء والمعراج أو غيره، وكل مصادرنا فيه هو رؤيا يوحنا في العهد الجديد، ورؤيا حزقيال في كتاب العهد القديم من كتب أهل الكتاب، وماتفتق عنه خيال الرواة، فنرفض مارفضه القرآن، ونقبل ماقبل به ووردت فيه شهادة القبول من الله رب العالمين، هذا هو الطريق الوحيد المستقيم لكي نعود مسلمين مؤمنين موحّدين بلا إشراك، ونؤمن أن حديث الرسول الصحيح هو ماقاله الرسول بلسانه، وهو يبلغ لأول مرة كتاب الله وآياته البينات، لأن هذا الكتاب لم ينزل إلى الناس في قرطاس؛ وإنما وصلنا عن طريق لسانه، وصحة القرآن اليوم دليل على صدق الرسول الكريم في كل مابلَّغ بالحرف، وطاعتنا لله مربوطة مع طاعة الرسول، لأن القرآن مرتبط بالرسول محمد ﷺ وبأمانته أصلاً.

هذا هو الفهم الجديد الذي يجب أن يفهمه من يحب أن يدرك ويفهم أحاديث الرسول الصحيحة، فهي كلها من النموذج التالي:

﴿يا أيّها الناسُ كُلوا ممّا في الأرض حَلالاً طيّباً﴾ ١٦٨ - البقرة.

﴿يا أيّها الناسُ اتّقوا ربَّكم الذي خَلَقَكُم من نَفسٍ واحدةٍ﴾ ١ - النساء.

﴿يا أيّها الذينَ آمنوا أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكم﴾ ٥٩ - النساء.

يجب على كل المسلمين أن يتفهّموا أن طاعة الله أو رسوله أو أولي الأمر لايمكن أن تكون خارج طاعة الله أبداً؛ بل من خلال فهمنا للرسالة فقط، وفهم الرسالة لايمكن أن يحصل للإنسان إلاّ من خلال كتاب الله وحده، وكل من يحاول أن يربط ذلك الفهم بمصادر آخرى فله غاية ومصلحة أن لانفهم رسالة الله أصلاً، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله الذي نجد أوامره ونواهيه كاملةً مفهومة في كتاب واحد هو كتاب الإسلام الكامل، والذي لم يحرّفه إنسٌ ولا جان بعد:

﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأَتممتُ عليكم نِعمتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾ ٣ - المائدة.

وكذلك عندنا كل الآيات المسبوقة بـ (قل) هي أوامر من الله وأجوبة منه سبحانه يقولها الرسول بلسانه للناس من بعده، جواباً على أسئلة طرحها الناس على الرسول، والدليل دائماً في القرآن حيث نجد عدد كلمات (قل) في كل القرآن تساوي ٣٣٢ مرة، وكذلك إذا أحصينا عدد كلمات قالوا: نجدها أيضاً تساوي ٣٣٢ مرة دون زيادة أو نقصان.

﴿قالوا ادعُ لنا ربَّك يبيّن لنا ماهي﴾ ٦٨ - البقرة.

﴿قالوا ادعُ لنا ربَّك يبيّن لنا مالونُها﴾ ٦٩ - البقرة.

﴿قالوا لن تَمَسّنا النارُ إلاّ أياماً معدودةً﴾ ٨٠ - البقرة.

ثم نجد مقابلها آياتٍ آخرى تقول:

﴿قل فَلِمَ تَقتلونَ أنبياء الله مِن قَبلُ إن كنتُم مؤمنين﴾ ٩١ - البقرة.

﴿قل أأنتم أَعلَمُ أم الله﴾ ١٤٠ - البقرة.

﴿قل إن تُخفوا مافي صدورِكُم أو تُبدوهُ يَعلَمُه الله﴾ ٢٩ - آل عمران.

وكما نجد آيات آخرى بأسلوب آخر تقول:

﴿يَسئلونك عن الأَهِلّةِ قُل هي مواقيتُ للنّاسِ والحجّ﴾ ١٨٩ - البقرة.

﴿يسئلونَكَ عن الخمرِ والميسرِ قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ وإثمُهما أكبرُ من نفعِهما﴾ ٢١٩ - البقرة.

﴿يسئلونَكَ عن المَحيضِ قل هو أذىً فاعتزِلوا النساء في المَحيضِ﴾ ٢٢٢ - البقرة.

وهكذا من يبحث عن أحاديث الرسول الصحيحة سوف يفاجأ أنها موجودة فقط في صحيح واحد هو صحيح الله، وليس في أي صحيح آخر مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وبما أن الله تعالى يعلم أن الذين سيحرفون الناس من شياطين الإنس هم أهل الكتاب بالذات فقد قال سبحانه لرسوله متنبئاً ومبلّغاً كلّ المسلمين من بعده:

﴿ولَن ترضى عنكَ اليهودُ ولا النصارى حتى تتّبِعَ مِلَّتَهُم قل إنّ هُدى الله هو الهُدى ولَئِن اتَّبعتَ أهواءهُم بعدَ الذي جاءكَ من العلمِ مالكَ من الله مِن وليٍّ ولا نصيرٍ﴾ ١٢٠ - البقرة.

ومانحن عليه اليوم هو اتباعٌ لأهوائهم، وإذا لم نترك تلك الأهواء، ماذا يقول الله لنا صراحة؟:

﴿مالكَ من الله من وليٍّ ولا نصيرٍ﴾

أليست هذه هي حقيقتنا في كل يوم بعد أن تركنا ولاية الله؟ إذ لم يبق لنا بعده من ولي ولا نصير ونحن أضعف خلق الله في الأرض، مع كوننا أكثرهم عدداً. وهذا هو غضب الله، وتلك من علامات ذلك الغضب، وصارت ظاهرة بادية للعيان لكل من له بصر أو بصيرة.

هكذا نكون قد علمنا أن كل حديث، ماعدا حديث الله في القرآن، هو حديث مكذوب على الله ورسوله، وكل من يقول بحديث آخر مع حديث الله، يشرك بالله شيئاً هو الحديث، ويكفي أن نعلم أن الرسول الكريم عندما طلب منه الصحابة أن يحدثهم نَزَّل الله الوحي عليه قائلاً لجميع المسلمين في الأرض وإلى يوم القيامة:

﴿الله نزَّلَ أحسنَ الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تَقشَعِرُّ منه جلودُ الذين يَخشَونَ ربَّهم ثم تلينُ جلودُهُم وقلوبُهم إلى ذكرِ الله ذلك هدى الله يهدي بِهِ من يشاء ومَن يُضلِلِ الله فمالَهُ من هادٍ﴾ ٢٣ ـ الزمر.

هذه الآية الكريمة نزلها الله جواباً لكل من يدعي وجود حديث آخر للرسول ﷺ، أو هدي آخر للرسول الكريم غير حديث الله تعالى وهديه، في كتابه المبين.

وأكد الله سبحانه على موضوع الحديث قائلاً:

﴿فبأيِّ حديثٍ بعدَهُ يؤمنون﴾ ١٨٥ ـ الأعراف.

﴿تلكَ آياتُ الله نتلوها عليكَ بالحقّ فبأيِّ حديثٍ بعدَ الله وآياتِهِ يُؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

هذه الآيات لايراها ولايفهمها مشركو اليوم في الكتاب، لماذا؟

لأن الله تعالى قد أعشى بصيرتهم وأغلق عقولهم، ولو عادوا فوجدوا الله كما كان الرسول الكريم وصحبه يفعلون؛ لعرفوا وفهموا معاني تلك الآيات الكريمة، لكن الله يعلم وتنبأ بما سيقوله المشركون منّا سلفاً فخاطبهم قائلاً:

﴿ويلٌ لكلِّ أَفّاكٍ أثيم﴾ ٧ ـ الجاثية.

ومن هو الأفاك الأثيم؟ إنه الذي كذّب وافترى على الله والرسول والمؤمنين، وافترى

الأحاديث الكاذبة، ثم قال عنها إنها وحي من الله ومن السماء يجب أن لانخاف على شعور هؤلاء الخائنين الكاذبين فنقول عنهم واضعي الأحاديث، ونحن نعلم أنهم قد خانوا الله والرسول، وألّفوا الأكاذيب لتضليل الأمة عن الحق.

براءة من الله تعالى لرسوله الكريم:

وشهادة منه سبحانه على أن رسوله الكريم محمد ﷺ بريئ من كل الأحاديث المتناقضة والمناقضة لكتاب الله والتي ستظهر في مستقبل المسلمين.

فالله تعالى الذي يعلم الغيب كله ومنه علمه بالمستقبل نتيجة علمه الكلي وما كان يراه ويعلمه من وجود مكذبين ومنافقين بين صفوف المؤمنين. كان يعلم أن فئة من المسلمين سوف تقول على الله غير الحق وتبدل كلام الله كما حدث ذلك في الرسالات السابقة كلها من قبل الملأ بدليل قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿فَبَدَّلَ الذين ظَلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾ ١٦٢ ـ الأعراف.

وقد ظهرت فئة بين المسلمين حتى في عصر الرسول تريد أن تبدل كلام الله بدليل قوله تعالى:

﴿سيقول المخلفون إذا انطلقْتُم إلى مغانم لِتَأخذوها ذَرُونا نتبعْكُم يريدون أن يبدّلوا كلامَ اللّهِ﴾ ١٥ ـ الفتح.

والذين لايؤمنون بالآخرة من الأغنياء والمتنفّذين قالوها علناً للرسول؛ إن مافي القرآن لايعجبهم، فهم يريدون غير هذا، القرآن وغير هذا الشرع:

﴿وإذ تُتْلى عَليهم آياتُنا بيناتٍ قال الذينَ لايرجونَ لقاءَنا ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّله﴾ ١٥ ـ يونس.

ولعلم الله تعالى أن المسلمين سوف يتقولون أحاديث غير حديث الله الذي في القرآن قال سبحانه:

﴿فبأيِّ حديثٍ بعدَ اللّهِ وآياتِه يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

وعندما قال بعض المسلمين للرسول: حدثنا يا رسول الله، أنزل سبحانه عليه الآية الكريمة التالية ليقطع الطريق على كل المتقوّلين:

﴿اللّهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعرُ منه جلودُ الذين يخشونَ ربَّهم ثم تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله .·. ذلكَ هُدى اللهِ يَهدي بِهِ من يَشاء .·. ومن يُضلِلِ اللهُ فما له من هادٍ﴾ ٢٣ ـ الزمر.

وهذه الآية دليل على أن الذي يتبع أحاديث القرآن هو وحده الذي هداه الله، وكل من يتبع أحاديث أخرى فقد ضل سواء السبيل، والذي يريد هدي الله عليه العودة إلى أحسن الحديث، تاركاً أحاديث السلطان. ورب العالمين حتى يبرهن للناس في مستقبل الإسلام للباحثين عن الحقيقة الضائعة أصدر سبحانه براءة الرسول سلفاً لهؤلاء الباحثين في آيات الله مؤكداً أن القرآن وحده هو قول الرسول، وهو حفظ حديثه الذي لاحديث بعده في الإسلام:

﴿إنّه لَقَولُ رسولٍ كريم * وماهو بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون﴾ فالله تعالى يؤكد في سورة الحاقة أن هذه هي فقط أقوال الرسول وحديثه، والرسول الأمين لم يتقول على الله غيرها أبداً، وهذه كما ترون ليست بأقوال شاعر.

ثم يؤكد سبحانه في الآية التي بعدها أنها ليست أيضاً من أقوال الكهان والرهبان، مشيراً سبحانه لأقوال الناس، أن الراهب بحيرة هو الذي علم القرآن لمحمد. (ولابقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكرون)

إذاً فمن أين أتتنا هذه الآيات وهذه الأقوال التي قالها أول مرة رسول الإسلام؟ هي كلها: ﴿تنزيلٌ من ربِّ العالمين﴾.

أنزلها سبحانه على رسوله وَحْيَاً من السماء.

لكن الله تعالى يعلم أن كثيراً من الناس سوف يؤمنون بأحاديث أخرى يفتريها جنود السلاطين، فيقول تعالى مبرّئاً رسوله منه كلها:

إنه لو فكر الرسول يوماً بأن يتقول لوحده على الله ودون إذن منه سبحانه وتعالى لأخذ به ربه باليمين، وقطع له شريان قلبه الذي يغذي الراس وهو الشريان الذي يقطع عادة في المخلوق عندما يذبح، واسمه الوتين، يقول سبحانه لو فعل الرسول هذا لذبحه ذبح النعاج أمام الناس، ثم يقول سبحانه مخاطباً الناس إنه عندها لن يستطيع أحد من الحاضرين أن يمنع الله ويحجز عنه محمداً.

﴿ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل * لأخذْنا منه باليمين * ثمَّ لَقَطْعنا منه الوَتين * فما منكم

من أحدٍ عنه حاجزين﴾ ثم يعود سبحانه ليقول بعدها: إنه يعلم أن رسوله كريم وأمين ولن يفعل ذلك أبداً مع الله، ولن يفكر فيه، لكن هناك شياطين من الإنس من بين المؤمنين هم الذين سوف يفعلون ذلك مستقبلاً.

قالها تعالى تذكرة لنا جميعاً لأنه يعلم أن من بين الذين ادعوا الإسلام والإيمان كثيراً من المنافقين والمكذبين، الذين افتروا على الله وعلى الرسول وألفوا مفتريات كثيرة زعموا أنها وحي آخر من الله. وهذا هو حق اليقين الذي يجب على كل مسلم في العالم أن يعلمه اليوم من الله ومن كتابه. فسبحوا أيها المسلمون والمؤمنون باسم ربكم العظيم واعلموا ببراءة رسولكم الأمين من كل تهم الشياطين بأنه أوجد حديثاً مع حديث الله، أو سنة مع سنة الله، أو هدياً مع هدي الله، أو كتاباً مع كتاب الله، أو شفاعة مع شفاعة الله، أو أنه تقوّل من عنده بمعلومات زيادة عن الذي نجده في كتاب الرحمن بكلمة واحدة من غيب الله. كلها من مفتريات شياطين الإنس الآخرين الذي أخذوها من كتب أهل الكتاب المحرفة التي منع الله ورسوله الأخذ منها وعنها.

﴿وإنه لتذكرةٌ للمتّقين * وإنّا لَنَعْلَمُ أنّ منكم مكذّبين * وإنّه لحسْرةٌ على الكافرين * وإنّه لحقُّ اليقين * فَسَبِّحْ باسمِ رَبِّكَ العظيم﴾ ٤٠ - ٥٢ - الحاقة.

وهكذا استمعنا إلى آيات براءة الرسول من كذب المكذبين لنعلّمَهُ لأبنائنا وبناتنا، حتى لايؤمنوا بعد اليوم بكتابين ولابحديثين ولابسنّتين ولا بهديين ولا بشفاعتين ولا بعلم الغيب إلا لله. حتى ننقذهم وأنفسنا من نار الله الكبرى، أفلا نتبصر لنرى الحقيقة أمامنا؟

بعد ذلك لنقرأ ماذا ينتظر الذين افتروا على الله والرسول.

﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشْتَرُوا به ثمناً قليلاً ∴ فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾ ٧٩ - البقرة.

وظن بعضهم وهم يفعلون ذلك أنهم سوف يخلصون بالتوبة قبل الموت أو أن الله تعالى لن يحرقهم في النار كثيراً. تلك كانت أمانيهم فيقول الله تعالى لهم الحقيقة المرة:

﴿وقالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أياماً معدودة قل أإتخذتم عند اللهِ عهداً فلن يخلفَ اللهُ وعده ∴ أم تقولون على الله ما لاتعملون﴾

صدق الله العظيم.

الفصل الثالث والثلاثون

الكذب آفة دين السلطان وشعاره

يعتبر الكذب أكبر الأمراض الاجتماعية التي يمكن أن تصيب المجتمعات الإنسانية.

وإذا انتشر في أمة وعمّ، فُقدت الثقة والمحبة والرحمة بين أفرادها، وزادت تفرقاً وانفصالاً، مع أن الله تعالى خلق الإنسان ليعيش ضمن مجتمعات متكاملة، بحيث تكون وحدة منسجمة، شكلاً ولغة وتاريخاً مشتركاً، وآمالاً وطموحات مشتركة، بحيث تجعلهم مجموعة منسجمة تعمل إلى هدف واحد، وتنمو وتقوى بين باقي الشعوب، بما يظهر منها لباقي الأمم من صناعاتها المتقدمة وقوتها عسكرياً، بحيث تكون قادرة على الدفاع عن نفسها ضد من يفكر باحتلالها أو استعمارها من الأمم الأخرى، فيخشى جانبها الأعداء، ويخطب ودها الأصدقاء.

ولكن إذا ماانتشر مرض الكذب فيما بين تلك الأمة القوية فرط عقدها، وفقدت عرى المحبة فيما بين أفرادها، وبدت كتلة كبيرة الحجم هشّة من الداخل لاقوة فيها ولا عزم أبدًا.

حتى ضمن العائلة الواحدة نجد الكراهية والبغضاء تنتشر بين الأخوة ومن ثم بين الأقارب من أبناء العم أنفسهم، مما يسهل على أصحاب النفوس الشيطانية استغلالهم والاستفادة من الوضع القائم على الكراهية والغيرة والحسد والبغضاء بين الجميع.

والأمثال الدارجة بينهم تعطيك فكرة موسعة عن القوانين والشرائع المطبقة بينهم، كأن تجد مثلاً (اتّق شرّ من أحسنت إليه)، حتى لاتتشجع في أن تحسن إلى أحد أبداً كلّما تذكّرت مثل تلك الأمثال الكثيرة والمنتشرة بين الناس، بينما تجد مثلاً ـ وأنا أتكلم عن المسلمين ـ يذهبون إلى المساجد كل يوم جمعة، وإذا كان الإمام الخطيب من المتألمين جرّاء الأوضاع القائمة، وتحدث عن الصدق ومنافعه بين الناس ودعوة الرسول والله إليه في القرآن الكريم، تجد الناس يتثاءبون وهم ينظرون إلى ساعاتهم ويريدون من الإمام أن يختصر حتى ينتهوا من تلك الخطبة الغليظة على قلوبهم، وإذا فكرت ملياً في الموضوع

تعذرهم لأن مايقوله الإمام مجرد كلام نظري لايطبقه أحد في المجتمع.

هل تظن أن حال المسلمين اليوم تحول إلى هذا الشكل، هكذا فجأة، دون تخطيط وتعب من شياطين الإنس الذين أزالوا كل مايتعلق بالقرآن والإسلام الذي يمكن أن تقول عنه إسلام الرحمن، والذي أسميه الآن دين السلطان؟

من أين يمكنك أن تحكم على أخلاق إنسان؟

طبعاًمما يحمل من مثل ومبادىء ويؤمن بها!

هل تعلمون إذاً أن كل المثل التي نطبقها مأخوذة من مصادر لاتمتُّ إلى ديننا ولا إلى أعرافنا ولا إلى تقاليدنا الإسلامية بصلة إذا ما اعتبرنا القرآن والإسلام مصدر ذلك للمسلمين؟!

سبق أن عرضت عليكم نماذج كثيرة، لكني سأعود لأعرض عليكم بعض النماذج لتعلموا من أين نستمدّ فعلاً عقليتنا ومثلنا وأخلاقنا التي نسميها ظلماً للإسلام بأنها إسلامية، وأين الإسلام وأخلاق القرآن، وأخلاق الرسول، مما سأعرضه عليكم من نماذج متجانسة ومنسجمة فيما بينها وهذا دليل لى أنها كلها من العقلية والمصدر نفسه (الشيطان).

لنعد مرة أخرى إلى التوراة المحرفة، حيث نجد أنبياء يحصلون باستخدام وسائل الكذب والغش والخداع على النبوة.(في قصة النبي إسحق وكيف حصل يعقوب على النبوة التي كانت لأخيه عيسو تجدونها في بحث (هل سمح الرسول محمد ﷺ بالأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرفة) في هذ الكتاب.

أصبحنا نجد مايقابلها في الأحاديث المفتراة باسم الرسول، ومنها ما يلغي الوصايا العشرة الموجودة في كل الأديان:

الحديث رقم (١٢٣٧) من صحيح البخاري: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أتاني آت من ربي فأخبرني ـ أو قال: بشرني ـ أنه من مات من أمتي لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق».

وفي الرواية (٦٤٤٣) يضيف الراوي عليها: «قال: نعم وإن شرب الخمر».

وهكذا فقد ألغى الرواة باسم الرسول وباسم الله أيضاً لأنهم قالوا إن هذه الأحاديث

أيضاً وحي من الله تعالى كل ماورد في القرآن من تعاليم وأخلاق، فصار كما تشاهدون مرتكب الكبائر كلها ولو أضاف فوقها شرب الخمرة، من الذين يستحقون الجنة في دين السلطان، الدين الذي ألفه وأخرجه (شياطين الإنس من الحاقدين والمنافقين).

والحديث السابق تجدونه في صحيح البخاري في تسعة مواضع مختلفة تحت الأرقام: (١٢٣٧ - ١٤٠٨ - ٢٣٨٨ - ٣٢٢٢ - ٥٨٢٧ - ٦٢٦٨ - ٦٤٤٣ - ٦٤٤٤ - ٧٤٨٧) وكذلك في صحيح مسلم.

وكتبت أيضاً فيها نصاً من التوراة (كيف شرب لوط الخمر وزنى بابنتيه وحملتا منه حملاً مباركاً جعل الله منهما أمتين، وهما المؤابيون من البنت الكبرى وأمة بني عمون من البنت الصغرى)، ثم كتبت لكم في بحث (أحاديث نبوية شريفة لتحليل شرب الخمر) مايكفي عن موضوع الخمرة. كما كتبت أيضاً أحاديث أخرى مثل:

الحديث رقم (٥١١٩) من صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة مابينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا تزايدا أو يتتاركا تتاركا».

وحسب هذا الحديث في دين السلطان صار هناك جواز وتحليل للمعاشرة بين الرجل والمرأة لمدة ثلاثة أيام حتى قبل الزواج، وهل هناك تحليل أكبر للزنى من ذلك.

وماذا في أحاديث المتعة:

المتعة هي (الاتفاق المسبق بين الرجل والمرأة على الاستمتاع الجنسي مقابل ثمن يدفعه الرجل نقداً أو عيناً - مع تحديد المدة - ساعة، يوم، شهر، سنة، بحسب الاتفاق ثم ينفصلان، أيضاً بحسب بنود الاتفاق). وهو مانسميه اليوم بالدعارة، ولكن الفرق هنا بتسمية الاستمتاع أو المتعة، أي أن له اسماً ملطفاً مثلاً، الله تعالى يقول عن المواقعة الجنسية في القرآن (الوحي الأول).

﴿أو لامَستُم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا﴾ ٤٣ - النساء.

وإذا تفقدنا الوحي الثاني المزعوم في دين السلطان وجدنا الله تعالى قد غير الأسلوب تماماً:

الحديث رقم (٦٨٢٤) من صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت؟ قال: لايارسول الله قال (الرسول ﷺ): «أنِكتَهَا؟» وهو يسأل ماعز.

ثم نقول هذا وحي من الله تعالى ولا نخجل من أنفسنا!

الحديث رقم (١٤٠٥) من صحيح مسلم (حديث بشهادة راويين معاً)

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا، خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: «إن رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا. يعني متعة النساء».

الحديث رقم (١٤٠٥) الراوية رقم (١٥): حدثنا الحسن الحلواني، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جُرَيج: قال: قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا له المتعة فقال:

«نعم، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر».

هذا إقرار في دين السلطان باسم صحابي جليل وعلى لسانه منسوباً لأشرف خلق الله في الأرض وأصدقهم بأن عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين كان عصراً تُباحُ فيه الدعارة تحت اسم المتعة، وهناك سوف تجدون من يأخذ على خاطره أني أسمي هذا الدين بدين السلطان، ولو كان منصفاً لوجد له اسماً آخر أنسب.

الحديث رقم (١٤٠٦) من صحيح مسلم: عن الربيع بن سيرة الجَهنيِّ، عن أبيه سَبرَة، أنَّه قال: أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة. فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر، كأنها بَكْرَةٌ عَيطاء (أي أنها فَتِيَّةٌ طويلة العنق في اعتدالٍ وحسن قوام) (الشرح من حاشية صحيح مسلم).

فعرضنا عليها أنفسنا، فقالت: ماتعطي؟ فقلت: ردائي، وقال صاحبي: ردائي. وكان رداء صاحبي أجود من ردائي، وكنت أشبّ منه. فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها. وإذا نظرت إليّ أعجبتُها.

ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني فمكثت معها ثلاثاً (ثلاثة أيام).

ثم إن رسول الله ﷺ قال:

«من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فَليُخَلِّ سبيلها».

وكما شاهدتم ليس فيما رويت لكم زواجاً وإنما زنى صريح ومن نوع البغاء الرسمي.

ثم نقول عنهادون أن نخجل من الله تعالى: أحاديث نبوية شريفة ووحي من السماء.

وهكذا: إذا عدنا أيضاً إلى التوراة:

نجد يهوذا بن النبي إسرائيل (يعقوب يزني بزوجة ابنه وتحمل منه وتخلف ولدين توأمين هما زارح وفارص، وهما حسب دعوى التوراة المحرفة أبناء زنى وآباء لأنبياء ورسل بني إسرائيل الذين أتوا من بعدهم، وحدثتكم أيضاً من النبي داوود كيف يعشق زوجة جندي عنده ويمارس معها الزنى فتحمل منه، فيضطر داوود إلى قتل الزوج البريء، وهل تعلمون من يكون ابن الزنى الجديد؟ هو النبي سليمان، هكذا مكتوب في كتبهم المقدسة، التي صارت مصدر إلهام دين السلطان عندنا، نحن المسلمين، ومصدر علم علمائنا كلهم مع الأسف الشديد.

وسليمان ماذا فَعَلَ عندما كبر:

(وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات، فضلاً عن ابنة فرعون، فتزوج نساء مؤابيات وعمونيات، وأدوميات وصيدونيات، وحثيات، وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلاً لهم: «لاتتزوجوا منهم ولا هم منكم لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم» لكن سليمان «عصى ربه» والتصق بهن لفرط محبته لهن، فكانت له سبع مئة زوجة وثلاث مئة محظيّة، فانحرفن بقلبه عن الرب فاستطعن في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة آخرى. فلم يكن قلبه مستقيماًمع الرب إلهه كقلب داوود أبيه، ومالبث أن عبد عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم إله العمونيين البغيض، وارتكب الشرّ في عيني الرب. ولم يَتبَع سبيل الرب بكمال كما فعل أبوه داوود)(*).

وماذا استلهم جنود السلطان من الوحي لدين السلطان مما قرأنا سابقاً تحت باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائه.

الحديث رقم (٥٢٤٢) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داوود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تَلِدُ كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله. فقال له المَلَكُ: قل إن شاء الله، فلم يقل ونَسيَ، فأطاف بهنَّ ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان قال النبي ﷺ:

«لو قال إن شاء الله لم يَحْنَثْ، وكان أرجى لحاجته».

(*) سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ ـ الفقرات ١ ـ ٨.

ثم ماذا أحوت تلك الآية السابقة من وحي الله الثاني على باقي حواريي الرسول الآخرين:

الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ (أي هل كان من ضمن طاقة الرسول كل ذلك؟)

قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين (رجلاً).

ثم نقول عنها إنها وحي من السماء، وننسبها ظلماً وبهتاناً لله وللرسول وللصحابة الكرام، وهي كلها من تأليفات جنود السلطان الحاقدين، ونحن نبدي إعجابنا ونقول وراءهم:

(صدق رسول الله ﷺ) ونصدق كل ذلك البهتان.

التوراة تنسب الكذب للنبي إبراهيم عليه السلام ويجعلون منه الإنسان الجبان المخادع، ويضعونه في موقف مخزٍ لايليق بنبي كريم أمام فرعون الذي وقف أمامه موقف المعلم له ليكون أكثر رجولة وصدقاً، وهذا طبعاً في التوراة التي لانصدق نحن أنها محرفة حتى الآن كمسلمين من أتباع دين السلطان (وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً.

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذَت المرأة إلى بيت فرعون.

فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام فدعا فرعون أبرام وقال: ماهذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك.

خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ماكان له).

فمن هو المخطىء حسب هذه الرواية؟. ومن هو الذي وقف موقف الرجولة؟ ومن الذي

وقف موقف الكاذب المخادع الذي يرى في الغنم والبقر والحمير مغانم تفرح قلبه وزوجته في قصر فرعون ولايعلم ماذا يُفْعل بها؟ ثم نقول عنها نصوص مقدسة ونستلهم منها العلم، حتى صار ديننا كله منه، ومن لايصدق ليقرأ صحيحي البخاري ومسلم خاصة في كتاب أحاديث الأنبياء في صحيح البخاري، إنه نقل مباشر عن التوراة والإنجيل المحرفتين مع إضافة نسب كل ذلك للرسول ﷺ زوراً وبهتاناً.

وماذا نجد في مقابل مارأينا من الوحي الجديد الذي نزل على رواة السلطان:

الحديث رقم (٣٣٥٧) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذِب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاثاً».

فإذا علمنا أن الكذب من الكبائر، فإن إبراهيم ارتكب كبيرة واحدة ثلاث مرات وإذا أحببنا أن نعرف ماهي نجدها في:

الحديث رقم (٣٣٥٨) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال:

«لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات:

اثنتان منها في ذات الله عز وجل: قوله: (إني سقيم) وقوله: (بل فعله كبيركم هذا).

وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال (إبراهيم): أختي، فأتى سارة وقال: ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك، وإنْ هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ. فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك، فدعت الله فأُطْلِقَ. ثم تناولها الثانية فأُخِذَ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأُطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي (أي لإبراهيم) فأومأ بيده: مَهْيا؟ قالت: ردَّ الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمكم يابني ماء السماء»

فصدَّقنا أبو هريرة، أو الراوي الذي يتخفى وراء أبي هريرة إلى اليوم أن هاجر خادمة سارة هي أم إسماعيل ولا علم لنا حقيقة إلا ماقرأناه في كتب أهل الكتاب المحرفة، وليس في القرآن مايصدق كل دعواهم أبداً.

دونكم كتاب الله ـ لن تجدوا من ذلك شيئاً.

الراوي في أول القصة ينسب إلى إبراهيم كذبتين بشهادة الله، أي أنهما ثابتتان عليه ولا مجال للشك في ذلك، وإذا فتحنا القرآن ماذا نجد عنهما:

﴿وإن من شيعتِهِ لإبراهيمَ * إذ جاء ربَّه بقلبٍ سليم * إذ قال لأبيهِ وقومهِ ماذا تعبدونَ * أإفكاً آلهةً دونَ الله تُريدون *فما ظَنُّكم بربِّ العالمينَ * فنظرَ نظرةً في النجوم * فقالَ إني سقيمٌ * فتولَّوا عنه مدبرين﴾ ٨٣ ـ ٩٠ ـ الصافات.

الله تعالى يصف لنا موقف إبراهيم مع قومه وأبيه وهو يحاورهم بتلك الكلمات (ماذا حَصَلَ لكم أيها القوم وماذا حدث لعقلكم، أتعبدون أصناماً وتتركون ربّ العالمين؟ ثم عندما يئس منهم نظر إلى السماء حيث النجوم وقال: إني سقيم، أي إني قد تعبتُ وقد مرضت منكم ومن سخافاتكم فظن القوم أن به مرضاً أو جنوناً فولوا عنه هاربين) وهكذا يتبين لكم أن الموقف لم يكن في محكمة أو استجواباً فقدم إبراهيم شهود زور وبهتان فيها كما رأيتم.

والمرة الثانية هي التي يقول عنها (بل فعله كبيركم هذا).

وإذا بحثنا عنها في القرآن ماذا نجد تفسيراً عنها؟:

﴿وتاالله لأكيدَنّ أصنامَكُم بعدَ أن تُولُّوا مُدبرين * فجعلَهُم جُذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلّهم يرجعون * قالوا من فعلَ هذا بآلِهَتِنا إنّه من الظالمين * قالوا سَمِعنا فتىً يذكُرُهُم يُقال له إبراهيم * قالوا فأتوا بهِ على أعينِ الناس لعلّهم يَشهدون * قالوا أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتِنا يا إبراهيم قال بل فعلَهُ كبيرُهُم هذا فَسئلوهم إن كانوا ينطقونَ * فرجعُوا إلى أنفسِهِم فقالوا إنّكم أنتمُ الظالمون * ثم نَكسوا على رؤوسِهِم لقد علمتَ ماهؤلاء ينطقون * أفٍ لكم ولِمَا تعبدونَ من دونِ الله أفلا تعقِلُون * قالوا حرّقوه وانصروا آلهتَكُم إن كنتم فاعلين * قُلنا يانارُ كوني بَرداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كَيداً فجعلناهم الأخسَرين﴾ ٥٧ ـ ٧٠ ـ الأنبياء.

وهكذا لم يكن إبراهيم في موقف تكذيب؛ بل سخر منهم ومن عقولهم عندما قال لهم: إن الذي فعلها هو الصنم الكبير، وهم الذين صنعوها ويعلمون أنها لاتنفع ولاتضر، لكنها وسيلة من وسائل الإضلال للناس من أجل استغلالهم، فهو أمام جنود السلطان الذين يعرفون الحق ويحرفونه إتباعاً لأهوائهم وشهواتهم الدنيوية. مثل كل باقي جنود السلطان في كل الأمم ابتداء بقوم نوح ومروراً بفرعون وانتهاء بسلطان المسلمين.

وهكذا علمتم أن كل المصائب والأمراض الاجتماعية من كذب ونفاق ورياء وغيبة ونميمة وحسد وكراهية وبغضاء وخيانات وغش، منبعها ذلك المورد الذي ظن علماؤنا أن فيه العلم والمعرفة والخير العميم، وقالوا بعد ذلك ليس في القرآن علم فتركوه إلى اليوم، وإذا بقينا على هجر ذلك الكتاب لن نرى خيراً أبداً، لافي الدنيا ولا في الآخرة كما تعلمون، ولن يحصل شيء بالمعجزات إن لم نتحرك نحن بأنفسنا ومعنا شرعنا الحقيقي لنعمل به من جديد، عندها سوف ترون أن نقمة الله القديمة بدأت تتحول مرة أخرى إلى نِعَم، وعلى المستوى الفردي أيضاً سوف تتغير أحوالنا وتظهر علينا نعم الله وخيراته من جديد.

﴿يــا أيّها الذين آمنوا عليكم أنفسُكم لايضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم إلى الله مَرجِعُكم جميعاً فينبئكُم بما كنتم تعملون﴾ ١٠٥ ـ المائدة.

لذلك يجب أن لانرجيء الموضوع ونقول:إذا اهتدى الناس نهتدي معهم، يجب أن نبدأ من هذه اللحظة، ودون تأخير، يجب أن نطلّق كل مصادر الضلال والإضلال إلى الأبد، ونعود إلى كتاب الله، لنفهم دين الرحمن من جديد، ولسوف أشرحه إن شاء الله تعالى في كتابي الذي سيكون الثالث في هذه المجموعة. وأخيراً أقول لكم إن موضوع الهداية ربطها الله بنفس الإنسان وإرادته، لكن السلطان في شرحه وتأويله للآية أعادها لمشيئة الله حتى لايكون للإنسان عنده حرية ولا إرادة ولا مشيئة.

﴿إنّكَ لاتهدي مَن أحببتَ ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

وقد بدأت البحث عن الكذب على أنه أم الشرور، ولا أظن أن اثنين يختلفان في ذلك، إنه آفة انتشرت فينا كالنار في الهشيم فلم تترك منا عضواً إلا وصلت إليه ونحن نقول: كذب أبيض، وكذب متعمد، وكذب لاعمد فيه، وكذب من ورائه الخير. يسألنا رجلٌ عن رجلٍ نعرفه لجَأَ إلينا لأنه يريد أن يطمئن قبل أن يناسبه أن لا عيب في أخلاقه ومعاملاته مع الناس، فنكذب على الرجل ونقول له إنه إنسان لاعيب فيه، ولا في أخلاقه، ونحن نعلم أن في الرجل عيوباً كثيرة، ونظن أننا فعلنا خيراً، ولم نغتب الرجل بل قلنا عنه أحسن شيء، فخدعنا الرجل الذي أستأمننا وطلب شهادتنا. ونحن بذلك قد خُنا الأمانة وشهدنا زوراً عندما أستشهدنا الرجل ولم نقل حقيقة مانعم.

كثير من رجال الدّين وقعوا في الكذب، وهم يظنون أن هناك كذباً متعمداً وكذباً غير متعمد، ولايعلمون أن الكذب كله من بعضه فهو شرٌّ كله.

رحم الله تعالى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان أفضل من فهم الإسلام. قال: (إن صحَّ).

الحديث رقم (٢٦٤١) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن عتبة قال:سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرّبناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إنَّ سريرته حسنة».

هذا وقد بينت لكم في هذا الكتاب أننا وقعنا في آفة الكذب، لأن ديننا الذي نتبعه أغلبه كذب على الله وعلى الرسول كما شاهدتم ولمستم بأنفسكم في صحيح البخاري ومسلم، والشهادة لله إنهما لم يُقَصِّرا، فقد قدَّما في كتابيهما كل الأدلة الدامغة لعصريهما بارتكاب الكذب على الله وعلى الرسول.

ولابد أن يبقى في الوثائق والنصوص المقدسة سواء الموجودة عند أهل الكتاب أو عندنا ـ بعض النصوص التي مازالت تقول الحقيقة مثل الحديث التالي (إن صحَّ):

الحديث رقم (٢٦٨٥) من صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشَب؟وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ماكتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً! أفلا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسائلتهم؟

لا والله مارأينا منهم رجلاً قطُّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم؟»

والمؤمن يجب أن يدرب نفسه على قول الصدق دائماً ومهما كانت الأسباب ويسعى ولايسمح لنفسه الأمارة بالسوء أن تغلبه على الكذب ويدعو الله صادقاً ويقول بدعوة إبراهيم:

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ ٨٤ ـ الشعراء.

كيف يمكن تغيير عقلية الأمة؟

واهِمٌ كُلُّ من يتصور أنّ مجرد ترك أحاديث السلطان والعودة إلى كتاب الله سيغيّر الأمور فوراً فالعملية تحتاج إلى تغيير العقلية العامَّة، والنظرة العامة لنواحي الحياة من قبل

أفراد الأمة، حيث العقيلة السائدة تنظر إلى الغش على أنه (شطارة) وكذلك الكذب، ولاتستنكر الصفات الممجوجة المفلسِفَة لجوانب الحياة، وأقلُّها التعامل بين أفراد الأمة، ومن ذلك (الدنيا غابة، إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب).. قد يكون هذا القول صحيحاً، لكن ليس بين أفراد الأسرة الواحدة، والعشيرة الواحدة، والأمة الواحدة..إذ ينبغي أن تعود الصورة الحقيقية من صدق وأمانة وكرم وتسامح وحب بين أفراد الأمة، ودون عودة هذه الأفكار لن تتغير العقلية السائدة، وبالتالي لن يتغير شيء.

لذا ينبغي التركيز على إعادة عقلية القرآن، وأخلاق القرآن والإسلام مرة أخرى لكل أفراد الأمة، في إطار (استنفار أقصى) لكل حَمَلَة القلم من مثقفين وكتاب وعلماء وأدباء، فيركزوا في أعمالهم الفكرية والأدبية على إعادة المواقف والقصص والشخصيات التاريخية من التراث الإسلامي كلٌّ في صورته الحقيقية التي أوضحها ووضع أسسها القرآن الكريم، وبذلك نعطي الحكم لأطفالنا بطريقة غير مباشرة على أن أخلاق البطل (فلان) في مسرحية (كذا) أو قصة (كذا) هو الناجح والمحبوب في المجتمع... وبالتدريج يجب الوصول إلى مجتمع يتحلى بمبادىء الصدق والأمانة والمروءة والشهامة والشجاعة والتضحية، والوفاء بالوعد والعهد، مع الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على أسلوب الطرح حتى لاتكون النتيجة (كلام روايات) و(مثالية زائدة).

ولعل أهم مكانين لإعادة وتطبيق العقلية الإسلامية الصحيحة هما: البيت والمدرسة.

أ ـ البيت: وحتى يكون البيت قادراً على معركة التغيير لابد من تحرير المرأة المسلمة وإعادة كامل حقوقها المسلوبة (حالياً)، وأول حقوقها التعليم، لأنه مفتاح التربية الإسلامية الصحيحة، خاصة إذا أضافت إلى تعليمها مبادىء العلوم المعاصرة مع تربية إسلامية وفهم صحيح لآيات القرآن الكريم، تعود عندها المرأة قادرة على أداء مهمتها ورسالتها في الأمة، خاصة إذا تفرغت لأطفالها إن شاءت ذلك.

ب ـ المدرسة: هي أيضاً لها دور هام في إتمام ورعاية مازُرع في البيت من أخلاق الإسلام وعندها تسود عقلية القرآن (علمياً وأخلاقياً) الجيل كله، ويبدأ التغيير في الأمة، وتتحول إلى شجرة طيبة مباركة. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿إنّ الله لايُغيِّرُ مابقومٍ حتى يغيّروا مابأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

صدق الله العظيم.

الفصل الرابع والثلاثون

الجهاد في الإسلام

هل هناك عنف وقتال وقتل واستشهاد في الجهاد الذي نسميه (الجهاد الإسلامي)؟

وإذا ثبت بالدليل القاطع عدم وجود مثل ذلك في القرآن؛ فلمصلحة من قَلبُ هذه الحقيقة وجعلُ فكرة الجهاد السلمية مرادفة للقتل والقتال في الإسلام؟

وخطتي في هذا البحث تمرّ بالمراحل التالية:

أولاً: البرهان أن معنى الجهاد هو بمعنى الجهد الإنساني المبذول من أجل تبليغ ونشر الدعوة الإسلامية سلمياً، بالحكمة والموعظة الحسنة، بدليل خلوّ كل آيات الجهاد في القرآن من كلمات القتل والقتال.

ثانياً: البرهان أن الله سبحانه لم يستخدم كلمة الجهاد في سبيل الله أبداً بأي معنى له علاقة مباشرة بالقتل والقتال في سبيل الله، الذي يعتبره الله سبحانه موضوعاً آخر منفصلاً عن الجهاد في سبيل الله انفصالاً تاماً، بدليل خلو كل آيات الجهاد من أية كلمة تشير إلى الشهادة أو الموت أو القتل، أو إلى وجود ضحايا بشرية نتيجة الجهاد في سبيل الله، بينما نجد ذلك وبشكل واضح في كل آيات القتل والقتال في سبيل الله.

ثالثاً: البرهان بدليل آيات القرآن أن الجهاد في سبيل الله معناه الكفاح والجهد الإنساني السلميّ مع الصبر والتحمل للمشاق والمعاناة في سبيل التمسك بالإسلام وتبليغه ونشره بين العالمين، بدليل وجود آيات الجهاد في الآيات المكية، في الفترة التي لم يسمح فيها رب العالمين بالقتال لرسوله وللمسلمين بعد، إذ من المعروف أن الله لم يسمح للرسول بذلك إلا بعد الهجرة إلى المدينة، لذلك نجد آيات القتل والقتال موجودة فقط في الفترة المدنيّة من القرآن الكريم.

رابعاً: البرهان بدليل آيات القرآن أن الله سبحانه قد أذن لرسوله ـ بإذن خاص مقرون بنفسه لينتهي بوفاته أو قبلها مباشرة ـ بممارسة العنف والقتال كوسيلة من وسائل

نشر الدعوة بين المشركين والكفار تحت إشراف الله المباشر، وخلال فترة الوحي واستمرارها على الرسول من أجل توجيهه باستمرار حتى لايقع في أخطاء ومظالم يمكن أن تؤثر سلباًعلى نشر العقيدة الإسلامية، إذا جَرَتْ دون الرعاية الإلهية، وهذا الموضوع من أهم المواضيع التي يجب على كل مسلم اليوم أعادة النظر فيها لإعادة تشكيل إيمانه بشكل سليم وصحيح بدينه وبخالقه وبكتاب القرآن، وبمصادر العلم والمعرفة التي يجب أن يعتمدها ويقبلها، ومصادر العلم والمعرفة التي يجب أن يبعدها بعد أن يتعرف على الأسباب والغايات.

خامساً: لمصلحة من كانت عملية القلب لفكرة الجهاد السلمية في القرآن الكريم وجعلها مرادفة لفكرة القتل والقتال والغزو المقرون بالقتل والسلب والنهب؟

سادساً: ماهي آيات القتال الدائمة في الإسلام؟ (آيات القتال دفاعاً عن النفس والعقيدة والعرض والأرض والمال).

سابعاً: كيف استطاع السلاطين في مختلف العصور الإسلامية سحب القرآن من بين أيدي المسلمين؟

ثامناً: على ماذا استند أبو بكر الصديق في قتاله، بعد الرسول مباشرة، الذين رفضوا دفع الزكاة من المسلمين؟ ولماذا يصر جنود السلطان على تسميتها بحروب الردة؟ (أي الارتداد عن الإسلام والكفر من جديد) مع أن هذا الكلام غير صحيح علمياً وتاريخياً ودينياً.

تاسعاً: على ماذا استند عمر بن الخطاب في قتاله الروم والفرس، مع أن آيات القتال في سبيل الله من أجل نشر الدعوة توقفت قبل وفاة الرسول الكريم؟

عاشراً: خاتمة وتعليق على البحث.

أولاً: البرهان أن معنى الجهاد هو الجهد الإنساني المبذول من أجل تبليغ ونشر الدعوة الإسلامية سلمياً، بالحكمة والموعظة الحسنة، بدليل خلوّ كل آيات الجهاد في القرآن من كلماتٍ تشير بشكل مباشر أو غير مباشر للقتل أو القتال.

إن مصدر كلمة الجهاد في اللغة من كلمة الجهد، الذي هو الطاقة، فنقول: الجهد الإنساني عن الطاقة الإنسانية، ونقول الجهد الكهربائي عن الطاقة الكهربائية في الفيزياء والطبيعة.

وكلما كان العمل الذي يقوم به الإنسان يحتاج إلى طاقة أكثر أو جهد وصبر ومشقة أكبر في سبيل تحقيق ذلك العمل، نقول مثلاً: كان جهاده أكبر، أو بذل جهداً أو جهاداً كبيراً.

﴿فلا تُطِع الكافرينَ وجاهِدهُم به جهاداً كبيراً﴾ ٥٢ ـ الفرقان. (مكية).

وبالتالي نستطيع أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين تحملوا أذى المشركين من سكان مكة والجزيرة العربية واضطروا أخيراً بعد الحصار الاقتصادي الذي فرضته قبيلة قريش بالتحالف مع القبائل المجاورة لمنع التعامل مع الذين أسلموا وتركوا دين آبائهم من الذين آمنوا واتبعوا محمد ﷺ (قلنا اضطروا) للهجرة فارّين بدينهم مرتين إلى الحبشة ومرة ثالثة إلى المدينة المنورة، تاركين في كل مرة بيوتهم وأموالهم وأهليهم، ومسافرين في البراري والقفار، معرضين أنفسهم لشتى أنواع الجهد والجهاد، من جوع وعطش وعوامل الطبيعة الأخرى، من شمس وحرارة في النهار مع برد الصحراء في الليل مع تحملهم لتقلبات الطبيعة، الرياح والعواصف الرملية في الصحاري الكبيرة، صابرين على كل ذلك صبراً جميلاً، مستعينين بالله الذي آمنوا به، بعد أن هداهم إليه رسولهم الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه. لقد كانوا ولا شك من أكبر المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله. وكذلك الصحابة الذين كان يختارهم الرسول ويرسلهم إلى البلاد التي اعتنق فيها بعض الناس الدين الجديد، دين الإسلام والتوحيد، طوعاً من غير إكراه، فيرسل إليهم الرسول الأكفاء من الصحابة لتعليم الناس الدين الجديد، ويحفظونهم الآيات القرآنية التي كانت قد نزلت على رسولهم ونطقها لهم بلسانه وحياً من ربه فحفظوها في صدورهم، (المقصود بصدورهم مركز الذاكرة في الدماغ)، حباً وهداية فكانت تلك أولى البعثات الجهادية، وعملهم كله كان جهاداً في سبيل الله.

فلنعد إلى آيات الجهاد في القرآن الكريم، نتبين هذه الأمور بوضوح أكبر:

﴿وإن جاهداكَ لتُشرِكَ بي ماليس لكَ به علمٌ فلا تُطِعهُما﴾ ٨ ـ العنكبوت (مكية).

الله تعالى يقول للمؤمن في هذه الآية: مهما بذل الوالد من جهد وإلحاح قد يصل بهما إلى حد التعذيب والتجويع والسجن والضرب والإهانة للإنسان (رجلاً كان أو امرأة) داخل البيت أو خارجه لإعادتك إلى دين آبائك الأولين والعودة للإشراك القديم بعد الإيمان بالله الواحد الأحد، الله تعالى يقول له: لاتُطعهما في ذلك مهما حاولا معك، وإن كانت طاعتهما واجبة عليك في غير هذا الأمر، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله في الإسلام.

﴿والذينَ هاجَروا وجاهَدوا في سبيلِ الله أولئكَ يَرجونَ رحمةَ الله﴾ ٢١٨ ـ البقرة (مدنية).

وهم كالذين ذكرهم عندما هاجروا للحبشة في سبيل الله، وبذلوا في تلك الهجرة مافي جهدهم من طاقة في سبيل الله وسبيل إعلاء كلمته، مفضلين دين الحق على دين آبائهم الذي كان يستند إلى الوهم والباطل.

﴿أمْ حسِبتُم أن تدخُلوا الجنّةَ ولمّا يعلم اللّهُ الذين جاهَدُوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ١٤٢ ـ آل عمران (مدنية).

أي هل ظننتم أن دخول الجنة سهل دون تعب ومشقة وصبر وقبل أن يَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا وجاهدوا من الذين تخاذلوا أو نافقوا أو بقوا على كفرهم وإشراكهم السابق؟ فالله تعالى يريد أن يعلم من هم الذين سيتطوعون من أنفسهم ومن مطلق حريتهم واختيارهم دون ضغط أو إكراه من أحد والسير قدماً لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وفي سبيله، وكما يريد أن يعلم من هم الذين فضّلوا الظلال والماء البارد والبقاء في الدور الظليلة في مكة بينما كان المسلمون الحقيقيون يجاهدون بأنفسهم وأموالهم لإعلاء كلمة الله وإبلاغ. الناس رسالته التي أنزلها على الرسول محمد ﷺ لتكون رسالةً للعالمين.

وإبلاغ الرسالة يكون بالحكمة والموعظة الحسنة وليس بالعنف كما قد يظن المتوهمون.

وإليكم الآن جرداً كاملاً لكل آيات الجهاد في القرآن الكريم مرتبةً حسب تسلسل السور في القرآن الكريم:

١ ـ ﴿والذينَ هاجَروا وجاهَدوا في سبيلِ الله أولئكَ يَرجونَ رحمةَ الله﴾ ٢١٨ ـ البقرة (مدنية).

٢ ـ ﴿أم حَسِبتُم أن تدخُلوا الجنةَ ولمّا يعلم الله الذينَ جاهَدوا منكُم ويعلَم الصابرين﴾ ١٤٢ ـ آل عمران (مدنية).

٣ ـ ﴿لايستوي القاعدونَ منَ المؤمنين غير أُولي الضَّرر والمُجاهدون في سبيلِ الله بأموالِهم وأنفسِهِم فَضَّلَ الله المجاهدين بأموالِهِم وأنفسِهِم على القاعدين درجةً وكلاً وَعَدَ الله الحسنى وفضَّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ ٩٥ ـ النساء (مدنية).

٤ ـ ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتَغُوا إليه الوسيلةَ وجاهدُوا في سبيلِهِ لعلّكم تُفلحون﴾ ٣٥ ـ المائدة (مدنية).

٥ـ ﴿ويقول الذينَ آمنوا أهؤلاء الذين أَقسَموا بالله جهدَ أيمانِهِم إنّهم لمَعَكُم حَبطَت

أعمالُهم فأصبحوا خاسرين﴾ ٣٥ ـ المائدة (مدنية).

٦ ـ ﴿يا أيّها الذين آمنوا مَن يرتدَّ منكُم عن دينِهِ فسوفَ يأتي اللّه بقوم يحبُّهم ويُحبّونَه أذِلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يُجاهدونَ في سبيلِ الله ولا يَخافونَ لَومةَ لائم ذلك فضلُ الله يُؤتيهِ من يشاء والله واسعٌ عليم﴾ ٥٤ ـ المائدة (مدنية).

٧ ـ ﴿إن الذين آمنوا وهاجَروا وجاهَدوا بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ الله والذينَ آوَوا وَنَصروا أولئك بعضُهُم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يُهاجروا مالكم من ولايتِهم من شيء حتى يُهاجروا وإن استنصَروكُم في الدّين فعَلَيكم النصرُ إلاّ على قومٍ بينَكم وبينَهُم ميثاق﴾ ٧٢ ـ الأنفال (مدنية).

٨ ـ ﴿والذين آمنوا وهاجَروا وجاهَدُوا في سبيلِ الله والذين آوَوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ ٧٤ ـ الأنفال (مدنية).

٩ ـ ﴿والذين آمنوا من بَعد وهاجَروا وجاهَدوا معكُم فأولئك منكُم وأُولوا الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله إنّ الله بكلِ شيء عليم﴾ ٧٥ ـ الأنفال (مدنية).

وإحدى عشرة آية في سورة التوبة:

١٠ ـ ﴿أم حَسِبتُم أن تُتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهَدوا منكم ولم يتّخذوا من دونِ الله ولا رسولِهِ ولا المؤمنين وَليجةً والله خبيرٌ بما تعمَلُون﴾ ١٦ ـ التوبة (مدنية).

١١ ـ ﴿أجَعَلتُم سقايةَ الحاجِ وعمارةَ المسجدِ الحرام كَمَن آمَنَ بالله واليومِ الآخرِ وجاهَدَ في سبيلِ الله لايَستَوونَ عند الله والله لايَهدي القومَ الظّالِمين﴾ ١٩ ـ التوبة (مدنية).

١٢ ـ ﴿الذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا في سبيلِ الله بأموالِهم وأنفسِهم أعظمُ درجةً عندَ الله وأولئك هم الفائزون﴾ ٢٠ ـ التوبة (مدنية).

١٣ ـ ﴿قُل إن كانَ آباؤكُمُ وأبناؤكُم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتُمُوها وتجارةٌ تَخشَونَ كَسادَهَا ومساكِنُ ترضَونَها أحبَّ إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتَرَبّصوا حتى يأتيَ الله بأمرِهِ والله لايَهدي القومَ الفاسقين﴾ ٢٤ ـ التوبة (مدنية).

١٤ ـ ﴿انفِرُوا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدُوا بأموالِكم وأنفسِكُم في سبيلِ الله ذلكِم خيرٌ لكُم إن كنتُم تعلَمون﴾ ٤١ ـ التوبة (مدنية).

وحتى نتأكد أن هذا لم يكن قتالاً لنستمع إلى الآية التي بعدها:

١٥ ـ ﴿لو كانَ عَرَضاً قريباً وسفَراً قاصِداً لاتّبعوكَ ولكن بَعُدَت عليهِم الشُّقَّةُ وسَيحلِفونَ بالله لو استطَعنا لخرَجنا معكُم يُهلِكونَ أنفسَهُم والله يعلمُ إنّهم لكاذِبون﴾ ٤٢ ـ التوبة (مدنية).

١٦ ـ﴿لايستأذنُكَ الذينَ يُؤمنونَ بالله واليومِ الآخر أن يُجاهِدوا بأموالِهِم وأنفسِهِم والله عليمٌ بالمتّقين﴾ ٤٤ ـ التوبة (مدنية).

١٧ ـ﴿ياأيّها النبيُّ جاهِد الكفّارَ والمُنافِقينَ واغلُظ عليهم ومَأواهُم جَهنّمُ وبئسَ المصير﴾ ٧٣ ـ التوبة (مدنية).

١٨ ـ ﴿يَحلِفونَ بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمةَ الكُفرِ وكفَروا بعد إسلامِهِم وهَمُّوا بما لم يَنالوا، ومانقَمُوا إلّا أَنَ أغناهُمُ الّله ورَسولهُ مِنْ فَضلهِ، فإنْ يتوبوا يَكُ خَيراً لَهمْ وإنْ يَتولّوا يُعذِّبْهُم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرةِ، ومالَهُم في الأرضِ من وليٍّ ولا نصير﴾ ٧٤ ـ التوبة (مدنية).

١٩ ـ ﴿فَرِحَ المُخَلَّفون بمقعَدِهِم خِلافَ رسولِ الله وكَرِهوا أن يُجاهِدوا بأموالِهِم وأنفسِهِم في سبيلِ الله وقالوا لاتنفِروا في الحرِّ قل نارُ جهنَّمَ أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقَهُون﴾ ٨١ ـ التوبة (مدنية).

٢٠ ـ ﴿وإذا أُنزِلَت سورةٌ أَنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسولِهِ استأذَنَكَ أُولوا الطَّولِ منهم وقالوا ذرنا معَ القاعدِينَ﴾ ٨٦ ـ التوبة (مدنية).

٢١ ـ ﴿لكنَّ الرسول والذين آمنوا معَهُ جاهَدوا بأموالِهِم وأنفسِهِم وأولئك لهم الخيراتُ وأولئك هـم المُفلحون﴾ ٨٨ ـ التوبة (مدنية).

٢٢ ـ ﴿ثم إنّ ربَّكَ لِلّذين هاجَروا من بعدِ مافُتنوا ثم جاهَدوا وصَبَروا إنّ ربَّكَ من بعدِها لغفورٌ رحيم﴾ ١١٠ ـ النحل (مكية).

٢٣ ـ ﴿وجاهِدُوا في الله حقَّ جهادِهِ هو اجتباكُم وماجَعلَ عليكم في الدينِ من حَرَجٍ مِلَّةَ أبيكُم إبراهيم هو سمّاكُم المسلمينَ من قبلُ وفي هذا لِيكونَ الرسولُ شهيداً عليكُم وتكونوا شهداء على الناسِ فأقيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ واعتصِموا بالله مولاكُم فَنِعمَ المولى ونعم النّصير﴾ ٧٨ ـ الحج (مدنية).

٢٤ ـ ﴿فلا تُطِعِ الكافرينَ وجاهِدهُم جهاداً كبيراً﴾ ٥٢ ـ الفرقان (مكية).

٢٥ - ﴿ومَن جاهَدَ فإنما يُجاهِد لنفسِهِ إنّ الله لَغَنِيٌّ عن العالمين﴾ ٦ - العنكبوت (مكية).

٢٦ - ﴿وَوَصّينا الإنسانَ بوالِدَيهِ حُسناً وإن جاهَدَاكَ لِتُشرِكَ بي ماليسَ لكَ بهِ علمٌ فلا تُطِعهُما إليّ مرجِعُكم فأنَبئكم بما كُنتُم تعملون﴾ ٨ - العنكبوت (مكية).

٢٧ - ﴿والذينَ جاهَدوا فينا لَنَهدينَّهُم سُبُلَنا وإنّ الله لمعَ المُحسِنين﴾ ٦٩ - العنكبوت (مكية).

٢٨ - ﴿وإن جاهَدَاكَ على أن تُشرِكَ بي ماليسَ لكَ بهِ علمٌ فلا تُطِعهُما وصاحِبهُما في الدنيا معروفاً واتبع سبيلَ من أنابَ ثمَّ إليَّ مرجِعُكم فأنبئكم بما كنتُم تعملون﴾ ٣١ - لقمان (مكية).

٢٩ - ﴿إنّما المؤمنونَ الذينَ آمَنوا بالله ورسولِهِ ثمّ لم يَرتابوا وجَاهدوا بأموالِهِم وأنفسِهِم في سبيلِ الله أولئكَ همُ الصادِقون﴾ ١٥ - الحجرات (مدنية).

٣٠ - ﴿ولنَبلُونَّكُم حتى نَعلَمَ المجاهِدينَ منكُم والصّابرينَ ونبلُوا أخبارَكُم﴾ ٣١ - محمد (مدنية).

٣١ - ﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا لاتَتّخِذُوا عدوّي وعدوّكُم أولياء تُلقُونَ إليهم بالمودّة وقد كَفَرُوا بما جاءكُم من الحقِّ يُخرِجونَ الرسولَ وإيّاكُم أن تُؤمنوا بالله رَبّكُم إن كُنتُم خَرَجتُم جِهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تُسِرّونَ إليهم بالمودّةِ وأنا أعلمُ بما أخفيتُم وما أعلَنتُمْ ومن يَفعله منكم فقد ضلَّ سواء السّبيل﴾ ١ - الممتحنة (مدنية).

٣٢ - ﴿تؤمنون بالله ورسولِهِ وتُجاهِدونَ في سبيلِ الله بأموالِكُم وأنفسِكُم ذلكُم خيرٌ لكُم إن كُنتم تعلَمون﴾ ١١ - الصف (مدنية).

٣٣ - ﴿يا أيّها النبي جاهِدِ الكفّارَ والمنافِقينَ واغلُظ عليهم ومأواهُمْ جهنّمُ وبئسَ المصير﴾ ٩ - التحريم (مدنية).

هذه هي كل آيات الجهاد في القرآن الكريم. والآن:

لنقرأ هذه الآيات بتمعّن وهدوء، باحثين عن أي كلمة تشير إلى القتلِ أو القتال، لن نجد أي كلمة تشير إلى ذلك أبداً، لأن الله تعالى لم يقصد بالجهاد قتالاً ولا قتلاً في سبيل الله، وهذا هو البرهان الأول بدليل وشهادة آيات الله في كتاب الله الصحيح وليس في أيٍّ صحيح آخر، ولا شهادة بعد شهادة الله.

ولابد من الإشارة للتوضيح هنا بحسب آيات الله أن الله تعالى يعتبر القتال حالة خاصة من حالات الجهاد الإنساني الذي يتميز بالعنف والدم والقتل لفرض الرأي بالقوة إذا لزم الأمر.

لذلك يمكن أن نعتبر بحسب هذا المبدأ أن القتال يمكن أن يحوي بعض حالات الجهاد، مثلاً كل المشتركين في الحملة أو المعركة الحربية من نساء وظيفتهن التمريض والتطبيب أو سقاية المقاتلين، أو حتى الرجال المشتركين في المعركة ووظيفتهم ليست القتال أو الاشتراك في قتل الأعداء بل لإطعام المقاتلين مثلاً، يعتبر اشتراكهم حالة من حالات الجهاد في سبيل الله، ولا ينطبق عليهم القتال لأنهم لم يشاركوا فعلياً في القتل، وكذلك الأطباء الذين يعالجون الجرحى، وحتى الجنود الذين ينفرون ويخرجون لمواجهة العدو، خروجهم وسعيهم حتى لحظة ملاقاتهم للعدو والاشتراك في معركة حقيقية يحصل فيها قتل وقتال يُعتبر عملهم هذا مجرد جهاد بدليل قوله تعالى:

﴿انْفِروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدوا بأموالِكم وأنفسِكُم في سبيلِ اللهِ ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون﴾ ٤١ ـ التوبة.

ولكن يجب أن نعلم أن هناك آيتين في القرآن الكريم وردتا باسم النبي وحده مسبوقتين بـ (يا أيها النبي) وهما متشابهتان تماماً. وحتى نعلم أن هاتين الآيتين هما حالة خاصة مرتبطة بآية أخرى سبقتها في القتال وهي:

﴿فقاتِلْ في سبيل الله لا تكلَّف إلا نفسَكَ وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكفَّ بأسَ الذين كفروا﴾ ٨٤ ـ النساء.

والآيتان هما: الآية ٧٣ ـ التوبة، والآية ٩ ـ التحريم.

والآيتان متشابهتان إلى حدّ التطابق التام:

﴿يا أيها النبي جاهِدِ الكفارَ والمنافقين وأغلُظ عليهم ومأواهُمُ جهنّم وبئسَ المصير﴾ ٧٣ ـ التوبة.

يجب أن نلاحظ أن هاتين الآيتين فيهما عنف، لم يكن فيهما قتال، وهما موجودتين ضد الكفار والمنافقين، لذلك فهما مربوطتان بآية القتال الخاصة التي كلف بها الرسول محمد ﷺ من قبل ربّه، لكسر شوكة الكافرين وتقوية شوكة المسلمين وقاعدتهم في الجزيرة العربية قبل الانطلاق لملاقاة الأعداء الخارجيين الذين كانوا يتمثلون في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية.

وسبب استخدام ربّ العالمين عبارة (يا أيها النبي) بدل يا أيها الرسول أو يا أيها الذين آمنوا، هو فقط من أجل أن نعلم أن هاتين الآيتين ليس لهما علاقة بالرسالة الإسلامية الشاملة، وكذلك ليس لهما علاقة بالمؤمنين بشكل مباشر، وهو فقط أمر موجّه من الله

تعالى لنبيّه في حالة القتال الخاصة التي كلّف بها نفس الرسول من أجل كسر شوكة المشركين في الجزيرة العربية، وإنهائهم كحركة سياسية معارضة ومناوئة للمسلمين.

لذلك يجب أن نعلم علم اليقين أن سبب هذا النوع من القتال الذي يسميه ربّ العالمين قتالاً في سبيل الله وذلك النوع من العنف والغلظة في الجهاد ضد الكفار والمشركين والمنافقين ليس حالة دائمة في الإسلام، وإنما ينتهي دوره بعد وفاة الرسول الكريم. وفعلاً الله سبحانه أنهى دور هذه الآيات وأنساها بعد حجة الوداع، وبعد أن أعلن رب العالمين أنه قد أكمل وأتمّ الدين للمسلمين وبعدها عاد وأعلن من جديد أنه لا إكراه في الدين، بعد ذلك اليوم، ﴿ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ والطريقة الوحيدة للدعوة إلى الإسلام هي فقط بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذا هو دليل صدق ما أدعو إليه كدليل وبرهان أول في هذا الموضوع.

ثانياً: البرهان أن الله سبحانه لم يستخدم كلمة الجهاد في سبيل الله بأي معنى له علاقة مباشرة بالقتل والقتال في سبيل الله، الذي يعتبره الله سبحانه موضوعاً آخر منفصلاً عن الجهاد في سبيل الله انفصالاً تاماً، بدليل خلّو كل آيات الجهاد من أية كلمة تشير إلى الشهادة أو الموت أو القتل، أو إلى وجود ضحايا بشرية نتيجة الجهاد في سبيل الله، بينما نجد ذلك وبشكل واضح في كل آيات القتل والقتال في سبيل الله.

لنقرأ الآيات مرة أخرى باحثين عن أولئك الذين قتلوا في الجهاد، وهذا أمر طبيعي، فلو أن الله تعالى يقصد بالجهاد في سبيل الله قتالاً لوجدنا الذين قتلوا في سبيل الله أثناء جهادهم، أما إذا كان الله تعالى لايقصد بالجهاد أصلاً القتل والقتال فإننا ببساطة لن نجد ضحايا في الجهاد السلمي أبداً، وهذا هو البرهان الثاني بدليل آيات الله وشهادة آياته، بأن الجهاد لاعلاقة له بالقتل والقتال في الإسلام أبداً..

بل نجد الآية الشهيرة في سورة التوبة تعلن لكل المسلمين مايلي:

﴿إنّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهُم بأنّ لهم الجنّةَ يُقاتلونَ في سبيلِ الله فيَقتُلونَ ويُقتَلونِ وعداً عليهِ حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومن أوفَى بعهدِهِ من الله فاستَبشِرُوا ببيعِكُمُ الذي بايَعتُم بِهِ وذلكَ هو الفوزُ العظيم﴾ ١١١ ـ التوبة (مدنية).

وهكذا وجدنا أن القتلى والقتل والقتال كله موجود في آيات أخرى يدعوها الله (آيات

القتال في سبيل الله)، فاصلاً بينها وبين آيات الجهاد في سبيل الله.

الجهاد نوع سلمي، والقتال نوعي حربي، والأول يختلف عن الثاني ولامجال للخلط بينهما، ولم يحصل الخلط عن طريق الخطأ، وإنما كانت وراءه مصلحة كبيرة للسلطان الإسلامي سوف أشرحها في هذا البحث.

وهكذا أكون حتى الآن قد برهنت لكم عن طريقين مختلفين وبدليل وشهادة آيات الله في القرآن الكريم بأنه لاقتل ولاقتلى في الجهاد الإسلامي في سبيل الله، بل المقصود به جهد من المؤمن يؤديه في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر رسالته دون عنف أو غلظة يمكن أن يصل إلى حد القتل والقتال، مستخدماً كل الوسائل السلمية الممكنة.

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

ثالثاً: البرهان بدليل آيات القرآن أن الجهاد في سبيل الله معناه الكفاح السلمي والجهد الإنساني، مع الصبر والتحمل للمشاق والمعاناة في سبيل التمسك بالإسلام وتبليغه ونشره بين العالمين. بدليل وجود آيات الجهاد في القرآن الكريم، في الآيات المكية، وفي الفترة التي لم يسمح فيها ربّ العالمين بالعنف والقتل والقتال لرسوله وللمسلمين، إذ من المعروف أن الله لم يَسْمَح بالقتل والقتال حتى ولو كان دفاعاً عن النفس إلا بعد هجرة الرسول للمدينة، فأتت آيات القتل والقتال كلها في الفترة المدنيّة، ولانجد آية واحدة تدعو للقتل والقتال في الآيات المكية أبداً.

وللبرهان على هذا الموضوع لابدّ لنا من أن نسجل جرداً كاملاً لكل آيات القتال في القرآن كما فعلنا سابقاًمع آيات الجهاد في سبيل الله.

وهي حسب التسلسل بحسب ورودها في سور القرآن الكريم:

١ ـ ﴿ولا تَقولوا لِمَن يُقتَلُ في سبيلِ الله أمواتٌ بل أحياء ولكن لايشعرون﴾ ١٥٤ ـ البقرة.

٢ ـ ﴿وقاتِلوا في سبيلِ الله الذينَ يُقاتلونَكُم ولا تَعتَدوا إنّ الله لايُحبّ المُعتدين﴾. ١٩٠ ـ البقرة.

٣ ـ ﴿واقتُلوهم حيثُ ثَقِفتُمُوهُم وأخرِجُوهم من حيثُ أَخرَجوكُم والفتنةُ أشدُّ من القتلِ ولاتَقتلوهم عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يقاتِلوكُم فيهِ فإن قاتَلوكم فاقْتُلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ ١٩١ ـ البقرة.

٤ ـ ﴿كتبَ عليكُم القتال وهو كُرهٌ لكم وعسى أن تَكرهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكُم وعسى

أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌّ لكُم والله يعلَمُ وأنتُم لاتعلَمون﴾ ٢١٦ ـ البقرة.

٥ ـ ﴿يسألونَكَ عن الشّهرِ الحرامِ قتالٍ فيه قل قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ الله وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلِهِ منه أكبرُ عندَ الله والفتنةُ أكبرُ من القَتلِ ولايزالونَ يُقاتِلونَكم حتى يَردّوكُم عن دينِكم إن استطاعوا ومن يَرْتَدِدْ منكم عن دينِهِ فيَمُت وهو كافرٌ فأولئك حَبِطَت أعمالُهم في الدنيا والآخرةِ وأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالِدون﴾ ٢١٧ ـ البقرة.

٦ ـ ﴿وقاتِلوا في سبيلِ الله واعلَموا أنَّ الله سميعٌ عليمٌ﴾ ٢٤٤ ـ البقرة.

٧ ـ ﴿قد كانَ لكُم آيةٌ في فئتَين التقتا فئةٌ تُقاتل في سبيلِ الله وأخرى كافرةٌ يرَونَهُم مِثلَيهِم رأيَ العينِ والله يؤيِّدُ بِنَصرِهِ من يشاء إنَّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾ ١٣ ـ آل عمران.

٨ ـ ﴿لن يَضرّوكُم إلا أذىً وإن يُقاتلُوكُم يُوَلّوكُم الأدبارَ ثم لايُنصرون﴾ ١١١ ـ آل عمران.

٩ ـ ﴿وإذ غَدَوتَ من أهلِكَ تُبَوِّىءُ المؤمنين مقاعدَ للقتالِ والله سميعٌ عليم﴾ ١٢١ ـ آل عمران.

١٠ ـ ﴿وكَأيِّن من نبيٍّ قاتلَ معهُ رِبِّيونَ كثيرٌ فما وَهنُوا لما أصابَهُم في سبيلِ الله وماضَعُفوا ومااستكانُوا والله يُحبّ الصابرين﴾ ١٤٦ ـ آل عمران.

١١ ـ ﴿يقولونَ لو كانَ لنا من الأمرِ شيء ماقُتلنا هاهُنا قل لو كُنتُم في بيُوتِكم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهُم القتلُ إلى مضاجِعِهم وليبتَلِيَ الله مافي صدورِكُم وليُمَحِّصَ مافي قلوبكم والله عليمٌ بذاتِ الصُّدور﴾ ١٥٤ ـ آل عمران.

١٢ ـ ﴿ولَئِن قُتِلتُم في سبيلِ الله أومُتُّم لمَغفِرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ ممّا يَجمعون﴾ ١٥٧ ـ آل عمران.

١٣ ـ ﴿ولئِن مُتُّم أو قُتِلتُم لإلى الله تُحشرون﴾ ١٥٨ ـ آل عمران.

١٤ ـ ﴿وليَعلَمَ الذينَ نافَقوا وقِيلَ لهم تعالَوا قاتِلوا في سبيلِ الله أو ادفَعوا قالوا لو نعلَمُ قتالاً لاتّبعناكُم هم للكُفرِ يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان يقولون بأفواهِهِم ماليَسَ في قلوبِهِم والله أعلمُ بما يَكتُمون﴾ ١٦٧ ـ آل عمران.

١٥ ـ ﴿الذينَ قالوا لإخوانِهِم وقَعَدوا لو أطاعُونا ماقُتلوا قل فادرؤا عن أنفسِكُم الموتَ إن كُنتم صادقينَ﴾ ١٦٨ ـ آل عمران.

١٦ ـ ﴿ولاتحسبَنَّ الذينَ قُتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء عندَ ربِّهم يُرزَقون﴾ ١٦٩ ـ آل عمران.

١٧ ـ ﴿فالذينَ هاجَروا وأُخرِجوا من ديارِهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأُكَفِّرنَّ عنهم سيئاتِهِم ولأُدخِلَنّهم جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ثواباً من عندِ الله والله عندَهُ حُسنُ الثَّواب﴾ ١٩٥ ـ آل عمران.

لاحظوا تلك الآية السابقة، لقد تجنب الله تعالى ذكر الجهاد حتى لايختلط على المسلم الجهاد مع القتال، مع أن الأفعال التالية من الجهاد وليست من القتال:

﴿الذين هاجرُوا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾.

١٨ ـ ﴿فَليُقاتِل في سبيلِ الله الذينَ يشرُون الحياةَ الدنيا بالآخرة ومَن يقاتِل في سبيلِ الله فيُقتَل أو يُغلب فسوفَ نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ٧٤ ـ النساء.

١٩ ـ ومالَكُم لاتُقاتلونَ في سبيلِ الله والمستضعفينَ من الرجالِ والنساء والوُلدانِ الذينَ يقولونَ ربَّنا أخرِجنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها واجعَل لنا من لدُنكَ ولياً واجعَلْ لنا من لدُنكَ نصيراً﴾ ٧٥ ـ النساء.

٢٠ ـ ﴿الذينَ آمَنوا يُقاتِلُونَ في سبيلِ الله والذينَ كَفَروا يُقاتِلونَ في سبيل الطاغوتِ فقَاتِلُوا أولياء الشيطانِ إنّ كيدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً﴾ ٧٦ ـ النساء.

٢١ ـ ﴿فلما كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهُم يَخشونَ الناس كخشيةِ الله أو أشدَّ خشيةً وقالوا ربَّنا لِمَ كتَبتَ علينا القتالَ لو أخرتَنا إلى أجلٍ قريبٍ قُل متاعُ الدنيا قليلٌ الآخرةُ خيرٌ لِمَن اتّقى ولاتُظللمون فتيلاً﴾ ٧٧ ـ النساء.

وقال الله تعالى عن المنافقين لشدة ضررهم على الإسلام:

٢٢ ـ﴿وَدُّوا لو تكفُرون كما كفرُوا فتكونونَ سواء فلا تتَّخِذوا منهم أولياء حتى يُهاجروا في سبيلِ الله فإن تولَّوا فخُذوهم واقتُلُوهم حيث وجَدتُموهم ولاتتّخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ ٨٩ ـ النساء.

٢٣ ـ ﴿إلا الذينَ يَصِلونَ إلى قوم بينَكُم وبينهم ميثاقٌ أو جاءُوكُم حَصِرَت صدورُهم أن يقتلوكم أو يقتَلُوا قومَهُم ولو شَاء الله لسلطهُم عليكُم فلقَاتَلُوكُم فإن اعتزلوكُم فلم يُقاتِلوكُم وألقوا إليكم السَّلمَ فما جعلَ الله لكم علَيهِم سبيلاً﴾ ٩٠ ـ النساء.

٢٤ ـ ﴿ستجدونَ آخرينَ يُريدونَ أن يأمنوكُم ويأمنوا قومَهم كلّ ماردوا إلى الفتنةِ أُركِسُوا فيها فإن لم يعتزلوكُم ويُلقوا إليكم السَّلَمَ ويكفوا أيديهُم فخُذُوهُم واقتُلوهُم

حيث ثَقِفتُمُوهُم وأولئك جعلنا لَكُم عليهم سُلطاناً مبيناً﴾ ٩١ ـ النساء.

٢٥ ـ ﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا إذا لقيتُم الذينَ كفَروا زحفاً فلا تُولُّوهُم الأدبارَ * ومن يُولِّهِم يومئذٍ دُبُرَهُ إلا متحرِّفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواهُ جنهمُ وبئسَ المصير﴾ ١٥ ـ ١٦ ـ الأنفال.

٢٦ ـ ﴿فلم تَقتُلوهم ولكنّ الله قتلَهُم ومارَميت إذ رميتَ ولكن الله رمى وليبليَ المؤمنين منهُ بلاء حسناً إنّ الله سميعٌ عليم﴾ ١٧ ـ الأنفال.

٢٧ ـ ﴿وقاتِلُهم حتى لاتكونَ فتنةٌ ويكونَ الدّينُ كلُّه لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعمَلونَ بصير﴾ ٣٩ ـ الأنفال.

٢٨ ـ ﴿يا أيّها النبيّ حرِّض المؤمنينَ على القتالِ إن يكُن منكُم عشرونَ صابرونَ يغلبُوا مائتَين وإن يكُن منكم مائةٌ يغلبُوا ألفاً من الذينَ كفَروا بأنّهم قومٌ لايفقَهون﴾ ٦٥ ـ الأنفال.

٢٩ ـ ﴿فإذا انسلخَ الأشهرُ الحرُم فاقتُلوا المُشركينَ حيث وجدتُموهُم وخُذُوهُم واحصُروهُم واقعدُوا له كلَّ مرصدٍ فإن تابُوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فخلّوا سبيلَهم إنّ الله غفورٌ رحيم﴾ ٥ ـ التوبة.

٣٠ ـ ﴿وإن نكثُوا أيمانَهم من بعدِ عهدِهِم وطَعَنوا في دينِكُم فقاتِلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أيمانَ لهم لعلّهم ينتَهون﴾ ١٢ ـ التوبة.

٣١ ـ ﴿ألا تُقاتِلوا قوماً نَكَثُوا أيمَانَهم وهمُّوا بإخراجِ الرسولِ وهم بدَءوكُم أول مرةٍ أتَخشَونَهُم فالله أحقُّ أن تخشَوهُ إن كنتُم مؤمنين﴾ ١٣ ـ التوبة.

٣٢ ـ ﴿قاتِلوهم يُعذِّبهُم الله بأيديكُم ويُخزِهِم وينصُركُم عليهم ويشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين﴾ ١٤ ـ التوبة.

٣٣ ـ ﴿وقاتِلوا المشركينَ كافةً كما يُقاتِلونَكُم كافّة واعلموا أن الله مع المتّقين﴾ ٣٦ ـ التوبة.

٣٤ ـ ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهُم بأنّ لهم الجنّةَ يُقاتلونَ في سبيلِ الله فيَقتُلونَ ويُقتَلونَ وعداً عليهِ حقاً في التوراةِ والأنجيلِ والقرآنِ ومن أوفَى بعهدِهِ من الله فاستَبشِرُوا ببيعِكُمُ الذي بايَعتُم بهِ وذلكَ هو الفوزُ العظيم﴾ ١١١ ـ التوبة.

٣٥ ـ ﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا قاتِلوا الذينَ يَلُونَكُم من الكفّارِ وليَجِدوا فيكُم غِلظَةً واعلموا

أن الله مع المتّقين﴾ ١٢٣ - التوبة.

٣٦ - ﴿أُذِنَ للّذينَ يُقاتَلُون بأنّهم ظُلموا وإنّ الله على نصرِهِم لقدير﴾ ٣٩ - الحج.

٣٧ - ﴿وَرَدَّ الله الذين كَفروا بغيظِهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنينَ القتالَ وكانَ الله قويّاً عزيزاً﴾ ٢٥ - الأحزاب.

٣٨ - ﴿وأنزَلَ الذينَ ظاهَرُوهُم من أهلِ الكتابِ من صياصِيهم وقذَفَ في قلوبِهم الرُّعبَ فريقاً تقتُلونَ وتأسِرونَ فريقاً﴾ ٢٦ - الأحزاب.

وقال الله تعالى في المنافقين من أهل المدينة:

٣٩ - ﴿لَئِن لم ينتهِ المنافقونَ والذينَ في قلوبهم مرَضٌ والمُرجفون في المدينةِ لنُغرِيَنَّكَ بهم ثمّ لايُجاورونَك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أُخذِوا وقُتِّلوا تقتيلا * سُنّةَ الله في الذين خلوا من قبلُ ولَن تجدَ لسُنّةِ الله تبديلاً﴾ ٦٠ - ٦٢ - الأحزاب.

٤٠ - ﴿فإذا لاقيتُمُ الذينَ كفروا فضربُ الرقابِ حتى إذا اثخَنتُموهم فشدّوا الوثاقَ فإما مَنّا بعدُ وإما فِداء حتى تَضَعَ الحربُ أوزارَها ذلك ولو يشاء الله لانتصَرَ منهم ولكن ليبلُوَ بعضَكم ببعضٍ والذينَ قُتِلوا في سبيلِ الله فلن يُضّل أعمالهم﴾ ٤ - محمد.

٤١ - ﴿قُل للمُخلَّفينَ من الأعرابِ ستُدعَونَ إلى قوم أولي بأسٍ شديدٍ تُقاتِلونَهم أو يُسلِمُونَ فإن تُطيعوا يؤتِكم الله أجراً حسناً وإن تَتَولّوا كما تولّيتُم من قبلُ يعذّبكم عذاباً أليماً﴾ ١٦ - الفتح.

٤٢ - ﴿ولو قاتَلَكُم الذينَ كفروا لولّوا الأدبارَ ثمّ لايَجدونَ وليّاً ولا نصيراً﴾ ٢٢ - الفتح.

٤٣ - ﴿وإن طائفتانِ من المؤمِنين اقتَتَلوا فاصلِحوا بينَهُما فإن بغَت إحداهُما على الأخرى فقاتِلوا التي تبغِي حتى تفيء إلى أمرِ الله فإن فاءت فأصلحوا بينَهما بالعدلِ وأقسِطوا إنّ الله يُحبّ المقسِطين * إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلِحوا بين أخوَيكم واتّقوا الله لعلَكُم تُرحَمون﴾ ٩ - ١٠ - الحجرات.

لقد أحب الله تعالى أن يميز المؤمنين الذين دخلوا الإسلام وجاهدوا فيه وقاتلوا تطوعاً وحباً بالإسلام من الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة وهم مكرهون، حيث لم يبق لهم مكان في الأرض بعد انتصار المسلمين النهائي:

٤٤ - ﴿لايستَوي منكم من أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ أولئكَ أعظمُ درجةً من الذينَ

أنفقوا من بعدُ وقاتَلوا وكُلاً وعدَ الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾ ١٠ ـ الحديد.

٤٥ ـ ﴿ألم ترَ إلى الذينَ نافقُوا يقولونَ لإخوانِهِم الذين كفروا من أهلِ الكتابِ لئِن أُخرِجتُم لنخرُجَنَّ معكُم ولانُطيعُ فيكُم أحداً أبداً وإن قُوتِلْتُم لننصُرَنَّكُم والله يشهدُ أنهم لكاذبون﴾ ١١ ـ الحشر.

٤٦ ـ ﴿لا يُقاتِلونَكُم جميعاً إلا في قرىٍ محصنةٍ أو من وراء جُدُرٍ بأسُهم بينهم شديدٌ تحسَبُهم جميعاً وقلوبُهم شتّى ذلك بأنّهم قومٌ لايعقِلون﴾ ١٤ ـ الحشر.

٤٧ ـ ﴿لاينهاكُم الله عن الذينَ لم يُقاتِلوكُم في الدينِ ولم يُخرِجوكُم من ديارِكُم أن تبَرُّوهم وتُقسِطوا إليهم إنّ الله يحبُّ المُقسِطين * إنّما ينهاكُم الله عن الذينَ قاتَلوكُم في الدينِ وأخرجوكُم من دياركُم وظاهَروا على إخراجِكُم أن تَولَّوهُم ومن يتولَّهُم فأولئك همُ الظالمون﴾ ٨ ـ ٩ ـ الممتحنة.

٤٨ ـ ﴿إن الله يُحبُّ الذينَ يقاتِلونَ في سبيلِهِ صفّاً كأنّهم بُنيانٌ مرصوص﴾ ٤ ـ الصف.

٤٩ ـ ﴿وآخرون يُقاتلون في سبيلِ الله فاقرؤا ماتَيسَّر منه﴾ ٢٠ ـ المزمل.

إن كل الآيات السابقة من آيات القتال في الإسلام تنطبق عليها حالات القتال الدائمة، لأنها كلها من أنواع القتال الدفاعية، وقد بيّنت أن الدفاع في الإسلام يكون عن خمسة أمور دفاعاً مستوجباً للقتال.

١ ـ الدفاع عن الدين والعقيدة ضد معتدٍ من دين آخر.

٢ ـ الدفاع عن النفس ضد من يريدُ الاعتداء عليك وقتلك.

٣ ـ الدفاع عن العرض والشرف ضد معتدٍ لايُقَدِّرُ ولايحترم حرمات الآخرين.

٤ ـ الدفاع عن الأرض والوطن ضد من يحاول احتلال الأرض.

٥ ـ الدفاع عن الأموال والممتلكات ضد من يريد الاستيلاء عليها.

والآيات السابقة تتبع لهذه الحالات، لذلك فكلها عاملة وفعالة إلى يوم الدين، وليس فيها آيات منسية أو منسوخة كما يدعي بعض الناس من ذوي الأغراض والمصالح.

وأول آية سمحت بالقتل والقتال في الإسلام هي الآية رقم ٣٩ من سورة الحج.

﴿أُذِنَ لِلّذينَ يُقاتَلُونَ بأنّهم ظُلموا وإن اللهَ على نصرهم لقدير﴾ ٣٩ ـ الحج (مدنية).

وكما إن الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل - وهناك روايات كثيرة بأنها آية مدنية مع أن السورة من أساسها كانت مكية. كما أن آية القتال في تلك الآية تنبؤية من الله عما سيحدث في المستقبل من أيام المسلمين، وهذا واضح من سياق الآية.

والآن إذا قرأنا آيات القتال السابقة كلها بهدوء، سوف نميز الأمور التالية:

أولاً: إن كل الآيات مدنية، بمعنى أنها نزلت في المدينة وبعد هجرة الرسول ﷺ.

ثانياً: سوف نلاحظ عدم ورود أي كلمة تشير إلى الجهاد ضمن تلك الآيات حتى لايختلط على المسلم بين الجهاد والقتال في سبيل الله.

ثالثاً: سوف تلاحظون وجود ضحايا وقتلى من الطرفين المتقاتلين في آياتَ القتال.

بينما لاحظتم، سابقاً، عند جرد آيات الجهاد أن بعضها نزلت على الرسول في مكة وبعضها نزلت في المدينة، والآن نسأل الذين يظنون أو يعتقدون بأن آيات الجهاد هي نفس آيات القتال: كيف تفسرون وجود آيات جهاد نزلت في الفترة المكية، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لم يسمح بالقتال للمسلمين، إلا بعد هجرة الرسول وبعد نزول الآية السابقة التي ذكرتها قبل قليل وهي الآية رقم ٣٩ من سورة الحج والتي تبدأ ﴿أُذنَ للذين يُقاتلون بأنّهم ظُلموا﴾.

إذاً فلا بد من الإقرار والاعتراف بأنّ آيات الجهاد سلمية ولا علاقة لها بالقتال، وهذا هو البرهان الثالث أيضاً بشهادة آيات الله ومن القرآن الكريم، أثبته لكم من ثلاثة وجوه مختلفة، حتى لايبقى لمسلم شك بأن ما أدعوا إليه هو الحقّ الكامل الذي لاظن فيه أبداً.

ومن كان يعتقد أن كلمتي الجهاد والقتال مترادفتان هو مخطىء، ولابد من إلغاء ذلك من بين معتقداته خاصةً بعد أن رأى بعينيه البرهان كما سمع بأذنيه.

﴿قُل أيُّ شيء أكبرُ شهادةً قُل الله شهيدٌ بيني وبينكُم﴾ ١٩ - الأنعام.

ملاحظة: قد يموت المجاهد أثناء سفره عطشاً أو جوعاً أو إجهاداً أو قتلاً من لص، أو قاطع طريق، ولكننا لانسمي ذلك قتالاً في سبيل الله، بل تقول إنه توفي أو قتل أثناء جهاده السلميّ.

ووسيلة دعوة المجاهد لله هي ماتنص عليه الآية:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنة﴾ ١٢٥ - النحل.

محاولين التَشَبُهْ بأخلاق الرسول قدر الإمكان وليس بمظهره الخارجي من لباس وشكل حلاقة، لأن ميزة الرسول عن باقي الناس من حوله كانت أخلاقه وأمانته وصدقه ووفاءه

وكرمه وعزّةُ نفسه، أما شكله لم يكن يتميز عمّا حوله بشيء أبداً لدرجة أن الغريب كان يدخل المسجد ويسأل: (أيّكم محمد؟) ولو كان مميّزاً بشكلهِ ولباسهِ مثل رجال الدين الحاليين لعرفه الداخل دون الحاجة للسؤال عنه.

﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ماعنِتُّم حريصٌ عليكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم﴾ ١٢٨ ـ التوبة.

صدق الله العظيم

رابعاً: البرهان بأن الله سبحانه وتعالى أذن بأذن خاص للرسول ﷺ وحده، وبالذات لشخصه لممارسة القتال كوسيلة من وسائل القضاء على أعداء الإسلام والمناوئين السياسيين في الجزيرة العربية ولم تكن وسيلة من وسائل نشر الدعوة، أو بالأحرى فرضها على المشركين والكفار في مكة والجزيرة العربية تحت إشراف الله المباشر وخلال فترة اتصال واستمرار الوحي من السماء بوجود الرسول حياً وحتى وفاته، من أجل إمكانية التدخل لتوجيهه باستمرار حتى لاترتكب أخطاء ومظالم من قبل المقاتلين يمكن أن تحصل دون وجود الرعاية الإلهية المباشرة، وهذا سوف يكون له تأثيرٌ سلبي على الدعوة الإسلامية قد تصل إلى مستوى الكارثة على العقيدة الإسلامية كما حصل فعلاً في أوروبا أثناء حكم سلاطين بني عثمان الذين مارسوا الدعوة للإسلام بالسيف والعنف، فالله سبحانه يعلم أن الإيمان لايتمّ إلّا تحت ظروف الحرية الكاملة للإختيار لأن منطقة الإيمان في الإنسان مصونة ولايمكن الحصول على إيمان المرء بالإكراه.

والآية التي تحدد هذا النوع من القتال، هي آية واحدة في القرآن الكريم وهي الآية رقم ٨٤ من سورة النساء، والتي تقول:

﴿فَقَاتِل في سبيلِ الله لاتُكَلَّف إلا نَفسُكَ وحرِّض المؤمنين عسى الله يكفّ بأسَ الذين كفرُوا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً﴾ ٨٤ ـ النساء.

والله تعالى يخاطب شخص الرسول بالذات في هذه الآية، وكما تلاحظون لم يقل سبحانه: يا أيها الذين آمنوا، أو ياأيها المؤمنين، أو قل للمؤمنين. أو فقاتلوا (بصيغة الجمع). كل هذه الحالات غير موجودة.

فالله تعالى يخاطب الرسول الكريم بصيغة المفرد ويقول له:

(فقاتل في سبيل الله)، ثم ينبهه تنبيهاً خاصاً، له معنى خاص إلى أن ذلك القتال مرتبط بشخص الرسول وحياته الشخصية:

﴿لاتُكَلَّف إلا نفسُك﴾

ثم يقول له ﴿وحرِّض المؤمنين﴾ ولايقول سبحانه (على القتال) تركها لتفهم من سياق الآية، لأنه سبحانه لايريد أن يتخذها أي شيطان على الأرض ذريعة وإذناً من الله بالسماح للمسلمين بالقتال من أجل نشر الدعوة الإسلامية بالسيف.

ثم: بين سبحانه السبب الذي من أجله سمح للرسول بهذا الممنوع:

﴿عسى الله أن يَكُفَّ بَأْسَ الذين كفروا﴾

شاء سبحانه أن يكسر شوكة الكفار من الذين لم يؤمنوا بعد في مكة وباقي الجزيرة العربية، فيريد منهم إقراراً ولو بالقوة مع الشهادة ولو باللسان والاعتراف بالإسلام، حتى يجبرهم الرسول على وضع السيوف المرفوعة في وجه الإسلام، ليستطيع هو وخليفته من بعده الوقوف في وجه الأعداء الخارجين المتمثلين بالرّوم والفُرس، شرحت مرات عديدة في هذا الكتاب أن سبب قتال الرسول في تلك الحرب الخاصة ضد المشركين لم يكن من أجل نشر الدين الإسلامي إطلاقاً، لأن الله تعالى يعلم قبلنا أنه لايمكن نشر أي عقيدة بين الناس بالقوة فهو الذي خلق الإنسان يعلم أن منطقة الاعتقاد عنده مصونة، ولايمكن الدخول إليها بالعنف، ولكن كما رأيتم كانت الغاية سياسية للقضاء على كل أعداء الإسلام من المناوئين كقوى منظمة مثل المشركين وزعماء القبائل. وبالقضاء على تلك القوى السياسية في الجزيرة بالقوة ليكون الرسول قد أمن طهر جنوده من كل الأعداء الداخلين لأنهم كانوا سوف يدخلون في قتال مرير مع أكبر امبراطوريتين في العالم في عهد عمر بن الخطاب ولو لم يكن ظهر الجنود مُؤَمَّناً لما استطاعوا الدخول في تلك المعارك ضد الروم والفرس، الذين تنبهوا لظهور خطر مفاجىء في الجزيرة العربية لم يكونوا يتوقعونه ولاينتظرونه سابقاً، لكن الله تعالى كان يعلم أن المسلمين لايستطيعون القيام بتلك المواجهة قبل تأمين الجبهة الداخلية وإنهائها بأي شكل من أجل الالتفات للخطر الخارجي، وهذا بالفعل ماأراد الله من الرسول تحقيقه، بمثل هذا النوع من القتال الخاص الذي لم يسمح به سبحانه إلا في تلك الآية من القرآن الكريم ومعها آية أخرى، على نفس الأسلوب في القتال.

وكل ذلك لعلم الله تعالى أن هذا النوع من القتال من الأمور الحساسة التي إن أسيء فهمها وتنفيذها مع ارتكاب أخطاء يمكن أن تودي إلى عكس النتائج المرجوة: كإرتكاب

مظالم ومجازر دموية نتيجة أحقاد شخصية يمكن أن تؤدي شكلاً إلى نصرٍ ظاهري تاركاً جروحاً أكبر وأحقاداً أعمق في النفوس، لذلك رأيتم كيف التزم الرسول برباطة الجأش والحكمة والاتزان ابتداء من صلح الحديبية وقبول الرسول بشروط المشركين والتساهل معهم، ثم في عام الفتح حيث كانت نموذجاً ممتازاً لهذا النوع من القتال الذي ربطه الله تعالى بنفس الرسول، حتى يتجنب قدر الإمكان استخدام أسلوب العنف والسيف والقتل، مفضلاً الوصول للنصر بأسلوب فرض الرأي بالقوة. قوة السلاح الذي ليس بالضرورة أن يكون متلازماً بالقتل والدماء إذا كان بالإمكان تجنبها، ولاحظتم كيف أن الرسول قد عفا عن الجميع بعد أن أصبحوا في قبضته مع أنهم كانوا من أعدائه القدماء، فبدل قتلهم عفا عنهم وبدل معاقبتهم، أعطاهم أموالاً، ولم تكن هذه الأمور برأي خاص من الرسول الكريم بل بأوامر من الله موجودة في القرآن، فآية (المؤلفة قلوبهم) تؤكد وجوب إعطاء المال لاستمالة قلوب بعض الزعماء من الذين كانوا أعداء الإسلام فيما سبق لاستمالتها للإسلام من جديد وإقناعهم مادياً حتى لايرفعوا راية العصيان والعداء من جديد.

الآية رقم ٩٤ من سورة النساء:

﴿يا أيّها الذينَ آمنوا إذا ضربتُم في سبيلِ الله فتبيّنوا ولا تَقُولوا لِمَن ألقى إليكم السلم لستَ مؤمِناً تبتغون عرَضَ الحياةِ الدنيا﴾ ٩٤ ـ النساء.

هذه الآية توضح للمؤمن وتحذره من قتل خصمه الذي يقاتله في آخر لحظة إذا قال (لا إله إلا الله) عليه أن يتوقف عن قتله.ولايقول: لقد قالها كاذباً فيقتله من أجل أن يأخذ سَلَبَه أو زوجته أو أي شيء آخر من عرض الحياة الدنيا.

وينبهه سبحانه أنه إن فعل وقتل الرجل بعد تلك الشهادة يكون المقاتل قد ارتكب جريمة القتل العمد للمؤمن: وهي ماتشرحه الآية التي قبلها:

﴿ومن يَقْتُلْ مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جنهمُ خالداً فيها وغضبَ الله عليه ولعَنَهُ وأَعدَّ له عذاباً عظيماً﴾ ٩٣ ـ النساء.

كل ذلك حتى لايقتل المقاتل من قال له: لا إله إلا الله. لأنه كما رأيتم قد أصبح بتلك الشهادة مؤمناً، وإن كان كاذباً فحسابه على الله وليس على العبد.

ولذلك لولا وجود ذلك الإشراف من الله لما كان من الممكن بعد الحروب الدامية التي حصلت في تاريخ الإسلام بين المؤمنين والمشركين من مكة أن يستطيع المسلمون الدخول إلى مكة وبيدهم السيوف دون إراقة للدماء.

وقد نهى الله تعالى عن هذا النوع من القتال بعد حجة الوداع وقبل وفاة الرسول الكريم بالإنساء وليس بالنسخ بإنزال الآيتين التاليتين:

﴿لاإكراهَ في الدينِ قد تبيَّنَ الرّشدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿وقلِ الحقُّ من ربّكُم فمن شاء فليؤمِن ومن شاء فليَكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وهاتان الآيتان أنستا الآية رقم ٨٤ من سورة النساء، علماً أن عبارة (لاتُكلّف إلا نفسك) وحدها تنسي هذه الآية مباشرة، بوفاة الرسول وانتقال نفسه الطاهرة راضية مرضية إلى ربها الكريم.

وكما أنست الآية التالية من سورة التوبة:

﴿قاتلُوا الذينَ لايُؤمنون بالله ولا باليومِ الآخر ولايُحرّمونَ ماحرَّمَ الله ورسولُه ولايدينون دينَ الحقّ من الذين أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعطوا الجزيَة عن يد وهم صاغرون﴾ ٢٩ ـ التوبة.

قد أُنسيت هذه الآية ولم يعد لها أي مفعول بعد وفاة الرسول الكريم، ولم يبق في الإسلام من آيات القتال مسموحاً به إلا مابيّنت لكم سابقاً، بشرط أن تكون كلها حروباً دفاعية عن المواضيع الخمسة التي ذكرتها، وكل الحروب الهجومية مرفوضة من أساسها لأنها جميعاً حروب عدوانية، والله سبحانه لايحب الظلم والعدوان أبداً ونجد آياتٍ كثيرة في القرآن تنهى عن ذلك تأكيداً لمنع الظلم والاعتداء:

﴿وتعاوَنوا على البرِّ والتقوى ولا تعاوَنوا على الإثمِ والعُدوان﴾ ٢ ـ المائدة.

﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا إذا تناجَيتُم فلا تتَناجَوا بالإثم والعُدوان﴾ ٩ ـ المجادلة.

والله تعالى ينبّه المسلمين والمؤمنين، أن من يفعل ذلك فعليه مسؤولية كبيرة ولن يغفرها له بدليل الآية، لأن الله لايغفر الظلم والعدوان بأي شكل:

﴿ومن يفعَل ذلكَ عُدواناً وظلماً فسوف نُصْليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ ٣٠ ـ النساء.

وقبل نهاية هذه الفقرة، أحب أن ألفت النظر إلى دقة الله تعالى في استخدام الكلمات:

ففي الآية رقم ٨٤ من سورة النساء يقول سبحانه:

﴿فقاتل في سبيلِ الله لاتكلَّفُ إلاّ نفسَكَ وحرِّضِ المؤمنينَ عسى الله أن يكفَّ بأسَ الذين كفروا﴾

أما في آية الأنفال فيقول سبحانه:

﴿ياأيّها النبيّ حرّض المؤمنينَ على القتال﴾ ٦٥ ـ الأنفال.

في الحالة الأولى: حالة خاصة من أنواع القتال فرضتها الظروف ولايريد الله تعالى أن تستمر مع المسلمين بعد وفاة الرسول، فيتجنب الله تعالى ذكر أي كلمات مثل: (حرض المؤمنين على القتال) حتى لايتخذها شياطين الإنس ذريعة لحروب أخرى لهم فيها مصالح دنيوية، فيسنون حروباً عدوانية باسم نشر الإسلام والجهاد كما فعلها السلاطين فيما بعد، ولكن في الآية رقم ٦٥ من سورة الأنفال، اختلف الموضوع فالحرب دفاعية مشروعة ضد المعتدين على المسلمين فيطلب الله تعالى من النبي تحريض المؤمنين على القتال دفاعاً عن الأمور الخمسة التي عددتها سابقاً، وهكذا نكون قد فهمنا الموضوع، وأكون قد برهنت لكم بالدليل القاطع وبشهادة آيات الله أن لاعنف في الدعوة الإسلامية، إلى يوم الدين، بل كلها على أسلوب الآية الكريمة:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحِكمةِ والموعظةِ الحَسَنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

وكان هذا هو المطلوب برهانه ليتأكد الجميع أن العنف مرفوض كأسلوب في الإسلام خاصة إذا كان ظلماً وعدواناً، مع العلم والأسف الشديد أنه كان أسلوباً دائماً للسلاطين الذين جعلوا من الجهاد السلمي قتالاً دائماً لنشر الإسلام بالسيف في كل العالم من أجل جلب كنوز الأمم مع السبايا التي لم تنقطع عن قصور السلاطين خلال عصور دين الإسلام بالاسم، مع سيطرة الوهم والباطل والظلم والجهل على النفوس، وماكل ماذكرنا إلاّ من الشيطان وليس منها شيء واحد من صفات الرحمن أبداً، وحتى كتاب الله هجروه وتحايلوا على الناس الذين تركوه واتّبعوا ما تَقَوّلَه جنود السلطان ظلماً وافتراء على الله والرسول.

ونحن نظن اليوم أنهم أوجدوا لنا مليون حديث شريف حباً بالله وبالإسلام وبالرسول محمد ﷺ فعشقنا تلك الأحاديث وتركنا من أجلها كتاب الله مهجوراً وإلى اليوم.

خامساً: لمصلحة من كانت عملية القلب لفكرة الجهاد السلمية في القرآن الكريم وجعلها مرادفة تماماً لفكرة القتل والقتال والغزو المقترن بالقتل والسلب والنهب والسبي؟

لا أكشف سراً ولا أكتشف حقيقة جديدة لم يكن يعرفها السابقون حين أقول: لقد أجمع كل السلاطين الذين تتابعوا على كرسي الخلافة الإسلامية تحت اسم أمير المؤمنين وخليفة خلفاء الرسول، على اختيار جنة الدنيا وتفضيلها عن جنة الله في الآخرة، إلا

خليفة واحد منهم هو الخليفة العادل (عمر بن عبد العزيز) الأموي الذي دام حكمه سنة ونصف السنة مات بعدها مسموماً من قبل الطامعين بحكمه وبالدنيا، فأوجد هؤلاء السلاطين على مر العصور ديناً آخر وشريعة أخرى وكتاباً آخر غير دين الله الذي في كتاب القرآن، وسنناً أخرى غير سُنَّة الله، وشريعة أخرى غير شرع الله وأحكامه، وماكان كتابي هذا إلا للبرهان لكم جميعاً على كل هذه الحقائق معاً حتى تتيقنوا أن مانحن عليه اليوم ليس إسلام الله؛ بل إسلام السلطان ودينه وشرعه وكتابه، وبعيد بل مناقض لدين الله وإسلام القرآن وشرعه وأحكامه.

وكل مافي دين السلطان أُوجد أصلاً لمصلحة السلطان ومن حوله من المنتفعين من المعاونين والمستشارين والموظفين والمفترين لدينه وشرعه من جنوده الأوفياء له أعداء الله والدين والحق والرسول الكريم.

فهل مازلتم تظنون أنَّ ماخلّفه لكم السلاطين هو دين الرحمن؟ إنَّ كل من يعتقد ويؤمن بذلك فهو من ضلال مبين. دين الرحمن لايوجد إلا في كتاب الرحمن الذي مازلنا نخاف أن نلمسه، وقد أرسل لنا من أجل أن نحبه ولانفارقه أبداً.

وأعود إلى موضوعنا، إذ لابد لنا أن نفهم آيات القتال كلها لنفهم بعد ذلك ماهو الصحيح وماهو المفترى على الله لمصلحة أصحاب السطوة والنفوذ الدنيوي من الأحاديث فالله تعالى بحسب القرآن جعل الكفاح في الإسلام نوعين مختلفين في إسلام القرآن.

أحدهما وهو الكفاح الدائم المستمر مع الإسلام إلى يوم الدين وهو الذي يحتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس من قبل المؤمن كما برهنت لكم في آيات الجهاد من ثلاثة وجوه استناداً لآيات الجهاد في القرآن الكريم، التي استمرت كما رأيتم بالنزول على الرسول خلال فترة الوحي كلها من العهد المكي إلى نهاية العهد المدني بوفاة الرسول الكريم بعد الهجرة بعشر سنين. ومن سياق وصيغة آيات الجهاد يمكن أن تُفهم أنها باقية ومستمرة الفعالية مادام هذا الدين موجوداً بين الناس على الأرض، حتى يرثها الله وماعليها يوم الدين.

والثاني كان هو الكفاح الحربي المتميز بالعنف والقتال والذي بدأ بإذن خاص من الله سبحانه بالآية الكريمة:

﴿أُذِن للّذينَ يقاتَلونَ بأنّهم ظُلموا وأنّ الله على نصرِهم لقدير﴾ ٣٩ ـ الحج (مدنية).

واستمرت آيات القتال تنزل بعدها موجَّهَةً الرسول والمؤمنين إلى كل أمور المتعلقة بهذا

النوع من الكفاح الحربي الدفاعي ضد كل الأعداء والمعتدين، كاشفاً للرسول عن أمور المنافقين والذين يعملون سراً على تقويض وإضعاف الحركة الإسلامية الفتية، من الذين كان تأثيرهم على المؤمنين أشدّ من تأثير الأعداء الخارجيين من كفار ومشركي قريش، الذين كانوا يتزعمون حركة المعارضة والرفض لهذا الدين الجديد، ووصل بهم الأمر من العنف والشدة إلى حد القتل والقتال والحرب ضد المؤمنين لإنهاء هذه العقيدة الجديدة قبل أن تكبر ويشتد عودها مع مرور الأيام.

وأتت ظروف كان التفوق العددي والنوعي (نوع الأسلحة من إمكانيات تأْمين الخيول والدروع) والمادي بجانب المشركين، فأراد الله سبحانه أن ينصر انصار الحق من المؤمنين على قلّتهم مع انسحاب شيخ المنافقين زعيمهم (عبد الله بن أبي) من أرض المعركة بثلث العدد الذي خرج للقتال في معركة بدر الكبرى:

وإليكم الآية التي تصف هذه المعركة من القرآن الكريم:

﴿قد كانَ لكُم آيةٌ في فئتَين التقَتَا فئةٌ تقاتِلُ في سبيلِ الله وأخرى كافرةٌ، يرونَهم مِثلَيهم رَأيَ العينِ واللهُ يؤيّدُ بنصرِهِ من يشاءُ إنّ في ذلكَ لَعِبرةً لأولي الأبصار﴾ ١٣ ـ آل عمران.

وهكذا استمرت آيات القتال التي عددتها لكم في هذا البحث لتكون قانوناً دائماً للمسلمين في كل حروبهم الدفاعية عن جميع الأعداء من المعتدين على الحرمات الخمسة التي عددتها أيضاً، وهذه الآيات آيات قتال دائمة المفعول ضد أي معتدٍ خارجي يمكن أن يقابل المسلمين في أي يوم من الأيام ولا نسخ ولا إنساء لتلك الآيات أبداً، وكما برهنت لكم على وجود نوع آخر من القتال سمح به الله في حياة الرسول لأسباب خاصة بينتها في مكانها وانتهى مفعولها بعد وفاة الرسول، وبعد نزول الآيات التي تنسي موضوع ذلك النوع من أنواع العنف والقتال.

وماذكرته لكم حتى الآن هو الحقيقة الكاملة بشهادة آيات كتاب الله، لكن ليس معنى هذا أن التي يطبقها المسلمون حتى اليوم هي تلك الحقيقة نفسها، لقد لعبت شياطين النفوس والمصالح بهذه الأمور فغيرت الحقيقة الرحمانية وحولتها إلى حقائق سلطانية بدافع من السلطان وجنوده الذين كانوا وراء تحقيق المصالح أكثر من الحق والعدل على الأرض، وهذه حقيقة واقعة ليس من مصلحتنا اليوم تجاهلها، فاحتالوا على الناس بإبعاد القرآن وآياته عن أيديهم وفهمهم وتداولهم جميعاً، وهذه حقيقة تاريخية لايستطيع أن ينكرها أحد إلا أن يكون هو نفسه من أصحاب المصلحة لإبقاء أفكار الضلال على

الأرض بدل أفكار الله.

يجب أن يقول المسلمُ الحقَّ ولو على نفسه دون شعور بالضَّعف، وهل يشعر بالضعف من كان الله بجانبه؟

والمسلم لن يبقى وحيداً إلى الأبد، لابد من الحقيقة أن تعم الناس من جديد. عندها سوف يقولون لبعضهم كما قال الرسول ﷺ للصديق وهما في الغار:

﴿إلاّ تنصرُوهُ فقد نصَرَهُ الله إذ أخرَجَهُ الذينَ كفروا ثانيَ اثنَين إذ هُما في الغارِ إذ يقولُ لصاحبِهِ لاتحزَن إنّ الله معَنا﴾ ٤٠ ـ التوبة.

لقد حرف السلطان وجنوده دين الحق، من أجل أن يجعل نفسه إلهاً يعبد ويطاع بدلاً عن الله، وأوجد له جنوده الكتاب والشريعة والأحكام الجديدة الخاصة بدين السلطان، وكانت أغلبها على شكل أحاديث افتراها جنوده الأخصائيون في الافتراء والتحريف خدمة لسيدهم السلطان وتحقيقاً لغايات ورغبات وأهواء وشهوات دنيوية بحتة لاعلاقة لها بالدين ولا بالله، ولاجرم أنهم خانوا بذلك الله والرسول وكفروا وينتظرهم حساب عسير.

﴿فويلٌ للّذينَ يكتُبون الكتابَ بأيديهم ثمّ يقولونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهُم مّما كتبَت أيديهم وويلٌ لهُم مّما يكسِبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

ألم يؤلفوا عشرات الألوف من الأحاديث ظلماً وكذباً وافتراء على الله ورسوله؟

ألم يقولوا عنها أولاً إنها من أقوال الرسول وأحاديثه الشريفة؟

ألم يقولوا عنها بعد ذلك إنها أيضاً وحي من الله مستندين إلى الآية القرآنية:

﴿ومايَنطقُ عن الهوى * إن هوَ إلاّ وَحيٌ يوحى﴾ ٣ ـ ٤ ـ النجم.

وهم يعلمون أن هذه الآيات من أوائل مانزل من الآيات في مكة على الرسول، وعندها لم يكن هناك رواة الحديث المزعومون، ولم يكن للرسول أحاديث تروى، بل كل ماكان الناس يتناقلونه عنه هي نصوص الآيات القرآنية التي نزلت عليه وحياً من السماء فكان الناس يختلفون، قسم يقول هي من الله وقسم يقول لابل هي من تأليفه وتأليف ورقة بن نوفل أو الراهب بحيرة، فالاختلاف كان على نص القرآن ولم يكن على نصوص الأحاديث، وجنود السلطان يعلمون هذا أفضل منا، ولكنهم يحرفون، وهم يعلمون لغاية في أنفسهم يعلمها الله وعلمناها بعد أن علمنا ماذا فعلوا بدين الله.

فالإنسان عندما يتبع هواه وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء كل ذلك يحرفه عن الحق

ويجعله يقول الباطل وهو يَعْلَمُ أنه يظلم، فقالوا عن الأحاديث التي افتروها وحي من الله وأحلّوها بدل القرآن كما تنبأ الله تماماً وقالها على لسان رسوله:

﴿يارِبّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآنَ مَهجوراً﴾ ٣٠ ـ الفرقان.

وهكذا مع مرور الزمن رُسِّخَ في فكر المسلمين جميعاً أن الجهاد كلمة مرادفة للقتال ومساوية له، وهي الفكرة التي سعى لها السلطان وجنوده لترسيخها عبر أجيال وقرون من عهود الظلم والظلام التي مرت على المسلمين وهم تحت سيطرة تلك الأوهام دون أن يخرج من المسلمين من يتتبع الحقائق لكشفها للناس من جديد وحتى اليوم.

ويجب أن لانتخيل جنود السلطان من بسطاء الناس بل كانوا من أمكر خلق الله على الأرض فقد كانوا يعرفون ويحرفون، وقد وصفهم (ابن قيم الجوزية) تحت عنوان علماء السوء بوصف ذكرته في أول هذا الكتاب، ساعدهم على تحقيق مآربهم الشيطانية عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها البعض هي التالي:

١ ـ عدم توفر كتاب الله بين أيدي الناس إذ إن الورق والطباعة لم تكن معروفة في أغلب العصور الإسلامية التي تتابعت على السلاطين، إذاً نستطيع أن نقول أن الناس أصلاً لم يكونوا يعرفون عن كتاب القرآن شيئاً إلا مايسمعونه من زبانية السلطان.

٢ ـ توفر روايات كثيرة تم جمعها من الصحابة في بداية العصر الأموي من الذين بقوا على قيد الحياة لتكون قاعدة لبناء دين السلطان وشرعه بعد تحريف تلك الروايات نفسها بالإضافة والحذف للكلمات وأنتم تعلمون أن إضافة حرف واحد إلى حديث كامل هو (لا) أو (لم) أو (لن) يقلب المعنى كله رأساً على عقب.

٣ ـ جنود السلطان يعلمون بوجود نوع خاص من القتال في الإسلام ينتهي بوفاة الرسول وهو موضوع الآية رقم ٨٤ من سورة النساء، التي شرحتها قبل قليل وبرهنت للجميع أنها تنتهي بحياة الرسول وكما أن الله تعالى أنزل آيتين لإنسائها، لكن تلك الآية بالذات كانت فرصة ذهبية بعد تأويلها تأويلاً يناسب مآربهم حتى يجعلوها دائمة، وبواسطتها حولوا كل آيات الجهاد التي لاعلاقة لها بالقتل والقتال إلى آيات قتال دائمة في الإسلام، وكأن الله سبحانه قد جعل دين الإسلام دين حرب وقتال دائم على الأرض وبلا توقف وليس دين سِلْمٍ وسلامٍ في العالم.

٤ ـ جنود السلطان يعلمون أن آيات الجهاد سلمية ودائمة ولا علاقة لها بالعنف والقتال

أبداً، لكن هذه الفكرة ضد كل رغباتهم في استمرار حياة الغزو والنهب والسلب التي مازالت نفوسهم تهواها من أيام الجاهلية القديمة التي لم تكن بعيدة عن خيالهم وذاكرتهم بعد، فكانت خطتهم جعل كلمتي القتال والجهاد مترادفتين.

٥ ـ تذكير الناس بآيات الجهاد الدائم من قبل جنود السلطان على أنها أوامر دائمة للقتال الدائم في الإسلام.

٦ ـ افتراء أحاديث كثيرة مستندة للروايات القديمة التي اكتتبوها عن أقوال الرسول أيام غزوات الرسول التسعة عشرة خلال حياته والتي ليس لها علاقة بالجهاد ولا بآيات الجهاد فجعلها جنود السلطان شرعاً دائماً للقتال في الإسلام.

وهكذا أبقى جنود السلطان باب الحرب مفتوحاً بشكل دائم واستغله كل السلاطين لضرب عصافير كثيرة بحجر واحد، منها:

أ ـ الإبقاء على جيش الإمبراطورية السلطاني الكبير مشغولاً بشكل دائم في حرب مستمرة يلهيهم عن الرجوع إلى العاصمة والاشتراك في المؤامرات والدسائس للتفكير في قتل السلطان وتنصيب بديل له إذا وجد الجنود أنهم لايحصلون على مايشاؤون من السلطان.

ب ـ بقاء الجيش محارباً بشكل دائم يبقي الروح القتالية عالية لدى المقاتلين، ومناظر القتل والدم تصبح لديهم من المناظر المألوفة فتهابهم كل الأمم المجاورة للإمبراطورية الإسلامية وتفعل كل مايطلب منها سلطان المسلمين.

ج ـ تدفق كنوز العالم كله إلى خزائن السلطان باسم الغنائم (خُمسُ الغنائم للسلطان).

د ـ تدفق أجمل فتيات العالم إلى قصور السلطان وجنوده باسم السبايا والجواري وتدخل تحت قائمة (ماملكت أيمانهم).

والمسلم الذي لايفكر ويشك بكل ماعنده من تراث ودين من مخلفات السلاطين بهذا الأسلوب العلمي الواقعي لايمكنه الوصول للحقائق يجب أن يعلم المسلم أن وراء كل شيء مصلحة، والمصلحة هي المفتاح السحري لِفَهم السياسة والدين وكلاهما واحد خاصة إذا كان مَنْ بيدهم الأمر من الذين استهوتهم الدنيا وشياطين النفوس.

وقد يستغرب المسلم إذا كان لايخلو من سذاجة ويقول كيف يمكن لمشايخ في الإسلام أن يبيعوا آخرتهم بدنياهم؟ ولكن الذي يقرأ القرآن بتمعن ويتعلم حقائق الله من كتاب الله يذهب استغرابه.

مثلاً، في قصة موسى في القرآن يخبرنا الله كيف أن قومه الذين آمنوا به وخرجوا معه من مصر ورأوا بأمّ أعينهم تسع معجزات كبيرة، منها أن الله فلق لهم البحر وجعلهم يمرون من خلاله وهم يسيرون على قاع البحر من صخور وتراب والماء إلى جانبيهم محجوز عنهم بقدرة الله حتى مروا سالمين ثم أغرقت من بعدهم جنود فرعون الذين لحقوا بهم من أجل إعادتهم إلى الأسر من جديد. مع كل تلك المعجزات ماذا فعل قومه جميعاً عندما تركهم موسى أربعين ليلة ومايزال بينهم النبي هارون أخو موسى وشقيقه؟

لقد كفروا وعادوا يعبدون العجل الذهبي الذي سكه لهم السامري أحد شياطين الإنس من الذين كانوا بينهم. فبعد مثل هذه القصص من القرآن يجب ألا نستبعد عن أنفسنا الكفر والإشراك بالله. لنستمع إلى ابن قيم الجوزية:

«كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة (السلطان) والذين يتبعون الشهوات فإنهم لاتتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً. فإذا كان العالم والحاكم مُحبّين للرياسة (السلطة) متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع مايضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفي الصواب، وينطمس وجه الحق. وإن كان الحق ظاهراً لاخفاء به ولاشبهة فيه. أقدم على مخالفته وقال: (لي مخرج بالتوبة).

وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى:

﴿فخلفَ من بعدِهم خلفٌ أضاعوا الصّلاةَ واتّبعوا الشهواتِ﴾ ٥٩ ـ مريم.

وقال تعالى:

﴿فخلفَ من بعدهِم خلفٌ ورِثوا الكتابَ يأخذونَ عرضَ هذا الأدنى ويقولون سيُغفَرُ لنا وإن يأتِهم عَرَضٌ مثْلُهُ يأخذوهُ ألم يُؤخَذ عليهم ميثاقُ الكتابِ أن لايقولوا على الله إلا الحقَّ ودَرَسوا مافيه والدارُ الآخرةُ خيرٌ للّذين يتّقون أَفَلا تَعقِلون﴾ ١٦٩ ـ الأعراف.

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العَرَض الأَدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيُغفَرُ لنا، وإن عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه، فهم مُصِرّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق: فيقولون:

إنَّ هذا (هُوَ) دينُهُ وشرعُهُ وحُكمُهُ خلاف ذلك:

(أي يفترون على الله ويقولون هذا هو دينُه وشرعُه بينما يعلمون أن حكم الله خلاف ذلك أفلا يعلمون دين الله وحكمه وشرعه؟ فتارة يقولون على الله مالا يعلمون، وتارة يقولون عليه مايعلمون بطلانه)(*).

ومن دقة الله في التعبير في الآية القرآنية لقد قال:

﴿فخلَفَ من بعدِهم خلفٌ أضاعوا الصلاةَ واتّبعوا الشهوات﴾

لم يقل سبحانه تركوا الصلاة، لعلمه أن كثيراً من المصلين اليوم وإن واظبوا على الصلوات الخمس وعلى العبادات شكلاً فقد أضاعوا الصلاة والعبادات لأنهم أشركوا بالله واتبعوا كلماافتراه لهم رجال الدين من الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات أيضاً.

فكما أن أصحاب موسى من الذين آمنوا معه ورافقوه سنين طويلة وهم يسمعون أحاديثه استطاع شيطان واحد من شياطين الإنس هو السامري أن يفتح لهم باب الشهوات من جديد ليحرفهم فاتبعوه قبل أن يرجع موسى إليهم، وأشركوا بالله. وهذه حقيقة تاريخية يخبرنا بها الله تعالى في القرآن، ونجدها في التوراة اليوم على أن هارون هو الذي فعل ذلك بموسى دون ذكر السامري، فيجب على المسلم أن لاينسى في أي لحظة من لحظات حياته وجود فتنة الشيطان. حتى الرسل فتنهم الله بالشيطان:

﴿ولقد فَتَنّا سليمانَ وألقينا على كرسيّه جَسداً ثم أنابَ﴾ ٣٤ ـ ص.

والله سبحانه يقول للرسول الكريم في القرآن:

﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحيّنا إليك لتفتري علينا غيرَهُ وإذاً لاتخّذَوكَ خليلا﴾ ٧٣ ـ الإسراء.

والله تعالى يشير في تلك الآية إلى قصة الغرانيق التي شرحتها مفصلاً في هذا الكتاب في موضع آخر.

وهكذا فُتِنَ كثير من جنود السلطان عن دينهم مؤملين بالتوبة قبل مغادرة هذه الفانية فيكونون بحسب ظنهم كما يؤملهم الشيطان بأنهم سوف يكسبونها دنيا وآخرة،

(*) عن كتاب الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية ـ توزيع دار الهدى ـ الرياض ـ ١٩٩٤ ـ الصفحة ١٥٠٠.

وسهل لهم الشيطان كل أفعالهم وافتراءاتهم متناسين أنهم باعوا آخرتهم بدنياهم، وأنا لا أتهم أحداً من عندي، لقد رأيتم وقرأتم بأنفسكم الدليل من القرآن ومن كتب التراث الإسلامي التي مازالت تقول الحقيقة لمن يبحث عنها.

فالذي اضاف كلمة واحدة لحديث الرسول الصحيح الذي يقول:

«من كذّب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» دون أن يغير أسماء رجال السند أو المتن إلا بتلك الكلمة أضاف: «متعمّداً» فأصبح الحديث بعد التحريف:

«من كذّب عليّ (متعمداً) فليتبوأ مقعده من النار»

وبالتالي صار عندنا من الكَذَبَةِ فريقان:

فريق كذب دون عمد فلا بأس من كذبهم، وفريق كذب متعمداً وهذا هو الفريق الذي سوف يعاقبه الله حسب رأيهم.

هل شعرتم بمدى تأثير تلك الكلمة المفردة في شرع الله كله وفي الدين؟ لقد كانوا من شياطين الإنس الحقيقيين، ولم يكونوا من بسطاء الناس أبداً.

وتحت بند البواعث التي أدت إلى الوضع (الكذب في الحديث) جاء من كتاب السنة للدكتور مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي الصفحة (٨٧) تحت البند السادس:

«فقد كانوا يحتسبون وضعهم للأحاديث في الترغيب والترهيب ظناً منهم أنهم (إن علماء المسلمين مازالوا يخافون على شعور الذين افتروا وكذبوا على الله والرسول بالأحاديث بعبارة (الوضع للأحاديث) بدل (افتراء الأحاديث)» - (المؤلف)

يتقربون إلى الله ويخدمون دين الإسلام ويحببون الناس في العبادات والطاعات ولما أنكر العلماء عليهم ذلك وذَكَّروهم بقوله «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قالوا: نحن نكذب له ﷺ ولا نكذب عليه).

وفي البند السابع ص ٨٨ نجد:

(ومن أمثله ذلك مافعله غياث بن إبراهيم إذ دخل على (الخليفة العباسي) المهدي وهو يلعب بالحَمَام فروى له الحديث المشهور«لاسبق إلا في نصل أو خُفٍّ أو حافر» وزاد فيه «أو جناح» إرضاء للمهدي فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم ثم قال بعد أن ولّى «أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ وأمر بذبح الحمام».

لماذا يدفع السلطان له أصلاً وهو يعلم بأنه كذاب؟؟ لأن الحديث الذي قاله هذه المرة

بإضافة جناح لايمكن للسلطان المهدي أن يستفيد منه بشيء، لكن الذي أدخل كلمة متعمداً على حديث الرسول الصحيح سهل لكل جنود السلطان من بعده الكذب على رسول الله بحجة أننا نكذب له ولا نكذب عليه ونحن غايتنا ونيتنا خدمة الرسول والإسلام وما الأعمال إلا بالنيات.

(لكن الذي دلّس تلك الكلمة للحديث الذي كان قبلها صحيحاً وبقي بعد الإضافة أيضاً برأي جنود السلطان صحيحاً، قد قبض مكافأته سراً دون أن نعلم من هو، لأن الخدمة كانت مطلوبة، أما لماذا دفع السلطان لذلك الكذاب فالأمر واضح أيضاً: لأن السلطان سوف يحتاج ذلك الكذاب عند اللزوم، لإصدار فتوى بتوقيعه مسنود إلى حديث شريف وهذا هو السرُّ في عدم انقطاع حبل الود بين السلطان وجنوده الكرام لدوام حبل المصلحة المتبادلة) - المؤلف.

بل نجد للمهدي تساهلاً آخر مع كذاب آخر وهو «مقاتل ابن سليمان البلخي»

فقد قال له مقاتل «إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس وبنيه»

فقال له المهدي: لاحاجة لي فيها... ثم لم يفعل معه شيئاً.

بل نجد أنهم ذكروا عن الرشيد (هارون الرشيد) وقد روى له أبو البختري حديثاً مكذوباً.. لايزيد في تأنيب أبي البختري، وقد أدرك كذبه، على أن يقول له:

«أخرج عني لولا أنك من قريش لعزلتك».

وقد كان البختري قاضياً للرشيد.

انتهى الفصل المنقول عن الدكتور السباعي.

وأمثال غياث بن إبراهيم، ومقاتل بن سليمان البلخي، وأبو البختري، من جنود السلاطين الذين كانوا يعلمون أن الحل الوحيد لمشاكل السلطان المتناقضة دائماً مع القرآن هو إيجاد منافذ دائمة لتحقيق رغبات كل السلاطين من خلال تحوير أحاديث الرسول، بالإضافة والحذف، حتى تؤدي المعنى المطلوب ثم نشرها بين الناس على أنها أحاديث صحيحة دققها الخبراء (خبراء الحديث) ودرسوا المتن والإسناد، فوجدوها سليمة مائة في المائة ولا شائبة، فيها، وإطاعتها من إطاعة الله في كتابه، صار هذا الحديث الذي هو في الحقيقة قانون يطبق على الناس بالقوة صادراً من الله مباشرة بوحي من السماء فصار ذلك القانون مقدساًوله صفة إلهية مفروضة على الناس بأمرٍ من السلطان.

وهكذا فإننا نكتشف أن أمثال هؤلاء الكذابين هم الذين خدموا كل السلاطين بإبعاد القرآن الكريم عن أيدي الناس بألف حجة وحجة، ووضعوا بدلاً عنه الأحاديث التي وضعت وصممت خصيصاً من أجل خدمة السلاطين تحت أسماء تضفي عليها القدسية، تغيرت الأسماء مع تغير الزمان دون أن يتغير المضمون المرغوب والمطلوب من قبل الذين دفعوا ثمنها، لأن تغييرها ببساطة ضد مصلحة السلطان ولو فهم الناس سرّ تمسكه مع جنوده بتلك الأحاديث لتركوها وعادوا تائبين للقرآن الذي هو في الأصل رسالة الإسلام.

ولكن الأحاديث بحسب تلك المصلحة كانت هي الأهم سميت أولاً بالوحي ثم سميت بكتاب الحكمة في عصور طويلة، منها عصر ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية كما رأينا. وأخيراً سميت في العصر الحديث بالسنة النبوية الشريفة، والأسماء الثلاثة من اختراع جنود السلاطين على مختلف العصور الإسلامية، وفي سبيل تلك الأحاديث تسابق خيرة الشباب في جميع البلاد الإسلامية وفي جميع العهود السلطانية التي بقي فيها اسم الخلافة الإسلامية، فكنت تجد في كل مدينة الآلاف منهم وقد تخصصوا في علوم الحديث مع بقاء القرآن الذي هو رسالة الله الحقيقية مهجوراً وقد عششت عليه العناكب والسر بسيط للغاية لأن كل السلاطين كانوا لايدفعون إلا لعلماء الحديث، حيث دفعوا من بيت مال المسلمين ومن حقوق الفقراء في سبيل تلك الأحاديث ملايين الملايين من الدنانير الذهبية التي كانت تُجبى من كل بلاد المسلمين ومن شعوبها التي تحملت الذل والفقر والجهل طالبين منهم دائماً الصبر، واعدين الذين يدفعون بسخاء جنة عرضها السموات والأرض عند الله، والذين يتأخرون عن الدفع: جهنم لهم في الأرض قبل نار السماء يُصلَونَ نارَهَا وعذابها.

أما السلاطين وجنودهم فقد ميزوا أنفسهم بحياة الترف والبذخ على حساب أولئك المظلومين محصنين أنفسهم بأحاديث مروية عن الرسول أن السلاطين لهم دائماً الحق في أن يسألوا الناس وهم لايُسألون من أحد وحسابهم على الله وحده.

وهكذا أكون قد برهنت لكم خلال هذا الفصل أن المستفيد الوحيد من قلب معنى فكرة الجهاد السلمية وجعلها مرادفة للقتل والقتال هم السلاطين الذين تابعوا على حكم المسلمين في أعقاب أول فتنة كبرى في الإسلام، مبعدين كتاب الله بمثل الدهاء الذي استخدموه في رفعه على أسنّة الحراب طلباً للتحكيم لقلب الحق باطلاً والباطلِ

حقاً. وكذلك استطاعوا إيهام الناس بأن هناك وحياً آخر من السماء أهم من القرآن، وهي افتراءات جنودهم التي قالوا عنها (الأحاديث الشريفة) ليحققوا بها وبواسطتها كل المستحيلات السبعة وحققوها فعلاً لسلاطينهم.

والغريب العجيب أن السلاطين وتسلطهم على الناس قد زالوا مع جنودهم إلى غير رجعة، وبقي الذي زرعه جنوده في عقول الناس من أوهام، ولا يريد كل المسلمين بديلاً عن تلك الأوهام التي غدت عزيزة على قلوب الجميع، وأعزّ من كتاب الله المهجور من قبل الجميع دون أن يكون لهم الجرأة الكافية لفتحهِ وقراءته والتغلب على وهم الخوف من لمسه من جديد متغلبين على العقدة النفسية التي ساهم الجميع على تشكيلها في نفوس المسلمين. وإذا حاولت اليوم أن تقنع أحد الذين وقعوا في عشق الحديث واستطعت بعد جهد جهيد أن تقنعه أن الرسول الكريم لايمكن أن يناقض نفسه والقرآن وأدخلت الشك في نفسه بصحة الحديث المنسوب ظلماً للرسول فإن هذا المريد يعود إلى شيخه ليزيل له الشك ويعيد إلى دين السلطان والشيطان من جديد بتأويلات جديدة لم يُنزل الله بها من سلطان.

﴿أَفَبِالباطلِ يُؤمنونَ وبِنِعمَتِ الله هم يكفُرون﴾ ٧٢ ـ النحل.

صدق الله العظيم

سادساً: آيات القتال الدائمة (وهي آيات القتال دفاعاًعن النفس أو العقيدة أو العرض أو الأرض والوطن أو المال) ضد أي معتدٍ على أحد تلك الحرمات من الأمور التي من حق المؤمن الدفاع عنها كائناً من كان المعتدي.

١ ـ ﴿وقاتلوا في سبيلِ الله الذين يقاتِلونَكم ولاتَعتَدُوا﴾ ١٩٠ ـ البقرة.

٢ ـ ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتَتَلوا فأصلحوا بينَهُما فإن بَغَت إحداهُما على الأخرى فقاتِلوا التي تَبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينَهما بالعَدلِ وأقسطوا إن الله يحبُّ المُقسطين﴾ ٩ ـ الحجرات.

٣ ـ ﴿لاينهاكُم الله عن الذينَ لم يقاتِلوكم في الدينِ ولم يُخرجوكُم من ديارِكُم أن تَبروهم وتُقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين﴾ ٨ ـ الممتحنة.

ثم تأتي الآية التي بعدها معاكسة لهذه فيقول سبحانه:

٤ ـ ﴿إنما يَنهاكُم الله عن الذينَ قاتَلوكم في الدينِ وأخرَجوكم من ديارِكُم وظاهروا

على إخراجِكُم أن تولّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون﴾ ٩ ـ الممتحنة.

هذه الآيات هي نماذج من آيات القتال الدائمة فقط، وقد عددت كل آيات القتال الدائمة في بداية البحث.

٥ ـ ﴿ولا تَقتُلوا النّفسَ التي حرَّم الله إلا بالحقّ ومَن قَتَل مظلوماً فقد جَعَلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾ ٣٣ ـ الإسراء.

٦ ـ ﴿وإن قوتِلتُم لَنَنصُرَنكُم﴾ ١١ ـ الحشر.

٧ ـ ﴿وقاتِلوا في سبيلِ الله الذين يُقاتِلونَكُم ولاتعتَدُوا إنّ الله لايحبُّ المعتدين. واقتلوهم حيث ثَقِفتُموهم وأخرِجوهم من حيث أخرجُوكُم والفتنةُ أشدُّ من القتل ولاتقتلُوهم عند المسجدِ الحرامِ حتى يُقاتِلوكُم فيه فإن قاتَلوكُم فاقتُلوهُم كذلك جَزاء الكافرينَ﴾ ١٩١ ـ البقرة.

٨ ـ ﴿ولا تقتلوا النّفسَ التي حرَّم الله إلاّ بالحقّ﴾ ١٥١ ـ الأنعام.

٩ ـ ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾

هذه عقوبة الآخرة، أما عقوبة الدنيا فتطبق بحقه الآية ١٥١ من سورة الأنعام، بقتل تلك النفس القاتلة بعد محاكمة عادلة وثبوت الحكم عليه بالأدلة فتزهق نفسه جزاء مااقترفت يداه كعقوبة في الدنيا. وقد سمعنا أيضاً عقوبة الآخرة.

١٠ ـ ﴿قلْ هو القادِرُ على أن يبعثَ عليكُم عَذاباً من فوقِكُم أو من تحتِ أرجلِكُم أو يلبسَكُم شيعاً ويُذيق بعضَكُم بأس بعضٍ انظر كيفَ نصرّفُ الآياتِ لعلّهم يفقَهون﴾ ٦٥ ـ الأنعام.

١١ ـ ﴿وقاتِلوهُم حتى لاتكونَ فِتنة ويكون الدّين لله فإن انتَهَوا فلا عُدوانَ إلاّ على الظالمين﴾ ١٩٣ ـ البقرة.

تلك من الآيات دائمة المفعول مادام الإسلام مطبقاً على الناس في الأرض. بخلاف آيات القتال في سبيل الله التي توقفت (بدأت في حياة الرسول. بعد الهجرة بإذن خاص كلّف بها الرسول ﷺ شخصياً) وأُنسيت قبل وفاته مباشرة آيات بينتها في أماكنها، حتى يكون نشر الإسلام من بعد الرسول بالحكمة والموعظة الحسنة فقط.

سابعاً: كيف استطاع السلاطين في مختلف العصور الإسلامية سحب القرآن

وجعله كتاباً ثانوياً للمسلمين مع جعل كتب الحديث هي الأهم من أجل العقيدة وتنفيذ الشرع واستنباط الأحكام كما يشاء السلطان لا كما يشاء الله من كتاب الله؟

ابتداء من عصر معاوية الذي هو أول سلطان يحكم المسلمين باسم الله وحتى آخر سلطان، كان هناك عداء واضح بين هؤلاء السلاطين وبين آيات القرآن الصريحة الواضحة التي لاتقبل اللّف والدوران كما يشاء كل الطواغيت الذين يريدون أن يفعلوا مايشاؤون بغض النظر عن مشيئة الله التي سار عليها الرسول ومن بعده الخلفاء الراشدين والخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز، ومن أجل إبعاد القرآن الكريم من أيدي الناس استغل جنود السلطان جهل الناس، فأوّلوا لهم الآية الكريمة:

﴿إنّه لَقرآنٌ كريمٌ * في كتابٍ مكنون * لايَمَسُّه إلا المُطهّرون﴾ ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - الواقعة (مكية).

وحتى نفهم هذه الآيات يجب أن نقرأ قبلها الآيتين التاليتين:

﴿بل هوَ قرآنٌ مجيدٌ * في لوحٍ محفوظ﴾ ٢١ - ٢٢ - البروج.

الله سبحانه وتعالى يعلمنا عن غيبه بهاتين الآيتين أن القرآن موجود في لوح الله المحفوظ، ومَن عِندَ ذلك اللوح في السماء يقوم على حفظ وحراسة ذلك اللوح الخاص بالله؟ بحسب آيات القرآن وبما أعلمنا به عن غيبه لايوجد هناك إلا الملائكة، لأن الجن والإنس أيضاً بحسب معلومات القرآن كلهم من مخلوقات الأرض، وكلنا يعلم أن الملائكة مطهرون عن الشر خلقاً، فالله سبحانه وتعالى لم يدنّسهم بالشيطان بل دائماً يفعلون مايؤمرون. وكذلك قال الله سبحانه وتعالى عن أزواج الجنة بأنهم مطهّرون لأنهم لم يتدنسوا بشرور الأرض أبداً:

﴿ولَهم فيها أزواجٌ مطهّرةٌ وهم فيها خالدون﴾ ٢٥ - البقرة.

﴿خالدينَ فيها وأزواجٌ مطهرةٌ ورضوانٌ من الله﴾ ١٥ - آل عمران.

﴿لَهُم فِيها أزواجٌ مطهّرةٌ ونُدخِلهُم ظِلاً ظليلاً﴾ ٥٧ - النساء.

وصحف الله في السماء.

﴿في صحفٍ مُكرمة مرفوعة مطهّرة﴾ ١٤ - عبس.

فالله سبحانه وتعالى يتكلم عن مخلوقاته السماوية من الملائكة (إلا المطهّرون) وعن

أزواج الجنة (أزواج مطهرة).
وعن صحف الله المكرمة (مرفوعة مطهرة)
وهي توحي للقارىء بأنها طاهرة أصلاً لم يلحقها دنس، بينما عندما يتكلم سبحانه عن عباده من الإنس على الأرض يقول:
﴿إنّ الله يحبُّ التوابين ويحبُّ المُتَطَهّرين﴾ ٢٢٢ - البقرة.
﴿فيه رجالٌ يحبّونَ أن يتطهّروا﴾ ١٠٨ - التوبة.
والمعنى واضح بأنهم من الأساس قد أصابهم الدنس فتابوا وتطهروا من جديد أي أن التطهر حالة جديدة سبقتها حالة تدنس حصلت على الأرض.
من هنا نتأكد بأن الآية الكريمة:
﴿في كتابٍ مكنون * لايمسّهُ إلاّ المُطهّرون﴾ ٧٨ - ٧٩ - الواقعة.
المقصود به هو القرآن الموجود في اللوح المحفوظ في السماء ولايمسّه إلا المطهرون، هناك وهم لايمكن أن يحرفوا ذلك الكتاب أو أن يفعلوا أي شيء يسيء لذلك اللوح المحفوظ من قبلهم أبداً.
ولو قصد الله سبحانه وتعالى القرآن بعد نزوله إلى الأرض وهو يقصد بهم الإنس أو الجن لقال تعالى:
(إنه لقرآن كريم، لايمسه إلا المتَطَهِّرون)
ليدل على أن المقصود بهم هم البشر الذين خلقهم الله من الخير والشر فهم قد تدنسوا أصلاً إلا من انتبه إلى نفسه وآمن بالله وأحب أن يتطهر من جديد، وهذا الكلام الذي أقوله الآن ليس باختراع ولا هو باكتشاف جديد؛ بل يعلمه كل جنود السلطان أحسن مني بكثير لكن ليس من مصلحتهم الاعتراف به لأنه ضد مصلحتهم جميعاً، إذ هم الذين أوجدوا هذا التأويل أصلاً لإبعاد الناس عن كتاب الله خدمةً للسلاطين فقالوا لايمسه إلا المطهرون من الناس، فصاروا يقولون إذا لمست القرآن دون طهارة قد يحرقك الله وأنت حي أو يقلبك إلى خنزير أو إلى قرد، المهم هذه هي الصورة التي كان جدي ينقلها لي عن شيوخه، وأنا صغير إذا لمست القرآن. فكنت أخشى ما أخشاه هو لمس القرآن، وهكذا قد زُرع في قلب كل طفل مسلم الخوف من لمس كتاب الله فكيف نتوقع من المسلمين أن يقرأوا ويفهموا رسالة ربهم وهم مرعوبون من لمسه وعندما يكبر

الطفل أيضاً تبقى هذه الفكرة مزروعة معه في لاشعوره دائماً. قليل من المسلمين الذين يمسكون بالقرآن ويقرأونه ليعلموا ماذا يريد الله أن يقول لهم في تلك الرسالة السماوية العظيمة، لابد من كل مسلم أن يتساءل: لماذا؟ ماذا قال جنود السلطان للناس عن القرآن: لايجوز للإنسان أن يحاول فهم القرآن لوحده، عليه أن يقرأ فقط دون محاولة فهم الآيات، لأن فهم الآيات وتفسيرها يجب أن يتم عن طريق مفسر مشهود له من السلطان بأنه ثقة حتى يفسر القرآن مستنداً للأحاديث التي ألفها نفس الجنود خدمة للسلطان. بهذا نكون قد مسخنا معاني آيات القرآن الكريم، فغدت لاتعني شيئاً، ولاينفع المعنى الذي نتوصل إليه عن طريق المفسر (لا للخل ولا للخردل). فكل التفاسير للقرآن الكريم بالاستناد للحديث يصبح كلاماً لامعنى له ولا أصل، ولايمكن أن يستفيد منه مؤمن أبداً بل لفائدة الكفار فقط علماً أن القرآن مكون من نوعين مختلفين من الآيات: آيات أم الكتاب وهي آيات الحكمة: وهي باختصار آيات الأحكام التي فيها الكبائر العشرة والصراط المستقيم (الوصايا العشرة) وفيها آيات العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وآيات الحدود وآيات الحقوق المدنية، والعلاقات بين الناس من بيع وشراء ومعاملات وزواج وطلاق، ثم عندنا النوع الآخر من الآيات وهي الآيات المتشابهة وهي ليست قليلة بل تعدّ نصف القرآن تقريباً وهي آيات غيب الله وفيها من جميع أنواع العلوم الحديثة فيها آيات تتحدث عن الذرّة، وعن علم الأجنة، وعلم الرياح وعلم الفلك وعلم طبقات الأرض، وعلم الحياة، والتطور، وعلم نشوء الكون، وعلوم أخرى كثيرة، ثم عندنا بعض التنبؤات لله وهي محدودة جداً في القرآن، ويدخل ضمن النوع الثاني أيضاً: آيات القصص القرآني الذي هو أيضاً عن غيب الله فيتحدث الله سبحانه وتعالى عن الإنجيل وعن التوراة الصحيحين، ومافي هذين الكتابين من نماذج من القصص الصحيح غير المحرّف. ولذلك نجد الله سبحانه يُعَلِّم الرسول ﷺ عن طريق آيات القرآن بعض مانزل في كتبهم فيصحح لهم ماحَرَّفَ أهل الكتاب من كتبهم، ولذلك نجد في القرآن آيات تخاطب أهل الكتاب من خلال مخاطبة الله لرسوله كما في الآية:

﴿وما أَنزلنا عليكَ الكتابَ إلا لتُبيّنَ لهم الذي اختَلَفُوا فيه﴾ ٦٤ - النحل.

فنجد جنود السلطان فعلوا العكس تماماً، أتوا بالتوراة والتلمود والإنجيل التي كلها من كتب أهل الكتاب المحرفة وأدخلوها إلى الإسلام عن طريق اليهود الذين قالوا إنهم قد

دخلوا الإسلام، فصارت كتب الحديث محشوة بكل تلك الأفكار على لسان الرسول، وكلها تقول (قال رسول الله) استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم.

أو عن طريق من تتلمذ عندهم فقرأوا التوراة ثم أدخلوا منها الكثير للإسلام، هذا وقد أشرت إلى أن أغلب المحدثين الذين كانوا من الصحابة وعاصروا العصر الأموي أمثال أبي هريرة وأنس وعبد الله بن عباس لهم روايات كثيرة من التوراة على لسان الرسول مكذوبة، علماً أن أبا هريرة بالذات يفوقهم جميعاً في ذلك، وقد استشهدت بقول كعب الآحبار اليهودي وهو يقول (لم أجد أحداً أعلم بما في التوراة من أبي هريرة وهو لم يقرأ التوراة) علماً أن الرسول لم يسمح ولم يقل عن كتب أهل الكتاب كلمة واحدة زيادة عن الموجود في القرآن، أما كل تلك القصص المنسوبة له فكلها موضوعة ولا أساس لها من الصحة.وقد ثبت أخذها من التوراة والإنجيل، وقد أشرت عليها في مواضعها في هذا الكتاب تحت فصل الإسرائيليات في صحيح البخاري ومسلم، وقد تكون كل تلك الروايات مكذوبة أيضاً على الصحابة أنفسهم، وهي كلها قد تكون ليهود مثل كعب الأحبار نفسه، واتهموا بها أبا هريرة وأنس وابن عباس وغيرهم من الصحابة الكرام.

وما كان الشعب الإسلامي في كل مكان من البلاد الإسلامية إلا من عباد الرحمن الذين ضحك عليهم جنود السلطان بأن دينهم كله مكتوب في تلك الأحاديث (النبوية الشريفة) التي نزلت وحياً من السماء على رسول الله لذلك فهي جميعها مقدسة بقدسية إلهية خاصة، وتنفيذ مافيها من أهم واجبات المسلم المؤمن بالله وحده لاشريك له. فلا داعي بعدها أن يتعبوا أنفسهم بقراءة القرآن الكريم الذي هو كتاب شديد وصعبٌ على الفهم البشري لغير المتخصصين في علومه، لذا فقد انتدبهم الله وحدهم ليكونوا كهنة الإسلام والقرآن، وهم المسؤوون الوحيدون عن شرحه للناس كما سبق وفعل جنود آخرون من جنود سلاطين المسيحية، إلى أن طفح كيل المسيحيين من تسلط هؤلاء الجنود، فأنكروا دينهم بالجملة وقالوا بالعقل والعلمانية، ولو قرأت تاريخهم لعذرتهم على ذلك ألف عذر وعذر وإذا صدف وطفح الكيل لدى بعض الناس من المسلمين وخرجوا على السلطان ،جنوده مطالبين ببعض حقوقهم، لخَرَجَ لهم جنود السلطان بأحاديث حاضرة ومحضرة ومُدَعَّمة وفتاوي مسنودة لمعالجة مثل تلك الأمور، أرجو أن تقرأوا هذه الأحاديث بتمعن حتى تعلموا لمصلحة من وضعت هل هي لمصلحة الإسلام والمسلمين أم لمصلحة السلطان؟

الحديث رقم (١٨٣٦) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«عليك السمع والطاعة في عُسركَ ويُسرك. ومَنشَطكَ ومَكرهِكَ. وأَثرةٍ عليك»
(أي ولو استأثر الأمير بمتع الدنيا واختص بها نفسه دون شعبه عليك السمع والطاعة مع الصبر).

الحديث رقم (١٨٤١) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. قال:
«إنما الإمام (السلطان) جنة يقاتَلُ من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعَدَلَ، كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره (أي بالظلم طبعاً) كان عليه منه (إي أن حسابه على الله وليس على شعبه فهو حر التصرف بما يشاء لأنه أمير وسلطان)

الحديث رقم (١٨٤٣) من صحيح مسلم: عن عبد الله؟؟ قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنها ستكون من بعدي أثرة (أي حب السلطان لنفسه دون شعبه) وأمور تنكرونها، (وهذا زعم بأنه تنبؤ للرسول ﷺ طبعاً) قالوا: يارسول الله كيف ـ تَأْمُرُ من أدرك منا ذلك؟ قال: (الرسول ﷺ) «تؤدون الحق الذي عليكم (للسلطان وجنوده) وتسألون الله الذي لكم (لاحظوا السؤال لله وليس للسلطان. لأن للسلطان مال دنيا كلها خالصةً له وللناس فقط من مال الآخرة يوم الحساب. وهذا تماماً ما كان يسعى إليه السلطان لتحقيقه في دينه الجديد.

وتحت باب الأمر بالصبر عند الولاة واستئثارهم (بحسب كل الروايات أن السلاطين كانوا يتصرفون بأموال بيت مال المسلمين بالهبات والعطايا لمن لايستحقونها وكانت تلك الأموال خاصة فقط بالسلاطين).

الحديث رقم (١٨٤٥) من صحيح مسلم: أن رسول الله قال:

«إنكم ستلقون من بعدي اثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» (أي الصبر حتى يوم القيامة). وتحت باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق عن الناس.

الحديث رقم (١٨٤٦) من صحيح مسلم: عن علقمة عن أبيه قال: سأل سَلَمَة الجعفي رسول الله ﷺ فقال:

يانبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟

فاعرض عنه (الرسول غضب من السؤال) ثم سأله فأعرض عنه. ثم سأله في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس (بمعنى يكفي هذا) فقال (الرسول ﷺ): «اسمعوا وأطيعوا.

فإنما عليهم ماحَمَلوا وعليكُم ماحُمِّلْتُم» (باختصار هذا قضاء الله وقدره وهكذا شاء الله فلا تعترضوا) يسكت ويصبر المسلم ويكتفي، بأن يقول (اللهم لااعتراض على قضائك وقدرك).

وهكذا أوصل السلاطين وجنودهم وضع المسلمين إلى النقطة الحرجة التي وصل إليها قبل ذلك كما رأينا وضع سلاطين أوروبا مع جنودهم من رجال الكنيسة، فقد راينا في مباحث هذا الكتاب كيف أن كل جنود السلطان يحاولون بكل ماأوتوا من قوة المحافظة على الحديث وعلى قدسيته، رغم أن كل الأحاديث التي رأيناها مصمَّمة وموضوعة ظلماً على لسان الرسول لتبرير مواقف سلاطينهم دائماً وهم يعلمون كما نعلم نحن الآن طبعاً بأنها أغلبها تناقض القرآن وآياته التي لايمكن أن تناقض الحقيقة والعلم والعقل والمنطق السليم لأنها أصلاً نابعة من مصدر الحق والعلم بينما نجد الأحاديث فوق ذلك تناقض نفسها أيضاً.

والفارق الوحيد بين وضع المسلمين الذين اكتشفوا هذه الحقائق مع وضع أهل الكتاب في أوروبا عندما ثاروا على الكنيسة والدين في عصر النهضة الأوروبية مفضلين أن يلحقوا بالحق والعلم والمنطق السليم على أباطيل وخرافات رجال الكنيسة.

هو أن كتب أهل الكتاب كلها كانت محرفة لايمكن العودة إليها لإعادة أي تصحيح أو تقويم لأن الحقيقة ضاعت مع الزمن، بينما نجد عند المسلمين اختلافٌ جوهري واحد هو أن الله سبحانه وتعالى بقدرته وحدها حفظ لنا القرآن الكريم الذي هو كتاب البشرية بأكملها وبدأت معجزات هذا القرآن التي كان خافية في عصر الرسول وخلال كل عصور الكهف الإسلامي من عصور الانحطاط تظهر واضحة وجلية وكلها تصرخ وتثبت أن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي ليس من إنتاج البشر كلهم بل من إنتاج رب القدرة الذي خلق ونظم كل شيء.

وهذا يجعلنا أشد إيماناً بأن دور هذا القرآن لم يأت بعد على الأرض، وكل ماسبق من تاريخ المسلمين كان مجرد مقدمة، ولسوف يكون لهذا الكتاب دوره في القادم من الزمان، ولسوف يؤمن به كل الذين يعشقون الحرية والحق والجمال والسلام والعدل والله. ولسوف يأتي تفسير الآية الكريمة:

﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقّ لِيُظهِرَهُ على الدينِ كلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشركون﴾ ٣٣ ـ التوبة.

والآن لنعد إلى آيات القتال بعد هذا الشرح المبسط الذي كان لابد منه لفهم كل الملابسات حول موضوع آيات الجهاد ومحاولة كل السلاطين عن طريق جنودهم إفهام كل المسلمين بأنها كلها أوامر من الله تعالى بالقتال من أجل جمع الغنائم والأموال حتى يعيش السلاطين وجنودهم في نعيم الأرض بين الآلاف من النساء، يصرفون الأموال كما يشاؤون وشعوبهم تتضور جوعاً وتشكوا جوعها وظلم السلطان لله وحده.

وقد ذكر ابن كثير أن أستاذ البخاري في علم الحديث كان عنده ألف امرأة لوحده، تصوّروا: شيخ واحد عنده جيش من النساء، لأنه يقول كما يشاء السلطان، وإن قال الحق كما يشاء الله لفقد كل ذلك النعيم في لحظة واحدة، ثم يعتقد بسطاء المسلمين أن ماوصلنا عن طريق هؤلاء الجنود من أحاديث هو الحقيقة كاملة؟

ولايعلمون أن وظيفتهم وسبب وجودهم أصلاً كان من أجل إخفاء كل الحقائق القرآنية عن جميع الناس الذين إن اكتشفوها، لكانت سبباً في توقف شعوبهم عن الطاعة لسلاطينهم.فهل تريد منهم أن يسعوا بأنفسهم لخراب عشّهم وزوال نعيمهم الذي جاهدوا من أجل الوصول إليه مئات من السنين وهم يحرفون كتاب الله خطوة خطوة وآية آية.

ثامناً: على ماذا استند أبو بكر الصديق في قتاله، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة:

للذين رفضوا دفع الزكاة؟ ولماذا يصر جنود السلطان على تسميتها بحروب الردة؟ مع أن هذا الكلام غير صحيح علمياً وتاريخياً؟

إذا عدنا لتاريخ السيرة النبوية ودرسنا الحالة بتمعن كافٍ لوجدنا أن ماحصل كان فتنة ومحاولة لزعزعة صفوف المسلمين الموحدة، كانت حركة خبيثة بحجة عدم دفع الزكاة لمحاولة قَسم المسلمين إلى قسمين أو شيعتين:

شيعة تجعل الإسلام والعبادات فيها هي:

١ ـ الذكر وتلاوة القرآن، وهي أولى العبادات بقراءة ماتيسر من القرآن كل يوم.

٢ ـ الصلاة، أي الصلوات الخمس؟

٣ ـ الصوم، صوم شهر رمضان.

٤ ـ الحج، إلى مكة لمن استطاع إليه سبيلاً.

والشيعة الأصلية تبقى على:

١ ـ الذكر وتلاوة القرآن.

٢ ـ الصلاة.

٣ ـ الزكاة، دفع نسبة ٢،٥٪ من الدخل سنوياً للدولة حصة الفقراء، كتأمينات اجتماعية ضد العوز والفاقة والحاجة لبعض المحتاجين.

٤ ـ الصوم.

٥ ـ الحج.

وهكذا نجد أن في حال نجاح هذه الفئة بالحركة الخبيثة وبالفتنة المقصودة لتفريق صفوف المسلمين إلى طائفتين طائفة منهم لاتقول بما تقوله الطائفة الثانية ويكون هذا أول إسفين خلاف أساسي في الإسلام من أجل تحطيمه حسداً وحقداً من مخططي الفتنة.

(والفتنة أشد من القتل).

وأبو بكر الصديق ليس بالرجل الصغير، فهو أقرب الناس للرسول الكريم من بداية الإسلام، كأول رجل آمن بالرسول وبرسالة رب العالمين وسار معه درب الرسالة دون أن يتركه في سفره وترحاله وهجرته، أو في غزواته، أو في إقامته، وهو من الذين استوعبوا الرسالة وحفظوا القرآن وفهموا الإسلام، فهو لم يصبح خليفة رسول الله من بعده بالمصادفة العمياء بل اختاره الرسول كما اختاره الناس من بعده عن علم بأنه من أجدر الناس لتلك المهمة، فعلم ماذا ينطبق على دعاة التقسيم(*) والانقسام الذين كشفوا عن وجودهم ونواياهم مباشرة بعد وفاة الرسول الكريم.

ونستطيع أن نستشف هذا الفهم من الحوار التالي الموجود في رواية الحديث التالي:

الحديث رقم (٧٢٨٤ ـ ٧٢٨٥) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة:

«لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر

(*) في الأحاديث المنسوبة لأبي هريرة حاول جنود السلطان إعطاء صورة مختلفة عن الصحابة، غير تلك الصورة الحقيقية السابقة في أحاديث كثيرة مثل الحديث التالي:

(الحديث رقم (٢٤٩٢) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة أنه قال: ضمن حديث طويل أختصره (وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم). فقال رسول الله ﷺ: «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه. ثم ضممته. فما نسيت شيئاً منه. أي أن الرسول ﷺ بقي وحده بعد أن تركه الناس فلم يبق معه ليسمعه إلا أبو هريرة هكذا يحب هذا الراوي من جنود السلطان أن نصدقه ونكذب حقائق التاريخ).

لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:
(أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولُوا لا إله إلا الله ومن قال: لا إله إلا الله عَصَمَ مني ماله ونَفْسَهُ إلا بحقه وحسابه على الله)فقال (أبو بكر): والله لأقاتلن من فرق الصلاة والزكاة. فإن الزكاة حق المال، والله لومنعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر:
«فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

إذا تأملنا هذا الحوار بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لوجدنا أن أبا بكر قد استوعب المشكلة وأبعادها، وعلم أن الموضوع أكبر من ظاهِرِهِ، وهي محاولة خبيثة من المنافقين وأعداء الإسلام والمسلمين للفتنة من أجل دبّ الخلاف بين صفوف المسلمين الموحدة مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ فتكون ضربة قاصمة في ظهر الإسلام يتلقاها بعد وفاة الرسول محمد ﷺ مباشرة.

رحم الله الإمام البخاري الذي زودنا بالحديث الذي فيه الحقيقة حتى نعلم أن الموضوع لم يكن عودة للكفر والإشراك من جديد للناس أبداً، فالذين ذاقوا حلاوة الإيمان لايمكن أن يعودوا للكفر والإشراك مرة أخرى أبداً. لكن من الواضح جداً من حواره مع عمر بن الخطاب أنه كان واعياً تماماً للحركة، وهو على استعداد تام لمواجهة هذه الفتنة الخبيثة، فحارب الناس مستنداً إلى القرآن وإلى الآية الكريمة التالية من سورة البقرة:
﴿وقاتِلوهم حتى لاتكونَ فتنةٌ ويكون الدّين لله فإن انتهوا فلا عُدوان إلاّ على الظّالمين﴾ ١٩٣ - البقرة.

ولكن من المستحيل أن تجدوا الحقيقة من خلال الروايات الموجودة بين أيدي المسلمين مما نسمّيه اليوم (الحديث الشريف) لأن ظروف وعوامل كثيرة لعبت بهذه الأحاديث خلال الألف والأربعمائة من السنين التي مرت من تاريخ المسلمين وإلى اليوم، وكل سلطان يحاول صياغة متن الأحاديث بحسب أهوائه وأطماعه، فجعلوا حرب الصديق مع أهل هذه الفتنة حرباً أخرى سموها (حروب الردة) وقالوا عن الطرف الآخر: كفروا أي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر والإشراك مرة أخرى، ليستغلوا أمثالها في حروب جديدة.

الحقيقة إذا انتبهنا إلى رواية أبي هريرة فيما عدا قوله في بدايتها وكفر من كفر من العرب فليس في كل الرواية مايستشفّ منه وجود كفر أو ارتداد عن الإسلام والعودة

للإشراك بدليل حجة عمر بن الخطاب وهو يقول:

كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ومن قال: لا إله إلا الله عَصَمَ مني ماله ونَفْسَهُ إلا بحقه وحسابه على الله).

أي أنهم لازالوا على التوحيد وهم ليسوا على الإشراك ولم يكفروا بالله بعد.

لكن نظرة الصديق للموضوع كانت أعمق، وكان مصيباً فأراد أن يعيدهم الصديق ويوحد الصفوف من جديد بالقوة دون أن يعطي الفرصة لقادة الفتنة إلى التوصل لما يخططون له من تفريق المسلمين إلى شيعتين مباشرة بعد وفاة الرسول محمد ﷺ.

والله سبحانه وتعالى لايكون بعيداً عن مثل هذه الفتن، فهو يريد دائماً أن يهزّ المؤمنين ويستوثق من صدق إيمانهم وقوته. لنستمع للآية الكريمة التالية:

﴿أَحَسِبَ الناسُ أن يُترَكُوا أن يَقولوا آمنّا وهُم لايُفتَنون﴾ ٢ ـ العنكبوت.

وغاية الله دائماً هي إجراء اختبارات فجائية لنفوس المؤمنين ليعلّمهم هَلْ هم باقون على صدق إيمانهم أم أن الشيطان قد زعزع بعض النفوس؟

(بعض المسلمين يظنون أنه إذا قال أحدهم (بأن الله لايعلم ويريد أن يعلم) أن المسلم يرتكب كبيرة في حق الله وهو غير ذلك تماماً، لأن عدم المعرفة هذه كانت أساساً بمشيئة الله الأولى، فهو الذي شاء لوحده وبرغبة منه أن لايعلم ماذا سيكون اختيار الإنسان (الإيمان أم الكفر) وترك حرية الاختيار للإنسان، وهي حرية كاملة غير منقوصة، ولكن لو فرضنا أن الله يعلم كما يقول أغلب المسلمون اليوم (منذ الأزل من الذي سوف يؤمن ومن الذي سوف يكفر ومن سوف يكون من أهل الجنة ومن الذي سوف يكون من أهل النار، نكون قد ألغينا الحرية ونسفناها من أساسها وصار من الواجب الاستنتاج بأن الله قد خدعنا ولم يقل لنا الحقيقة وهذا غير صحيح) ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى يقول في الآية التي بعد تلك التي قرأناها قبل قليل.

﴿ولقد فَتَنّا الذينَ من قَبلِهم فَلَيَعلَمن الله الذينَ صَدَقُوا وليَعلَمَنّ الكاذبين﴾ ٣ ـ العنكبوت.

ونجح المؤمنون في عهد أبي بكر الصديق في هذا الاختبار فهبوا معه هَبّةَ رجل واحد في وجه أصحاب الفتنة وقاتلوهم حتى أعادوهم إلى صوابهم معيدين للمسلمين قوتهم كما تركها الرسول الكريم.

أما أن نعتقد خطأً كما في روايات المحدثين المغرضين من أجل إقناع المسلمين بأن الناس ارتدوا عن الدين والإسلام وعادوا كفاراً ومشركين ثم أعادهم الصديق إلى الإسلام بقوة السيف وحكمه، فهذا ضد العقل وضد المنطق. إذ لايمكن للسيف في أي يوم من الأيام أن يسيطر على مركز العقيدة في الإنسان ولم يكن السيف وسيلةً ناجحةً لنشر العقائد أبداً حتى تكون في عصر الصديق.

ولو شاء الله أن ينشر دينه بالقوة فالله تعالى أقوى من جميع القوى في العالم وكما أن بإمكان الله أصلاً أن يخلق الإنسان مؤمناً ولايفعل إلا الخير أبداً كما خلق الملائكة من قبل ولايعصون له أمراً. والله تعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿ولو شاء ربُّكَ لآمَنَ مَن في الأرضِ كلّهم جميعاً﴾ ٩٩ - يونس.

وكما قال سبحانه مؤكداً أن مافعله مع الإنسان بجعل حرية الاختيار والمشيئة الأولى في تقرير مصيره في الدنيا والآخرة كان قراراً منه سبحانه وضمن مشيئته الأولى:

﴿ولو شاء لجَمَعَهُم على الهدى فلا تكونَنّ من الجَاهِلين﴾ ٣٥ - الأنعام.

فالله خلق في الإنسان بإرادة سابقة كما رأيتم من خلال الآيات ولا يستطيع إنسان أن يسيطر على عقيدة إنسان آخر بالقوة أو بالتهديد بأي نوع من أنواع الأسلحة القاتلة فمركز الإيمان في الإنسان له حماية إلهية.

نعم قد يخاف الإنسان وقد يقول مايشاؤه صاحب القوة والسلطان فيدعي ويمثل الإيمان وقد يقوم أيضاً بالعبادات نفاقاًورياء، ولكن دون أن يدخل الإيمان إلى مركزه في الإنسان بل قد يحرك على العكس مراكز أخرى مثل الكراهية والحقد ضد ذلك الدين وتلك العقيدة بغض النظر عما تحمله من أفكار إنسانية عظيمة فيتحول هو وذلك الدين مثل الزيت مع الماء لايختلطان ولايتجانسان أبداً.

وللبرهان على أن الذين حاربهم الصديق لم يرتدوا عن إيمانهم فإن عناصر الإيمان في الإسلام هي:

- الإيمان بالله وحده لاشريك له.
- الإيمان بما أخبرنا الله به عن ملائكته وكتبه ورسله السابقين.
- الإيمان بما جاء به محمد رسول الله ﷺ من كتاب القرآن وماورد فيه.
- الإيمان باليوم الآخر ويوم الحساب بعد البعث من القبور وبوجود الثواب بالجنة

والعقاب بالنار.

- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

والناس في زمن الصديق لم يرتدوا عن كل ذلك أبداً فلا تنطبق عليهم الآيات:

﴿إنّ الذينَ يكفُرُونَ بالله ورُسُلِهِ ويُريدونَ أن يفرّقوا بين الله ورُسُلِهِ ويقولونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفُر ببعض ويُريدون أن يتّخذوا بينَ ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقّاً واعتَدنا للكافِرينَ عذاباً مُهيناً﴾ ١٥٠ - ١٥١ - النساء.

أو الآية:

﴿ثم أنتُم هؤلاء تقتلون أنفسَكم وتخرجُون فريقاً منكم من ديارِهِم تظاهرُونَ عليهم بالإثمِ والعُدوانِ وإن يأتوكُم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجُهم أفتؤمِنون ببعضِ الكتابِ وتكفرُون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خِزيٌ في الحياةِ الدّنيا ويومَ القيامةِ يُردّون إلى أشدِّ العذابِ ومالله بغافلٍ عمّا تعمَلُون﴾ ٨٥ - البقرة.

وكذلك لاتنطبق عليهم آيات المرتدين عن الدين الموجودة في القرآن الكريم:

﴿ياأيّها الذينَ آمَنوا من يرتدَّمنكم عن دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحبُّهُم ويُحبّونَه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يُجاهِدون في سبيلِ الله ولايَخافونَ لومةَ لائمٍ ذلك فضلُ الله يُؤتيهِ مَن يشاء والله واسعٌ عليم﴾ ٥٤ - المائدة.

﴿ولا يَزالونَ يُقاتلونَكُم حتى يَرُدّوكُم عن دينِكم إن استطاعُوا ومَن يرتدَّ منكُم عن دينِهِ فيموت وهو كافرٌ فأولئك حَبِطَت أعمالُهُم في الدّنيا والآخرةِ وأولئك أصحابُ النارُ هم فيها خالدون﴾ ٢١٧ - البقرة.

وهكذا أكون قد برهنت لكم على أن حروب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم تكن حروباً للردة إلى الإسلام، ولم يكن الذين يحاربهم أبو بكر الصديق قد كفروا من بعد إيمانهم فأعادهم الصديق إلى الإيمان بالسيف.

لأن ذلك كما رأينا غير ممكن عقلاً، لايستطيع السيف أن يصل إلى مركز الإيمان في الإنسان فالكافر إذا كفر لوحده من بعد إيمان تركه الإسلام والمسلمون لأنه لايضر إلا نفسه وحسابه على الله وحده لكن الكافر إذا دعا للفتنة في الإسلام صار له ضررٌ يؤثر على باقي المؤمنين، وهذا مالايسمح به الله ولا شرع الإسلام فصار حربه واجباً على

كل مسلم، وهذا هو مافعله الصديق رضي الله عنه عندما علم أنهم أصحاب فتنة في الإسلام يريدون تفريق المسلمين وصفهم الموحد فأعادهم إلى صفوف المسلمين وقضى على الفتنة ورؤوسها.

وجنود السلطان يعلمون ذلك من الأساس وهذه المعلومات ليست جديدة عليهم لكن مصلحة سلاطينهم كانت تقتضي بإفهام الناس على أنها كانت حروب ردة إلى الإسلام لأنهم يقتدون بأبي بكر الصديق، بل إن سلاطين الأتراك فعلاً من خلفاء المسلمين فرضوا على عدد كبير من أهل الكتاب الذين كانوا تحت حكمهم المباشر الإسلام بالقوة، فدخل كثير من اليهود الإسلام اسماً، وكان ضررهم على الإسلام والمسلمين أكبر بكثير مما لو تركوا على دينهم، وفي التاريخ كانوا يسمون هؤلاء بيهود الدونمة، كما ارتكب سلاطين الأتراك مجازر كبيرة للمسيحيين محاولين إجبارهم بالدخول للإسلام فشلت كلها مع الأسف ولم تنجح واحدة. (أوروبا الشرقية وبلاد البلقان).

وإذا عدنا إلى كل الفتوحات التي قام بها خلفاء بني عثمان بحجة الدعوة للإسلام نجد أن البلاد التي فتحوها بالسيف رفضت الإسلام جملة وتفصيلاً بل صارت تلك الشعوب من أشد شعوب العالم عداءاً للإسلام والمسلمين حتى اليوم.وقد ضربت لكم مثلاً مرة: بأن أكبر عدد من المسلمين في العالم اليوم يعيشون في أندونيسا التي نَشَرَ فيها التجار من الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في تلك البلاد عقيدة الإسلام، بماذا؟ بالحكمة والموعظة الحسنة، فأثمرت دعوتهم، والبلاد الوحيدة التي تنعم بالسلم والسلام وعدم وجود العنف حالياً من بلاد المسلمين هي تلك البلاد التي لم تز عنف وشراسة مقاتلي السلاطين، ومافعلوه باسم الإسلام والمسلمين من مظالم تقشعر لها الأبدان خاصة في عصر الخلافة العثمانية.

لأن جنود السلطان كما برهنت لكم سابقاً قد جعلوا القتال في سبيل الله مرتبطاً مع آيات الجهاد الدائمة، فجعلوا من الإسلام دين العنف والسيف والقتل، مع أن الإسلام من الأساس رسالة سلام للعالمين، من أجل تخليص البشرية من مآسي الحروب والقتال وليعيشوا في ظلمه سلماً وسلاماً دائمين، لذلك سمّاهم (المسلمين) وسمى دينهم (دين الإسلام) الذي مصدره من السلم والسلام.وليس من العنف والحرب والقتل الدائم الذي فعله السلاطين.

﴿يَهدي بِهِ الله من اتّبعَ رِضوانَهُ سبلَ السّلام ويُخرِجُهُم من الظّلُماتِ إلى النورِ بإذنِهِ ويَهديهم إلى صراطٍ مستقيم﴾ ١٦ ـ المائدة.

صدق الله العظيم

تاسعاً: على ماذا استند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتاله الروم والفرس، مع أن آيات القتال في سبيل نشر الدين والقتال في سبيل الله من أجل الدعوة كانت قد توقفت قبل وفاة الرسول الكريم؟

إذا عدنا لتاريخ السيرة النبوية الشريفة من كتاب البداية والنهاية لابن كثير في الجزء السادس إلى الفصل الخاص بتنفيذ جيش أسامة بن زيد بعد وفاة الرسول ﷺ نجد أن الرسول كان قد أمر قبل وفاته بتجهيز هذا الجيش وأَمَّرَ عليه أسامة ثأراً لقتلى المسلمين، مثل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وابن رواحة، وكانوا قد خرجوا إلى الجرف وخيموا فيه، ومعهم عمر بن الخطاب. كان الرسول قد استثنى أبا بكر عندما مرض ﷺ للصلاة بالناس (فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة (عن الإسلام). /تاريخ ابن كثير/.

والظاهر أن كثيراً من الصحابة أشاروا على الصديق بإلغاء هذه الغزوة وتأجيلها إلى ظروف أفضل، فأصرّ الصديق باعتبارها كانت رغبة الرسول الأخيرة، فأراد أن ينفذها وكأنه ينفذ وصية الرسول من بعده، وقد برهنت الظروف أن الصديق الرجل الرقيق الدقيق الأعضاء الناعم المظهر كان صلباً متيناً من الداخل وأشد صلابة من الفولاذ فلم تهزه الحوادث والخطوب بل برهن أنه الرجل المناسب في المكان المناسب طوال فترة خلافته رضي الله عنه.

وقد اختلف الناس حتى في موضوع إمارة أسامة بن زيد بن حارثة على الجيش لصغر سنّه ولوجود من أجدر منه للقيادة بين صفوف الصحابة، من أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، لكن الصديق لم يتزعزع عن قراره بل نفذ الغزوة على الروم كما أرادها الرسول تماماً (فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين) (تاريخ ابن كثير).

ولكن هذه وجهة نظر المسلمين وحدهم. ولابدّ أن ننظر للموضوع من وجهة نظر الطرف المعادي أيضاً لتقدير الموقف بشكل صحيح:

(بعض شذاذ الآفاق من العربان وسكان الصحراء تجرأوا وهجموا على أحد ثغورنا في

الأردن وقتلوا الحامية، وهربوا عائدين إلى الصحراء، لابد أن نلقنهم درساً لن ينسوه حتى لايعودوا لمثله أبداً. أم هل تتوقعون أن ينسوا الموضوع هكذا ببساطة دون أي رد فعل لهذه العملية؟

طبعاً لا.. وإن توقّعناه فنحن غير واقعيين أبداً. بل وسوف يكون الرد حاسماً. وإذا عدنا أيضاً للأخبار التي كتبت عن حروب الصديق التي نسميها في كتب التاريخ الإسلامي حروب الردة خطأً (تكلمت عن ذلك في مكانه) وفي نفس المصدر السابق ص ٣٥٥ تحت خبر وقعتي الحصيد والمضيَّح:

«وكان خالد (بن الوليد) أقام بدومة الجندل فظن الأعاجم (الفرس) به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه وقصدوا الأنبار يريدون من الزبرقان (بن بدر) وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة... ورجع خالد من دومة الجندل وهو عازم على مُصادَمَة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه كَرِهَ أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله ماقد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه فبعث القعقاع ابن عمرو أميراً على الناس فالتقوا بمكان يقال له الحصيد، وعلى العجم رجل منهم يقال له: رَوزَبَّة وأمدَّه أمير آخر يقال له زَرمَهَر. فاقتتلوا قتالاً شديداً وهُزِمَ المشرِكونَ فَقَتَلَ منهم المسلمون خلقاً كثيراً.. وغَنِمَ المسلمون شيئاً كثيراً، وهرب من هرب من العجم فلجأوا إلى مكان يقال له خنافس فسار إليهم أبو ليلى بن فَدْكي السَّعْدي..) (تاريخ ابن كثير الجزء السادس الصفحة ٣١٠).

وهكذا نتبين أن موضوع الحرب والصدام مع الروم والفرس للدولة الناشئة وبشكل مفاجىء لهاتين الامبراطوريتين موضوع حتمي لايمكن تجنبه لأن الامبراطوريتين ترفضان بشكل مبدئي فكرة ظهور قوة ثالثة في الميدان، فكيف إذا كانت تلك القوة حقيقية، ومهيأة لتكون قوة أولى في العالم وإن لم يكن ذلك واضحاً في أذهانهم بعد؟!

وهكذا يتبين لنا أن الحرب مع تلك القوتين أمر في حكم الأمر الواقع الذي لامفرّ منه أبداً، فكانت حرب دفاعية مفروضة على المسلمين ولا بُدَّ من مواجهته. بقوى توازيها على الأقل.

وهكذا يتبين لنا أن حروب عمر بن الخطاب مع الروم والفرس لم تكن حروباً هجومية توسعية أو حرباً لنشر الدعوة الإسلامية بالسيف كما يحلوا لجنود السلاطين ادعاؤها.

وهكذا نجد الفاروق عمر في حروبه تلك تنطبق عليه كل الآيات الدفاعية التي عددتها في بداية هذا البحث. وهذا ماأحببت أن أظهره وأبرهن عليه للذين لايزالون يعتقدون خطأً أن حربه مع الروم والفرس لم تكن تشبه حروب السلاطين التي لم تتوقف لحظة واحدة خلال عصور حكمهم الطويل. ناشرين الرعب والخوف في أرجاء المعمورة.

فحروب الخليفة عمر رضي الله عنه، وإن حصلت الدعوة للإسلام ودخول البلاد الجديدة للإسلام كنتيجة من نتائج الحرب لم تكن الدعوة سبباً لها. وماكانت الحرب في أي يوم من الأيام وسيلة ناجحة لنشر العقائد في العالم، لأن العقيدة لاتنتشر أصلاً إلاّ في ظروف توفر الحرية (حرية الاختيار للناس كما يشاؤون ـ كفراً كان أو إيماناً) صحيح أن انتشار الإسلام في تلك البلاد كان من أكبر المكاسب لانتصار المسلمين على الروم والفرس لكون المقاتلين والقادة من حملة المثل العليا للإسلام والقرآن التي يعشقها كل الناس، ولكنهم مع الأسف لايجدونها إلا في القصص والروايات. فعندما رأت الشعوب التي كانت مقهورة تحت حكم زبانية كسرى وقيصر تأكدت من وجود فرسان قديسين عشقوا مبادئهم ودخلوا جميعاً في الإسلام حباً وتطوعاً وليس بالسيف كما يحاول بعض المغرضين من أعداء الإسلام التصوير.

وهكذا لم تتوقف الامبراطوريتان عن الهجوم، كما لم يتوقف المسلمون عن الدفاع حتى سقطت الدولة الفارسية بكاملها، وخرج إمبراطور الروم من كل أفريقيا وآسيا متحصناً وراء البحار ضد هؤلاء المقاتلين الشرسين الذين لايعرفون الخوف من القتل والموت، والقادمين من الصحراء وأغلبهم من الذين لايعرفون عن البحر والبحار أي شيء، فوقفت تلك المياه الهائلة في وجه تقدمهم وزحفهم فوقفوا مرغمين لاعن جبن وقلة حماس للقتال؛ ولكن عن قلة حيلة أمام هذه المياه المفاجئة التي وقفت في وجه تقدمهم.

وكانت الحرب تدور دائماً بين قوات المسلمين وقوات كسرى الرسمية وجيشه النظامي أو مع قوات قيصر الروم وجيشه المدرب، ولم تكن أبداً ضد الشعوب المقهورة والواقعة تحت حكم الدولتين من الذين ندعوهم اليوم بالمدنيين، بالعكس تماماً عامل المسلمون تلك الشعوب أفضل وأحسن معاملة حتى عشقت الشعوب دين المقاتلين فدخلوا في الإسلام.

يكفي أن أضرب مثلاً واحداً: كيف دخل أبو عبيدة بن الجراح إلى حمص أول مرة بعد

أن دحر جنود الروم الذين تراجعوا للشمال فدخلها دون قتال ولم يخرب فيها شيئاً ولم يقتل أحداً وكما لم يتعرض أحدهم من أي مقاتل منهم بالنهب أو السلب كما يحصل عادة عند دخول الجنود إلى مدن الأعداء. وخيَّرهم في أمرهم وشرح لهم المبدأ المطبق عندهم إما أن يدخلوا الإسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم أيضاً أو أن يبقوا على دينهم عندها يدفعون الجزية عن كل رجل عاقل بالغ مقابل حمايته والدفاع عنه من أعدائه الخارجيين. فاختار أهل حمص أن يبقوا على دينهم ودفعوا له الجزية، ثم وصلت الأخبار أن هرقل الروم يجمع الجيوش ويتقدم على الساحل السوري مجتازاً لبنان ليقابل المسلمين في اليرموك فصار لابد من تراجع أبي عبيدة للقاء الروم هناك مع باقي جيوش المسلمين، فجمع وجهاء أهل حمص واعتذر منهم جميعاً، لأنه وجنوده مضطرون للتراجع لظروف طارئة ومستجدة، فهو لم يعد في موقف يستطيع فيه حمايتهم، لذلك أعاد لهم كل مادفعوه من أموال الجزية، ثم عاد وتراجع إلى حوران للتحضير للمعركة هناك. وأهل حمص لم يصدقوا مارأوه بأعينهم، جيش غازٍ بيده السيف والقوة، استلم من الناس الذهب والفضة فيعيدها لهم قائدهم معتذراً دون اعتراض أحد من المقاتلين الذين كانوا يتوقعون حصصاً من ذلك المال.

وتشاء الظروف أن ينتصر المسلمون في اليرموك بقيادة أبي عبيدة وخالد بن الوليد، ويعود أبو عبيدة بعدها إلى حمص مع جنوده فيستقبله أهلها استقبال الأبطال الفاتحين ويعيدون له أموال الجزية ويدخلون إلى الإسلام بالجملة بعد أن فضلوا البقاء على دينهم في المرة الأولى، فغيروا رأيهم هذه المرة لما لمسوه من حسن أخلاق ومعاملة المقاتلين من جنود المسلمين وقادتهم(*).

هذا ماحصل أيام الخلافة الراشدة وأيام الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحتى في الأيام الأولى من الخلافة الأموية عندما كانت العقيدة صحيحة في نفوس الجنود ولم يتأثروا بعد كثيراً بما في نفس السلطان ونواياه الدنيوية، استغل السلاطين براءة الجنود وصدق إيمانهم وصحة نواياهم وحبهم لدينهم ولربهم.

ولكن بعد انتهاء جيل المؤمنين الأول وظهور جيل جديد من الأبناء من أمثال الذين ساهموا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ تغيرت العقيدة مع تغير النفوس فبدأ الله أيضاً يغير بالتدريج كما وعد في القرآن كل النعم السابقة التي حصل عليها المؤمنون

(*) عن كتاب خالد بن الوليد للجنرال الباكستاني ـ أكرم.

الأوائل إلى نقمة تتلوها نقمةٌ أخرى حتى وصلنا إلى مانحن عليه الآن من وضع لانحسد عليه.

هذا هو باختصار ملخص تاريخ الإسلام والمسلمين إلى اليوم، مع تنبيه الله الشديد بالآيات أن لاتغرهم الحياة الدنيا:

﴿يا أيّها الناس اتَّقوا ربَّكم واخشَوا يوماً لايجزي والدٌ عن ولدِه ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعدَ الله حقٌّ فلا تَغُرَّنَكم الحياةُ الدنيا ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغرور﴾ ٣٣ ـ لقمان.

صدق الله العظيم

عاشراً: خاتمة وتعليق على البحث:

إن موضوع طمس الحقائق القرآنية الموجودة في كتاب الله كان من أهم واجبات جنود السلطان خلال كل العصور الإسلامية التي تحول فيها الخليفة حاكم المسلمين من حاكم ديموقراطي انتخب لمصلحة الأمة ومن أجل تطبيق دستور الرحمن وعدالته على الأرض مخافَةَ الله وخشيتَهُ كما فعل الخلفاء الراشدون، وخاصة عمر بن الخطاب، من الذين رأوا تدفق الأموال من البلاد المفتوحة دون أن تغريه كل تلك الأموال أو تغير من قوة إيمانه بالحق الذي آمن به، فهو لم يسع إلى تغيير في المسكن والملبس والمأكل عما تعود عليه في سابق أيامه، ورأينا كيف اقتدى به من الأمويين خليفة واحد هو عمر بن عبد العزيز الذي قتله الطامعون في الحكم ومات مسموماً بعد سنة ونصف من حكم رأى فيه الناس العدل من جديد.

ولو أن جنود السلطان اختاروا من القرآن بعض المواضيع فقط وقلبوها خدمة لأسيادهم لهان أمر إصلاح الموضوع بمعالجة تلك المواضيع المقلوبة، لكن المصيبة أنهم لم يتركوا شيئاً في كل القرآن وفي كل العقائد الإسلامية بالكامل إلا وقلبوها رأساً على عقب، إلا عبارة واحدة وهي الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وحتى هذه أزالوا عنها كلمة (عبدُهُ)، والسلطان وجنوده لم يفعلوا ذلك قطعاً لمجرد حب التغيير؛ بل كان وراء كل عملية قلب جديدة لسنة من سنن الله مصلحة خاصة دنيوية ومادية للسلطان وأعوانه، وذلك بزيادة تسلطهم على الناس وإعادتهم إلى عقلية القطيع بدل التمتع بالحقوق والحريات الإنسانية التي وهبها الله للإنسان في القرآن، وفعلوا ذلك مقابل المال دون النظر إلى مدى الظلم والقهر وأكل حقوق الناس وتركهم فريسة للجهل والفقر والمرض الذي أحدثوه.

وعملية قلب فكرة الجهاد السلمية في القرآن إلى عملية قتال دائمة في دين السلطان كانت وراءها مصلحة شرحتها قبل هذه المرة وأعيد بنودها في هذه الخاتمة:

١ ـ إشغال جيوش السلطان بشكل دائم بالفتوحات بحجة نشر الإسلام يخلص السلطان من خطر انشغال الجيش بالتدخل في شؤون السلطان وتفكيره بقتل السلطان وقلب نظام الحكم إذا لم يعجبه كرم السلطان وسخاؤه بالعطايا عليه.

٢ ـ مهابة كل الدول الخارجية لدولة السلطان ومن جيشه الجرار الذي يغزو العالم.

٣ ـ الحصول على كنوز العالم باسم غنائم الحرب وللسلطان منها الخمس.

٤ ـ الحصول وبشكل دائم على حسناوات العالم تحت اسم سبايا الحرب ويفدن إلى قصور السلطان وجنوده لتدخل في قائمة (وماملكت أيمانهم).

٥ ـ تخلص السلطان من دفع نفقات المقاتلين من بيت مال المسلمين ليبقى بكامله تحت تصرفه بعد اكتفاء المقاتلين من الغنائم التي يحصلون عليها من البلاد المفتوحة حديثاً.

وجنود السلطان هم من رجال الدين والشريعة والقضاء وليسوا من الملائكة، مالت نفوسهم للدنيا ولنيل الشهوات أكثر من غيرهم فعلموا أنهم يحصلون عليها بطاعة السلطان وتلبية رغباته مخلصين له النصيحة، أما الذين كانوا يخشون الله من رجال الدين فهم فريقان:

فريق فيه ضعف وخوف من الموت وعذاب زبانية السلطان، فاضطر أن يسكت وهو مرغم، وهذا استبعده جنود السلطان من التأثير بالترويج عنه بأنه غير موثوق، وفريق قال الحق وجابه الشياطين وحده دون أن يجد من يؤازره حتى من الشعب فقتل ومات شهيداً، إما أثناء تعذيب زبانية السلطان أو بيد أحد سيافي السلطان الذين كثر عددهم من كثرة الزبائن المستحقين للقتل في تلك الأيام.

لكن جنود السلطان كانوا دائماً المنتصرين تحت راية وليّ نعمتهم وزعيمهم الروحي إبليس اللعين، فلم يكن أمامهم أي شيء مستحيلاً، فقلبوا الحق باطلاً وقلبوا الباطل حقاً، وغيروا كل شيء مستخدمين الأحاديث والروايات الكثيرة التي توفرت بين أيديهم مغيرين في هذه جملةً وفي تلك كلمةً وفي الأخرى وضعوا أداة استثناء أو حرف نفي، حتى صنعوا ديناً خاصاً كما يشاء السلطان وجعلوا دينه سماوياً ووحياً من السماء، نسخوا به القرآن وأحكامه وفعلوا مايشاؤون دون خوف من الله، ومن لايخاف الله

يستطيع أن يفعل كل المظالم في العالم وكل الجرائم دون أن ترف عينه أبداً.
ودفع السلاطين بسخاء لجنودهم الأوفياء، هؤلاء الذين أقنعوا الشعب المسكين المغلوب على أمره بعد أن أغلقوا عليه كل مصادر المعرفة التي يمكن بها أو عن طريقها أن يكتشفوا للحقيقة التي سهر الجنود على إخفائها بدهاء، فآمن الأتباع جميعاً بدين السلطان الجديد الذي خلقه الجنود الأبرار، والمضحك المبكي الآن وبعد زوال السلاطين وجنودهم كلهم منذ قرابة من مائة عام، عشق الناس لدين السلطان فلايريدون عنه بديلاً حتى ولو كان دين الرحمن بذاته مع كتاب القرآن. ولايعلمون أنهم يشركون بالله، وإن حافظوا على ذلك الدين خسروا أيضاً الآخرة بعد أن أخسرهم السلاطين الدنيا من قبلها.
ولايعلمون أن كل فعاليات الدين الحقيقية التي كان عليها الرسول وصحابته قد عُطلت في هذا الدين الذي عشقوه وصاروا من أتباعه المخلصين. فهو دينٌ أعاد الناس إلى عقلية القطيع، بعد أن كرمهم الله بحقوق الإنسان قبل أن يسمع الناس عنها بأكثر من ألف عام. دين جعل المرأة شيئاً من الأشياء وحرمها كل حقوقها الإنسانية بعد أن كرمها دين الرحمن وجعلها مساوية تماماً لنفس الرجل.
﴿ياأيّها الناسُ إنّا خَلَقناكُم من ذكرٍ وأنثى وجَعَلناكُم شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إنّ أكرَمَكُم عندَ الله أتقاكُم﴾ ١٣ - الحجرات.

صدق الله العظيم

الفصل الخامس والثلاثون

مصادر العنف في العقيدة عند المسلمين

ولفهم ذلك لابد لنا من أن ندرس السؤال التالي:
هل هناك عنف وتطرف في العقيدة الإسلامية؟
وبما أنني في هذا الكتاب بينت مصادر العقيدة يجب أن نبحث أولاً: هل هناك عنف وتطرف في القرآن الكريم؟
هل هناك عنف وتطرف في كتاب الحكمة أو في السنة أو في الحديث النبوي الشريف كما نسميه اليوم؟ هذا وسوف أبدأ الدراسة بالقرآن الكريم باحثاً بين آيات القتال في القرآن:
أولاً:لقد جعل الله سبحانه وتعالى قتل النفس من أهم الكبائر في الإسلام، حيث وردت في الكبائر العشرة في القرآن الكريم وهي نفسها الوصايا العشرة عند موسى، وقد وردت باسم آيات الحكمة عند كل الرسل الذين أرسلوا لجميع الأمم من قبل الله، ولذلك يشير الله في كل آيات القرآن إلى أنه أرسل الكتاب والحكمة (أي التشريع مع الوصايا العشرة أو الكبائر لكل أمم الأرض).
وقال تعالى:
﴿ولا تَقتُلوا النّفسَ التي حرَّمَ الله إلاّ بالحقّ﴾ ١٥١ - الأنعام.
أي أن الله سبحانه وتعالى جعل النفس الإنسانية من أعظم المحرمات وجعل لها حرمة خاصة بحيث منع إزهاق تلك النفس إلا في حالات خاصة سماها رب العالمين هنا بالحق.
والحق لايمكن أن يكون بالظن؛ وإنما بعد محاكمة عادلة وثبوت الجرم بالأدلة والبراهين على النفس القاتلة فيسمح الله عندها للسلطة التي بيدها تنفيذ الشرع والقانون بأن تقتص من القاتل بالقتل، وهذا القتل هو الوحيد الذي يسميه الله تعالى بالحق. وبأنها استحقت القتل حسب الشرع الإسلامي الذي في القرآن الكريم، فقد تكون جريمة قتل

النفس ظلماً وعمداً، ومن غير وجه حق، أو فساداً في الأرض، وهذه الحرمة للنفس الإنسانية جعلها الله بدليل الآية الكريمة:

﴿ومن قَتَلَ نَفساً بغيرِ نَفسٍ أو فسادٍ في الأرضِ فكأنّما قَتَلَ النّاسَ جميعاً﴾ ٣٢ ـ المائدة.

أي أن الله سبحانه وتعالى جعل قيمة النفس الواحدة المقتولة ظلماً بقيمة قتل جميع الناس على الأرض. وهذا أعظم تقييم للنفس الإنسانية عرف لأي عقيدة حتى اليوم على هذه الأرض.

والله سبحانه وتعالى قال عن نفسه في القرآن الكريم:

﴿إنّ الله لايَظلمُ مثقالَ ذرّة﴾ ٤٠ ـ النساء.

وكما قال سبحانه:

﴿إنّ الله لايظلمُ الناسَ شيئاً ولكن الناسَ أنفسَهم يظلمون﴾ ٤٤ ـ يونس.

إذاً إذا وجد ظلم على الأرض فمن الإنسان وليس من الله سبحانه، ولامن كُتُبِهِ، ولامن سُنَنِهِ، وإنما من السننِ التي وضعها الإنسان باسم الله أو باسمه ظلماً لنفسه وللآخرين. وهذا دليل من الله سبحانه من القرآن الذي ثبت للناس أنه من عند الله وحده، لايمكن أن يحوي على أي بند فيه ظلم للناس أبداً، ونعرف نحن المسلمين من القرآن، ومن آياته أن الله رحيم، وصف نفسه بالرحمة:

﴿فقُل سلامٌ عليكُم كَتَبَ ربُّكُم على نفسِهِ الرحمة﴾ ٥٤ ـ الأنعام.

﴿وربّكَ الغفورُ ذو الرحمة﴾ ٥٨ ـ الكهف.

لم يكن إله الإسلام إله ظلم وقتل وفساد وإفساد في الأرض في يوم من الأيام بل هو رب العدل والرحمة والإصلاح في الأرض لكل العالمين.

يجب أن لاينسى المسلم أولى بديهيات الإسلام وهو أن الدين عند الله الإسلام، ومعنى ذلك أنه لم يرسل لذرية آدم من الناس ابتداء بمن نعرف من الأنبياء والرسل الذين وصلنا خبرهم من الله مبتدأ بنوح عليه السلام وحتى آخر الرسل والرسالات ومنتهياً بمحمد ﷺ، لم يرسل سبحانه إلا ديناً واحداً هو الإسلام.

لكن الناس حرفت الاسم مع الزمن إلى أسماء أخرى كما حرفت الدين بحسب أهواء شياطين الإنس والجن ومصالحهم متمثّلاً بالطاغوت الذي يريد أن يعبد في الأرض بدل

الله مستعيناً بكل الشياطين ومتنكراً لدين الله وشرعه وكتبه كلها.

وهذه القصة المتكررة نجدها في القرآن الكريم باسم الطاغوت الذي يمثل السلطة العليا مثل فرعون في قومه عندما حكم في مصر، ورجال دينه الذين ساعدوه للوصول إلى الألوهية وأوجدوا مناسك العبادة لفرعون وقد كانوا من العلماء الذين يعرفون أن فرعون ليس هو الله ولكنهم قالوا أنه الله لتحقيق مصلحة فرعون أولاً ولتحقيق مصالحهم مع الإله المدعى ليعيشوا في نعيم بعد استعباد الشعب كله لمصالحهم ومنافعهم الشخصية متمثلاً في رمز تحقيق المصالح الدنيوية من شهوات وأهواء باسم فرعون والله سبحانه سمى الأقلية المستفيدة من حكم الطاغية بالملأ. وهم الزعماء والأغنياء المتنفذين من أعوان صاحب السلطة وأقربائه وأنسبائه والمقربين منه.

هذه القصة: قصة فرعون وملئه ورجال دينه هي القصة الخالدة على الأرض وتتكرر مع كل الأمم وفي كل الرسالات دون استثناء. ونجدها في القصص القرآني كله وهو ماحصل مع أهل الكتاب من يهود ومسيحيين.

وكل ماذكرته حتى الآن يجده أغلب المسلمين واضحاً وسهلاً للفهم والاستيعاب لكن مايصعب على الجميع استيعابه هي الحقيقة التاريخية بأن المسلمين أيضاً حصل لهم نفس ماحصل لغيرهم، ووقعوا في نفس أخطاء السابقين من دون استثناء لأحد أبداً. وقد غيرت في كتبي الأسماء والرموز فقلت عن الطاغية: السلطان وقلت عن رجال دينه جنود السلطان وسميت دينه: بدين السلطان. تمييزاً عن دين الرحمن. فالسلطان دينه وشرعه في كتب الأحاديث التي من صنعه والله تعالى دينه وشرعه في كتاب القرآن الذي أرسله رسالة للعالمين. ومن يحاول الجمع بين هذين الدينين كالذي يحاول أن يعقد معاهدة بين الرحمن والشيطان لايمكن الجمع بينهما أبداً.

وكلنا مع الأسف اليوم في العالم لسنا على دين الله الذي هو الإسلام. فأنا إذا سئلت وقلت عن نفسي مثلاً: مسلم، سني، حنفي، وغيري يقول: إنه مسلم سني شافعي، وآخر يقول: إنه مسلم حنبلي، وآخر يقول: إنه مالكي وآخر يقول إنه وهّابي، وآخر يقول إنه مسلم شيعي إلى آخر تلك الأسماء والطوائف؛ وإذا ذهبنا إلى أهل الكتاب أيضاً فهذا يقول: أنا يهودي بروتستنتي، وآخر يقول أنا مسيحي كاثوليكي، وآخر يقول بل أنا مسيحي بروتستانتي.

علماً أننا لو عدنا للقرآن لكان كل هؤلاء مع رسلهم من المسلمين واليوم لم يبق على

الإسلام وعلى سبيل الله أحد، كلنا أصبحنا من أتباع أديان السلاطين سواء كان ذلك السلطان سلطاناً شيعياً أو سنياً أو مسيحياً أو يهودياً.

﴿ماكانَ إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ ٦٧ ـ آل عمران.

﴿إنّ الدين عندَ اللهِ الإسلام﴾ ١٩ ـ آل عمران.

﴿ومن يَبتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فلَن يُقبَلَ منه﴾ ٨٥ ـ آل عمران.

ويوسف لم يكن يهودياً بل كان مسلماً: إذ يقول الله على لسانه في القرآن:

﴿ربِّ قد آتيتَني من الملكِ وعلّمتَني من تأويلِ الأحاديث فاطرِ السمواتِ والأرضِ أنتَ وَليِّ في الدنيا والآخرةِ توفَّني مُسلماً وألحِقني بالصّالحين﴾ ١٠١ ـ يوسف.

وقال الله تعالى يخاطب أهل الكتاب من النصارى:

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهد بأننا مسلمون﴾ ١١١ ـ المائدة.

ويقول الله تعالى لأهل الكتاب من اليهود الذين يقولون إنهم من نسل إبراهيم ويعقوب:

﴿ومن يرغب عن مِلّةِ إبراهيمَ إلا من سفهَ نفسهُ وقد اصطفيناهُ في الدنيا وإنه في الآخرةِ لَمِنَ الصالحين * إذ قال له ربُّه أسلم قالَ أسلمتُ لربِّ العالمين * ووصى بها إبراهيمَ بَنيهِ ويعقوبُ يابَنيَّ إنّ الله اصطفى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلاّوأنتم مسلمون﴾ ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ البقرة.

ثم يؤكد عليهم في الآية التالية بشهادة من إسرائيل نفسه (يعقوب):

﴿أم كنتُم شهداءَ إذ حَضَرَ يعقوبَ الموت إذ قال لِبَنيهِ ماتعبدونَ مِن بعدي قالوا نعبدُ إلهكَ وإلهَ آبائك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ إلهاً واحداً ونحنُ لهُ مسلمون﴾ ١٣٣ ـ البقرة.

والإسلام دين عدل دائم ليس فيه ظلم وعنف أبداً، ويكون الظلم والعنف إذا دخل إلى عقائد الناس عن طريق محرفات أصحاب المصلحة الدائمة من السلاطين وأتباعهم المخلصين.

فالله تعالى قد جعل القتل من أكبر الكبائر، وجعل النفس البشرية من أكبر الحرمات التي لايجوز لأحد التعدي عليها أبداً واعتبر من يقوم بها من الذين فعلوا أكبر المنكرات:

﴿قال أقتلتَ نفساً زكيةً بغيرِ نفسٍ لقد جِئتَ شيئاً نُكراً﴾ ٧٤ ـ الكهف.

﴿وماكانَ لمؤمنٍ أن يَقْتُلَ مؤمناً إلا خطأً﴾ ٩٢ ـ النساء.

﴿ومن يقتُل مؤمناً متعمّداً فجزاؤهُ جهنّمُ خالداً فيها﴾ ٩٣ ـ النساء.

وحتى لايفهم المسلم ـ خاصة إذا اتبع دين السلطان وترك دين الله ـ أن المحرم على المسلم فقط قتل المؤمنين من المسلمين أما قتل باقي الناس فهو محلل، فإن هذا الفهم خاطيء من أساسه وليس له مايدعمه من القرآن بدليل:

أن الله تعالى وضع في الوصايا العشرة للإنسان الآية التالية:

﴿ولاتقتُلوا النفسَ التي حرَّمَ الله إلاّ بالحقّ﴾ ١٥١ ـ الأنعام.

ولم يحدد سبحانه تلك النفس المحرم قتلها إن كانت مؤمنة أو كافرة. كما أعادها الله في آيات الصراط المذكورة في سورة الإسراء مرة أخرى.

﴿ولا تقتُلوا النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ﴾ ٣٣ ـ الإسراء.

كما حرَّم الله قتل النفس انتحاراً سواء للمسلم أو الكافر دون تحديد:

﴿ولا تقتُلوا أنفُسَكُم إنّ الله كانَ بكُم رحيماً﴾ ٢٩ ـ النساء.

وحتى يتبين لنا عدل الله وأن عدله ليس مثل عدل السلطان فليس عند الله عقوبات جماعية كما عند السلاطين:

لذلك نجده دائماً ينتقم من الظالمين الذين استحقو الانتقام عن جدارة، وينقذُ رب العالمين الأبرياء والمؤمنين والآيات القرآنية التالية تثبت لكم ذلك: قال تعالى:

﴿ولما جاء أمرُنا نجيّنا هوداً والذين آمنوا معهُ برحمةٍ منّا ونجيّناهُم من عذابٍ غليظ﴾ ٥٨ ـ هود.

﴿فلمّا جاء أمرُنا نجيّنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومن خزيِ يومئذٍ إنَّ ربَّكَ هو العزيز القويّ﴾ ٦٦ ـ هود.

﴿ولما جاء أمرُنا نجيّنا شُعَيباً والذينَ آمنوا معهُ برحمةٍ منّا وأَخَذَتِ الذينَ ظلموا الصّيحةُ فأصبحوا في ديارِهم جاثمين﴾ ٩٤ ـ هود.

﴿ونجيّنا الذينَ آمنوا وكانوا يتّقون﴾ ١٨ ـ فصلت.

ولكن ماذا فعل بالذين ظلموا واتبعوا الشهوات والأهواء والشيطان؟

﴿وأما ثمودَ فهدَيناهم فاستحبّوا العَمى على الهُدى فأخذَتهم صاعقةُ العذابِ الهون بما كانوا يَكسبون﴾ ١٧ ـ فصلت.

أرجو من القارىء الكريم التركيز على تفهم الآية السابقة:

فئة من الناس آتاها الله الهداية عن طريق رسول في كتاب يهدي إلى الحق.

ماذا كان موقف الناس من ذلك؟

استحبوا العمى على هداية الله، فماذا كان عقابهم وعذابهم من الله على الأرض؟ العذاب الهون، والهون بحسب كلمات القرآن الكريم إذا كان غضباً من الله كما في هذه الآية هو الهوان والإهانة بحسب الآيات التالية من القرآن:

﴿فاليوم تُجزَونَ عذابَ الهونِ﴾ ٢٠ ـ الأحقاف.

﴿وللكافرينَ عذابٌ مهينٌ﴾ ٥٧ ـ الحج.

﴿ومن يُهنِ الله فمالَهُ من مكرِمٍ﴾ ١٨ ـ الحج.

﴿ولهُم عذابٌ مهين﴾ ١٧٨ ـ آل عمران.

وهل هناك عذاب أكبر من أن يشعر الإنسان بأنه مهان هو وأمته كلها ومستخفٌّ به أينما ذهب؟ ألا نعاني نحن المسلمين اليوم هذا العذاب من الله؟

وهكذا نجد أن سنة الله تختلف عن سنة السلطان.

فالله سبحانه وتعالى لاتقوم نقمته ولايكون غضبه بحيث يذهب فيها الصالح مع الطالح، والمظلوم مع الظالم، أو يعامل المؤمن مثل الكافر، أو المصلح مثل المفسد ليس هذا كله من عدل الله، كما لاينطبق عليه شرعه، ومن قال به ونسبه لله فقد ظلم نفسه لأنه لن يستطيع أن يظلم الله حتى ولو شاء وأراد.

أما إذا حدث زلزال أو كارثة طبيعية مثل بركان وعاصفة نتيجة لتطبيق الله قوانينه الطبيعية على الأرض فذهب نتيجتها ضحايا بشرية ومخلوقات أخرى؛ ثُمَّ نتقول من عندنا هكذا من أوهامنا: إن الله سبحانه قد انتقم أو غضب عليهم، ليس لمثل تلك الأمور علاقة بغضب الله، حتى وإن كانت فليس عندنا من الله علم عنها حتى نحكم عليها. فأقوالنا لن تزيد عن مجرد ظنون لاأساس ولا قاعدة لها من صحة.

وهكذا يجب أن نعلم أيضاً أن الفترة التي قضاها الرسول محمد ﷺ حياً على الأرض بين الناس يدعو إلى دين الرحمن، ويبلغ رسالة ربه على الأرض كانت فترة خاصة جداً يجب أن لانقيس عليها الأيام التي كانت قبلها والأيام التي أتت بعدها دون أن ندرك

أسرار تلك الفترة الخاصة، فالله سبحانه قد سمح لرسوله الكريم بعد الهجرة وبعد تكوين أول سلطة سياسية مستقلة لكيان سياسي مستقل يدخل فيه المسلمون والمؤمنون كطرف أساسي، بنوعين من العنف، كلاهما كان ممنوعاً في بداية الإسلام على المسلمين في مكة، والنوع الأول من العنف هو حق الدفاع الشرعي للإنسان بالرد على الظلم بمثله وعلى العنف والقتل أيضاً بمثله، وعلى القوة بالقوة، ونزلت فيه أول آيات الإذن بالقتال:

﴿أُذن للذينَ يُقاتَلونَ بأنّهم ظُلِمُوا وإنّ الله على نصرِهِم لقديرٌ﴾ ٣٩ ـ الحج.

ونزلت بعد ذلك كل آيات القتال الدائمة للمسلمين تعطيهم حق القتال والدفاع عن حقوقهم المشروعة دفاعاً عن النفس بمالها من حقوق خاصة مثل حق الحياة وحق الحرية في مانختار، ودفاعاً عن العقيدة (الدين)، ودفاعاً عن المال، ودفاعاً عن العرض والشرف، ودفاعاً عن أرض الوطن.. وقد ذكرت جرداً بكل الآيات الدائمة الباقية إلى يوم الدين دون توقف مفعولها عن المسلمين في بحث الجهاد.

والنوع الثاني من العنف كان خاصاً بالرسول وبشخصه، سمح بها الله لأسباب خاصة وأنهاها ربُّ العالمين قبل وفاة الرسول في حجة الوداع بآيتين صريحتين كانتا مُنسيتين (وليستا ناسختين ـ راجع بحث النسخ والإنساء في هذا الكتاب). وهما:

﴿لا إكراهَ في الدينِ قد تبيَّنَ الرُّشدُ من الغيِّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿وقُل الحقُّ من ربّكُم فمَن شاء فليُؤمِن ومَن شاء فليكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

أما الآيتان المنسيتان فهما:

﴿فقاتل في سبيلِ الله لاتُكلَّفُ إلاّ نفسُكَ وحرِّض المؤمنين عسى الله أن يكفّ بأسَ الذينَ كفروا والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً﴾ ٨٤ ـ النساء.

والآية الثانية هي:

﴿قاتِلوا الذينَ لايُؤمنونَ بالله ولا باليومِ الآخرِ ولايُحرِّمُونَ ماحرّم الله ورسُولُه ولايدينُونَ دينَ الحقِّ من الذين أُوتُو الكتابَ حتى يُعطوا الجزيةَ عن يد وهُم صاغرون﴾ ٢٩ ـ التوبة.

لنعد مرة أخرى إلى آيات القتال الدائمة ونستهلها بالآية الأولى آية الإذن بالقتال:

﴿أُذن للذينَ يُقاتلونَ بأنّهم ظُلِمُوا وإنّ الله على نصرِهِم لقديرٌ * الذينَ أُخرجُوا من ديارِهِم بغيرِ حقٍّ إلا أن يقولُوا ربُّنا الله﴾ ٣٩ ـ ٤٠ ـ الحج.

كما قلت قبل هذا فإن الله سبحانه دقيق جداً بأسلوب استخدام الكلمات والتعبير في النص القرآني بعكس مانُسَمّيهِ (الحديث الشريف) الذي يقبل دائماً بالنص على جميع الأشكال، سواء في ذلك الزيادة أو النقصان. والسلطان كان له هدف من ذلك هو إمكانية اختيار مايناسبه من الروايات بحسب الموقف الذي يحتاج إلى إفتاء عام، لكن ذلك علَّم المسلمين تعليماً خاطئاً مازالت آثاره على المسلمين إلى اليوم فالمسلمون هم أقل الناس في العالم تدقيقاً في النصوص وكلماتها عند التوقيع عليها بحيث أصبحت صفة عامة لأن تبديل كلمة واحدة أو حرف واحد مثل كلمة الأراضي المحتلة أو أراضي محتلة دون تعريف يغير النص بكامله.

لذا إذا عدنا لنص الآية السابقة ودققنا فيها نجد مايلي:

﴿أُذِنَ للذينَ يُقاتَلون بأنهم ظُلموا﴾

ترك الله العبارة مبنية للمجهول دون تحديد لا للوقت ولا للمكان، ولا من هم الناس الذي ظُلموا ولم يحدد بأنهم من المؤمنين أو الكفار وصفتهم الوحيدة أنهم ظلموا وهذا دليل أن من حق المظلوم أن يقف في وجه ظالمه عندما يسعى إلى تقوية نفسه للأخذ بحقه من جديد.

قلنا إذاً إن صفتهم الأولى كانت أنهم يُقاتَلُونَ ظُلماً وصفتهم الثانية في هذه الآية

٢ ـ أخرجوا من ديارهم بغير حق.

وذنبهم الوحيد:

٣ ـ أنهم يقولون ربُّنا الله.

وهؤلاء يأذن لهم ربهم بالقتال في أي يوم وفي أي مكان وزمان يجدون فيه أنفسهم قادرين على ردّ الظلم، ويعدهم الله تعالى قائلاً:

﴿وإنّ الله على نصرِهِم لقدير﴾

ثم لنستمع للآية التي بعدها:

﴿وقاتِلوا في سبيلِ الله الذينَ يُقاتِلُونَكُم ولاتَعتَدوا إنّ الله لايُحبّ المعتدينَ * واقتلُوهُم حيثُ ثَقفتُموهُم وأخرِجوهُم مِن حيثُ أخرجُوكُم والفتنةُ أشدُّ من القتلِ ولا تُقاتلوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ حتى يُقاتِلوكُمُ فيه فإن قاتلوكُم فاقتلوهُم كذلك جزاءُ الكافرينَ * فإن انتهوا فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ * وقاتلوهُم حتى لاتكونَ فتنة ويكونَ الدينُ لله فإن انتهوا

فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ ١٩٠ - ١٩٣ البقرة.

كذلك هذه الآيات دائمة الفعالية طالما هناك ظلم واقع على المسلمين وديارهم وأرواحهم وأموالهم - من غير المسلمين ظلماً وتعدياً - وهي شريعة عامة في كل الأديان، وحتى في الشرائع والقوانين والأنظمة الدولية فحق الدفاع عن النفس والمال حق مشروع، فكيف بشريعة الإسلام ألا تكون في أول لائحة الحقوق الدائمة للإنسان!

لنقرأ الآية الكريمة التالية:

﴿ولا تَقتُلوا النفسَ التي حرَّم الله إلا بالحق ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعَلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرفُ في القَتل إنّه كانَ منصوراً﴾ ٣٣ - الإسراء.

كذلك هذه الآية من الحقوق الدائمة للإنسان في شريعة الإسلام فإن كان المسلم مازال يعيش في نظام العشيرة وأعرافها فإن رئيس العشيرة هو الولي المسؤول عن الإنسان المقتول ظلماً، وعليه أن يآخذ بثأره، وحدُّ الله في هذا أن لايتعدى الولي في القتل، فالنفس بالنفس، أما إذا تطور الإنسان وصار يعيش ضمن دولة لها نظام فإن الدولة ممثّلة برئيسها، هو الولي الجديد الذي عليه أن يأخذ حق المظلوم من الظالم، وهذا هو معنى الولي والولاية.

أحببت توضيحه حتى لايحصل فيها التباس.فيظن بعض الناس أن هذا الحق مَشَاع فتصبح كل عائلة تأخذ ثأرها من العائلة الأخرى مع وجود الولي الرسمي ممثلاً بالنظام والدولة التي عليها القيام بذلك الدور عدلاً(*).

بعد أن فهمنا الحقيقة من آيات الله في القرآن الكريم أن لاعنف في الإسلام أبداً إلا إذا كان دفاعاً عن الحقوق المشروعة، نعود مرة أخرى إلى دين السلطان الذي مازال الكثيرون من الناس يعتقدون بأنه دين الإسلام، وفيه الشرع الإسلامي وحقوق المسلمين ولايعلمون أنهم لن يجدوا فيه إلا حقوق السلطان وشرع السلطان لتأمين مصالحه ولا حق في هذا الدين للمسلمين من رجال ولا من نساء أبداً، كل حقوقهم ضائعة ويعاملون معاملة الراعي للقطيع ولا يعاملون معاملة الإنسان للإنسان أبداً.

فقد استطاع ابن شيخ وزعيم المشركين السابق (أبو سفيان) أن يعيد سلطة آبائه الضائعة لأسرته بسبب ظهور الإسلام المفاجيء، وأعاد الأمور كلها كما كانت قبل الإسلام،

(*) راجع بحث الجهاد في هذا الكتاب.

فأعاد العقلية القبلية التي قضى عليها الإسلام، كما أعاد الناس للإشراك بالله من جديد دون أن يكون علناً بإبعاد القرآن عن أيدي الناس بالتدريج وإحلال أحاديث السلطان بدلاً عنها أيضاً بالتدريج. كثير من الناس ومن أصحاب الرسول كانوا يعلمون تماماً ماذا حصل، وأن الأمور عادت كما كانت قبل الإسلام، فعبّروا عنها بأحاديث نسبوها ظلماً للرسول: كالحديث التالي:

الحديث رقم (٢٩٠٧) من صحيح مسلم: عن أبي سلمة عن عائشة، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لايذهب الليل والنهار (لاينقطع الزمان) حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعُزّى فقلت: يارسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ولو كره المشركون﴾ ٩ ـ التوبة.

أنَّ ذلك تاماً. قال: «إنه سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتُوفي من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لاخير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم» أي من لاخير فيهم من الصحابة (صحابة الرسول الكريم).

ولايخفى على أحد أن معاوية في مبادىء السياسة العالمية التي تقدس سياسة ماكيافيلي من أدهى دهاة العرب، ومن أدهى السياسيين في العالم(*).

ولما كان معاوية الذي قرر أن يستفيد من كل الظروف المتاحة لقلب الإسلام من جديد لمصلحته شخصياً ومصلحة بني أمية كإنسان مازالت عقليته قبلية، فهو يعلم تماماً مدى تأثير آيات القرآن الكريم الصريحة والمفهومة من قبل كل المسلمين خاصة من العرب والذين خرجوا من الجزيرة العربية، مع ظهور فئات كبيرة من الذين لايفهمونها من البلاد

(*) أرجو من القارىء الكريم أن لايظن أنني أكره معاوية لوجود حقد شخصي بيني وبينه أو أني لا أحبه لأنه من بني أمية. إنني شخصياً قد تجاوزت هذه المرحلة، فأنا أحكم على الرجل بأعماله ومواقفه وأفعاله وليس بحسب عائلته، وقد لاحظتم أنني ذكرت اسم عمر بن عبد العزيز الأموي ومدحته أكثر من أي شخص آخر، فقط من أجل مواقف الرجل وإيمانه، أما كونه أموياً أو هاشمياً فهذا لايغير أي شيء بالنسبة لي. ولكن ما يغير هو مواقف الرجل من الإيمان ومن تعاليم القرآن الكريم.

فأنا لاأحب أبو لهب مع أنه عم الرسول لمواقفه ضد الإسلام والمسلمين وأحب حمزة عم الرسول أيضاً لمواقفه مع الإسلام والمسلمين. وكذلك لا أحب معاوية لمواقفه مع الإسلام والمسلمين ولسعيه الدائم والدؤوب لتغيير شرع الله إلى شرعٍ آخر هو شرع السلطان.

التي دخلت الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين. ثم انتقلت الخلافة من بعد معاوية للسلاطين الأمويين من قومه أولاً، ثم للعباسيين، وأخيراً انتقلت إلى العثمانيين.

وبما أن كل هؤلاء كانوا يسعون للدنيا وجنتها تاركين جنة الله للناس فقد وحدتهم المصلحة المشتركة إلى توحيد الهدف والأسلوب والوسيلة، فاتفق الجميع على خداع الناس كما خدعوهم أول مرة، في موضوع التحكيم.

وكانت خطة الجميع واحدة بإبعاد القرآن ما أمكن عن الناس وجعل ماسموه من الأحاديث التي حرفوها كما يشاؤون كتاباً آخر من الله سموه كتاب الحكمة وجعلوه هو الدين والشرع والدستور والقانون لكل شيء. علماً أنه كان مناقضاً للقرآن كما رأيتم بأنفسكم في هذا الكتاب. لكن الناس من جهلها أُوهِمت أنَّ كل ذلك وحي من السماء وهي رسالة الله الواجب تبليغها لكل الناس.

وإذا فكرنا بالعقل والمنطق فلا يعقل أن يقول الرسول الكريم بعكس الرسالة التي أتى لتبليغها، بل المعقول والمنطقي أنه إذا كانت هناك أقوال وأحاديث عن الرسول الكريم يجب أن تتطابق تلك الأقوال والأحاديث تماماً مع ماورد في آيات القرآن الكريم. أما إذا تناقضت فلم يبق شك أنها محرفة جميعاً ولمصلحة السلاطين الذين غيروا الدين ومنطق القرآن وأعادوا الإنسان الذي كرمه الله بحقوقه الإنسانية وحرياته كلها إلى مخلوق آخر يليق أن يكون في قطيع السلطان يسوقه رعاة يعينهم أو يختارهم بمعرفته. وحولوا الجهاد السلمي - كما برهنت لكم في بحث الجهاد - إلى قتال رسمي تحت ستار نشر الدعوة فلم تتوقف غزوات السلاطين بحجة نشر الإسلام إسماً ومن أجل جمع الغنائم والسبايا فعلاً، خلال كل عصور السلاطين، فصار دين السلطان مرادفاً لمعنى دين العنف والحرب والغزو الدائم الذي لاسلم فيه أبداً.

إذاً عرفنا أن مصدر العنف للإسلام من باب الحديث المفترى لمصلحة السلاطين وليس من القرآن أو من الله ورسوله الأمين.

ولكن بعد أن علمنا أن كتاب القرآن قد أبعد تماماً عن أيدي الناس جميعاً ولم يعد أحد يعمل به أصلاً وصار العمل كله للكتاب الثاني المدعى بأنه وحي من السماء أيضاً وماذلك الوحي الثاني إلا نصوص دين وشرع السلطان الذي طبقه الإسلام ابتداء بمعاوية وحتى آخر سلطان من سلاطين بني عثمان. وهو السلطان عبد الحميد، يتبين لكم أن دين السلطان أسس أصلاً على مبادىء العنف والظلم والقهر لكل الناس سواء كانوا من

شعب السلطان وأمته أو كانوا من الأمم الأخرى المجاورة التي كانت تقع تحت أطماع السلطان لغزوها ونهب كنوزها وخيراتها.

وجنود السلطان كما تبين لكم كانوا يعرفون ولكن وظيفتهم ومهمتهم تقتضي أن يحرفوا كل ماكان لمصلحة الأمة في القرآن لنسخها ووضع أحاديث أخرى لمصلحة السلطان مع الأقلية المنتفعة من حولها فقط، بغضّ النظر عن الظلم والمظالم التي نتجت عن هذه العملية.

والذي يبحث في آيات القرآن يجد فيها كل جرائمهم مفضوحة، مثلاًعندما قالوا عن الآية القرآنية:

﴿ماضَلَّ صاحبُكُم وما غَوَى وما ينطقُ عن الهوى﴾ ٣ ـ النجم.

التي كانت من الآيات الأولى التي نزلت على الرسول الكريم في مكة، قال الذي يحرفون كلام الله: هل رأيتم؟ إن الله سبحانه وتعالى قد قال وماينطق الرسول عن الهوى، محاولين أن يجعلوا كل كلامه وحياً حتى يصلوا بالأحاديث التي افتروها باسمه إلى مستوى الوحي والقداسة ومن جهل الناس وشدة تركيز الأبالسة على أباطيلهم أقنعوا الأمة مع كثرة التكرار بذلك خاصة وأن كل المساجد أصبحت تابعة للجنود ولا أحد يستطيع أن يقول كلمة إلا إذا كانت تنسجم مع الدين الجديد ولاتتعارض مع ماعمَّمُوه من هذا الدين علىالناس جميعاً من الذين اعتنقوه وهم يظنون أنه هو دين الإسلام الذي في القرآن، ولايعلمون أنه دين آخر مناقضٌ لما في القرآن كلَّ التناقض ولايجتمعان أبداً.

والغريب مع أن حُجَجُهم واهية لكنهم أوصلوا الناس إلى حالة من الجهل بعد أن بنوا مبادىء تفكير الناس على الأوهام حتى لم يتركوا أحداً محتفظاً بمنطقٍ سليم أو بعقلٍ يستطيع أن يزنَ به الحقائق ويميزها عن الباطل، فاستطاعوا بعدها أن يروِّجوا بضائعهم كما يشاؤون ولفترة زمنية قياسية (ألف وأربعمائة من السنين) دون أن يَكْشِفَ لهم أحدٌ سوءَ مايروِّجون. ولاتظنوا أن الله تعالى كان بعيداً من كل هذا: إن الله تعالى يعلم أن السلطان وجنوده عبدوا أهواءهم وشهواتهم فضلّوا السبيل فأضلهم الله أكثر وأعمى بصائرهم:

﴿أفرَأيتَم من اتّخَذَ إلهَهُ هواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على علم وختَمَ على سمعهِ وقلبهِ وجعلَ على بَصرهِ غشاوةٌ فمن يهديه من بعدِ الله أفلا تذكرُون﴾ ٢٣ ـ الجاثية.

وماذا عن الأمة التي صدَّقت دين السلطان وتركت دين الرحمن وكتاب الله واتبعت جنود السلطان كالمنَوَّمين مغناطيسياً، يتبعون أولياء الشياطين وهم يظنون أنهم يتبعون أولياء الرَّحمن؟ ماذا سيكون موقفهم عندما يكتشفون الحقيقة المرة يوم القيامة ويعلموا فعلاً أنهم قد غُدِرَ بهم فخسروا الدنيا كما خسروا الآخرة:

﴿يومَ تقلبُ وجوهُهُم في النارِ ويقولونَ ياليتَنا أَطَعنا الله وأطَعنا الرسول﴾ ٦٦ ـ الأحزاب.

وكان إطاعة الله وإطاعة الرسول في متناول أيديهم لو بحثوا عن كتاب الله الصحيح كتاب القرآن لوجدوا فيه كل أوامر الله وأوامر الرسول معاً لأنه ليس للرسول أوامر أخرى خارج ذلك الكتاب لو كانوا يفقهون. ثم ماذا يقولون في الآية التي بعدها لايلومون أنفسهم بل يلقون اللوم على جنود السلطان:

﴿وقالوا ربّنا إنا أطَعنا سادَتَنا وكُبراءنا فأضلّونا السبيلا﴾ ٦٧ ـ الأحزاب.

الآن بعد فوات الأوان عرفوا من هم الذين أضلوهم عن سبيل الله. نعم كانت صفقة خاسرة لأنهم قبلوا بالضلال مقابل ماذا؟ مقابل تنازلهم عن الحياة الدنيا كلها ومتعها على أن يهبهم السلطان وجنوده جنَّة الآخرة، لقد أبرموا الصفقة مع وكلاء مزوَّروين، كان الأجدر بهم أن يعقدوا تلك الصفقة مع الذي يملك الدنيا والآخرة وليس مع السلطان وجنوده الذين لايملكون شيئاً. فندِموا الآن في الوقت الذي لم يعد ينفع فيه الندم وقالوا:في الآية التي تأتي بعدها:

﴿ربَّنا آتِهم ضِعفَينِ من العذابِ والعَنهُم لَعناً كبيراً﴾ ٦٨ ـ الأحزاب.

نعود الآن إلى دين السلطان ماذا يحوي من الأحاديث المعشوقة، لتتأكدوا أنه ليس في كل مارأيتم مايوازي قيمة آية واحدة أو سورة قصيرةً واحدةً من سور القرآن الكريم:
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعصرِ * إنّ الإنسانَ لَفي خُسرٍ * إلاّ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ * وتَواصَوا بالحقِّ وتواصَوا بالصبر﴾ سورة العصر.

تركوا الآيات البينات ولحقوا ماتقوَّلَهُ الرُّواة من افتراءات ماأنزل الله بها من سلطان حتى أصبحت تزيد عن المليون، شكلوا بها أكبر جعبة حاوي في العالم يحوي كل مايشاؤون فيخرجون لنا كل يوم مايرغبون وليس فيها مما نشاء ونرغب نحن المسلمين والمؤمنين بالله شيئاً أبداً. لقد قلبوا دين السلم والسلام إلى دين عنف دائم وكل ذلك موجود في

جعبة الحاوي، فلنفتح تلك الجعبة وننظر ماذا فيها من آياتٍ مُدَّعاة بعكس ماأمر الله في القرآن الكريم:

لنفتح كتاب الجهاد والسِّير في كتاب صحيح مسلم للأحاديث نجد فيه:

«باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة».

وهذا الباب كله أُوجد بناء على رغبة السلطان من أجل إبقاء سنة الغزو والقتال قائمة ضد الناس في العالم بحجة أنهم من الكافرين.

وبحسب مبدأ السلطان الجديد يحق للمسلمين أن يهجموا على أي شعب آمن من شعوب الأرض بالسيف قائلين إما أن تقولوا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أو تقتلوا. وعندها يصبح لجنود السلطان أموال ذلك الشعب غنائم ويذبح الباقي إلا الفتيات الجميلات يؤخذن سبايا ليتوزعه السلطان وجنوده فيما بينهم كيف يشاؤون، هكذا طبق السلاطين الإسلام الجديد.

وإذا بحثنا عن هذا العلم الجديد نجده في محرفات التوراة التي حرفت باسم الرسول ودخلت إلى الوحي الجديد في دين السلطان.

«وقال لهم (موسى) لماذا استحييتم النساء؟ (في توزيع الغنائم) فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. واقتلوا (المتزوجات) أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً. ولكن استحييوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً»(*).

وكما ورد في نقده توزيع الغنائم:

«فنفذ موسى وألعازر الكاهن كما أمر الرب موسى.

وكان النهب المتبقي من غنائم رجال الحرب من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفاً ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً ومن الحمير واحداً وستين ألفاً ومن العذارى اللواتي لم يضاجعن ذكراً اثنين وثلاثين ألفاً»(**).

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وأما النساء

(*) التوراة ـ سفر العدد ـ الإصحاح ٣١ ـ الفقرات ١٥ ـ ١٨ بالانتقاء.

(**) التوراة ـ سفر العدد ـ الإصحاح ٣١ ـ الفقرات ٣٢ ـ ٣٥.

والأطفال والبهائم فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربّ **إلهك هكذا** تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً»(*).

هذه هي النصوص التي كان السلطان يحبها ويحب أن يطبقها فكان حماسه كبيراً في نقل هذه الأمور إلى دينه باسم الرسول محمد ﷺ افتراءاً وكذباً على الله والرسول معاً.

من أجل هذا نجد أحد جنود السلطان متحمّساً لتطبيق التوراة أكثر من تطبيق القرآن الكريم وآياته:

من صحيح البخاري تحت باب تفسير سورة المائدة من كتاب تفسير القرآن:

(قال سفيان: مافي القرآن آية أَشَدُّ عليَّ من:

﴿لستُم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكم من ربِّكُم﴾

إن المسلم الذي أُخفيَ عنه القرآن ويسمع هذه الآية من شيخ مشايخ الحديث سفيان الذي نجد أغلب الأحاديث مروية عنه ماذا يقول: يقول لنا نحن اتباع دين السلطان:

لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم.

ولكن المسلم الذي من حقه أن يشك إذا عاد إلى بيته بعد أن سمع شيخه يقرأ له الآية بالشكل السابق وفتح القرآن ليتأكد هل فرض الله تعالى التوراة والإنجيل على المسلم كما يقول سفيان في دين السلطان ماذا تتوقعون أن يقرأ في القرآن الكريم؟ تعالوا لنسمع ونقرأ ماذا يقول الله تعالى في سورة المائدة:

﴿قل ياأهلَ الكتابِ لستُم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيل وماأنزلَ إليكم من ربِّكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

ثم لنتمّم الآية لنجد تنبؤاً من الله تعالى بأن اليهود هم الذين سيحرّفون كلامَ الله الذي نَزل على الرسول الكريم محمد:

﴿وليزيدنَّ كثيراً منهم ماأُنزلَ إليكَ من ربِّك طُغياناً وكُفراً وفلا تأسَ على القومِ الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة.

(*) التوراة ـ سفر التثنية ـ الإصحاح ٢٠ ـ الفقرات ١٠ ـ ١٥.

كيف أخرج جنود السلطان آيات كتاب الحكمة الجديد مطابقة لما قرأتم من نصوص التوراة؟:

(الحديث رقم (٤٥٥٧) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام).

هذا هو الأسلوب الذي يقترحه السلطان في دينه الجديد، فهل هذا وحي من السماء ومن نفس مصدر الآية التي تقول:

﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

ثم نجد هناك من يغضب ويأخذ على خاطره أن نقول عن هذا الدين إنه (دين السلطان) ولو كان منصفاً لوجد له إسماً أفضل من هذا أيضاً.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿لا إكراهَ في الدّين قد تبيَّنَ الرشّدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليَكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وجنود السلطان يقولون لنا لقد نسختها آية جديدة في كتاب الحكمة ونقرأ له الحديث رقم (٤٥٥٧) السابق.

مع الأسف إن ماطبق في الإسلام فعلاً هو ما قلته قبل قليل، فالحديث كان هو الفعال أما آيات القرآن أوقف العمل بها إلى أجل غير مسمى.

الحديث رقم (٣٠١٢) من صحيح البخاري: عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: مرّ بي النبي ﷺ بالأبواء وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: «هم منهم» وسمعته يقول: «لا حمى إلا الله ولرسوله ﷺ» هل أحسستم في هذا الحديث الشريف أن المتكلم هو الرسول محمد ﷺ أم هو السلطان الذي يبحث عن الغنائم؟

وحتى يسن السلطان سنة القتل لمن يشاء يسنها باسم الرسول كما يلي:

الحديث رقم (٣٠١٦) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار» ثم قال

رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج:
«إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً. وإن النار لايعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما».
هل تصدقون أن الرسول يصدر أمراً غيابياً على إنسان ويحكم عليه بالقتل؟
ومن دون أن يحضره ويجري له محاكمة عادلة؟ هل تصدقون هذا على رسولكم أيها المسلمون؟
الحديث رقم (٣٠١٨) من صحيح البخاري عن أنس بن مالك: أن رهطاً من عكل ثمانية قدموا على النبي فاجتووا المدينة، فقالوا: يارسول الله أبغنا رسلاً، قال «ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذَّودِ، فانطَلَقُوا فشربُوا من أبوالها وألبانها حتى صحّو وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذَّود وكفروا بعد إسلامهم فأتى الصريخ النبي ﷺ فبعث الطلب فما ترجل النهار حتى أتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يَستسقون فما يُسقون حتى ماتوا.
إن دليل كذب راوي الحديث موجود في القرآن الكريم، لأن جندي السلطان جمع كل العقوبات وزاد عليها أشياء غير موجودة في الإسلام، مثل أتى بمسامير فأحميت فكحلهم بها (أي سمل أعينهم بها) والقصة التي يتكلم عنها الحديث هي القصة التي نزلت فيها أحكام الآية الكريمة من الله العادل:
﴿إنّما جَزاء الذينَ يُحاربون الله ورسولَهُ ويسعونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقَطّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيم﴾ ٣٣ - المائدة.
وهكذا رأيتم أن الذي فعله جندي السلطان في الحديث الذي كان صحيحاً هو إجراء التعديلات التالية:
أزال حرف الألف من (أو) في كل حكم، لتصبح واواً للعطف فيجمع العقوبات كلها. وأضاف من عنده قطع الأطراف الأربعة بدل قطع الأطراف من خلاف، وأضاف من عنده قصة سمل الأعين بالمسامير المحماة، ثم زاد عليها أنّه قتلهم بالعطش بدل أن يقتلهم بآلة القتل من أجل التعذيب أكثر كما يرغب السلطان أن يفعل بأعدائه إذا ظفر بهم، فسنوا له هذه السنة الجديدة باسم الرسول الكريم افتراءاً وتأميناً أن القرآن محفوظ لديهم ولن يعرف الناس بالتحريف.

وفي الحديث رقم (٣٠٢٢) من صحيح البخاري: عن البراء بن عازب سنة جديدة باسم الرسول، كيف بعث بعض المسلمين بمهمة قتل أحد الأعداء غدراً في بيته ليلاً للتخلص منه، وليس في القرآن مايصدق هذا الأسلوب من أساليب القتل، إنه افتراء.

إن القرآن الكريم الذي لم ينسَ أن يحدث المؤمنين كيف يتفسحوا في المجالس:

﴿إذا قيلَ لكُم تفسّحوا في المجالسِ فافسَحوا يفسح الله لكم﴾ ١١ - المجادلة.

لايمكن أن ينسَ بأن يحدثهم عن القتل غدراً، لو كانت تلك من سنن الله تعالى، لكنها كانت من السنن المرغوبة في دين السلطان حتى يتخلص السلطان من أعدائه بتلك السُّنَّة التي أحبها فلفقها وافتراها جندي السلطان باسم الرسول ظلماً وبهتاناً، ثم قالوا إنه وحي من السماء.

من المعروف تاريخياً أن الرسول ﷺ دخل مكة عام الفتح سلماً بقوة السلاح من غير عنف ولا سفك للدماء، وقد غفر لكل الناس حتى لأعدائه من كبار المشركين حتى من الذين قتلوا عمه حمزة غدراً عفا عنهم، لأنه كما قال عنه الله يصفه في القرآن إنه كان رؤوفاً رحيماً.

لكن جنود السلطان يصرون على أنه كان يحب القتل وسفك الدماء إرضاء لسلطانهم:

الحديث رقم (٣٠٤٤) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

(أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بـأستار الكعبة، فقال «اقتلوه» بينما نجد في التاريخ الإسلامي أنه قال: «من دخل البيت فهو آمن» فهل رجع الرسول الصادق بكلامه؟

وهكذا تجدون الأحاديث في الصحيحين بالعشرات وكلها تقول إن الرسول كان سفاحاً ونحن نصفق لهم، ولانعلم أنهم يكذبون على الله والرسول من أجل سن قوانين سفك الدماء بشكل دائم لسلاطينهم وإذا فتحنا القرآن نفاجأ بعكس هذا الكلام تماماً حيث نجد الآيات الكريمة:

يخاطب الله رسوله فيها قائلاً:

﴿اتّبع ماأُوحي إليكَ من ربِّك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين* ولو شاء الله ماأشرَكُوا وماجَعلناكَ عليهم حفيظاً وماأنتَ عليهم بوكيل﴾ ١٠٦ - ١٠٧ - الأنعام.

﴿إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي مَن يشاء﴾ ٥٦ - القصص.

﴿ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وماأنتَ عليهم بوكيلٍ﴾ ٤١ ـ هود.

﴿الله حفيظٌ عليهم وماأنتَ عليهم بوكيلٍ﴾ ٦ ـ الشورى.

﴿من شاء فيلؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

﴿قل فلله الحجةُ البالغةُ فلو شاء لَهَداكم أجمعين﴾ ١٤٩ ـ الأنعام.

﴿ومن كفرَ فلا يحزنكَ كفرُهُ﴾ ٢٣ ـ لقمان.

ومن يقرأ هذه الآيات يكتشف أن الله تعالى لم يسلط أحداً على الناس بالسيف من أجل جعل كل الناس مؤمنين، ولم يكن السيف في أي يوم وسيلة ناجعة لنشر العقيدة حتى يجعلها الرحمن سنة جديدة للمسلمين.

فليس للناس أي حق في قتل الناس بحجة الكفر وعدم الإيمان في دين الرحمن أبداً. هذا من أكبر وأخطر الأوهام في عقول المسلمين.

وذلك واضحٌ بَيّنٌ في آيات القرآن الكريم لمن أراد أن يعود لدين الله وكتابه وطاعة الرسول الأمين فآيات القرآن مازال المسلم يقرأها وهو يقرأ (قل) وكلها كانت أوامر لمحمد رسول الله من ربه حتى يعود فيأمرنا به لكل المسلمين.فطاعة محمد رسول الله موجودة في كل الدين. ولكن ليس معنى هذا إطاعة جنود السلطان واتباع ماكذبوه وافتروه على الله والرسول ظلماً وهو أصلاً ليس من الدين. كل هذه الأمور واضحة وقرآننا واضح لايحتاج إلى تفسير من أحد أبداً، فقد كان وظيفة المفسرين أن يؤولوا آيات الله كما يشاء السلطان لا كما يشاء الله أبداً فما قاله الله في آيات الأحكام مفهوم مباشرة من غير تأويل وتفسير والدليل آيات الله أمامكم اقرؤوها وستجدون البرهان لوحدكم.

وقلت مراراً أن في القرآن آيات أخرى هي من المتشابهة يجب أن لانُتعِب أنفسنا فيها فما فهمناه منها فهي لناومالم نفهمه ليس لنا في عصرنا هذا وسيأتي من سيفهمه من الأجيال القادمة من الذين سيكشف الله لهم عن علوم جديدة فيفهمون معاني تلك الآيات عندها.

وإذا استعرضنا اليوم بالتأمل على خارطة العالم لوجدنا البلاد التي دخلها المسلمون في عهد الخلافة الراشدة، أي في عصر المؤمنين بالله والقرآن وأحكامه ودين الإسلام نجدها هي البلاد التي حافظت على إسلامها أما البلاد التي فتحها السلاطين بعد ذلك من عصور الإسلام المختلفة بعد أن أصبح الناس في دين السلطان وتركوا دين الله والقرآن،

ولحقوا مكتتبات جنوده تحت أسماء جميلة: كتاب الحكمة الأحاديث النبوية الشريفة، السنة النبوية الشريفة، كلها تصب في بحيرةٍ واحدة هي مصلحة السلطان ومساعديه وأعوانه وماتلك الأسماء الجميلة إلا مثل السُّكّر يضاف للسُّم لجذب أغبياء الذباب به، لأنه حتى بين الذباب تجد من يبتعد عن ذلك السُّكّر، كل البلاد التي دخلها السلاطين ارتدت عن الإسلام وحقدت عليه وعلى المسلمين، لا بل أتوا إلى بلاد المسلمين لحربهم (الحروب الصليبية) كرد فعل لما فعله سلاطين المسلمين.

لذلك يجب أن نعود إلى إيماننا بالله وبأن ماقاله الله تعالى هو الصحيح وإن زرعنا بأسلوبه أنتج واثمر من أطايب الثمر وإن زرعنا على أسلوب ماعلّمنا به السلطان وجنوده من دينهم لم نحصد إلا المرّ والعلقم، ولو كانت أندونيسيا وبلاد الشرق الأقصى عرفت الدين عن طريق السلاطين لارتدوا عن دينهم لأن الدين لايمكن أن يدخل النفوس بالقوة والذي خلقنا يعلم ذلك قبلنا فكيف يمكن أن يخالف طبيعة ماقد خلق ويأمر بنشر وتبيلغ رسالته للناس بالسيف؟ هذه الأمور إذا لم نلاحظها اليوم لنعرف بها الحقائق ولنعلم ماذا حصل في الماضي مع آبائنا وأجدادنا الأولين لن نعرف أبداً لماذا يحصل مايحصل معنا اليوم على الأرض ومانراه من حقيقة واقعنا الحالي.

يجب أن نعلم أن كل مالدينا من أحاديث عزيزة على قلوبنا أغلبها افتراء ووراءه مصلحة وإن كنا لانراها لقصر نظرنا، وكلها كما رأيتم في أحاديث هذا البحث تدعوا للعنف والقتل في سبيل نشر الدعوة الإسلامية من أجل سن قانون القتل والحرب وجعلها سنة دائمة في دين السلطان بعد هجر دين السلم والسلام الذي كان في دين الرحمن الذي هو القرآن الكريم وآياته البيّنات.

وأول حديث في صحيح مسلم من كتاب الجهاد والسير نجده محاولة خبيثة من الراوي لتصوير الإسلام صورة مشوهة بأن يبرر الهجوم على الناس بحجة إدخالهم للإسلام بينما المقصد الرئيسي والأساسي في كل مقاصد السلطان هو أخذ أموال الناس وسبي نسائهم، ونحن قَدْ تابعنا لمدة قياسية في تصديق تلك الأحاديث المشوّهة لصورة الإسلام وصورة الرسول الكريم رسول السلم والسلام للعالمين حتى صار مايقوله الله في القرآن في واد ومانسمعه على أنها من أقوال الرسول الكريم في واد آخر ولايلتقيان أبداً. فقد تحول رسول السلطان إلى إنسان دموي لايهمه إلا جمع الأموال وترويع النساء والأطفال ولم يعد في قلبه رحمة ولا شفقة.

لنستمع إلى:

الحديث رقم (١٧٣٠) من صحيح مسلم:عن سليم بن أخضر عن ابن عون قال: كتبتُ إلى نافع أَسأَله عن الدعاء قبل القتال؟ والدعاء هنا بمعنى الإنذار للناس وإعلان القتال قبل مباشرته.

فكتب لي:

إنما كان ذلك في أول الإسلام. قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون (أي غافلون ونائمون). وأنعامهم تسقى على الماء. فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم (أي أخذ من لايصلح للقتال عبيداً وإماء) وأصاب يومئذ جويرية ابنة الحارث وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش.

لقد اختلط الحابل بالنابل فلم تعد تعرف مَن يكذِّبُ من، ومَنِ الصادقُ منهم، هل الراوي يكذب على لسان المحدث أم المحدث يكذب على لسان الرسول والله أعلم ولكن في أول الحديث قال الراوي منبهاً (إنما كان ذلك في أول الإسلام) فصار هذا الكلام عائماً بالنسبة للمسلم العادي الذي لايعرف تاريخ السيرة فإن غزوة المصطلق حصلت في حوالي السنة الخامسة أو السادسة للهجرة بعد هجرة الرسول لأن المحدثين اختلفوا في تلك التواريخ وتحديدها كثيراً وهذا طبيعي لأنها كانت تعتمد على الرواية بالذاكرة من دون تسجيل لها، والسنة السادسة للهجرة تعني قبل وفاة الرسول الكريم بأربع سنوات فلم يكن هذا التاريخ في أول الإسلام بالنسبة للمسلمين في ذلك العصر.

ومسلم سار على نهج أستاذه البخاري فأحب أن ينبهنا أن ذلك لم يكن من صفات محمد ﷺ بحديث آخر يناقض الأول:

الحديث رقم (١٧٣١) من صحيح مسلم مسلسل ٣:

(اغزو باسم الله، في سبيل الله، ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فايتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، واخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فسلهم الجزية وإن أجابوك فاقبل

منهم وكف عنهم فإن هم أبو فاستعن بالله وقاتلهم).

في الحديث السابق لقد خلط الراوي الحابل بالنابل، والصحيح مع الكذب.

أولاً: خلط الجهاد مع القتال، وهذا خلط لامثيل له في كتاب الله.

كما أن (فسلهم الجزية)، ليس لها مكان في حديثنا، وحتى يعلم المسلم الحقيقة فإن الله تعالى لم يذكر كلمة الجزية في القرآن إلا مرة واحدة في الآية الكريمة:

﴿قاتِلوا الذينَ لايُؤمنونِ بالله ولا باليومِ الآخرِ ولايُحرّمون ماحرَّمَ الله ورسولُه ولايدينُون دينَ الحقّ من الذين أُوتوا الكتابَ حتى يُعطو الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ ٢٩ ـ التوبة.

هذه الآية نزلت من أجل أهل الكتاب وهي تتبع للآية ٨٤ من سورة النساء التي تسمح للرسول ولشخصه بالذات كحالة مؤقتة بالقتال وتوقف موضوع القتال بعد إنساء تلك الآية وجعل الله موضوع الكفر والإيمان تحت سيطرة رغبة الإنسان وحريته، واختياره من دون أي نوع من أنواع الضغط والإكراه فأنسَت الآيتين ٨٤ ـ النساء و٢٩ ـ التوبة.

لكن السلطان له مصلحة واضحة وكبيرة في الإبقاء عليهما، لأنه بدونهما لايستطيع تحويل كل آيات الجهاد السلمي إلى عنف وقتال في الإسلام من أجل فتح باب الغنائم باباً دائماً من مصادر الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، والتي ليس فيها صناعات متقدمة ولازراعات متطورة حتى تغطي بها احتياجاتها المالية، فكان باب القتال الملطف بكلمة الجهاد هو الباب الدائم لمصدر الأموال وكما أن الجزية أيضاً فرضت على غير المسلمين كما كانت الزكاة مفروضة على المسلمين.

ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ حضر مواقع كثيرة مازلنا نسميها في ديننا غزوات ولانعلم أن سنة الغزو من سنن أهل الجاهلية التي حرَّمها الله بعد الإسلام أعادها السلطان لأنها من السنن المحببة إلى نفسه، والدليل والشهادة في القرآن. ابحثوا في كل كتاب الله فلن تجدوا لتلك الكلمة الكريهة وجوداً في إسلام الرحمن إلا إذا قصدنا الآية التالية:

﴿ياأيّها الذينَ آمنوا لاتكُونوا كالّذينَ كَفَروا وقالوا لإخوانِهم إذا ضرَبوا في الأرضِ أو كانوا غُزَّىً لو كانوا عندَنا ماماتوا وماقتِلوا ليَجعَلَ الله ذلكَ حسرةً في قلوبِهم والله يُحيي ويُميتُ والله بما تعملونَ بصير﴾ ١٥٦ ـ آل عمران.

فالرسول الكريم في كل المواقع الإسلامية التي حضرها كقائد لم يرفع السيف على أحد

ولم يقتل في حياته إنساناً واحداً بسيفه، لا هجوماً ولا غدراً ولا حتى دفاعاً عن نفسه لأن الله تعالى كفاه ذلك بعد أن عصمه من الناس.

وقد كان الرسول وصحابته يعلمون أن أغلب حروب الرسول في الجزيرة كانت حروباً خاصة، بحسب الآية ٨٤ من سورة النساء، التي توقفت كما قلت لكم بالإنساء قبل وفاة الرسول، وهناك مازلنا نجد بعض الأحاديث الصحيحة بدليل مطابقتها لنص القرآن مثل الحديث التالي:

الحديث رقم (٢٩٤٦) من صحيح البخاري: عن الزهري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله».

هذا الحديث ليس فيه مايناقض نص القرآن.

وكما تلاحظون فإن الرسول الكريم أيضاً دقيق في التعبير لأنه قال:

(أمرت أن أقاتل الناس) موضحاً أن الأمر بالقتال كان لشخصه فهو لم يقل مثلاً:

«أمرني الله أن آمر المؤمنين بالقتال والقتل للناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» عندها كان فعلاً دين الإسلام دين عنف وقتال، وأسلوب دعوته للإسلام هو العنف والقتل، ولكن هذا غير صحيح إلا في دين السلطان وغير موجود في دين الله المحصور فقط في كتابه ورسالته للعالمين في القرآن الكريم.

وكما لاحظنا أيضاً أن الرسول قال:

(أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) باللسان.

ولم يقل مثلاً: (أقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ولايشركوا به أحداً).

لأن الله والرسول يعلمان أن مركز الإيمان لايمكن السيطرة عليه بقوة السيف وكل ماكان يسعى إليه الله والرسول من خلال هذا القتال الخاص هو إيقاف موجة عنف المعارضة العلنية لدين الإسلام داخل الجزيرة العربية بأن يكف بأس المشركين ولو بإجبارهم على بالاعتراف بالإسلام باللسان، حتى يستطيع المسلمون التفرغ للأعداء الذين يحضّرون أنفسهم للهجوم على معاقل المسلمين من الروم والفرس.

لذلك رأينا أن كل الآيات التي كانت تأمر بمثل هذا الأسلوب من العنف للرسول

انتهت بالإنساء كما ذكرت لكم، وكما أنها انتهت بشكل عملي أيضاً بوفاة الرسول.
إن أمر التكليف بها كان محصوراً بشخص الرسول كما هو واضح في نص الآية:
﴿فقاتِل في سبيلِ الله لاتُكَلَّفُ إلاّ نَفْسُكَ وحرّضِ المؤمنين عسى أن يكفّ بأسَ الذينَ كفَروا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً﴾ ٨٤ ـ النساء.

فعندما قال الله تعالى في هذه الآية:

(وحرض المؤمنين) ولم يذكر بعدها موضوع القتال فمن يظن أن الله تعالى نسي ذلك فإنه في وهم كبير، فالله لاينسى ولايسهو بل كان مقصوداً، حتى لايقرن القتال بالمؤمنين أبداً. في موضع هجومي. لكن الله تعالى قصد أن يقرنها مع المؤمنين عندما كانت حالة القتال دفاعاً مشروعاً في دين الإسلام فقال سبحانه عندها:

﴿ياأيّها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال﴾ ٦٥ ـ الأنفال.

لأن المشركين أتوا ليقاتلوا ويقتلوهم فلابد للمسلم المؤمن أن يدافع عن عقيدته أمام المشركين المعتدين فالمؤمن لايحب القتال ظلماً لكنه لايكره القتال عن جبن وخوف أبداً. فلن يسكت عن ضَيْمٍ ولا عن معتدٍ أثيم.

باختصار من كان دليله القرآن فلن يتوه عن الحقيقة والحقائق أبداً لأنه متَمَسِّكٌ بكتاب الله وبحبلِهِ، ومن تمسك بغيرهما فهو حتماً سوف يتوه ويضيع ويضل الطريق.

لكن رغبة السلطان ومصلحته كانت تقتضي أن لايتمسك الناس بالله ولا بكتابه بل بما حضره لهم جنوده من أحاديث مفتراة من أجل قلب كل الحقائق وإبقاء القتال مستمراً ودائماً في الإسلام لغايات شرحتُها مراراً في هذا الكتاب.

فقد سعوا ليجعلوا كل المستحيلات التي في القرآن ممكنة بواسطة الروايات من أحاديث السلطان العجيبة التي لايقبلها إنسان بقي عنده ذرة من عقل وتفكير سليم ففرضوها على الناس بالقوة والتكرار وأن رجال السند الذين رووا هذه الأحاديث هم كلهم من الثقات ومن الملائكة الكرام الذين لايمكن أن يصلهم الشك أبداً. وقد يصدق هذا على الجيل الأول، وماذا عن باقي الأجيال السبعة الذين شاركوا برواية هذه الأحاديث، هل مازالوا أيضاً من الملائكة؟

اسمعوا هذا الحديث العجيب:

الحديث رقم (٣٠٠٧) من صحيح البخاري: في باب الجاسوس مرفوعاً لعلي بن أبي طالب.

يقول علي رضي الله عنه:

(بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد قال: «انطلقوا حتى تَأْتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينةً ومعها كتاب فخذوه منها».

فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا:لتخرجَنَّ الكتاب أو لنلقيَنَّ الثياب. فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين في أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ياحاطب ماهذا؟ قال: يارسول الله لاتعجل علي. إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش. ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي. ومافعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لقد صَدَقَكم» فقال عمر رضي الله عنه: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: إنه شهد بدراً، ومايدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم».

والأغرب أن هذا الحديث ورد تحت عنوان:

(وقول الله عز وجل ﴿لاتتّخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياء﴾

ولا تفسير لذلك كله إلا أن يكون البخاري يريد أن يشير لنا بهذا الحديث المناقض لدين الإسلام، فأبرز لنا الآية الكريمة المناقضة له دون أن يستطيع الإفصاح عما في نفسه بأكثر من ذلك.

وإذا فرضنا جدلاً أن الله تعالى هو الذي أخبر رسوله بكل علوم الغيب التي يدعيها الراوي للرسول عن معرفة أمر هذه الخيانة الغادرة من أحد المسلمين في صفوفه وثبتت عليه الجريمة بالأدلة القاطعة حتىأصبحت يقيناً ويدرك عمر بن الخطاب أنه منافق وخائن لله وللرسول ويرسل للأعداء عن أخبار المقاتلين من المسلمين ويكشف أسرارهم للعدو فيعفي عنه الرسول هكذا ببساطة ويقول إنه حضر بدراً ومايدرينا أنه في بدر لم يكن من الغادرين. ونسمع دفاع المجرم فنجده عذر أقبح من ذنب وتقول له المحكمة إن الرجل قد اعترف. فقد عفونا عنه.

قد يكون الاعتراف من مخففات الحكم ولكن ليس إلى حد الإعفاء من الفعل الجرمي

الثابت بالأدلة حتى قبل الاعتراف.فالاعتراف هنا نتيجة للأدلة كما شاهدتم.

أنا شخصياً أعتقد أن القصة كلها من اختلاق الرواة من أجل سن سنة جديدة للسلطان حتى يستطيع بها أن يعفي عن بعض الجواسيس إذا ثبتت عليهم التهمة وكانوا من قومه وأقربائه فيستطيع بواسطة هذا الحديث إنقاذهم على أنها سنة الرسول ﷺ. وإلا فهل تصدقون أن الرسول الكريم الذي لايتساهل أبداً في الحقوق العامة والذي قال «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، أن يقول للجاسوس الذي ثبتت عليه جريمة الخيانة العظمى، اذهب فأنت من الطلقاء لوجه الله، هذا هو الفرق بين دين الله الذي أتى به الرسول محمد ﷺ وبين دين السلطان الذي ألفه له جنوده.

إن رسول الإسلام الذي كان حازماً عند لزوم الحزم رحيماً عند لزوم الرحمة لايمكن بمثل تلك البساطة أن يغض النظر عن حد من حدود الله ويتساهل مع خائن ثبتت عليه الخيانة العظمى، ويتركه هكذا دون قطع رأسه، فقد كان الرسول قوياً في الحق دائماً. لايمكن لمسلم مؤمن بالله وبكتابه ويعرف رسوله الكريم وقرأعن صفاته كلها في السيرة وفي القرآن أن يصدق هذه القصة ولو رواه كل جنود السلاطين في العالم كله.

أخيراً قبل نهاية هذا البحث أحب أن أذكر الجميع بالمفارقة العجيبة التالية:

كل المسلمين يعلمون أنه من أجل أن نتهم نفساً واحدة ذكراً أو أنثى بجريمة الزنا التي يمكن أن يقع فيها كل إنسان لم يتحرص من الشيطان، ويبتعد عن خطواته. يشترط الله تعالى أن تكون شهادة المسلم المقترنة مع الرؤية بالعين والسمع بالأذنين أن لاتكون مقبولة إلا إذا كان معه ثلاثة شهود يؤيدون كلامه وإلا فإن القاضي الإسلامي سوف يلهب ظهره بثمانين جلدة. بتهمة القذف للمحصنين والمحصنات.

وإكراماً للسلاطين ومن أجل تحقيق مصالحهم في الدنيا قد قبل كل المسلمين بشهادة رجل واحد أو امرأة واحدة أو طفل واحد لتشويه سمعة أفضل خلق الله واتهامه والتشكيك في أخلاقه بصفات وأفعال بعيدة عن الصدق والصحة، لماذا لم يشترط السلطان وجنوده على الأقل نفس الشرط الذي أُحصِنَ به سمعة الناس فنُحصِنَ به سمعة رسولنا الكريم من تقولات أصحاب المصلحة والحقد والحسد من المنافقين:

﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا لاتخُونوا الله والرسول وتخُونوا أماناتِكُم وأنتُم تعلَمُون﴾ ٢٧ ـ الأنفال.

صدق الله العظيم

الفصل السادس والثلاثون

حقوق المرأة في دين الرحمن، وحقوق المرأة في دين السلطان

قد يكون العنوان مفاجئاً لمن ليس لديه فكرة سابقة عن أبحاث كتابي الأول المسمّى (النظرية)، وعن أبحاث هذا الكتاب (البرهان). ومن يقرأ الكتابين سيجد العنوان طبيعياً، ينسجم والعقلية السائدة بين المسلمين اليوم على اختلاف طوائفهم وبلادهم. وأرجو أن أشير هنا إلى نتيجة ماتوصلت إليه خلال البحوث والدراسات التي أجريتها في العشرين سنة الماضية، وباختصار؛ وجدت علماء السنة في الدين الإسلامي يعتمدون مصدراً واحداً للفقه والتشريع، وهو مايسمّى اليوم بالسنة النبوية الشريفة، والتي تضم أحاديث برهنت في الفصول السابقة براءة الرسول ﷺ منها براءة عيسى من محرفات الأناجيل ومكتتبات بولص الرسول، وبراءة موسى من محرفات اليهود ومانسبوه إليه من الكتب والشرع في التلمود. إذاً لمصلحة من كُتبت ووضعت؟! يقيناً كُتبت لسلاطين اليهود أولاً، والنصارى ثانياً، والمسلمين ثالثاً. وكَتَبَتُها تجمعهم صفة مشتركة، فهم يعلمون ويحرفون، لماذا؟ طمعاً بالحظوة عند السلاطين، والحصول على شهوات الدنيا الغرورة.

ولعل واحداً يقول: إن القرآن هو أول مصادر أهل السنة في الفقه والتشريع، فأقول له: إن علماء السنة ربطوا تأويل آيات القرآن وتفسيرها بالأحاديث؛ وببساطة متناهية إن النتيجة العامة التي سنحصل عليها في النتيجة هو ماقرره واختاره جنود السلطان دون أن يتركوا فرصة للمسلم أن يقرأ رسالة الله سبحانه.فهو أرسل الرسالة لتقرأها أنت وتفهم مقاصدها وحدك.. لا أن يأتي أحد زبانية السلطان ويفرض نفسه عليك ويوهمك أنه القادر على تقريب تلك المعاني إلى ذهنك، دون أن تدرك لسذاجتك مقاصده ونواياه.فهل هذا رجل دين حقيقي؟ ربما تصدق ذلك وتقتنع بأنه يخشى الله ويخافه ويريد مصلحتك ومصلحة المسلمين.. قد يكون شيطان من شياطين الإنس.. وبمجرد قبولك برأيه وتصبح في صفّه، وتعطل كتاب الله ومفعوله بالأحاديث المفتراة والملفقة على الرسول الأمين ظناً منك أنك على دين الله تسبح بحمده وتشكر له.. بينما أنت تشرك بكتاب الله كتاباً آخر، وتصبح شهادتك أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله

لاتساوي شيئاً في دين الحق ولاتغير شيئاً إذا لم تُفَسِّره أنت بعقلك على أرض الواقع، لأنه عزّ وجلّ يقول لك في كتابه؛ خلقتك حراً أيها الإنسان ومنحتك عقلاً ميزتك به عن باقي مخلوقاتي، وقلت لك: اختر ماتشاء وافعل ماتريد، فقد بينت لك الخير والشر: ﴿وقُل الحقُّ من ربِّكُم فمَن شاء فليُؤمن ومَن شاء فليكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

ومع هذا الوضوح يطلع علينا زبانية السلطان ليقرّعونا ويقولون: إنكم لن تفهموا معاني آيات الله في القرآن حتى نشرحها نحن لكم. ولننظر بأمهات أعيننا ماذا يقولون!

في باب (قدِّر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره) من صحيح مسلم نجد الأحاديث التالية:

١ ـ الحديث رقم (٢٦٥٧): حدثنا إسحق بن إبراهيم (واللفظ لإسحق) منقولاً في النهاية عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لامحالة». بمعنى أن ليس لك الحرية في فعل ماتشاء، فكل شيء مقدّر لك سلفاً حتى الزنى (المكتوب على الجبين سوف تراه العين).

٢ ـ الحديث رقم (٢٦٥٢) المسلسل (١٥): حدثنا إسحق بن موسى موصولاً بأبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسى (في حديث طويل أختصره) فقال آدم جواباً لموسى: «أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟».

لاحظوا: قال رسول الله ﷺ «فحج آدم موسى». أي برهن آدم لموسى أنه غير مسؤول عمّا فعل، لأن الله كتب وقدر ذلك عليه، ولم يُعطه الحرية في الاختيار وهذا معناه أن الإنسان غير مسؤول عن أعماله.

٣ ـ الحديث رقم (٢٦٤٧) المسلسل (٧): منسوباً لعلي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يومٍ جالساً وفي يده عود ينكث به (الأرض) فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفسٍ إلاّ وقد عُلِمَ مَنزلُها من الجنة والنار» قالوا: يارسول الله فلم نعمل؟ فلا نتّكل؟ قال: «لا. اعملوا، فكل ميسّر لما خلق له».

أي باختصار: ليس لكم من الأمر شيء، إذ كل شيء مقدّر ومقرّر سلفاً قبل أن تُخلقوا. وثمة عشرات من شاكلة هذه الأحاديث (منسوبة على المنوال نفسه)، تصب في النهاية في مصلحة الذين وضعوا ولفّقوا وكذبوا على الله ورسوله، ومنعوا أن يُفسّر كتاب الله إلاّ حسب تأويلاتهم ومحرّفاتهم، إرضاء لسلطانهم، بل سلاطينهم، وإشباعاً لرغباتهم

لرغباتهم وشهواتهم في الأرض وكلها مناقضة لرغبات الله في السماء. وهكذا ندرك أن الله سبحانه أرسل كتابه للناس كافة ليفهموه مباشرة دون وسيط بينه وبينهم أو وكيل عنه حتى من الأنبياء والرسل، إذ ليس بإمكان أحدهم أن يقول ويؤوّل كما يشاء، لذا يقول سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ:

﴿وماجَعلناكَ عليهِم حفيظاً وماأنتَ عليهِم بوكيل﴾ ١٠٧ - الأنعام.

فما هو دور الرسول ﷺ إذا كان لايستطيع أن يقول للناس مايشاء؟

﴿إنّما أنتَ نذيرٌ والله على كلِّ شيء وكيل﴾ ١٢ - هود.

وأنت عندما توكل عن نفسك محامياً ماذا تعطي من حقوق له منك؟

إنك تعطيه الإذن أن يتكلم بالنيابة عنك.

والله سبحانه يقولها علناً أنا لم أجعلك حفيظاً ولم أعطك الإذن بالوكالة عني حتى تقول ما تشاء يا محمد.

وبماذا ينذرهم؟ وماذا يبلّغهم إذاً؟

﴿ياأيّها الرسولُ بلّغ ما أُنزلَ إليكَ من ربِّكَ وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالتَهُ﴾ ٦٧ - المائدة.

وهكذا.. فالله تعالى لايريد مفسرين ووسطاء ووكلاء بينه وبين عباده، وهو القادر على كل شيء قادر على أن ينزل من السماء كتاباً سهلاً ممتنعا، يأخذ منه كلٌّ على قدر علمه وثقافته ووعيه واستيعابه في هذه الدنيا، وهذا هو المطلوب إبلاغه للناس. بيد أن هذا الكلام لايخدم مصالح أصحاب الشأن في دين السلطان، ولايلبي شهواتهم، ولايشبع غرائزهم، ولايترك لهم الحبل على غاربه ليعبثوا ويفسقوا ويرفثوا إلى من حرّمهنّ الله عليهم وعلى غيرهم من النساء.. لأن المرأة في دين الرحمن هي غيرها في دين السلطان، فهي لاتقلّ ولاتنقص في ميزان الله عن الرجل. ويراهما الله سبحانه كما خلقهما متساويين في الحقوق والواجبات كون كل منهما نفساً إنسانية، ولأن هذه النفوس متساوية عند الله لبست أشكالاً من المادة عندما سكنت الأرض بأمر ربِّها خلال الحياة الدنيا، وبما أنه سبحانه استخدم أسلوب الخلق والإعادة عن طريق الزواج والتناسل لكل مخلوقاته الأرضية؛ فكان لابد من تقسيمهم إلى جنسين (الذكر والأنثى) لإتمام عملية الخلق والإعادة:

﴿إنّه يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعيدُه﴾ ٤ - يونس.

﴿الله يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعيدُهُ ثمَّ إليهِ تُرجعون﴾ ١١ ـ الروم.

﴿قُل هل من شُركائِكُم مَن يبدأُ الخلقَ ثم يُعيدُه﴾ ٣٤ ـ يونس.

لا والله.. لايستطيع أحد أن يدّعي هذه العملية مهما تطور وتقدم في العلوم.

إذاً فالله تعالى جعل المرأة نصف التواجد الإنساني على الأرض، وإذا أجرينا إحصاء نجد كفتي الميزان متوازيتين عدد الذكور يساوي عدد الإناث تقريباً، ولاتستطيع أن تقول: إن قيمة وجود أحد النصفين أهم وأفضل من النصف الآخر.والآن سأعرض ماجاء في الوحي الأول عن المخلوق الإلهي ثم أورد الوحي الثاني، وأترك المجال للقارىء ليقرر النتيجة بنفسه:

﴿وهوَ الذي خَلَقَ من الماء بَشَراً فجعلهُ نسباً وصهراً وكان ربُّكَ قديراً﴾ ٥٤ ـ الفرقان.

ومن هذا المنطلق يخاطب الله الناس على أنهم بشر، والبشر يتالفون من ذكور وإناث، ويتساوَون عددياً بالتقريب حسب قانون إلهي هو قانون الاحتمالات، الذي خلقه سبحانه واكتشفه الإنسان مع تقدّم علمه..

﴿ياأيّها الناسُ إنّا خَلقناكُم من ذكرٍ وأنثى وجعلنَاكُم شعوباً وقبائلَ لِتعارَفوا إنَّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

ويمكن اعتبار هذه الآية أساساً لتوزيع الحقوق، وأساساً لنظرة الله إلى الناس كافة، بمعنى أنه سبحانه خلق الناس من ذكر وأنثىدون تفصيل في الحقوق، ومقياس التفاضل بينهم فقط (التقوى).

وهكذا نستطيع القول: إن هذه الآية أنكرت على الإنسان ادعاءاته المتعلقة في التمييز العنصري والجنسي والعرقي.ويبقى مقياس التفاضل هو التقوى، وليس هناك أي تمايز في حقوق الخلق عند الله سبحانه:

﴿وإنَّه خلَقَ الزوجين الذَّكرَ والأنثى﴾ ٣٩ ـ القيامة.

وقد سمّى الذكر زوجاً، كما سمى الأنثى بالمقابل زوجاً، دون تمييز بينهما باللفظ، وللإنسان صورتان في الخلق (مادية) هي صورة الذكر والأنثى، و(معنوية) هي صورة النفس البشرية ولاتمييز بينهما.

﴿واتّقوا يوماً لاتَجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولايُقبَلُ منها شفاعةٌ ولايُؤخَذُ منها عَدْلٌ ولا

هُم يُنصرون﴾ ٤٨ ـ البقرة.

﴿لاتكلّف نفسٌ إلا وُسعَها﴾ ٢٣٣ ـ البقرة.

﴿ثمَّ وَفَّى كلُّ نفسٍ ماكسَبت وهُم لايُظلَمون﴾ ٢٨١ ـ البقرة.

﴿يومَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادِلُ عن نفسها﴾ ١١١ ـ النحل.

﴿ولاتَقتُلوا النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ﴾ ٣٣ ـ الإسراء.

﴿كلُّ نفسٍ ذائِقَةٌ الموت ونبلوكُم بالشّرِّ والخيرِ فتنة﴾ ٣٥ ـ الأنبياء.

﴿وماتدري نفسٌ ماذا تَكسَبُ غداً وماتدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت﴾ ٣٤ ـ لقمان.

﴿وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد﴾ ٢١ ـ ق.

فالناس عند الله سبحانه نفوسٌ متساوية، لافرق بينها إلاّ بما كسبت واكتسبت خلال حياتها الأولى على الأرض. وهذه النفوس كانت تلبس أشكالاً مادية لضرورات الحياة من أجل النسل والتناسل، ضمن قانون الله حسب ما أخبرنا في القرآنِ، أنه كما بدأ كل عملية خلق يعيدها مرة أخرى:

﴿أَوَلَم يَروا كيفَ يُبدىء الله الخَلقَ ثم يُعيدُه﴾ ١٩ ـ العنكبوت.

﴿الله يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعيدهُ ثمَّ إليهِ تُرجعون﴾ ١١ ـ الروم.

﴿وهو الذي يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعيدهُ وهو أهونُ عليه﴾ ٢٧ ـ الروم.

بلى والله ونحن على ذلك من الشاهدين.

لنبحث الآن في القرآن كيف يشرح لنا عملية خلق آدم والجنس البشري على الأرض:

﴿والله خَلَقَ كلَّ دابةٍ من ماء﴾ ٤٥ ـ النور.

وهذا ماااكتشفه العلماء اليوم، حيث كل دورة خلق تبدأ من الماء وأشعة الشمس على شكل بكتيريا تتطور إلى عوالق في الماء وتكون مصدر غذاء للأحياء المتطورة عنها في عملية الخلق:

﴿وبدأ خَلقَ الإنسان مِن طين﴾ ٧ ـ السجدة.

﴿ولقد خلقنا الإنسان مِن سلالةٍ من طين﴾ ١٢ ـ المؤمنين.

لاحظوا دقة التعبير الإلهي، لم يقل سبحانه بدأ خلق آدم، وإنما قال: الإنسان، لأن آدم أتى بعد مليارات السنين على تطور الحياة التي بدأها في عملية خلق الإنسان. أما فكرة خلق آدم من طين فقد استوردها جنود السلطان لنا من التوراة المحرفة بأيدي أصحابها لتصبح عقيدة عند أهل السنة؛فإلى أحد نصوص التوراة حول هذه العملية:

(وجَبَلَ الرب آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية)(*).

تصور بدائي لإنسان بدائي عن عملية الخلق المعقدة والمشروحة في القرآن الكريم، ثم انتقلوا إلى كيفية خلق حواء من آدم، حتى اسمها (حواء) أتانا من التوراة، لأن القرآن لايسميها بهذا الاسم أو أي اسم آخر..

(فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانها لحماً)(**).

ولم يكتف السلطان وجنوده بهذه التلفيقات والافتراءات، فماذا وضعوا في الوحي الثاني لديهم (الحديث) لنتابع:

الحديث رقم (١٤٦٨) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمعت بها، وبها عوج، وإن ذهبت تقيّمها كسرتها وكسرها طلاقها».

وهكذا دخل في اعتقادنا أن حواء خلقت من ضلع آدم (هي جزء وهو كل)، ومن هنا مصدر الدونية للمرأة لدى أهل الكتاب الذين يحتقرونها حتى في كتبهم التي يسمونها مقدسة.. لنستمع إلى عيسى عليه السلام كيف يكلم أمه في الإنجيل (المحرفة طبعاً):

(فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك)(***).

بينما يقول الله تعالى في القرآن عنه: على لسان عيسى بن مريم:

﴿وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيّاً﴾ ٣٢ - مريم.

لقد اعتنقنا قيمة المرأة وصفاتها الدونية والنظرة العامة لحقوقها من كتب أهل الكتاب وتصوُّرُ التوراة الخاطىء في هذه الأصول والقوانين الكلية تسقط (بجدارة) في مجالات

(*) سفر التكوين الإصحاح ٢ - الفقرة ٧.

(**) سفر التكوين الإصحاح ٢ - الفقرات ٢١ - ٢٢.

(***) إنجيل يوحنا الإصحاح ٩٩ - الفقرة ٢٦.

التطبيق عليها، إذا ماعدنا إلى القرآن الكريم، فخرجنا من الظلمات إلى النور. (فالإنسان يعنيه في حياته أمور ثلاثة هي أغلى عنده من الحياة نفسها، وهي:

أ ـ حرية مهذبة يستمتع بشذاها في حلّه وترحاله.

ب ـ مساواة ترفع قدره دون تسييد واحد على آخر.

ج ـ وعدالة ينعم في ظلها بحقوقه وتعينه على أداء واجباته.

هذه القيم التي كاد يجمع المفكرون الفلسفيون، ماهو موقف نصوص التوراة منها؟ أهي مرعية؟ أم مهدورة مثل كثير من القيم الأخرى؟)(*).

وهنا نتيقّن أن النظرة العامة للمرأة في دين السلطان مطابقة لما ورد في التوراة والإنجيل، ومناقضة بالطبع لما ورد في القرآن الكريم.

الحديث رقم (٢٧٤٠) من صحيح مسلم: عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ماتركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرجال من النساء».

فالدين عند السلطان دين خاص بالرجال، وماوجود النساء فيه إلا وسيلة لإمتاع الرجل الذي هو في الأصل حسب التوراة إلهٌ من السماء، بينما المرأة مخلوق أرضي لايمكن أن يسمو إلى السماء أبداً.

(وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنّهنَّ حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)(**).

في حين لانجد في الوحي الأول (القرآن) أي تمييز على الإطلاق بين المرأة والرجل، يقول سبحانه:

﴿إن المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدّقينَ والمتصدّقاتِ والصّائمينَ والصّائماتِ والحافظينَ فُروجَهُم والحافظاتِ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أَعَدَّ الله لهُم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ ٣٥ ـ الأحزاب.

وماذا نجد في الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ ظلماً وبهتاناً؟

الحديث رقم (٢٧٤٢) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ:

(*) عن كتاب (الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي) للدكتور عبد العظيم المطعني ـ دار الوفاء.

(*) سفر التكوين الإصحاح ٦ ـ الفقرات ١ ـ ٢.

«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

ومعنى ذلك أنَّ خطاب الرسول هذا للذكور فقط دون النساء، بدليل قوله: اتقوا النساء، وكأنهنَّ أعداء خارجيون، ومن هنا ألَّف جنود السلطان رواية على لسان علي بن أبي طالب أنه قال:

(المرأة شرّ لابد منه) وقالوا أيضاً على لسان الرسول ﷺ إنه قال: «الشيطان يأتي الرجل في صورة امرأة». بينما الله سبحانه وتعالى لايفرق في الخطاب بين الرجال والنساء، وعندما يخاطبهم قائلاً: (ياأيها الناس) إنما يقصد الذكور والإناث معاً:

﴿ياأيها الناسُ اعبُدوا ربَّكم الذي خَلَقَكُم﴾ ٢١ ـ البقرة.

﴿ياأيّها الناسُ كُلوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً﴾ ١٦٨ ـ البقرة.

﴿ياأيّها الناسُ اتّقوا ربَّكم الذي خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتّقوا الله الذي تُساءلون به والأرحام﴾ ١ ـ النساء.

﴿ياأيّها الناسُ قد جاءكم برهانٌ من ربِّكُم وأنزَلنا إليكُم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ ـ النساء.

وهذا البرهان هو القرآن وليس صحيح البخاري ومسلم.. وهكذا ترون أن الله يكلم الناس ذكوراً وإناثاً بخطاب واحد دون تفضيل جنسٍ على آخر، لأن وجودهما ضرورة حياتية، في حين نجد الخطاب في دين السلطان موجهاً للرجال فقط. وفيما يلي أورد نماذج من أحاديث صحيح مسلم بشكل مختصر مع ذكر أرقامها، ومن أراد الاستزادة عليه الرجوع إلى الحديث بكامله في صحيح مسلم مباشرة.

في الأحاديث التالية المخاطب هو الرجل فقط وكأن الدين الإسلامي لايخص المرأة أبداً:

ـ إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يردّ ما في نفسه ـ الحديث رقم ١٤٠٣ مسلسل ١٠٠.

ـ إذا أعجلت أو أُقحطت فلا غسل عليك (أي إذا جامعت المرأة ولم تنزل) ـ الحديث رقم ٣٤٥.

ـ إذا دخل أحدكم الخلاء فلا يمسّ ذكره بيمينه ـ الحديث رقم ٢٦٧.

ـ إذا دعي أحدكم إلى وليمة عرس فليجب الدعوة ـ الحديث رقم ١٤٢٩.

ـ إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح (والعكس غير مفروض لأن السلطان عنده الآلاف من النساء في قصوره) ـ الحديث رقم ١٤٣٦ المسلسل ١٢٢.

ـ إذا مات الرجل عرض عليه مقعده (من النار أو الجنة) بالغداة والعشي الحديث ـ ٢٨٦٦ مسلسل ٦٥.

ـ أتعجبون من غيرة سعد بن أبي وقاص، وأنا أَغْيَرُ من سعد والله أغير مني. والحديث في مقام الغيرة من الرجال على النساء. وهل لله تعالى نساء حتى يغار عليهن؟ ـ الحديث رقم ١٤٩٩.

ـ إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها (للمرأة طبعاً) فقد وجب غسله.

ـ من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني ـ الحديث رقم ٢٤٩٢.

وهذا هو الوحي الثاني المدعى على الله تعالى والرسول الكريم، وليس فيه ذكر للنساء إلا للمتعة أو للعقاب أو للعذاب في نار جهنم أو تشبيهها بالكلب والحمار.

الموضوع الأول ـ الفروق الطبيعية بين الزوجين:

قبل أن أنتقل لحقوق الزواج لابد أن أتعرض للفروق الطبيعية التي أوجدها الله سبحانه بين الجنسين ومايترتب على هذه الفروق من بعض التمايز في الحقوق والواجبات.

ويجب أن يكون في علم المسلم أن كل حق يمنحه الله للإنسان يقابله واجب وهكذا يمكن أن نعمم قاعدة (أنه لاحق بلا واجب يقابله ولا واجب بلا حق يقابله أيضاً).

لنستمع للآية القرآنية التالية:

﴿الرجالُ قوامُونَ على النساء بما فضَّل الله بعضَهم على بعضٍ وبما أنفقُوا من أموالِهِم فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حفظَ الله واللاتي تخافونَ نشوزَهُن فعِظُوهن واهجروهُن فإن أطَعنَكُم فلا تَبغوا عليهنَّ سبيلاً إنّ الله كانَ عليّاً كبيراً﴾ ٣٤ ـ النساء.

فهم هذه الآية بشكل صحيح من أَهَمِّ الأمور في الدين الإسلامي كله، إذ عليها يعتمد استقرار الأسرة وعدم فهم الرجل لدوره الصحيح قد يؤدي إلى ظلم وفواجع في حياة الأسرة الإسلامية التي على سلامتها تقوم قوة الإسلام كدين منظم ضمن مجتمع حقيقي على الأرض.

كيف نفهم (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)؟ إن الله

سبحانه وتعالى الذي قدر ثم خلق الإنسان في أحسن تقويم جعل الرجل أقوى من المرأة بدنياً وعضلياً وأوكل إليه واجبات الرعاية والحماية والدفاع عن أسرته الجديدة، وفي مقابل تلك الميزات والواجبات الإضافية منحه الله درجة على زوجته بتسليمه قيادة دفة هذه الأسرة، وحمَّلَه مسؤولية تلك القيادة. وكما لاحظتم لم يكن شيء مقابل لاشيء أبداً.

كما منح المرأة أيضاً زيادة في القدرة العاطفية والحنان، لما هيأها الله له من وظيفة أساسية لإعمار الأرض، وهي الأمومة، التي لايمكن أن تقوم وتتم دون هذا النبع العظيم من الحنان والحب الذي زرعه الله في المرأة وجعلها مستقراً للعاطفة التي تحمي الأسرة من الداخل، وتجعل في البيت الدفء والحنان والحب مما يكون ضرورياً لنشأة الأطفال نشأة سليمة نفسياً وعاطفياً، فتُخرج الأسرة أعضاء يتمتعون بالقوة البدنية والنفسية والعقلية مع وجود التوازن في تلك الأمور داخل المجتمع الإسلامي.

وبالعكس تماماً في حال نشأة الأطفال تحت ظروف الطلاق والعراك وفقدان الطمأنينة والعواطف الإنسانية الضرورية للأطفال كضرورة الحليب تماماً إن لم تكن أكثر بوجود زوجة أب مثلاً في البيت بدل الأم المطلقة، مما يشكل بصورة مباشرة أكثر من فريق بين الأطفال من كل أم أو زوجة جديدة، فيعيش الجميع في جو الصراع الذي يولّد فيهم أمراضاً نفسية معقدة، تظهر علائمها على المجتمع وتؤثر بالتالي على قوته وفاعليته مستقبلاً.

لذلك نجد أن دين القرآن ركز تركيزاً شديداً على هذه الأمور، بينما أهملها دين السلطان لأنه كان يبحث فقط عن المتع اللحظية الآنية، فالمرأة بالنسبة للسلطان كما كتب وأخرج له جنوده تلك الروايات الموضوعة والمفتراة على الرسول الكريم، هي خدمة لأهوائه ورغباته وشهواته والتي طابقت أهواء ورغبات وشهوات أهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، جاعلين المرأة مجرد آلة للمتعة وإنجاب الأطفال والخدمة.

لذلك نجد تطابقاً تاماً بين نظرة نصوص التوراة المحرفة ونصوص دين السلطان الإسلامي المسجلة فيما كانوا يدعونه بكتاب الحكمة بحسب تسمية السلف من علماء المسلمين من أمثال أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية. والمسجلة في أحسن صورها في صحيح البخاري ومسلم ولا أراك الله ماكُتب في باقي الكتب من الأحاديث المفتراة باسم الرسول ظلماً وافتراءً وبهتاناً.

والقرآن كتاب الله الذي تركه الجميع إرضاء للسلطان يحوي كل الحقائق علماً أننا لن نجد الحقيقة أبداً في كل كتب دين السلطان الأخرى التي يسميها جنوده بكتب الحديث الشريف.

فالله تعالى عندما قال: (الرجال قوامون على النساء) لم يتركها سبحانه عائمة دون تبيان لأسباب تلك القوامة، والأسباب الداعية لتسليمه قيادة دفة سفينة الأسرة الإسلامية، بل بينها سبحانه قائلاً:

﴿بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾

من المعروف أن الرجل يمتاز على المرأة بشكل عام أنه الأقوى بدنياً وكما منحه الله من العاطفة أقل بحيث جعل أيضاً أقدر على التركيز العقلي من أجل القدرة على اتخاذ القرارات دون تدخل العاطفة القوية للتشويش على الحقائق، فصار الأجدر على استلام دفة السفينة بتلك الميزة التي لافضل له فيها وإنما خلقها الله فيه لاستلام تلك المهمة، حتى يكون مسؤولاً عن سلامة السفينة خلال سيرها في خضم أمواج الحياة وظروفها المتقلبة مع الزمن، ثم أضاف الله تعالى بعد ذلك قائلاً:

﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾

فجعل بذلك أيضاً الرجل هو المسؤول عن العمل وتأمين الرزق والمال لتكون المسؤولية المالية على عاتقه دون المرأة التي لم يحمّلها الله أية مسؤوليات مالية في الأسرة.

والآية بعد ذلك تشرح وتعلم قائد السفينة وركابها بالحقوق وكيف يتعامل الرجل مع الراكب الأساسي في مركبه وهي الزوجة:

﴿فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حفظ الله﴾

إن الله خلق الناس وهو أعلم بما خلق، ويعلم أن الرجال والنساء ليسوا سواء في كل مكان وزمان.

فهناك في الريف وفي البادية نجد من الرجال والنساء من لم يتلقّ أي حظ من العلم والثقافة.

وكذلك في المدينة ليس كل سكانها سواء. فنجد المتعلم والمتعلمة وأنصاف المتعلمون مع أنصاف المتعلمات كما تجد أيضاً الذين لم يتلقوا حظاً من علم أو ثقافة في المدن خاصة في الأحياء الفقيرة جداً.

والله تعالى يعلم أن كل هؤلاء ليسوا سواء، ولايمكن تطبيق قانون واحد ونظام واحد على الجميع كأسنان المشط لأنَّ مساواة أسنان المشط مساواة خيالية لايمكن أن تؤدي إلى عدالة اجتماعية لأن الناس غير متساوين في القدرة على الاستجابة:

﴿وهوَ الذي جعلَكُم خلائفَ الأرض ورفعَ بعضَكُم فوقَ بعضٍ درجاتٍ لنبلوَكُم في ما آتاكُم﴾ ١٦٥ - الأنعام.

وهذا الرفع بالدرجات نجده في كل شيء، نجده في مستوى الذكاء والقدرة على الاستيعاب، نجده في توزيع الرزق في الفقر والغنى، نجده في العلم والثقافة في الجهال والعلماء، نجده في توزيع المواهب والقدرات الذاتية للأفراد واستعداداتهم، ونجده في أشياء كثيرة، فكل هؤلاء لايمكن أن نطبق عليهم أسلوباً واحداً في المعادلة.

وبعد أن استوعبنا هذه النقطة نعود الآن لنفهم الآية السابقة:

﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾

فهذه الحالة من أحدى الدرجات التي شرحتها وهي بذلك أحدى درجات النساء. بحيث إذا كانت المرأة واعية ومتعلمة وتعرف دورها فهي بالتالي من الصالحات وتكون مطيعة لزوجها ليس عن دونية وخنوع منها ولا عن فوقية وتسلط منه، بل عن خضوع واعٍ لدوره القيادي ولدورها الأساسي. عن وعي وعلم أساسه آيات القرآن وفهمها فهماً معاصراً بعد إبعاد كل الشوائب عنها، لأنه كتاب لايمكن ان يعلوه كتاب آخر في هذه الدنيا.

فهذا الفهم المتبادل بين الزوجين لتوزيع الأدوار من قبل الله يساعد على سلامة إبحار السفينة. ثم يقول سبحانه:

﴿واللاتي تخافونَ نُشوزَهُنّ فعِظوهُنَّ واهجروهنَّ في المضاجِعِ واضربُوهُنَّ فإن أطَعنَكُم فلا تَبغوا عليهِنَّ سبيلاً﴾

هنا ننتقل إلى الدرجات الأخرى التي تظهر فيها حالات نشوز برفض الطاعة عن جهل وعدم تقدير ناتج عن أسباب كثيرة (تربوية أو شخصية) تنحصر في الاستعدادات الشخصية فينصحنا رب العالمين بمعالجة الموضوع بالحكمة والموعظة وبالحسنى ماأمكن:

(فعظوهنّ)

وفي المرحلة الثانية إذا تبين أن مجرد الكلام والموعظة الحسنة لم تثمر في حالتها ينصحنا

رب العالمين أن نرفع المستوى درجة أعلى:

(واهجروهن في المضاجع)

كنوع من الإشعار من الزوج بأنه غير مرتاح لوضعها وحالتها ولعدم تقبلها لقرارات الزوج وخياراته فيما يتعلق بأمور أسرته.

ثم أخيراً إذا تبين أن كل ذلك لم ينفع معها ينصح الله تعالى كمحاولة أخيرة للإصلاح قبل اللجوء إلى حلّ الطلاق الذي فيه تدمير للأسرة ولها تأثيرات جانبية كبيرة خاصة إذا كان هناك أطفال صغار ثمرة لهذا الزواج الفاشل ينصح الله تعالى كعلاج أخير لحالة تلك الزوجة الجاهلة لمنفعتها ومنفعة أطفالها بأن يضربها زوجها، لعلها ترتدع بهذا الأسلوب الأخير من محاولات الإصلاح أو الإيقاظ:

(واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً)

وهنا يجب أن نفهم معنى النشوز بشكل موسع أكثر، لأنه حالة عدم الطاعة من المرأة قد تكون لوجود أسباب أخرى مساعدة، كتشجيع من بعض أهلها بأنها جميلة وأنها تستحق زوجاً أفضل من زوجها الذي قد يكون فقيراً أو كبيراً في السن حتى ترفع نفسها من طاعته وعينها عنه إلى غيره.

إما أن نتصور أن الضرب قاعدة عامة في الإسلام للنساء بحيث يضرب الرجل زوجته لسبب أو دون سبب ودون مراعاة لوضع الزوجة الفكري ولثقافتها وعلمها وأدبها وحسن تصرفها. فهذا سوء فهم للآية من الشخص نفسه.

وهكذا وجدنا أن الله يتكلم في نفس الآية عن حالتين:

في أول الآية تكلم سبحانه- عن الحالة الطبيعية لأسرة إسلامية متفاهمة وتسير أحوالها بسلام بوجود الإيمان والتفاهم لكون المرأة والرجل كلاهما يعرف ويقدر حالة الدور للطرف الآخر ومستلزماته، ويجب أن يكون الزواج من أساسه مبنياًعلى أسلوب إسلامي صحيح بإتاحة حرية الرأي في الاختيار لبعضهما ورضائهما وقبولهما بالزواج أولاً وللدور المطلوب منهما بعد الزواج كزوجين وأبوين لأطفال لابد من تربيتهم التربية الإسلامية الواعية.

ثم يتكلم الله تعالى عن الحالة الطارئة التي تظهر فيها علامات من سوء التفاهم وعدم الرضوخ للطاعة لأوامر الزوج والقبول بقراراته من الطرف الآخر لأسباب متعددة وكثيرة فينصح رب العالمين الرجل بأن يعالج الأمور بالحكمة والعقل، وهو يعلم ماذا يفعل دون

حاجة للانفعال أو الغضب أو الثورة، ويعظها مبيناً لها خطورة موقفها السلبي، فإن سمعت منه وعادت فاستقامت وأطاعت كان خيراً لها وله، وإلا لجأ إلى أسلوب آخر من وسائل الإقناع أعلى درجة من مجرد الوعظ والكلام المجرد كما فعل النبي الكريم مما علمناه من القرآن في معالجة الموقف عندما تأزم بين نسائه وكيدهن فقال تعالى في قصتهن:

﴿وإذ أَسَرَّ النبيّ إلى بعض أزواجهِ حديثاً فلمّا نَبَّأت به وأظهَرَهُ الله عليه عرَّف بعضَه وأعرض عن بعضٍ فلما نبأها به قالت من أنبأكَ هذا قال نبأني العليمُ الخبير * إن تتُوبا إلى الله فقد صَغَت قلوبُكما وإن تظاهرا عليه فإنَّ اللهَ هوَ مولاهُ وجبريلِ وصالح المؤمنينَ والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربّه إن طَلَّقَكُن أن يُبدلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً﴾ ٣ - ٥ - التحريم.

فأتى التهديد من الله سبحانه لزوجتيه بحسب الرواية (عائشة وحفصة) اللتين تآمرتا على أن يشيعا بين أزواج النبي أن رائحة فم الرسول أصبحت كريهة بعد شربه ماء العسل عند زوجته زينب. فحرم الرسول على نفسه بعد أن قالوا له ذلك شرب ماء العسل، فعاتبه عليها ربه قائلاً:

﴿ياأيّها النبيُّ لِمَ تحرِّمُ ما أَحَلَّ الله لكَ تبتَغي مرضاتَ أزواجِكَ﴾ ١ - التحريم.

وروايات الأحاديث تقول إن الرسول هجر كل أزواجه لمدة شهر، وهذا غير صحيح لسبب واحد، هو أن قانون الله في القرآن لايسمح أبداً بالعقوبات الجماعية بحيث يتم معاقبة المذنب مع البريء، لكن الذي يسمح بذلك هو قانون السلطان في الوحي الثاني.
فالله تعالى يقول في الوحي الأول: ﴿ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى﴾. أي أنَّ الإنسان لايتحمل مسؤولية أخطاء غيره، فكل النساء اللاتي لم يخطئن ولم يشتركن في هذه المؤامرة النسائية لايجوز معاقبتهن في دين الإسلام، لأن العقوبات الجماعية دائماً تأتي بنتائج عكسية تربوياً. لذلك كل الروايات التي تقول إن الرسول هجر كل نسائه غير صحيحة، لأن الرسول لايمكن أن يناقض كتاب الله.

ونحن لاحظنا معاً في الآية التي بين أيدينا الآن، أن الله تعالى ينصح بالهجر في المضاجع مع التلميح والتهديد بالطلاق ضمناً، كمرحلة متقدمة لعلاج الموقف، حتى تعلم الزوجة بعدم رضى الزوج عن تصرفاتها فإن عادت كما عادت نساء النبي بعد الهجر والتهديد بالطلاق كان بها وإلا لجأ الرجل بعدها إلى الأسلوب الآخر والأعلى

درجة من وسائل الإقناع، فيلجأ الرجل إلى ضرب زوجته لغاية الإصلاح ولمرة واحدة وليس كل يوم، لإعادتها للطريق السليم بشرط أن لايكون على أماكن من جسمها يمكن أن تودي إلى ضرر دائم، أو أن يكون مبرّحاً قد يؤذيها في بدنها، والله سبحانه وتعالى يقول بعد تلك المرحلة:

﴿فإن أطعنَكُم فلا تبغوا عَليهِنَّ سبيلا﴾ ٣٤ ـ النساء

أي إذا رجعت المرأة وأطاعت وخضعت لرأي زوجها واقتنعت بحكمته وقيادته كان بها، فيعود الرجل أيضاً إلى سابق عهده بحسن المعاملة والحب والحنان والرحمة لزوجته التي هي أقرب الناس إليه.

وإن لم تصلح الأمور حتى بعد الضرب؟ ماذا يقترح الله علينا أن نفعل؟

﴿وإن خِفتُم شِقاقَ بينهما فابعثُوا حَكَماً من أهلِهِ وحكماً من أهلها إن يُريدا أصلاحاً يوفق الله بينَهما﴾ ٣٥ ـ النساء.

طبعاً عندما تصل الأمور في الأسرة الجديدة بين الزوج وزوجته هذه المرحلة يكون الأهل من الطرفين قد علموا خطورة الموقف مع وجود واستحكام الخلاف بينهما فيتدخل حكم من كلا العائلتين، غايتُهما إصلاح الموقف المتأزم، وإزالة أسباب الخلاف إن أمكن، وإذا لم يتمكن الحكمان من ذلك كله يدخل الموضوع كله إلى مرحلة جديدة، وهي الطلاق، يعالجها الله أيضاً في آيات الطلاق التي سوف أتكلم عنها في حقوق المرأة في الطلاق الإسلامي.

والآن ماذا نجد في مقابل ذلك في دين السلطان؟

إن من يقرأ بتمعن صحيح البخاري أو صحيح مسلم يشعر بضيق وحرج وكأن المسلمين قد فقدوا كتابهم الأساسي ورسالة الله للعالمين الذي هو نص القرآن الكريم لأنه يتوه بين هذه الروايات المتناقضة في الصحيحين.

الحديث رقم (٥٠٨٠) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله قال: تزوجت فقال لي رسول الله ﷺ «ماتزوجت؟»، فقلت تزوجت ثيباً (أي ليست بكراً وإنما مطلقة أو أرملة). فقال: «مالك وللعذارى ولعابها» فذكرت ذلك لعمر بن دينار فقال عمر: سمعت جابر يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك».

هذا الحديث الذي تجدونه أكثر من عشرين مرة متكرراً في صحيح مسلم كان من

أحب الأحاديث إلى نفس السلطان وجنوده الذين كانوا يفضلون العذارى دائماً.

وهل يعقل أن يقول الرسول هذا الكلام لرجل قد تزوج وانتهى وكأنه يشجعه على الطلاق؟ بينما سمعنا قبل قليل في الآيات التي سمعناها من الله مباشرة. ماذا قال رب العالمين:

﴿عسى ربُّه إن طَلَّقكُنَّ أن يُبدلَهُ أزواجاً خيراً منكنَّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيِّباتٍ وأبكاراً﴾

لاحظوا فقد ركز الله على وجود (ثيبات وأبكاراً) لأن الله لايميز في الإسلام وكذلك رسوله بين الثيبات والأبكار، لكن السلطان وجنوده كانوا يميزون ولايريدون إلا الأبكار والعذارى. وهذا هو سبب التفاضل الموجود في دين السلطان. لجعل تفضيل العذارى سُنَّةً مأخوذة عن الرسول لخليفة الرسول!؟ ونحن المسلمين نعتبر هذه الروايات وحياًمن السماء، فإذا كانت كذلك لماذا تتناقض مع آيات القرآن؟

وهكذا تجدون أبواباً في صحيح البخاري ومسلم هذه المواضيع هي من أحبّ الأبواب للسلطان:

رقم الباب ٤ ـ باب كثرة النساء من صحيح البخاري.

رقم الباب ١١ ـ باب تزويج (الصغيرات) من الكبار.

والسنة أن الرسول تزوج من عائشة وعمرها ست سنوات وبني بها وعمرها تسعة ولا نعلم من كثرة كذب الرواة إن كانت هذه الرواية صحيحة أصلاً وقد تكون تهمة أخرى من تهم المغرضين الحاقدين الذين خرَّبوا علينا ديننا ولازلنا نصدقهم.

رقم الباب ٩ ـ باب نكاح الأبكار.

رقم الباب ١٣ ـ باب اتخاذ السراري.

رقم الباب ١٨ ـ باب مايتقى من شؤم المرأة.

رقم الباب ٤١ ـ باب السلطان ولي (أي من حقه أن يزوج من يشاء من النساء دون سؤالهن).

رقم الباب ٤٠ ـ باب تزويج الأب ابنته من الإمام (السلطان) دون سؤال رأيها.

رقم الباب ٤١ ـ باب من طاف على نسائه في غسل واحد.

وفي صحيح مسلم الأبواب التالية:

باب نكاح المتعة.

وفي صحيح مسلم لنقرأ الحديث التالي:

الحديث رقم (١٤٥٣) من صحيح مسلم (لاحظوا من هم الرواة لهذا الحديث النبوي الشريف؟!)

حدثنا إسحق بن إبراهيم ومحمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا ابن جُرَيْجْ أخبرنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أخبره أن عائشة أخبرته (فمن من كل هؤلاء الذي يكذب على الله والرسول؟)

«إن سهله بنت سهيل بن عمر جاءت النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إنه سالماً (سالم مولى أبي حذيفة) معنا في بيتنا. وقد بلغ مايبلغ الرجال وعلم مايعلم الرجال. قال (الرسول ﷺ): «أرضعيه تحرمي عليه» فهل هذا معقول يا أصحاب العقول؟ كلما أراد زوجٌ أن تكشف زوجته على رجل من أصدقائه قال لزوجته أدخلي هذا الرجل إلى غرفتك وأرضعيه ثلاث رضعات مشبعات حتى يدخل عليك الرجل من غير حرج أو إحراج!

فهل هذا دين سماوي أتى بن محمد بن عبد الله من عند الله وبشَّرَ به للعالمين؟

أم هو دين من الشيطان الرجيم؟.

ولهذا الحديث الشريف ستّ روايات مختلفة في صحيح مسلم، حتى يصبح بهذا صحيحاً متواتراً لامجال لرده في إسلام السلطان. ونحن من سذاجتنا نظن أن أيدي الحاقدين من المنافقين كانت بعيدة عن التحريف لديننا كما يشاؤون ويرغبون.

الحديث رقم (١٤٥٣) مسلسل (٢٦) من صحيح مسلم: أيضاً عن عائشة:

جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حَليفُهُ) فقال النبي ﷺ: «أرضعيه» قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «قد علمت أنه رجل كبير»، زاد عمر في حديثه، وكان قد شهد بدراً وفي رواية ابن أبي عمر (فضحك رسول الله).

وهل في هذه القصة مايضحك؟

فهل تحب أن يكون هذا هو دينك؟ وهذه سنة نبيك؟ حتى تستطيع أن تستقبل صديقك في بيتك من غير حرج حتى تكشف زوجتك وجهها أمامه هل تنصحها بأن تتبع هذه

السُنَّة النبوية الشريفة؟؟

هل هذا هو دين القرآن الكريم؟

وهل هذا حديث مقدَّس وهو وحي من الله مثل آيات القرآن الكريم؟

في صحيح مسلم شَرْحٌ للإمام النووي، اسمعوا ماذا كتب النووي في شرح هذا الحديث الشريف في الحاشية:

قال القاضي:لعلها حلبته ثم شربه من غير أن يمس ثديها، ولا التقت بشرتاهما وهذا الذي قاله القاضي حَسَنٌ، ويحتمل أنه عُفِيَ عن مَسِّهِ للحاجة، كما خص بالرضاعة مع البكر.

ألا تلاحظون أن كل علماء السنة لايستطيعون أن يطعنوا أو يُكذبوا حديثاً ورد في صحيح مسلم أو البخاري؟لأنه إذا ثبت عدم صحة حديث واحد وطُعن فيه؛ طُعِنَ بالباقي وأصبح مشكوكاً فيه بالكامل، وأصبح بالتالي علمهم كله (لاعلم) بل مجرد ظن وظنون. وهل من أجل الإبقاء على لقب العلماء لهم يجب أن نقبل بما لايقبله العقل والمنطق والدين والله والرسول ونقدسه من أجلهم ورائحة الدس والكذب والافتراء تزكم الأنوف؟

الحديث رقم (٢٢٢٥) من صحيح مسلم: عن مالك بن أنس عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

«الشؤم في الدار والمرأة والفرس»

هل هذا وحي من الله؟ وإذا كان صحيحاً لماذا لم يخبرنا بأي شؤم أصلاً في القرآن الكريم؟

إن الشؤم لاوجود له إلا في عقولنا المشؤومة المتفسخة بهذه الأباطيل.

الحديث رقم (١٤٠٣) من صحيح مسلم: عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال:

«إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فإن ذلك يَرُدُّ مافي نفسه».

إن هذه الأحاديث إهانة في حق المرأة وشرف مَكانتها كإنسان توازي قيمته قيمة الرجل في المجتمع، وإهانة في حقها كنفس بشريةٌ لها نفس الامتيازات، وهي إهانة للرسول

ﷺ وإهانة لأهله ولزوجاته، وإهانة لكل المسلمين في الأرض.

والحديث أمامنا، فمن أين علم جابر بما فعل الرسول بعد أن دخل داره؟ أم كان جابر شاهداً لما فعله الرسول مع زوجته في داخل بيت الرسول ﷺ؟

ومن كثرة هذه الأحاديث في دين السلطان صار المسلم العادي لايفكر إذا اجتمع بالمرأة في معمل أو متجر أو مكان عمل إلا بفرجها وأعضائها الأنثوية ولايرى فيها إلا جهازاً لإشباع جوع غرائزه، فلا يمكن أن يفكر فيها كإنسانة لها عقل وأحاسيس وثقافة وعلم وأدب ومنطق يمكن أن تكون رفيقاً وأنيساً وجليساً.

فهل يعقل على أمة الإسلام أن تكون سنتهم في الوحي الذي نزل إليهم من ربهم في كتاب الحكمة الذي هو الحديث (كلما رأى أحدهم امرأة جميلة في الشارع، أو في المخزن أو في المتجر أو في المعمل يركض إلى بيته ليواقع زوجته فوراً ولو كانت تمعس منيئة ويعود إلى حيث كان؟

أفلا يرى الرجل المسلم في المرأة إلا هذه الرؤية؟ هل هذا معقول أو مقبول؟

الحديث رقم (١٤٠٤) تحت باب نكاح المتعة في صحيح مسلم: سمعت عبد الله؟؟؟؟ يقول كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا نساء فقلنا للرسول ﷺ ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله؟

﴿ياأيّها الذينَ آمنوا لاتُحرِّموا طيباتِ ماأحلَّ الله لكُم ولاتعتدوا إنَّ الله لايحبُّ المعتدين﴾ ٨٧ ـ المائدة.

إن غزوات الرسول ﷺ كلها لم تكن حروباً بمعنى الحرب الطويلة الأمد، وإن طالت كانت لعدة أسابيع في أشد الحالات، فهل يقبل المنطق البشري الذي خلقه الله لنا أن رجالاً يذهبون للرسول ﷺ ويطلبون وهم صادقون بأن يختصوا ليفقدوا رجولتهم للأبد لمجرد أنهم بعدوا عن نسائهم عدة أسابيع؟؟

وهل يعقل أن يسمح لهم الرسول ﷺ بالزنى المقنع الذي هو من أكبر الكبائر في دين الإسلام الذي هو القرآن؟ ثم يستشهد عبد الله هذا الذي لانعرف له كنية في صحيح مسلم ولا صحيح البخاري بآية قرآنية نزلت في موضوع المأكولات أصلاً وهو يدسّ على الإسلام تحت رداء التقوى والصلاح؟

وأين دور المرأة ووجودها وأحساسها في كل هذه الأحاديث إنه بكل بساطة لاوجود

له، لأن دين السلطان تماماً مثل دين التوراة المحرَّفة لايقيم أي دور للمرأة ولا لوجودها.

أينما التفتنا في صحيح مسلم وجدنا قصة جابر مع الرسول، وفي الرواية ٥٨ من الحديث رقم (٧١٥) نجد الرسول ﷺ يقول لجابر:

«فهلا تزوجت بكراً تضاحكك وتضاحكها، وتلاعبك وتلاعبها؟»

وكانت أمنيةً للسلطان حققها له الذي وضع هذا الحديث الشريف ليكون سُنَّةً غالية عليه، هو على استعداد دائم للاقتداء بهذه السنة ويقدسها طول العمر.

وحتى لاتكون للمرأة أي دور في حياة الرجل إلا وظيفة المتعة والاستمتاع جعل جنود السلطان قيمتها بقيمة الكلب والحمار وجعلوا السُّنَّة أن يكلمها المسلم وكأنه يكلم أي شيء حقير وتافه لاقيمة له:

الحديث رقم (٢٩٩) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد (لاحظ الرسول ﷺ لايزال في المسجد مع الناس) فقال «ياعائشة: ناوليني الثوب» فقالت: إني حائض.فقال: «إن حيضتك ليست في يدك» فناولته.

ماذا تعلم المسلم من هذه السنة الشريفة؟

تعلم أن حيضة عائشة ليست في يدها بل في مكان آخر.

لاحظوا باسم التقوى وبحجة تعليم الإسلام للمسلمين وبحجة (لاحياء في الدين) مع أن الحياء من الإيمان، يدس علينا المنافقون من الذين تظاهروا بالإسلام هذه الأحاديث وهم يقولون قال رسول الله، ونحن نردد وراءهم مثل الأغنام المنوَّمة (صدق رسول الله ﷺ) ونهز برؤوسنا، مثل هذه الأحاديث التي لاصدق فيها ولا هدف إلا السخرية بنا وبديننا أجمعين.

وهي سنة جديدة، إذ كيف يكلم المسلم زوجته مقتدياً برسوله أمام الناس وقد قال الله سبحانه من رسوله في القرآن الكريم:

﴿ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفَضُّوا من حولك﴾ ١٥٩ - آل عمران

وكيف تجدون موقف رجل يقف في المسجد أمام الناس وينادي على زوجته باسمها ويقول ناوليني الثوب يافلانة، فتقول له لاأستطيع لأني حائض، فيعلَمُ كل الموجودين في المسجد أن زوجته قد أتاها الحيض؟ هل يعقل منطقاً لزوجة رسول الله التي تقيم وتعيش معه وتسأله بحرية عن أمور دينها التي يمكن أن تتعلمها في شهر ولاتعلم بعد ماهو

المنوع والمسموح للحائض مما سمعت من آيات القرآن بأنه لم يحرم عليها أحد أن تلمس أو تطبخ أو تعمل أي شيء في بيتها إذا كانت حائضاً؟أم كان هذا بياناً عملياً للرسول وزوجته عائشة بشكل تمثيلية قصيرة من أجل تعليم الناس في المسجد؟

الحديث رقم (٢٣٠) من صحيح البخاري: عن سليمان بن يسار قال: سألت عائشة عن النبي يصيب الثوب (ماذا يفعل سليمان فهو في مشكلة عويصة يريد حلها، ولم يجد في كل صحابة الرسول من يستطيع أن يجيبه على هذا السؤال الهام: إلا عائشة أم المؤمنين التي يعلم كل المسلمين من الأحاديث بأنه توفي عنها الرسول وعمرها ثمانية عشر عاماً).

فقالت: «كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ فيخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء» وحصل سليمان على علم لم يكن ليحصل عليه إلا بسؤال عائشة رضي الله عنها.

(الحديث كله أدب وإحسان لزوجة الرسول ومقصود).

الحديث رقم (٢٥١) من صحيح البخاري: عن أبي بكر بن حفص قال: سمعت أبا سلمة يقول: دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ، فدعت بإناء نحو من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب.

تصوروا شقيق عائشة رضي الله عنها يحضر معه شخصاً غريباً إلى غرفة أخته عائشة فيسألها كيف كان الرسول يفعل عندما يغتسل؟

فتريد عائشة أن تبين لهم التكنيك المعقد للغسل، فتأتي بقدر صاع من الماء لتقوم ببيان عملي أمامهما، وسكبت على رأسها الماء وهي تغتسل أمامهما عارية من ثيابها ولكنها من وراء حجاب وذلك حتى يتخيل القارىء للحديث ويتخيل مايشاء من عائشة!

هل هذا مباح أن نفعله في أعراض الرسول ﷺ وفي نسائه اللواتي أنزل فيهن رب العالمين آيات الحجاب حتى يحجبهن عن كل المؤمنين فنأتي نحن باسم التقوى وتعليم الدين فنكشف أعراض الرسول على الناس وتحت اسم أحاديث نبوية وشريفة أيضاً؟ وأنها وحي من السماء، هذا منتهى التلفيق على الله ورسوله.

وتحت باب غسل الرجل مع امرأته:

الحديث رقم (٢٥٠) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت (ولمن: لعروة بن الزبير): كنت أغتسل وأنا والنبي ﷺ في إناء واحد من قدح يقال له الفرق.

وهذا الحديث له الروايات التالية في صحيح البخاري (٢٥٠ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٧٣ - ٢٩٩ - ٥٩٥٦ - ٧٣٣٩) لأهميته الكبيرة في الدين الإسلامي، ولنعلم اسم القدح الذي كان الرسول الكريم يغتسل فيه هو وعائشة.

الحديث رقم (٣٥٠) من صحيح مسلم، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل. (أي يتوقف قبل أن يمني الرجل) هل عليها الغسل وعائشة جالسة (لاحظ الراوي يحب أن يؤكد جلوس عائشة وسماعها من الرجل مباشرة وأمامها).

فقال رسول الله ﷺ: «إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل» لاحظوا أن السؤال من رجل نسي الآداب العامة وحسن السلوك، ومنها انتقاء الوقت المناسب للسؤال، فيتجاهل كل ذلك ويسأل هذا السؤال وعائشة رضي الله عنها جالسة في المجلس، وكيف يتصرف الرسول ﷺ على قلة أدب وذوق الرجل الذي لم يراع لحرمة الرسول وعرضه وشرفه أي اعتبار. فيجعل الراوي الرسول ﷺ يجيب قائلاً: «إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل» لاحظوا تركيز الراوي على عدم ذكر الاسم والاكتفاء بالاشارة (أنا وهذه). إشارة إلى تفاهة النساء في دين السلطان.

إن المغرضين والحساد والحاقدين الذين كرهوا الإسلام والمسلمين فدخلوا الإسلام اسماً ونفاقاً بغرض الإساءة والتخريب فوجد فيهم السلطان خير مساعد ومعين على تحقيق ماتصبو إليه نفسه من شهوات ورغبات لجؤوا إلى قلب الأمور وتشويه صورة الرسول الكريم الحقيقية، وصورة تعامله مع نسائه مدخلين للإسلام ماليس منه حتى يجعلوا منه ومن أعماله سنة يقتدي بها سلطانهم لتحقيق أمانيه، فصوروه بصورة الإنسان المتجبر الظالم الجلف في المعاملة، والقاسي بالكلام، ولم ينسوا أن يشوهوا صورة الرسول شخصياً حتى صوروه وكأنه رجل لاهمّ له في الليل والنهار إلا فروج النساء. وقد يظن القارىء أنني أحاول أن أبالغ بالكلام من عندي دون سند أو دليل على هذا الكلام.

وبما أن جنود السلطان كان همهم تحقيق ماكتب أهل الكتاب عن ملوك بني إسرائيل ومنهم النبي سليمان الذي ورد عنه في التوراة بأنه كان يحتفظ بألف من النساء سبعمائة من الزوجات السيدات وثلاثمائة مما ملكت أيمانه في كتاب التوراة، فنجد مقابل ذلك

الحديث رقم (٦٦٣٩) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

هذا مايرويه الراوي على لسان الرسول ﷺ كذباً وتحريفاً من التوراة المحرفة ليعود نفس الراوي أو مثيله ويضع الحديث التالي عن الرسول نفسه هذه المرة وليس عن سليمان:

الحديث رقم (٢٦٨) من صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن أحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين (رجلاً).

وهكذا جعل الراوي رسولَهُ أقوى من رسول بني إسرائيل سليمان. وقد يستغرب القارىء ويقول في نفسه لماذا يذكر الكاتب هذه الأحاديث في بحث المرأة في الإسلام؟

إن هذه الأحاديث التي يعتبرها كل المسلمين من الأحاديث النبوية الشريفة تكون له في اللاشعور هي القدوة الصالحة في الدين والدنيا وفي نظرته للمرأة فماذا تكون المحصلة؟

النظر للمرأة على أنها شيء للمتعة وإنجاب الأولاد، شيء مكمّل لحياة الرجل الذي هو الأصل والأساس في الكونِ فلم يرفع الرجل مستوى نظرته للمرأة على أنها إنسان ونفس بشرية مساوية له تماماً في كتاب الله وفي عدله وميزانه، بل ظل يرى فيها أنها شرّ لابد منه، أو قال عنها المرأة شيطان. وإن تزوج بها فخسرت تجارته تشاءم وطلقها ظلماً ولايمكن أن يغير تلك النظرة إلا إذا اقتنع أن كل ماعنده في تلك الأحاديث أكاذيب ملفقة.

وتحت باب (لولا حواء لم تخن امرأة زوجها الدهر) أي أن حواء هي السبب الأساسي في كل الخيانات الزوجية، في الحديث رقم (١٤٧٠) من صحيح مسلم.

وإذا سألنا من أين أتى مصدر العلم لمحمد رسول الله ﷺ ليقول هذا الكلام، علماً أن علم الرسول يبدأ وينتهي بما نزل عليه من الله وحياً بواسطة جبريل عليه السلام جاء من يحاول أن يقنعك بأنه كانت للرسول جلسات خاصة مع جبريل يتلقى منه علماً.وهل كان جبريل إلا رسولاً لرب العالمين؟ وهل يحمل الرسول إلا رسالةً أمر بتبليغها فبلّغها للرسول الأمين؟ هذه هي الحقيقة، ولكن ماذا تريد أن يقول لك جنود السلطان الذين

قرؤوا التوراة فوضعوا الأحاديث كذباً وظلماً على الله وعلى كل المسلمين بأن الرسول قد قال هذا الكلام؟ هل تريدهم بعد أن قبضوا الثمن من السلطان أن يعودوا ليعترفوا لنا عن مصدر علمهم؟

إذا بحثنا في كتب أهل الكتاب الموجودة الآن، سنجد أنها مصدر كل الأحاديث المكذوبة ظلماً على الرسول الأمين: استمعوا لهذا النص من التوراة:

(وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ولاتمساه لئلا تموتا.

فقال الحية للمرأة لن تموتا) (أي أن الله سبحانه يكذب عليكما ـ المؤلف).

بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت (لاحظوا أن حواء هي لوحدها قامت بكل ذلك دون علم زوجها، وهذه خيانة لله ولزوجها ـ المؤلف) وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت (بَرَّأ آدم نفسه بإلقاء الخيانة على حواء ـ المؤلف) فقال الرب الإله للمرأة ماهذا الذي فعلت، فقالت المرأة الحية غرّتني فأكلت. فقال الرب للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. قال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حَبَلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)(*).

هذه القصص التوراتية وأمثالها كانت مصادر جنود السلطان للوحي الثاني الذي نسبوه ظلماً لله وللرسول، وهم يعلمون أن الله سبحانه قد أخبرهم في آيات كثيرة من القرآن

(*) سفر التكوين الإصحاح ٣ ـ الفقرات ١ ـ ١٧.

أن أهل الكتاب حرفوا كل كتبهم، كما حرف المسلمون دين الإسلام بمثل هذه الأقاويل، فقال الله لهم ولنا الآيات التالية:

﴿فويلٌ للّذينَ يَكتبون الكتابَ بأيديَهُم ثم يقولونَ هذا من عندِ الله فويلٌ لهُم ممّا كَتبَت أيدِيَهُم وَوَيلٌ لهُم ممّا يَكْسِبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

وكيف يتفوه الرسول بكلام مصدره التوراة المحرفة وعنده القرآن الكريم، وفيها أَصْلُ كل هذه القصص من غير تحريف؟ كيف يلجأ إلى التخاريف وعنده مصدر ومنبع الحقيقة والحق والهداية والنور مضيئة في آيات القرآن الكريم؟

لكن جنود السلطان الذي اكتشفوا أن نصوص القرآن لاتخدم أهواء سيدهم المطاع ورغباته وشهواته تركوه ولجؤوا إلى نبع جديد يجدون فيه كل مايشاؤون ويرغبون وكان من فضل الله وحده أن القرآن الكريم لازال موجوداً بين أيدي المسلمين، ولو كان مهجوراً حتى اليوم؛ فلابد أن يأتي فيه اليوم الذي يعود فيه المسلمون إلى ربهم وخالقهم وكتابه الذي يحوي كل سنن الله، ويجب أن يعلم المسلم أنه لاسنة للرسول في دين الإسلام، ومن لايصدق عليه بآيات القرآن. لقد تكلم الله في القرآن عن سنن الله فقط ولم يشر عن أي سنة للرسول، وما على الرسول إلا البلاغ لرسالة ربه فقط.

والآن لنسمع إلى نصٍّ من القرآن الكريم، لنعلم أين الحقائق وأين حصل التحريف في قصة التوارة التي كانت طبعاً قبل التحريف صحيحة، لأنها أيضاً أتت من نفس المصدر السماوي:

﴿ولقد خلقناكُم ثُمَّ صورناكُم ثُمَّ قُلنا للملائكَةِ اسجُدوا لآدم فسَجَدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدينَ * قال مامَنَعَكَ إلا تسجُدَ إذ أمرتُكَ قال أنا خيرٌ منه خَلَقتَني من نارٍ وخلَقتَه من طينٍ * قال فاهبط منها فما يكونُ لك أن تتكبَّرَ فيها فاخرُج إنَّكَ من الصاغرين* قال انظِرني إلى يوم يُبعثون * قال إنك من المُنظَرين * قال فبما أغويتَني لأقعدنَّ لهم صراطَكَ المستقيم * ثم لآتينَّهم من بينِ أيديهم ومن خلفِهِم ومن أيمانِهِم وعن شمائِلِهم ولا تجدُ أكثرَهُم شاكرين * قال أخرُج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعكَ منهم لأملأنَّ جهنَّم منكم أجمعين * ويا آدم اسكن أنتَ وزوجُكَ الجنَّة فكلا من حيثُ شئتُما ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين * فوسوَسَ لهما الشيطانُ ليُبْديَ لهما ماووريَ عنهما من سوءاتِهما وقال مانهاكُما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا

أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهُمها إني لكما من الناصحين* فدلاهما بغرورٍ فلمّا ذاقا الشجرةَ بَدَت لهما سوءاتُهما وطفِقا يَخصفان علَيْهِمَا من ورقِ الجنةِ وناداهُما ربُّهما أَلَم أنْهَكُما عن تلكُما الشَّجرة وأَقُل لكما إن الشيطانَ لكما عدوٌّ مبينٌ * قالا ربَّنا ظلَمنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحَمنا لنكونَنَّ من الخاسرينَ * قال اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ ولكم في الأرضِ مُستقَرٌّ ومتاعٌ إلى حين * قال فيها تَحْيون وفيها تَموتُون ومنهاً تُخْرَجُون * ويابني آدمَ قد أنزلنا عليكم لِباساً يُواري سَوْءَاتِكم وريشاً ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آياتِ الله لعَّلهم يذكرون * يابني آدم لايَفتِنَنَّكم الشيطانُ كما أخرجَ أبويكم من الجنَّةِ ينزع عنهما لباسَهما ليريهما سوءاتهما إنَّه يراكُم هو وقبيلُهُ من حيث لاترونَهم إنَّا جَعَلنا الشياطينَ أولياء للّذينَ لايُؤمنون﴾ ١١ ـ ٢٧ ـ الأعراف.

هذه هي القصة الحقيقية دون أي تحريف، آتية من الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر ومن دون لمس بيد الإنسان المحرفة بدافع أهوائه ورغباته.

وبغض النظر عن التفاصيل في القصتين فإن التحريف الأساسي فيها كما تلاحظون بسهولة، هو في تنصّل آدم عن المسؤولية وتحميله المسؤولية كاملة لحواء في نص التوراة، بينما نجد أن آيات القرآن تحمّلهما المسؤولية بالتساوي تماماً دون تمييز، لأن الخطأ كان مشتركاً أيضاً.

لكن القصة القرآنية مع وضوحها لم تعجب السلطان وجنوده لرغبتهم جميعاًفي تحميل حواء كل المسؤولية، وبالتالي يحرمانها بالمقابل من كل حقوقها ويعاملونها كعبدة مملوكة لارأي لها حتى في نفسها.

(لولا حواء لم تخُن أنثى زوجها الدهر) حديث عن الرسول ﷺ رقم (١٤٧٠) في صحيح مسلم.

(لولا حواء لما أخرج الله آدم وذريته من الجنة).

(حواء خائنة ومن طبعها الخيانة) وهكذا اللوم والاتهام ينصبّ دائماً على رأس حواء، تطاولاً وظلماً وتحريفاً، وإلا فلماذا سماهم الله بالظالمين؟

يجب على المسلم أن لايصدق أن الرسول ﷺ قد قال عكس ماأرسل معه الله من آيات بينات أبداً.

الموضوع الثاني ـ حقوق المرأة في الزواج:

يبني الوحي الأول (القرآن) علاقة الزواج على أساس تكافؤ الحقوق بين المرأة والرجل، والتي تقوم أساساً على التراضي بين الطرفين، كون العلاقة الزوجية علاقة خاصة بين المتعاقدين. لذلك نجد آيات القرآن الكريم مُهْتَمَّةٌ بإبراز هذا الشرط في الزواج، كما بيّن سبحانه وتعالى المحرمات من النساء على الرجال، والمحرمين من الرجال على النساء، حتى لايبني الإنسان هذه العلاقة مع من أرادهم الله في موضع تقدير وتراحم. وربط سبحانه وتعالى موضوع التحريم والتحليل بنفسه كما فعل بأمور أخرى لم يسمح بها لأحد كالغيب والشفاعة والغفران. ويبين رب العالمين للناس كافة أنهم أحرار في التحرك خارج حدود الله والتي تبدأ بالدخول إلى ماحرَّم:

﴿وأحلَّ لكم ماوراء ذلكم أن تبتغُوا بأموالِكُم محصنينَ غيرَ مُسافِحينَ فما استمتعتُم به منهنَّ فأتوهُنَّ أُجورَهُن فَريضةً ولاجُناحَ عليكُم فيما تراضيتُم به بعد الفريضة إنّ الله كان عليماً حكيماً﴾ ٢٤ ـ النساء.

فالآية تخاطب الرجال وحدهم، لأنها جاءت بعد الآية التي تبيّن المحرمات على الرجال من النساء، وهذا هو الزواج الإسلامي، بالتراضي مع دفع المهر حسب أعراف الناس وأحوالهم، وبيَّن سبحانه أن العلاقة الكاملة لايمكن أن تتمّ إلا بهذا العقد للنكاح مع تحقيق شروطه (الإشهار) وإعلانه للناس في مجتمع الزوجين. أما إذا بقي العقد سرياً، فقد دخل في مجال الحرام، وليس في شرع الله زواج سري ولا عقد سري، لأن ذلك يؤثر على حقوق الزوجة والأولاد في المستقبل، كذلك لايجوز بدؤه بالسفاح لدخوله في مجال الزنى مهما كانت الذرائع، إزاء هذا ماذا نجد في (الوحي الثاني)؟

الحديث رقم (٥١١٩) من صحيح البخاري:عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال:

«إيّما رجل وامرأة توافقا فعشرة ماابينهما ثلاث ليال، فإن أحبّا أن يَتَزايَدا أو يتَتاركا تَتاركا».

هل يعقل أن يختبر الرجل زوجته ويجربها بالمعاشرة ثلاث ليال؟ وماذا عن حقوقها في هكذا زواج؟ وماذا إن حملت بعد أن فقدت عذريتها وقرر الرجل تركها؟ وماذا تفعل بجنينها؟ هل هذا دينٌ يراعي تكافؤ الحقوق؟ هل هذا وحي من السماء

وعدالة الله في قرآنه؟

هذا الكلام مقبول فقط من جهة واضعيه، والذين يحاولون إقناع الناس أن الرسول يفعل ويقول الحق وحياً منزّلاً.. إنهم السلطان وجنوده الذين يحاولون وضع دين على مقاسهم وأهوائهم ورغباتهم، متناسين حقوق الزوجة وحقوق النساء في المجتمع.قد يأتي من يقول: إن هذا الحديث منسوخ، أي انتهى أمره، كيف ذلك؟ وعلى فرض صحة ذلك فأين الأصل المنسوخ في القرآن؟

(هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)، انظروا ماذا يقول سبحانه:

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتُم في أنفسِكُم عَلِمَ الله أنّكم ستذكروهن ولكن لاتُواعدوهنَّ سرّاً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغَ الكتابُ أجله واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفورٌ رحيم﴾ ٢٣٦ - البقرة.

الآية القرآنية صريحة، توضح أسلوب التعامل أثناء فترة الخطوبة وصولاً إلى عقد الزواج بالتراضي.

نعود إلى الوحي الثاني المدَّعى لنقرأ ماجاء فيه حول هذا الأمر؛فنجد (باب من قال: لانكاح إلا بولي لقوله تعالى فلا تعضلوهن). وللعلم فكلمة (تعضلوهن) معناها لاتُعَسّروا موضوع رغبتهن في الزواج من أحد. فغيروا المعنى لمصلحة السلطان، كي يتصرف الولي بتزويج ابنته دون أخذ رأيها وموافقتها، وهذا مايحصل حتى الآن في معظم البلاد الإسلامية، مصدّقين ماجاء في الحديث التالي:

الحديث رقم (٥١٣٢) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد قال: «كنا عند النبي جلوساً فجاءته امرأة تعرض نفسها عليه فخفض فيها النظر ورفعه فلم يُرِدها. فقال رجل من أصحابه: زوّجنيها يارسول الله. قال: أعندك شيء؟ قال: ماعندي من شيء. قال: ولا خاتماً من حديد؟ قال: ولا خاتماً، ولكن أشقّ بردي هذه فأعطيها النصف وآخذ النصف. قال: لا. هل معك من القرآن شيء. قال: نعم. قال: اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن».

هل يقبل العقل هذه القصة؟ إن تأتي امرأة مسلمة وتدخل إلى مجلس الرسول وهو مع أصحابه وتهب نفسها له أمام أصحابه؟ لنفرض أن هذا غير المعقول قد حصل فعلاً، فهل يعقل أن يُزوجها الرسول أحداً دون أن يسألها عن موافقتها ورضاها به، وهو

المعروف بأخلاقه وحسن التصرف والأدب مع الناس كبيراً وصغيراً؟

هذه الرواية تجعل الرسول يتصرف مع المرأة وكأنها من الهوام، لا رأي لها في نفسها ولا في اختيار زوجها. وبعد هذه القصة يظهر المستفيد من هذا الوحي الجديد، في الباب (٤١) باب السلطان وليّ، يقول النبي ﷺ:

«زوجناكها بما معك من القرآن» في صحيح البخاري: وهكذا نصّب السلطان نفسه ولياً لكل نساء المسلمين بهذا الحديث المفترى، يزوج من يشاء ممن يشاء حتى نفسه، ومن يمنعه من ذلك؟ وليدعم السلطان حجته وضع الحديث التالي:

الحديث رقم (٥١٢٩) من صحيح البخاري: عن ابن عمر قال: إن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر (ترملت) من أبي حذافة السهمي، وكان من أصحاب النبي ﷺ من أهل بدر توفي بالمدينة، فقال عمر: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه فقلت: إن شِئْتَ أنكحتك حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيني فقال بدا لي أن لاأتزوج يومي هذا، فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة..

هل يعقل أن يعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكلنا يعرف مكانته الكبيرة عند الرسول ﷺ ابنته لعثمان بن عفان الذي كان صهر الرسول في ابنته رقية، وبعد وفاتها رحمها الله بعد معركة بدر زوّجه ابنته الثانية أم كلثوم وعثمان لم يتزوج على ابنتي الرسول خلال حياتهما أبداً.

فهل يعقل أن يعرض عمر بن الخطاب ابنته على عثمان وهو يعلم بكل تلك الحقائق؟ ثم هل يعقل أن يدور رجل من وزن عمر على أصحابه واحداً واحداً وهو يعرض ابنته عليهم وكأنه يعرض دجاجة للبيع؟ وأين رأي حفصة في هذه القصة؟

أم أن حفصة وأمثالها لا رأي لهن ولا في أنفسهن في دين الرحمن؟ أين الرِّضَى والتَّراضي بالمعروف الذي يشترطه الله في الآيات القرآنية؟

إن الله سبحانه وتعالى يكشف أمر السلطان وجنوده في الآية التالية مبيّناً سبب تعارض آيات الله مع مايدعيه أولئك:

﴿والله يريدُ أن يتوبَ عليكُم ويريدُ الذينَ يتبعونَ الشهواتِ أن تَميلُوا مَيلاً عظيماً﴾ ٢٧ ـ النساء.

والله سبحانه يقرر للنساء حق الملكية كما هو تماماً للرجال دون أي فوارق:

﴿للرِّجالِ نصيبٌ ممّا اكتسَبوا وللنساء نصيبٌ ممّا اكتسبنَ واسئلُوا الله من فضلِهِ﴾ ٣٢ ـ النساء.

وحتى لايأكل الرجالِ حقوق الناس ومن ضمنهم النساء خاصة لما حصل فيه وعد قال تعالى:

﴿والذينَ عقدت أيمانكُم فآتوهُم نصيبَهُم إنَّ الله كانَ على كلِ شيء شهيدا﴾ ٣٣ ـ النساء.

وللاستزادة حول هضم حقوق المرأة في دين السلطان يمكن العودة إلى صحيح البخاري والباب رقم ٤٥.

والحديث رقم (٥١٣٦) من صحيح البخاري: عن أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «لاتنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا: يارسول الله وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».

فصار السكوت علامة الرضى في دين السلطان من بعد ذلك الحديث وماأكثر وسائل الإسكات! ومتى كان السكوت علامة للرضى في العالم؟

لاحظوا الآية الكريمة التالية تطالب المسلمين الذي يتعرضون لحالة مثل حالة المرأة التي تلاحظ على زوجها إعراضاً عنها وميلاً إلى غيرها من النساء، فيقول سبحانه لابأس في أن يتفاهم الزوجان بالعقل والمنطق لحل هذه المشكلة، والصلح عادة يتم بين طرفين، يتم فيه تنازلات من قبل الطرفين المتصالحين.

أما إذا كان التنازل من طرف واحد فقط، فَتُسمّى في هذه الحالة استسلاماً وليس صلحاً.لنستمع للحديث الذي بناه جنود السلطان عى الآية القرآنية السابقة لتحديد حدود المرأة وحقوقها:

الحديث رقم (٥٢٠٦) من صحيح البخاري: الوارد مباشرة بعد عنوان الباب ٩٦ ـ (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً)

عن عائشة رضي الله عنها:

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) قالت: هي المرأة تكون عند الرجل ولايشكر منها، فيريد طلاقها ويتزوج غيرها، تقول له: أمسكني ولاتطلقني، ثم تزوج غيري، فأنت في حل من النفقة علي، والقسمة لي، فذلك قوله تعالى:

﴿فلا جناحَ عليهما أن يَصَّالحَا بينَهما صُلحاً. والصلحُ خيرٌ) وأين الصلح وأين الخير فيما فرضنا به على المرأة؟ وهذا ليس بصلح وإنما هو: استسلام الضعيف للقوي المتجبر.

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا في دين الإسلام بأن لانصل بالمرأة إلى هذا الحد من المهانة

لمكانتها وكرامتها في الآية:
﴿ولَن تستطيعوا أن تعدِلُوا بينَ النساء ولو حَرِصتُم فلا تَميلُوا كلَّ الميلِ فَتَذروهَا كالمُعلَّقَةِ وأَن تُصلحوا وتتَّقوا فإن الله كانَ غَفُوراً رحيماً﴾ ١٢٩ ـ النساء.

الإسلام الذي كرم المرأة فعلاً لايرضى بأن تهان في بيت زوجها كل يوم، فيفضل لها الطلاق والفراق بعد أن تأخذ حقوقها الشرعية كاملة ولاتخرج دون حقوق وهذا معنى الآية:
﴿وإن يَتَفَرّقا يغنِ الله كلاً من سعتِهِ وكانَ الله واسعِاً حكيماً﴾ ١٣٠ ـ النساء.

على أساس أن الرجل يجب أن يدفع لمطلقته كامل حقوقها، فيعوضه الله بعد ذلك من رزقه الجاري في عمله وتجارته، وهي أيضاً تستر نفسها بما أخذته حتى يجد الله سبحانه مخرجاً لها.

أما أن نفهم الآية بالمقلوب، ونرمي بالمرأة إلى الشارع دون تنفيذ شرائع الإسلام بل شرائع السلطان ظلماً؛ ونقول لها رزقك على الله فليس لك شيء عند الرجل فإنما تكون قد عطلنا شرع الإسلام وعدل الله على الأرض. وهذا ظلم مضاعَف.

ظلمٌ أول من الرجل الذي لم يصن حقوق الزوجية.

وظلمٌ من القائمين على تطبيق شرع الله باسم الإسلام، الذين طبقوا شرع السلطان بدل شرع القرآن. وأَحْوَجُوا المرأة إلى أن تَذلّ نفسها على أن لايرميها إلى الشارع، فهي تقبل بكل الشروط الممكنة وتقول في نص الحديث رقم (٥٢٠٦) من صحيح البخاري: (أمسكني ولاتطلقني، ثم تزوج غيري، فأنت في حل من النفقة عليّ والقسمة لي)، وتبرئُه من أكبر واجبين كانا عليه، وبالمقابل كانا من أهم حقوقها عليه أيضاً. وهما حقها في النفقة وحقها الزوجي الجنسي. ثم نقول على هذا الظلم عدلاً ونشهد عليه آية لله في غير مكانها ونقول: فذلك قوله تعالى:
﴿فلا جناح عليهما أن يصَّالحا بينَهُما صُلحاً، والصُّلحُ خير﴾.

لأن الذي حصل لم يكن صلحاً وإنما كان استسلاماً منها لأنها قبلت فقط بأن يعطيها فرصة الإقامة تحت سقف بيته حتى لاتصبح في الشارع بلا مأوى فهل هناك ظلمٌ أشدّ من ذلك؟ ثم نقول عن هذا الدين أنَّهُ من وحي السماء، ونتبجح بعد ذلك ونقول عنه إنه عادل.
وأين العدل في كل ماسمعتم وقرأتم حتى الآن؟.
﴿فويلٌ لَهُم مما كتَبَت أيديَهُم وويلٌ لهُم مما يكسبونَ﴾ ٧٩ ـ البقرة.

الموضوع الثالث ـ مفهوم تعدد الزوجات في دين الرحمن وفي دين السلطان:

هل سنّ الله سبحانه وتعالى في القرآن سنة الزواج من أربع للمسلمين؟

أم هو إدعاء من جنود السلطان لتحقيق رغبة عزيزة على أنفسهم ونفس ولي نعمتهم وجعلها السُنَّة الخالدة: (خير هذه الأمة أكْثَرهُم نساءً)

لازال المسلمون الذين تَعَوَّدُوا على دين السلطان الذي تعلّموه عن طريق جنوده يعيشون في أوهام وأباطيل وظنون.

وقد يفاجأ المسلم من هذا الكلام ولكن لابد من ذكر الحقيقة التي أقرّها الله سبحانه وتعالى في معجزة الإسلام الكبرى مع تجنب كل أباطيل السلاطين السابقين وأهوائهم وشهواتهم الدنيوية.

لقد كان مجيء الإسلام أصلاً من أجل تصحيح واقع الحال الذي كان موجوداً في عصر الجاهلية، لينقل الناسَ نقلة حضارية بأفكار وعقلية جديدة، مغيراً العقلية القديمة وتصوراتها المفرطة في الوهم والباطل. إلى تصورات أساسها الحق والنور والعلم والعدل الذي هو بكل بساطة الإسلام، وآيات القرآن لم تنزل على الرسول الكريم في يوم واحد بل استمرت بالنزول خلال فترة الرسالة كلها والتي استمرت ثلاث عشرة في مكة، وعشر سنوات في المدينة، وطالما نحن نتكلم الآن عن الزواج يجب أن نعلم ماهي أشكال الزواج التي كانت معروفة في الجاهلية قبل الإسلام:

الحديث رقم (٥١٢٧) من صحيح البخاري: عن عائشة قالت: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولايمسّها أبداً حتى يتبيّن حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. (أي مثل الذي يبحث لبقرته عن ثورٍ من نوع جيد لتحسين النسل) فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون إلى المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولَدْتُ، فهو ابنك يافلان تسمي من تحب باسمه، فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لاتمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، (علامة) فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به (أي يلوط بابنه هذا) وَدُعِيَ إبنه لايمتنع من ذلك (أي لايمنع أباه من أن يلوط به) فلما بُعِثَ محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم).

لكن الذي لم تقله عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث أن تعدد الزوجات كان معروفاً في الجاهلية وكان يتبع ظروف وإمكانيات الزوج المادية، وفي عصر الرسول وخلال نزول آيات القرآن التي كانت تسن السنن الجديدة للإسلام والمسلمين من أجل التطبيق الفعلي كان كثير من الصحابة متزوجين بالفعل من أكثر من واحدة زواجاً من النوع الذي قالت عنه عائشة (نكاح الناس اليوم)، فلم يطلب الله بأن يطلق الصحابة زوجاتهم واكتفى بعبارة (إلا ماقد سلف)، أي سبق وحصل قبل سن القانون الإسلامي، لما فيه من إجحاف وظلم شديد، لو طلب منهم تطليق زوجاتهم مع وجود أولاد وبنات منهن فعلاً. ولكن السلطان الذي لايعجبه تحديد الزواج كما ورد في القرآن الكريم كما قلنا اتبع سنن أهل الكتاب التي بجهود جنود السلطان صارت أحاديث نبوية شريفة، ومن أقوال الرسول بالذات، ثم برهنوا أن أحاديث الرسول كلها وحي من الله ثم أثبتوا ببراهينهم طبعاً أن هذا الوحي الجديد الذي اخترعوه باسم كتاب الحكمة مستندين إلى آيات في القرآن وهم يَعْلَمون أن المقصود بها نفس آيات القرآن الكريم، ولكنهم قالوا لابل المقصود بها أحاديث الرسول ـ هكذا ـ هوى وتحريفاً من أجل بعض الدنانير الذهبية التي دفعها لهم السلطان مكافأة على هذا الإنجاز العظيم، وهذه هي حقيقة ما حصل بإختصار.

ويستطيع قارىء الكتاب أن يتلمسها في كل جوانب هذا الكتاب وأبحاثه وبراهينه.

إذاًفماذا قال الله في القرآن الكريم وتجنب كل جنود السلطان أن يتطرقوا إليه وإعلانه للناس حتى لايهدموا كل مابنوه من سنن جديدة يحقق بها أمانيه وتطلعاته في جنة يقيمها على الأرض ويَتَسْبَحَ بها فوق بحر من النساء والخمر والملذات والشهوات؟! الله سبحانه لم يتكلم في القرآن الكريم حول هذا الموضوع إلا في سورة واحدة هي سورة

النساء وفي موضعين من تلك السّورة: فإلى آيات الله لنسمع مايقول سبحانه وتعالى فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويستَفتُونَكَ في النساء قُلِ الله يُفْتيكُم فيهِّن ومايُتلى عليكُم في الكتابِ في يتامى النساء اللاتي لاتُؤتونَهُنَّ ماكُتِبَ لهُنّ وترغبونَ أن تَنكحُوهُنّ والمستضعفينَ من الوِلدانِ وأن تقومُوا لليتامى بالقِسطِ وما تَفعلوا من خيرٍ فإنّ الله كانَ بِهِ عليماً﴾ ١٢٧ ـ النساء.

هذه الآية تمهيد وشرح للمشكلة القائمة، وهي وجود أيتام في بيت الرجل المسلم أيام الرسول الكريم من اللاتي استشهد آباؤهن أو أزواجٌ لهن في الغزوات تاركين أيتاماً من المستضعفين من الولدان، وأموال هؤلاء الأيتام متروكة تحت رعاية هذا الرجل القريب للشهيد وبحق تلك القرابة يرعى شؤون هؤلاء الأيتام، ومشكلة أكل أموال الأيتام صارت مشكلة اجتماعية يعالجها الإسلام، وقد جعل الله أكل مال اليتيم من الكبائر العشرة، وركز سبحانه في آيات كثيرة على موضوع رعاية أموال الأيتام. مثل:

﴿ولاتَقرَبوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هي أحسن حتى يبلُغَ أشُدَّهُ﴾ ١٥٢ ـ الأنعام.

﴿كلا بل لاتُكرِمونَ اليتيمَ ولاتَحاضّونَ على طعامِ المسكين﴾ ١٧ ـ الفجر.

﴿فإمَّا اليَتيمَ فلا تَقهَر﴾ ٩ ـ الضحى.

﴿ويسئَلونَكَ عن اليتامى قل إصلاحٌ لهُم خيرٌ وإن تخالطُوهُم فإخوانُكُم﴾ ٢٢٠ ـ البقرة.

﴿إنّ الذينَ يَاكُلُونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهِم ناراً﴾ ١٠ ـ النساء.

وهكذا نجد أن موضوع اليتامى من أهم المواضيع التي عالجها القرآن الكريم. في آيات كثيرة. وضمن تلك المشاكل مشكلة خاصة أيضاً باليتامى، وهو ما قدمت من وجود بعض النساء ضمن اليتيمات، والرجل الذي يرعاهن يماطل في أداء حقوقهن ويرغب في أن يَنْكِحَهُنَّ أو أو ينكِح بعضهن، وطبعاً مع هذه اليتيمة لابد من وجود بعض الإخوة الصغار من المستضعفين من الولدان أو بعض الأبناء إذا كان الأيتام أبناء المرأة المترملة. فما هو الحل لهذه المشكلة التي أصبحت عامة في مجتمع الرسول من كثرة وجود الأيتام واليتيمات نتيجة للغزوات؟ الحل نجده في الآيات الأولى من سورة النساء حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ياأيّها الناسُ اتّقُوا ربَّكُم الذي خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلَقَ منها زوجَها وبثَّ مِنهُما رجالاً كثيراً ونساء واتّقوا الله الذي تساؤلُون بهِ والأرحامَ إنّ الله كانَ عليكم رقيباً﴾ ١ ـ النساء.

بعد هذه الآية يبدأ الله سبحانه مباشرة بموضوع أحدى الكبائر العشرة التي وردت في مواضيع الصراط المستقيم وهي الكبيرة السادسة التي وردت في الآيات (١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢) من سورة الأنعام. بعبارة:

﴿ولاتقربُوا مالَ اليَتيمِ إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلُغَ أشدَّهُ﴾

فقال سبحانه في الآية الثانية من سورة النساء:

﴿وآتوا اليتامى أموالَهُم ولاتتبدّلوا الخبيثَ بالطيّبِ ولاتَأكُلوا أموالَهُم إلى أموالِكُم إنَّه كان حَوباً كبيراً﴾ ٢ ـ النساء.

ثم يتابع سبحانه في شرح موضوع اليتامى ويقول في الآية الثالثة:

﴿وإن خِفتُم ألا تُقسطوا في اليتامى فانْكِحُوا ماطابَ لكُم من النساء مثنى وثلاثَ ورباعَ فإن خِفتُم ألا تعدِلوا فواحدة أو مامَلَكَت أيمانُكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ ٣ ـ النساء.

وهذه هي فتوى الله سبحانه للآية ١٢٧ السابقة وحتى نفهم هذه الآية يجب أن نسترجع الموقف والظروف التي نزلت فيها الآية الكريمة. لتكون قانوناً للظروف المماثلة في الإسلام بشكل دائم.

كثير من الصحابة من مهاجرين وأنصار قُتِلوا في غزوات الرسول التي بلغت تسع عشرة غزوة، تاركين من وراءهم زوجات وأيتاماً دون راع لهم، وترك هذا الموضوع الذي استجد على أمور المسلمين دون معالجة سليمة سوف يترتب عليه نتائج سيئة على أوضاع المسلمين كلهم اجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً.

فهناك زوجات صغيرات في السن ترمّلن وهن بحاجة إلى زوج. وهناك أيتام بحاجة إلى أب وراعٍ جديد لأمورهم يحل محل أبيهم بالإحسان والتقوى وليس بالظلم والتسلط. هناك أموال تركت لهؤلاء الأيتام أيضاً تحتاج إلى رعاية وعناية لأن هذه الأموال لم تكن أموالاً سائلة توضع في البنوك بل أغناماً أو إبلاً ترعى في البراري تحتاج إلى من يدير شؤونها ويتتبع أخبارها وإلا ضاعت الحقوق.

وكمعالجة مبدئية قام بها بعض الصحابة كمبادرات شخصية بأن ضموا هذه الأموال

إلى أموالهم والتفتوا إلى رعاية شؤون الأيتام تبرعاً ومساعدة لأصحابهم الذين قتلوا في المعارك، لكنها لم تكن كافية لمعالجة كل ظروف المشكلة، وكما شرحت فالمشكلة أكبر من ذلك، فأنزل الله سبحانه الحلّ السَّليم لها.

وقبل قراءة النص لابد أن نتعرف على معاني المفردات الواردة في هذه الآيات:

القسط: هو النصيب بالعدل (ليجزيَ الذين آمنوا وعَملوا الصالحاتِ بالقسطِ) أي ليصلهم نصيبهم بالعدل بعد التوزيع لهذا النصيب.

(وأقيموا الوزن بالقِسط): لأن الذي يزن بالميزان يوزع نصيباً، والتوزيع يكون بين البائع والشاري، فإذا وزن البائع أقل من كيلو غرام من السكر لزبون، معناه قد قلّل من حصة الشاري بنفس المقدار الذي احتفظ به لنفسه كبائع، وهو يعلم أنه ليس من نصيبه، بل كان في الأصل من نصيب الشاري الذي دفع ثمن كيلو غرام كامل من السكر. بينما استلم نصيبه أقل من المفروض، لأن البائع لم يقسط في الميزان. ومن هنا يجب أن نفهم نظرة الإسلام لهذه الفئة الجديدة المؤلفة من الأيتام الصغار والأرامل مع إمكانية وجود فتيات كبيرات في سن الزواج بين الأيتام، لهم حقوق على الإسلام والمسلمين ومنها أن يصلهم نصيبهم من الرعاية لأنفسهم ولأموالهم. وبما أن الإسلام دين واقعي وعملي لايمن أن ينكر وجود بعض الرجال من أولياء اليتامى من الذين يرغبون الزواج بيتامى النساء رغبة بالاحتفاظ بنصيبهم من المال عندهم فيقول الله سبحانه للمسلمين كلهم شارحاً الموقف الجديد:

(وإن خِفتُم ألا تُقسِطوا في اليتامى) أي إذا خفتم ألا يصلهم حقّهم من الرعاية والعناية الكافية نتيجة الحقيقة التي استجدت بمقتل أو موت أبيهم.

(فانكحوا ماطابَ لكُم من النساء مثنى وثلاث ورباع)

لاحظ أن الله سبحانه دقيق جداً في التعبير القرآني:

ابتدأ بمثنى وانتهى برباع، ولم يذكر الأولى، فما هو السبب؟ لأن الصحابي المفروض عليه أن يعالج مشكلة زميله الذي استشهد هو أيضاً متزوج قبل ذلك وعنده الأولى. فلا داعي لذكرها وإنما يذكر الله الثانية والثالثة والرابعة من يتامى النساء، ومن اللواتي عند هذا الصحابي فيقترح الله عليه أن يتزوج منهن ثانية وثالثة ورابعة بحسب قدرته الجسدية والمالية، ضاماً إلى أولاده أولاد زملائه الذين استشهدوا، وصارت أمهم زوجته

الثانية أو أختهم الكبيرة هي التي اختارها لتكون زوجةً.
وقال سبحانه في نهاية الآية نفسها إتماماً للمعنى:
(فإن خفتم ألا تعدِلُوا فواحدة أو ماملكَت أيمانُكُم ذلك أدنى ألا تَعُولُوا﴾
هنا سبحانه يترك الموضوع باختيار المسّلم وتقديره الشخصي، لعلم الله أن الناس ليسوا على قدر واحد في موضوع التحكّم بالذات البشرية فيما يتعلق بالعدل. والعدل المطلوب في هذه الآية ليس العدل بين النساء، وإنما العدل بين الأيتام وبين أولاده الحقيقيين، فإذا كان الرجل لايستطيع أن يعدل في هذا الموضوع وسوف يظلم الأيتام في مقابل أنه سوف يدلل أولاده هنا ينصحه الله في هذه الحالة بألاّ يتورط في هذا الموضوع من أساسه، ويكتفي بالواحدة التي كانت عنده أصلاً كزوجة أو كانت ملك يمينه من الجواري والسبايا اللواتي كن يوزّعن على الجنود المنتصرين في الغزوات من نساء المقتولين من المشركين أو الكفار.
والذي يدل أن الله سبحانه لايقصد النساء في العبارة:
﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾
أن الله سبحانه لاينسى ماقاله ولايسهو أيضاً عما هو موجود في آيات القرآن كلها، لذلك يستحيل أن تجد في القرآن تناقضاً كما تجده في كتب البشر الذين ينسون ويسهون، فيقول سبحانه يصف الذي يأتي من الله لتفريقه عن الذي ليس من عنده من الكتاب
﴿ولو كانَ من عندِ غيرِ الله لوَجَدوا فيهِ اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.
كما نجد ذلك بكثرة في كتب أهل الكتاب المحرفة، ووجدنا منه الكثير في الأحاديث النبوية التي قال عنها جنود السلطان ظلماً إنها أيضاً وحي من الله سبحانه وتعالى.
ولو كان الله سبحانه يقصد النساء في هذه الآية لتناقضت مع آية سابقة في القرآن الكريم وهي إقراره سبحانه بحقيقةٍ لم نكن نعرفها قبل ذلك:
﴿ولن تستطيعوا أن تعدِلوا بينَ النساءِ ولو حَرِصتُم﴾ ١٢٩ ـ النساء.
إذاًطالما يقرّر الله في هذه الآية أنه ليس من طاقة البشر أن يعدلوا بين النساء فليس من المعقول أن يعود فيطالبه ويقول:

﴿وإن خفتم أن لاتعدلوا بين النساء﴾

لأنه في هذه الحالة يكون التناقض الذي يعلمنا الله في آيات كثيرة بأنه غير موجود في القرآن الكريم. إذاً فلا بد أن يكون المقصود في الآية:

﴿وإن خفتم أن لاتعدلوا﴾ هو لغير النساء حتماً وهو المطلوب برهانه، فلا يبقى إلّا اليتامى. وهذا أقرب للمنطق أكثر، لأنَّ موضوع الآيات كله من أجل حل موضوع اليتامى أساساً، ولم يكن الموضوع عن تحليل وتحريم الزواج.

إذاً نعود مرة أخرى ونقول:

إذا خشي الرجل أن لايعدل بين أولاده والأولاد الأيتام الجدد الذين سينضمون إلى أسرته بحكم الزواج من أمهم أو أختهم عليه أن يكتفي بزوجته الأولى.

ويقول سبحانه في نهاية الآية: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾

أدنى بمعنى أقرب.

تعولوا من: عول، والعَوَلُ ترك الإنصاف، وبما أنها مسبوقة بـألا (أن لا) فتكون في موضع تعني النفي، ونفي النفي إقرار في العربية.

فيصبح المعنى (ذلك أقربُ للإنصاف أو العدل ـ أو القِسط)

وهكذا يتبين لنا أن كل مايقوله المسلمون اليوم من أن الله سنّ في القرآن حرية الزواج للرجل ومنحه الحق في أي وقت يشاء بأن يتزوج مثنى وثلاث ورباع.غير صحيح على الإطلاق.

وعلماء الإسلام الذين يستمدون علمهم من الحديث يعتقدون بذلك جرياً لما سنه جنود السلطان إرضاء للسلاطين، لكن الحقيقة إذا توخاها المسلم من القرآن مباشرة وجدها لاتزال ناصعة واضحة كالجوهرة الصافية، لم يمْسَسْها إنس ولا جان.

وهذا الحق محصور بالزواج من يتامى النساء اللاتي يريد المجتمع الإسلامي إنصافهن.

أما في الحالات العادية فحق الزواج بواحدة والاكتفاء بها بدليل أن الله سبحانه يخلق في العالم نسبة الرجال والنساء بالتساوي تقريباً، ولو تزوج قسم كبير من الرجال بأربع نساء لبقي في المقابل قسم كبير آخر من الرجال دون زواج لعدم توفر النساء لهم، ولكان الله قد خلق في هذه الحالة النساء أضعاف الرجال وهذا غير موجود مع الأسف في قوانين الخلق خاصة بما يتعلق بالإنسان.

الموضوع الرابع ـ دين الرحمن يدعو إلى الزواج من الأرامل والمطلقات قبل العذارى والأبكار:

إذا بحثنا في آيات القرآن الكريم نجد أن القرآن لايفرق بين العذراء والثيب في موضوع الزواج، وإذا بحثنا عن التفضيل لوجدنا أن الله سبحانه يدعو إلى الزواج بالثيب من المطلقات والأرامل (الأيامى). وقد قال الله سبحانه موجهاً الكلام إلى نساء الرسول الكريم:

﴿عسى ربُّه إن طَلَقَكُنَّ أن يُبدِلَهُ أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سـائحاتٍ ثيبّاتٍ وأبكاراً﴾ ٥ ـ التحريم.

وقد وضع الله كلمة ثيبات قبل كلمة أبكاراً، ليَضَعها في مجال التفضيل الأول للمسلم، لعلمه سبحانه وتعالى أن فرصة زواج الثيب أقل من العذراء، فيحاول رب العالمين مساعدتها لحل مشكلتها، لأنها ـ أي المطلقة ـ إما تكون قد تعثرت في زواجها الأول فطلقت، وإما مات عنها زوجها فترملت، وكلاهما مشكلة اجتماعية ولابد لها من علاج بالزواج الشريف، حتى لانجبر المطلقات والأرامل وندفعهن للفحشاء والخطأ ونحن ننظر وننتظر دون أن نتدخل لحل مشكلتهن، فالله سبحانه لم يقف مثلنا موقف المتفرج بل شجع على الزواج منهن لحل مشكلتهن في المجتمع، حتى لايصبحن في المستقبل أحد أمراض المجتمع التي تحتاج بالتالي لعلاج ومعالجة للشفاء. وقال سبحانه أيضاً:

﴿وانكحوا الآيامى منكم﴾ ٣٢ ـ النور.

مرغباً ومشجعاً على الزواج بالأرامل من النساء للأسباب نفسها.

وماذا نجد في مقابل هذا في دين السلطان؟ نجد العكس تماماً، وكل ما ورد فيه يناقض ماورد في القرآن الكريم. ولكن كيف؟

لقد ورد في صحيح البخاري تحت (باب نكاح الأبكار) الحديث التالي:

الحديث رقم (٥٠٧٧) من صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يارسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال «في التي لم يرتع منها»».

تَعْني أن رسول الله ﷺ (يفضلها عن غيرها من النساء لأنه لم يتزوج بكراً غيرها.

وفي (باب الثيبات) ورد الباب هكذا:

١٠ ـ باب الثيبات. وقالت أم حبيبه قال النبي ﷺ «لاتعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن». وتحت هذا الباب مباشرة الحديث التالي: وماذا تتوقعون أن يفضل الرسول؟:

الحديث رقم (٥٠٧٩) من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة فتعجلت على بَعيرٍ لي قطوف، فلحقني راكب من خلفي، فنخس بعيري بعنزة كانت معه فانطلق بعيري كأجود ماأنت راء من الإبل، فإذا النبي ﷺ فقال: مايعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال «بكراً أم ثيباً؟» قلت: ثيب قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك» قال: فلما ذهبنا لندخل قال: «امهلوا حتى تدخلوا ليلاً. أي عشاء، لكي تمتشط الشعثة وتَستحدَّ المغيبة».

نقد هذا الحديث:

أولاً من الوجهة الإسلامية:

رسول الله ﷺ إتى مبشراً للناس برسالة من ربه، وماورد في تلك الرسالة أمانة في عنقه يجب أن يبلغها للناس ويدعو الناس لتطبيقها والسير بموجبها، هذه وظيفته كرسول من رب العالمين، فهل يعقل بعد هذا أن تدعو رسالة الرسول التي بين يديه إلى شيء، وهو يدعو لوحده إلى عكس مايدعو إليه ربُّهُ؟ ونترك الجواب على هذا التساءل للقارىء.

ثانياً من الوجهة المنطقية في نقد أسلوب الرواية والكلمات التي وردت فيه:

لننس أن محمد بن عبد الله رسول، ولننس أَنَّهُ يحمل رسالة، ولنتذكر فقط صفاته التي وصفه بها الله رب العالمين في القرآن، من الأمانة واللطافة وحسن المعشر، والابتعاد عن طبع الفظاظة والقول المنفّر للنفس، وجابر بن عبد الله هو من صحابة الرسول من الذين يلتقي بهم على الأقل في كل أسبوع وفي كل يوم مراراً، في المسجد، ومع الناس، وصحابة الرسول يمكن أن نعرف عددهم من غزوة بدر كانوا (٣١٨) من مهاجرين وأنصار، فهم ليسوا بالآلاف.

فهل يعقل أن الرسول لم يسمع بأن جابر قد تزوج؟ وكما نعلم أن الزواج لايتم سراً بل له مراسيم ودعوات؟ أيعقل أن جابر لم يدع الرسول في يوم عرسه مهما كان ذلك العرس متواضعاً؟ فكل الناس كانوا في تلك الأيام فقراء، ولم يكن الفقر عيباً يتعدون عنه أبداً.

الراوي يتذكر تفاصيل القصة، ويتذكر أنه كان بيد الرسول ﷺ عنزة وليست مجرد عصا ولايتذكر اسم الغزوة التي كانوا قافلين منها.

أيعقل أن يسير الرسول وهو قائد المسلمين وحده في الصحراء يلحق براكب له أسبابه في أن يكون وحده مسرعاً بالعودة إلى داره لأنه عريس؟

ولو رغب الرسول أن يسير وحده لما تركه أصحابه، إن لم يأمرهم بأن يتركوه ليسير وحده، وعندنا روايات كثيرة تبين أنه كان يتبعه أصحابه إذا خرج إلى الخلاء ليلاً لقضاء حاجته، ثم الرسول علم بحسب الرواية أن جابر قد تزوج وانتهى، وصارت عنده الآن زوجة فعلم الرسول الكريم أن هذه الزوجة كانت ثيباً عندما تزوجها جابر ولم تكن عذراء. وأي رجل عادي في هذا الموقف مهما كان في نفسه من كلام أو رغبات خفية ويحب العذارى ويفضّلهن على الثيبات ماذا يمكن أن يقول؟ لايمكن إلا أن يبارك للعروس بعروسه التي دخل بها وانتهى، والآن هو في عجلة من أمره للقائها. الراوي يجعل الرسول ﷺ خالياً من حُسْنِ التصرف في هذا الموقف فيقول للرجل مالك وللثيبات، ألم يكن الأفضل لك لو تزوجت بكراً صغيرة تلاعبها وتلاعبك؟ والراوي الخبيث (يحاول أن يطعن بالرسول ﷺ ضمناً بأنه يفضل عائشة على كل نسائه، ويحبها لذلك حباً خاصاً، لأنها كانت بكراً صغيرة عندما تزوجها) وبعد دراستي لأحاديث البخاري ومسلم لم أعد أستبعد أبداً أن كل القصص المؤلفة عن الرسول ﷺ فيما يتعلق بعائشة هي من تأليف جنود السلطان، ليجعلوا له من الرسول قدوة في حب الصغيرات من العذارى كما يشتهي وإلا فهل يعقل أن يجلس الرسول كما تروي روايات البخاري ومسلم في كتابهما بين أصحابه وهو يأكل الثريد واللحم؛ الحديث رقم (٢٤٤٦) من صحيح مسلم، ويقول لهم: هل تعلمون أن فضل عائشة على النساء كفضل هذا الثريد على سائر الطعام؟

ليس رجلاً عادياً يحترم نفسه الذي يقول هذا الكلام عن عرضه وزوجته إن كان يحبها فعلاً، فكيف بأكرم خلق الله وأشرفهم يقول مثل هذا الكلام الشاذ والمنافي لأعراف الناس قديماً وحديثاً! إن الرواية كاذبة لاشك فيها. والراوي لم يُنهِ القصة عند ذلك؛ بل تابع أيضاً بنفس المعاكسة للمنطق والعقل.

رجل يستعجل بدابته ولايصدق متى يصل إلى عروسه التي ابتعد عنها أياماً وأسابيع وهو في حرب، ولايعلم إن كان سيكتب له الشهادة أم السلامة والعودة غانماً إلى بيته وهو الآن عائد من غزوة مع الرسول منتصراً فرحاً وقلبه وأحاسيسه كلها متجهة إلى عروسه التي تنتظره وهي ترجو له السلامة، يصل إلى المدينة ليلاً في المساء، فينصحه الرسول

بسنة جديدة في الإسلام ويقول له: الأفضل أن تنتظر حتى الصباح قبل الدخول إلى بيتك ولماذا؟ ماهو الداعي لأن ينام جابر في البراري مع ناقته حتى الصباح. ونحن نعلم بعدم وجود فنادق في تلك الأيام؟

الراوي يقول: (لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة)

أي حتى تمتشط المرأة وتزيل شعث شعرها وتستحد (أي تحلق بالموس بعض الأماكن التي ترغب النساء بإزالة الشعر عنها من جسدها)، والمغيبة: التي غاب عنها زوجها فهل هذا عذر مقبول؟

إن رائحة الكذب تزكم الأنوف، ولكنها لم تكن تزكم أنف السلطان على مايبدو.

وهذا الحديث سوف يصادفكم أينما اتجهتم في كتاب صحيح البخاري وصحيح مسلم.لأنه كان من أحب الأحاديث على السلطان. بينما كان الشيخان يريدان لفت نظر المسلمين إليه.

ومما قيل في عتاب جابر من الرسول في مختلف الروايات تصوروا تلك الرغبة المكبوتة:

(فأين أنت من العذارى ولعابها؟) الحديث رقم (٧١٥) مسسلسل (٥٥) من صحيح مسلم.

(فهلا بكراً تلاعبها؟) الحديث رقم (٧١٥) مسلسل (٥٤) من صحيح مسلم.

(فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟) الحديث رقم (٧١٥) من مسلسل (٥٦) من صحيح مسلم.

(تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحك) في رواية أبي الربيع الحديث رقم (٧١٥) من مسلسل (٥٦) من صحيح مسلم.

(فهلا تزوجت بكراً تضاحكك وتضاحكها، وتلاعبك وتلاعبها) الحديث رقم (٧١٥) من مسلسل (٥٨) من صحيح مسلم.

هذا وقد وجدت لهذا الحديث الهام بالنسبة للسلطان سبع عشرة رواية مختلفة في صحيح مسلم فقط.

فهل هذا كله وحي من السماء أيضاً كما يدعي جنود السلطان وقيمتها مثل قيمة آيات القرآن الكريم؟

وهل هناك سورة في القرآن اسمها (تفضيل البكر على باقي النساء) كما نجد في

صحيح البخاري ومسلم؟ مثلاً:

(الباب ١٦ - «باب استحباب نكاح البكر»في صحيح مسلم.

وماذا نجد في صحيح البخاري من هذه الأبواب؟ هل نجد باب تزويج الصغار (الصغيرات في السن من الكبار) في القرآن الكريم مايؤيد شهوة السلطان هذه التي حققها له جنوده في دين الحديث؟

حتى يزوجو استناداً لهذه السنة النبوية الشريفةشيخاً في السبعين بطفلة عمرها تسع سنوات لمجرد أنهم يروون ذلك عن الرسول، ولا دليل لنا في صحة كل ادعاءاتهم أبداً إلا أقاويلهم التي تروي لكم بعض النماذج في هذا الكتاب.

فليس في كل رواياتهم مايثبت يقيناً دون ظن ماذا كان عمر عائشة عند زواجها من الرسول؟

تسعاً؟ أو تسعة عشر؟ أو تسعة وعشرين؟ أوتسعة وثلاثين؟ فكل هذه الأرقام محتملة تماماً في نفس فرصة احتمال الرقم ٩ دون أي تفضيل لرقم على رقم، فانظروا أي دين نتبع، والمصيبة أنه لا أحد منا يعلم بعد إن كان على دين الرحمن أم على دين السلطان!

الموضوع الخامس - حقوق الطلاق للمرأة في دين الرحمن وفي دين السلطان:

أَنَّ الطلاق في الإسلام (القرآن الكريم) أنواع بحسب الدوافع والأسباب، وكلها نجدها مشروحة في خمس سور من القرآن الكريم وهي:

- سورة البقرة.
- سورة الطلاق.
- سورة النور.
- سورة الأحزاب.
- سورة التحريم.

فماذا نجد في سورة البقرة عن موضوع الطلاق:

﴿وإن عَزَموا الطَّلاقَ فإنَ الله سميعٌ عليم * والمُطَلّقاتُ يتربّصنَ بأنفسِهِنّ ثلثةَ قروء ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمنَ ماخَلَقَ الله في أرحامِهِنّ إن كنّ يؤمِنّ بالله واليوم الآخرِ وبعولتهنّ أحقُّ بردّهِنّ في ذلكَ إن أرادوا إصلاحاً ولهنّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروف وللرجالِ عليهنّ درجةٌ والله عزيزٌ حكيم﴾ ٢٢٧ - ٢٢٨ - البقرة.

إن الله سبحانه يبين في هذه الآية أن الفترة اللازمة للمطلقة حتى تنتهي من عدتها لتستطيع أن تتزوج مرة أخرى إن أحبت هي (ثلاث حيضات كاملات) حتى تتأكد من موضوع حملها سلباً أو إيجاباً من طليقها. وإذا تبين حملها فلزوجها عليها درجة من الله بأنه يحق له أن يردّها بنيّة الإصلاح وإزالة أسباب الخلاف من أجل الجنين.

ولابد أن نفهم من هذه الآية العبارة القرآنية:

﴿ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ وهذه قاعدة عامة في كل العالم وتُدرَّس في الحقوق العامة، أن كل حقٍّ يقابله واجبٌ، فلهن من الحقوق مثل ماعليهن من الواجبات تجاه الزوج، لأنه أحياناً دون إدراك الزوجة إلا لحقوقها مع عدم استطاعتها لإدراك واجباتها تجاه زوجها لاتستقيم الأمور في الزواج، ويترك الله هذا الموضوع إلى عرف الناس وتقاليدهم ومستوى الثقافة والحضارة والتطور، لأن هذه الأمور تتغير مع تغير الظروف دائماً. وسبب إعطاء الدرجة للرجل ليس أبداً من أجل ظلم المرأة أو التحكم فيها في بيت الطاعة مثلاً، وإنما من أجل الإصلاح وإزالة أسباب الخلاف. وإن لم يستطع الرجل حتى بعد تلك المحاولة الوصول إلى أي تفاهم طبعاً يعود فيطلق من جديد. وفي الآية التي بعدها يبين الله أيضاً أن الطلاق ليس لعبة في يد الرجل يطلق اليوم صباحاً ويرد زوجته مساء فإن الطلاق مرتان فقط.

فإذا طلق للمرة الأولى وأعادها فإما أن يمسك بزوجته بالحسنى وبما تعارف عليه الناس من حسن المعاملة، أو أن يعود فيسرّحها بإحسان، ويبين الله بأنه لايحل للزوج أن يأخذ من حقوق المرأة المطلقة أي شيء، إلا ويؤديه فإذا كان قد أعطاها قبل ذلك قنطاراً من الذهب فقد صار ذلك القنطار من حقها كاملاً لامجال للتساوم عليه، إلا إذا كانت الزوجة هي الراغبة بالطلاق، وهذه الحالة يسميها الفقهاء بالمخالعة، أي ترغب أن تخلع نفسها من تحت زوجها وحكمه لعيب تراه فيه، عندها يمكن أن يفاوضها زوجها ويطلب منها مايريد أن تعيد له مما دفعه لها. وسبب قول الله في الآية أن الطلاق مرتان، لأنه إذا عاد الزوج لسبب من الأسباب وطلق للمرة اللثالثة فلا يحق له أن يعيدها أبداً حتى تتزوج شخصاً آخر ليس كما يفعل بعض الفقهاء اختياراً بما يسمونه بالمحلِّل، إن هذا يدخل في مضمون الآية الكريمة:

(ولا تتّخذوا آيات الله هُزُواً﴾ ٢٣١ - البقرة.

أي أنه لامجال للهزء والسخر في هذا الموضوع الجدّي الذي لامزاح فيه ولا احتيال. ثم

قال سبحانه وتعالى:

﴿تلك حدودُ الله فلا تَعتَدُوها ومن يتعدّ حدودَ الله فأولئكَ هُم الظالمون﴾ ٢٢٩ ـ البقرة.

والآية التي تبين أحكام الله في حال إذا طلق الرجل للمرة الثالثة هي التالية:

﴿فإن طلَّقَها فلا تحلُّ له من بعدِ حتى تنكِحَ زَوجاً غَيرَهُ فإن طلَّقها فلا جُناحَ عليهما أَنْ يتراجَعا إن ظنا أن يُقيما حدودَ الله وتلكَ حدودُ الله يبيّنها لقومٍ يعلمون﴾ ٢٣٠ ـ البقرة.

وبعد ذلك يبين لنا سبحانه المرحلة التالية من الطلاق، وهي فترة قضاء المطلقة لعدتها المفروضة عليها كيف يتصرف الزوج بعدها؟

﴿وإذا طَلقتُم النساء فبلغنَ أجلَهُنّ فأمسكُوهنَّ بمعروفٍ أو سرّحوهُن بمعروفٍ ولا تمسكُوهُن ضراراً لِتعتَدوا ومن يفعل ذلكَ فقد ظلَمَ نفسهُ ولاتتّخذوا آياتِ الله هُزُواً واذكُروا نعمتَ الله عليكم وماأنزلَ عليكُم من الكتابِ والحكمةِ يعِظكُم به واتّقُوا الله واعلموا أنَّ الله بكلِ شيء عليم﴾ ٢٣١ ـ البقرة.

وهذه الآية لاتحتاج لأي شرح إضافي. لأن الآية التالية تشرحها بالقدر الكافي:

﴿وإذا طلّقتُم النساءِ فبلغنَ أجلهُنّ فلا تعضلوهُنّ أن ينكحن أزواجهُنّ إذا تراضَوا بينَهُم بالمعروفِ ذلك يوعظُ بهِ من كانَ يؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ ذلكم أزكى لكُم وأطهَرُ والله يعلَمُ وأنتُم لاتعلمون﴾ ٢٣٢ ـ البقرة.

فلا تعضلونهن أن ينكحن: معناها فلا تعسروا لهن موضوع زواجهن الجديد من غيركم ممن يرغبن فيه، فهذا لم يعد من شأنكم بعد الطلاق.

ثم يبين الله سبحانه في حال وجود أطفال صغار ورضع أن مدة الحضانة والرضاعة للأم سنتين كاملين. وعلى الرجل تحمل نفقة الزوجة وكسوتها مع المولود حتى نهاية ذلك. وفي كل هذه الآيات يضع الله سبحانه وتعالى كلمة هامة لم نستخدمها بفعالية بعد؛ وهي كلمة (بالمعروف) والمعروف كلمة هامة جداً لأنها تجعل القاضي الشرعي حرّ التصرف بحسب أعراف الناس في البلد الذي يعيش فيه ومستوى الدخل العام عندهم، ومستوى المعيشة ومستوى تطور الناس علمياً وحضارياً.

مثلاً: في عهد الرسول ﷺ كانت النساء بشكل عام لايعملن خارج البيت وللفقر العام الذي كان منتشراً بين عامة الناس فلم يكن في استطاعة المرأة أو المجتمع تحمّل نفقات رعاية الأطفال وتربيتهم وتعليمهم، لكن إذا وجد المجتمع القادر على فتح بيت

للمطلقات الراغبات بعدم الزواج مرة أخرى والتفرغ لتربية أطفالهن فليس مايمنع ذلك في شرع القرآن؛ بل إن الله سبحانه يترك هذه الأمور لأعراف الناس، وإذا كانت المرأة غنية ولديها من الإمكانيات ماتستطيع به رعاية أطفالها فلا وجود لأي مانع في الإسلام من إعطاء حق الرعاية للمرأة من أجل تربية وتعليم أطفالها بنفسها، إن كانت لاترغب بالزواج مرة أخرى.

لأن الله سبحانه الذي خلق الإنسان هو نفسه الله الذي خلق كل المخلوقات الأخرى في الطبيعة، وإذا تأملناها لوجدنا أن موضوع تربية النسل من الصغار خلال كل فترة التربية. وحتى البلوغ تتم في رعاية الأمهات فقط، حيث الذكور لايظهرون في الساحة مطلقاً وعندنا مثلاً النمور والأسود والقطط وحيوانات كثيرة غيرها تحتاج لرعاية لفترة طويلة، وكلها تعتمد على الأم لوحدها، فلن يكون عند الله مانعاً إذا توفرت الإمكانيات لدى المرأة أو لدى الدولة لإعطاء هذا الدور للمرأة، وهذا أسلم لنفسية الأطفال من أن يُربّوا بوجود امرأة الأب التي ربما تعقّد أفراد الأسرة كلها من أطفال الجديدة والقديمة، وكثيرة هي المشاكل الأسرية التي يعاني منها المسلمون اليوم بسبب عدم الرجوع لآيات الله في القرآن والاعتماد على مارواه فلان وفلان من الروايات التي لاتسمن ولاتغني من جوع، بل تعقد المشكلة أكثر وتزيد من مشاكل الأسرة والمجتمع والدولة على حد سواء، مع الظلم الشديد الذي يعاني منه الأطفال نتيجة سوء الاختيار في تطبيق دين الحديث بدل دين القرآن الذي أرسله الله ليكون فيه الشفاء لكل أمراض الفرد والمجتمع، النفسية والتربوية على حدّ سواء، الآية بعد ذلك تشرح بأن لاتضّار والدةٌ بولدها: كأن يترك الأب مولوده عندها دون نفقة، فتجبر على إرضاع المولود بلا نفقة يدفعها الزوج المطلق، كما لاتفرض الزوجة على الزوج نفقة لايستطيع دفعها لأن إمكانياته محدودة مثلاً.

الأمور كلها تعود لحسن استخدام العقل والمنطق السليم، والأب إذا كان يريد استئجار مرضع للطفل على نفقته أيضاً لابأس أن يتفاهما على ذلك بالتراضي.

ثم ينهي الله سبحانه الآية أيضاًبـ (إذا سلَّمتم ماآتيتُم بالمعروف) والمعروف هو أن لانتحجر مثلاً على عصر معين كعصر الرسول ونقيس كل الحالات عليه. هذا ظلم لأشدَّ منه، فظروف حياة ومعيشة الصحابة أيام الرسول ﷺ انتهت ونحن الآن في نهاية القرن العشرين إمكانيات العالم العلمية والحضارية تبدلت وماكان يعتبر في عصر

ما كماليّاً دخل في عصرنا إلى مجال الضروريات، فكل المقاييس يجب أن تتبدل باستمرار مع أعراف الناس والقاضي يجب ان يكون على مستوى العلم الملائم للزمان والمكان، لا أن يأتينا بعلم من العصور الحجرية ليطبقه اليوم في العصر الحديث، وأنا لاأقول هذا من باب المبالغة وإنما أقول حقيقة. (هناك قصة ذكرتها في كتابي الأول وأحب أن أذكرها هنا أيضاً لأنها من القصص التي أثرت علي في حياتي رغم أني لم أكن طرفاً في القصة بل شاهداً لها، وكنت في مرحلة المراهقة، وقتها هربت زوجة من ظلم وبخل زوجها إلى بيت أهلها فحكم القاضي الشرعي للزوج بإعادة الزوجة الناشزة إلى بيت الطاعة فحضرت الشرطة وبيدها الحكم، فأخذت الزوجة وكأنها مجرمة وقاتلة تجرُّ إلى ساحة الإعدام، أخذت إلى بيت الطاعة وقرأتُ في الورقة التي كان يحملها الشرطي شروط بيت الطاعة بحسب منطق القاضي الشرعي. هذه القصة وأمثالها مازالت تحدث في القرن العشرين. والزوج المحترم إمكانياته المالية كانت جيدة، والمسكن الشرعي كان عبارة عن غرفة واحدة مقسومة من الداخل بشراشف إلى قسمين (قسم للمنامة والقسم الآخر للطبخ والحمام وقضاء الحاجة) والأثاث الذي حكم به القاضي كان ينص على حصير، وفرشة، ووسادة، ولحاف، وبطانية، وببور كاز، ولمبة كاز، وصحن، وملعقة، وطنجرة، ومكنسة، وإبريق ماء، وطاس حمام.

هل يعقل بعد أربعة عشر قرناً من الإسلام أن يبقى المسلمون متجمدين ولايتطورون في العقلية إلى هذا المستوى، إن حكم المحكمة مرفوض إنسانياً ومرفوض حضارياً ومرفوض منطقياً قبل أن ندخل لنناقشة بمنطق الإسلام والقرآن، إن الرسول وصحابته بعد تطبيق مبادىء الإسلام بشكل صحيح استطاعوا خلال جيل واحد هو نفس جيل الصحابة وخلال فترة قياسية عالمياً وهي حتى عام (٣٥) هجرية أن يقفزوا أكبر قفزة حضارية حصلت في العالم في مثل هذه المدة القصيرة، وكل ماعندنا نحن المسلمين ونفخر به هو من بقايا ذلك الجيل الأول، خلال تلك السنوات التي لاتزيد عن العمر الفعال للإنسان الواحد، خلال حياة جيل واحد. إن طاقة الإسلام إذا طبقت كما طلبها الله في القرآن طاقة غير محدودة على الإطلاق، والله يعلم وإن كنا نحن لانعلم بأن دين القرآن هو الملاذ الوحيد لخلاص البشرية كلها من آلامها ومن ضلالها الذي هي فيه الآن. وإلا فلماذا حفظ الله القرآن ولم يستطع إنسان في الوجود أن يبدل منه حرفاً واحداً؟ والأغرب من هذا أن الله سبحانه وضع في القرآن البرهان الرياضي العددي الذي بواسطته يمكن للإنسان أن يتأكد عددياً من أن القرآن لايزيده حرف ولاينقصه

حرف عما نزل به على محمد سيد المرسلين، فكلٌّ من ادعوا وجود آيات ضائعة وغير موجودة حالياً انكشف كذبهم.

ثم يبين الله سبحانه حالة أخرى في الآية:

﴿والذينَ يتوفّون منكُم ويذرونَ أزواجاً يتربّصنَ بأنفسهنّ أربعةَ أشهر وعشراً فإذا بلغنَ أجلهُنّ فلا جُناحَ عليكُم فيما فعلنَ في أنفسهنّ بالمعروفِ والله بما تعمَلون خبير﴾ ٢٣٤ ـ البقرة.

وهذه حالة تفقد فيها المرأة زوجها فتترمل فيحدد الله لها عدتها.

الغريب أن أغلب علماء السنة يجمعون في تفسير هذه الآية على أن معناها أن تتربص الأرملة التي يتوفى زوجها عنها أربعة أشهر وعشرة أيام مع أنهم لو قرؤوا القرآن لوجدوا أن هذا القرار الذي خرجوا به غير صحيح، ويناقض آيات القرآن الكريم.

إن الآية الكريمة تقول:

﴿يتربّصنَ بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾

ولو كان الله تعالى يقصد تفسير العلماء لقال أربعة أشهر وعشرة أيام، لأنه في العربية لايمكن جمع الأشهر مع الأيام بحرف عطف إلا بعد التمييز.

إذاً فكلمة عشراً المقصود بها عشراً من الأشهر حتى يمكن عطفها على الأشهر الأربعة، وكما قلت مراراً فآيات القرآن وكلمات الله تحتاج إلى ملاحظة خاصة وليس مثل أي كتاب آخر من كتب السلاطين، فلماذا أربعة أشهر؟ هي اشهر من أجل معالجة المرأة نفسياً. بعد أن فقدت زوجها إذ لابد لها من تلك الفترة حتى تعود إلى أحوالها الطبيعية من بعد الحزن للمصيبة التي حلت بها، وتكون نفس الفترة أيضاً كافية لمعرفة فيما إذا كانت حاملاً. فإذا لم تكن حاملاً، لها الحق بعد أربعة أشهر من أن تفكر مرة أخرى بالزواج إن شاءت.

ولكن إذا تبين لها الحمل فعليها أن تتم المدة إلى عشرة أشهر والشهر العاشر هو من أجل الولادة والانتهاء من آلام الولادة التي تعقبها أحياناً.

فللمرأة إذاً موعدان: إما أربعة أشهر أو عشرة أشهر إذا تبين حملها، والذي يؤكد أن المدة أربعة أشهر وليست أربعة أشهر وعشرة أيام أنّ الله تعالى لم يذكر في آية أخرى كم عليها أن تتربص إذا ظهر حملها، وهذا دليل على أن العشرة المقصود بها هي عشرة أشهر في حال ظهور حملها، لأنها لايمكن أن تتزوج وهي حامل من رجل آخر.

ثم تأتي آية أخرى بعدها في السورة نفسها لتتمم المعنى:
﴿والذينَ يُتوفّونَ منكُم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في مافعلنَ في أنفسِهِنّ من معروفٍ والله عزيزٌ حكيم﴾ ٢٤٠ـ البقرة.

المعنى واضح. إن أحبت الأرملة التي توفي زوجها ـ والتي رأينا أنها يجب أن تبقى في بيت زوجها حداً أدنى مدة أربعة أشهر، إذا لم تكن حاملاً، وعشرة أشهر إذا كانت حاملاً ـ إن شاءت أن تبقى أكثر في بيت زوجها فلها حتى تتدبر أمورها مدة سنة قبل أن يتمكن أحد أقارب زوجها من الورثة، الوصول إلى حكمٍ بأن تخلي البيت إلا بعد أن تأخذ حقوقها الشرعية كاملة.

وهي حرة بعد ذلك في أن تترك البيت وتتزوج إن شاءت.

ثم يبيّن الله سبحانه حالات الطلاق التي تحصل من غير أن يمسّ الرجل عروسه:
﴿ومتّعوهُنَّ على الموسع قَدَرُه وعلى المقْتِرِ قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾
الله سبحانه يربط النفقة والمال الذي يمكن أن يصرف في جميع الأحوال ومنها هذه الحالة بالحالة المالية للمطلق. ويربطها أيضاً بعرف الناس المتبدل مع تبدل الزمان والمكان، ولايثبته أبداً، لأن في التثبيت منتهى الظلم، ولابأس في أن يفرض لهن المطلق فريضة. أما إذا أحب الرجل في أن يماحك ويحاسب لطبع فيه لأنه لم يمسها ففي هذه الحالة يقول له الله فنصف مافرضتم، ثم ينتقل مرة أخرى إلى الذين يتوفون ويذرونَ أزواجاً، فللأزواج نفقة إلى سنة. ولها أن تقيم في بيتها، ولايجبرها أحد على الخروج منه، ولايمنعها أحد أيضاً من الخروج منه أو الزواج من جديد إن أرادت بعد قضاء عدتها البقاء شريطة أن يكون لها أبناء أو بنات. ثم يقول سبحانه:
﴿وللمطلّقاتِ متاعاً بالمعروفِ حقاً على المتّقين﴾

إن إلحاق كلمة المعروف لكل حالات الطلاق يعطي للقاضي الشرعي بشكل دائم حرية الحركة والتقدير بحسب ظروف عصره وإمكانيات الزوج المالية وحسب المستوى التي كانت تعيش فيه هذه المرأة مع زوجها أثناء حياته إن كانت أرملة أو أثناء حياتها مع زوجها إن كانت مطلقة، فيقرر لها النفقة مراعياً كل تلك الظروف لا أن يعود إلى ماكتبه أحد الأئمة الأربعة في الكتاب الفقهي الذي أصبح ثابتاً لايتغير مع الزمان، فمن أيام أبي حنيفة النعمان إلى اليوم إذا كان المحتكم للشرع وآباؤه على مذهب هذا الإمام

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه آمين، فقد ثبت أهل السنة وتحجروا على تلك الأحكام وهم يعلمون مدى الظلم الحاصل من وراء هذا الثبات على القوانين والأحكام مئات عديدة من السنين دون أي تعديل لها أو تبديل.

بعد أن اطلعنا على آيات الطلاق في سورة البقرة، ننتقل مرحلة للأَمام ونطَّلع على الآيات التي في سورة الطلاق ماذا تُقَدِّمُ من جديد:

﴿ياأيّها النّبيّ إذا طلّقتُمُ النساء فطلّقوهُنّ لعدَّتِهنّ واحصوا العدَّة واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ ولايخرجن إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبينةٍ وتلك حدودُ الله ومن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلَمَ نفسَهُ ولا تَدري لعلَّ الله يُحدِثُ بعدَ ذلك أمراً﴾ ١ ـ الطلاق.

الفقرة الأولى تؤكد على العدة وإحصائها بالأيام والأشهر، لأهميتها، لحفظ حقوق للطرفين، ولله فيها مآرب أخرى غير تبيّن الحمل سلباً أو إيجاباً.

ثم يؤكد الله منع إخراج المطلقة من بيتها إلا إذا ثبت عليها فعل الزنى، ولغير هذا السب لايجوز إخراجها من بيتها حتى انتهاء عدتها هذا أولاً، ولاتخرج أيضاً بمشيئتها وإرادتها بل تبقى في بيت زوجها أيضاً لفترة العدة وهذا ثانياً..

والله سبحانه لم يحدد الطلاق أهي الأولى أم هي الثانية، وهذا معناه أن تلك الشروط السابقة تنطبق على حالتي الطلاق:

﴿فإذا بلغنَ أجَلَهُنّ فأمسِكوهُنّ بمعروفٍ أو فارِقوهُنّ بمعروفٍ وأشهِدوا ذوي عدلٍ منكُم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظُ به من كانَ يؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً﴾ ٢ ـ الطلاق.

أيضاً في هذه الآية يوصينا الله بأنهن إذا بلغن أجلهن وكانت هذه هي الطلقة الأولى أو الثانية بأن يمسكهن الرجل بمعروف أو يفارقهن أيضاً بمعروف، وفي حال المفارقة يتم الموضوع عن طريق شهود عدول وتكون الشهادة لله لا أن يستأجر الزوج شهوداً زوراً يدفع لهم مبلغاً من المال كما يحصل اليوم في أغلب البلاد الإسلامية. ويجعلون المرأة تقر بأنها خلعت زوجها أمام القاضي الشرعي نصيحة من المحامي الذي يجري إجراءات الطلاق للزوج. فتقر الزوجة بذلك جهلاً، وهي لاتعلم ماذا تعني تلك الكلمة، ولا تعلم أنها تبرىء زوجها من كل الالتزامات المالية والقانونية من مؤخر صداق ونفقة وحضانة للأطفال، فتصبح الزوجة في الشارع بعد أن يتبين لها أن زوجها قد طلقها ثلاث طلقات وكأنه قد أطلق عليها ثلاث طلقات من مسدس أوتوماتيكي، وانتهى أمر

زواجها وحقوقها، وفقدت كل شيء، بيتها ومالها وأطفالها، ثم يقول سبحانه:

﴿واللَّئي يَئِسنَ من المَحيض من نسائِكم إن ارتبتم فعدتِهنّ ثلاثةَ أشهر واللَّئي لم يَحِضنَ، وأولت الأحمالِ أجلهن أن يضعنَ حملَهُنّ ومن يتّق الله يجعلُ له من أمرِهِ يُسراً﴾ ٤ - الطلاق.

والآية مفهومة فاللاتي يئسن من الحيض أي الكبيرات في السن وكذلك الصغيرات اللواتي لم يحضن بعد عدتهن ثلاثة أشهر.

﴿اسكنوهُنّ من حيث سكنتُم من وجدِكُم ولاتُضاروهُنّ لتضيّقوا عليهنّ وإن كنّ أولاتِ حمِلٍ فأنفقوا عليهنَّ حتى يضعنَ حملهُنّ فإن أرضَعنَ لكُم فآتُوهنّ أجورَهُنَّ وأتمِروا بينَكم بمعروفٍ وإن تعاسرتُم فسترضع له أخرى﴾ ٦ - الطلاق.

هذه الآية أيضاً مفهومة إلا ماورد في أول الآية حيث يقول الله سبحانه (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدِكُم)

والمعنى أسكنوا المطلقات بحسب إمكانياتكم المادية بيتاً لايقل عن مستوى ماتسكنون فيه أنتم من بيوت (أي بحسب قدرتكم وغناكم) وفي نهاية الآية ربطها الله بالعرف والعادة بحسب الزمان والمكان وتطورهما. حتى لايستغل الزوج ثبات القوانين لمصلحته كما يحصل الآن بتجميد الشرع وتوقيف الاجتهاد في الإسلام، والحكم بفقه الأئمة الأربعة، وكأننا مازلنا نعيش في القرن العاشر الميلادي.وهل هناك ظلم أكبر من هذا؟ تأخر في القوانين الشرعية عشرة قرون كاملة، وقوانين العالم المتحضر تتغير بين فترة وأخرى!. وحتى الدساتير تعدّل وتتعدّل مع الزمن وتطور ظروف الناس.

ثم نقول متبجّحين إن الإسلام قد أنصف المرأة؟ أيُّ إسلام هذا الذي أنصف المرأة؟ هل هو الإسلام الموجود في القرآن والذي لايطبقه أحد؟ أم هو الإسلام الموجود في فقه الأئمة الأربعة والذي أوقفنا الاجتهاد فيه منذ أكثر من ألف سنة؟ وكل مافيه من دين السلطان!

﴿لينفقَ ذو سعةٍ من سعتِهِ ومن قدرَ عليهِ رزقُه فليُنفِق ممّا آتاهُ الله لايُكلِّفُ الله نفساً إلا ما آتاها سيجعلُ الله بعدَ عُسرٍ يُسراً﴾ ٧ - الطلاق.

هذه الآية أوضح من أن يقول فيها أي شارح كلمة إضافية عليها.

وباقي آيات الطلاق واضحة جداً وهي عظة لكل المسلمين اليوم إن كان بينهم من يقبل الموعظة.

﴿وكَأيِّن من قريةٍ عتَت عن أمرِ ربِّها ورسلِهِ فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عَذاباً نُكراً﴾ ٨ ـ الطلاق.

ونحن اليوم لسنا بعيدين عن هذه الآية.

﴿فذاقَت وبالَ أمرِها وكانَ عاقبةُ أمرها خُسراً * أعدَّ الله لهم عذاباً شديداً فاتّقوا الله يا أولي الألبابِ الذينَ آمنوا قد أنزلَ الله إليكُم ذِكراً * رسولاً يتلوا عليكُم آياتِ الله مبيِّناتٍ ليُخرجَ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ من الظلماتِ إلى النورِ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يُدخِلهُ جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً قد أحسنَ الله لهُ رزقاً * الله الذي خلقَ سبعَ سماواتٍ ومن الأرضِ مثلهنّ يتنزَلُ الأمرُ بينهنّ لِتَعلَموا أنّ الله على كلِ شيء قديرٌ وإنّ الله قد أحاطَ بكلِ شيء علماً﴾ ٨ ـ ١٢ ـ الطلاق.

الرسول الأمين تلا علينا البينات وأخرج الناس من الظلمات إلى النور فعاد السلطان وأخفى القرآن وأخرج روايات ما أنزل الله بها من سلطان، وأعاد الناس مرة أخرى من النور إلى الظلمات، ولازلنا في ظلمات الكهف منذ ذلك اليوم، والكل ينتظر أن يأتي الفرج من السماء والكل يتناسى أن الله سبحانه قد حكم وأعطى كلمته عندما قال لنا بعد القرآن الذي كان آخر الرسالات والرسول الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه آخر الأنبياء والمرسلين:

﴿إنّ الله لايغيرُ مابقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسِهِم﴾ ١١ ـ الرعد.

فالله سبحانه ينتظر منا الحركة الأولى وهو ليس في عجلةٍ من أمره، فاليوم عنده كآلاف السنين مما نعدّ من الأيام.

إن الله سبحانه ينتظر أن يكون بدء التغيير وحصوله من عندنا أولاً: قبل مباشرة العمل نبدأ بالفكر: أين نحن؟ أين موقعنا في العالم؟ أين موقعنا من عالم الأمم وعالم الزمان؟ ماهي إمكانياتنا؟ ماهي نقاط قوتنا؟. ماهي نقاط ضعفنا؟ ماهي خطتنا للخروج من كهفنا إلى الشمس والنور مرة أخرى متسلحين هذه المرة بالقرآن الكريم والعلم وليس بروايات كلها أكاذيب على الرسول الأمين؟ فقد اكتشفنا أن أحسن الحديث هو حديث الله، وأفضل الكلام هو كلام الله، وأفضل السُنن هي سُنَّة الله، وأفضل الهدي هو هدي الله، الذي لاهدي غيره عند أحد من الناس، فمن قال لنا هدي محمد فقد أراد أن يغشّنا؛ لأن هدي محمد لم يكن إلا هدي القرآن وحده، والناس بعد ذلك أحرار كما

قال لهم ربهم في القرآن الكريم:

﴿لا إكراه في الدينِ قد تبيَّنَ الرّشدُ من الغيّ﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿وقلِ الحقُّ من ربّكُم فمَن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفُر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وكل إنسان بعد ذلك يتحمل نتيجة اختياره بنفسه من غير ظلم كما يحصل الآن، فنحن نتبع مااختاره السلطان لنا وكأننا منوَّمون مغناطيسياً ولا ندري إلى أين اتجاهنا، ولا نعلم ماهو هدفنا، ولانعلم في النهاية إلى أين المصير!

وبعد أن قرأنا الآيات التي وردت في سورة الطلاق وعلمنا كل حقوق المرأة من الله تعالى على أشكال الفراق وعدم الاتّفاقِ بين الزوجين، وما هي حقوقها كاملة.

ننتقل إلى آيات من نوع جديد من سورة النور:

﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ لعلَّكُم تذكرون * الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ ولا تأخُذْكُمْ بهما رأفةٌ في دينِ الله إن كنتُم تؤمنونَ بالله واليومِ الآخر وليشهد عَذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين * الزاني لاينكِحُ إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لاينكِحُها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين﴾ ١ ـ ٣ ـ النور.

هذه الآيات الثلاث يشرح الله سبحانه فيها مشكلة ومرضاً يصيب أغلب المجتمعات التي لاتعالج الموضوع مبتدئة بمعالجة الأسباب الداعية له من الأساس، لأن معالجة هذه الظاهرة بالعقوبات وحدها تعتبر معالجة سطحية، وليست معالجة قاعدية، وسوف ترى في بحث الرجم كيف حاول السلطان رفع عقوبة الزنى في الإسلام من الجلد الموجود في هذه الآيات إلى الرجم بالحجارة التي تعتبر من أشنع عمليات الإعدام في العالم، محاولاً الترويج بين المسلمين أن الله أنزل آية الرجم في القرآن ونسيها المسلمون، علماً أن السلطان نفسه مع أتباعه وأعوانه الذين يشكلون الطبقة الحاكمة عند المسلمين كانوا هم السبب الأول والأخير في تفاقم المشكلة بحبس آلاف النساء الصغيرات في السن الناضجات جنسياً في قسم الحريم من القصور الكثيرة التي كان يملكها هؤلاء، وليس في طاقة أيٍ منهم إشباعهن جنسياً على الإطلاق. مختلقين أزمةً للزواج بين الشباب لقلّة البنات أولاً، ولارتفاع مهورهن ثانياً، ولقصر ذات اليد من انتشار الفقر ثالثاً، مع قلة العلم والثقافة بين الناس، فكان الزنى نتيجة هذه الظروف التي خلقها السلطان بيده، لتركه تعاليم الله في القرآن ولجوئه إلى تعاليم أهل الكتاب المحرفة أصلاً كما أثبتُّ ذلك

في مكانه من هذا الكتاب. فظهر وانتشر نوع جديد من أنواع الطلاق، وهو الذي كان يحصل نتيجة اكتشاف أحد هؤلاء الوجهاء من أتباع السلطان أن زوجةً من زوجاته قبض عليها في جريمة الزنى أو رآها الرجل مباشرة.

والله سبحانه وتعالى لعلمه أن العلاقة الزوجية بين الذكر والأنثى في المجتمع هي التي تقوي المجتمع كلَّه إن كانت تلك العلاقة قوية ومنتظمة دون أن يظهر عليها أية علائم للمرض وكما أنها هي التي تضعف المجتمع وتفرط عقده وتماسكه إن ظهرت عليه علائم الضعف والانحلال، جعل سبحانه شهادة الزنى بأربع شهادات كاملة من شهود عدول، كما جعل قذف المحصنات بالزنى جريمة يعاقب عليها القانون الإسلامي بثمانين جلدة للشاهد مع حرمان الشاهد بعد ذلك من حقوقه المدنية كلها، فلا يقبل منه بعد ذلك أية شهادة، ولايكون له وجوداً اجتماعياً.وذلك يحدث فيما لو ذهب أربعة من الشهود للشهادة فتراجع أحدهم عن الشهادة لعدم تأكّده من الرؤية المباشرة، فيجلد عندها الثلاثة الباقون بتهمة قذف المحصنات، فالشاهد بعد ذلك سوف يحسبها في ذهنه ألف مرة قبل أن يتسرّع ويركض للقاضي متهماً من نشاء منهن إذا دفعنا له ديناراً أو دينارين كما يحصل معنا اليوم في محاكمنا الشرعية في بلادنا التي تدعي الإسلام.

لذلك قال الله تعالى:

﴿والذينَ يرمُونَ المحصّناتِ ثم لم يأتوا بأربعةِ شهداء فاجلدُوهُم ثمانينَ جلدة ولا تَقبَلوا لهم شهادةً أبداً وأولئكَ همُ الفاسقون﴾ ٤ ـ النور.

ولكن ماذا يفعل الزوج الذي رأى زوجته مع الزاني الذي هرب طبعاً بعد اكتشاف أمره ولم يبق للزوج شهوداً، فهل يسكت عن الموضوع ويعيش مع زوجته مضطراً مع علمه بأنها زانية؟ ولعلم الله سبحانه أن ذلك ظلم للزوج وظلم أيضاً للزوجة إن اكتشفت ورأت زوجها في وضع الزنى فأعطى الله سبحانه نفس الحق للطرفين في أن تكون شهادة كل واحد منهما بأربع شهادات. ولكنّ الله سبحانه وتعالى العالم بكل شيء والعالم بسرائر البشر أفضل منهم، لأنه هو الذي خلقهم، علم أن ذلك قد يدخله بعض الظلم إن استخدمه الزوج أو استخدمته الزوجة ظلماً وكذباً، فلم يجعل مع هذه الشهادة الحكم بالجلد مباشرة؛ بل أعطى المجال للطرف الآخر بأن يرد الشهادات الأربع بقسم آخر يقابله لايلغي حكم التفريق والطلاق بينهما ولكنه يوقف تنفيذ عقوبة الجلد، والله سبحانه وتعالى يشرحها في هذه الآيات بصورة مفهومة لاتحتاج إلى شرح إضافةً للموضوع.

﴿والذينَ يرمونَ أزواجَهُم ولم يكن لهم شهداءُ إلا أنفُسُهم فَشهادَةُ أحدِهِم أربعُ شهاداتِ بالله إنّه لمنَ الصادقين * والخامسة أن لعنةُ الله عليهِ إن كان من الكاذبين * ويدرؤوا عنها العذابَ أن تشهد أربعَ شهادات بالله أنّه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾

هناك موضوع في هذا البحث تركته دون أن أشرحه بشكل كاف هو قول الله سبحانه وتعالى:

﴿الزاني لاينكِحُ إلاّ زانيةً أو مشركة والزانيةُ لاينكِحُها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرِّم ذلكَ على المؤمنين﴾ ٣ - النور.

المقصود بالزاني والزانية في هذه الآية الرجل والمرأة اللذان ثبت عليهما جرم الزنى فجلدا، أو امرأة عرف عنها بأنها عملت في مهنة البغاء، أو رجل ثبت عليه العمل في المهنة نفسها، ولايقصد به الرجل الذي زنى يوماً ولم يكتشف أمره ثم عاد فتاب إذا تزوج، فإن الله سوف يتقصده فمهما تزوج وحاول أن يختار فلن يكون من نصيبه إلا زانية أو العكس، هذه اعتقادات مفرطة في الوهم ولا وجود لها في دين الإسلام الصحيح.

أنتقل بعد ذلك إلى سورة الأحزاب. حيث نجد آية واحدة تشرح حالة خاصة من حالات الطلاق وهي الحالة التي يتم فيها الطلاق قبل أن يدخل الزوج إلى زوجته في عش الزوجية لينفرد بها.

﴿يا أيها الذينَ آمنوا إذا نكحتُم المؤمناتِ ثم طلّقتموهنّ من قبل أنْ تمسّوهنّ فما لكم عليهِنّ من عدّةٍ تعتدونها فمتعوهنّ وسرّحوهنَّ سَراحاً جميلاً﴾ ٤٩ - الأحزاب.

والآية أوضح من أن تُشرح. ولكن يجب أن نفهم أن الذي يدخل إلى عروسه ويعجز لسبب ما ثم يريد الطلاق؛ فهذا حكمه حكم من دخل بها وإن كانت زوجته مازالت بكراً من الناحية الفيزيولوجية، لكنها من الناحية النفسية والعملية فقد أصبحت زوجته، لأنها سلّمت نفسها وجسدها له.

ومعنى (متّعوهن) هنا ليس المتعة النفسية؛ وإنما بمعنى أعطوهن متاعاً، أي مالاً أو أشياء لها قيمة لتعويضها عما خسرته.

ثم انتقل بعدها إلى السورة الأخيرة التي ورد فيها ذكر للطلاق وهي سورة التحريم التي

وردت فيها آية خاصة بالرسول الكريم وحده دون باقي الناس حيث يقول سبحانه.
﴿عسى ربُّه إنْ طلّقَكُنَّ أن يُبدِلَهُ أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيّباتٍ وأبكاراً﴾ ٥ ـ التحريم.

وهذا كان تمهيداً من الله لهن، شرحت الآية سابقاً في موضعه عند الكلام على التحريم والمحرمات، وأن الوحيد الذي له حق التشريع والتغيير في مواضيع الحلال والحرام هو الله سبحانه وتعالى لا شريك له في ذلك أبداً.

وهكذا أكون قد غطيت الموضوع، وعلمنا تماماً ماذا قال الله تعالى عن موضوع الطلاق في دين الإسلام الذي هو القرآن، ولم يترك الله صغيرة ولا كبيرة إلا غطاها وإن وجدت ظروف جديدة فيمكن للقاضي الشرعي الإسلامي أن يتصرف منطلقاً من فهم روح هذه الآيات فيأتي حكمه منسجماً مع روح القرآن الكريم.

والآن سوف نتجه إلى دين الحديث الذي أسميه في هذا الكتاب تجاوزاً دين السلطان في صحيح البخاري كتاب خاص اسمه (كتاب الطلاق) فماذا نجد في ذلك الكتاب؟

إذا تصفحنا الكتاب سوف نفاجأ بوجود أبواب لاعلاقة لها بالطلاق. ربما لتنبيه الناس إلى مواضيع حشرها جنود السلطان لتشويش الناس حول أمور شرعهم فجعلوها كلها مناقضة للقرآن الكريم، وأضرب مثلاً: «باب إذا طلقت الحائض يعتد بذلك الطلاق» ومادخل الحائض في الطلاق؟ إن الحيض عملية بيولوجية تتم بالنسبة للمرأة في رحمها بشكل مستمر ودوريّ للدلالة على أن جهازها التناسلي سليم وجاهز لما خلقه الله له وهو الإنجاب للأطفال وللنسل. ثم نجد: «باب لا طلاق قبل النكاح».

هذا مثل إعلان تقرؤه في متجر يقول (لايسمح للزبون بأن يرد أية بضاعة لم يشتريها بعد».

أو قد نجد باباً آخر تحت اسم: «باب مراجعة الحائض» أو «باب الكحل للحادّةْ» أو «باب مهر البغي والنكاح الفاسد» مثل كل هذه الأمور ليس لها علاقة في موضوع الطلاق لا من بعيد ولا من قريب.

بما أن المسلمين تركوا آيات القرآن ولجؤوا للأحاديث التي يؤلفها جنود السلطان له لتحل محل القرآن في كل شيء فقد تشوش الناس، وشوّشهم جنود السلطان عن قصد. حتى يصدق الناس دائماً ما يُفترى عليهم. ومن هذه التشويشات موضوع الطلاق بالثلاث: ولأن السلطان لايرغب في إطالة الموضوع. أوجد وافترى هذا الباب الجديد!

فنجد في صحيح البخاري تحت باب من أجاز طلاق الثلاث:

الحديث رقم (٥٢٦٠) من صحيح البخاري: عن عائشة أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إنّ رفاعة طلقني فبتّ طلاقي، وأني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، وأن مامعه مثل الهدبة (الخرقة). قال رسول الله ﷺ: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى يذوق عُسيلتك وتذوقي عُسيلته».

واستناداً إلى هذه الأحاديث بنى جنود السلطان استنتاجاتهم أنه يمكن للرجل أن يقول لزوجته أنت طالقة بالثلاثة فيصبح الطلاق مبتوتاً، ولارجعة فيه، هذا كان من وهم جنود السلطان فقط، لأن الرجل عندما يطلق وفي لحظة غضبه يكون مطلقاً بالألف وليس بالثلاثة فقط ولايفكر الرجل لحظتها في موضوع إمكانية التراجع أصلاً. لكن الله سبحانه من حكمته ومعرفته للمخلوق الذي خلقه كان يعلم أنه بعد مرور الوقت كثيراًمايتراجع الرجل عن قراره، وبما أنَّ الطلاق من أبغض الحلال على الله جعل إمكانية التراجع مرة ومرتين مقبولة، وخوفاً من أن يصبح الموضوع هواية ولعبة في يد الرجل جعل الله في الثالثة عدم إمكانية الرجوع، وإذا كان الحديث الذي بين أيدينا الآن صحيحاً، فهذا يعني بالطبع أن الرسول كان يعلم بوجود طلقتين سابقتين للمرأة التي اسم زوجها كان رفاعة القرظي وإلا ماحكم عليها بأن تتزوج من عبد الرحمن بن الزبير فعلاً لا اسماً كما تحب هي.

وكل تقولات جنود السلطان بإيجاز طلاق المرأة من المرة الأولى طلاقاً بائناًلارجعة فيه هو تجنّ على شرع الله الذي في القرآن الكريم.

فالرجل ولو طلق ألف طلقة وكانت للمرة الأولى يعتبر في دين الله طلاقاً لمرة واحدة فقط. ومثل الحديث السابق الحديث التالي:

الحديث رقم (٥٢٦١) من صحيح البخاري: أيضاً عن عائشة أن رجلاً طلّق امرأته ثلاثاً فتزوّجت فطلقت (بمعنى تزوجت غيره ثم طُلّقت منه) فسئل النبي ﷺ أتحل للأول؟ قال: «لا حتى يذوق عُسيلتها كما ذاق الأول».

والحديثان يكونان غير مناقضين للقرآن إذا فهمنا أن الطلقات الثلاث حدثت في ثلاث أزمنة مختلفة، بينها فترة حدث فيها التراجع نفسياً من قبل الزوج عن الطلاق، ولم تحدث في لحظة واحدة كما يحاول جنود السلطان تصويره لنا إضلالاً عن قصدٍ وتعمد. وكما يشترط في كل طلاق أن تكون المرأة قد مكثت في بيت زوجها بعد

الطلاق فترة العدة إلى أن أعادها الزوج إلى عصمته.

الحديث رقم (٥٢٦٦) من صحيح البخاري: عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يقول:

«إذا حرَّم امرأته ليس بشيء. وقال: لكم في رسول الله أسوة حسنة».

الحقيقة أن هذا الحديث منتهى التحريف لدين الله، لأن موضوع التحريم والتحليل تركه الله بيده ولم يسمح لرسول من رسله على الإطلاق بأن يتصرف فيه، وقد أرسل سبحانه لبني إسرائيل مئات الأنبياء والرسل من أجل تعديل الحلال والحرام مع تطور الزمن لأن شريعتهم كانت عينية تحتاج إلى تعديل بشكل دائم مع تغير الظروف والزمن بينما جعل الله دين الإسلام حدودياً رحمة بالعالمين حتى يستطيع قضاة المسلمين إجراء التعديلات اللازمة، متحركين دائماً بين حدود الله التي تركها لهم واسعة مع إضافة موضوع العرف والعادة الذي يتغير مع الناس باستمرار، فلم يعد من أي حاجة لإرسال الرسل من بعد الرسول محمد ﷺ في دين الإسلام. والرسول لم يحرم نساءه كما يحاول الراوي بأن يوهمنا بل أنه هجر بعضهن كعقوبة لهن على عمل كان يستحق عقوبة من الزوج ولمدة محدودة. والهجر ليس معناه تحريماً.

أما أن يقول الرجل لزوجته (حرمت علي) هذا كلام لا أصل له ومحرّم في الدين الإسلامي الصحيح.

الحديث رقم (٥٣٢٠) من صحيح البخاري: «عن المِسوَر بن مَخرمَة أن سُبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليالٍ، فجاءت النبي فاستأذنته أن تنكح. فأذن لها فنكحت».

إن هذا الحديث لايناقض القرآن فقط بل إنه يناقض حتى أحاديث السلطان التي تشترط أن تكون العدة إما ثلاث قروء (أي ثلاث حيضات كاملات) أو ثلاثة أشهر، للصغيرات اللاتي لم يحضن بعد أو للكبيرات اللاتي انقطع عنهن الحيض ونفست معناها حاضت بدليل الحديث التالي:

الحديث رقم (٢٩٨) من صحيح البخاري: «عن أبي سلمة أن زينب ابنة أم سلمة حدثته أن سلمة حدثتها قالت: بينما أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميلة إذ حضت، فانسللت فأخذت ثياب حيضتي. قال «أنفست؟» قلت نعم: فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة».

الحديث رقم (٥٣٣٨) من صحيح البخاري: «عن زينب ابنة أم سلمة عن أمها أنَّ أمرأةً

توفي زوجها، فخشوا عينيها (أي أصاب عينيها مرض أو رَمَدْ) فأتوا رسول الله ﷺ فاستأذنوه في الكُحل (كدواء للمخلوقة التي تعاني من عينيها) فقال: «لاتُكَحَّل، قد كانت إحداكن تمكث في شرّ أحلاسها، أو شرٍّ بيتها، فإذا كان حَولٌ فمرَّ كلبٌ رمت ببعرة، فلا حتى تمضي أربعة أشهر وعشر».

إن أجلف إنسان في الصحراء لايمكن أن يجاوب هذا الجواب علماً أن هذا الحديث يناقض آيات القرآن، وكل ماعرف عن الرسول من أخلاق وحسن معاملة مع الناس، علماً أن الدين الإسلامي دين يسر في القرآن ولايناقض الرسول ما آتاه ربه أبداً فكان دائماً يوصي صحابته (يَسِّروا ولاتعسروا).

والله سبحانه وتعالى بعد آيات التحريم حتى للحم الخنزير ولكل المحرمات الأخرى كالدم والميتة وما أهلّ به لغير الله عاد فأوقف التحريم على المضطر قائلاً:

«قُلْ لا أجدُ في ما أوحي إليَّ محرَّماً على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكونَ ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فإنه رجسٌ أو فسقاً أهل لغيرِ الله به فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربَّكَ غفورٌ رحيم».

والقاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) قاعدة سليمة. إذاً كيف نبقي على حديث يقول إن الرسول لم يسمح لامرأة تشتكي من عيونها بأن تداوى بالكحل بحسب أعراف الطب في ذلك الزمان، وقال فيها كلاماً جلفاً لايمكن أن يصدر عن رسول كريم؟ إن تلك الأحاديث مكذوبة ومفتراة غايتها الإسلاءة المباشرة للرسول ﷺ.

كذلك نجد في صحيح مسلم كتاباً خصصه مسلم للطلاق، نجد فيه الملاحظات التي شاهدناها في صحيح البخاري.

فقد ورد في صحيح مسلم في باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه إذا خالف ونطق بالطلاق يؤمر برجعتها.

الحديث رقم (١٤٧١) من صحيح البخاري:عن ابن عمر:أنه طلق امرأته وهي حائض. في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فقال له رسول الله ﷺ: «مُرْهُ فليراجعها. ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض. ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء».

هذا الحديث يخلط حالة الحيض بالطلاق وليس للحيض علاقة بالطلاق وهذا أولاً.

ثم يقول: (ثم ليتركها حتى تطهر. ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد) إذا أراد الرجل أن يعود عن طلقته ويعود إلى زوجته فليس هناك أي تحديد للوقت في الإسلام، يستطيع في أي لحظة يتفق فيها الطرفان مرة أخرى أن يعود عن طلاقه، وهذا ثانياً.

ثم قوله: (وإن شاء طلق قبل أن يمسّ) يُوحي بأن المطلق له الحق بأن يمس قبل ذلك في فترة العدة وهذا غير صحيح على الإطلاق، وهذا ثالثاً.

وفي صحيح مسلم إحدى وعشرون رواية للحديث نفسه، وكل رواية تختلف عن الأخرى، وكلها صحيحة، لأنها موجودة في صحيح مسلم، وهذا هو الذي دعاني لأن أقول لكم سابقاً: إن الأحاديث مثل جعبة الحاوي المفتي يخرج مايشاء من تلك الأحاديث، ويخفي مايشاء أيضاً بحسب الظروف والمطلوب منه في عملية الافتاء.

ثم نجد تحت باب طلاق الثلاث: موضوعاً أعجب من ذلك كله:

في الحديث رقم (١٤٧٢) من صحيح مسلم: عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة ثم (جعلها عمر ثلاث طلقات).

حيث نجد في الرواية (١٦) الحديث نفسه: (عن ابن عباس أيضاً أن أبا الصهباء سأل ابن عباس:

أتعلم أنها كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر فقال ابن عباس: نعم...

إن جنود السلطان الذين علموا أنه سبق لعمر بن الخطاب أن ألغى مفعول آية المؤلفة قلوبهم التي ورد فيها حكم في القرآن يريدون أن يلصقوا هذا الموضوع أيضاً بعمر بن الخطاب. ولكن هيهات:

إن الموضوعين مختلفان اختلاف السماء عن الأرض. في موضوع المؤلفة قلوبهم لايعتبر الحكم حدّاً من حدود الله، بينما في موضوع الطلاق فنحن في حدّ من حدود الله لايستطيع مخلوق على الأرض أن يجري عليه أي تعديل، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بريء من هذه التهمة. لايمكن لذلك الصحابي الجليل أن يتعرض لحدّ من حدود الله أبداً. لأنه من أول العارفين لهذا الامتناع، وهو من أكثر الصحابة فهماً لشرع الله. أما أن نقول كما يقول الحديث «وإن شاء طلق قبل أن يمس» غير صحيح أبداً لأن المخلوقة قد طلقت وبُتَّ موضوع طلاقها (للطلقة الأولى) وهي الآن تقضي كما بينت

لكم فترة العدة عند زوجها وهي ثلاث قروء (حيضات) كاملات وهي بعيدة عن لمسه أو نومه في نفس الغرفة التي تنام فيها، ولا حاجة له أن يذكر الطلاق مرة أخرى، وإن حدث وذكرها فهذا لايزيد عدد الطلقات بل تبقى واحدة. لكن الله تعالى يعلم ما للطلاق من تأثيرات سيئة ونتائج مكروهة، فيحب الرجوع والصلح ويقول الله تعالى للمؤمن عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً لكم وعسى أن تحبوا شيئاً ويكون فيه شرٌّ لكم وأنتم لاتعلمون. وكما قلت غالباً مايتراجع المطلق خلال فترة العدة بدون تحديد في أي وقت حصل ذلك، المهم أن يحصل التراجع النفسي المرغوب فيعود الزوجان إلى حياتهما الطبيعية مرة أخرى بعد إعلان العودة بحسب الأعراف المتبعة في ذلك.

والله قطعاً هو الأعلم دائماً وأبداً من البشر بخيرهم ومنفعتهم، وإلا لما أرسل لنا الرسل ليدلّنا إلى الأصوب والأحسن، ويهدينا إلى سبيل الصلاح، ونترك سبل الشياطين من جميع الأنواع، الذين لهم غايات وأهداف ومصالح دنيوية. بعد أن كفروا بالبعث والحساب وجنة الرضوان التي وعدها الله للمتقين.

وحتى أبرهن لكم أن جنود السلطان يعرفون ويحرفون في نفس الموضوع الذي نتكلم فيه إليكم الرواية الخامسة لنفس الحديث في صحيح مسلم.

الحديث رقم (١٤٧١) من صحيح مسلم، المسلسل (٥)، (عن ابن عمر: إنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ:
«مُرْهُ فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً».

أي أن كلمة الرسول فليراجعها: بمعنى (فليعد بها إلى بيتها لأنه لاإخراج من البيت قبل إتمام العدة كما رأيتم بحسب القرآن) وهذا لاخلاف عليه. لكن جنود السلطان يريدون أن تعود إلى البيت كسابق عهدها زوجة طبيعية خلال الفترة المفروضة كعدة وهي مطلقة، ثم تخرج من بيته بعد الحيضة الثالثة (ثلاث قروء) من دون أن يعاشرها فقط بعد الحيضة الثالثة.

ثم أضاف جندي السلطان على الموضوع كلمة (طاهراً أو حاملاً). وهذا غير صحيح على الإطلاق فالمخلوقة كانت تقضي فترة عدتها المفروضة عليها من الله في بيتها، ليست فقط من أجل التأكد من الحمل ولو كان ذلك صحيحاً لكفى حيضة واحدة. لكن كان لله هدف آخر كما شرحت لكم، من أجل العودة لبعضهما خلال فترة ثلاثة

أشهر وهي فترة كافية لصفاء القلوب وعودة النفوس للائتلاف مرة أخرى. وقد يأتي متحذلق ويقول: ربما كانت حاملاً من الأساس. نقول له: إن فرضيتك لا أساس لها بدليل أن المرأة كانت في فترة الحيض عند حصول الطلاق، وهذا دليل عدم حملها أساساً كما يجب أن نعلم أن الحامل لاتخرج من بيت زوجها قبل انقضاء فترة حملها وولادتها.

وأغرب من كل تلك الأحاديث الحديث التالي الذي ورد تحت باب:

(المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها من صحيح مسلم)

لا أعلم من أين كان يتنزلُ الوحي علي جنود السلطان وهم يقضون على دين الإسلام بمثل هذه الأحاديث التي يسمونها علماً وعلوماً، وهي أبعد ماتكون عن العلم والحق. بل إن مافيها مجرد أباطيل وأوهام يرفضها العقل والمنطق السليم قبل أن نعرضها على آيات القرآن الكريم التي تناقضها وترفضها فوراً. لكن المسلم الذي أبعد عن القرآن وتَرَكَ كتاب الله نهائياً وقَبِلَ بتلك الأوهام تنازل عن حقوقه كإنسان لزبانية السلطان ضلَّ وتاه وضاع عن الحق نهائياً.

فأصبح المسلم بعد هذا الباب ومافيه من أحاديث إذا أراد أن يطلِّق دون أن يتكلف بتكاليف النفقة على الزوجة المطلقة التي أهدر حقوقها كلها قال لها أنت طالق بالثلاثة، فانتهى الأمر وقضي على حقوق المرأة كلها، فيرميها وكأنها شيء أو مخلوق لايمت لنوع الإنسان، ويقول لها إلى الشارع ولا أبالي.

الحديث رقم (١٤٨٠) من صحيح مسلم: (حدثنا يحيى بن يحيى عن أبي سلمة عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمر بن حفص طلقها البتة (أي قال لها أنت طالق ثلاثاً) وهو غائب، فأرسل إليها وَكيلهُ بشعير، (لاحظوا ماذا أرسل لها، شعيراً لأنها من قيمة الحمار كما قرأنا في الأحاديث التي تقول: إنه لايقطع الصلاة إلا المرأة والحمار والكلب) فسخطته (فاطمة بنت قيس، كرهت ما أرسل لها زوجها) فقال (الوكيل): والله مالك علينا من شيء. فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، (لاحظوا:المرأة التي عوملت من زوجها وكأنها دابة حقيقية وليست نفساً إنسانية، يطلّقها زوجها فيرسل لها ماتستحقه ببعض الشعير ليذكرها بقيمتها. فتذهب المرأة إلى رسول الله الذي أرسله الله تعالى ومعه رسالة الإسلام ليخرج به الناس من الظلام إلى النور ومن الظلم إلى العدل، ويكون هدىً ورحمةً للعالمين، ماذا تتوقع أن يكون ردّ فعل الرسول لهذه المرأة التي

أهينت إهانة بالغة لايمكن أن يقبل بها أين نظام عادي من صنع الناس على الأرض، فكيف بنظام الله وعدله السماوي الموجود في القرآن الكريم والذي يصلح فعلاً وحقيقة أن يكون نظاماً للبشرية في كل يوم، ويسمع بهذه القصة رسول هذا الدين العظيم فماذا تتوقعون أن يكون رد فعله وبين يديه آيات القرآن وكلها تدين الزوج الذي كان قاسياً في إهانته ومتجبراً في قسوته؟ لكن أنا على ثقَةٍ تامَّة أنَّ الرسول محمد ﷺ بريء من هذه القصة وكلها افتراء وكذب والمقصود به أصلاً الإساءة للدين ولرسول هذا الدين أيضاً. ولكن كيف؟

وبحسب رواية جندي السلطان: الرسول ﷺ يجيب المرأة ويقول:

«ليس لك عليه نفقة» كيف قال ذلك؟ وكيف يمكنه أن يقول أصلاً وبين يديه آيات صريحة تقول في أول آية من آيات سورة الطلاق:

﴿لا تُخرجوهنّ من بيوتِهنّ ولايخرجنَ إلاّ أن يأتينَ بفاحشةٍ مبينةٍ وتلك حدود الله ومَن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظَلَم نفسَـه﴾ ١ ـ الطلاق.

إذاً فالموضوع ليس من موضوع الأحكام التي يمكن أن تتطور مع الزمن ويمكن أن يصدر فيها تعديلات مع تغير الظروف، فهو حدّ من حدود الله التي لاتبديل فيها أبداً مثل الصراط المستقيم والوصايا العشرة في الإسلام إلى يوم الدين.

وبحسب النص السابق لايمكن لأي مطلقة أن يخرجها زوجها من بيتها خلال فترة العدة والنفقة وكلاهما حق لها سواء طلقت مرة أو مرتين أو ثلاثاً بحسب القرآن الكريم:

﴿لينفقَ ذو سعةٍ من سعتِهِ ومن قُدِرَ عليه رزقُهُ فليُنفِق ممّا آتاهُ الله﴾ ٧ ـ الطلاق.

فالنفقة حق لكل المطلقات بحسب هذه الآية وكل زوج بحسب إمكانياته المالية ومستواه المالي. وقال الله بعدها:

﴿لايكلِّفُ الله نفساً إلا ما آتاها﴾ ٧ ـ الطلاق.

فالرسول محمد ﷺ ليس بحاجة إلى تأليف دين جديد وشرع جديد وشرع الله بين يديه، لكن السلطان هو الذي بحاجة إلى شرع جديد ودين جديد، لأنه وجد أن مافي القرآن كله ليس من مصلحته ولا من هواه والموضوع واضح وبيّن لكل من يستخدم عقله ويزين الأمور بالمنطق السليم.

ونتابع الحديث:

(فأمرها أن تعتدّ في بيت أم شريك. ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي» هكذا يريد هذا الجندي المنافق الذي افترى هذا الحديث أن الرسول بعد أن اقترح على المرأة أن تقضي عدتها في بيت أم شريك فتذكر الرسول أنها امرأة زانية وكل أصحابه الزناة يغشونها، ولمن كان يجهل من القراء معنى كلمة يغشاها سوف يجد معناها في آيات القرآن الكريم:

﴿هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منها زوجَها ليسكنَ إليها فلما تغشاها حملَت حملاً خفيفاً﴾ ١٨٩ ـ الأعراف.

ثم يقول: «اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك».

(أي تستطيعين أن تتعرّي دون أن يراك لأنه أعمى).

ومتى كان الأعمى فاقد الرجولة والميل للنساء؟ إن فقدانه لحاسة الرؤية لايعني على الإطلاق أنه ناقص الرجولة في أي شيء، بل إن كثيراً من العميان يتزوجون ويؤسسون أسراً ويعيشون حياة أسرية سعيدة ويخلفون البنين والبنات. فلماذا جندي السلطان هذا يريد أن يوهمنا أن أعماه هذا قَدْ خُصي مع عماه.

ثم تتابع الرواية الغريبة وتقول: (فإذا حللت فأذَنيني) أي إذا انتهت مدة عدتك أخبريني. قالت: فلما حللت ذكرت له: أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خَطَباني فقال رسول الله:

«أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له».

قوله:أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، كناية عن أنه كثير الضرب للنساء. وقوله: أما معاوية فصعلوك لامال له، يريد الراوي منا أن نصدق روايته بأن معاوية ابن شيخ تجار قريش وزعيمها القديم من أيام الجاهلية والذي كان يقود قوافل التجارة من مكة إلى الشام ذهاباً وإياباً ومن مكة لليمن ذهاباً وإياباً، صعلوك لامال له، فإذا كان معاوية لامال له في تلك الأيام فمن الذي كان عنده المال؟(*).

ثم يتابع الرسول ويقول لها:

(*) ربما ألف هذا الحديث في العصر العباسي بعد زوال الحكم الأموي لأنه لايعقل أن يستطيع أي راوٍ للحديث أن يقول مثل هذا الكلام وبنو أمية في الحكم.

«انكِحِي أسامة بن زيد» فَكَرِهَتهُ.

طلب منها الرسول أن تنكح أسامة بن زيد فأبدت المرأة عدم رضاها وكراهيتها له، فماذا قال لها الرسول بعدها:

«انكحي أسامة» أمراً من قائدٍ عسكري واجب التنفيذ، فانصاعت المرأة ونكِحَته مرغمةً وكارهة.

«فَنَكِحَتْهُ فجعل الله فيه خيراً واغتبطت».

وبما أني تدخلت أثناء سرد هذا الحديث لأعلق عليه في كل فقرة فسوف أعيد كتابتها مرة أخرى كما وردت في صحيح مسلم دون تعليق عليها ليقرأها القارىء ويحكم بنفسه ولوحده هذه المرة فقد أكون قد تجنيت على الراوي.

الحديث رقم (١٤٨٠) من صحيح مسلم: (حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود ابن سفيان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرِ بن حفص طلقها البتة، وهو غائب. فأرسلِ إليها وَكيلُه بشعير فسخِطَتهُ. فقال: واللهّ مالَكِ علينا من شيء. فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال:

«ليسَ لكِ عليهِ نفقة». فأمرها أن تعتَدَّ في بيت أم شَريك. ثم قال «تلك امرأةٌ يغشاها أصحابي. اعتدّي عند ابن أمّ مكتوم. فإنه رجل أعمى. تضعين ثيابك. فإذا حللت فآذنيني»، قالت: فلما حللت ذكرت له، أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني. فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه. وأما معاوية فصعلوك لامال له. انكِحِي أسامة بن زيد»، فكرهتُهُ. ثم قال «انكحي أسامة». فَنَكِحَتْهُ فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت).

لو أننا أتينا بكل أعداء المسلمين وأجرينا لهم مسابقة في الإساءة لدين الإسلام ولرسولهم، بأكبر إساءة ممكنة، لما استطاعوا أن يصلوا إلى نصف الإساءة التي أحدثها هذا الحديث.لقد شوهوا صورة الإسلام كما شوهوا صورة الرسول الكريم. والأغرب من هذا أننا لازلنا نعتبر مثل هذا الحديث وأشباهه مما عرضت في هذا الكتاب ديناً مقدساً مفروضاً على المسلمين، مع أنها أبعد ماتكون عن الصحة والتقديس، فهي برمتها تناقض ماورد في القرآن الكريم وَتُسيءُ للدين إني كلّي إيمان واعتقادي جازمٌ بأنَّ رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ الذي آتانا بالقرآن الكريم وكان أول ناطق به وعن لسانه

الشريف كتب القرآن بعد ذلك كاملاً. لايمكن أن يكون هو قائل هذا الحديث. وعندما يأتينا أحد ويقول كلاماً يترفع أن يقوله مسلم عادي من المسلمين فإننا يجب أن لانتقبل بأن يُنسَبَ لرسولنا الذي نُحِبُّهُ ونعتزّ به ونفتخر أن نكون أحد أتباعه في عبادة الله الواحد الأحد مثل هذا الكلام. لأن كل ذلك مناقض لأخلاقه وللدين الذي أتى به من ربّ العالمين، والدليل ثابت وموجود في آيات الله في القرآن الكريم.

وهذا الحديث له في صحيح مسلم وحده أربع وعشرون رواية مختلفة.. فتصوروا وعندما أصارح القارىء بأن أعداء الإسلام لعبوا في دين الإسلام وحوروه كما يشاؤون قد يظن أنني أبالغ، ولكنني على يقين مما أقول من كثرة الأدلة والثبوتيات، وقد حاولت إظهارها في كتابي الأول وفي هذا الكتاب أيضاً وسوف أكون أكثر صراحة في كتبي القادمة إن شاء الله تعالى، وإن كان في العمر بقية لإنجاز ذلك، فهو ما أتمناه والله سبحانه المَوَفِّقُ دائماً وأبداً.

﴿إن أريد إلاّ الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقي إلا باللهِ عليهِ تَوَكَلتُ وإليهِ أُنيب﴾ ٨٨ـ هود.

الموضوع السادس ـ حقوق الشهادة ـ للمرأة:

كنت قد أوضحت سابقاً أن الله سبحانه قد منح المرأة، عندما خلقها ليوكل إليها أعظم مهمة في الوجود وهي حقيقة كونها الأم، والرحم، والحاضنة لنسل آدم، وحتى تكون جديرة بكل هذه المهام، منحها رب العالمين عاطفة من حنان وحب وإنكار لذاتها؛ مع تضحية في سبيل أبنائها؛ مالم يمنحه للرجل، وهذه الأمور كلها يناقضها المنطق العقلي المجرد ولا يتقبلها لأنها أشياء تتحكم فيها الغريزة وليس العقل.

والله سبحانه الذي عنده العقل الكامل والذي يحوي المنطق والحق والخير والجمال والحكمة والعدل منح الإنسان عند نفخته الأولى في آدم الذي اصطفاه من بين البشر ليكون الإنسان الأول الذي له القدرة على التمييز بين الخير والشرّ وله القدرة على التفكير المجرد، ومنحه الله الحرية الكاملة على اختيار طريقه وأسلوبه على أسلوب الخير أو أسلوب الشر، كما أعطاه الله القدرة على الخلق والإبداع ضمن مجاله المتاح له وبالكون المحيط به، وزرع فيه منذ البداية فطرة المعرفة لله دون تدخل خارجي وتعليم من قبل الأبوين، والخالق ينظر لهذا المخلوق الخاص الذي قال عنه سبحانه:

﴿لقَد خَلَقنا الإنسَانَ في أحسِنِ تقويم﴾ ٤ ـ التين.

فإذا أجرينا المقارنة للإنسان كمخلوق مع باقي المخلوقات الموجودة معه على الأرض نرى مدى صحة هذه الآية الكريمة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد شبه الكامل من حيث التكوين في الأرض، ومهما حاول الإنسان بخياله أن يبدع شكلاً أفضل من هذا الشكل لعجز واستسلم، وركّب سبحانه في هذا الجسد النفس الإنسانية التي هي الأساس في الإنسان. فالجسد خلق من التراب ويعود إلى التراب، لكن النفس هي التي تعود راضية مرضية إلى بارئها بعد الموت. وحياة الإنسان على الأرض مُهمَّةُ اختبارٍ من الله للإنسان الذي قبل تلك المهمة وهي حمل الأمانة التي هي الحرية، ومايقابلها من تحمل المسؤولية، وخلق الله في الإنسان دوافع متناقضة، خلق فيه الميل الطبيعي للحق والمنطق والعدل والحكمة والجمال والخير، وهي مانسميه دوافع أو عوامل السُّموا والتسامي في الإنسان، كما أن في نفس الإنسان رغباتٍ وشهواتٍ أرضيَّة تكون له كدوافع وعوامل للانحدار والهبوط باتجاه الأرض فيتحول إلى جبار يميل للظلم والباطل والقبح والشر والقتل:

﴿واتلُ عليهم نبأَ الذي أتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها فأَتبعَهُ الشيطان فكانَ من الغاوين * ولو شِئنا لرَفَعناهُ بها ولكنَّهُ أخلدَ إلى الأرضِ واتّبعَ هواهُ﴾ ١٧٥ - ١٧٦ - الأعراف.

والمعنى واضح من الآية التي تخبرنا عن قصة رجلٍ اختار بحريته وبإرادته وحدها أن يتبع الشيطان، وأن ينحدر مُخْلِدَاً إلى الأرض، علماً أن الله تعالى قد دَلَّهُ وأعطاه الفرصة والطريقة، ودَلَّهُ على السبيل للارتفاع عن الأرض والسموّ للسماء.

لكن مشيئة الله السابقة أن لايتدخل في مشيئة الإنسان واختياره لأنَّ هذا هو الاختبار الذي يجريه سبحانه على كل نفس بشرية، تركه الله تعالى يتصرف من خلال تلك الحرية التامة، حتى يكون بالتالي متحملاً للمسؤولية الكاملة ولعواقب ونتائج ذلك الاختيار الصعب السهل، الصعب على النفس التي تميل مع الأهواء والشهوات، والسهل على النفس التي تتسامى وتترفّع عن مثل تلك الأمور، وقد ضَرَبَ الله لنا مثلاً فرعون الذي أرسل له الله موسى وهارون بآيات بينات حتى يعتبر ويعود إلى طريق الحق، بعد أن استكبر في الأرض وطغى وتجبر على العباد فلو مالت نفسه مع الحق لرفعه الله بها لكن الله سبحانه يقول عنه: ﴿ولكنّه أُخلدَ إلى الأرضِ واتبع هواه﴾ وهذه كناية عن أنه فضل أن يتبع شهواته الأرضية. الشهوات العاجلة، الشهوات المادية المرتبطة بالجسم والمادة التي أصلها من تراب الأرض، فانحدر ولم يستطع أن يسمو عن الماديات إلى

المعنويات وإلى الحق والخير والجمال الموجود بعيداً عن تراب الأرض ومادياته، فتركه الله تعالى إلى مصيره الذي اختاره بحريته، مع تنبيهه ونصحه، فلم يستطع أن يرى الحق، مع أنه كان قريباً منه، ولم يتجاهله الله بل ارسل له رسولين يذكرانه بالحق ومعهما معجزات وآيات من الله رب العالمين، رآها رأي العين، فلم يقبل أن يعترف إلا أنها سحر ومن أفعال السحرة، ولم يقبل بأنها براهين من خالق الكون الذي أحب أن ينتشله من الطين الذي أغرق نفسه فيه، لكن تعلق نفسه الأمارة بالسوء بشهوات الأرض التي تَعَوَّدَ عليها غَلَبَتْهُ، فكابر على الحق، لأن ماكان يشدّه باتجاه الشيطان بحسب رغباته كان أقوى، لأنه منح أهواءه أقصى طاقاتها فقويت في نفسه وتغلبت على فطرة الخير والإيمان التي زرعها الله فيه أصلاً، ولكنه أَهْمَلَ تلك الفطرة، ولم يَسقِ تلك البذرة حتى تنمو في نفسه لتصبح شجرة قوية مثمرة، فماتت بعد أن ضعفت، وزالت ليحل محلها الشيطان الذي نال منه كل رعاية وحماية وتأييدٍ ورضئ واستحساناً.

وعقل الإنسان وإدراكه وتفكيره نالَ الرّعاية والتوجيه من قبل الله الذي أرسل الرسل خلف الرسل حتى يُسَهِّلَ للإنسان اختيار سبيلِ الرحمنِ بعقله وحكمته وإرادته وبحريته تطوعاً من غير إكراه من أحد، وسعادة الإنسان في الأرض وفي السماء مرتبطة بنجاح الإنسان في هذه المهمة دون إكراه أو تدخل مباشر من قبل الله سبحانه وتعالى، وهذا هو السر الذي من أجله جعل الله الملائكة يسجدون لآدم، لأن مهمته أعظم بكثير من مهمة الملائكة الذين خلقوا وهم لايستطيعون إلاّ فعل الخير، وليست عندهم حتى القدرة على فعل الشرّ، لأن الله سبحانه لم يركبها فيهم أصلاً وفعلهم للخير لافضل ذاتي لهم فيها لأنهم يفعلونها أمراً وليس تطوعاً وحباً وتوجّهاً، كما يفعلها الإنسان المؤمن الصالح في الأرض عندما يتجه لله كاملاً، كما فعل الرسول وصحبه خلال السنين الذهبية حتى مقتل عثمان عام ٣٥ هجرية، ثم انطفأت شعلة الحق مباشرة بعد استلام السلطان للأمور وعادت بالتدريج الأمور إلى جاهلية ثانية وإشراك جديد.

والمرأة لايقل دورها عن دور الرجل في هذه المهمة الكبيرة إلا أن الدور الذي أُسْنِدَ إليها لتكونَ أمّاً يتطلب وجود عاطفة كبيرة إلى جانب عقلها، الذي لايقل في شيء عن عقل الرجل، لكن وجود العاطفة في تلك النفس بذلك الحجم الكبير جعل للعاطفة دورها السلبي على حرية عمل العقل بشكل مجرد، كما استطاع ذلك الرجل الذي ليس لديه من تلك العاطفة مايكفي للتاثير على أحكامه وقراراته.

من هذه النقطة انطلق الله سبحانه إلى إعطاء سلطة القيادة والقوامة للرجال، كما أن الشهادة في أي موضوع تحتاج إلى تجرّدٍ للحق دون الميل بالعواطف للأهل والأقارب، كأن يقول الإنسان الحق ولو على نفسه، أو على ابنه كما يطالبنا الله سبحانه في الآيات:

﴿وإذا قُلتُم فاعدِلُوا ولو كانَ ذات قربى﴾ ١٥٢ ـ الأنعام.

أي إذا أتينا للشهادة بأم وأب على ابنهما وهما يعلمان أنه ارتكب جريمة ما تستوجب عقوبة كبيرة، وكلاهما مؤمن بالله، فالأب أقدر على قول الحقيقة من الأم التي تجرفها عاطفتها رغماًعنها لتشهد مع ابنها وليس ضده، وهذه فوق طاقتها بوجود العاطفة بشكل كبير في تكوينها، والله سبحانه أعلم من الناس بالناس في هذا الموضوع، ولذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل، وليس كما يعتقد البعض لأنها دون الرجل في شيء أبداً، أو أن هذا الموضوع يؤثر على أي حق من حقوقها كإنسان وكنفس بشرية، والله العادل يقول دائماً ﴿لاتكلَّفُ نفسٌ إلا وسعَها﴾ وليس في وسع المرأة أن تكون إلا امرأة وليس في وسعها إلا أن تكون أُماً، وليس في وسعها أن تكون عكس ماخلقت له، هذا لمن أدرك حقائق القرآن وفهم الموضوع من هذه المنطلقات، لكن دين السلطان يصور المرأة عكس هذه الصورة ويتصور أن شهادتها بنصف شهادة الرجل لنظرةِ الله إليها نظرةً دونية، وهذا كله من تحريفات جنود السلطان وليست من حقائق القرآن الكريم. ولا من كلام الرسول الكريم.

والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن مبيناً هذ الموضوع في شهادة النساء:

﴿واستَشهِدوا شاهدَين من رجالِكُم فإن لم يكونا رَجُلَين فرجُلٌ وامرأتان ممَّن ترضَونَ من الشّهداء أن تضلّ إحداهُما فتذكّر إحداهُما الأخرى﴾ ٢٨٢ ـ البقرة.

وقد قبل الله تعالى شهادات النساء كشهادات الرجال في موضوع الملاعنة:

﴿والذينَ يرمونَ أزواجَهُم ولم يكُن لهُم شهداء إلاّ أنفسهم فشهادةُ أحدِهِم أربعُ شهاداتٍ بالله أنَّه لَمِنَ الصادقين﴾ ٦ ـ النور.

﴿ويدرؤوا عنها العذابَ أن تَشهَدَ أربعَ شهاداتٍ باللهِ أنَّه لَمِنَ الكاذبين﴾ ٨ ـ النور.

أربع شهادات من الرجل مقابل أربع شهادات من المرأة.

وماذا نجد في دين الحديث عن هذا الموضوع؟

نعلم جميعاً الآن أن مصدر الدونية للمرأة في دين السلطان وجنوده، لأنهم جميعاً

لايرون فيها إلا وسيلة للمتعة والإمتاع.

وقد بُنيت تلك النظرة أساساً على نظرة التوراة، لأنها المصدر الأساسي لعلوم علمائنا الكرام، فانتقلت نظرة التوراة المحرَّفة والدونية للإسلام.

فنصوص التوراة تصور وتتخيل حواء وهذا هو اسمها في ذلك الكتاب بأنها خُلقت من ضِلْعِ آدم من أجل تسليته وإمتاعه في وحدته، فهي عبارة عن جهاز للمتعة خاص بالرجل. والأحاديث التي نسجت عن تلك النصوص افتراء على الرسول ﷺ أتت منسجمةً مع تلك الفكرة الدونية للمرأة:

الحديث رقم (١٤٦٨) من صحيح مسلم: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة كالضلع. إذا ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها (على عوجها) استمتعت بها وفيها عوج» لاحظوا كلمة استمتعت بها.

نص من التوراة:

(وقال الربّ الإله ليس جيداً إن يكون آدم وحده. فاصنع له معيناً نظيره)

(فأوقع الربّ الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)(*).

(ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما)(**).

الحديث رقم (١٤٠٣) من صحيح مسلم: (عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهو تمعس منيئة لها فقضى حاجته. ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان. وتُدبر في صورةِ شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأةً فليأتِ أهله، فإن ذلك يرد مافي نفسه».

نص من التوراة المحرفة:

(ولايعاقب الرجل إذا أصاب الضرر زوجته المذنبة، أما هي فتحمل قصاص خطيئتها)(***).

(*) التوراة ـ سفر التكوين الإصحاح ٢ ـ الفقرات ١٨ ـ ٢٢.

(**) التوراة ـ سفر التكوين الإصحاح ٣ ـ الفقرة ٢٠.

(***) التوراة ـ سفر التكوين الإصحاح ٥ ـ الفقرة ٣١.

نص من التوراة بتفضيل العذارى على المطلقات (مثل دين السلطان).

(ليتزوج من عذراء، لا من أرملة، ولا مطلقة، ولازانية مدنسة بل يتزوج عذراء من سبطه، فلا يدنس نسله بين شعبه لأني أنا الرب الذي أقدسه)(*). يعتبر الأرملة والمطلقة والزانية من نفس المرتبة.

الحديث رقم (٢٢٢٥) من صحيح مسلم المسلسل (١١٨): عن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة».

حتى صار هذا اعتقاداً راسخاً في عقول أهل السنة.

الحديث رقم (٥٠٣) من صحيح مسلم ـ مسلسل (٢٥٢): عن أبي جُحَيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ فصلى ركعتين. والعصر ركعتين وبين يديه عنزة.

قال شعبة: وزاد فيه عن أبيه أبي جُحَيفَة

«وكان يمرّ من ورائها المرأة والحمار».

لأنه بحسب الأحاديث أن مايقطع الصلاة هي المرأة والحمار والكلب فقط.

لكن بما أن الرسول كان بين يديه عنزة فهذا يرد قطع الصلاة ولا بأس بعدها من مرور الحمار والمرأة فلا يعودان يقطعان الصلاة.

أحببت بهذا القدر البسيط من أحاديث صحيح مسلم، أن أعطي فكرة عن نظرة الوحي الثاني الذي يعتمده دين السلطان للمرأة من نظرة دونية تَتَماشى مع نظرة التوراة الدونية، لكنها لاتتماشى على الإطلاق مع نظرة القرآن كتاب الله الحقيقي.

ويكفي أن أستعرض حديثاً واحداً له علاقة بشهادة المرأة مفسرة بالنظرة الدونية الخاصة بدين السلطان للمرأة.

الحديث رقم (٧٩) من صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: (صباح يوم العيد):

«يامعشر النساء: تصدّقنَ وأكثِرنَ الاستغفار، فإني رأيتُكُن أكثر أهل النار» فقالت امرأة

(*) سفر اللاويين الإصحاح ٢١ ـ الفقرات ١٣ ـ ١٥.

منهن جزلة (ذات عقل ورأي) ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ (تصوروا رسول السلام والإسلام يبشّر في صباح يوم العيد بهذا الكلام؟

قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ومارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبٍّ منكن».

قالت: يارسول الله ومانقصان العقل والدين؟ قال:

«أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان عقل، وتمكث الليالي ماتصلي وتفطر رمضان (أي أنها تحيض) فهذا نقصان الدين ولماذا لم يكمل الراوي الحوار؟

كان يجب أن تقول المرأة:

(وماذنب المرأة في كل ذلك أليس الله هو الذي خلقها امرأة دون أن يخيرها في ذلك؟ أليس الله أيضاً هو الذي قرر لها أن تحيض؟).

فتكون المرأة قد حجت الرسول كما حجّ آدم موسى.

إن الرسول الكريم بريء من كل هذا الكلام الذي لا فائده منه، ولا هدف إلا إضلال النفوس لمصلحة يسعى وراءها السلطان وجنوده، وهو يستعبدون الرجال والنساء على حد سواء.

الموضوع السابع ـ حقوق المرأة المالية:

لقد بين الله سبحانه وتعالى أهمية المال في الحياة الدنيا مع ميل الناس الطبيعي إليه ذكوراً وإناثاً من أجل تحصيله واقتنائه وحبهم له، وتقديرهم لمقتنيه ومالكه وحامله في آيات كثيرة من القرآن الكريم:

﴿المالُ والبنونُ زينةُ الحياة الدنيا﴾ ٤٦ ـ الكهف.

وذكر الله تعالى حقائق عن الإنسان موجودة فيه لامجال لإنكارها:

﴿وتحبّون المالَ حباً جَماً﴾ ٢٠ ـ الفجر.

﴿الذي جَمَعَ مالاً وعدَّدَه﴾ ٢ ـ الهمزة.

﴿يحسبُ أنَّ مالَهُ أخلَدَه﴾ ٣ ـ الهمزة.

﴿وجعلتَ له مالاً مَمدوداً﴾ ١٢ ـ المدثر.

لكن كل تلك الأمور مُؤقّتة، والدنيا كلها فانية وزائلة وقصيرة الأمد ولاتدوم لأحد:

﴿ما أغنى عنه ماله وماكَسَب﴾ ٢ ـ المسد.

﴿ما أغنى عنّي ماليَهْ﴾ ٢٨ ـ الحاقة.

﴿ومايُغني عنه مالُه إذا تَردَّى﴾ ١١ ـ الليل.

وللمال واجبات وعليه حقوق:

﴿الذي يؤتي ماله يتزكّى﴾ ١٨ ـ الليل.

يجب على المؤمن ألاّ ينسى أبداً حقوق الفقراء في ماله، ويجب على المؤمن الفطن، ألا يحسد أبداً الأغنياء من الناس الذين يأكلون أموال الناس بالباطل:

﴿وأخذهم الرّبا وقد نُهُوا عنهُ وأكْلِهِمْ أموالَ الناسِ بالباطل﴾ ١٦١ ـ النساء.

﴿إنّ الذينَ يأكلُونَ أموالَ اليتامى ظُلماً إنَّما يأكُلُون في بطونِهِم ناراً﴾ ١٠ ـ النساء.

والمال مجرد فتنة ووسيلة للاختبار من الله للناس، ليعلم كيف تصرفوا به في الحياة الدنيا:

﴿واعلَموا إنّما أموالُكُم وأولادُكُم فتنةٌ وأنّ اللهَ عندَهُ أجرٌ عظيم﴾ ٢٨ ـ الأنفال.

لأن الحياة كلها لهو ولعب فمن لم يدّخر شيئاً لآخرته ليس له شيء منها هناك:

﴿واعلَموا أنّما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ ومفاخرٌ بينَكُم وتكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ كَمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفّار نباتُهُ ثم يَهيُج فتراهُ مصفرّاً ثم يكونُ حُطاماً وفي الآخرةِ عذابٌ شديد﴾ ٢٠ ـ الحديد.

الله تعالى يشبه الحياة الدنيا وماسعى الإنسان وركض ولهث من أجل تحصيلها مثل زرع أصابه غيث من السماء، فنبت ونما وصار يعجب المزارعين، ثم مايلبث أن يصيبه اصفرار مع ريح حارة قوية تحطمه وتُبَدِّدُه وتَزْروه في كل مكان، فكأنه لم يكن، ثم يعاقَبُ أيضاً من أجل هذا الذي كان وهماً وحلماً قصيراً عذاباً شديداً في الآخرة، لأنه لم يحسن التصرف بها، ثم يتابع سبحانه تتمة الآية:

﴿ومغفرةٌ من اللهِ ورضوانٌ﴾ أي أنها أيضاً تكون مغفرة ورضاء من الله للذين قدَّروا ذلك سلفاً فأعطوا كل ذي حقٍّ حقه من ذلك المال، ولم ينسوا ابداً وجود يومٍ شديد

للقاء رب العالمين الذي سوف يحاسبهم حساباً عسيراً على مافعلوه في الدنيا التي يقول عنها في كتاب الله:

﴿وما الحياةُ الدُّنيا إلا متَاعُ الغرور﴾ ٢٠ ـ الحديد.

فالإنسان يجب ألا ينسى أن المال الذي بين يديه أمانة وعليه حقوق للنساء، لأخته ولأمه ولليتامى، يجب أن يؤديها لأصحابها قبل أن يغادر هذه الدنيا ويتركها بما فيها:

﴿وآتوهُم من مالِ الله الذي آتاكُم﴾ ٣٣ ـ النور.

﴿الذينَ يُنفقُونَ أموالَهم بالليلِ والنهارِ سرّاً وعلانيةً فلَهُم أجرُهُم عندَ رّبهم﴾ ٢٧٤ ـ البقرة.

﴿وآتوا اليتامى أموالَهم ولاتَتبَدّلوا الخبيثَ بالطيّب﴾ ٢ ـ النساء.

(ولاتتبدّلوا الخبيث بالطيب):الله تعالى يوصي المؤمنين بهذه الوصية، لأنَّ كثيراً منهم عند توزيع الإرث يحاولون أن يأخذوا الطيب لأنفسهم ويعطوا الخبيث لغيرهم، مثلاً: قطعتا أرضٍ، واحدة في الجبل لاتنفع لشيء والأخرى في السهل وبجانب النهر، أو إذا كانت الأموال من المواشي اختار لنفسه الجيد القوي وأعطى غيره المريض والهزيل والكبير في السن.

﴿خذ من أموالِهم صدقةً تُطهِّرهُم وتزكّيهم بها﴾ ١٠٣ ـ التوبة.

فالزكاة والصدقات كما يقول الله تعالى هي لتزكية النَّفْس وتطهيرها من الجشع وحب الدنيا والتكالب عليها، وليس من أجل تطهير الأموال. فالأموال طاهرةٌ دائماً ولا دنس فيها وعلى المسلم أن يعلم علم اليقين: أن في ماله حقوقاً للناس:

﴿وفي أموالِهم حقٌّ للسائلِ والمَحروم﴾ ١٩ ـ الزاريات.

مما يدفعه منها حقوق تؤدّى لأصحابها وليست فضلاً منه ولا منّاً، وكل الأموال في النهاية أموال الله، وتعود بالإرث النهائي له، فلن تستطيع نفس إخراج أي شيء من هذه الأرض معها عند موتها.

﴿إنّا نحنُ نَرِثُ الأرضَ ومَن عليها وإلينا يُرجعون﴾ ٤٠ ـ مريم.

ومن دقة الله في التعبير القرآني قوله تعالى:

﴿لنرث الأرض ومن عليها﴾ لأنه لو قال سبحانه ـ نرث الأرض وماعليها، لكان المعنى أن الله يرث فقط الأشياء، ولكن حتى يعلمنا أنه يرثها مع من كان عليها جميعاً من

الناس، فهم كلهم عبيده وسوف يعودون إليه جميعاً يوم القيامة ويوم الحساب. بل يكون أكثر تحديداً في الآية التالية بأن الله سوف يرثه هو وكل ماقاله ومافعله في الحياة:

﴿ونرثُهُ ومايقولُ ويأتينا فرداً﴾ ٨٠ ـ مريم.

ويقف أمام ربّ العالمين فرداً ولم يبق معه أصحابه وأعوانه وأنصاره القدماء على الأرض:

﴿وإنّا لَنَحنُ نُحيي ونُميتُ ونحنُ الوارثون﴾ ٢٣ ـ الحجر.

(لله ميراثُ السمواتِ والأرضِ﴾ ١٨٠ ـ آل عمران.

ويتساءل رب العالمين ويقول لعباده: مالكم تبخلون بأموال أنتم أمناء عليه فقط وليست لكم في النهاية:

﴿ومالكُم الا تُنفقوا في سبيلِ الله ولله ميراثُ السمواتِ والأرض﴾ ١٠ ـ الحديد.

وحتى في الدنيا يأخذها من الذين يفشلون في الاختبار كأمة، ويعطيها لأمة أخرى من أجل إجراء الاختبار نفسه عليهم:

﴿إنّ الأرضَ لله يُورِثُها من يَشاء من عبادِهِ﴾ ١٢٨ ـ الأعراف.

﴿وأورثَكُم أرضَهُم وديارَهُم وأموالَهُم وأرضاً لم تَطَؤُوها﴾ ٢٧ ـ الأحزاب.

وما يهمنا في هذا البحث الذي جعلت له هذه المقدمة من الآيات القرآنية إظهار دور المال والأموال في حياة الناس وفي أوهامهم، وتبيان حقائق كثيرة غابت عن أذهان الجميع تقريباً، وظن كل إنسان من وهمه أنه خالدٌ مخلّدٌ في الأرض، لأنتقل بعد ذلك لمعرفة حقوق المرأة من هذا المال في كتاب الله ودينه، وماذا نفعل نحن المسلمون حقيقةً وواقعاً في تطبيقنا لدين آخر هو دين السلطان. وإن كنا نظن أنه دين الله. لكنَّ هذا الظن لن يغير الحقيقة الواقعة التي تبقى الأهم عند الله يوم الحساب.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿يُوصيكُم الله في أولادِكُم للذَّكرِ مثلُ حظِّ الأنثيَين﴾ ١١ ـ النساء.

﴿وإن كانوا إخوةً رجالاً ونساء فللذّكرِ مثلُ حظِّ الانثيَين﴾ ١٧٦ ـ النساء.

هكذا حدّد الله سبحانه حظّ الذكر وحظّ الانثى في الميراث في كتابه، فلماذا؟ انطلاقاً من علم ومعرفة أن الله تعالى هو أعدل الحاكمين، وانطلاقاً من إيماني بما قاله الله تعالى

عن نفسه في كتابه بأنه قد كتب الرحمة على نفسه. وانطلاقاً من إيماني الذي لايزعزعه شك بأنه أصدق القائلين فهو لايظلم مثقال ذرة أحداً:

﴿إن الله لايظلم مثقالَ ذرة﴾ ٤٠ ـ النساء.

فيجب إذاً أن تبحث عن سبب توزيع الله بهذا الشكل مع وجوب العدل وعدم الظلم في ذلك التوزيع الذي قرآناه في تلك الآيتين السابقتين.

إذا عدنا لآيات النفس في القرآن الكريم لوجدنا أن المرأة نفس مثل الرجل تماماً دون أي تمييز لنفس على الأخرى أبداً.

لكن تلك النفس أليست جسداً على الأرض لضرورة الدور الذي خصصه سبحانه للرجل أو الذكر كما خصص سبحانه دوراً آخر للمرأة أو الأنثى.

والله تعالى لم يخير أحداً في دوره هذا بل هو الذي خلق مايشاء ذكوراً وخلق أيضاً مايشاء من باقي النفوس إناثاً.

إذاً فهذه الأدوار مفروضة من الله علينا دون أن يكون لنا فيه فضل ذاتي أو خيار أساساً، والله تعالى أعطى لكل جسد منهما ميزات خاصة عن جسد الآخر، فاعطى الرجل بشكل عام زيادةً في القوة العضلية والبدنية، وحظاً أقلّ من العاطفة، وأعطى المرأة بشكل عام أيضاً بحيث تكون أقل من الرجل قوة عضلات، وأعطاها في مقابل ذلك قوة أكبر في العواطف من أجل أن تكون أماً.

فالمرأة التي نالت زيادة في العاطفة والحب والحنان مما يتطلبه دورها للأمومة ومسؤولياتها. نال الرجل في المقابل لقوته مسؤولية القيادة والحماية والرعاية لأسرته، والعمل والسعي للرزق، وجعل المرأة مسؤولة في البيت لرعاية الأسرة وشؤونها من تربية الأطفال وتنشئتهم تنشئةً صالحةً ورفع عنها المسؤولية المالية من عمل وجهد خارج البيت من أجل تحصيل الرزق والمال اللازم لبناء الأسرة والإنفاق عليها.

وحملها للرجل الذي عليه العمل والسعي في الحياة الدنيا من أجل تحصيله والإنفاق على أسرته. فكان لكل زيادة أو نقص في توزيع القوة والعاطفة والمسؤوليات تأثيراتها على النفس الإنسانية الكامنة فيهما، وشكلت بالتالي أسلوب تفكيرهما ومنطقهما ونظرتهما المختلفة لأمور الحياة.

علماً أن العقل موَزَّعٌ بينهما بالتساوي دون فارق لكن الرجل الذي لم يتأثر عقله

بجموح العاطفة بقيت له ميزة قدرة تحكيم العقل وتغليبه على أموره وقراراته بشكل عام طبعاً.والمرأة التي منحت في الأصل عاطفة أكثر لضرورتها لها حتى تكون أماً صارت لاتستطيع أن تتجرد من تلك العاطفة حتى ولو شاءت في قراراتها وأحكامها، خاصة في المجالات الإنسانية وفي توزيع الحقوق، أما في المجالات العلمية قلنا إنه لافرق بين عقليهما على الإطلاق، لكن هذه الفروق التي قررها الله وقدرها في الخلق أثّرت كما رأيتم في توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة.

فأعطى سبحانه الرجل درجةً وحَمَّلَهُ في مقابل ذلك المسؤولية القيادية والمالية فيما يتعلق باتخاذ القرارات السليمة لسلامة الأسرة الإسلامية على الأرض. والتي على سلامتها وقوتها يعتمد قوة المجتمع والأمة الإسلامية بأسرها. أو أية أمة تطبق سنن الله وقوانينه وبديهياته في الخلق.

وكما ذكرت مراراً فقد جعل من المرأة مقراً للرحم والمرحمة والأمومة ومصدراً للعطاء النفسي والمعنوي ومنبعاً أساسياً للحب على الأرض التي عن طريقها تَتَشَكَّلُ الروابط الأسرية والقومية بين الناس. وكلمة أمة مصدرها الأم والله سبحانه وتعالى لم يحرم الأنثى من أي حق منحه للذكر، فقد عاملها على أساس نفسٍ إنسانية واحدة، لافرق ولاتمييز ولاتمايز على الإطلاق.

لهما على حد سواء كامل الحقوق بالحرية وكل أنواع الحريات، ولهما كل أنواع الحقوق مثل التعلم والطموح والعمل في أي مجال تحبه وتجد نفسها مهيأة له، وليس من حق أي إنسان أن يمنعها في أن تفعل ماتشاء طالما كل ماتفعله ليس عليه نصّ من القرآن يمنعه، أو فيه مما يغضب الله الذي غالباً مما حرمه الله على الرجال والنساء على حد سواء.

لكن مع وجود كل هذه الحقوق بلا تمييز تغلب على المرأة غريزتها الأنثوية التي زرعها الله فيها دون أن يسألها رأيها عندما خلقها لتكون أنثى وكلفها ضمناً بمسؤولية الأمومة. فصارت هذه الغريزة حاكمة وغالبة فيها، شاءت ذلك أم أبت.

لذا نجد أن أَغلب نساء العالم إذا خيّرن وتركن لحريتهن لاخترنَ البيت وتربية الأطفال والعناية بهن، إذا كان دخل الزوج يكفي لتغطية متطلبات البيت الكثيرة، وما عمل النساء غالباً إلا عن اضطرار وليس عن رغبة واختيار.

لكن الله خلق من ضمن ماخلق في قوانينه (قانون الطفرة) وأقصد بالطفرة الخروج عن

القاعدة العامة الأساسية وعن حالة الوسط الاعتيادية.

وخلق الله هذا القانون من أجل التطور الدائم نحو الأفضل، ولولا هذا القانون لبقي كل شيء في الكون وفي الطبيعة على حاله دون أن يصيبه التطور مع الزمن الذي هو من ضرورات الحياة على الأرض.

والذي جعلني أتطرق لهذا الموضوع هو وجود حالات غير اعتيادية في ميل بعض النساء أو الرجال للعلم أو ميل خاص لبعض الفنون بشكل زائد عن الاعتيادي، وملفت للنظر والملاحظة، وهذه قاعدة صحية في أي مجتمع، فلابد للمجتمع المتعلم علماً صحيحاً أن يسمح لكل أفراده رجالاً ونساء على تحقيق هذه الطموحات التي عن طريقها يحقق المجتمع تطوره علمياً وفنياً وإبداعياً، مما يرفع تلك الأمة على مر الأيام بين الأمم على سلم الحضارة الإنسانية.

وإجبار المرأة إو إكراهها على اللزوم في بيتها بعد مرحلة معينة من الدراسة تقتل هذه الإمكانيات في مهدها وتخسرها البشرية كما تخسرها نفس الأمة التي كانت أولى بها أولاً. لذلك إكراه المرأة على ترك دراستها والتدخل في حريتها الشخصية التي منحها لها الخالق يؤدي كما رأينا إلى قتل كل المواهب والاستعدادات الحية في نصف الأمة بدون أي سبب إلا الجهل وعدم الإدراك الصحيح لهذه الأمور.

وهناك أمم متقدمة حضارياً وعلمياً تعيش اليوم على الأرض وقد اكتشفت هذه الأمور وتستغلها لصالحها فتشتري الأدمغة والعباقرة من جميع أنحاء العالم وتغريهم بكل المغريات لاستقطابهم والعمل عندها. وقد تستغربون أن تلجأ تلك الأمم إلى فتح جامعاتٍ في جميع أنحاء العالم ووظيفتها الأساسية هي اكتشاف هذه البراعم الفتية وتصديرها بعد إغرائها إلى بلدها للاستفادة منهم في جميع المجالات التي تحتاج إلى الفكر الإبداعي الذي لايمكن خلقه عند الناس بمجرد حشو المعلومات في ذاكرة الطلاب. وهذه البراعم لاتُعوَّضْ لأنَّ كل أمة لها نسبتها منهم التي لاتتجاوزها في كل جيل.

ومع الأسف الشديد إن أغلب هذه الإمكانيات تموت عندنا، ومن تسنح لهم الفرص نجدهم يحتلون أفضل المراكز العلمية ومراكز الأبحاث لمختلف أنواع العلوم في الغرب، بينما حتى لو عادوا إلى بلادهم الإسلامية، فلن يجدوا أحداً ممن يقدرهم أو عندهم أصلاً النية أو الخطة للاستفادة منهم ومن إمكانياتهم العلمية لأن من نسميهم العلماء

عندنا قد زرعوا في عقول أغلب الناس عند المسلمين أن علوم الدنيا العلم بها لاينفع والجهل بها لايضر.

والقرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة من الأمور التي تهم الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي إلا وعالجها ووضع لها الحلول الشافية والوافية. فحافظ على كرامة المرأة وإنسانيتها وحقوقها وبيَّن أيضاً واجباتها حتى تكون مرجعاً لكل المنظرين والمخططين لبناء مجتمع إسلامي موحد وقوي، والقوة يجب أن تبدأ دائماً من الأساس ومن القاعدة ومن داخل كل فرد، ولايمكن أن تبقى القوة من الخارج بالطائرات والدبابات والمدافع والقنابل الذرية وحدها. بالعكس هذه القوة سوف تكون وبالاً على كل الأمة في يوم من الأيام إذا لم تكن تلك القوة قد بدأت أساساً من الفرد (الرجل، والمرأة) ومن قناعتهما وإيمانهما أن مايفعلانه ويؤمنان به هو الحق.

ولكم مثال على ذلك، فما حصل في الاتحاد السوفيتي اليوم لم يحصل عن قلة في التسليح ولا في نوعيته، بل يمكن اعتباره أكبر ترسانة أسلحة في العالم من جميع أنواع الأسلحة والصواريخ، لكن كل ذلك لم ينفعها لأنها كانت تستند على عقيدة فاسدة وكاذبة، بحيث أصبح القادة والرواد للأمة يقولون عكس مايفعلون ويطبقون، والأمة عندما اكتشفت تلك الحقيقة توقفت بالتالي عن العمل مجاناً. عن وعي وليس عن جهل. وهذه هي حقيقة حالنا نحن المسلمين اليوم إذا استطعنا أن نوجه مناظير النقد لأنفسنا ولكننا وقعنا فيما نحن فيه نتيجة جهلٍ وليس عن وعي وعلم.

وبناء على كل ماتقدم أستطيع أن أبدأ وأقول:

إن إعطاء المرأة نصف حصة الرجل في الميراث لم يكن إجحافاً بحقها من الله أبداً إذا تم تطبيق ذلك الشرع في أمة إسلامية تطبق كل الشرع الإسلامي من بابه إلى محرابه بحيث لاتكون المرأة مسؤولة مالياً عن أي شيء في الأسرة ولاعن تكاليف تربية وتعليم الأولاد وتحمُّل مسؤولياتهم المالية الكثيرة وإنما يتحملها الرجل في مجتمع المسلمين الذي يطبق قوانين الإسلام المذكورة في كتاب الله وحده. بينما لايمكن تطبيق الشرع الإسلامي كله أو مايتعلق بأحكام الإرث على مجتمع علماني يطبق القوانين العلمانية الأخرى. لأن في ذلك ظلم شديد للمرأة.

ولا بد أن يتساءل المرء ولكن لماذا؟

لأن القوانين المطبقة في الدول التي أخذت بالنظريات والقوانين العلمانية في التنظيم

والإدارة للدولة ولمؤسساتها في السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية. تحمّل المرأة المسؤولية المالية مثل الرجل تماماً، فالمرأة في تلك الأنظمة مضطرة لأن تعمل في بيتها وخارج بيتها ولكن في المجتمعات الشرقية الإسلامية، ازدادت واجبات المرأة دون أن يكون فيما يقابل تلك الواجبات الإضافية أية حقوق إضافية كما في الغرب.

فإذا عاد الرجل إلى البيت طالبها بالحقوق الشرعية في الإسلام بأنها مسؤولة عن تربية الأطفال ومسؤولة عن أمور بيتها كله. أما هو فليس عنده استعداد لأن يتكلم أو يناقش بأن له دوراً جديداً بحسب الظروف المستجدة، ومن ناحية المسؤوليات زادت مسؤوليات المرأة عن الرجل فهي مجبرة على أن تعمل خارج البيت لتؤمن نصف دخل الأسرة حتى تستطيع الأسرة أن تفي بكافة مستلزماتها.

لذلك لابد أن نتفق منذ البداية: إما قوانين علمانية في كل مكان، أو شرع إسلامي - أيضاً - في كل مكان.

أما أن نُجيِّر الشرع الإسلامي من أجل التسلط على المرأة وأكل حقوقها هذا ظلم لايرضاه الله ولا حتى الناس الذين عندهم ضمير وأخلاق إنسانية، فعند تطبيق قوانين الشرع الإسلامي الآن في المجتمعات التي تطبق القوانين العلمانية تظلم المرأة في كثير من الأمور ومنها الميراث لأن المرأة مثل الرجل تماماً في تلك المجتمعات وعليها نفس المسؤوليات فلا بد من تعديل القوانين حتى قوانين وسنن الشرع يمكن تعديلها.

لأن الله تعالى عندما قال:

﴿يُوصيكُم الله في أولادِكُم للذّكرِ مثلُ حظِّ الأنثيين﴾ ١١ - النساء.

هذا معناه في الشرع الإسلامي الذي يسير على مبدأ الحدود، أن الحدّ الأعلى لحصة الذكر في الأسرة الإسلامية عند الميراث أن يأخذ الذكر ضعف حصة الأنثى، كما أن ذلك معناه أيضاً أن الحد الأدنى من حصة الأنثى في الأسرةنفسها هو نصف حصة الذكر.

لكن الإسلام لم يمنع القاضي الإسلامي عند تبدل الأعراف والظروف وتبدل أسلوب المعيشة ووسائل الإنتاج عند الناس أن يجتهد بنسبةٍ جديدة دون أن يتخطى حدود الله في ذلك التوزيع، بحيث لايعطي للذكر أكثر من الضعف ولايعطي أيضاً للأنثى أقل من النصف، أي بإمكانه أن يعطي الجميع بالتساوي دون أن يتخطى حدود الله أبداً، وهذا هو المطلوب الآن من كل المحاكم الشرعية الإسلامية في كل البلاد التي تطبق الشرع

الإسلامي إلى جانب القوانين والأنظمة العلمانية، وهذا من حق القضاء الإسلامي؛ ومن أجل ذلك وضع الله في أغلب الأحكام كلمة المعروف، التي تعني العرف والعادة عند الناس بحسب الزمان والمكان وتطورهما.

المهم: سواء عدَّلنا قوانين الشرع الإسلامي أو أوقفنا عملها لنطبق قوانين علمانية موحدة أن لانظلم المرأة ونتجاهل حقوقها لأنها أصبحت فعلاً مسؤولة مالياً في مجتمعاتنا الحالية(*).

أما أن نخلط النظامين، ونطبق على المرأة مانشاء تسلطاً وقوة، فهذا ليس إنصافاً ولا عدلاً أبداً؛ وإذا لجأنا للقرآن فماذا نجد فيه من آيات تحدّد حقوق المرأة مالياً في الميراث؟

﴿والذين يُتوفّون منكُم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهِم مَتاعاً إلى الحولِ غَير إخراج﴾ ٢٤٠ ـ البقرة.

الآية صريحة وواضحة وتُعطي الزوج الحق في أن يوصي بما يشاء لزوجته.

مثلاً: من حقه أن يوصي بالبيت، أن لايباع، وأن لاتُخرَجَ منه الزوجة خلال حياتها إلا إذا شاءت هي أن تتركه، وتتزوج غيره بعد وفاته فتلك حريتها، وكما أن من حقه أن يوصي بما يشاء لزوجته من أموال أو لبناته أيضاً بما يشاء والوصية واجبة التنفيذ في الإسلام (أقصد إسلام القرآن والرحمن)، بينما نجد في دين السلطان أنه قد ألغى كل مفعول تلك الآيات التي فيها الوصية، ولا ينظر القاضي الشرعي لكل الوصية بأكثر من كلام فارغ من المعنى لأنه يطبق ماهو مكتوب عنده في كتب الفقه الصفراء، هكذا قالوا له الفقه والشرع الإسلامي، وهو لايعرف فقهاً غيره وهو على غير استعداد لأن يفتح القرآن ليرى مافيه، أبداً.

وماذا عن المطلقات:

﴿وللمطلّقاتِ مَتاعٌ بالمعروفِ حقاً على المتّقين﴾ ٢٤١ ـ البقرة.

وماذا إذا كان الزوج قد أعطى زوجته قبل أن يطلقها جواهر وذهباً؟

﴿ولايَحلّ لكم أن تأخُذوا ممّا آتيتُموهُنّ شيئاً﴾ ٢٢٩ ـ البقرة.

(*) أرجو أن لايفهم القارئ أن الله تعالى يخيّر الإنسان بين تطبيق الشرع الذي هو من رب العالمين أو تطبيق قوانين وشرع الإنسان التي هي القوانين العلمانية. فالله تعالى لا ولن يقبل بديلاً عن شرعه ولكن ما كتبته فقط لأبيّن أنّ القوانين العلمانية أقلّ ظلماً للإنسان وأقرب من شرع الله مما نطبقه نحن على أنه شرع الله.

﴿يا أيّها الذينَ آمنوا لايحلّ لكم أن تَرِثُوا النساء كَرهاً﴾ ١٩ ـ النساء.
أي أن تأخذوا منهن أموالهن بالقوة والإكراه، وهنَّ على قيد الحياة.
﴿ولا تَعضلوهنّ لتذهبوا ببعضِ ما آتيتُموهنّ﴾ ١٩ ـ النساء.
كأن يقول الرجل مثلاً بعد أن علم أن الحياة الزوجية أصبحت مُحالة بينه وبين زوجته «لن أطلقك حتى تعيدي لي مثلاً كذا وكذا مما دفعت إليك أو أعطيتك سابقاً»
﴿وإن أردتُم استبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ وآتيتُم أحداهُنّ قِنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ ٢٠ ـ النساء.
﴿وكيف تأخذونَه وقد أفضى بعضُكم إلى بعضٍ وأخذنَ منكُم ميثاقاً غليظاً﴾ ٢١ ـ النساء.
وهكذا نكتشف من جديد أن حقوق المرأة محفوظة ومصونة بكاملها في إسلام الله الذي توقفنا عن تطبيقه أربعة عشر قرناً وحتى اليوم.
وإذا قلنا ذلك اليوم للمسلمين وخاصة من أدعياء العلم منهم أخذتهم العزة بالإثم، وقالوا: إنّما نطبق شرع الله.
﴿وإذا قيلَ لهُ اتّقِ الله أخذتهُ العزّةُ بالإثم﴾ ٢٠٦ ـ البقرة.
وحقوق المرأة المالية لاتتأثر أبداً بأشكال حالات الطلاق سواء كان للمرة الأولى أو الثانية أو الثالثة.
والفرق الوحيد بين تلك الحالات أن الله تعالى لايريد أن يجعل من الطلاق لعبة بين الزوجين فيحدّدُ لهما أن الطلاق مرتان:
﴿الطلاق مرتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان ولايحلّ لكُم أن تأخذوا ممّا آتيتموهن شيئاً﴾ ٢٢٩ ـ البقرة.
حتى في هذه الآية يشدد الله على عدم أخذ شيء سبق وأعطاه الزوج زوجَهُ، فقد أصبح من حقها مهما كان ذلك الشيء كبيراً أو ثميناً، لايحل له الرجوع عنه.
ولكن جنود السلطان فهموا أن التسريح مع الإحسان للمطلقة، أن يرسل المطلق كيلاً من شعير لمطلقته لأن هذا هو كل ماتستحقه ولو بعد عمر طويل من زواج وعشرة، هكذا وجدوا التفسير الأفضل لكلمة الإحسان الموجودة في القرآن، والله سبحانه وتعالى أرسل القرآن ليكون ديناً دائماً للناس على الأرض إلى يوم القيامة وفي كل العصور

والأزمان القادمة لايتدخل بالتفصيلات الدقيقة في مواضيع النفقة بل يتركها لحسن تقدير القاضي الشرعي الذي يفترض فيه أنه يطبق شرع الله الذي في القرآن الكريم وآياته فكيف يمكن أن يفهم الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان بحسب تطور الزمن وتطور أحوال الناس ويراعي الأحوال والظروف المالية والاجتماعية للزوج والزوجة قبل أن ينطق بالحكم، وهو حر في أن يتحرك بحكمِهِ بحسب كل تلك الظروف بين حدود الله لإعطاء الحكم العادل.

﴿وإذا طلّقتم النساء فبلغنَ أجلَهنّ فأمسكوهنّ بمعروفٍ أو سرّحوهنّ بمعروف ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدُوا ومن يفعلِ ذلك فقد ظلَمَ نفسَهُ ولا تتّخذوا آيات الله هزواً واذكُروا نعمتَ الله عليكم وما أُنزلَ عليكُم من الكتابِ والحكمةِ يَعِظُكُم بِهِ واتّقوا واعلموا أنّ الله بكلِ شيء عليم﴾ ٢٣١ - البقرة.

إن الله تعالى الذي يعلم الغيب ويعلم كيف سيتصرف كثير من الناس الذين يدّعون الإيمان والإسلام وكيف سيتخذون من آيات الله هزواً فيلجؤون لما سموه بالحيلِ الفقهية، بحيث إذا طلق الرجل أكثر من مرتين أتى برجل يُدعى المحلل وعقدوا له صورياً على المرأة مقابل أن يدفعوا له مبلغاً من المال على أن لايلمس المرأة وفي الصباح الباكر يطلق المرأة ويقبض أجرته وينصرف حتى يستطيع الرجل إعادة زوجته بتلك الطريقة التي ظن بها أنه قد (ضحك على الذي خلقه) وهو لم يضحك إلا على نفسه بمساعدة الشيطان الذي سخر منه وهو من أحد جنود السلطان، هذا نوع من أنواع الهزء بآيات الله.

﴿للرجـالِ نصيبٌ مما تركَ الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٍ مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ ٧ - النساء.

﴿يوصيكُم الله في أولادِكم للذَّكرِ مثل حظ الانثيين فإن كنّ نساء فوق أثنتَين فلهنَّ ثلثا ما تركَ وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكلِ واحدٍ مهما السُّدسُ مما تركَ إن كان له ولد، فإن لم يكن لهُ ولدٌ ورثهُ أبواهُ فلأمّهِ الثلث، فإن كان له إخوة فلأمه السُّدسُ من بعد وصيةٍ يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لاتدرونَ أيهم أقربُ لكم نفعاً فريضةً من الله إنَّ الله كانَ عليماً حكيماً﴾ ١١ - النساء.

وهكذا نجد أن الوصيَّة لها دور أساسي في عملية الإرث الإسلامي والإنسان له الحرية في أن يورِّث من يشاء..

﴿ولكم نصفُ ماتركَ أزواجُكُم إن لم يكن لهنّ ولدٌ فإن كان لهنَّ ولدٌ فلكُم الربعُ ممّا تركنَ مِن بعدِ وصيةٍ يُوصينَ بها أو دين ولهنّ الربعُ مما تركتُم إن لم يكن لكُم ولدٌ فإن كانَ لكُم ولدٌ فلهنّ الثُّمن مما تركتُم من بعدِ وصيةٍ تُوصونَ بها أو دين وإن كان رجلٌ يورثُ كلالة أو امْرأةٌ ولهُ أخٌ أو أختٌ فلكل واحدٍ منهما السُّدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصيةٍ يُوصى بها أو دين غير مضار وصيةٍ من الله والله عليمٌ حليم﴾ ١٢ ـ النساء.

أحببت أن أذكر هذه النصوص القرآنية وأضعها أمامكم لتكون شاهدة عن نفسها بحقوق المرأة في الإسلام وكيف يترك الله حرية الوصية للمورِّث في أن يورِّث مايشاء لمن يشاء. هذه الحرية التي قضى عليها جنود السلطان في الدين الجديد للمسلم حياً أو ميتاً فلم يعد له حرية على الإطلاق في ذلك الدين كل شيء قد كتبه عليه السلطان سلفاً. وهذه هي أغلب الآيات القرآنية التي لها علاقة بحقوق المرأة المالية في دين الله التي بواسطتها يمكن تحديد نصيب المرأة وتقدير حقوقها المختلفة.

أحببت أن أبرز دور الوصية في تلك الآيات كلها من الزوج أو الأب أو الأخ أو الابن بالنسبة للمرأة، التي يمكن أن يوصى لها في عملية الميراث، زوجةً أو ابنةً أو أختاً أو أماً، فوجود الوصية يحل إشكالات كبيرة لأن الموصي يمكن أن يحل مشكلة المرأة في الحالات الأربعة السابقة من غير ظلم من أحد، مثلاً:

أب عنده ولد وبنت، الولد اطمأن عليه الأب في حياته فهو رجل أعمال ناجح وغني وأحواله ممتازة والبنت قد تكون عانساً أو ربما مطلقة أو زوجها فقير، والأب يرغب بأن يؤمن حياة هذه البنت أسوة بأخيها، بإمكانه حسب نصوص الشرع الإسلامي في القرآن أن يوصي أمام شاهدين أو أمام محام محلف بمايشاء من ماله ثم يوزع الباقي بحسب نصوص الشرع الإسلامي أيضاً في القرآن..

إن أغلب المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية لم تعد تنظر في الوصية ولا تطبقها، رغم أنها مذكورة في كل حالات توزيع الميراث في القرآن كما لاحظتم.

وكل من يدعي ويقول إن الإسلام قد أنصف المرأة وهو يعني بذلك الإسلام المطبق حالياً على بلاد المسلمين لايعرف ماذا يقول، بل يستطيع الباحث أن يؤلف كتاباً على المظالم التي ترتكبها محاكم الشرع الإسلامي عندنا في حق المرأة بالذات، فالمرأة في جميع الدول الإسلامية صارت بحسب القوانين الموجودة والمطبقة مسؤولة مالياً كالرجل

تماماً إن لم تكن أكثر، فتطبيق مانسميه الشرع الإسلامي عليها حالياً فيه إجحاف لأن الإسلام الذي منحها النصف كان قد أعفاها من كل المسؤوليات المالية أصلاً.

أما أن نجعلها مسؤولة مالياً مثل الرجل ثم نعطيها نصف الرجل فإن ذلك منتهى الظلم، ولإنصافها لابد من إعادة سير مفعول الوصية حتى يوصي أبوها لها بما يشاء، أو تعديل القوانين المدنية العلمانية المطبقة في البلد، وتوزيع الإرث بالتساوي على النساء والرجال من دون أي تفريق، لكن تطبيق قوانين مختلطة، بعضها من الأرض وبعضها من السماء، ويختار الرجل مايشاء عند التطبيق لأنه الأقوى فهذا إجحاف وظلم ظاهر إن كنا نعد أنفسنا من المسلمين ونخشى الله كما ندعي، وبما أن هذا الكتاب ليس كتاباً فقهياً لدراسة نصوص الفقه الإسلامي فسوف اكتفي بما ذكرت حتى الأن مع عدم نسيان مالفت نظري في صحيح البخاري ومسلم عندما رجعت لأرى ماذا اكتتب جنود السلطان من روايات وأحاديث وبحثت فيها عن حقوق المرأة المالية فوصلت في النتيجة إلى خيبة أمل إذ ليس فيهما أي شيء عن حقوق المرأة فعدت إلى تفسير آيات القرآن للبخاري وكذلك لمسلم، لعلهما فسّرا وكتبا عن آيات القرآن التي توضح تلك الحقوق بالتفصيل كما قرأنا في بعض تلك الآيات التي ذكرتها في هذا البحث، فلم أجد أي شيء يشير أو حتى بوجود نيّة من السلطان وجنوده للاعتراف بأية حقوق للمرأة مالياً. فليس في دين السلطان حقوق مالية للمرأة، بينما نجد الأحاديث التي تصف الجنة ومافيها من الحور العين بالآلاف خصيصاً من أجل السلطان وجنوده الأتقياء وهن ينتظرن بفارغ الصبر أزواجهن على الأرض حتى يلاقوهنّ في الجنة مع وصف بالتفصيل الممل كم عذراء يمكن لكل واحد منهم أن يَفُضَّ في اليوم والساعة وكيف تعود لها عذريتها مباشرة بعد وطئهن حتى يستطيع أن يفضَّها من جديد متى شاء هذه هي الأمور التي كانت تشغل ذهن السلطان وجنوده من أول سلطان وإلى آخر أيام السلطان عبد الحميد التركي العثماني. آخر خليفة إسلامي. رحمهم الله جميعاً ورحمنا أجمعين.

الفصل السابع والثلاثون

الحرام والحلال في الإسلام

أعتقد أن القارىء الكريم حتى هذه المرحلة من البحث وإن كان إلمامه بهذه المشكلات الإسلامية سطحياً في السابق قد أصبح على مستوى من الإلمام بالحقائق التي توجه هذه القضايا في حياة المسلمين.

فالله سبحانه وتعالى قد ربط بنفسه مباشرة موضوع التحريم والتحليل ولم يسمح لأحد من رسله وأنبيائه في السابق ولا في اللاحق أن يتدخلوا في هذا المجال بالذات.

والأدلة والبراهين على هذا الموضوع كثيرة: منها ماحصل قبل الرسالة الإسلامية، ويعلمنا بها رب العالمين في القرآن الكريم كما في الآية:

﴿كلّ الطعام كانَ حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرّمَ إسرائيلُ على نفسهِ من قبلِ أن تُنزلَ التوارةُ قل فأتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتُم صادقين﴾.

إدعاء من أهل الكتاب بالتحريم يقابله الله بالتكذيب طالباً من أهل الكتاب أن يأتوا بالتوراة هل يصدق هذا الإدعاء أم يكذبه؟ لأن الله لم يسمح سابقاً ولا لاحقاً أن يتدخل رسول في هذا الموضوع على الإطلاق.

والسلطان الذي يعتمد حكمه للناس على أساس ديني من مصلحته أن يجعل لنفسه الحرية في التدخل في موضوع الحرام والحلال لأن هذا الموضوع يحد من حرية تصرفاته في أهوائه ورغباته الشخصية في المأكل والمشرب والزواج، وهي الرغبات الأساسية الثلاثة التي يجب أن تكون له حريةٌ في التدخل فيها تلبيةً لأهوائه الجموحة، فنجد أن هذا الموضوع قد أخذ دوراً هاماًفي تعديل أي دين من قبل السلطان وجنوده.

﴿ثمانية أزواج، من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل الذكَرَين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنَين قل الذكرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين أم كنتُم شهداء إذ وصّاكُم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضلّ الناسَ بغيرِ علمٍ إن الله

لايَهدي القومَ الظالمين. قل لاأجدُ في ماأوحيَ إليّ محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير فإنه رجسٌ أو فِسْقاً أُهِلَّ لغيرِ الله بِهِ فمن اضطُر غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربَّك غفورٌ رحيم﴾ ١٤٥ ـ الأنعام.

يحاور الله في هذه الآيات أهل الكتاب ويبين محاولاتهم في التحريم والتَّحليل باسم الله ظلماً، والظالم هو الإنسان الذي يعلم الحقيقة فيقول عكسها، لذا يقول الله سبحانه:

﴿فمن أظلمُ ممّن افترى على الله كَذِباً لِيُضِل به الناسَ﴾.

﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرجَ لعبادِهِ والطيباتِ من الرّزق﴾ ٣٢ ـ الأعراف.

كل هذه الآيات في القرآن كانت أجوبة لأهل الكتاب الذين يحاورون الرسول في موضوع المحرمات التي كانوا يعتبرونها محرمة من الله عز وجل.

وأحياناً يحرم الله سبحانه بعض الطيبات كعقوبة على بعض الأمم:

﴿فبظلمٍ من الذينَ هادُوا حرَّمنا عليهم طيباتٍ أُحلَّت لهم﴾ ١٦٠ ـ النساء.

ومن هذه المحرمات على أهل الكتاب:

﴿وعلى الذين هادُوا حرّمنا كلَّ ذي ظفرٍ﴾ ١٤٦ ـ الأنعام.

﴿ومن البقرِ والغنمِ حرّمنا عليهم شحومَهما﴾ ١٤٦ ـ الأنعام.

ولكن أهل الكتاب حرموا أشياء أخرى إفتراء على الله:

﴿وحرّموا مارزقَهم الله افتراء على الله﴾ ١٤٠ ـ الأنعام.

﴿وعلى الذينَ هادُوا حرّمنا كلّ ذي ظفرٍ ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلاّ ماحملَت ظهورُهما أو الحوايا أو مااختلطَ بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لَصادقون﴾ ١٤٦ ـ الأنعام.

والآن ماهو سر اهتمام جنود السلطان في نصوص التعديل الخاصة بالتحريم والتحليل؟

لنفهم الموضوع لابد من إعادته لقانون المصلحة لأن السر دائماً في تلك المصلحة والتحريم والتحليل يتعلق بأهم الأشياء التي يهتم بها السلطان، وهي تلك المرتبطة بالغريزة الجنسية وغريزة الطعام والشراب، وكلها من الشهوات الأرضية.

ولرغبة كل السلاطين في موضوع الشرب (خاصة الخمور) نجد أن أهل الكتاب عدَّلوا جميعاً بالتدريج كل النصوص المقدسة محللين الشرب لكل الأنبياء والرسل فيصفونهم جميعاً يشربون فقلدهم جنود السلطان عندنا وفعلوا ذلك في النصوص المقدسة، وسلطان المسلمين هو الذي طلب ذلك الأمر لرغبته في الحصول على تحليل تلك الأمور المرغوبة جداً في الليالي الملاح التي كانت تعقد بالرقص والأفراح في أمسيات السلطان الطويلة، وقد يستغرب المسلم عندما يجد حديثاً باسم الرسول ﷺ يحرم منه لحم الحمر الأهلية وماهي غاية السلطان من هذا التحريم؟ طبعاً ليس غاية السلطان المحافظة على الحمير أو رفقاً بهذا الحيوان بالذات، ولكن صدف وجود حديث بين أيدي جنود السلطان والرسول يقول لهم اكفئوا القدور، وكانوا يسلقون لحم الحمير التي ربحها الصحابة في غزوة خيبر، ولايعلمون يقيناً لماذا أصدر الرسول هذا الأمر وهم مختلفون حول الموضوع في الروايات: قسم يقول بأن الحمير كانت من الغنائم، والذين ذبحوها فعلوا ذلك قبل إخراج الخمس الذي هو من حصة الله والرسول، وقسم يقول إن الرسول أمر بعدم ذبح الحمر الأهلية لأنه خشي أن لايبقى مع الناس مايحملون عليه في خيبر، ولكن جنود السلطان استغلوا القصة برمتها فقط ليثبتوا بالحديث بأن الرسول يحق له أن يحرم ويحلّل دون الرجوع إلى الله.

هنا بيت القصيد في كل القصة، لأنهم إذا استطاعوا زرع ذلك فالخطوة الثانية هي أن يؤلف جنود السلطان الحديث الذي يرغب السلطان بتحليله وقد استغلها السلطان فعلاً في تحليل الخمر كما رأينا ذلك في بحث الخمرة. كما استغلها أيضاً في موضوع زواج المتعة، فقالوا إن الرسول حلل ذلك؛ كما استغلوا ذلك في موضوع السبايا الذي جعلوه دائماً بتحوير موضوع الجهاد كما رأينا في بحث الجهاد حتى يكون مصدراً للغنائم ومصدراً لتدفق السبايا دائماً لأن موضوع (ماملكت أيمانكم) جعلت النساء رقماً مفتوحاً للسلطان.

وموضوع شرب الخمرة وتحليلها كان من أهم الأمور التي تهم سلطان المسلمين وتقلقه وتجبره على الشرب متخفياً لذلك نجد حتى في صحيح البخاري باباً خاصاً يقول:

(باب مايكره من لعن شارب الخمروأنه ليس بخارج عن الملة)

لأن السلطان لايريد التشديد على شارب الخمرة أو نظر الناس لشارب الخمرة، فهي من المرغوبات التي كان يسعى إليها في جلسات سمره ومرحه مع ندمائه أو مع نسائه...

ففي الحديث رقم (٦٧٨) من صحيح البخاري: أن رجلاً من القوم قال على شارب الخمرة:اللهم العنه ماأكثر مايؤتى به (مخموراً)، فقال النبي ﷺ:«لاتلعنوه فوالله ماعلمت أنه يحب الله ورسوله».....

وفي الحديث رقم (٦٧٨١) من صحيح البخاري: قال رجل: ماله أخزاه الله فقال رسول الله ﷺ:

«لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم».

وطالما صار عند السلطان حديث في الصحيح يقول له:

«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

فقصص التوراة كلها تتحدث عن أنبياء إسرائيل، وكل الأنبياء السَابقين بحسب التوراة المحرفة كانوا يشربون الخمر ويسكرون ويزنون بلا حرج فأصبحت الخمرة بحسب تلك النصوص من الصغائر بعد أن كانت من الكبائر. ثم كما قلت فإن جنود السلطان يحاولون دائماً إيجاد منافذ على موضوع التحليل والتحريم بحجة أن الرسول حرم، أو الرسول حلل..

الحديث رقم (١٣٦٢) من صحيح مسلم، عن جابر قال: قال النبيﷺ:

«إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرَّمْتُ المدينة مابين لابتيها ولايقطع عِضاهُهَا ولايصطاد صيدها».

مع أن كل جنود السلطان يعلمون أن الله هو الذي حرم مكة وليس إبراهيم، يقول تعالى:

﴿أوَ لَم يَرَوا أنّا جعلنا حَرَماً آمناً﴾ ٦٧ ـ العنكبوت.

﴿إنَّما أُمِرتَ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدةِ الذي حرّمها ولهُ كلُّ شيء﴾ ٩١ ـ النمل.

وحتى يبين الله لكل الناس أن موضوع التحريم والتحليل تابع له وحده يقول سبحانه:

﴿قل أرأيتُم ماأنزلَ الله لكُم من رزقٍ فجعلتُم منهُ حراماً وحلالاً قل ءَألّلهُ آذنَ لكُم أم على الله تفترون﴾ ٥٩ ـ يونس.

﴿وما ظنّ الذينَ يفترونُ على الله الكذبَ يومَ القيامةِ إن الله لذو فضلٍ على الناسِ ولكنَّ أكثرَهُم لايشكرون﴾ ٦٠ ـ يونس.

هذه الآيات في الأصل موجهة لأهل الكتاب الذين سبق وحرفوا كتبهم كما رأينا ذلك في نصوص التوراة، وقد فعلوها من أجل السلطان حتى يعيش في نعيم الأرض وعنده الآلاف من النساء، ويشرب الخمر بحسب السنن التي ألفها وسنها لهم جنودهم المخلصون افتراء وكذباً وهم يعلمون ماذا يفعلون، ثم فعل جنود سلطان المسلمين تماماً مثل مافعل أهل الكتاب بما زعموا أنها من أقوال الرسول الكريم، التي هي أيضاً وحي من الله، ليجعلوا لها قوة ومفعول القرآن حتى يصل سلطان المسلمين إلى جنة الله على الأرض، وهو يتقلب كما يشاء بين الحريم والنساء، ويشرب الخمرة متى يشاء، دون أن يشعر بالحرج أو أنه مهدد من قبل أحد بالتكفير أو الخروج من الدين، وإنما يفعل بسنة الله ورسوله ولقد سهَّل له جنوده كل ذلك بأحاديث شهد لها بالصحة جمهور علمائه بالإجماع. فإذا سمح الله للرسول أو لغيره من الرسل، فلماذا إذاً يعاتبه الله سبحانه لمجرد أنه توقف عن شرب العسل عند أحدى زوجاته لمؤامرة نسائية حصلت بين نساء الرسول حول هذا الموضوع، في بداية سورة التحريم:

﴿ياأيّها النبي لِمَ تحرّم ما أحلَّ الله لكَ تَبتغي مرضاتَ أزواجِك﴾ ١ ـ التحريم.

ثم يقص الله ما حصل بين أزواجه ويفضح مؤامرتهن، وكانت نتيجة هذه القصة أن نساءه كلهن خفن أن يطلقهن الرسول جميعاً لكنه اكتفى بأن هجر المذنبات منهن شهراً كاملاً، ثم عاد إليهن، كان ذلك درساً قاسياً للجميع.

فإن الله سبحانه وَضَّحَ للجميع عندها بأنه لايريد من أحد أن يجعَلَ من موضوع التحليل والتحريم مزاحاً ومجالاً للتسلية عند المسلمين، ولذلك نبه كل المسلمين في الآية:

﴿لاتقولوا لما تَصِفُ ألسنتُكُم الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرام لتفتروا على الله الكَذِبَ إنّ الذينَ يفترونَ على الله الكَذِبَ لايفلحون﴾ ١١٦ ـ النحل.

كيف تجعل نصوص الأحاديث الحلال حراماً والحرام حلالاً؟

كما شرحت سابقاً فإن نصوص القرآن لم تكن تناسب طموحات السلطان في أن يجعل القدوة في دينه من نصوص ذلك الكتاب الذي لايقبل التأويل أو التحريف فأبعدوه بسرعة ولجأوا إلى الروايات من الأحاديث التي سهلت الموضوع كما يشاء وأكثر.

(باب إباحة ميتات البحر)

علينا أبا عبيدة، نتلقى عيراً لقريش وزوّدنا جِراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة (في قصة طويلة مفادها أنهم جاعوا جوعاً شديداً ولم يبق معهم مايأكلوا أبداً إلى أن رأوا جثة حوت العنبر على شاطىء البحر).

فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: مَيتَةٌ. ثم قال: لابل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً، ونحن ثلاث مائة حتى سمنّا».

كل من يقرأ هذا الحديث وعنده إلمام واضطلاع على الموجود في القرآن الكريم من آيات يعلم فوراً أنه ليس في الموضوع إباحة جديدة، وتحليل سبق أن حرمه الله أبداً فالمحرم مازال محرماً في الإسلام والمحلل أيضاً مازال مُحللاً في إسلام القرآن، لكن جنود السلطان يبحثون عن أبواب جديدة عن طريق الأحاديث حتى يحللوا كما يشاؤون ويحرموا كما يشاؤون، وسوف أبرهن لكم هذا الكلام حتى لايكون مجرد ادعاء، فما فعله أبو عبيدة يفعله كل مسلم يقرأ القرآن ويطبقه، حيث يقول الله تعالى في آية التحريم:

﴿قل لاأجدُ في ماأوحيَ إليَّ محرَّماً على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكونَ ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير فإنه رجسٌ أو فسقاً أُهلَّ لغيرِ اللهَ به فمن اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ ربَّكَ غفورٌ رحيم﴾ ١٤٥ ـ الأنعام.

وهكذا نجد في نهاية هذه الآية أن الله تعالى عاد فحلل كل المحرمات في حالة الاضطرار (الضرورة). وبما أن أبا عبيدة كان يفهم القرآن عرف كيف يتصرف عند الضرورة فأباح لهم الأكل من حوت ميت حرامٌ أكله إلا للمضطر...

لكن جنود السلطان وجدوا ذلك فرصة للتحليل في المحرمات، حيث نجد في صحيح البخاري في كتاب الذبائح والصيد الباب رقم (١٢) (باب قول الله تعالى أحل لكم صيد البحر) نفس الحديث السابق تحت رقم (٥٤٩٣) من صحيح البخاري.

وقال عمر: صيده ما أصطيد، وطعامه مارمى به.

وقال أبو بكر: الطافي حلال..

وقال ابن عباس: طعامه ميتته...

وقال شريح صاحب النبي ﷺ: كل شيء في البحر مذبوح.

إن كل هذه الأقوال الأربعة السابقة تستند إلى قصة أبي عبيدة التي بينت لكم عن طريق

نص من القرآن الكريم أن مافعله أبو عبيدة لم يناقض الشرع والدِّين الذي في كتاب الله بل كان متمشياً معه تماماً. لكن جنود السلطان أتى دورهم الآن بأن يجعلوا من تلك الحادثة مناسبة للتحليل كما يشاؤون، ولكن كيف؟

في القول الأول المنسوب لعمر بن الخطاب الشطر الأول صيده ما اصطيد لاغبار عليه ولكن نجد في الشطر الثاني والأخير منه «وطعامه مارمى به» استناداً للحديث السابق الذي نجده في صحيح البخاري أيضاً:

الحديث رقم (٥٤٩٣) من صحيح البخاري: عن ابن جُرَيج عن جابر قال:

غزونا جيش الخبط، وأُمِّرَ أبو عبيدة فجعنا جوعاً شديداً فالقى البحر حوتاً ميتاً لم يُرَ مثله يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فمر الراكب تحته، (كناية عن أنه كان ضخماً).

وجدنا أن أبا عبيدة حلل أكله مستنداً إلى الآية السابقة التي تحلل المحرم للإنسان في حالة الاضطرار. وقلنا كان ذلك من حق أبو عبيدة. وانتهى أمر تلك القصة.

لكن جنود السلطان يريدون أن يجعلوها حالة عامة من جديد، بحيث يحللون ميتة البحر للمضطر ولغير المضطر أيضاً (حلال تام) وهذا لايجوز قطعاً. وإلا فلماذا حلل الله أو حرم أصلاً الميتة؟

إنَّ في البحر أصنافاً من الأحياء بأضعاف أنواع الأحياء الموجودة على الأرض، هذه حقيقة علمية، قسم منها يتنفس من خلال الماء عن طريق غلاصم إذا أخرجت من الماء وهي حية تموت اختناقاً لأنها لاتستطيع أن تتنفس من الهواء مباشرة مثل الأسماك وهذه إذا أخرجت حية وماتت اعتبرت من الصيد فهي حلال، وهو ماورد في الشطر الأول من حديث عمر لكن الشطر الثاني يقول:

«وطعامه مارمى به»:

فالذي يرميه البحر يكن قد مات قبل ذلك مثل حوت أبي عبيدة وهذا لايحل أكله إلا للمضطر الذي يموت جوعاً وهو على باقي الناس حرامٌ قطعاً.

والثاني أن في البحر حيوانات كثيرة تتنفس وتتوالد مثل الحيتان والدلافين والفقمة ومنها مايبيض على الشاطىء كالسلاحف البحرية، هذه كلها لابد من ذبحها قبل أكلها حتى يسيل الدم الأحمر الذي فيها.

يسيل الدم الأحمر الذي فيها.

وكما أننا نجد قول أبي بكر (الطافي حلال):

هذا لايمكن أن يقوله أبو بكر أبداً لأنه يعلم بأنه محرم لكونه من الميتة، وكل ميت محرم في الإسلام سواء كان أصله من البحرأو من البر، هذا لاخلاف عليه، والله لم يحدد أو يفرّق بين ميتة البر أو البحر أصلاً لأنَّ كلاهما ميّتٌ وانتهى الموضوع.

وقول ابن عباس (طعامه ميتته):

هذا مناقض أيضاً للقرآن لأن الميت لايؤكل وهو محرم قطعاً كما رأيتم دون تحديد لمكان إقامة المخلوق فإذا كان من نوع السمك فلابد من صيده حياً أولاً للتأكد من أنه لم يكن من ميتة البحر فيموت عند الصياد وهذا من الصيد المحلل.

وإذا كان من باقي الحيوانات الأخرى التي تتنفس لابد من ذبحها حتى تموت كالفقمة والدلفين أو السلحفاة، وماكان ميتاً منها محرم أكله كما رأيتم في الآية القرآنية.

وفي القول الرابع نجد قول شريح صاحب الرسول:

(كل شيء في البحر مذبوح):

هذا لايقوله إلا إنسان يعيش في الصحراء ولايعرف ماذا يعيش في البحار من الأحياء، ليس في البحر أي شيء مذبوح أبداً لأن المذبوح ميت ومايعيش في البحار إلا الأحياء البحرية لكن هناك نوعان كما ذكرت لكم:

نوع إذا أخرج من الماء مات اختناقاً، وهو السمك بأنواعه وإخراجه من الماء هو صيده ونوع آخر ولو أخرج لايموت ولابد من ذبحه لأنه يتنفس مثلنا تماماً وهكذا وجدتم أن كل ذلك الكلام من أباطيل جنود السلطان قالوها كذباً وافتراء على الله والرسول والصحابة الكرام من أمثال أبو بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً.

وفي باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، نجد مثلاً:

الحديث رقم (١٩٣٦) من صحيح مسلم: أن أبا ثعلبة قال:

(حرّم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية) وكما نجد أيضاً في صحيح البخاري الحديث رقم (٥٥٢٨) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أمر منادياً فنادى في الناس: «إن الله ورسوله

(*) قد يكون المنادي من اليهود لأنهم يعتبرونها في دينهم من الرجس فعلاً، خاصة وأنهم كانوا وقتها في غزوة خيبر.

ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية، فإنها رجس» فأكفئت القدُور وإنها لتفور باللحم(*).

وأنا أقول لكل من يدعي بصحة هذا الكلام ما قاله الله تعالى قبل ذلك:

﴿قل هَاتُوا بُرهانكُم إن كُنتُم صَادِقِين﴾ ١١١ ـ البقرة.

أين أمرُ الله ورسوله على هذا في القرآن الكريم؟

بل نجد في نفس الأحاديث مايكذب تلك الأحاديث لأنها ليست من الله:

الحديث رقم (٩٨٧) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: في حديث طويل يهمنا منه هذا المقطع:

«قيل: ياسول الله! فالحُمُر (جمع حمار. أي: فما حكمها؟ حاشية مسلم) قال: «ماأُنزِلَ عليَّ في الحُمُر شيء، إلا هذه الآية الفاذَّة الجامِعَةُ»:

﴿فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يَرَهُ ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يَرَه﴾

بصراحة لم أفهم ماعلاقة الحمير بهذه الآية الكريمة في هذا الحديث الشريف، ولكن يكفيني قوله ما أُنزل عليَّ في الحُمُرِ شيء.

ثم نعود مرة أخرى إلى التحريم والتحليل للحيوانات:

الحديث رقم (١٩٣٣) من صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«كل ذي ناب من السباع فأكله حرام»

الحديث رقم (٥٥٣٠) من صحيح البخاري: «عن أبي ثعلبة أن رسول الله نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع».

كل هذه الأحاديث مفتراة على الرسول والدين الإسلامي، لأنها أصلاً من التوراة المحرفة وقد أخبرنا عنها رب العالمين في القرآن الكريم:

﴿وعلى الذينَ هادُوا حرّمنا كلّ ذي ظفرٍ﴾ ١٤٦ ـ الأنعام.

وذو الظفر هي الحيوانات المفترسة من السباع والطيور الجارحة. وفعلاً اليهود لايأكلونها إلى اليوم فأدخلها علماؤنا في دين الإسلام من جملة ماأدخلوا من التوراة باسم الرسول محمد ﷺ افتراء وتحريفاً للدين....

نص من التوراة:

(وأمر الرب موسى وهارون: «أوصيا بني إسرائيل هذه الحيوانات التي ـ تأكلونها من

المشقوقة الظلف فقط فلا تأكلوا منها. فالجمل غير طاهر لكم لأنه مجترٍ لكنه غير مشقوق الظلف. أما الأرنب فإنه مجتر لكنه غير مشقوق الظلف لذلك هو نجس لكم والخنزير أيضاً نجس لكم لأنه مشقوق الظلف ولكنه غير مجتر لاتأكلوا من لحمها ولاتلمسوا جثتها لأنها نجسة لكم)(*).

وهكذا تلاحظون أن كل الحيوانات من آكلات اللحوم كلها محرمة بحسب النص السابق. مع الطيور المفترسة أيضاً. والخيل والحمير والبغال أيضاً محرمة لأنها غير مشقوقة الظلف. وهذا هو السبب الذي يدعوا جنود السلطان لمثل الأحاديث التالية في صحيح البخاري: (باب الأرانب):

الحديث رقم (٥٥٣٥) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال في رواية إن أحدهم بعث بوركيها أو قال بفخذيها إلى النبي فقبلها.

(باب لحوم الخيل):

الحديث رقم (٥٥٢٠) من صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله:

نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل.

إن الوحيد الذي له حق الترخيص والنهي أو التحليل والتحريم في دين القرآن هو الله سبحانه وتعالى وبنصٍّ في القرآن، أما أن نقول عن الرسول ذلك، فهذا إشراك بالله واضح، فالنبي لاحق له في ذلك وقد رأيتم صحة هذا الكلام في الآية:

﴿ياأيّها النبي لِمَ تُحرّمَ ما أحلَّ الله لك﴾ ١ - التحريم.

والموضوع كله لم يكن يتجاوز أن الرسول حرم على نفسه وليس على الناس شرب ماء العسل عند أحد زوجاته، لكن الله تعالى لم يسكت حتى على ذلك، لأنه يعلم أن الرسول قدوة للناس فهم بالتالي سوف يقلدونه.

(باب الدجاج)

الحديث رقم (٥٥١٧) من صحيح البخاري: عن أبي موسى الأشعري قال: رايت النبي ﷺ يأكل دجاجاً.

وهكذا ترون أن المسلمين في دين السلطان يعددون المحللات والله تعالى قد اختصر الموضوع كله وأنهاه في آية واحدة لاغير:

(*) التوراة - سفر اللاويين الإصحاح ١١ - الفقرات ١ - ٨.

﴿قل لا أجد في ماأوحيَ إليّ محرّماً على طاعمٍ يطعمهُ إلا أن يكونَ ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فإنّه رجسٌ أو فسقاً أُهلَّ لغيرِ الله بهِ فمن اضطرّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإن ربَّك غفورٌ رحيم﴾ ١٤٥ ـ الأنعام.

وانتهى الإشكال وأغلق الباب هذا مايهمنا في دين الإسلام اتباعه وتطبيقه وكل إنسان حرٌ في أن يأكل مايشاء بعد ذلك وأن لايأكل مالايحب ولايشتهي حتى وإن كان محللاً أكله من الله.

فلماذا نعقد الأمور على أنفسنا بعد أن سهلها الله تعالى علينا ويسّرها.

لكن غاية السلطان وجنوده من هذه الأحاديث أنها تفتح المجال لهم بالتدخل في مجال المحرم والمحلل بعد أن يجعلوا الرسول في مثل الأحاديث السابقة يحلل ويحرم، لأنكم تعلمون أن السلطان هو خليفة رسول الله على الأرض لتسيير شؤون العباد، وهذا هو بيت القصيد من كل تلك الأحاديث التي لاطعم لها ولا مغزى كما رأيتم.

لايجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها:

وكيف كان لنا أن نعلم لولا أحاديث الرسول؟

الطيبون والسذج من المسلمين كثرة، ضحك عليهم بعض جنود السلطان خوفاً على إزالة ولي نعمتهم، وعلمهم الأساسي الذي يدعونه بعلم الحديث بمثل هذه الادعاءات المغرضة والعجيب أن كل السذَّج يصدقون مايسمعون ويرددونها كالببغاوات من دون علم ولابصيرة فآية التحريم في القرآن الكريم تقول:

﴿حُرّمت عليكُم أمهاتُكُم وبناتُكُم وأخواتكُم وعماتُكم وخالاتُكم وبناتُ الأخ وبناتُ الأختِ وأمهاتُكم اللاتي أرضعنَكم وأخواتُكم من الرضاعة وأمهاتُ نسائِكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائِكم اللاتي دخَلتُم بهنّ فإن لم تكونوا دخلتُم بهنّ فلا جُناحَ عليكم وحلائل أبنائِكم الذينَ من أصلابِكم وأن تجمَعوا بين الأختَين إلا ماقد سَلَف، إن الله كانَ غفوراً رحيماً﴾ ٢٣ ـ النساء.

إن الله سبحانه وتعالى يعالج في آية التحريم هذه، اختصاراً، حالة المحرمات على الذكر من الرجال فيعدد له المحرمات، بحيث يمكن استخراج المحرمات للأنثى من النساء أيضاً المحرمات قياساً على نفس الآية من دون داعٍ لوضع آية أخرى إضافية في القرآن الكريم من أجل ذلك، وإذا وضعنا تلك المحرمات تكون كما يلي:

(حرمت عليكن آباءكن وأبنائكن وأخوانكن وأعمامكن وأخوالكن وأبناء الأخ وأبناء الأخت وأخواتكن من الرضاعة وآباء أزواجكن، وأن تجمعن بين الزوج وأخيه، (وهذه لانستطيع أن نقولها لأن المرأة لايجوز لها الجمع مع زوجها أحداً غيره)

وهكذا نتبين من محرمات المرأة في الزواج:

خالها وعمها ـ من الذكور

وخالتها وعمتها ـ من الإناث يأخذن نفس الدرجة من التحريم كنفس بشرية، بغض النظر عن الجنس، فلا يجوز أن تشترك في زوج واحد مع نفس محرّمة عليها في موضوع الزواج.

وكذلك الرجل لايستطيع أن يتزوج خالته أو عمته لأنها محرمة عليه والمرأة لاتستطيع أن تشارك زوجاً واحداً مع عمتها أو خالتها قياساً على الآية القرآنية وهو المطلوب.

وهذا استنباط حكم من القرآن وليس له علاقة بالتحليل والتحريم لأن موضوع التحليل والتحريم من الله سبحانه وتعالى لوحده فقط.

والرسول محمد ﷺ لم يدَّع علماًفي يوم من الأيام، بل كان يقول كما قال الله تعالى له أن يقول، ولم يدَّع أنه يعلم الغيب أو يقوم بالمعجزات:

﴿قل ماكنتُ بدْعاً من الرّسل وما أدري مايفعلُ بي ولابِكم إن أتّبع إلا مايوحى إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ مبينٌ﴾ ٩ ـ الأحقاف.

ولم يوُح إليه بحرف من جبريل إلا وسجّل في كتاب الله كاملاً كما تجدونه في القرآن الكريم وكل من يظن أن مابين أيدينا مما نسميها بالأحاديث الشريفة هي أيضاً وحي آخر لم يسجله الرسول واهمٌ، والوهم أصله باطلٌ من الشيطان. وهذا الوهم هو ما كان يسعى لزرعه جنود السلطان في عقول الأمة خلال ألف وأربعمائة عام، فهو زرعٌ قديم.

الفصل الثامن والثلاثون

تفسير القرآن الكريم بالاستناد إلى الأحاديث النبوية الشريفة

بحسب صحيح البخاري وما أورده من الأحاديث في هذا الموضوع:

نجد أن الجزء الخامس والسادس من الصحيح ـ عندنا كتاب خاص وكبير اسمه كتاب تفسير القرآن ـ هو أكبر كتب صحيح البخاري على الإطلاق، يبدأ بالصفحة ١٧٣ من الجزء الأول وينتهي بالصفحة ٢٩٤ من نفس الجزء، ليبدأ من جديد من الصفحة ٢٩٧ حتى الصفحة ٤١٢، أي بمجموع يساوي ٢٣٩ صفحة كاملة.

١ ـ الفاتحة...

٢ ـ ورد في نفس الفاتحة وسورة البقرة خمسة وخمسون باباً، وكل باب خصص لموضوع آية من آيات السورة...

٣ ـ كما ورد في شرح سورة آل عمران عشرون باباً، وخصص كل باب لشرح آية من آيات السورة، وهكذا، حتى ندخل في السور المكية التي أغلب آياتها من المتشابهة وليست فيها آيات تشريع وعبادات من (الأحكام) ونحن نعلم أن الرسول ﷺ لم يتعرض لشرحها أو تأويلها ولكننا مع ذلك نجد لها تأويلات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان في صحيح البخاري:

١ ـ سورة المؤمنين.

٢ ـ سورة النمل.

٣ ـ سورة العنكبوت.

٤ ـ سورة الملائكة (فاطر).

٥ ـ سورة الزخرف.

٦ ـ سورة الزاريات.

٧ ـ سورة الحديد.

٨ ـ سورة المجادلة.
٩ ـ سورة التغابن.
١٠ ـ سورة الملك.
١١ ـ سورة الحاقة.
١٢ ـ سورة المعارج.
١٣ ـ سورة المزمل.
١٤ ـ سورة الإنسان.
١٥ ـ سورة عبس.
١٦ ـ سورة التكوين.
١٧ ـ سورة الانفطار.
١٨ ـ سورة البروج.
١٩ ـ سورة الطلاق.
٢٠ ـ سورة الأعلى.
٢١ ـ سورة الغاشية.
٢٢ ـ سورة الفجر.
٢٣ ـ سورة البلد.
٢٤ ـ سورة الشمس.
٢٥ ـ سورة القدر.
٢٦ ـ سورة العاديات.
٢٧ ـ سورة القارعة.
٢٨ ـ سورة التكاثر.
٢٩ ـ سورة العصر.
٣٠ ـ سورة الهمزة.
٣١ ـ سورة الفيل.

٣٢ ـ سورة قريش.

٣٣ ـ سورة الماعون.

٣٤ ـ سورة الكافرون.

٣٥ ـ سورة الفلق.

٣٦ ـ سورة الناس.

وأما عدد الآيات التي وردت فيها أحاديث في باقي السور نجدها (٣٧٥) باباً وكل باب له حديث منسوب للرسول محمد ﷺ في تفسير آية من آيات القرآن؛ والآن إذا درسنا هذه الأبواب ماذا نجد؟

نجد أن عدد الآيات (قسم الأحكام من ضمن هذه المجموعة) يساوي:

(٢٧٢) آية، وعدد الآيات المتشابهة (١٠٣) آيات، رغم نهي الله سبحانه والرسول عن التعرض للمتشابه، وسوف أعرض نماذج من الآيات التي في قسم الأحكام كيف فسرها جنود السلطان ثم أعرض أيضاً بعض النماذج للآيات المتشابهة كيف أوّلها الجنود أنفسهم حتى نعلم أن كلاً من التفسير والتأويل يخالف ماورد في القرآن الكريم مخالفة تامة والذي يفهم القرآن على أسلوب هذا التفسير لايفهم من القرآن مايمكن أن يستفيد منه لا في دنياه ولا في آخرته، وحتى لايكون هذا الكلام دون دليل سوف أعرض النماذج لتكون دليلاً دامغاً لكل من يحاول التأكيد بوجوب التفسير والتأويل بالاستناد للأحاديث.

بعض الآيات التي وردت من قسم المحكم من القرآن الكريم:

باب (كنتُم خيرَ أمةٍ أُخرجَت للنّاس)

١ ـ الحديث رقم (٤٥٥٧) من صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال: خير الناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. (أعتقد أن هذه أفضل نصيحة يقدمها لنا أعداء الإسلام لنشر الدين الإسلامي بين الناس أجمعين، حتى لايدخل في الإسلام إنسانٌ واحدٌ بعدها).

٢ ـ باب ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

الآية واضحة من غير شرح أو تفسير من أحد، لكن ماذا نجد في صحيح البخاري من شرح جنود السلطان لتلك الآية مناقضين بها آيات الله مباشرة وعلناً! أعتقد أن البخاري رحمه الله الذي وضع الآية قبل الحديث مباشرة يريد أن يرسل رسالة سرية بين الأسطر لكل المسلمين لايستطيع أن يقولها علناً في زمن السلطان ورقابته الشديدة:

٣ ـ الحديث رقم (٦٨٠٢) من صحيح البخاري: عن أنس قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عُكل فأسلموا، واجتَووا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة (الزكاة) فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصبحوا فارتدّوا وقتلوا رعاتها واستاقوا، فبعث في آثارهم فأُتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا».

ثم يؤكد لنا البخاري مناقضة نص الآية القرآنية مباشرة في الباب الثاني تحت عنوان: (باب لم يحسم النبي ﷺ المحاربين من أهل الردة حتى هلكوا) لنفس القصة ويعود فيؤكد لنا مرة ثانية في الباب الثالث:

باب لم يُسقَّ المرتدون المحاربون حتى ماتوا...

٤ ـ الحديث رقم (٦٨٠٤) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم رهط من عُكلٍ على النبي ﷺ كانوا في الصُفَّة فاجتووا المدينة فقال: يارسول الله أبغينا رسلاً فقال: «ماأجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ» فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحو وسمِنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأتى النبي ﷺ الصريخ فبعث الطلب في آثارهم ترجل النهار حتى أُتي بهم، فأمر بمسامير فأُحميَتْ فكحلهم بها، وقطَّع أيديهم وأرجلهم وماحسمهم ثم أُلقوا في الحرّة يَستسقون فما سُقوا حتى ماتوا....

وأكد لنا البخاري مناقضة الأحاديث لنصّ القرآن مرةً ثالثةً في الباب الرابع (باب سمل النبي ﷺ أعين المحاربين) في رواية ثالثة للحديث.

٥ ـ الحديث رقم (٦٨٠٥) من صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه.

وكانت الروايات الأربعة للبخاري كما يلي:

في المرة الأولى قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله

في المرة الثانية قال البخاري: حدثنا محمد بن الصلت أبو يَعلى

في المرة الثالث قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل.

في المرة الرابعة قال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد.

وهكذا تجدون أن جنود السلطان جعلوا مناقضة نص القرآن لنص الحديث علناً وجعلوه ديناً للسلطان، والبخاري يؤشر لنا حتى ننتبه، ولكن ماهي النتيجة من تلك الرسالة السرية؟

لقد استفاد السلطان وجنوده من صحيح البخاري وجعلوه ديناً للمسلمين وطبقوه علينا واعتبروه أصدق وأصح كتاب في العالم بعد كتاب القرآن، كما أن المسلمين وخلال أحد عشر قرناً من الزمان لم يلتفت أحدهم لرسالة البخاري الضمنية بل اعتبروا الأحاديث صحيحة، وأنها لاتناقض القرآن، أو أنهم لم يهتموا أصلاً بمقارنة نص القرآن بنص الأحاديث المناقضة علناً وبشكل واضح وصريح.

وإذا انتقلنا إلى صحيح مسلم نجد الحديث ذاته مروياً عن مصادر أخرى من جنود السلطان لأهميته القصوى في دين المسلمين الجديد: لأنه أصبح القانون الدائم المطبق على المرتدين من الدين:

نجد في باب حكم المحاربين والمرتدين من صحيح مسلم:

الروايات التالية للحديث ذاته:

٦ ـ الحديث رقم (١٦٧١) من صحيح مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي منتهياً بـ (أنس بن مالك) أن ناساً من عُرينة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فاجتووها (كرهوها) فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها» ففعلوا. فصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام. وساقوا ذود رسول الله ﷺ فبلغ النبي ﷺ فبعث في أثرهم فأتي بهم. فَقَطَع أيديهُم وأرجلهُم. وسمل أعينَهُم وتركهم في الحرّة حتى ماتوا...

ونجد الحديث ذاته في صحيح مسلم عن رواة آخرين:

الرواية الثانية عن: أبي جعفر محمد بن الصباح.

الرواية الثالثة عن: هارون بن عبد الله

الرواية الرابعة عن: محمد بن المثنى

الرواية الخامسة عن: الحسن بن أبي شعيب الحمداني.

الرواية السادسة عن: هداب بن خالد.

الرواية السابعة عن: الفضل بن سهل الأعرج.

وكل الروايات تؤكد أن الرسول أمر بشرب بول الإبل وهذه أول مرة أسمع فيها أن الإسلام سمح بشرب بول الحيوانات، فالبول بحسب إسلام القرآن يعتبر من النجاسات التي تستوجب التطهير من جديد بالملامسة فكيف بالشرب؟

ثم إن نص الآية لم يسمح بالتعذيب، ولم يجعلها رب العالمين وسيلة من وسائل القصاص في القرآن، فليس في الإسلام حكم بسَمل الأعين بمسامير محمّاةٍ بالنار، هذا النوع من التعذيب يلجأ إليه السلاطين المتجبرون في الأرض من الظّلام للعبيد، والله سبحانه وتعالى ماكان في يوم من الأيام بظلام للعبيد، بل كان عادلاً وكتب على نفسه الرحمة، ولايمكن لمن كانت الرحمة من مبادئه أن يعذب بهذا الشكل أبداً.

والثاني: أن الله وضع قائمة بالعقوبات يختار منها القاضي مايشاء بحسب رأيه في شدة الحالة فيختار أشدها، وهو القتل، ثم تتدرج من القتل إلى النفي من الأرض. بحسب نص الآية الكريمة التالية:

﴿إنّما جزاء الذينَ يحاربونَ الله ورسولَهُ ويسعونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنفوا في الأرضِ ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

وبحسب هذه الآية يستطيع القاضي أن يكتب العقوبات المنصوصة من الله تعالى بحق هؤلاء الذين نزلت بحقهم تلك الآية الكريمة ويختار مايشاء منها:

أ ـ أن يقتلوا

ب ـ أو يصلبوا

ج ـ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف

د ـ أو ينفوا في الأرض.

ولكن قاضي السلطان بحسب نصيحة جنوده المخلصين الذين غضوا النظر عن آية الله جعلوا العقوبة كما يلي ـ علماً أنه ليس في الإسلام نظاماً جمع العقوبات ـ:

أ ـ سمل أعينهم بمسامير محماة بالنار تعذيباً.

ب ـ مع قطع أيديهم وأرجلهم، أي أطرافهم الأربعة.

فتعذر عليهم بعد ذلك صلبهم بعد إزالة الأطراف.

ج - مع رميهم في الحرة تحت الشمس، ورفض أن يسقيهم ماء حتى ماتوا من العطش والعذاب الشديد.

فتعذر عليه أيضاًنفيهم لأنهم ماتوا جميعاً.

فهل (أو) في العربية، حرف جمع؟ وأنا لاأعلم ذلك!! هل ماقرأتم في نص الآية مطابق لما قرأتم في نصوص الآيات الأخرى التي أجمع عليها علماء الإسلام على أنها أيضاً وحي من السماء؟ وأنها من أحاديث الله الشريفة؟ فمن كان منكم قادراً على الرؤية والقراءة فليقرأ ويحدثنا بعد ذلك، هل هذا الوحي من ذلك الوحي؟ أم أن هناك تناقضاً بين الوحيين وتناقضاً بين الغايتين غاية الله وغاية السلطان؟

٧ - باب قوله ﴿يا أيّها الذينَ آمَنوا لاتحرّموا طيباتِ ما أحلّ لكم﴾ نجد البخاري رحمه الله يوجه نفس الرسالة السرية ثم يرينا كيف أنَّ نصَّ الحديث الشريف يناقض نصّ القرآن مناقضة تامة ولكن لاحياةَ لمن تنادي:

الحديث رقم (٤٦١٥) من صحيح البخاري: عن قيس عن عبد الله؟؟ (الذي لاكنية له دائماً لا في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم) رضي الله عنه قال:

كنا نغزو مع النبي وليس معنا نساء فقلنا ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ:

﴿يأأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل لكم﴾

هنا السلطان باسم الجندي المجهول عبد الله؟؟؟ يريد أن يسن قانون وسنة زواج المتعة في الإسلام بحجة أنه في غزوٍ مع الرسول وصحابته، اضطروا بعد أن أُبعدوا عن نسائهم فسمح لهم باللقاءات الجنسية مع النساء مقابل شيء يدفعونه للنساء كأجور عن هذا الفعل ثم يعود بعدها الرجل إلى نسائه بعد الغزو منتصراً، وقد تمتع خلال غزوته بالنساء.

هنا السلطان عنده مشكلة طرحها على جنوده وهي تحتاج إلى حل.. المشكلة أن السلطان حوّل آيات الجهاد الإسلامي السلمية لنشر الإسلام إلى آيات قتال دائمة، وهذه حقيقة تاريخية يمكن التأكد منها بقراءة تاريخ الطبري. وكل التواريخ المشهورة منتهياً بتاريخ ابن خلدون، أن غزوات السلاطين لم تتوقف خلال كل عهودهم باسم الجهاد أبداً، وكانوا يرسَلُونَ إلى أماكن بعيدة جداً من بلاد المغرب في غرب أفريقيا إلى بلاد الهند والصين شرقاً في آسيا. واستبدال المقاتلين كل فترة بمقاتلين آخرين يتطلب نفقات جديدة من السلطان لابد أن يدفعها من بيت مال المسلمين الذي استلم مفاتيحه كما

شرحت لكم عن طريق حديث مختلق، فصار كل مافي ذلك البيت من مال تحت تصرفه وحده، وكأنه ماله الخاص، وهذه أيضاً حقيقة تاريخية ولا أتجنى بها على أحد، يمكن للقارىء أن يجدها في كل كتب التاريخ الإسلامي ويتأكد منها، وكل مايحتاجه السلطان من أجل حل الإشكال هو حديث من عبد الله؟ منسوباً للرسول بأنه سبق وسمح بالزنى في الإسلام للمقاتلين تحت اسم المتعة وهم اسم ملطف للزنى مع وضع جزء من آية ليس لها علاقة بالموضوع..

لأن الآية التي استشهد بها عبد الله، عندما نعود للقرآن الكريم ونكتشف حقيقتها نجد أن الله تعالى كان يتكلم فيها عن الطيبات من المأكولات في سورة المائدة، وإليكم الآية كاملة شاهدة عن نفسها من الله:

﴿ياأيّها الذينَ آمَنوا لاتُحرّموا طيباتِ ما أحلّ الله لكم، ولاتعتَدوا إنّ الله لايحبُّ المعتدين * وكُلُوا مما رزَقَكم الله حلالاً طيّباً واتّقوا الله الذي أنتُم به مؤمنون﴾ ٨٧ - ٨٨ - المائدة.

وكما ترون بأعينكم وتفهمون بعقولكم، الآية تتكلم عن الطيبات من المآكل ولا علاقة لها بتحليل الزواج أو تحريمه أو المحرمات من النساء...

وهكذا تلمسون وبأيديكم كيف يفتري جنود السلطان على الله الكذب وهم يعلمون:

﴿ولاتقولُوا لما تَصِفُ ألسِنَتُكُم الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكَذِبَ إنَّ الذينَ يَفترونَ علىَ الله الكَذِبَ لايفلحون﴾ ١١٦ - النحل.

وحتى يعلم القارىء أني عندما أقول عن المتعة زنى لا أتجني على أحد، لابد من أن أبين له الحقيقة بالأحاديث النبوية الشريفة ومن الصحيح طبعاً:

٨ - الحديث رقم (١٤٠٦) المسلسل (٢٠) من صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: عن الربيع بن سَبرَة أن أباه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة (أي تقريباً من أواخر غزوات الرسول وقبل حجة الوداع بقليل) قال: فأقمنا بها خمس عشرة (يوماًوليلة) فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء، فخرجت أنا ورجلٌ من قومي، ولي عليه فضل في الجمال، وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا بردٌ، فبردي خَلقٌ، وأما برد ابن عمي فبردٌ جديد، غضٌّ، حتى إذا كنا بأسفل مكة، أو بأعلاها فتلقتنا فتاةٌ مثل البَكرَة العَنطَنطَة. (الطويلة). فقلنا: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟ قالت وماذا تبذلان؟ (ماذا معكما كي تدفعا مقابل ذلك). فنشر كل واحد منا برده فجعلت تنظر إلى الرجلين، ويراها صاحبي تنظر إلى عِطفها. (أي جانبها، وقيل من رأسها إلى وركها. حاشية

مسلم) فقال: إن برد هذا خلق وبردي جديد غضٌّ. فتقول: بُردُ هذا لابأس به ثلاث مرار أو مرتين ثم اسمتمتعت منها.

ونجد في نفس صحيح مسلم في الرواية رقم (١٦) مايلي:

«عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقَبضَةِ (قبضة من تمر) من التمر والدقيق، الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حُرَيث».

بإختصار هذا الحديث الشريف يقول للمسلمين إن الرسول محمد ﷺ ومن بعده أبو بكر سمحا بالزنى في الإسلام حتى أتى عمر فنهى عنه نتيجة قصة رجل معين هو عمرو بن حُرَيث....

والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم إن الزنى من الكبائر العشرة والامتناع عنه من الوصايا العشرة في كل الأديان التي وصلت من الله على الأرض: ثم نقول بعد هذا إننا مسلمون، وإننا نعبد الله ونؤمن بكتابه، وأين كتاب الله وآياته من تلك الآيات التي تجدونها في صحيح البخاري عن قصة زنى المتعة؟ نجد سبعاً وثلاثين رواية مختلفة لأهمية الموضوع بالنسبة للسلطان وجنوده كما شرحت لكم، وكل قصة منها تقشعر منها الأبدان ويخجل الرجل منا أن يعرضها على ابنته العذراء حتى تقرأها، لأنها مخلّة بالآداب العامّة ونحن نسميها وحياً ثانياً من رب العالمين:

﴿انظُر كيفَ يفترونَ على الله الكَذِبَ وكفى به إثماً مُبيناً﴾ ٥٠ ـ النساء.

لننتقل بعد ذلك إلى موضوعٍ آخر هو مصادر جنود السلطان في وحيهم الجديد:

إذا عدنا لكتاب الله لنسترشد به ماذا نجد عن أهل الكتاب؟

نجد أن الله سبحانه لايطالب المسلمين بأن يؤمنوا إلا بما أنزل إليهم في كتابهم القرآن من آيات ومعلومات وشرع:

﴿قُولوا آمنَّا بالله وماأُنزِلَ إلينا وماأنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ وماأوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيّونَ من ربِّهم لانفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمون﴾ ١٣٦ ـ البقرة.

لكن هذا الإيمان لايتجاوز المعلومات التي أنزلت علينا في القرآن الكريم لأن الله تعالى أخبرنا أنهم حرفوا كتبهم كلها، وقالوا على الله الكذب وهم يعلمون.

﴿منَ الذينَ هادُوا يَحرِفونَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ويقولونَ سَمِعنا وعَصَينا﴾ ٤٦ ـ النساء.

وقال الله تعالى عن اليهود من أهل الكتاب:

﴿إنَّ الذينَ يكفرونَ بآياتِ الله ويقتلونَ النبيّينَ بغيرِ حقٍّ ويقتلونَ الذينَ يأمرُونَ بالقِسطِ من الناسِ فبشِّرهُم بعذابٍ أليم﴾ ٢١ ـ آل عمران.

ثم يتابع الله تعالى في نفس الآيات:

﴿ذلكَ بأنَّهم قالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أياماً معدوداتٍ وغرّهم في دينِهِم ماكانوا يفترون﴾ ٢٤ ـ آل عمران.

أي أن الافتراء كان شغالاً دائماً.

وقد قال الله تعالى للرسول ومن بعده للمسلمين إن الله تعالى أنزل القرآن، ومن بين أهداف الإنزال الكثيرة هدف لله هو حتى يبين للمسلمين الصحيح من الخطأ من خلال آيات القرآن الكريم التي تحوي الصحيح فقط، من التوراة والأنجيل وفي كل الأمور المسجلة في كتابهم من شرع وأحكام وقصص عن الأنبياء والرسل: ﴿وما أنزلنا عليكَ الكتابَ إلاّ لتبينَ لهُم الذي اختلَفوا فيهِ وهدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون﴾ ٦٤ ـ النحل.

الآن إذا كان المسلم يؤمن بالله وبكتاب القرآن وآياته، يجب أن يؤمن بالآيات البينات التي وضعتها شواهد أمامه، في هذا الكتاب العلمي البعيد عن الأوهام.

وإذا آمن بهذا الكلام فسوف يرفض كل الأحاديث التي يجدها في صحيح البخاري ومسلم وكلها مأخوذ عن أهل الكتاب تقريباً، فتلك الكتب كانت مصدر الإلهام لهم.

ألا ترون التناقض؟: الله تعالى يريد من المسلمين أن يدلوا أهل الكتاب على الخطأ الموجود في كتبهم حتى يعودوا للصحيح ويصلحوا كتبهم المحرفة على كتاب القرآن الصحيح، ولكن الذي حصل أن اليهود آتوا وتطوعوا في ديننا وبدلوا لنا بالقرآن غيره ونحن نصفق لهم، أليس هذا الأمر عجيباً غريباً؟ لقد فعلنا عكس المطلوب تماماًحيث بدَّلنا بالصحيح المفترى على الله، هل هذا العمل من الرحمن أم من الشيطان؟ سؤال بسيط يجب أن تجيبوا عليه بأنفسكم!

والآن بعد أن فهمنا الحق لنفتح كتاب صحيح البخاري من جديد، فنجد في كتاب تفسير القرآن، تحت باب تفسير سورة المائدة فيما قبل الحديث (٤٦٠٦) من صحيح البخاري: فنجد البخاري يذكر كلمة المهَيْمن ويفسرها: الأمين، القرآن أمين على كل

كتاب قبله، وهذه إشارة لها مدلوها إذا قرأنا بعد تلك الكلمة:

قال سفيان: مافي القرآن آية أشدّ علي من:

﴿لستُم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزِلَ إليكُم من ربكم﴾ ٦٨ - المائدة.

مايقوله سفيان شيء خطير فعلاً، إنه يستشهد بآية من القرآن الكريم ويقول لنا نحن المسلمين: لستم على شيء أيها المسلمون حتى تقيموا التوراة والإنجيل وتطبقوهما، وهذه جعلها سفيان وأمثاله من جنود السلطان حقيقة واقعة، حيث وجدتم في هذا الكتاب أن التوراة والإنجيل والتلمود انتقلت كلها فعلاً إلى دين الإسلام بواسطة جنود من أمثال سفيان هذا، والآن علينا قبل أن نصدق سفيان على شهادته أن نتأكد من صدق شاهده ونقارن النص الذي أتانا به نص القرآن الكريم، ماذا نكتشف؟

نكتشف أنه فعل بنا مثل الذي قال للناس: (ويل للمصليّن) وسكت عن باقي الآية ولم يخبرهم عنها، إن الآية القرآنية مع الشكر لله، ليست للمسلمين، بل إن الله تعالى يخاطب بها أهل الكتاب:

﴿قل ياأهلَ الكتاب لستُم على شيء حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلِ وماأُنزِلَ إليكُم من ربِّكم﴾ ٦٨ - المائدة.

وهكذا تجدون أن جنود السلطان فعلاً كانوا يفترون الكذب على الله وعلينا ونحن نصفق لهم من أربعة عشر قرناً وإلى اليوم وليس فينا من يبحث ليجد الحقيقة لله مرة واحدة، ويقول: كفى أيها الناس إننا قد ظلمنا أنفسنا بما فيه الكفاية باستمرارنا في كل هذه الافتراءات، أفلا نُبصر؟ أفلا نَسمَع؟ أين عقولنا؟ أفلا ندرك مانحن فيه؟ إنهم جعلونا نعبد غير الله ونحن لانعلم! ولكن هذا ليس بعذر كافٍ لأحدٍ منا أمام رب العالمين، يجب أن نتبصر ونتبين لأنفسنا قبل فوات الأوان وقبل انتهاء العمر.

أعود إلى (عبد الله) الجندي المجهول، صاحب أخطر الأحاديث في صحيح البخاري ومسلم، عبد الله الذي لاكنية له، إلا عبد الله رضي الله عنه.

ففي تفسير قوله تعالى (ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن﴾

يحدثنا عبد الله عن كتابه هو، وليس عن كتاب الله الذي هو كتابنا (القرآن الكريم)، يحدثنا عبد الله عن التوراة ويقول:

٩ ـ الحديث رقم (٤٦٣٤) من صحيح البخاري: منتهياً بـ عبد الله رضي الله عنه قال:

«لا أحد أغير من الله، ولذلك حرَّم الفواحش ماظهر منها وما بَطُن، ولاشيء أَحَبُّ إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه».

١٠ ـ وفي الحديث رقم (٥٢٢٠) من صحيح البخاري: عن عبد الله بن مسعود (لقد صار لعبد الله كنية في هذا الحديث) عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد أغير من الله ومن أجل ذلك حرم الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله».

مع الأسف الشديد لعبد الله الأول ولعبد الله بن مسعود الثاني فإن الرسول محمد ﷺ ليس في مصادر علمه التي تنتهي بما ورد في القرآن الكريم أي معلومات تفيد أن لله نساء حتى يغار عليهن أو أن الله سلطان متجبر يحب المدح والمدائح.

ولكن إذا بحثنا عن مصادر هذه المعلومات نجدها في التوراة:

(لأنَّ الرب إسمه «غيورٌ». إله غيورٌ هو)(*).

وفي تفسير الآية (وأنذرهم يومَ الحسرة)

١١ ـ الحديث رقم (٤٧٣٠) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ أهل الجنة فيشرئبّون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا، فيقولون نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي ياأهل النار، فيشرئبّون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا، فيقولون نعم، هذا الموت وكلّهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويأأهل النار خلود فلا موت ثم قرأ:

﴿وأنذِرهُم يومَ الحسرة إذ قُضي الأمرُ وهم في غفلة﴾ وهؤلاء من غَفَلَةِ أهل الدنيا وهم لايؤمنون.

أولاً: الآية من الآيات المتشابهة التي لاتؤوّل ولاتفسَّر بل تُفهم كما هي، علماً أن الآية لاتحتاج إلى شرح أو تفسير إضافي فاليوم الذي سيتحسر فيه الإنسان على ما ضيَّع هو يوم القيامة عندما يأتي على الناس وهم في غفلةٍ من أمرهم.

ثانياً: هل سمعتم في القرآن عن ذبح الموت، إنَّ هذا ليس من معلومات القرآن التي ينتهي بها علم الرسول الكريم، لكن إذا بحثنا في كتب أهل الكتاب نجد المصدر الأساسي لها: هذه المرة نجدها في العهد الجديد كتاب أهل المسيح:

(*) التوراة ـ سفر الخروج الإصحاح ٣٤ ـ الفقرة ١٤.

(وسلَّم الموت وهاوية الموتى الأموات الذين فيهما.... وطُرِحَ الموت وهاوية الموتى في بحيرة النار، الذي هو الموت الثاني)(*).

أي أن الله قتل الموت في بحيرة النار، وسماه الموت للموت أو الموت الثاني.

ألا ترون أنَّ الله تعالى يقول لنا، نحن المسلمين، لاتؤوّلوا آيات القرآن التي فيها المتشابه؟

لكن جنود السلطان الذين وجدوا التوراة والإنجيل بين أيديهم ظنوا أنهم أصبحوا مفوضين من قبل الله أن يقولوا على الرحمن وبلسان الرسول مايشاؤون من الأكاذيب وهم يستنسخون معلوماتهم من كتب أهل الكتاب المحرفة.

في باب (وترى الناس سكارى) نجد:

١٢ ـ الحديث رقم (٤٧٤١) من صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ:

«يقول عز وجل يوم القيامة ـ يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال يارب ومابعث النار؟ قال: من كل ألف تسعماية وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى، وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»

فشق ذلك على الناس حت تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ:

«من يأجوج ومأجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا». (شطر بمعنى نصف).

وقد استلهم جندي السلطان افتراءه هذا من سفر الرؤيا في العهد الجديد.

(فحين تنقضي الألف سنة يطلق الشيطان من سجنه فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوج وماجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جداً كرمل البحر! فيصعدون على سهول الأرض العريضة ويحاصِرُونَ من كل جانب معسكر القديسين والمدينة المحبوبة، ولكن ناراً من السماء تنزل عليهم وتلتهمهم، ثم يطرح إبليس الذي كان يضللهم في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبيُّ الدجال، هناك سوف

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ٢٠ ـ الفقرات ١٣ ـ ١٤.

يعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبدين)(*).

باب قوله: (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)

القرآن والسنة

إن هذا الكلام صحيح إذا قصدنا بالقرآن قسم معجزات الله التي يقصد بها الله تعالى بعبارة (آيات الله) وأما الحكمة فهي قسم الأحكام أو سنة الله، التي في القرآن هذا الكلام لاخلاف عليه. لكن جنود السلطان يريدون بهذا الكلام كلاماً آخر، يريدون بالقرآن كتاب الله، ويريدون بالسنة أو كتاب الحكمة هذه الأحاديث التي ندرسها الآن في هذا الكتاب، التي تشكل بمجموعها دين السلطان الجديد على أنه وحي من السماء.

١٣ ـ الحديث رقم (٤٦٩٩) من صحيح البخاري: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذينَ آمنوا بالقَولِ الثابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة﴾

إن الله تعالى يتكلم عن ثبات العبد على الإيمان بنية صادقة منه، فيأتيه العون من الله على التثبيت، لأن الله تعالى يعلَم بنيّة العبد وقراره ومحبته على الثبات على الإيمان، وليس لهذه الآية أية علاقة بالقبر او بالقبور ولم يقل الله تعالى عن أي عذاب: في القبر أو بعد الموت، للنفس أو للجسد، عن الحياة والبعث مرة أخرى، لأن الميت بحسب منطق الله فقد أصلاً وسائل الإحساس كلها فينعدم عنده الإحساس بالألم والعذاب أو الوقت أو اي إحساس آخر لهذا يقول سبحانه:

﴿كأنّهم يومَ يرونَ مايُوعَدون لم يَلبثوا إلاّ ساعةً من نهارٍ﴾ ٣٥ ـ الأحقاف.

لأن الإحساس بالوقت ينعدم عند الميت فقد يلبث في الموت ملايين السنين وعند البعث يظنّها كانت ساعة من نهار.

وكما أن الله تعالى يخبرنا في القرآن حقيقة علمية كان الإنسان قبل ذلك لايعرفها وهو أن مركز الألم والإحساس موجود في النهايات العصبية التي تنتهي بالجلد للإنسان لذلك إذا سلخ من جلده يفقد حاسة الألم، وهذه حقيقة علمية، لذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

(*) العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ٢٠ ـ الفقرات ٧ ـ ١٠.

﴿إنَّ الذينَ كفروا بآياتِنا سوفَ نَصليهم ناراً كلّما نَضِجَت جلودُهم بدلناهُم جلوداً غيرَها لِيَذوقوا العذاب﴾ ٥٦ ـ النساء.

والإنسان الذي يتم تخديره أو ضربه على رأسه يتوقف إحساسه بالألم، لأن مركز إحساس الألم قد توقف عنده مع أنه حيّ ولم يمت بعد، فكيف بالميت الذي زال عنه جلده وزالت مراكز الإحساس عنه ولم يبق منه إلا عظاماً نخرة، لم يعد فيه شيء حتى يتألم، فالحياة أساسٌ من أجل تواجد الألم، والموت إيقاف له، ولذلك يقول لنا الله تعالى في القرآن الكريم لعلمه هذه الحقائق، فالله تعالى ليس في علمه أوهام بل حقائق دائمة وليس في القرآن أوهام:

﴿إنك لاتُسمِعُ الموتى ولا تُسمعُ الصُّمَّ الدُّعاء﴾

فلا الميت قادر على السمع ولا الذي فقد حاسة السمع، كلاهما لايسمعان.

ثم نقول نحن: لابل إن الميت يسمع أصوات نعالهم، الله تعالى يقول (يمين في القرآن) ونحن نقول (بل يسار في كتاب السلطان).

﴿الذي يَصلى النارَ الكُبرى ثم لايموتُ فيها ولا يَحيى﴾ ١٣ ـ الأعلى.

الله تعالى يقول لايموت فيها، حتى يبقيه في العذاب الدائم، لأنه إن مات توقّف العذاب. ثم يقول (ولا يحيى) وهذا طبيعي، فمن منا يعتبر العذاب في نار جهنَّم حياة؟ إنها عذاب دائم بلا توقف، وأين الحياة في العذاب المستمر.

وكما يقول سبحانه:

﴿لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفّف عنهم من عذابها﴾ ٣٦ ـ فاطر.

لأنه إن قضى عليهم فماتوا توقّف عذابُهم فلا يُميتَهم وكما أنهم لايخفّف عنهم من عذابِها وهذا هو وصف الله لعذابِهِ للذين تنكروا له دائماً وكفروا وأشركوا به وهو سبحانه وتعالى يقول لهم دائماً: اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً.

١٤ ـ ﴿وماجعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس﴾

الحديث رقم (٤٧١٦) من صحيح البخاري: «عن ابن عباس: (وماجعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم».

إن علم الرسول محمد ﷺ وعلم المسلمين عن كلمات الله تنحصر في كتاب الله ولا نستطيع الخروج عنها ونفسر ونؤول مانشاء نحن والله تعالى يقول عكس كلامنا في آيات الله التي في القرآن الكريم. وحتى نعلم معنى كلمة الرؤيا في القرآن علينا أن نلجأ لآيات القرآن نفسها، حيث نجد في كل القرآن أربع آيات فقط تتحدث عن الرؤيا وهي الآيات التالية:

الآية رقم ٤٣ من سورة يوسف، والآية رقم ٦٠ من سورة الإسراء، والآية رقم ١٠٥ من سورة الصافات، والآية رقم ٢٧ من سورة الفتح، وكلها تتحدث عن الرؤيا على أنها منام وتحصل فقط أثناء نوم الإنسان. فمن أين أتانا الراوي جندي السلطان بهذا الباب الجديد من الرؤيا التي تحصل في اليقظة وسماها رؤيا عين من عنده؟

﴿أولئك الذين خَسِروا أنفسَهم وضلَّ عنهم ماكانوا يَفترون﴾ ٢١ - هود.

١٥ ـ باب قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾

الحديث رقم (٤٧١٨) من صحيح البخاري: «عن ابن عمر رضي الله عنه قال: إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً (جماعات) كل أمة تتبع نبيها يقولون: يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

إنّ الكلام الذي سمعناه مهما كان جميلاً وأحببناه فإنه مجرد وهم وخيال لاأصل له أبداً. وإشراك بالله. إذ كيف يريد لنا جنود السلطان أن نعود ونشرك بالله مرة أخرى بالإيمان من جديد بوجود شفعاء مع الله، مع أننا نعلم أن سبب تسمية أهل الجاهلية القديمة من قريش والجزيرة العربية بالمشركين أنهم كانوا يشركون مع الله شفعاءهم. أليس هذا هو الصحيح؟ أم هل نسينا آيات القرآن الكريم التي تنكر الشفاعة وتحصرها بالله تعالى في الآيات التالية:

﴿قل لله الشفاعةُ جميعاً لهُ ملكُ السمواتِ والأرض﴾ ٤٤ - الزمر.

﴿فَما تنفعُهم شفاعةُ الشافعين﴾ ٤٨ - المدثر.

﴿ليسَ لهُم من دونهِ وليٌ ولا شفيع لعلّهم يتّقون﴾ ٥١ - الأنعام.

﴿أم اتّخذوا من دونِ الله شفعاء﴾ ٤٣ - الزمر.

تعالوا نستمع إلى حديث صحيح من مصدر آخر غير مصادر السلطان ودينه الذي

حفظناه في هذا الكتاب وعرفنا منابعه ومصادره وغاياته كها، فإلى صحيح الله في كتابه، وحديث من الله، يقول الحقيقة على لسان الرسول محمد ﷺ:

﴿قل ماكنتُ بدعاً من الرُسل وما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بِكُم إن اتّبع إلا مايُوحى إليَّ وما أنَا إلا نذيرٌ مُبينٌ﴾ ٩ ـ الأحقاف. وليس في كل القرآن (قل إني شفيعٌ للمؤمنين)

١٦ ـ باب (ماودعك ربُّك وما قلى)

الحديث رقم (٤٩٥٠) من صحيح البخاري: «عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت يامحمد: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى والليلِ إذا سجى ماودّعك ربُّك وما قلى﴾»

شخص واحد اسمه جُنْدُبْ ولاغير سواه معه من الشهود، مجرد قولٍ فردٍ من الناس مروي عن سبع رواة بالتتابع، ولايعلم إلا الله من هو المفتري منهم نعتبره نحن المسلمين كافياً للتقوّل على رسولنا الكريم وعلى الله وعلى ديننا بما لايقبله عقل، وترفضه الآداب العامة، ولاتقبله النفس السوية السليمة، وبتهمة لاأساس لها ولاحجة، لتكون سبباً لنزول آية قرآنية عظيمة من السماء لاتحصل في كل يوم وفي كل ساعة.

إن عقولنا بعد أن أصبحت تتقبل مثل هذا الكلام هي التي تحتاج إلى صيانة وإصلاح حتى لاتعود فتصدق مثل تلك الافتراءات من كل مانسمعه لمجرد أن راويها يلبس الجبة والقفطان وبيده سبحة طويلة ولحيته تصل إلى مابعد سرّته لمجرد أن الكلام منسوب إلى الرسول محمد ﷺ يجب أن نشك دائماً، حتى لايضحك علينا شياطين الإنس. فإن الشيطان لم يمت على الأرض ولن يموت حتى يوم الدين، يجب أن لانجلّ إلا من يستحق الإجلال، ولايستحق الجلال إلا الله تعالى، ورسولنا صادق وأمين ودليل صدقه أمامكم في القرآن، فإنه لاينقص منه حرف واحد ولا يزيد عليه حرفٌ واحد، ودليل ذلك وضعه سبحانه وتعالى في نفس الكتاب بالإعجاز العددي في القرآن شرحته لكم بالتفصيل في كتابي الأول، وفيما عدا الله والرسول وبرهانهما هو القرآن يجب أن نشك بكل الذين أتوا من بعدهم لأنهم كثيراً منهم قد ضلوا الطريق، ودليل ذلك أنهم أضلونا معهم أم أنكم تظنون أننا مازلنا على سبيل الله وعلى الصراط المستقيم.

ونحن نسينا ماذا في القرآن الكريم من آيات بينات ولم نعد نتذكر إلا قال أبو هريرة وقال ابن عباس وقال ابن مسعود وقال عبد الله؟.

واتبعنا المُضلين دون أن نسأل أنفسنا مرة واحدة إلى أين يقودون زمامنا وتركنا حبل الله المتين، انظروا ماذا حلّ بنا وكيف أصبحت أحوالنا؟!

﴿واعتَصِموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقوا واذكُروا نِعمَتَ الله عليكُم إذ كُنتُم أعداء فألَّف بينَ قلوبِكُم فأصبحتُم بنعمتِهِ إخواناً وكنتُم على شفا حُفرةٍ من النَّارِ فأنقَذَكُم منها كذلكَ يبيّنُ الله لكُم آياتِهِ لعلّكم تهتدون﴾ ١٠٣ - آل عمران.

هذه الآية تنطبق فقط على جيل الصحابة من المسلمين، أما بعد ذلك فكلنا بحاجة إلى أن نتبصر لأنفسنا لنعود من جديد ونترك حبال الشياطين التي أمسكونا بها لنعود إلى حبل الله الصحيح حتى لانتفرق من جديد، لأننا أصبحنا بنقمته أعداءً كما ترون بأعينكم اليوم.

يجب علينا أن نترك كل الافتراءات التي بين أيدينا إذ كلها افتراءات على الله والرسول لتحقيق مصالح دنيوية لبعض الناس وليس لنا جميعاً، فليس منهم من يبحث عن الصالح العام أبداً.

﴿ومن أظلَمُ ممّن افترى على الله كَذِباً أو قالَ أوحيَ إليَّ ولم يوحَ إليهِ شيء﴾ ٩٣ - الأنعام.

ألم يقولوا لنا جميعاً إن كل الأباطيل التي عرضتها عليكم في هذا الكتاب هي وحي من الله وله قيمة مثل قيمة القرآن بل هجروا القرآن واتبعوا ذلك الوحي الجديد؟

﴿أفمَن يمشي مُكِبّاً على وجهِهِ أهدى أمَّن يمشي سَوِيّاً على صراطٍ مستقيم﴾ ٢٢ - الملك

صدق الله العظيم

الفصل التاسع والثلاثون

ـ فكرة عذاب القبر ـ في دين المسلمين

من الأمور الثابتة والمؤكدة أن فكرة عذاب القبر ليست فكرةً إسلامية وليس لها علاقة بالرسالة الإلهية التي أتى بها رسولنا محمد ﷺ بشيراً ونزيراً ليبلغ تلك الرسالة للناس كافة. فهي رسالة الله الدائمة للعالمين.

لكن هذه البدعة ظهرت في الإسلام بعد الفتنة الكبرى التي كان من نتائجها تفرق المسلمين وانقسامهم شيعاً وطوائف، كانت من أكبرها طائفة السنة التي انقسمت أيضاً في نهاية العصر العباسي إلى المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة.

وأهل السنة هم غالباً من أتباع السلطان المنتصر، فكان سلطان السنة هو السلطان الحقيقي على الأرض وبيده ملكية كل شيء، الناس والمال والجاه والقوة والسلطة والسطوة، فهو حاكِمٌ سلطته مطلقة، لايمكن أن يحدّه قانون ولادستور أرضيّ ولا سماوي، يفعل ما يشاء، يسأل الناس عن كل شيء، وهو لايُسأل عما يفعل أبداً. وقد صارت سلطته هذه مدعمة بوحي ثانٍ يؤمن به الرعية، مثل الأحاديث النبوية الشريفة التالية:

ـ الحديث (١٨٣٦) في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك. ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك» (وأثره عليك نجد معناها في حاشية صح مسلم هي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم. أي اسمعوا وأطيعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم من عندهم).

ـ الحديث (١٨٤٣) من صحيح مسلم، «عن عبد الله؟ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنها ستكون من بعدي أثرة وأمور تنكرونها». قالوا يارسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال:

«من رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ، فليصبر. فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية» وكانت البلاد التي يحكمها سلطان السّنّة الذي تسلح بوحي جديد فُصّل

خصيصاً من أجله كما رأيتهم في نموذج الأحاديث السابقة ملقّباً نفسه أميراً للمؤمنين تمتد من الصين والهند شرقاً، ممتداً عبر فارس والعراق وبلاد الشام ومصر، ماراً ببلاد أفريقيا الشمالية كلها حتى الأطلسي غرباً ومن اليمن وعمان جنوباً إلى بحر قزوين وجبال القوقاز شمالاً فكانت إمبراطورية واسعة الرقعة وتقسم إلى إمارات يحكمها العمال أو الولاة المعيَّنون من قبل الخليفة. وقد برهنت لكم في بحث الجهاد السلمي الإسلامي كيف قلبه السلطان بمساعدة جنوده أصحاب الوحي الثاني الذي كان يتنزل عليهم من السماء ليلاً نهاراً بدون انقطاع حتى بلغت الملايين.

فصار الجهاد قتالاً وسنة دائمة في الإسلام وكأنه قد تحوّل إلى دين حرب وقتال في العالم بدل أن يكون دين سلم وسلام وإسلام، ولن نفهم ذلك الموضوع إن لم نفهم مصالح السلطان من وراء الجهاد الذي أصبح باباً دائماً للغزو من أجل الحصول على الغنائم من كنوز العالم بحجة نشر الإسلام اسماً وتوسيع رقعة الإمبراطورية بشكل دائم من أجل زيادة موارد الجزية كنتيجة وبهدف إشغال الجيش في الحروب خارج الإمبراطورية حتى لايفكر بالقيام بالفتن والانقلابات داخل الإمبراطورية وضد السلطان، خاصة إذا أحسّ أن عطايا السلطان خفّت عما تعوّد الحصول عليه من حصته من الغنائم.

وكما تعلمون ليس من السهل حكم امبراطورية واسعة الانتشار مثل تلك الإمبراطورية التي كانت عاصمتها دمشق في العصر الأموي ثم تحولت إلى بغداد في العصر العباسي ووسائل النقل والاتصال كما تعلمون كانت تعتمد على القوافل التجارية أو قوافل الإمداد العسكرية بالعتاد ـ والمقاتلين وقوافل إرسال الخمس من حصة السلطان من السبايا والكنوز من غنائم الحروب مع ما جُبي من أموال الجزية من البلاد المفتوحة. والناس هم الناس دائماً مجبولون من الخير والشر كما خلقهم الله من يوم أبينا آدم وللسيطرة على هذه الإمبراطورية ارتأى السلطان أنه بحاجة إلى جهاد متواصل لا انقطاع فيه وبما أنه يمثل السلطتين الدينية والدنيوية باعتباره خليفة رسول الله استخدم سلاحين للسيطرة بحزم على الناس جميعاً. أولاً: استخدم الدين كسلاح ترغيب وترهيب وكان مساعدوه هم رجال الدين على اختلاف درجاتهم وفئاتهم، والسلاح الثاني كان القوة والبطش بالسيف وبالقتل علناً أو غدراً للأعداء السياسيين وللتخلص منهم واحداً بعد الآخر.

وإرهاب الأعداء الخارجيين بقوة الجيش الإمبراطوري الذي مايزال يغزو العالم ـ وهذا القتال المتواصل يبقي الروح القتالية عالية عند المقاتلين الذين قد تمرسوا فنون القتل والقتال بشكل عملي فصاروا فيه خبراء، تهابهم كل جيوش الأمم الأخرى مع الأمم التي تتبع لها تلك الجيوش. وفي تلك الأيام لم يكن العالم قد عرف بعد الزراعات المتطورة ولا الصناعات الحديثة فكانت الزراعة مازالت تعتمد على الوسائل البدائية، وكذلك الصناعة كانت حرفية تنحصر في صناعة الأقمشة والسجاد والأدوات النحاسية أو الحديدية، من صناعة الأسلحة والدروع والسيوف التي كانت تعتمد على المهارات اليدوية الشخصية.

فالظروف كما ترون لم تكن مواتية لظهور طبقات غنية كبيرة في المجتمعات، فالناس جميعاً كانوا طبقة واحدة وفقيرة نسبياً لأنهم جميعاً من الذين يعملون ليأكلوا من ثمرة عملهم المباشر ويعيشون عيش الكفاف غالباً ومع هذا الفقر العام كان يتلازم بالتواجد معه صديقه القديم الجهل. فقد كان الجهل عاماً ومنتشراً ولها أسباب مساعدة على الانتشار مثل عدم انتشار الطباعة والورق لأن الإنسان لم يكن قد توصل إلى مرحلة من التطور كافية لاختراعهما. وإبعاد القرآن عن الناس ساعد على انتشار الوهم والخرافة من جديد. وفي المدن الرئيسية كانت المدارس محصورة ضمن فئة معينة من المقربين والأعوان والمساعدين، ومن أقرباء المتنفذين من جنود السلطان الذين كان عليهم الاعتماد كبيراً، لسبب جوهري، حيث كان بيدهم السلاح الأول والخطير وهو سلاح الترهيب والترغيب. التي بواسطتها استطاعت السلطة تحويل الأمة بأسرها إلى رعية يؤمرون فيطيعون الراعي الذي كان بيده دائماً العصا، فمن لايسمع ويطيع بالكلام أطاع بسلطة العصا ـ وهذا هو باختصار تاريخ دولة السلاطين في الأمة الإسلامية. وقد بدأت بتلك المقدمة لهذا البحث حتى يفهم القارئ مستوجبات تلك البدعة. لأنكم كما تعلمون لكل بدعة أوجدها الحكام سبب ومصلحة، وإلا ما سعى أحد إلى إيجادها أبداً ـ فكل البدع لم تنشأ هكذا لوحدها دون سبب أو مصلحة موجبة. وأنتم تعلمون أن الأنظمة الاستبدادية كلها تعتبر الحريات من الممنوعات عن أفراد الأمة وخاصة حرية الرأي والفكر.

فالطالب لايمكن أن يدرس إلا ضمن المنهاج المقرر والمحدد له من قبل سلطات الحاكم فكان أغلب الخريجين يشكلون نسخة مكررة عن أساتذتهم حتى يكلّفوا بالعمل أئمة

للمساجد ووعاظ وخطباء فيها، فكانت وسائل الإعلام والإعلان كلها محصورة فيهم، والشعب لايُسْمَحُ له أن يَعرف أي شيء إلا بالقدر الذي يَسْمَحُ به السلطان وتَسْمح به السياسة العامة في الدولة فالتعتيم مطلوب والمحافظة على الجهل أساسي فهناك أمور يجب أن لايعرف بها الشعب إطلاقاً.

أما إذا سألني أحد سؤالاً جانبياً عن الحق والحقيقة والخير والعدل ومصير كل ذلك المكتوب في كتاب الله والتي كلها تهدف للصالح العام.

أقول أيضاً باختصار: ألا ترون أن كل ذلك يتعارض مع مصلحة الحاكم الذي اختار جنة الدنيا وكفر بجنة الآخرة ووهبها مجاناً للمطيعين من شعبه؟ أم أنكم نسيتم الأحاديث الكثيرة التي استشهدت بها في هذا الكتاب وكلها تقول إن من قال بلسانه لا إله إلا الله مرة في حياته فسوف يدخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر.

ولكن يجب أن لاتنسوا أن ذلك ينطبق فقط على الذين أطاعوا السلطان في هذه الحياة الدنيا بكل شيء وصبروا على ظلمه وأذاه.

أما الذين فكروا بمعصية السلطان فقد أوجد لهم جنوده أسلوباً جديداً من أنواع الترهيب هو: عذاب القبر، لماذا؟

- إن وسائل الترهيب والترغيب الموجودة في القرآن الكريم من وصف لمشاهد يوم القيامة كوصف حي للكفار وهم يحترقون بنار جهنم في الآخرة بعد الحساب ووصف مشاهد حية لجنة - عرضها - السموات والأرض حيث سيعيش المتقون في نعيم مقيم. هذه الأفكار والصور يمكن تطبيقها على أمة قادتها وزعمائها قدوة حسنة للناس في تطبيق العدل والقانون والنظام مبتدئين بأنفسهم قبل أن يطبقوها على الناس كما قال الرسول محمد ﷺ إن صدق الراوي في الحديث:

(لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ومثله كان صحابته في الصدق والورع والتقوى فكانوا لايقلون عنه في التطبيق لأسس وقواعد القرآن الكريم وظلت هذه القواعد هي المتبعة والمطبقة حتى حصول الفتنة الكبرى وعودة الناس للوقوع في الكبيرة الأولى: ﴿أَلّا تُشْرِكُوا به شيئاً﴾ وفي الكبيرة العاشرة التي تقول: ﴿وإنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولاتَتّبعوا السّبلَ فَتَفَرّقُ بكم عن سبيله﴾ ١٥٣ - الأنعام. فاتبع بعد تلك الفتنة المسلمون السبلَ فَتفرّق بهم عن سبيل الله الصحيح، ونحن إلى اليوم على تلك السبل الضالة، ولم نعد يوماً واحداً إلى سبيل الله الذي كان عليه الرسول وصحبه إلا

إذا استثنينا الفترة القصيرة من حكم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز التي دامت سنة ونصف السنة خلال تلك القرون الطويلة. وهكذا وابتداءً من أول سلطان أموي وحتى آخر سلطان عثماني، اختلفت المبادئ والمثل عند السلطان. وفهم جنوده المطلوب تماماً ونفذوا وحققوا له المطلوب خلال مدة قياسية وحتى اليوم. فأجازوا كل الذي كان ممنوعاً في القرآن، تحت تأثير قوة الأصفر الرنان الذي أثبت فعاليته في كل الأزمنة مع نوع معين وموجود دائماً من الناس وهُمْ الذين غلبتهم أهواؤهم وشهواتهم. ألم تقرؤوا في التراث الإسلامي وتروا كيف أن هؤلاء المدّعين للتقى والورع تسابقوا جميعاً لتلبية الطلب متحجّجين بحُجَج واهية ومضحكة في سبيل جعل الممنوع سابقاً مسموحاً به في وقتهم، لأنه صار مرغوباً ومطلوباً والسلطة تدفع بالمقابل الدنانير الذهبية كمنشطات للذاكرة، هذا يقول أنا سمعت الرسول ﷺ يقول: «اكتبوا لأبي شاه» والآخر يقول وأنا سمعته يقول:

«لقد كتب كتباً إلى ملوك عصره يدعوهم فيها للإسلام».

وكأن الرسول كان قد منع الكتابة في يوم من الأيام: أو حرمها في الإسلام على المسلمين! بل إنّ القرآن أمر بالكتابة عندما قال:

﴿إذا تدايَنتُم بدينٍ إلى أجل مسمّى فاكتبوه﴾ ٢٨٢ ـ البقرة.

﴿ولايأبَ كاتبٌ أن يكتَبَ كما علّمه الله﴾ ٢٨٢ ـ البقرة.

﴿وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل﴾ ٢٨٢ ـ البقرة.

ولكن كل ما سبق كان من أجل إلغاء أمرٍ دائم كان الرسول قد أصدره للجميع وقد برهنتُ على صحته في هذا الكتاب وهو:

«من كتبَ عني غير القرآن فليَمحُه» عن أبي سعيد الخدري في الصحيحين.

لكن كما قلت سابقاً فقد صار الهوى والميل كله متجهاً للكتابة بحجة أو دون حجة فكتبوا بعد ذلك ملايين الأحاديث التي افتروها كذباً على الله والرسول. وكذلك أيضاً سَمَحوا بالأخذ عن التوراة والانجيل بحجة أن الرسول قد سمح به.

لقد كان هناك دائماً من يشجع على الكتابة ويدفع مقابل تلك المكتتبات بسخاءٍ وكرم لأن تلك المكتتبات كانت تؤدي خدمة مطلوبة لمصلحة قائمة ودائمة بدوام سلطة السلطان فكتب أغلب القادرين على الكتابة وعلينا أن لانستغرب ذلك فهذه هي طبيعة

الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ودياناتهم، وهذا لايمنع أنه كان بين اتباعهم كثير من السذَّج والمغفَّلين.

(قامت شركة أمريكية باجراء تجربة فريدة من نوعها على مجموعة من الأمريكيين قصدوا عند جمعهم أن يكون فيهم من فئات الناس وطبقاتهم ومستوياتهم المختلفة بالمال والأعمار والثقافة والدين. حيث دعتهم إلى مكان عام وفي المكان فاجأت المدعوين بمسبح كان قد غُطِّيَ بالكامل بقماش (مشمّع).

فكشف الغطاء بسرعة عما كان تحته من سائل سميك كله من نفايات المراحيض العامة ففاحت رائحة كريهة تزكم الأنوف وقبل أن يستفيق الناس من صدمة هذه المفاجأة ويهربوا من الروائح المنفِّرة أسقطت طائرة هليوكبتر صغيرة كانت تحوم فوقهم مبلغ مليون دولار من العملات الورقية من مختلف الفئات فوق المسبح مباشرة وكانت عشرات من كاميرات التصوير التابعة للشركة تسجّل تصرفات الناس جميعاً حيال الموقف الجديد.

في البداية أخرج الرجال الكبار في السن مع السيدات مناديلهم الحريرية وغطوا بها أنوفهم باليد اليسرى وبدأوا يحومون حول المسبح يلتقطون الأوراق المالية واحدة فواحدة الأقرب فالقريب فالأبعد، ولما كان الذي في المسبح لزجاً وكثيفاً لم يكن بالإمكان تحريك سطحه بأمواج قد تقرّب البعيد. مرّت الدقائق الخمس الأولى في تردد وحرج كسرها شاب في مقتبل العمر بأن كان أول من نزل بجسده لذلك السائل، وبعد أقل من عشر ثوانٍ نزل الثاني فالثالث. وخلال ربع ساعة كان أغلب الحضور قد نزل بعد أن رمى من يده المنديل الحريري ودخل الجميع في سباق فعلّي لالتقاط تلك الأوراق المالية فصار منهم من يغطس لينتشل ما قد غطس من تلك الأوراق للأسفل، نتيجة حركة الناس في تلك المنافسة المجنونة الفريدة).

أحببت أن أضع وصف هذا المشهد الذي تذكرته من أجل إجراء المقارنة علماً أن كل هؤلاء سوف يعودون إلى بيوتهم وبعد حمام ساخن مع وجود منظفات قوية يمكن تنظيف ما اتسخ من أجسادهم جميعاً. لأن الوسخ كان خارجياً.

لكن جنود السلطان الذين غطسوا في بركة السلطان اتسخت نفوسهم وضمائرهم من الداخل بعد أن خانوا الله والرسول، وخانوا أنفسهم، فهؤلاء لايمكن تنظيفهم بكل الحمامات التركية والمنظفات الموجودة في العالم.

وبعد هذه المقدمة نطرح السؤال التالي:

كيف ومن أين كان مصدر حصول المسلمين على فكرة عذاب القبر؟

إذا عدنا لنستعرض تاريخ اليهود من التوراة والقرآن الكريم نجد أن بني إسرائيل لهم تجربة سابقة وطويلة في مصر، حيث دخلوها في عهد البطالسة الذين استقطبوا يوسف الذي استقطب من بعده إخوته وأهله، ثم وقع الجميع في الأسر والعبوية بعد زوال حكم البطالِسَة وعودة الحكم للفراعنه من جديد. واليهود خلال تواجدهم في مصر تعلموا وعرفوا أشياء كثيرة عن أسرار الحكم والإدارة والسياسة في مصر التي كان فيها الحكم أيضاً من النوع الأوتوقراطي الذي يجمع السلطتين الدينية والزمانية وبشكل مطلق لشخص فرعون الإله على الأرض نائباً عن إله السماء.

فتأثروا كثيراً بأفكار ومعتقدات الديانة المصرية القديمة وأخذوا عنهم عادات وتقاليد ومعتقدات كثيرة.

ويجب أن لايغيب عن فكرنا أن نموذج حكم الفراعنه كان هو النموذج الذي أعجب به بنو إسرائيل فعادوا وطبقوه في أنظمة الحكم عندهم بعد أن انحرف ملوكهم عن الحق الذي كان عليه الجيل الأول. ومن يقرأ سفر حزقيال في العهد القديم من الكتاب الذي يسميه المسلمون التوراة يعلم ويتعلم حقائق كثيرة عن تلك الفترة الاستبدادية في الحكم بعد أن زال الجيل الأول من أمثال الملك داوود وسليمان الذين كانوا يطبقون شرع الله كما يحدثنا عنهم القرآن الكريم ويشهد بأنهم كانوا من الأنبياء بعكس التوراة.

ولكن عندما أتى الجيل الذي يبحث عن الدنيا وشهواتها من الذين اتبعوا أهواءهم من الملوك عادوا فحرفوا الدين وطبقوا النموذج الفرعوني الذي كان موجوداً في مكتتباتهم وأول شيء فعلوه كان هو السيطرة على الكتب المقدسة كلها وجعلها تحت سيطرة رجال الدين الذين سهروا الليالي وهم يحرفونها حتى أخرجوها في النهاية تخدم مصالح الملوك الجدد. وقد عرضت عليكم نماذج من كتبهم المقدسة الحالية وكلها تبرهن لكم التحريف الواضح حيث جعلوا كل الأنبياء والرسل والملوك من أمثال سليمان وداوود يشربون الخمر علناً حتى لايكون على الملك حرج إن شرب الخمر بعد ذلك.

وكل الأنبياء والرسل والملوك مارسوا الزنى حتى لايكون على الملك من حرج إذا مارس الزنى كل يوم.

وجعلوا للملوك الأوائل من أمثال داوود وسليمان قصصاً عن ترفهم ولهوهم مع النساء

حتى لايكون بعد ذلك من حرج على ملوكهم إن فعلوا ذلك وقد عرضت نماذج عن كل ذلك في مكانه من الكتاب، ورجال الدين في تلك الفترة هم طبق الأصل عن رجال الدين عند فرعون أو حتى عند خليفة المسلمين نفس النوعية من الناس الذين يعرفون ويحرفون، وقد ذكرت لكم أيضاً ماذا قال لهم الرسول عيسى بن مريم عندما أحرجوه تحت عنوان (احذروا من معلمي الشريعة):

(الويل لكم أيها المراؤون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولاتدعون الداخلون يدخلون).

الويل لكم فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم. الويل لكم أيها المراؤون قد أهملتم أهم مافي الشريعة: العدل والرحمة والأمانة. أيها القادة العميان إنكم تُصَفّونَ الماءَ من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل!

الويل لكم أيها المراؤون فإنكم تنظفون الكأس والصحفة من الخارج ولكنهما من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع.

الويل لكم أيها المراؤون فإنكم كالقبور المطلية بالكلس: تبدو جميلة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة كذلك أنتم أيضاً تبدون للناس أبراراً ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم(*)؟

والآن بعد أن دخل عدد كبير منهم إلى الإسلام وأصبحوا من جنود السلطان المخلصين خاصة في العصر الأموي بعد أن تلاقت المصالح وتعانقت مع مصلحة السلاطين فأصبحوا بما لديهم من خبرة سابقة ومكتبات جاهزة للتطبيق زعماء حقيقيين للحركة الفكرية الجديدة التي بدأها السلطان الأموي ماراً بالسطان العباسي، منتهياً بالسلطان العثماني. فكانت كتبهم بما فيها من سنن وشرع وحلال وحرام وتقاليد في الموت والجنازات النموذج المثالي المطلوب تنفيذه. وهم لم يضيعوا وقتاً كبيراً فقد كانت كل الظروف مساعدة فأسرعوا وحجزوا على القرآن بعد أن أبعدوه عن أيدي العامة من الناس. وبدؤوا بوضع نصوص جديدة من السنن التوراتية في الدين الإسلامي بعد أن مرروا حديثاً قالوا فيه: (حدثوا عن بَني إسرائيل ولاحرج) باسم الرسول محمد ﷺ. فأتوا إلى الروايات الصحيحة من الأحاديث وحرفوها ـ بحيث تكون في النتيجة العامة

(*) العهد الجديد ـ إنجيل متى تحت عنوان (التحذير من معلمي الشريعة) الإصحاح ٢٣ ـ الفقرات ١٣ ـ ٣٣.

تعطي المعنى المقصود لأصحاب المصلحة. وقد عرضت عليكم نماذج من جميع الأشكال والأنواع، دون أن أتجاوز صحيح البخاري. وما صحيح مسلم إلا صحيح البخاري ولكن بأسلوب جديد في التبويب للأحاديث، لأن أكثر من ٩٠٪ منها مكررات لنفس أحاديث البخاري وبالنص الحرفي. لكن الذي ساعدني كما قلت لكم منذ البداية أن البخاري رحمه الله كان قد وضع تحت أيدي المسلمين كل المتناقضات بحيث يمكن اعتبار كتابه وثيقة اتهام وتزوير حقيقية لكل رجال الدين في عصره وزمانه، ولكن مع الأسف الشديد فالناس من جهلها لم تلتفت كثيراً لرسائله الرمزية ولم تفهم مقاصده، فاستغلها جنود السلطان من جديد لمصلحتهم فصارت بالنسبة لهم مثل جعبة الحاوي التي تحوي على كل شيء فيختارون من تلك المتناقضات ما يشاؤون بحسب المقام والمقال والفتوى المطلوبة من السلطات العليا. وهكذا هو الشيطان دائماً فهو يتفوق بالذكاء والدهاء على كل الطيّبين والسذّج والمغفّلين والبسطاء والجهّال.

هذا هو باختصار شديد ما كان عليه واقع الحال في كل العصور الإسلامية التي كان فيها الحكم لسلطة الدين في الدولة متمثلاً في شخص الخليفة. ولا أحد يَسأل عن الأمة المقهورة على أمرها، ورجال الدين تحولوا إلى زبانية للسلطان تماماً كما قرأتم في وصف السيد المسيح من إنجيل متى وهو يصف رجال الدين في عصره.

فكانوا يمارسون كل أنواع الضغط النفسي مستغلين إيمان الناس بالله عن طريق إرعابهم بقصص عن عذاب الله في القبور، وكأن الله والملائكة قد تحولوا إلى مصاصي دماء، ليس لهم هَمٌّ إلا تعذيب الناس، وضربهم بالفؤوس الحديدية، وصراخ الموتى المعذبون يسمعه كل شيء حولهم إلا الناس.

أعود مرة ثانية للمصريين الذين ابتدعوا هذا النوع الجديد من العذاب لترويض شعبهم به في الديانة المصرية القديمة التي حرفها قطعاً فرعون وكهنته، لأنهم في الأساس لابد أن يكونوا من أتباع رسالة حقيقية من الله تعالى الذي لم ينس أمة إلا وأرسل لها رسولاً ورسالة.

فعاد فرعونهم مع مساعديه من الكهنة لقلب الدين لمصلحته ومصلحة تلك الفئة القليلة المتسلطة على أكثرية الشعب واستعبادهم لأهدافهم وشهواتهم الدنيوية وكانوا من الأساس يؤمنون بالحياة الثانية، فأوجد الكهنة لأول مرة في التاريخ فكرة عذاب القبر للذين كانوا يعصون أوامر فرعون والكهنة فيستحقون غضب الآلهة التي كانت تتولى أمر تعذيبهم في القبور.

ألا تلاحظون أننا أخذنا عن المصريين كل ما يتعلق بالموت والقبر ومراسم الدفن والقراءة على الميت؟ الشيء الوحيد الذي لم نستطع أخذه هو موضوع التحنيط، فيما عدا ذلك الاحتفال بمرور ثلاثة أيام ثم أسبوع ثم أربعين يوماً هذه كلها كانت مراسيم رسمية تقام للميت في مصر، وهي مراحل تحضير الجثة وتحنيطها لوضعها في مثواها الأخير، في نهاية الأيام الثلاثة، يكون معمل التحنيط قد أزال الأحشاء الداخلية وحفظت في سبع جرار صغيرة كل جرة منها تحوي على شيء من أحشائه، وقد كان يخصص السابع منها لحفظ قلبه، وكانوا يضعونها في سائل خاص يحفظها من التلف ومخ الإنسان كان يستخرج بآلات تجريف خاصة ودقيقة، كانت تدخل إلى تجويف الجمجمة عن طريق فتحتي الأنف حتى لايثقبوا عظام الجمجمة من الخارج، ثم في نهاية الأربعين تكون الجثة كاملة التحنيط وقد لفت بأشرطة من الكتان الأبيض بشكل متصالب بعد أن تُغمس في سائل بياض البيض حتى يمنع دخول الهواء إلى داخل الجثة.

وكما قلت في اليوم الأربعين كان يقام الاحتفال الأخير لدفن الميت في مثواه الأخير حيث يودع مع الميت كل أغراضه الشخصية التي قد يحتاجها هناك لأنهم كانوا يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد دائماً.

وقد ركزت على ذكر هذه التفاصيل لأننا بعد قليل سننتقل إلى ذكر الأحاديث، وعندها سوف يعلم القارئ لماذا ذكرتها، حيث سيجد تطابقاً في المصدر علماً أننا إذا عدنا للقرآن وجدناه يناقض هذه الأفكار كلها، لأنها ببساطة من أوهام كهنة فرعون الذين ابتدعوها كأسلوب جديد للترهيب، فصار جنود السلطان في دين الإسلام وفي كل البلاد الإسلامية يمارسون طقوس القراءة على الميت، وبما نسميه اليوم بالتلقين، ويحببون الناس لحضور الجنائز من أجل سماع تلقين الميت لما كان لذلك من وقع كبير في نفوس الحاضرين، وفي المساء عندما يجتمعون عند أهل الميت يحضر بعض المتخصصين من رجال الدين ليتموا ما بدؤوه في المقبرة. وبحضور الجميع فيروون لهم قصصاً عن عذاب الميت في قبره، إذا كان من الذين لايطيعون الله والرسول والسلطان، وبيت القصيد هو الأخير. وحتى نتمّ الجواب على السؤال الذي طرحناه في مقدمة البحث ونقول: لماذا كان جنود السلطان يفضلون قصص عذاب القبر عن قصص عذاب الله الموجودة في القرآن الكريم عن جهنم؟

والسبب واضح وجلي:

لأن عذاب الله الذي يحدثنا عنه في كتابه هو عذاب سوف يحصل بعد يوم الحساب في يوم القيامة، وهذا بتصور كل إنسان منا هو يوم بعيد جداً وبقدر تخيله لذلك البعد يكون بعد خوفه من ذلك اليوم.

أما عذاب القبر الدائم عندما يسمع قصصها المرعبة من شيوخ حقيقيين أمامه ولهم مهابة خاصة في نفسه ويعتقد أنهم من رجال الله الصالحين فَيُبِرُّوُهم عن الغايات والشهوات والشيطان فيؤمن لكل حرف ينطقونه ويعلم أنه لاشك ميت بعد سنين معدودات، وإذا مات فسوف يبدأ عذاب القبر مباشرة بعد دفنه إذا كان مذنباً في حق السلطان ولم يدفع له الزكاة من أمواله مثلاً، أو أخفى شيئاً من الغنائم في الحرب ولم يخبر عنها، فهي مصيبة كبرى سوف يتعذب في القبر طوال حياته وكما سيستقبله الله والملائكة ليضعوه في نار جهنم خالداً بعد القبر مباشرة. لذلك عناصر الخيال موجودة أمامه، وليست مثل يوم القيامة التي لايعرف يقيناً إن كانت ستحصل بعد ملايين السنين أم لا. أما هنا فكل شيء حاضر أمام عينيه القبر ـ التراب ـ الحفرة، والوهم حاضر أيضاً بقصص عن أشكال العذاب الموصوف في أحاديث منقولة باسم الرسول محمد ﷺ بالذات، ويسمعها من شيوخ حقيقيين يراهم أمامه ولامجال لتكذيبهم وخاصة ليس معه دليل الإثبات من القرآن الذي منع عنه بأشكال مختلفة كما شرحت لكم في هذا الكتاب.

الأحاديث التي تناقض القرآن الكريم في موضوع الموت وعذاب القبر:

ـ الحديث (١٣٦٧) في صحيح البخاري، «عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً. فقال النبي ﷺ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرّاً، فقال: وجبت فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال الرسول:

«هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض».

ـ الحديث (١٣٧٧) في صحيح البخاري، «عن أبي هريرة قال كان الرسول ﷺ يدعو:

«اللهم إني أعوذ بك من عذابِ القبر، ومن عذابِ النار ومن فتنةِ المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال».

ـ الحديث (١٣٧٠) من صحيح البخاري: «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال:

«وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقيل له: أتدعو أمواتاً. فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون».

ولما كان البخاري رحمه الله غير مقتنع بهذا الكلام ويعلم أنه مناقض للقرآن الكريم وضع لنا حديثاً يناقض كل الأحاديث السابقة:

- الحديث (١٣٧١) في صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

إنما النبي ﷺ قال: «إنّهم ليعلمون الآن أنّ ما كنت أقول حقٌّ، وقد قال الله تعالى: ﴿إنّك لاتُسمِعُ الموتى﴾

وهل كان النبي ﷺ يقول إلا في آيات الله التي في القرآن:

﴿الذي يَصلَى النارَ الكبرى. ثم لايموتُ فيها ولايحيى﴾ ١٣ - الأعلى.

لايموت حتى لايتوقف عذابه.

﴿لايُقضى عليهم فيموتوا ولايُخفّف عنهم عذابُها﴾ ٣٦ - فاطر.

لايقضى عليهم بالموت حتى يستمر عذابهم في النار.

والموت له مذاق خاص في لحظة الموت فقط:

﴿لايذوقون فيها إلا الموتة الأولى﴾ ٥٦ - الدخان. وللموت سكرة خاصة:

﴿وجاءَت سكرةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كنتَ منه تَحيدُ﴾ ١٩ - ق.

والموتى لايحسون ولايسمعون:

﴿إنك لا تُسمِع الموتى ولاتُسمِعُ الصُّمُّ الدّعاء﴾ ٨٠ - النمل.

والله يعلم أن مركز الألم في النهايات العصبية التي تنتهي. في الجلد من الإنسان:

﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهُم جلوداً غيرَها﴾ ٥٦ - النساء.

وهذا وصف للكفار والمشركين في جنهم كلما نضجت جلودهم وتم حرقها في النار استبدلهم الله تعالى جلوداً جديدة حتى يستمر العذاب والإحساس بالألم لأنه بعد احتراق الجلد يتوقف الألم والإحساس في الإنسان، وهذه حقيقة علمية جديدة للإنسان وهكذا تجدون أن ما كان يقوله الرسول محمدﷺ للناس من الحقائق المرسلة إليه من ربه في القرآن الكريم هي الصحيحة. وكل باقي الأقوال الأخرى التي نسبت للرسول

ظلماً افتراءات مغرضة أُخِذَت من كتب أهل الكتاب المحرفة وليست من أقوال الله في القرآن الكريم.

نعود مرة أخرى للأحاديث المفتراة على الرسول ﷺ ولاحقيقة لها في كتاب الله:

ـ الحديث (١٣٧٤) في صحيح البخاري، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان (أنكر ونكير): ماكنت، تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً» قال قتادة: «وذكر لنا أنه يفسح في قبره» ثم رجع إلى حديث أنس قال:

«وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لادَرَيتَ ولاتَلَيتَ. ويضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» والآن لننتقل إلى كتاب الجنائز للإمام مسلم في صحيحه.

باب تلقين الموتى:

ـ الحديث (٩١٦) في صحيح مسلم، «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لقّنوا موتاكم: لا إله إلا الله».

إذا كان الحي قد نسي الله وعبد الشيطان فماذا يفيده تلقينه بعد أن يموت؟ وهذا فرعون قد آمن في آخر لحظة من حياته وقبل أن يموت فلم ينفعه إيمانه ﴿وجاوَزنا بني إسرائيلَ البحرَ فأتبَعَهُم فرعونُ وجنودُه بَغياً وعَدواً حتى إذا أدرَكَه الغَرَقُ قالَ آمنتُ أن لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيلَ وأنا من المسلمين. الآنَ وقد عَصَيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين. فاليومَ ننجّيكَ ببدنِكَ لتكونَ لِمَن خلفَكَ آيةً وإنّ كثيراً من الناسِ عن آيتنا لَغافِلونَ﴾ ٩٠ ـ ٩٢ ـ يونس.

وهكذا تجدون دائماً القرآن مصدر الحقائق، والحديث مصدر الأوهام والظنون. أما أن نقول كما في الحديث التالي:

ـ الحديث (٩٢٠) في صحيح مسلم، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل:

«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته... وافسح له في قبره ونوّر له فيه» وماذا ينفع الميتَ النورُ في القبر وهو لم يَرَ نور الله في القرآن الكريم في الحياة الدنيا؟ وفي باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

ـ الحديث (٩٢٧) مسلسل ١٧، في صحيح مسلم: «عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ: قال:

«الميت يعذب في قبره بما نيح عليه» وفي الرواية ١٩:

«إن الميت ليعذّب ببكاءِ الحي».

وحتى في الحديث الصحيح نجد أحاديث تقول بعكس كل ما سمعناه وتنقض العذاب للميت وتؤكد ما يقوله القرآن:

ـ الحديث (٩٢٩) في صحيح مسلم، عن عائشة: قالت لما مات عمر بن الخطاب: يرحم الله عمر. لا والله! ما حدَّث رسول الله ﷺ: «أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد» ولكن قال:

«إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه».

ثم نجد تتمة الحديث تناقض أيضاً كل ما قلناه في أول الحديث وتتماشى مع القرآن تماماً وقالت عائشة: حسبكم القرآن: «ولاتَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى» وهذا معناه أنه لايمكن أن يعذب أحد عند الله لأفعال الناس الآخرين وكل إنسان يعذب من أجل أفعاله وتصرفاته هو، ولاعلاقة له بأفعال وتصرفات الآخرين فلا دعاؤهم ينفعه ولابكاؤهم عليه يزيد من عذابه ولااستشفاعهم له يخفف عنه العذاب أبداً.

بينما نجد عند راوٍ آخر حديثاً آخر أيضاً في الصحيح لعائشة بعكس الحديث السابق

ـ الحديث (٩٣١) من صحيح مسلم، عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقالت:

رحم الله أبا عبد الرحمن. سمع شيئاً فلم يحفظه. إنما مرت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي، وهم يبكون عليه فقال «أنتم تبكون. وإنه ليعذب» وكيف يعذب الميت وقد قال الله إن العذاب لايكون إلاّ بعد الحساب من يوم القيامة. ونفس الحديث السابق له رواية أخرى تحت رقم ٢٧ عن عائشة قالت: إنما مرّ الرسول ﷺ على يهودية يبكى عليها. فقال:

«إنّهم ليبكون عليها. وإنها لتعذب في قبرها»

سبحان الله إذا كان الحديث صحيحاً ويطابق القرآن والإسلام يمكن أن يميزه المسلم الذي يستخدم العقل والمنطق كميزان كاشف للأخبار وصدقها مثل الحديث التالي:

ـ الحديث (٩١٦) في صحيح مسلم، «عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية. فمرّت بهما جنازة. فقاما. فقيل لهما: إنها من أهل الأرض (كناية عن أن الميت من الكفار) فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام. فقيل له: إنه يهودي. فقال أليست نفساً؟»

وهكذا وجدنا أن سبب اختلاق أحاديث عذاب القبر وافترائها كان الترهيب للناس، لأن تأليف جيش من الشرطة في إمبراطورية السلطان للسيطرة على الأمة يكلف السلطان مبالغ خيالية هو أحوج إليها لينفقها على لهوه وحريمه ومحظياته وقصوره وخدمه وحشمه.

فكان واجب جنود السلطان هو خلق شرطي مرعب ومخيف داخل وجدان كل مسلم حتى يمتنع الجميع عن مخالفة أوامر السلطان ـ والغاية تبرّر الوسيلة طالما الأعمال بالنيات، والمهم ألا يكذب المسلم عامداً متعمداً. فوجدوا فكرة عذاب القبر التي لم تذكر في القرآن الكريم أفضل وسيلة فأخذوها عن أهل الكتاب من بني إسرائيل. خاصة وأن الموت من المشاهد اليومية التي تحصل في كل مدن المسلمين فلماذا لايستغلون الموت وفكرة عذاب القبر لتأليف الناس وإخضاعهم لمولاهم السلطان.

وجُعل من أهم أسباب عذاب القبر الغيبة بشكل عام، ولكن الذي يخشاه السلطان أن يغتابه شعبه، ومع كثرة القيل والقال يكثر الأعداء، وقد تظهر التكتلات المناوئة، فكل الأمور مركزة على أن لايقول الناس عن سلطانهم إلا الخير لأنهم إن اغتابوه استحقوا عذاب القبر الذي وضعناه قبل قليل في رواية أنس ـ طبعاً رجال الدين هم أعلم الناس بمصدر هذا الكلام وبأن القرآن لايحوي مثل هذه التفاهات بل أن آياته تشهد بأن الذي يموت يفقد الحس، فلا يعود يتألم. لذا نجد أن الله يركز في موضوع عذاب جهنم أن لايموت فيها المعذبون لأنهم إن ماتوا توقف الألم: لنستمع للآيات التالية: ﴿إنّه مَن يأتِ ربَّه مُجرماً فإن له جهنم لايموت فيها ولايَحيى﴾ ٧٤ ـ طه. أي لايموت فيها، فيرتاح، ولايمكن أن تسمي احتراقه الدائم في النار حياةً أيضاً. ﴿الذي يَصلى النارَ الكبرى. ثم لايموتُ فيها ولايَحيَى﴾ ١٣ ـ الأعلى.

﴿ولايُقضى عليهــم فيموتــوا (أي فيرتاحوا من العذاب) ولايُخفّف عنهم من عذابها﴾ ٣٦ ـ فاطر.

هذا وللإمام ابن قيم الجوزية كتاب يتكلم فيه عن عذاب القبر في كتاب كامل اسمه الروح. ويتحدث عنها ولايقول علماً، وإنما يقول ظنوناً وتوهمات، ثم يقول في النهاية والله أعلم والله تعالى يقول عن الظن:

﴿ومايتّبع أكثرهم إلاّ ظناً إنّ الظّنّ لايُغني من الحقّ شيئاً﴾ ٣٦ ـ يونس. ومن تلك الظنون سوف أنقل لكم صورة عن بعض العناوين الرئيسية التي يعالجها الإمام ابن قيم الجوزية في كتاب (الروح ـ طبع دار الكتاب العربي ـ ١٩٩١ من الفهرس ص ٣٩٦):

المسألة الأولى: في معرفة الأموات بزيارة الأحياء لهم.

الموتى يسألون عن الأحياء.

المسألة الثانية: هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور؟

المسألة السادسة: هل الروح تعاد إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا؟

المسألة الثامنة: ما الحكمة في عدم ذكر عذاب القبر في القرآن مع شدة الحاجة إليه؟ (شدة حاجة السلطان له طبعاً).

المسألة التاسعة: ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور؟.

وإذا تصفحنا تلك الأسباب طبعاً سوف نجد أن الله قد أنزل حسابه الذي وعد به يوم القيامة كله وجعله في القبر مباشرة. فعذاب الإنسان يبدأ مباشرة بعد موته لأن انضباط الإنسان بإيمانه وإسلامه وصلاته وتقواه من الأمور التي تهم السلطان ليس خوفاً على العبد وعلى مصيره ولكن خوفاً على مصالح السلطان الدنيوية فعباد منضبطون ينفذون أوامر جنود السلطان باستمرار أفضل لهم بكثير من عباد لامخافة في قلوبهم من شيء. وعندها لابد من إيجاد جيش من الشرطة كما يحصل الآن في الدول الغربية.

ولذلك سوف نجد أن جنود السلطان يركزون على كل الأمور الاجتماعية والأخلاقية بما فيها ضمناً الأمور الهامة التي من أجلها يدفع العطايا لجنود السلطان. مثل التركيز على (الذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم) وهذه تدفع للسلطان (والذين تُقْرَضُ شِفاهُهم بمقاريضَ من حديدٍ لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب) ضد السلطان طبعاً. وهذا لايجوز.

(ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون) الذين يتكلمون سراً عن السلطان وجنوده.

(فعذاب القبر من معاصي القلب، والعين، والأذن، والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله، كالنمام، والكذاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصّن، والموضع في الفتنة، والدّاعي إلى البدعة (كل ما يخالف طريقة السلطان وجنوده بدعة) والقائل على الله ورسوله ما لاعلم له به (وكل كلام لايعجبهم ولاينال تقديرهم يكون عن جهل ومن دون علم) والمجاذب في كلامه وآكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السُّحْتِ من الرشوة والبرطيل ونحوهما أكل مال أخيه المسلم بغير حق. وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله (أي بغير الأحاديث التي أنزلها السلطان وجنوده ودون التكلم عن القرآن) والمفتي بخلاف ما شرعه الله (أيضاً يجب أن تكون بحسب الأحاديث الشريفة الموقعة من السلطان وجنوده) والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرّم الله، والملحد في حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته، الملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه وسياسته (وهنا بيت القصيد) على سنة رسول الله ﷺ(*).

يتبين لنا من هذه الفقرة أن الله سبحانه وتعالى قد غيّر رأيه السابق في القرآن بجعل يوم الحساب بعد يوم القيامة فجعلها كلها في القبر حيث خلق داخل قبر كل إنسان بحسب ما يستحقه، إما في رياض الجنَّة، أو يحشره داخل جهنم وبئس المصير أيضاً داخل ذلك القبر، وقد يظن القارئ أني أبالغ، لنستمع إلى الفقرات التالية من المصدر السابق:

(وفي الصحيحين) عن أبي أيوب قال: خرج النبي ﷺ وقد غربت الشمس فسمع صوتاً فقال: يهود تعذب في قبورها.

(وفي الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها. قالت: فخرجت ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز

(*) كتاب الروح ابن قيم الجوزية ـ صفحة ١٣٥.

يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قال: صدقت: إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها. قالت: فما رأيته بعد في كل صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر.

(أي أن الرسول ! كان ناسياً فتذكر بعد هذا الحديث من عائشة موضوع القبر وعذابه فصار يتعوذ من جديد من عذاب القبر).

وفي الحاشية سؤال: هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه؟ وهذا سؤال له أهمية وله خطورته وفيه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذه المسألة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء وبعد أن ناقشها باستفاضة وسرد فيها أقوال السلف انتهى إلى أن قال:

(الإنسان يعذب في قبره بكلام بعض الناس، ويتألم برؤية بعضهم وبسماع كلامه» وفي الصحيحين من حديث قتادة عن أنس...

قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس وقال: فأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان لا دريت ولاتليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين - (أي يسمعها كل الأحياء).

(وفي صحيح أبي حاتم) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إذا أُقبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فإن كان مؤمناً قال: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: إنا كنّا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراع وينور له فيه (ينشأ له بيت مساحته (٤٩٠٠) ذراعاً مربعاً مع المنتفعات والتمديدات الصحية والكهربائية - المؤلف) ويقال له نم فيقول: ارجع إلى أهلي وما لي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لاتوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله، فيقولان كنا نعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذّباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وهذا صريح في أن البدن يعذب.

(وعن أبي هريرة) أن النبي ﷺ قال: إذا احتضر المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء

فيقولون: اخرجي أيتها الروح الطيبة راضية مرضية عنك إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض. فيتأتون به أرواح المؤمنين فَهُمْ أشد فرحاً به من أحدهم بغائبة يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ قال فيقول دعوه يستريح فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أتاكم فيقولون إنه ذهب به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسخ فيقولون اخرجي مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن روح جيفة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون فما أنتَنَ هذه الروح حتى يأتوا به أرواح الكفار رواه النسائي والبزار ومسلم مختصراً.

وقد ذكر الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال:

أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره ناراً فلما ارتفع عنه فقال علام جلدتموني؟ قالوا إنك صليت بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره)(*). وفي الصفحة ١١٨ نجد فصلاً عجيباً تحت عنوان الأمر الخامس والسادس:

(إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زرع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وإنما هي من نار الآخرة وخضرها وهي أشد من نار الدنيا فلا يحسّ به أهل الدنيا فإن الله سبحانه يُحَمّي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لايصل حرها إلى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة لايصل روحها ونعيمها إلى جاره - وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا الله من آياته قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة التكذيب لما لم تحط به علماً إلا من دفعه الله وعصمه.

فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره، إذ لو اطلع العباد كلهم لزلت كلمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا أن تدافنوا لدعوا الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع. (أي أن

(*) عن كتاب الروح لابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي - ص ٩٨ - ١٠٣.

النبي كان يسمع بعد أن أصبح له صفات خاصَّة فوق صفات البشر) (وقد ذكر) ابن أبي الدنيا في (كتاب القبور) عن الشعبي أنه ذكر رجلاً قال النبي ﷺ: مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه بمقمعه (خشبة أو حديدة معوّجة الرأس) حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل ذلك فقال رسول الله ﷺ: ذلك أبو جهل بن هشام يعذَّبُ إلى يوم القيامة(*).

والكتاب مجلد كامل، وكل علمه من نفس هذه العلوم، وكلها لاتعدو عن علوم أهل الكتاب الموجودة في التلمود والتوراة ـ هذا ويعتبر ابن القيم من أصلح رجال الدين في عصره مع أستاذه لكنهما لم يستطيعا أن يدركا كل الحقيقة لأنهما كانا من الذين عاشوا في عصر الكهف الإسلامي حيث كان التعتيم مفروضاً على كل شيء ولم يكن من السهل على الإنسان إدراك كل الحقائق كما أصبحت متاحَةً الآن في عصر العلم في القرن العشرين ولم يكونا من الذين رأوا الإسلام من منبعه عندما كان صافياً في عصر الرسول وصحابته. بل وصلهم الإسلام بعد إدخال دين الحديث إليه، ولم يكن في ذلك العصر من السهل إدراك كل أكاذيب جنود السلطان وافتراءاتهم وكشفها. «وكان الله بعوننا جيمعاً» وخيرُ ما نختتم به هذا البحث حديث بلسان الرسول من صحيح الله: ﴿قل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسل وما أدري ما يُفعلُ بي ولابكم إن أَتَّبِعُ إلا ما يُوحى إليَّ وما أنا إلاّ نذيرٌ مبين﴾ ٩ ـ الأحقاف.

صدق الله العظيم.

(*) نفس المصدر السابق ـ ص ١١٨ ـ ١١٩.

الفصل الأربعون

رجم الزّاني والزّانية وصحة ذلك في إسلام الرحمن

ـ كيف بدأت القصة وكيف تطورت؟

أصل القصة وأساسها:

ـ الحديث (٦٨١٩) من صحيح البخاري: «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أُتي رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً (أي ارتكبا كبيرة الزنا كاملة) فقال لهم «ماتجدون في كتابكم؟» قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية، قال عبد الله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له ابن سلام: ارفع يدك! فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال ابن عمر: فرجما عند البلاط، فرأيت اليهودي أجنأ عليها (أي حاول أن يحمي اليهودية التي زنا بها من الحجارة المتساقطة عليهما أثناء الرجم).

وإذا بحثنا في القرآن الكريم نجد ما يؤيد أن اليهود قد لجؤوا للرسول في بعض أحكامهم مما يؤيد القصة السابقة في الحديث.

والآن لنقرأ الآيات القرآنية الأساسية في دين الرحمن الواردة في سورة المائدة:

﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسُّحتِ فإن جاءوكَ فاحكُم بينَهم أو اعرِض عنهم وإن تُعْرِض عنهم فلن يضرّوكَ شيئاً وإن حَكمتَ فاحكُم بينَهم بالقِسطِ إنّ الله يحبّ المقسِطينَ. وكيف يحكمونكَ وعندهُم التوراةُ فيها حكمُ الله ثم يتَوَلَّونَ من بعدِ ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾. ٤٢ ـ ٤٣ ـ المائدة.

إن هذا النص كما هو ظاهر من معاني الآيات خاص بأهل الكتاب ويطلب منهم أن يحكموا بما أنزل الله لهم، وليس لهذا النص أية علاقة بالشرع الإسلامي الحنيف الذي نزل على محمد ﷺ في القرآن كدين وشريعة جديدة ومتطورة عن الشرائع السابقة ومتقدمة عليها، لأنها آخر الشرائع السماوية أتت للناس كافة ومن أجل أن تبقى دائمة،

تتطور مع تقدم البشرية على مدى التاريخ. بينما شريعة بني إسرائيل وأهل الكتاب كانت شريعة حدّيّة مرحلية فقط وتحتاج إلى تعديل دائم مع الزمن ومع تطور الناس.

ماذا نفهم من هذا التعبير بالحدّيّة؟

إن شريعة التوراة كانت شريعة ثابتة وحدية كما في الآيات التي أتت أيضاً في سورة المائدة مباشرة بعد الآيات السابقة يبين شريعة أهل الكتاب من أجل تمييزها عن دين الإسلام في القرآن الكريم.

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هُدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيّون الذين أسلموا للّذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتابِ اللهِ وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناسَ واخشونِ ولاتَشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومَن لم يحكم بما أَنزَلَ اللّهُ فأولئك هم الكافرون. وكتبنا عليهم فيها أنّ النفسَ بالنّفسِ والعَينَ بالعينِ والأنفَ بالأنفِ والأذنَ بالأذنِ والسنّ بالسنِ والجروحُ قصاصٌ فمن تصدّق به فهو كفارةٌ له ومن لم يحكم بما أنزلَ اللّهُ فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٤ - ٤٥ - المائدة.

ولأن الجروح لايمكن أن تكون عينية. فقد يكون جرحاً في مكان حساس من الجسم، مثل الرقبة والصدر، ولم تقطع مثلاً عصباً أو شرياناً هاماً فيكون الشفاء سهلاً. بينما إذا جرحنا الآخر بالمثل في نفس المنطقة فقد يكون الجرح قاتلاً أو سبباً لشلل أحد الأعضاء نتيجة لقطع أحد الأعصاب. لذلك من عدل الله تعالى ومن حكمته أن جعلها قصاصاً دون أن تكون الجروح حدية وعينية.

والقصاص لغة من قصَّ واقتصَّ وقصاص ومقاصَّة، تأتي بمعنى المعاوضة والمبادلة بنظائر تعادل الضرر الحاصل على مبدأ التعويض والمعاوضة. فإذا كان مثلاً وصل لحدّ القتل يكون القصاص فيما يقابل القتل بقتل معاوض ومماثل له، أما إذا كان جرحاً يمكن أن يكون القصاص بتعويض مادي وعقوبة جسدية كالجلد مثلاً أو السجن بمدد تتناسب مع حجم الجروح وضرره. أما أن نقول لمن ضُرِبَ بسكين في رقبته أو صدره ولم يُقتل أو يشل في أحد أعضائه: اذهب واضرب الذي ضربك بنفس السكين في رقبته أو صدره فيقتل أو يشل فهذا ليس حكم الله في التوراة ولا في القرآن الكريم. وشريعة الإسلام شريعة عالمية ودائمة، تتطور مع كل الأزمنة ويمكن تطبيقها في كل مكان. فالقاضي الشرعي بحسب شرع القرآن غير ملزم بالشريعة الحدية، بل عليه أن يتحرك ضمن الحدود بحسب الحالة التي أمامه فقد يحكم في أحد الحالات العين بالعين والسن بالسن

ويحكم في حالات أخرى بعقوبة معاوضة كالسجن أو الغرامة المادية كتعويض للشخص الذي فقد عيناً أو سناً إذا تبين للقاضي مثلاً أن الفاعل كان حدثاً ولم يبلغ سن الرشد بعد وحدث الضرر نتيجة اللعب أو الخطأ ولم يكن عن قصد وتعمد مثلاً.

ومن العدل أن تكون بحسب اجتهاد القاضي على أن يحكم بالعدل دون محاباة لأحد الطرفين وإلا فلم يحكم بالعدل ولا أقام عدل الله.

لذلك يجب أن لاننسى أبداً ظروف الزمان والمكان وملابسات القضية وعمر الجاني والمجني عليه وأسباب الجناية وظروفها.

يجب أن لاننسى ظروف الزمان والمكان المتغيرة حيث تؤثر على ظروف حياة الناس وأحوالهم المادية ومتطلباتهم الحضارية والاجتماعية، فيتحرك القاضي المسلم دائماً بين حدين، حدٌّ أقصى للعقوبة وحدٌّ أدنى، مثلاً في حال السرقة حد أعلى قطع يد واحدة للسارق، وقد يختار القاضي اليد اليسرى حتى لايحرم الجاني من يده اليمنى لاستخدامها في العمل حتى يرتزق، وإلا إذا عرّضناه لحالة العجز الكامل عن العمل نكون قد أجبرناه على السرقة من جديد حتى يأكل ويعيش. وكما أن للقاضي أن يتحرك في حال السرقة حتى العفو عن الجاني إذا كانت السرقة قد حصلت نتيجة الحاجة الملحة مع السعي لتأمين عمل مناسب من السلطة المسؤولة عن ذلك. والقاضي مخولٌ في الإسلام بالتحرك بين الحدين بحسب قناعته وعلمه الذي يستند إلى أحكام القرآن الكريم مباشرةً وقد يجد القاضي أن الجاني في إصابة عين المجني عليه حدث بين رجلين كان الجاني غنياً والمجني عليه فقيراً مثلاً بأن يخير المجني عليه بين حكمين أحدهما بعين الجاني والآخر بسجنه لمدة عام مع دفع مبلغ كبير من المال كتعويض عن عين الفقير التي ذهبت في الحادث. ومن حق المجني عليه أن يختار أحد الحكمين برضائه ودون أن يفرض عليه بالقوة أو بالتهديد مثلاً. والذي يبحث مدققاً في ركام الأحاديث يجد أحياناً بعض الروايات التي لاتناقض ماجاء في القرآن من أحكام وكلها تدعو بالتحرك وعدم الجمود على حدٍّ معين أبداً. مثلاً:

- الحديث (١٩٣٦) من صحيح البخاري، «عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت قال: «مالك؟» قال وقعت على امرأتي وأنا صائم. (أي وطئها) فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا (ربما كان له عذر في جسمه)

فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا فمكث عند النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أُتي النبي بعرق فيه تمر والعرق هو المكتل فقال: «أين السائل؟» فقال: أنا. قال: «خذها فتصدق به» فقال الرجل: «أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها ـ يريد الحرَّتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك» وهكذا نرى الرجل قد أتى الرسول وقد ارتكب إثماً كبيراً عليه كفارة يخرج من عند النبي بصدقة على أهله وقد عفي عنه وأنا متأكد أن الرسول ﷺ قد تأكد من صدق أقوال الرجل وإلا ما حكم له بذلك.

هذه هي الحركة ضمن الحدود بحسب ظروف وملابسات القضية. وفي هذه الحركة والحرية للقاضي شرط أن يكون عادلاً منتهى العدل دون محاباة أو تحيز كما أن في ثبات الأحكام منتهى الظلم.

والدول التي تُعدِّل قوانينها من فترة لأخرى تكون دائماً أقرب للعدل والعدالة من تلك التي تثبت عليها فترةً طويلة من غير تعديل. مثلاً القاضي الشرعي الذي يحكم للزوج بإعادة الزوجة إلى بيت الطاعة ويستخرج مواصفات بيت الزوجية من كتابٍ أصفر كُتِبَ أيام الإمام أبي حنيفة وعلى زمانه الذي عاش قبل ألف من السنين أو بالتعديلات التي أجراها الفقيه العثماني لايكون في تطبيقه إقامةً للعدل في إسلام الرحمن بل فيه منتهى الظلم مما يدل بوضوح عدم فهم القاضي لأحكام القرآن ولا تفهم القضاء الإسلامي المتطور والمتحرك بين الحدود بشكل خاص.

في أمريكا (كما ذكرت سابقاً حيث أعيش في المهجر) حضرت بالصدفة عام ١٩٨٩ لجنة من لجان التأمينات الاجتماعية لإمرأة عربية طلقها زوجها العربي الأصل أيضاً عن ثلاثة أطفال كانوا كلهم دون العاشرة، ولد وبنتان، أولاً قدروا بعدم عمل الأم لأن عملها في رعاية الأطفال اعتبروه عملاً لها أهم ثم استأجروا لها بيتاً مناسباً يكفي لحاجات هذه الأسرة بحيث يفي بكل الضروريات اللازمة بحسب المستوى الاجتماعي لأسرة من الطبقة العاملة مع كل المستلزمات الضرورية لفرش البيت، مراعين المستوى الاجتماعي لأسرة مماثلة أيضاً من الطبقة العاملة.

فكانت الضروريات تلفون ـ تلفزيون، غسالة مع نشافة للثياب ـ براد، سيارة مستخدمة للأم من أجل نقل الأطفال للمدارس مع مصروف شهري حسبوه بدقة، ولفت نظري أنهم لم ينسوا أن يراعوا عمر الأم التي كانت في حدود ٣٥ سنة، فحسبوا لها

مصاريف خاصة شهرياً ١٠٠ دولار كنفقة على نفسها من أجل الاعتناء بأناقتها وشكلها وشعرها. وبعد أن اطمأنوا تماماً على هذه الأسرة التفتوا بعدها إلى ملاحقة الزوج المطلّق من أجل دفع النفقة، وبعد محاكمة عادلة حكموا على الزوج بمبلغ النفقة الشهرية وحكموا له أيضاً بحقوقه في زيارة أولاده يوماً كل أسبوع حيث يأخذهم في نهاية الأسبوع ليوم كامل حتى يبقوا معه. وبما أن المبلغ الذي حكموا به على الزوج لم يكن كافياً لإعالة الأسرة تكفل صندوق التأمينات الاجتماعية بتغطية الفرق.

أحببت أن أضرب هذا المثال فقط لأبين أن مستوى حضارة الأمة تقاس بمستوى تطور قوانينها وشرائعها ولايمكن العكس أبداً.

بينما إذا عدنا إلى ما طبق على المسلمين وما يزال مطبقاً عليهم من شرع نسميه اليوم ظلماً شريعة الإسلام نجد أن من بين التبديلات الجديدة التي ارتآها السلطان في الدين الجديد تعديل حكم الزاني والزانية الذي ورد في القرآن الكريم كحدّ أعلى كما يلي:

﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ لعلكم تذكرون. الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدة ولاتأخذُكم بهما رأفةٌ في دينِ الله إن كنتم تؤمنونَ بالله واليوم الآخرِ وليَشهَد عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين. الزاني لاينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لاينكحُها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرّمَ ذلك على المؤمنين. والذين يرمون المحصّنات ثم لم يأتوا بأربعةِ شهداء فاجلدوهُم ثمانينَ جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ ٢ - ٤ - سورة النور. وبحسب هذه الآيات الواضحة كالنور في سورة النور التي تعلن لكلّ المسلمين أنها آيات بينات لا لبس فيها ولاظن ولاتخمين، يتوضح لنا أن الحديث التالي عن رجم الزاني والزانية هو حديث مفترى على الله والرسول الكريم. وهو مستورد من كتب أهل الكتاب: وهذا الكلام يحتاج إلى برهان:

١ - الحديث (٦٨٢٠) من صحيح البخاري: «عن جابر: أن رجلاً من أسلم جاء النبي ﷺ فاعترف بالزنى فأعرض عنه النبي ﷺ حتى شهد على نفسه أربع مرات فقال له النبي ﷺ: «أبك جنون؟» قال: لا. قال: «أحصنت؟» قال: نعم (أي متزوج) فأمر به فرجم بالمصلى، فلما أذلقته الحجارة فَرَّ فأدرك فَرُجِمَ حتى مات، فقال له النبي ﷺ: خيراً، وصلى عليه». ومتى كان المجنون يُسأل هل أنت مجنون حتى يسأله الرسول محمد ﷺ؟.

٢ - الحديث (١٦٩٣) من صحيح مسلم، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لماعز بن

مالك أحق ما بلغني عنك؟» قال: وما بَلَغَكَ عني؟ قال: «بلغني أنك وقعت بجارية آل فلان» قال: نعم. قال: فشهد أربع شهادات ثم أمر به فرجم. قارنوا الحديثين السابقين مع الحديث ٣٠٠٧ التالي حيث نسمع في هذا الحديث عن رجل زنا بجارية واعترف بذنبه، فحكم عليه الرسول محمد ﷺ بالموت أبشع ميتة رجماً بالحجارة، ولو قال لا ولم يعترف حكم له بالعفو لعدم وجود أربع شهود عليه. وعلمنا أن الحد الأعلى في الإسلام لعقوبة الزنا هي مائة جلدة كما قرأنا قبل قليل في سورة النور الآيات البينات فبينما في:

٣ ـ الحديث (٣٠٠٧) من صحيح البخاري، في باب الجاسوس: «عن عبيد بن أبي رافع قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا لتُخرجنَّ الكتاب، أو لَنُلقين الثياب.

فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه:

«من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ:

«يا حاطب ما هذا؟» قال: «يا رسول الله لاتعجل عليَّ إني كنت أمرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رِضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم: فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله أن يكون قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وهذا الحديث نجده في صحيح البخاري في سبعةِ مواضع مختلفة.

وهو بحسب نص الحديث جاسوس حسب ما يدل عليه الباب نفسه، أُمسك بوحي من الله لرسوله الذي أرسل جنوده ليمسكوا حاملة الرسالة وأوقف المجرم ودليل جريمته شاهدة عليه فاضطر أن يعترف ويسترحم الرسول بعذر أقبح من ذنب، فيحكم له الرسول الذي لاينطق عن الهوى، بل كل ما يقوله وحي من الله بالبراءة من جريمة

الخيانة العظمى الثابتة بالدليل.

ورأيتم في الحديث السابق: رجل اعترف أيضاً وصادق الرسول عند سؤاله وليس مع الرسول دليل لإدانته كما في الحديث الثاني، فحكم عليه الرسول أيضاً الذي لاينطق عن الهوى بحكم من الله رجماً حتى الموت.

فهل يمكن أن ينطبق نص الآية القرآني التالية على هذين الحديثين؟

﴿إنّ اللّهَ لايَظلِمُ مثقالَ ذرة﴾ ٤٠ ـ النساء.

إذاً لاحظتم أن هذين الحديثين متناقضين ولايمكن أن يكونا من الله سبحانه وتعالى.

فهل يمكن أن يأتي الرسول محمد ﷺ الذي كان الله تعالى يعصمه من الخطأ والظلم أكبر الأخطاء في حقّ الإنسان؟ فهل يمكن أن نصف رسولنا محمد ﷺ بالظلم؟ وبعدم القدرة على التمييز بين الحق والهوى؟

أيضاً تبين لنا أن هذين الحديثين لايمكن أن يكون الرسول الكريم هو صاحبهما. إذاً طالما أن الحديثين موجودان في صحيح البخاري لابد من مؤلف ومفترٍ لهما وهذه أيضاً حقيقة ودليل وبرهان مبدئي.

وحتى يجمع جنود السلطان كلهم على صحة هذين الحديثين لابد أن يكون نص الحديثين مطلوبين من السلطان بشدة، لمصلحةٍ يرغبها من ورائِهما، فما هي مصلحة السلطان في وجود الحديثين؟.

وقبل الجواب على هذا التساؤل الهام لابد أن نسمع بقيةً من بعض الأحاديث الصحيحة لنرى كيف جعلوا الموضوع متواتراً صحيحاً وغير قابل للنقض بحسب منطق علماء الحديث من جنود السلطان.

٤ ـ الحديث (١٦٩٤) من صحيح مسلم: «عن أبي سعيد أن رجلاً من أسلم يقال له ماعز بن مالك، أتى رسول الله ﷺ. فقال: إني أصبت فاحشة. فأقم علي الحد فرده النبي ﷺ مراراً قال: ثم سأل قومه؟ فقالوا: ما نعلم به بأساً إلا أنه أصاب شيئاً، يرى أنه لايخرجه منه إلا أن يقام فيه الحدّ. قال فرجع إلى النبي ﷺ فأمرنا أن نرجمه. قال: فانطلقنا به إلى بقيع الفرقد. قال: فما أوثقناه ولاحفرنا له. قال: فرميناه بالعظم والمدر والخزف قال: فاشتد واشتددنا خلفه، حتى أتى عرض الحَرَّة فانتصب لنا. فرميناه بجلاميد الحرّة (يعني الحجارة). حتى سكت. قال: ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً في

العشيّ فقال «أو كلّما انطلقنا غُزاةً في سبيل الله تخلف رجلٌ في عيالنا. له نبيب كنبيب التيس على أن لا أوتى برجل فعل ذلك إلا نكّلت به» قال فما استغفر له ولا سبّه». وإليكم الآن حديث له شاهدان لأول مرة:

٥ ـ الحديث رقم (٦٨٢٧ ـ ٦٨٢٨) من صحيح البخاري: «عن أبي هريرة وزيد بن خالد قالا: (لأول مرة حديث براويين معاً) كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال: أنشدك الله إلاّ ما قضيت بيننا بكتاب الله. فقام خصمه وكان أفقه منه فقال: اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، قال: «قل» (أي أذن له بالكلام) قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا (أي ظالماً) فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجالاً من أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلدَ مائة وتغريبَ عام، وعلى امرأته الرجم، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده، لأقضينَّ بينكما بكتابِ الله جلّ ذكره. المائة شاة والخادم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلدُ مائة وتغريبُ عام، واغدُ يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجُمها» فغدا عليها فاعترفت فرجمها».

وهكذا حاول جنود السلطان بكل الوسائل المتاحة أن يثبتوا أن الرجم صار سُنّةٌ متبعة في الإسلام، ونفذها الصحابة من بعد الرسول:

لنستمع للحديث التالي:

٦ ـ الحديث (٦٨١٢) في صحيح البخاري: «عن الشعبي عن علي بنَ أبي طالب رضي الله عنه، حين رجم المرأة يوم الجمعة وقال: قد رجمتها بسنة رسول الله ﷺ. (لاحظوا لم يقل الراوي على كتاب الله، لأن القرآن لايحوي على سنة أو قانون الرجم أبداً ولكن جنود السلطان كانوا يرغبون وبشكل ملح إقرار الرجم في دين السلطان لأسباب سوف أتعرض لشرحها بعد قليل).

٧ ـ الحديث (٦٨٢٤) صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قَبَّلتَ أو غمزت أو نظرت؟» قال «لا يا رسول الله) قال الرسول: «أنِكتَها؟» لايُكنّي (أي قالها الرسول بالقول المباشر دون اللجوء للكناية عن الوطئ) قال: فعند ذلك أمر بجرمه. وقد يستغرب القارئ كيف يمكن لجنود السلطان أن يؤلفوا كل هذه الأحاديث على رسول الله؟ الحقيقة أن جنود السلطان أصبحوا خبراء في هذا المجال، إذ لأغلب هذه الأحاديث أساسات لروايات صحيحة فما على جنود السلطان دون التعرض للسند بأي شيء سوى إضافة أو حذف كلمة من

المتن، مثلاً في هذه الأحاديث وقد يكون الصحيح مثلاً في الحديث السابق رقم (٦٨٢٤) للبخاري - نهاية الحديث منتهية كما يلي:

(فعند ذلك أمر بجلده) (مثلاً) فغيَّروا كلمة بجلده إلى برجمه فأصبح الجلد رجماً، وهذا غير مستحيل، بل حدث مراراً في الأحاديث كما رأينا سابقاً في حالات كثيرة، وإلا فكيف أضافوا «متعمداً» على حديث الكذب مثلاً.

وعندنا حديث من نوع جديد جداً لأن جنود السلطان قرَّرُوا أن يجعلوا للرجم آية في القرآن، تثبيتاً لهذا الموضوع الهام بالنسبة لهم. وفي باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصِنَت ورد:

٨ - الحديث (٦٨٣٠) من صحيح البخاري: وهو حديث طويل جداً يتألف من أربع صفحات في كتاب البخاري سوف أسرده بالكامل بعد هذه المقدمة الضرورية لأهميته والحديث من أخبث الأحاديث التي ألّفها أعداء الإسلام دسّاً وتحريفاً وقَبِلَهَا المسلمون بسذاجة علماً أن الحديث يحاول أن يثبت ضلالاً وإضلالاً أن القرآن غير كامل محاولين التشكيك بأن هناك آية للرجم كانت موجودة في الإسلام بحسب النص التالي: (الشَّيخُ والشَّيخَةُ إذَا زَنَيَا فارجُمُوهُمَا البَتَّةُ) وأنه نسخ لفظها وبقي حكمها وهذا الكلام مناقض لبعضه. إذ كيف يبقى حُكمٌ لِشَيءٍ نُسِخَ لَفظُهُ، لأن المنطق يقول: لو أن الله سبحانه كان يريد بقاء الحكم لأبقى على النصّ والعَكسُ صَحيح. فلو أراد إزالة الحكم لنص موجود، لَنَسَخَ النَصّ لِيَنسَخَ بالتالي حكم النص معه. علماً أن هذا الكلام يناقض موضوع النسخ والإنساء الذي شرحته في فصل سابق. والآن وقبل أن أقوم بالبرهان بالدليل على جريمة التحريف المقصودة التي قام بها جنود السلطان متعاونين متكافلين متضامنين. علينا أولاً أن نعلم ما هي الفائدة المرجوة من جعل أية الرَّجم أو سِنَةَ الرَّجم للزاني، سنةً إسلاميةً؟ ولماذا يسعى لها جنود السلطان بكل هذا الإلحاحَ؟: ولماذا لايجدَ السلطان وجنوده الأحكام الموجودة في الآيات القرآنية كافية فيما يتعلق بالزنى بالذات فيبحثون عن أقصى العقوبات الممكنة لتثبيتها في الإسلام؟

- إن الجواب على كل هذه التساؤلات موجود في شكل وأسلوب الحياة الجديد التي اختارها السلطان الإسلامي الجديد وجنوده المكرمين بعد أن قرروا أن ينشئوا داراً للنعيم لأنفسهم على الأرض قبل دار نعيم السماء.

والنعيم المقيم الذي اختاره السلطان وجنوده كان بحاجة دائمة لمورد لاينقطع بالحور

العين بعد أن صار فَضُّ العذارى من البكارى من الجواري والسبايا شغلهم الشاغل، وهمهم الأول والأخير: وحتى لايلومني القارئ على هذا، التَّبسط في التعبير السابق لابد من تذكيره ببعض الأحاديث التي افتراها جنود السلطان في هذا المجال:

«والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم (أي من نساء الأرض) لهما فضل على ما أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وأنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى صدرها (أي أنها شفافة) ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة - يعني وكبدها له مرآة - فبينما هو عندها لايملها ولاتلمه ولا يأتيها من مدة إلا وجدها عذراء (أي أن عذريتها في تجدد دائم حتى يتسنى له فَضُّها من جديد) وما يفتر ذَكَرُهُ ولايشتكي قُبُلُها. فبينما هو كذلك إذا نودي إنا قد عرفنا أَنَّكَ لا تَمَلُّ ولاتُمَلُّ إلا أنه لامَنيَّ ولا مَنيَّة إلا أن يكون لك أزواج غيرها فيخرج فيأتيهن كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة أَحَبُّ منك» وهذا قطعة من حديث الصّور الطويل الذي رواه إسماعيل بن رافع.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون (نساء) يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً.

(والطواف هو الوطئ للنساء). رواه البخاري وقال: ثلاثون ميلاً. وفي جامع الترمزي من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء قلت: يا رسول الله ويطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة. (رجل).

وفي معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال:

«إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء». وزعوا ذلك على عشر ساعات فماذا يكون؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أَنَطَأُ في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم

والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهّرة بكراً وفي معجم الطبراني من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» ومن حديث أبي امامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ سئل:

هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال:

«بذكر لايملّ وشهوة لاتنقطع دحماً دحماً»(*)

وهذا غيض من فيض الأحاديث والسنن المحببة على السلطان وجنوده فهم يريدون أن يجعلوا من الأحاديث التي ألفها جنودهم افتراءً عن الرسول ﷺ قدوة لهم في دنياهم ونعيمهم الذي اختاروه فيها.

فكان من أحب الأحاديث التي ألفوها ليقتدوا بها، وإليكم بعضها زيادةً في التذكير «قال رسول الله «حبّب إلي النساء».

وفي الصحيح أن سليمان بن داوود عليهما السلام طاف في ليلة واحدة على تسعين امرأة. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يطوف في الليلة الواحدة على نسائه وهن إحدى عشرة، وربما كان يطوف عليهن بغسل واحد وقد رويت لكم حديثاً عن أنس في هذا الكتاب أن الرسول كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار دون توقف، وهو يطأ نساءة واحدة بعد الأخرى ولاشغل له إلا ذلك، وعندما سألوا أنس عن ذلك هل كان يطيق الرسول ذلك قال لهم: كنا نقول إنه قد أعطي قوة ثلاثين رجلاً. وهكذا امتلأت أجنحة الحريم عندهم بآلاف الجواري الحسان من مختلف الأمصار والبلدان هذه للوطء والأخرى للرقص والثالثة للغناء والطرب، وقد رتّبوا لكل شيء حسابه وأوجدوا له السُّنَن المطلوبة من أقوال الرسول الكريم اقتداءً به. ففي معجم الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: إن أزواج أهل الجنة لَيُغَنِّينَّ أزواجهنَّ بأحسن الأصوات ماسمعها أحد قط(**).

ومن الأوصاف التي كان يطيب للسلطان وجنوده أن يراها في النساء:

(*) عن كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين للامام العلامة ابن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي بيروت ـ طبعة ١٩٩٤ ـ الصفحة ٢٦٠.

(**) المصدر السابق ـ صفحة ٢٥٧.

(ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهن: أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر أربعة: يدها ورجلها ولسانها وعينها، فلا تبذل ما في بيت زوجها (وتبذره)، ولاتخرج من بيتها - ولاتستطيل بلسانها ولاتطمح بعينيها - وبياض أربعة: لونها - وفرقها وثغرها وبياض عينيها وسواد أربعة أهدابها، وحاجبها وعينها وشعرها - وحمرة أربعة: لسانها وخَدَّها وشفتها مع لَعَس، وإشراب بياضها بحمرة. ودقة أربعة: أنفها وبنانها وخصرها وحاجبها. وغلظ أربعة: ساقها ومعصمها وعجيزتها وذاك منها وسعة أربعة: جبينها ووجهها وعينها وصدرها - وضيق أربعة: فمها ومنخرها وفرق أذنها وذاك منها)(*).

وهكذا حرص السلطان وجنوده على اقتناء آلاف الحسان من الجواري التي كانت تتوافد عليهم من مختلف البلدان التي كان يفتحها جيش السلطان باسم الجهاد ونشر الإسلام اسماً وادعاءً، ولِنَهبِ كنوز تلك البلاد واستعباد شعوبها وجعل أجمل نسائها وفتياتها جواري تحت اسم (ما ملكت أيمانكم) فبنوا لهن عشرات القصور الفخمة، وكل جارية تمتاز عن الأخرى إما بالحسن من الصفات التي مررنا بها سابقاً أو بالصوت والغناء أو بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية، أو بالرقص، أو بموهبة من المواهب المختلفة والمحببة للمقيمين معهن في دار النعيم. وهذا الكلام لم يكن خيالاً ووهماً بل طبِّق فعلاً وعاشه السلاطين وضربوا أرقاماً قياسية جديدة في عدد النساء.

هذا الواقع الجديد المستجد في مجتمع المسلمين دون أن يكون له سابقة من قبل أبداً. مجموعة أو فئة خاصة من الناس المتنفذين وعددهم محدود يحتكرون لوحدهم الآلاف المؤلفة من جيوش النساء الصغيرات في السن محجورات في قصورهم، وبالمقابل هناك الآلاف المؤلفة من الشباب المسلم الذي لايجدون زوجات (ولازوجة واحدة) بالمقابل. وإن وجدوهن لم يجدوا في أيديهم ما يكفي لتغطية المهور التي أصبحت غالية بعد أن اشتد الطلب وقل العرض من قلة النساء اللواتي يُعامَلنَ في إسلام السلطان على أنّهنّ شيء لابد منه للرجل، ولم يعد أحد ينظر إلى المرأة على أنها نَفسٌ إنسانية لها قيمة الرجل، فلم يعد أحد يحسب حساباً لها ولا لإحساسها ولا لحاجاتها الطبيعية وأدعياء العِلم من عُلَماء الدين صارت لهم هموم جديدة لم تكن لهم سابقاً، وصارت لهم اختلافات في أمورٍ مستجدة: (واختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته؟ فقالت طائفة: لا يجب عليه ذلك. فإنه حق فإن شاء استوفاه وإن شاء تركه: بمنزلة من

(*) المصدر السابق - صفحة ٢٤٧.

استأجر بيتاً إن شاء سكنها وإن شاء تركها).

وكما تلاحظون فإن الفقهاء يرون المرأة شيئاً ولايرون فيها إنسانة لها حقوق. بدليل أنهم يقولون: فإن الجماع والوطئ حقّ له وليس لها، فإن شاء هو استوفى حقه، ولا أحد منهم يتكلم عن حقها، (هذه حقيقة من حقائق دين السلطان) وقالت طائفة (أخرى من الفقهاء والعلماء).

(يجب عليه وطؤها في العمر مرةً واحدة، ليستقر لها بذلك الصداق). (وهكذا تلاحظون أن الطائفة الأخرى لم تكن بأفضل من الطائفة الأولى منهم)(*).

وقد وضعت تلك الفقرة الاعتراضية في وصف الجو العام حتى لايظن القارئ أني أتجنى على أحد منهم عندما أقول:

إن السلطان وجنوده اختاروا أن يجعلوا في الأرض نعيمهم الأول والأخير.

إذاً فالظروف التي خلقها السلطان ومن سار على هَديِهِ من الأتباع والمؤيدين هي نفسها التي كانت تشجع على تفشي الزّنى من قبل الجنسين المحرومين منها بقوة الظروف الجديدة التي أوجدها السلطان وأعوانه ومساعدوه.

وكان السلطان كما كان جنوده يشعرون بحق الملكية لكل النساء الموجودات عندهم في قصورهم وفي مقصورات الحريم ولايريد أحداً أن يلمسهن ليس حباً لهن وإنما بغريزة حب التملك فصاحب أي ملك لايحب أن يشاركه في ملكه أحد دون مشيئته ورغبته وهو يشعر أنه المالك لكل تلك النساء بحق صك الملكية أو بحق صك الزواج والمهر الذي صار في دين السلطان رمزاً لشراء الرجل لزوجته لتدخل في ملكيته، وهكذا تستطيعون الآن أن تتصوروا كيف فرضوا بأنفسهم بتلك الأوضاع الشاذة الزنى على كلا الجنسين فَرضاً نتيجة الحرمان وليس نتيجة الفساد أو الفسق من الناس أو سوء الأخلاق - فطلب السلطان وجنوده أقصى العقوبات ظناً منهم أنه الدواء الشافي للمرض الذي أوجدوه بأنفسهم.

فوجد جنود السلطان ضالتهم في كتب أهل الكتاب في عقوبة الرجم التي وجدوها في التوراة من شريعة موسى، لكن الله لم يقل في القرآن للمسلمين طبقوا شريعة موسى أبداً، وجنود السلطان وفقهاؤه هم أول من يعلم هذه الحقيقة في القرآن الكريم: فقد قال

(*) هذا الكلام أخذناه عن كتاب ابن قيم الجوزية نفس المصدر السابق - صفحة ٢٢٦ - ٢٢٧.

الله تعالى للرسول محمد ﷺ ومن بعده لكل المسلمين بصراحة: ﴿وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ مصدّقاً لما بينَ يديه من الكتابِ ومهيمناً عليه فاحكم بينَهم بما أنزَلَ اللّهُ ولاتتبع أهواءَهم عمَّا جاءَكَ من الحقّ لكلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومِنهاجاً ولو شاءَ اللّهُ لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوَكُم في ما آتاكم فاستبقُوا الخيراتِ إلى اللهِ مرجعُكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ ٤٨ - المائدة.

والآية واضحة بذاتها والآيات السابقة لها من سورة المائدة، فالله يتكلم عن أهل الكتاب بالذات، فلهم دينهم وشرعهم الخاص بهم، ولنا ديننا وشرعنا الخاص بنا والمختلف عنهم، ونحن غير ملزمين باتباع شَرعِهِم، وكذلك لم يُلزمهم الله أن يتبعوا شَرعَنا إذا اختاروا غيره.

لكن جنود السلطان شاؤوا أن يجعلوا الرجم لكونه من أشنع أنواع القتل كلها وحتى من القتل بالسيف أو السّمّ عقوبة الزاني والزانية في شرع الإسلام الجديد تحريفاً، وقد شاهدتم كيف حاولوا أن يجعلوا له آيةً قرآنيةً، وادعوا أنه كان موجوداً ثم نُسِخَ من القرآن، وبقي حكمه بعد أن تم نسخه من قبل رب العالمين(*). وهكذا نجد تفسيراً لهذا التركيز الهائل على موضوع الرجم في الأحاديث والروايات ولنستمع الآن لمحاولتهم في التأليف على الله مباشرة وفي كتاب الله الذي استعصم عليهم في التأليف والتحريف واختاروا أن ينسبوا الحديث الجديد لشخصية عظيمة من شخصيات الإسلام الذين اشتهروا بفهمهم العميق للدين والإسلام، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الخليفة الثاني من خلفاء الرسول الكريم، وكان هذا الحديث هو الذي كشف جريمتهم بالكذب والتأليف كما سوف أبرهن على ذلك:

- الحديث (٦٨٣٠) من صحيح البخاري:

(*) (كنت قبل عدة سنوات أقوم بزيارة لأحد دور المتاحف في لندن ومعي أحد الأدلاء المستخدمين في المتحف يشرح لي المعروضات فمررنا بقسم يعرض فيه أحزمة العفة التي كانت تستخدم في العصور الوسطى من قبل ملوك وأمراء الإقطاع في أوروبا للمحافظة على عفة محظياتهم وجواريهم ونسائهم اللواتي كن في ظروف مماثلة لما شرحناه قبل قليل من جوارٍ وحريم للسلطان.

حيث كان الملك أو الأمير يلجأ إلى إلباس نِسائِهِ ومحظياته الكثيرات أَحزِمَةً للعِفَّة هذه التي كان الصياغ يصنعونها من المعادن الثمينة المختلفة بحسب غنى الأمير وأحواله المادية ويكون لتلك الأحزمة عادةً قفل يمكن أن يقفل على الخصر وفي أضيق منطقة بمفتاح يحتفظ به الملك أو الأمير وحده، حتى لايفتح ذلك الحزام غيره من الناس، وكان للحزام حلقة نصف دائرة من نفس المعدن، يمر من بين فخذي المرأة ويعود ....

ـ «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: كنت أُقرِئُ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجةً حجها إذ رجع إليَّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو مات عمر لقد بايعت فلاناً فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتةً فتمتْ، فغضب عمر ثم قال: إني إنشاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم قال عبد الرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين لاتفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربكَ حين تقوم في الناس، وأناأخشى أن تقوم فتقول مقالةً يطيِّرُها عنك كل مُطَيِّر، وأن لايعوها وأن لايضعوها على مواضعها، فامهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومَنَّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة، قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس، حتىأجد سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل: ليقولن

..... ليرتبط بالحزام بحلقة متحركة من الخلف، وكان القسم الأمامي منه... مصنوعاً بشكل يغطي كامل عضو المرأة الأنثوي على شكل شمس لها أشعة للداخل وليس للخارج وهذه الأشعة عبارة عن أسياخ فضية أو ذهبية مدببة الرؤوس كالشوك لاتمنع المرأة من قضاء حاجتها لكنها تمنع أي رجل من أن يَطَأَهَا والحزام عليها وأذكر أن موظف المتحف تابع يشرح قائلاً: إن هذه الأحزمة لم تكن تمنع النساء عن الزنى لأن المرأة لم تعط القوة لكنَّها أعطيت الدهاء فعرفت كيف تحصل على نسخة ثانية من ذلك المفتاح، احتفظت به لنفسها، حتى لايضيع عليها المناسبات السعيدة التي تحظى بها مع شباب جنود الأمير في القصر وحوله والذين كانوا يحومون حولهن كما يحوم الذباب حول قطعة حلوى تحت شمس الظهيرة صيفاً.

وهكذا لم تنفع ملوك وأمراء العصور الوسطى في أوربا أحزمةُ العِفَّة، كما لم تنفع آية الرجم وأحاديثها المختلفة التي تعب سلطان المسلمين وجنوده في تأليفها وفرضها مع فرض العفَّة على الناس بالقوة بل ظلت القوة التي خلقها الله في الإنسان كطبيعة ورغبة وحاجة وميل طبيعي هي الأقوى. فما لم يتم تحت النور والحق والشرع والحلال كان لابد أن يتم تحت جنح الظلام والباطل والحرام. وهذا ما لم يستطيع إدراكه السلطان وبقيت لنا الأحاديث التي أُلِّفَت تحكي قصة مأساتهم التي خلقوها لأنفسهم بتطرف أهوائهم وميولهم وضلالهم عن طريق الحق والنور).

العشيّة مقالةً لم يقلها منذ استخلِف فأنكر عليٌّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد فإني قائل مقالةً قد قدر لي أن أقولها ولا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته. ومن خشي أن لايعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرَّجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حقٌّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لاترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إنَّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم ألا ثُمَّ إنّ رسول الله ﷺ قال: لاتطروني كما أطري عيسى ابن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ثم إني بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترّنَّ امرؤٌ أن يقول: إنما كانت بيعةُ أبي بكر فلتةٌ وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها. وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غيرْ مشورةٍ من المسلمينَ، فلا يبايعُ هو ولا الذي بايَعهُ تَغِرّةً أن يقتلا وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكرٍ:

انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا لقينا رجلان منهم صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لاتقربوهم أقضوا أمركم فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟. قالوا: هذا سعد بن عبادة فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعَكُ، فلما جلسنا قليلاً تَشَهَّدَ خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافّةٌ من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يَحضُنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زَوَّرتُ مقالَةً أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه

بعض الحدّ فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رِسلك فكرهت أن أُغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أعلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تَزويريَ إلا قال في بَديهَتِهِ مثلها أو أفضل حتى سَكَتَ فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نَسَباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقدَّمَ فَتُضرَبَ عنقي لايقرّبني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. اللهم إلا أن تُسوِّل إلي نفسي عندَ الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل للأنصار: أنا جزيلها المحككُ وعُذيقُها المرَجَّبُ منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فَرِقتُ من الاختلاف فقلت: ابسط يدكَ يا أبا بكرٍ فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونَزَوْنا على سعد بن عُبادة فقالَ قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة فقلت: قَتَلَ اللهُ سعد بن عبادة. قال عمر وإن والله ما وَجَدنا فيما حَضَرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لانرضى وإما نخالفهم فيكون فسادٌ فمن بايع رجلاً على غير مشورةٍ من المسلمين فلا يُتابعُ هو ولا الذي بايعه تَّغرَّةً أن يُقتَلا).

إن هذا الحديث الذي قرأناه قبل قليل هو في الحقيقة بيَانٌ سلطاني صادر من قصر السلطان وقد كتبه المسؤول السياسي والمستشار لديه في الأمور العامة ورائحة الحبر لاتزال تفوح من النسخة فهي طازجة لم يمسسها بشر بعد، والذي كتبها والشهادة لله كاتب متمرّس في شؤون اللغة العربية الفصحى، ومفرداتها، ولايمكن فهم النصّ كاملاً دون الرجوع إلى المعاجم القديمة في اللغة العربية، لفهم كلمات مثل أنشَب. دفَّت دافةٌ من قومكم، يريدون أن يختزلونا من أهلنا، وأن يحضنونا من الأمر، وكنتِ زَوَّرتُ مقالةً أعجبتني، أنا جزيلها المحكك وعزيقها المُرَجَّب.

هناك أمور كثيرة يجهلها كثير من المسلمين حول هذه الخطبة، فهم يجهلون مثلاً أن الحديث الذي قرأناه قبل قليل بطوله الكامل من المفروض أن عمر بن الخطاب قالها على المنبر أيام حكمه يُذَكِّرُ الناس ما حصل أثناء تولية أبي بكر الصدّيق للخلافة ويذكر الناس حول موضوع آية الرجم المزعومة، فيسمعها ابن عباس من بين السامعين كأول راوٍ لها. فيحفظ الخطبة في ذاكرته القوية جداً، ثم يحدّثها من بعده لأناس، فيسمعها منهم

عبيد الله بن عبد الله بن عقبة بن مسعود، فيحدثها هو بدوره للجيل الذي بعده لابن شهاب الذي يحدثها أيضاً للجيل الذي بعده لصالح. وصالحٌ هذا يحدثه للجيل الذي بعده عن طريق إبراهيم بن سعد، الذي يحدثها للجيل التالي، لعبد العزيز بن عبد الله الذي يحدثها بدوره للإمام الشيخ البخاري فيكون أول من كتبها منهم بالقلم وكانت قبله تروى مشافهة ورواية. وأنا قلت إن هذا هو المفروض بحسب النص ولم أقل إن هذا هو ما حصل فعلاً.

والآن للبرهان على أن هذا النص تأليف ووضع من جنود السلطان أقول: إني أتحدى أي إنسان يعرف العربية ويقرأ هذا النص أو يسمعه مائة مرة ثم يحفظه حرفياً كما هو مكتوب بين أيديكم الآن بينما المفروض أن الذي رواه قد سمعه مرّة واحدة وهكذا للراوي السابع.

ثم لايستطيع إنسان مسلم أن يدعي ويقول: إن المسلمين كانوا في يوم من الأيام يهتمون لحفظ أقوال وخطب الصحابة أكثر من اهتمامهم لحفظ أقوال وخطب الرسول الشخصية. ـ إذن فهذه هي الحقيقة الأولى التي أريد أن أقررها في هذه القصة العجيبة.

والحقيقة الثانية: أننا لو عدنا واستعرضنا كل خطب الرسول في حياته فسوف نجد الروايات شديدة الإختلاف، وفي أحسن الأحوال يتذكر الرواة سطراً أو سطرين من كل الخطبة، وخاصة الأفكار الرئيسية منها وغالباً لايكون النقل والرواية بالألفاظ وإنما يتم النقل بالمعنى وهو الأهم كما يقولون ونحن كبشر لانجد في هذا الموضوع غرابة ولا غضاضةً بل هو الأمر الطبيعي والممكن الحصول فعلاً، فكلٌ منا قد يتذكر من أبيه بعض العبارات التي علقت في ذهنه فينقلها لأبنائه المباشرين ونادراً ما ينقلها الأبناء للأحفاد إلا أن حالة الرسول الكريم كانت حالة خاصة وحب الناس له كان شديداً، فاهتمامهم كان يتوازى مع محبتهم للرسول ﷺ. فلو عدنا لأشهر خطبة للرسول في حجة الوداع لرأينا الناس يتذكرون بعضاً منها كما يلي: وقد أورد البخاري رحمه الله ثلاث روايات مختلفة ليبين لنا مدى ما يمكن تذكره بعد النقل للجيل السابع عن طريق الرواية من الحديث كله:

ـ الحديث (١٧٣٩) من صحيح البخاري، موصولاً بابن عباس: «أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أيّ يوم هذا؟ قالوا يومٌ حرام. قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: فإن دماءكم

وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا قال فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلّغت اللهم هل بلغت» قال ابن عباس فو الذي نفسي بيده إنّها لوصيّتُه إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

في هذه الرواية كل التفاصيل الدقيقة مثل: كيف بدأ الرسول الخطبة وكيف أثنى على الله ثم ماذا قال أولاً وماذا قال بعد ذلك، كل هذه الأمور غير موجودة، وهذا طبيعي لأن الراوي إنسان معرض للنسيان، والوحيد الذي لاينسى هو الله سبحانه، وعندنا في الخطبة فكرتان تعالجان فكرة واحدة أساسية، والرسول في الحقيقة يوقف بهذه الخطبة أسلوب العنف والقتال في نشر الإسلام الذي سمح الله به لحالة خاصة كما شرحت ذلك في بحث الجهاد. لأن الآيات مثل:

﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرّشد من الغيّ﴾ ٢٥٦ - البقرة.

نزلت على الرسول ﷺ مُنهية فترة القتال التي سَمَحَ بها الله في حياة الرسول والتي دامت تحت إشراف الله المباشر يوجهه سبحانه بالوحي الذي استمر من السماء. والرواية الثانية هي:

- الحديث (١٧٤١) من صحيح البخاري، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال:

خطبنا النبيُّ يوم النحر فقال أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال «أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى، وهكذا.. حتى قال:

«فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربّكم ألا هل بلغت؟ (والمعنى واضح أن العنف والقتال في الإسلام في سبيل نشر الدعوة انتهى أمره اعتباراً من تلك اللحظة).

ألا هل بلغت قالوا: نعم. قال: اللهم أشهد، فليبلغ الشاهد الغائب. فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). وهكذا وجدنا أن الراوي الثاني تذكر بعض الأشياء ونسي أشياء أخرى.

والرواية الثالثة: هي:

ـ الحديث (١٧٤٢) في صحيح البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي بمعنى:
«أتدرون أي يوم هذا، قالوا: الله ورسوله أعلم فقال: فإن هذا يوم حرام أفتدرون أيّ بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بلد حرام أفتدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال شهر حرام قال فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وهذه الروايات الثلاث هي أقرب الروايات لبعضها، وربما من أصحّها، لذلك اختارها البخاري، بينما نجد روايات أخرى كثيرة تختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً مثل الرواية الموجودة في (تاريخ ابن كثير الجزء الخامس ص ١٧٥) عن مسند الإمام أحمد بن حنبل أن أبا أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ على الجدعاء واضع رجليه في الفرز يتطاول ليسمع الناس فقال بأعلى صوته:

ألا تسمعون؟ فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله ماذا تعهد إلينا فقال «اعبدوا ربّكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنةَ ربّكم» وهذا الحديث كما هو واضح يدعوا لإطاعة السلطان.

وضربت هذه الأمثلة فقط للإقناع والبرهان على أن طبيعة النقل بالرواية مشافهة ودون كتابة مع الزمن يخضع للعوامل الإنسانية الطبيعية، كالنسيان والهوى والحب والكذب. فالإنسان يتذكر أكثر الأشياء التي يحبها وتلفت نظره أكثر، وفي هذا يختلف الناس بحسب ميولهم وأهوائهم، ثم تدخل عوامل أخرى أيضاً إنسانية كالمبالغة والحقد والحسد إذا كان قد دخل الإسلام للإساءة إليه فيمكن عندها أن يكذب ويؤلف من عنده ونحن المسلمين قبلنا من الجميع دون استثناء، وافترضنا صدق النية حتى في أهل الكتاب لمجرد أن شهد لهم جنود السلطان. وشهدوا بلسانهم بشهادتي الإسلام ويجب أن نعلم أن تواريخ كثيرة ومهمة يختلف عليها المسلمون إلى اليوم لأنها نقلت إلينا رواية. فلا نعلم بالتحديد: متى حصل الإسراء مثلاً، ولا نعلم هل كان الإسراء والمعراج معاً، أو كان كل منهما على حدة! وكما لانعلم هل توفي الرسول في السنة العاشرة فعلاً، أم كانت في الحادية عشرة، ولانعلم فعلاً كم عدد السنين التي قضاها الرسول في مكة بعد الرسالة هل هي عشرة أم ثلاث عشرة ولا نعلم بالتحديد كم عاش الرسول ستين سنة، أم إحدى وستين أم ثلاث وستين ولانعلم بالتحديد متى توفي أبو بكر الصديق ومتى تولى عمر بن الخطاب الخلافة لأن كل هذه الأمور كانت تنقل بالرواية

ولم يكتبها أحداً لنهي الرسول عن كتابة حديثه، فخشي الصحابة أن يكتبوا بعد ذلك شيئاً، حتى رسائل الرسول للملوك وصلتنا روايةً وليس كتابةً، والرواية كما قلت تتعرض لكل العوامل السابقة، لذلك أغلب الروايات الصحيحة عن الرسول كانت في الأصل روايات قصيرة ومقتضبة، لاتتعدى السطرين، وكل الروايات الطويلة بالإجماع كانت من تأليف الرواة، وأتت كلها مناقضة للقرآن وقد برهنت على ذلك قبل الآن بعد هذه المقدمة دعونا نعود للنص الموجود بين أيدينا ونقرؤه من جديد. إنه مكتوب الآن ولم ينشف الحبر عنه بعد ولم يروه أحدٌ لأحد أبداً. بل وصل إلينا كما خطّه الذي وضعه حرفياً، مع الضبط بالشكل والفواصل، وإذا أحب القارئ أن يتأكد لنفسه وبنفسه بإمكانه أن يجري تجربة مسلية بينه وبين زملائه، ليطبع نسخة عن الحديث ويسلّمها لزيد من الناس ويطلب منه أن يقرأها بتمعّن ثلاث مرات متكررة، ثم ليسحب منه النسخة المطبوعة ويقول لزيد أرجو منك أن تنقل كل ماتتذكره شفهياً لعمرو من الزملاء. ثم تطلب من عمرو أن ينقل ما سمعه من زيد، وما يتذكره من الحديث لحسن، وحسن يقصّ ما يتذكره لحسين، وحسين ينقل ما يتذكره لمحمود، ومحمود ينقل ما يتذكره مباشرةً لأحمد. وأحمد ينقل الموضوع لأسعد، وأسعد يكتب لك ما يتذكره كتابةً ويسلمك النص النهائي ليدك، من أجل إجراء مقارنة بين النص الأساسي وبين النص بعد الرواية الشفهية لسبعة فإذا كان ما كتبه أسعد يطابق تماماً نص الحديث الأساسي المطبوع يكون عندها فعلاً أن الحديث الذي بين أيدينا صحيح ولاشك فيه وقد نقله سبعة اعتباراً من أنس أي خلال فترة ٢٢٥ سنة في أقل تعديل، ونحن في تجربتنا نقوم بها في نفس الساعة، ومجال النسيان للإنسان للنص المقروء قبل قليل ليس مثل الإنسان الذي سمعه في شبابه، ثم ينقل ذلك الحديث لابنه أو لتلميذه قبل نهاية حياته.

وعندما ينقل هذا الحديث لسبع رواة ويتغير عما قاله الأول مع وجود الزيادة والنقصان تكون النتيجة الحتمية أن هذا الحديث وضع كتابةً وفي عصر السلطان الذي كان له أهداف سياسية وأخرى دينية من ورائه وهو المطلوب برهانه.

أما الأهداف السياسية والدينية من وراء هذا الحديث هي ما يلي:

إن الإسلام الذي هو القرآن غيّر العقلية الجاهلية القبلية وغير المثل والمقاييس والمعايير القديمة فصار مقياس التفاضل بين الناس بحسب دين القرآن كما في الآية:

﴿إنّ أكرمَكُم عندَ اللّهِ أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

وبنفس المقياس اختار النبي ﷺ أبو بكر الصدّيق وعلى نفس المقياس اختار الناس عمر بن الخطاب كما تمّ اختيار عثمان بن عفان واختيار علي بن أبي طالب ـ وليس بمقياس القبلية الجاهلية كما زرعوا في أفكارنا. لكن السلطان الجديد الذي فرض نفسه على المسلمين سواء كان من الأمويين أو من العباسيين وأصبح بعدها سلطاناً للمسلمين لم يكن المقياس الذي به أصبح الخلفاء الراشدون خلفاء، وقد صدف أنَّ أفضل الأتقياء كانوا من الجيل الأول ومن المهاجرين ومن قريش فاستغلها معيداً مقياس التفاضل الجاهلي قبل الإسلام وجعل شرط الإمارة أن تكون في قريش، وجنود السلطان أيّدوه في ذلك ودعموه للنهاية. وبما أنه بدعوى الجاهلية يكون في الميدان من هو أحق منه، وهم بني هاشم ومنهم أولاد أبي طالب وأولاد العباس فالحديث هجوم على علي بن أبي طالب مباشرة ولكن ليس بلسان بني أمية بل بلسان إنسان محايد ليس من الأمويين وكما أنه ليس من الهاشميين. هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة العادل، القوي في قول الصدق والحق، فإقناع الناس أن الذي قال هذا الكلام كله هو عمر بن الخطاب يقنع المسلمون بصحة الموضوع كله، لأنه لم يُعرف عن عمر بن الخطاب الكذب والضعف والمنافقة فهو يقول الحق دائماً وبقوة وبصراحة ـ وواضع الحديث يريد أن يستفيد من كل ذلك. والغريب أنه وصل لغايته واقتنع الناس لأنه لم يكن بينهم مع الأسف من يستطيع أن يحاجج به علناً أمام السلطان، فسكتوا خوفاً من بطشه وظلم جنوده المسيطرين بقوة السيف على رقاب الناس والقول السياسي: يبدأ عندما يقول:

(بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً)

وفلاناً هذه غير الواضحة في هذه العبارة تصبح واضحة بعد ذلك في نفس الخطبة عندما يقول: (وخالف عنّا علي والزبير) فصار نقلاً عن لسان عمر بن الخطاب بأن علي من المخالفين للجماعة وهذا أمر خطير. ولكنه لم يكن صحيحاً مع الأسف ولكن هكذا شاء السلطان والموضوع الثالث وهو خطير سياسياً. أيضاً هو: قول عمر في الخطبة

(إنّما كانت بيعة أبي بكر فَلتَةٌ وَتَمَّت)

هذه العبارة أيضاً المنسوبة لعلي بن طالب بأنه لم يكن يرى حتى أبا بكر الصديق جديراً بالخلافة مع وجوده هو أي (علي) الذي يعتبر نفسه أحق للخلافة من الجميع. وهذه أيضاً تهمة خطيرة وجّهها السلطان لعلي بن أبي طالب ظلماً وعدواناً وأقنع كل أهل

السنة بها ظلماً وافتراءً.

والرجل بريءٌ من كل هذه التهم ولم يكن يسعى للخلافة ولا للإمارة. وإنما سعت إليه وحدها. والموضوع السياسي الرابع أنه يحاول أن يصوِّر الأنصار وهم يسعون للحصول على الرئاسة والقيادة للمسلمين.

والموضوع الخامس والخطير هو إقرار الصديق بمبدأ الجاهلية من جديد ونسيان مبدأ الله في القرآن والعودة للعقلية القبلية بقوله:

(ولن يُعرَفَ هذا الأمر إلا لهذا لحي من قريش. هُم أوسط العرب نسباً وداراً).

نفس معايير الجاهلية القبلية والنسب والدار. ولم يعد للتقوى من وجود أيضاً هذه الأمور من رغبات السلطان الجديد وليس من مبادئ الإسلام الحقيقة. والموضوع السادس:

(خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا) يحاول أن يصور عمر بن الخطاب بأنه حريصٌ على إبقاء الإمارة في بني قريش كما هو الموضوع بالنسبة للسلطان أموياً كان أم عباسياً.

كل هذه الأمور والمعايير كانت من الأمور التي زالت من نفوس المسلمين من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - فالتقوى عندهم كانت الأساس وكانت المقياس. وهذه هي الأمور السياسية الخطيرة التي يريدها السلطان بأن تستقر في أذهان الناس عن طريق هذا الحديث المكذوب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى باقي المسلمين والمؤمنين من صحابة الرسول الكريم المذكورين فيه، ثم يحاول أن يشكك في القرآن الكريم كله بأنه تنقصُه بعض الآيات مثل آية الرجم التي يدّعيها جنود السلطان بالنص التالي:

(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)

يحاول الراوي ذو الأغراض الخسيسة أن يشكك المسلم بدينه وبقرآنه الكريم الذي قال الله عنه ﴿إنّا نحن نزّلنا الذِّكرَ وإنّا له لحافظون﴾ وأن الله سبحانه، لم يحفظ القرآن كما وعد. ومن ثم يقول على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(إن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن).

يحاول أن يجعل موضوع الرجم حقيقة واقعة في الإسلام وعلى لسان عمر بن الخطاب، وهذا محض افتراء على الدين الإسلامي - الذي لايحوي موضوع الرجم إطلاقاً وإنما كان الرجم لأهل الكتاب وفي التوراة فقط.

الآن وبعد أن انتهينا من دراسة هذا الحديث الهام ذي الرقم (٦٨٣٠) في صحيح البخاري سوف أنتقل إلى صحيح الإمام مسلم لأعرض:

ـ الحديث (١٧٩٥)، الذي له في الصحيح روايتان أختار منهما الرواية رقم /٢٣/ منها: وحدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدَّثنا.. حدَّثنا عبد الله ابن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالكٍ الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ظلمتُ نفسي وزنيتُ وإني أريدُ أن تطهّرني فردَّه فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله! إني قد زنيتُ. فردَّه الثانيةَ. فأرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى قومِهِ فقال «أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وَفِيَّ العقلِ. من صالحينا. فيما نَرى فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه: أنه لابأس به ولابعقله. فلما كان الرابعةَ حفر له حفرةً ثم أمر به فَرُجِمَ.

(هذا الراوي الجديد صحح عيوب الروايات القديمة كسؤال الرسول لماعز مباشرة هل أنت مجنون، وعندما قال لا، اقتنع الرسول ﷺ بعدم جنونه فرجمه، فلاحظ الراوي ضعف حجة السؤال المباشر، فجعلها سؤالاً لقومه وأن الرسول لم يتسرّع برجمه بل حصل بإلحاح من المذنب نفسه ولم يكتفِ الراوي إلى هنا وإنما أضاف رواية جديدة أخطر من كل الروايات السابقة وهي التالية:

قال: فجاءت الغامدية فقال: يا رسول الله! إني قد زنيتُ فطهِّرني. وإنه ردَّها. فلما كان الغدُ قالت: يا رسول الله! لم تردُّني؟ لعلَّكَ أن تردَّني كما رددت ماعزاً. فوا اللهّ إني لحبلى. قال «أمّا لا فاذهبي حتى تلدي» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه» فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا، يا نبي الله! قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفَعَ الصبيَّ إلى رجلٍ من المسلمين. ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالدُ بن الوليد بحجر، فرمى رأسها. فتنضح الدم على وجه خالدٍ فَسَبَّها فسمع نبي الله سَبَّهُ إياها. فقال «مهلاً! يا خالدُ فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبةً، لو تابها صاحب مكسٍ لغُفِرَ له» ثم أمر فصلى عليها فَدُفنت.

قصة طازجة خارجة من فرن الإنتاج جديدة والبخار يتصاعد منها. لاحظ أن الراوي أشهد خالد بن الوليد على صحة قصته ورايته. حمانا الله من الكذب والكذابين ومن أولياء الشياطين.

كل هذا الإلحاح من جنود السلطان لأنهم يريدون أن يجعلوا الرجم ديناً وسنَّةً في الإسلام كما كان لأهل الكتاب من قبلنا. وإذا عدنا إلى: كتاب العهد الجديد (كما يسمي المسيحيون كتابهم اليوم) لوجدنا في إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن ما يلي:

(وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنى، ولما أقاموها في الوسط. قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت؟.

(قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه) وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب باصبعه علي الأرض (أي ينكت في التراب). ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خَطِيَّةٍ فَليَرمِها أولاً بِحَجَرٍ. ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض. وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتُهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين. وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك. أما دانك أحد؟ فقالت لا أحد يا سيد! فقال لها يسوع ولا أنا أُدِينُكِ. اذهبي ولاتخطئي أيضاً)(*).

وقصص الرجم كثيرة في التوراة لأن الرجم كانت سُنَّةً متبعة في دينهم الحدّيّ الذي شرحته سابقاً، ولكن الله مع تطور الزمن ورحمة بالناس كان يعدل الشرائع السماوية فجعل شريعة الإسلام حدودية وليست حدية، وقد شرحتها أيضاً في السابق وأعود إليها باختصار لأقول: إن حكم العين بالعين والسنّ بالسنّ هي شريعة حدية كانت لأهل الكتاب ومجال حرية حركة القاضي المسلم بين العفو كحدّ أدنى للسرقة مثلاً وقطع اليد كحد أعلى. وقد يسأل سائل ويقول: وهل يمكن لسارق بالحكم له بالعفو؟ لنفرض مثلاً:

ربّ عمل فقد عمله وعنده أسرة وأطفال يتضورون جوعاً سرق ليطعمهم إنقاذاً لهم من الموت ربما سرق دجاجةً أو معزةً أو كيساً من الطحين المهم أنه سرَقَ لأجل حاجة الجوع التي لاترد ـ القاضي الذي تصبح لديه القناعة بأسباب هذه الجناية يمكن أن يحكم بالعفو مع إعطاء الجاني منحة من بيت مال المسلمين لفترة تكفي حتى يجد هذا رجل عملاً جديداً يعيل به أطفاله ـ فيكون القاضي قد عالج سبب الجريمة واستأصلها ـ **أما**

(*) إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثامن.

بقطع اليد فإنه لن يزيد شيئاً إلّا بزيادة عدد الأشخاص الذين سيصبحون بلا أيدٍ ـ في المجتمع وبحاجة إلى من يعيلهم من جديد ولذلك أقول: إن دين الإسلام كان ديناً متطوراً عندما طبقه الرسول والصحابة. فأصرَّ السلطان الأول ومن أتى بعده من السلاطين إلاّ بإعادة الدين كما كان في عهد أهل الكتاب، فأزالوا بعملهم هذا كل ميزات الدين الإسلامي، فصار المسلم يتبع التوراة والإنجيل كعقيدة وهو يقول بلسانه أنه يعبد الله ويؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ـ اسماً لا فعلاً. وهذا لم يكن في الماضي وانتهى أمره وإنما هو مستمر إلى الآن وفي كل مكان يوجد فيه المسلمون وسوف يستمر على ما هو عليه وهو يتطور نحو الأسوأ، حتى يخرج منا مفكرون إسلاميون وبعدد كاف لإصلاح الخطأ الحاصل في زاوية انحراف دفة السفينة بزاوية قدرها ١٨٠ درجة وتعديل الزاوية بمثل ذلك الإنفراج لن يكون سهلاً أبداً، ولن يتم تحقيقه بيوم ولابسنة ولابمفكر ولابمفكرين بل تحتاج إلى جهود كل المثقفين الذين يئسوا وهربوا من المواجهة وقبعوا في زوايا النسيان، بينما مئات الملايين من إخوانهم المضلَّلين بحاجة إلى فكرهم وقلمهم، ليعودوا إلى ساحة المواجهة من جديد وليقولوا الحق الذي يؤمنون به ويكشفوا الباطل الذي تعب وهو يرقص على غبائنا المقيت، والوقت حَرِجٌ لأنه بدأ يظهر في الساحة كثير من المدّعين بالإصلاح وقد يكون من بينهم كثيرٌ من المخلصين والأوفياء الغيورين على دينهم، ولكن الإخلاص والوفاء والغيرة مع نبلها غير كافية لإصلاح مَرْكَبَة تم تعطيلها منذ أكثر من ألف وأربعمائة من السنين، وصار عدد ركابها ينوفون على الألف مليون من البشر المضلَّلين بالإجماع، بل يحتاج مع الإخلاص والوفاء والغيرة إلى علم صحيح.

ـ وقانون الكشف بسيط:

كل من يقول بوجود مصدر للإسلام غير كتاب القرآن فهو إما مُضَلِّل أو مُضَلَّل ولا ثالث لهذه الحقيقة. وكل من يقبل ويَعْتَرِفُ بانتمائه إلى طائفة أو فئة إسلامية فهو إما مُضَلِّلٌ أو مُضَلَّل. ابتداءاً من السُّنَّةِ وانتهاءً لآخر طائفة من طوائف المسلمين.

وهناك من أدرك هذه الحقائق من المسلمين ويريد العودة إلى ما كان عليه الرسول وصحبه مكاناً وزماناً ولكن كما قلت: إن هذه الفئات الغنية بعناصر الحماس والعاطفة والحب فقيرة إلى العلم الصحيح، حتى يدركوا مثلاً أن الزمان لايعود إلى الوراء والشمس لن تشرق من الغرب أبداً في يوم من الأيام والقرن السابع الهجري لن يعود

أبداً، بل إن الزمن هو الذي سيبقى متقدماً للأمام فلا رجوع للزمان خلفاً.
والثاني أن الإصلاح المطلوب عقليٌ وداخليٌ، أقصد في داخل العقل وأسلوب التفكير وليس إصلاحاً سطحياً خارجياً يعالج أشكال اللباس وتربية الذقون مع حلق الشوارب واستخدام عود الأراك فقط ليصير مسواك المسلمين جميعاً. إن إصلاحاً من هذا النوع لن يغيّر أي شيء على الإطلاق. والتغيير الوحيد الممكن أن شركات بيع أدوات الحلاقة كالشفرات سوف تغلق وكالاتها في بلاد المسلمين وتفتح مكانها وكالات جديدة لبيع السلع الجديدة من النوع الذي ظهر عليه الطلب من جديد للرجال والنساء على حد سواء نتيجة تغيير الأزياء وقد سبق أن ضربت على ذلك مثلاً: حيث وقع في شراك هذا الوهم أبو الأتراك في العصر الحديث ومنشئ تركيا الحديثة (مصطفى أتاتورك) كما يقولون.
وقلت وقتها أن التغيير الوحيد الذي ناله أتاتورك (هو تركيٌ متأخرٌ وجاهلٌ بالكاسكيت والبنطلون بدل التركي القديم) والذي كان أيضاً متأخراً وجاهلاً وهو يلبس الشروال والطربوش.
وأرجو أن لايفهمني أحد خطأً بأنني ضد فكرة الحجاب الإسلامي الصحيح.
ولكني أريد أن أقول للمسلم الغيور على إسلامه إنّ فكرة الحجاب لايمكن فهمها إلا بعد إعادة فهمنا للقرآن من جديد وبعد إزالة كل الشوائب التي أُدخلت على الإسلام وهي ليست منه في كل ما ينسب للرسول محمد ﷺ ظلماً وبهتاناً من أجل مصلحة الحاكم الإسلامي وأعوانه على مر العصور، وزال الحاكم الإسلامي ولكنه أورثنا الدين الذين صممه ليستطيع أن يؤَمّنَ به على نعيمه وجحيمنا وتركنا في حلقة الشيطان وحدنا ولا نعلم كيف الخروج.
﴿وقالَ الشَّيْطانُ لَمّا قُضِيَ الأَمْرُ إنَّ اللهَ وعدكم وعْدَ الحقّ ووعدتْكمْ فأخلفتكم وما كانَ ليَ عليكِم من سِلطانٍ إلا أنْ دعوتكم فاستجَبْتُمْ لي فَلا تلوموني ولومُوا أنْفُسَكم ما أنا بمصْرِخِكمْ وما أَنْتُمْ بمصْرِخيَّ إنّي كفرتُ بما أشركتمونِ من قبلُ إنَّ الظالمينَ لهم عذابٌ أليم﴾ ٢٢ - إبراهيم.

صدق الله العظيم.

مراجع الكتاب

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الإسلامية استانبول ـ تركيا ـ ١٩٨٤

٢ ـ علم الحديث ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عالم الكتب ـ بيروت

٣ ـ مجلة اللواء الإسلامي ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ القاهرة

٤ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير الدمشقي ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ١٩٨٨

٥ ـ السنة قبل التدوين ـ الدكتور محمد عجاج الخطيب ـ دار الفكر ـ ١٩٨١

٦ ـ السنة ـ الشيخ مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ١٩٨٥

٧ ـ الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ـ الدكتور عبد العظيم المطعني دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٩٢

٨ ـ الروح ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٩١ ابن قيم الجوزية

٩ ـ الفوائد دار الهدى ـ بيروت ١٩٩٤ ابن قيم الجوزية

١٠ ـ الكتاب والقرآن ـ قراءة معاصرة . الدكتور محمد شحرور ـ الأهالي للطباعة والنشر دمشق ـ ١٩٩٤

١١ ـ القرآن الكريم

١٢ ـ أسباب النزول للواحدي ـ دار القبلة ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ ١٩٨٧

١٣ ـ ألفية السيوطي ـ لجلال الدين السيوطي ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ

١٤ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة ـ مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٦ هـ

١٥ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

١٦ ـ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٦

١٧ ـ الجواب الكافي ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤

١٨ ـ التوابين ـ ابن قيم الجوزية دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤

١٩ ـ عدة الصابرين ـ ابن قيم الجوزية دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤
٢٠ ـ حادي الأرواح ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الهدى ـ الرياض ١٩٩٤
٢١ ـ فقه السنة ـ السيد سابق ـ الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة ١٩٩٠
٢٢ ـ الأديان الحية ـ أديب صعب ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٩٣
٢٣ ـ تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ـ دار الكتاب اللبناني ـ عاطف السيد ـ بيروت ١٩٨٤
٢٤ ـ قصة الحضارة ول ديورانت. طبع الجامعة العربية ـ القاهرة ١٩٨٠
٢٥ ـ الكتاب المقدس L B I ١٩٨٨
٢٦ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٨٨)
٢٧ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٢)
٢٨ ـ سنن أبي داوود دار المعارف القاهرة
٢٩ ـ سنن ابن ماجة. مطبعة دار السلام ـ القاهرة
٣٠ ـ مسند الإمام أحمد ـ دار المعارف ـ القاهرة
٣١ ـ الأحكام في أصول الأحكام ـ لابن حزم الأندلسي ـ دار المعارف القاهرة
٣٢ ـ سنن الدارمي ـ مطبعة الاعتدال ـ دمشق
٣٣ ـ سير أعلام النبلاء (شمس الدين الذهبي) ـ دار المعارف القاهرة
٣٤ ـ طبقات بن سعد (الطبقات الكبرى)
٣٥ ـ قصص ـ القرآن ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٩١
٣٦ ـ موطأ مالك ـ عيسى الحلبي ـ القاهرة ١٩٥١
٣٧ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة.
٣٨ ـ التلمود ـ راندوم هاوس ـ نيويورك
٣٩ ـ مقدمة وتاريخ ابن خلدون ـ دار إحياء التراث الغربي ـ دمشق.
٤٠ ـ أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع ـ جودت سعيد ـ دمشق.
٤١ ـ الماسونية في العراء ـ للشيخ الدكتور محمد علي الزعبي ـ بيروت.

٤٢ ـ الماسونية ماضيها وحاضرها ـ سعيد الجزائري ـ دار الجيل ـ بيروت.
٤٣ ـ مكايد اليهود ـ عبد الرحمن حبنكة ـ دمشق.
٤٤ ـ أحجار على رقعة الشطرنج ـ وليام غاي كار ـ دار النفائس ـ بيروت.
٤٥ ـ خالد بن الوليد ـ الجنرال الباكستاني أكرم ـ دمشق.
٤٦ ـ اعجاز القرآن ـ مصطفى صادق الرافعي ـ القاهرة.
٤٧ ـ موسوعة دار المعارف البريطانية ـ جامعة شيكاغو ـ الولايات المتحدة.

الفهرس